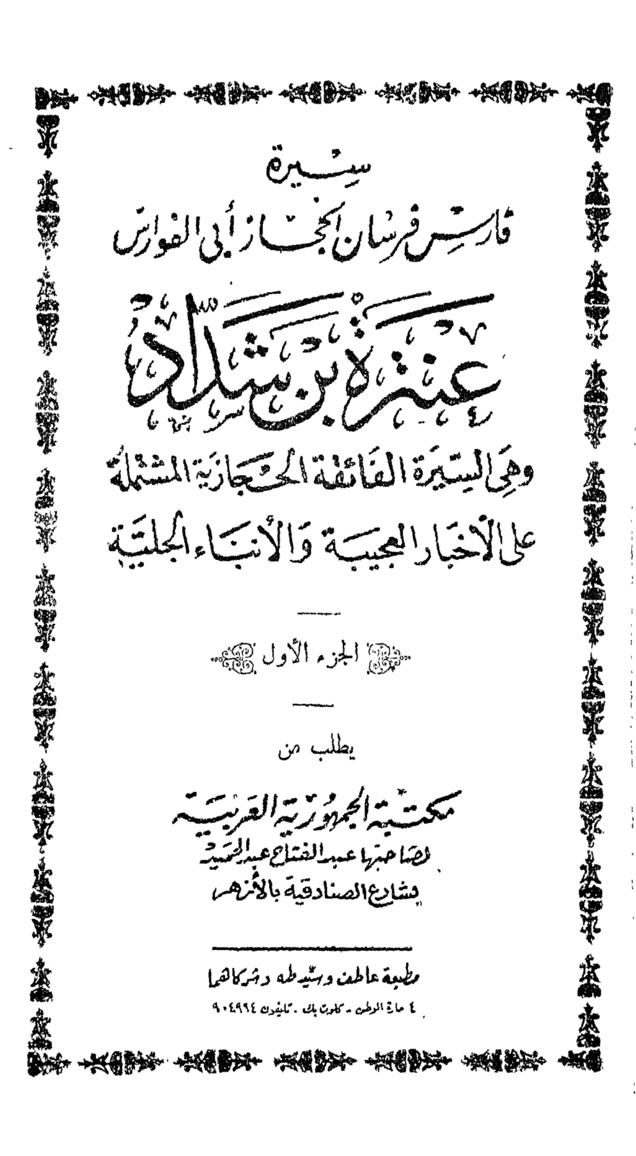
سيرة

عنترة بن شداد



المجلد الأول

التزام مكتبة الجمهورية العربية



سيرة

فارس فرسان الحجاز أبي الفوارس

عنترة بن شداد

وهي السيرة الفائقة الحجازية المشتملة

على الأخبار العجيبة والأنباء الجلية

الجزء الأول

يطلب من

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد

بشارع الصنادقية بالأزهر

مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما

٤ حارة الوطن - كلوت بك - تليفون ٩٠٤٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم المنان . المنعم بالمنة والجود والاحسان . الموصوف بالكمال والقدرة والسلطان . المقدس عن الشبيه والمثيل والزيادة والنقصان . المنزه عن الشريك والزوجة والأولاد والإخوان . المنفرد بالوحدانية والعظمة والكبرياء والرضوان . والعز والبقاء والدوام وهو الله الواحد المنان . الكريم الحليم العظيم الذى لا يشغله شأن عن شأن . ما لعرشه أركان . رفع السماء بقدرته . ومد الأرض بحكمته . صرف المقدورات بمشيئته ودبر الأوقات والأحيان سبحانه وتعالى وتسبح له الأملاك فى الأفلاك هدى من شاء من عباده وأضل من طرده عن بابه من العباد . وقد ميز فى كتابه العزيز ما سبق فى علمه القديم من عباده الأشقياء ومن أرادهم بالأسعاد . فقد قال الله فى كتابه العزيز وهو أعز من قال تنبيها للعباد « ومن يهد الله فهو المهتد » ومن يضلل فما له من هاد أذاق حلاوة طاعته لعباده الأمجاد . وخص بفضله من أراد من العباد (أحمده) حمد عبد معترف بشكر جزيل إحسانه (وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى ملكه . وأسبغ نعمه على المؤمنين بغير حساب . وأمهل الظالمين استدراجا وفتح لغيرهم الباب سبحانه وتعالى الكريم الوهاب (وأشهد) أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وأهل بيته والتابعين وتابع التابعين وتابعيهم صلاة توجب الزلفى والوسيلة العظمى فى يوم العرض والحساب . ثم الرضا عن أبى بكر الصديق الذى وفقه الله الصواب واختاره لنبيه صديقا وصديقاً وجعله أفضل الأصحاب . ثم الرضا عن الإمام الأشهر عمر بن الخطاب . الذى أظهر الإسلام بالسيف القرضاب . وعلا بالحسام على رأس المنافق الكذاب . ثم الرضا عن الامام عثمان بن عفان المقتول ظلما وعدوان . من شهدت بفضله ملائكة الرحمن ثم الرضا عن ليث المواكب ومفرق الكتائب شجاع بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب . خاتم الأصفياء . وابن عم سيدنا الأنبياء . وبعل ست النساء فاطمة الزهراء . ووالد الحسن والحسين . وقاتل المشركين يوم بدر وحنين ثم الرضا عن بقية الآل والأصحاب وغفر الله لى ولكم ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات وأدخلنى وإياكم فى رحمته إنه غفور رحيم تواب (أما بعد) فاسمع أيها السامع ما كان من أحاديث العربان وما جرى بين يعرب وقحطان وفزارة وذبيان وعبس وغطفان .

«أولاد معد بن عدنان وما كان لهم فى سالف الأزمان وما كان بين أولاد نزار كانوا أربعة



(١) مضر (٢) ربيعه (٣) أياد (٤) أنمار

وهم مضر وربيعة وإياد وأنمار وكان أكبرهم يقال لهم مضر فلما أن كثرت أموالهم ورجالهم .زادت أنعامهم يا أخوتى أنا أكبركم والموصى لى بالملك من بعدوالدكم فاسمعوا منى ما أقوله لكم فارحل أنت يا ربيعة واسكن أرض العراق وأنت يا أخى يا إياد ارحل بمالك وأنعامك واطلب أرض اليمن وأنت يا أنمار ارحل بمالك وأنعامك وأطلب أرض الشام واتخذوا من السلاح أجوده وكانت خيولهم حمرا وسميت عرب ربيعة الفرس لأجل حسن حالهم وملبوسهم وعرب إياد قحطان وعرب الشام بنى غسان وعرب الحجاز بنى عدنان والعراق بنى شيبان واليمن قحطان ونسبهم كلهم متصل إلى نزار وبعد ذلك وقع بينهم الحرب والقتال على المياه والغدران والمناهل والأوطان واستمر بينهم الحرب مع طول الأيام هذا

ماذكره علماء السير والحكماء والكهان الذين رووا أخبار العربان الجاهلية قبل ظهور سيدنا محمد ﷺ خير البرية (وهذا) ماذكر وما كان وماوقع بينهم من الحروب والمكايدة وبين الملوك والفرسان من أولاد معد بن عدنان وإن من رواة هذه السيرة العجيبة المطربة الفائقة الغريبة فصيح ذلك الزمان المتكلم على ما مضى من أحاديث العربان الاولين فى ذلك الزمان العالم العلامة عبد الملك بن قريب الاصمعى رحمه الله تعالى الذى كان من المعمرين الذى عاش عمرا طويلا جاهلية واسلاما إلى أن أدرك الخلفاء والامويين وغيرهم ومماذكروا إنه ماسمى بالاصمعى إلا لانه ليس له شحمتا آذان غير أن رأسه كانت صومعة وآذانه خرقين فى الصدغين لاغير وكان فصيح ذلك الزمان وعالما فى دين الاسلام وهو من جملة من روى الحديث عن رسول الله ﷺ وكان يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا ومن جملة من روى هذه السيرة العجيبة أيضا أبو عبيدة وجهينة بن المثنى اليمنى والبلخى وحماد وسيار بن قحطبة الفزارى والكاهن الغسانى الثقفى وابن خداش النبهانى وكل منهم روى ماشهده وماسمع عمن يوثق به ممن حضر وقائع العربان وضبط كم فنى منهم فى الحرب وقعة نزار فى اليمن دامت الحروب بينهم مائتى سنة حتى قتل فيها ألوف مؤلفة وثانى وقعة كانت وقعت حرب البسوس وكانت بين بنى بكر وبنى وائل حرب ودام الحرب بينهم أربعين سنة. وثالث وقعة كانت وقعة داحس والغبراء وكانت بين بنى عبس وغطفان وفرازة وذبيان واتصل الحرب بينهم إلى جميع العربان والملوك الذين كانوا فى ذلك الزمان ولبث الحرب بينهم ستين سنة ورابع وقعة كانت بين الاوس والخزرج ولبث الحرب بينهم أربعين سنة إلى قرب ظهور رسول الله ﷺ (ذكر) الاصمعى رحمه الله تعالى أنه كان من أحسن هذه الوقائع العظام وأبينها نظاما وأصدقها كلاما وأعظمها احتراما حديث بنى عبس الذئاب الطلس ولقد حدث المحدثون وأخبر المخبرون الذين نقلوا كلام العربان الاولين بما رووا من حديث عربان الجاهلية الشجعان وعبادتهم الاصنام وانعكافهم على الازلام والاوثان وقد أضلهم وأغواهم الشيطان حتى ابتلاهم الله تعالى بالمذلة والحرمان لانه لم يكن قصدهم فى ذلك الزمان الا أنهم يتفاضلون على بعضهم البعض وكان كل منهم يريد أن يكون مامثله أحد على وجه الارض ويقهر شجعانها بالطول والعرض. كانوا لايخافون الله ولا يراقبونه ولا يخشونه ولا يحترمونه (ولما) أراد الله سبحانه وتعالى هلاك أهل تجبرهم وتكبرهم أذلهم الله تعالى وقهرهم بأقل الاشياء عليه وأحقرهم لديه وكان ذلك غير عسير عليه وذلك بالعبد الموصوف بانه حية بطن الواد الذكى الفؤاد الطيب الميلاد صاحب الواد عنترة بن شداد

الذى كان فى زمانه شرارة خرجت من زناد فقمع الله به الجبابرة فى زمن الجاهلية حتى مهد الأرض قبل ظهور سيدنا محمد خير البرية وكان منشؤه فى عشيرته بنى عبس الذئاب الطلس الذين كانوا إذا بنى الغبار على رؤسهم سقفاً ينسفون الرجال نسفاً وكان كل مائة منهم فى الحرب تقاوم ألفا وكان لهم ملك صاحب قدر وقيمة وكان اسمه زهير بن جذيمة بن رواحة بن بغيض ابن عبس بن غيلان بن قيس بن خزاعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكان له فرسان تركب لركوبه تنزل لنزوله منتظرين له السمع والطاعة ولكننا لا نذكرهم حتى نذكر حديث سيدنا إبراهيم عليه أفضل الصلاة والتسليم وبعد ذلك نذكر الاصل والفرع ونصلى نحن وأنتم على صاحب السنة والشرع وما جرى له مع النمروذ بن كنعان لعنه الله وغضب عليه وكيف أراد أن يلقى خليل الرحمن فى النار وكيف جعلها الله عليه برداً وسلاما وكيف أهلك الله النمروذ بأضعف الأشياء عليه ونذكر حديث سيدنا اسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأتم الرضوان من الملك المنان ونذكر من يتفرع من أهل العرب الشجعان وما تفرع غيرها من قبائل العرب وبعد ذلك نذكر كل قبيلة وعربها وفرسانها وشجعانها وما تم لهم فى زمن الجاهلية من القيل والقال وما قالوه من الأشعار الفصيحة البيان ونشرحه على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان وعلى الله التكلان وأسأل الله تعالى لى ولكم ولوالدينا والديكم الرحمة والغفران بجاه سيدنا محمد سيد ولد عدنان (ذكر) وهب بن منبه حديث أولاد كوش وميلاد النمروذ بن كنعان لعنه الله وميلاد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وحديث أولاد معد بن عدنان وما تفرع بعدهما من العربان (ذكر الرواة الحفظه) عن وهب بن منبه وعن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنهم أنه لما أهلك الله سبحانه وتعالى قوم سيدنا نوح صلوات الله وسلامه عليه بالطوفان وقوم عاد بالريح العقيم وقوم ثمود بالصيحة الذين هم قوم سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام وأهل البئر المعطلة والقصر المشيد وأصحاب الرس بالمسخ وأهلكهم الله جميعا بقدرته أنشأ الله سبحانه وتعالى قوم آخرين أولاد سام وحام ويافث أولاد سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام (قال) وكان الملك فى أولاد سام والتجبر فى أولاد حام والفتوة والنبوة فى أولاد يافث وكانت بلاد الحجاز واليمن سكنا لسام والمغرب وأعلاها من الحبشة والسودان والنوبة سكنا لحام وظهر من أولاد حام رجل يقال له كوش بن قرط بن حام وكان لكوش أخ يقال له زاغور وكان جباراً لا يطيقه أحد وكان كوش أشد قوة وتجبر وكان أسمر اللون أزرق العينين عظيم الخلقة والقد والهيكل وله أظفار كمخالب السباع فخرج بعساكره يطوف الارض شرقا وغربا يقاتل من ينازعه فما زال يسبى ويخرب ويقتل وينهب كل من

لاقاه إلى أن وصل إلى الأرض كوتريا وكان فيها واديما بلى بلاد العرق نزهة للناظرين فرآها أرضا واسعة ورأى مياهها نابعة وهى ذات أشجار وأنهار ووحوش وأطيار قد كسيت بالأزهار صنع الله الواحد القهار فاستطابها وأراد أن يسكن فيها ويتخذ ذلك الوادى له مسكنا فنزل فى تلك الأرض واستدعى بالمنجمين وأرباب التقاويم والحساب وقال لهم إنى أريد منكم أن تنظروا لى فى علومكم بالبرهان فانى قد استطبت هذا المكان وهو من جملة ما طفته من البلدان وقد عزمت على أن اتخذه سكنا ووطنا فانظروا هل يصلح أم لا فقالوا أيها الملك إنا وجدنا فى علومنا والديوان أنه لا بد وأن يكون فى هذا المكان ملك عظيم القدر والشان يملك الأرض شرقا وغربا وان له بين الملوك عزا وقربا (قال وهب بن منبه) فتبسم كوش هو أنا ذلك الملك العالى الاركان ثم انه أمر أن يشرعوا فى البنيان فى ذلك المكان فبنوا له فى ذلك الوادى القصور الرفيعة والمجالس المزخرفة المصنوعة جعلوا فيها شيئا كثيرا من التصاوير العجيبة ومناظر مشرفة على كل مكان فيها من كل صنف ألوان كل بيت فرشه على مثال لونه فسبحان الواحد المنان وأسس بها البساتين وغرس فيها الاشجار المتنوعة من جميع الثمار وشق الجداول وأجرى فيها الانهار (قال) فعمرت تلك الأرض حتى لم يبق حولها شىء خرب ولم يزل مستوطنا بها حتى أتى له ولد سماه كنعان وكان له ولد آخر أكبر منه يقال له الهاص وهو خليفة أبيه والموصى له بالملك من بعده وكان كنعان قوى البطش وكان مولعا بالصيد والقنص والدوران فى السهول والجبال فبينما هو فى يوم من الايام ببرية كوتريا فى صيد السباع فانه كان إذا صاح على السباع تشققت مرائرها من هول صرخته فبينما هو كذلك إذ نظر إلى امرأة وقدامها بقرات وهى لها ترعى وكان بعد وفاة أبيه استقر أخوه على سرير مملكته فلما رأى تلك المرأة الراعية أعجبته فراودها عن نفسها فامتنعت عن نفسها فاعاد عليها كنعان القول وألح عليها فى السؤال فقالت له إمض عنى يا هذا فان لى زوجا قد تركته فى همة الاقبال إلى هذا المكان وإنى خاف عليك منه أن يرانا على الحالة التى أنت تذكرها فيقتلك ويقضى عليك فقال لها وهل على وجه الأرض من يقاومنى أو ينازعنى وأنا من أولاد كوش بن حام بن نوح وقد ملكنا الأرض جميعا سهلا وجبلا والينا قد انتهى أمرها (قال) فضحكت الراعية من كلامه ولم تخش منه ولا ارتعبت وادها منه وقالت له يا هذا الا تذكر الملوك وأنت رجل صياد فبينما كنعان هو وإياها على ذلك الحال وقد زاد عليها فى التهديد والوعد والوعيد وإذا بزوجها قد أقبل وأبصرهما على تلك الحالة فغضب زوج الراعية غضبا شديدا فتقدم إلى كنعان وكان معه سكين وكر عليه فتلقاه كنعان وتقابضا وتعاركا وتماسكا

وتجاذ بافعثرت رجل كنعان فى جحر هناك فوقع على الأرض على ظهره فركب زوج الراعية على صدره وأراد أن ينحره بالسكين التى معه فلم يزل كنعان يلاطفه فى الكلام ويخضع له فى السؤال ويتذلل إليه حتى قام عن صدره فثار كنعان عن الأرض وهجم على الرجل ودخل فيه واحتمله على يديه ورفعه إلى أن بان سواد إبطيه وجلد به الأرض حتى رض عظامه فى بعضها البعض وأدخل طوله فى العرض فقضى عليه ثم أقبل إلى الراعية وكان إسمها ـلخاء وقال لها كيف رأيت قوتى ثم مد يده إليها وأراد أن يقتنصها فقالت له كيف تفعل هذه الفعال وأنت تدعى أنك من أولاد الملوك الكبار وأنا امرأة فقيرة صعلوكة راعية فلم يعبأ بقولها وافعها فى تلك البرية وبعد ذلك أخذها معه وأتى بها منزله فكانت عنده من أحظى نسائه (قال وهب) وبعد ذلك سار كنعان فى طلب صيده تغلغل فى البر والحجر ونصب شباك الصيد فما لبث غير قليل وإذا بعسكر مكسورة مقهورة وكان السبب فى كسر ذلك العسكر وقهره أنه كان هناك ملك من أولاد يافث بن نوح عليه السلام يسمى جوهر آ بينه وبين ملك من الملوك حروب فقهر ذلك الملك جوهر آوكسر عساكره فهجت العساكر على وجوهها فى البر الاقفر إلى أن وصلوا المكان الذى كان يصطاد فيه كنعان فنفر الصيد بعدما كان قريب الوقوع فى الأشراك فصعب ذلك على كنعان وثار من مكانه كأنه من بعض العمار وجرد الحسام وزعق زعقة فرجعت الخيل على أعقابها فنظر جوهر بن يافث عساكره وهى راجعة إليه والعدو من الجانب الآخر قادم عليه فسأل عن الخبر فقالوا له أيها الملك أن قدامنا رجلا كأنه طود أو أسد حل من قيده وهو حاطم علينا فتقدم جوهر بن يافث إلى قدام فرأى كنعان وهو كأنه من بعض العمار فقال ما حالك أيها الإنسان وما سبب قتالك لنا ومن أى الناس أنت فقال له أما أنا فكنعان بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وأما وقوفى فى هذا المكان فإنى ناصب أشراك الصيد حتى أصيد السباع والوحوش وعساكرك قد هيجت الوحوش عنى فهذا سبب قتالى لهم فقال له ياهذا إن كنت من أولاد كوش بن حام فأنا جوهر بن يافث بن نوح عليه السلام وأنت تكون ابن عمى فعاونى على عدوى وأنا أزوجك ابنتى وأقاسمك نعمتى فعاد معه إلى عدوه وتقاتلوا معه فقهروا ذلك العدو وملكوا املاكه فطلب كنعان من جوهر أن يزوجه إبنته فأبى ذلك جوهر وقال أنا لا أزوج ابنى لرجل صياد فلما مكر جوهر بكنعان رجع كنعان إلى كوتريا ودخل على أخيه الماص وقال له يا أخى أنت تعلم أنى أنا أكبر منك وقد سلمت الملك إليك ولم أنازعك فيه وهذا جوهر بن يافث وعدنى بزواج ابنته وبعد ذلك مكر بى وقال لا أزوج إبنتى لرجل صياد فقال الماص وما الذى تريد أن تفعل فقال كنعان أريد أن

يعطينى عساكر من عندك حتى أسير بها إليه وأقتله وأقهر عساكره وآخذ ابنته منه قهراً فقال له العاص ياأخى أن جوهر آمن أولاد يافث وهو ابن عمنا وهو من الملوك ولا يمكننى أن أعينك على قتله وأيضاً انه صدق فى قوله أنك ماعليك سيمة أولاد الملوك وان أولاد يافث مبرؤن منك فغضب كنعان على أخيه العاص ومسكه بيديه واخذ بحقويه وجلد به الأرض فرض عظامه بعضها فى بعض فقضى عليه وجلس مكانه من وقته وساعته واحتوى على ملكه وماله وأطاعه العساكر والجنود دوها بوه من عظم تجبره وتكبره ثم لما دانت له البلاد وأطاعه سائر العساكر والأجناد جمع العساكر والجنود وطلب منهم الخروج إلى قتال جوهر بن سويد فاجابوه إلى ذلك وكان جوهر قد علم بذلك من عيون كانت له عليه فتجهز فى عساكره وسار كل منهم إلى الآخر فالتقيا وتقاتلا قتالا شديداً فسطا كنعان على جوهر فقتله وكسر جيوشه واحتوى على ملكه وأخذ ابنته وتزوج بها قهراً ورجع إلى كوتريا بلده وأقام فيها (وقال وهب بن منبه) وقد كان لجوهر ولد يسمى بلخ وكان قد انهزم بعد قتل ابيه فلما رجع كنعان إلى كوتريا رجع بلخ إلى موضع أبيه وجند الجنود وسار إلى قتال كنعان فسمع به كنعان فخرج اليه وتقاتلا قتالا شديداً فسقط بلخ على كنعان وكسره فاراد ان يعود إلى قتال بلخ مرة أخرى فكتب كتابا إلى عوج بن عنق يستنجد به على بلخ فسار عوج إلى كنعان وجند كنعان الجيوش وسار إلى قتال بلخ فتقاتلا قتالا شديداً فكان الرابح فى القتال كنعان لاسيما ومعه ذلك الجبار عوج بن عنق واحتوى على ملكه وأمواله ودانت له تلك البلاد وأطاعه من فيها من العباد وما بقى له فيها منازع فعندما تم له ذلك رأى فى ليلة من بعض الليالى مناما هائلا فانتبه منه مرعوبا فاستدعى من وقته وساعته بالمنجمين والمعبرين فلما حضروا بين يديه قال اعلموا ياقوم إنى رأيت فى المنام كانى صارعت رجلا فصرعنى ودق عظمى وعنق وقال لى انى ميشوم على أهلى وان مسكنى الظلمة وانى خارج من خلفك من الظلمة إلى ضوء الدنيا قال فعند ذلك قال له المنجمون أجل لنا يومنا وليلتنا هذه وسكنوا روعه وفزعه ثم انهم رجعوا اليه بعد انقضاء الاجل المعين وقالوا له نخبرك أيها الملك أنه يأتى لك مولود يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك وهو الآن فى بطن أمه ثم انهم انصرفوا عنه إلى حال سبيلهم وقد ذكرنا أن سلخاء الراعية كانت عنده من أحظى محاظيه وكانت حملت منه فى تلك الايام وذلك لأمر قدره الله تعالى وقضاه بارادته وقدرته ولا يكون إلا ما يريده وقدر أن يظهر من ذلك الجبار العنيد والشيطان المريد النمروذ لعنه الله وأخزاه وجعل النار منقلبه ومثواه ولما آن بان على سلخاء الراعية الحمل فى تلك الأيام

كانت تسمع فى بطنها قعقعة عظيمة فسمعها كنعان فى بعض الأوقات والأحيان فقال لها ياسلخاء هذا الذى فى بطنك ليس بآدمى وأراد كنعان أن يدوس على بطنها ليقتل ذلك الولد وإذا بهاتف يقول له أرجع عما عزمت فمالك سبيل عليه فرجع كنعان عن ذلك ولما ان انقضت أيام حملها وضعت ولدا ذكرا اعبس فتبينته فاذا قد خرج من حجر ها حية رقيقة ودخلت فى أنف ذلك المولود ففزعت سلخاء من ذلك فزعا شديدا قال الأصمعى ولما أن دخل عليها كنعان أخبرته بذلك الشأن فقال لها دعينى أقتله فقالت له يامولاى لا يطيب على قلبى قتله لأنه ولدى على كل حال فقال لها أنا أشير عليك بما هو أسهل وهو أنك تقومين وتحمليه إلى بعض المواضع البرية وتطرحيه هناك حتى يموت فطاوعته على ذلك واحتملته من وقتها وساعتها على يد جارية وخرجتا خفية إلى خارج البلد ٠
قال الروای فبينما هما فى البرية وإذا هم براعى بقر وقيل براعى غنم فقالت له سلخاء هل لك أن تأخذ هذا المولود وتقبله منى وتربيه حتى يكون لك عبدا على طول المدى فاخذه الراعى منها ووضعه بين المواشى حتى يفرغ من رعيه ويأخذه إلى داره فلما وضعه بين البهايم تنافرت عنه فصعب على الراعى جمعها وصار كلما جمعها انفرقت منه ولم يزل على مثل ذلك إلى آخر النهار قال وأما سلخاء فانها لم يأخذها هدوء ولا قرار على فراق ولدها فعادت إليه لتنظر ما جرى عليه فوجدت الراعى على تلك الحالة وقد نفر قلبه من ذلك المولود وهو يقول مالى بمولود سخط عليه أبواه فمالى به حاجة فأخبرته سلخاء بما جرى لها وما كانت تسمع منه وهو فى بطنها فقال لها إذا كانت البقرات تنافرت منه وأمه وأبوه فزعا منه فهو ولد مشوم على كل من يلوذ به فقالت سلخاء إذا كان الأمر كذلك فاقتله حتى نستريح منه فأبى الراعى من ذلك وقال هذا شىء لا أفعله ولا أتعلق بدمه ولا أتحمله ثم قال لها احملى ولدك واطرحيه فى بعض المواضع فاحتملته وأتت به إلى جانب نهر وطرحته هناك وقالت فى نفسها لعل أحد ممن يأتى يريد الماء يأخذه وكان ذلك النهر بعيدا عن المسالك فوضعته ومضت عنه وهو لا يبكى قال فجاءت نمرة تريد الماء لتشرب فوقفت عليه فألهمها الله تعالى أن ترضعه فأرضعته ثم انصرفت عنه وصار لها عادة إلى أن كان يوم من بعض الايام أتت امرأة تريد الماء فنظرت النمرة وهى ترضع ذلك المولود فتعجبت منها ومضت إلى القرية التى هى منها وأخبرت الناس بما رأت من المولود فخرجوا الناس من القرية وأتوا إلى ذلك المكان الذى قالت لهم تلك المرأة عليه فوجدوا

الأمر كما قالت فأخذره واحتملوه وأتوا به إلى القرية فأخذه أحدهم وسماه نمرود باسم تلك القرية التى أرضعته وما زال ينمو إلى أن صار له من العمر سنتان فصار يعربد مع الصبيان الكبار ويضربهم حتى بلغ سبع سنين فزاد شره فشكو منه إلى أبيه فلم يقدر أن يمنعه عن الأذى فوصل إلى حاكم القرية فأخبره فأحضر أباه وقال له كف شر ولدك عن الناس أو أخرجه من القرية فلم يقدر على ذلك فلما رأى الحاكم العجز عنه أخرجه ظاهر القرية فجعل يقطع الطريق ويسرق أموال الناس وكل من اجتمع عليه يعطيه ويهبه حتى اجتمع عليه كل قليل دين ومنافق وصار عنده خلق كثير فوصل خبره إلى كنعان فأرسل إليه قائد بعد قائد وهو يكسرهم فتسامعت به أهل الشقاوة فأتوا إليه من كل جانب حتى صار فى عالم لا يحصى فصار إلى مدينة كوتريا وقاتل كنعان ولم يعلم أنه أبوه فقتله وورث ملكه ومن جملة ما ورث سلخاء الراعية فاختصها لنفسه بعد ذلك زاد فى الشر والفساد حتى ملك كثير البلاد وأذل العباد وجعل كوتريا محل عزه وفيها تخت مملكته وصار يغزو البلاد والملوك واحد بعد واحد وكل من ظفر به قتله وملك ملكه واحتوى على خزائنه حتى ملك الأرض والبلاد واجتمعت عليه العساكر والأجناد ثم صار فى سبعين ألف مقاتل فقصد ملك الغرب واسمه أشنوش فجمع أشنوش عساكر الغرب وتقاتلوا قتالا شديدا فظفر به النمرود وكسره وقتله واحتوى على أرضه ثم سار إلى ملك الشرق وكان اسمه غيزار وكان فى عالم عظيم فتقاتل هو وإياه فظفر به فقتله واحتوى على أرضه وبلاده ومحل عزه وخزائنه وأمواله ثم أن النمرود سار بعد ذلك إلى أرض اليمن وحارب ملكها أزينوش وكسره وملك بلاده ولم يزل على ذلك الحال حتى قتل عدة ملوك وآخرهم ملك الهند وكان اسمه نهمار فسار إليه وتقاتل معه فقتله واحتوى على بلاده ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى ملك مشرق الأرض ومغاربها من البلاد وأطاعه العسكر ولما طغى وبغى استدعى بكبراء دولته وأرباب مملكته وقال لهم إنى أريد أن أبنى قصرا ما سبقنى أحدا من قبلى إلى مثله فأشاروا عليه أن يكلف آزر بذلك لأنه كان عارفا بالنجارة والهندسة والبناء والتصاوير وغير ذلك من الدهانات وكان عارفا بجميع الصنائع لا يخفى عليه شيئاً منها للطافته وحذاقته ومعرفته وكان على جانب عظيم من المعرفة فاستدعى به ولما دخل عليه آزر سجد له فقال له أريد منك أن تبنى لى بيتاً ما بنى مثله لأحد من قبلى وتزوقه تزويقا عجيباً وتجعل فيه من

التصاوير كل أمر عجيب لا تبق صورة إلا صورتها به وتجعل فيه عدة مجالس وكل مجلس تصور فيه صورتي حتى أن كل من دخل يجدني وهذه خزائني بين يديك فخذ منها ماشئت وما تريد واعزم على ما أقول لك عليه (قال وهب بن منبه) فخرج آزر من عند النمرود وجمع الصناع بين يديه وكان عارفا ثم أنه شرع في البناء واجتهد فيه حتى أكمل قصرا طوله وعرضه ألفا ذراع وجعل حيطانه من قوارير الجواهر وأرضه من المرمر وجعل فيه مجالس كل مجلس لا يشبه الآخر وجعل عوض الخشب الصندل والعرعر وكل مجلس فيه نوع لا يشبه الآخر والمسامير من الذهب والفضة والمجالس متقابلة ورصع الأبواب بالدر والمجالس يدخل من بعضها إلى بعض وجعل حصى ذلك القصر من المعدن وأجرى إلى ذلك القصر الأنهار وغرس من حوله الأشجار وجعل فيه أربعة أنهر نهر ماء ونهر لبن ونهر عسل ونهر خمر وجعل فيه أشجارا من سائر الألوان وكلها من الذهب والفضة من سائر الألوان وجعل عليها طيورا مكونة مجوفة إذا هب الريح عليها دخل في الأجراس التي وضعت في أجوافها ويخرج من أدبارها فتتحرك الأجراس فيتخيل الناظر أنها تنطق بسائر اللغات المختلفة وجعل أسرة من داخل المجالس من اللجين والعسجد مصفحة بصحائف الذهب الأحمر وصار النمرود يجلس عليها كلما أحب أن يتمرد وجعل صورته الملعونة في كل مجلس قال ولما فرغ آزر من صناعته التي صنعها في ذلك القصر أعلم النمرود بذلك فأتى إلى القصر فأعجبه ما صنع آزر ومال إلى صناعة عجيبة من البناء والدهانات والتصاوير فأمر لآزر بخلعة فائقة وهدايا ونعم وجعله وزيره الأكبر وقدمه على كل وزير وأمير وبعد ذلك أخذ النمرود في التكبر والبطر حتى أنه ادعى الربوبية فخاب وخسر وتدمر وخزي وكان مع ذلك مولعا بعلم النجوم قال وهب بن منبه أن علم النجوم أعطاه الله لسيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام كان يعمل به ولم يزل كذلك حتى رفعه الله تعالى إلى سمائه ويقال أن ذلك العلم ورثه من سيدنا إدريس رجل يقال له هرمس وكان وصيا لإدريس وخليفته فلم يزل المؤمنون يتعلمونه ويتوارثونه حتى ظهر النمرود لعنه الله قال وهب بن منبه فبينما النمرود جالس في منظرة عالية تشرف على خارج المدينة إذا نظر إلى جماعة من الأحبار العباد عليهم لباس الشعر والصوف وهم مارون في البرية من غير طريق معرفة فاستدعى النمرود بعض خدامه وأمرهم باحضار الأحبار بين يديه فهرع الأعوان إليهم وأحضروهم بين يديه فقال لهم النمرود

من أنتم ومن أين أقبلتم وإلى أين أنتم قاصدون فقالوا له نحن من بقايا قوم إدريس وإننا لما رأينا هؤلاء الأقوام أقبلوا على عبادة الأصنام اعتزلناهم وخرجنا إلى البر والآكام نعبد الله تعالى حتى يأتينا الحمام فقال لهم النمرود لعنه الله أنتم مخيرون بين أمرين إما أن تدخلون فى دينى وتعبدونى وإما أنكم تعلمونى علم النجوم وتعبدون ما تشاؤن فعلموه علم النجوم ولم يزالوا يعلمونه حتى تعلم منهم بعض الأشياء وبعد ذلك مضوا عنه يعبدون الله قال كعب الأحبار أن النمرود لما تكبر تصور له إبليس فى يوم من الأيام فى صورة شيخ كبير وقال أيها الملك أنت اشتغلت بعلم النجوم عن غيره وعندى ما هو أحسن منه فقال النمرود ما هو ياشيخ علمنى إياه حتى أفعله فقال له إبليس هو علم السحر وأن الملوك الذين مضوا من قبلك كان لهم أصنام يعبدونها هم وقومهم وأنت أشدهم بأساً فيجب عليك أن تجعل لك صنماً تعبده وتدعوهم لعبادته فقال النمرود ياشيخ نعم ما ذكرت ثم أنه طلب وزيره آزر بين يديه وقال له اتخذ لى صنماً على صورتى وأصنع القومى أصناماً على صور شتى ثم أن آزر عمل له صنماً من ذهب لا من فضة وزينه بأنواع الحلى والجواهر ورصعه بالياقوت وبعد ذلك اتخذ الناس أصناماً على قدر أحوالهم حتى جعلوا سبعين صنماً وصوروها بأساور من الذهب الأحمر وغشوها بالحلى والحلل ثم أن الناس انهمكوا على عبادتها وكان آزر جعل للنمرود صنماً طوله سبعة أذرع وعرضه ذراعان وكان من خالص الذهب وسوره بأساور من الذهب وجعل عينيه من الياقوت وأذنيه من الزبرجد وأسنانه من اللؤلؤ وشفتيه من العقيق وعلى رأسه تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وسريره من العاج مزملك بقضبان الذهب وجعل عليه شبكة مشغولة من الذهب وسماه زيلون ولما فرغوا من تلك الأصنام أمرهم النمرود أن يقربوا لها قربانا ففعلوا ذلك حتى صار لهم عادة بذلك وانهمكوا على عبادتها حتى كأنهم لم يعرفوا لهم ربا ولما طال عليهم الأمر بغوا وتكبروا وعتوا عتواً كبيرا وأكثروا فى الفساد فضجت الأرض إلى الله سبحانه وتعالى الملك الجبار وكذلك الوحوش والطيور والدواب فقالوا إلهنا وخالقنا ورازقنا إن هؤلاء يأكلون رزقك ويعبدون غيرك اللهم دمرهم تدميرا إنك على كل شيء قدير قال كعب الأحبار فأوحى الله سبحانه وتعالى إليهم أن اسكتوا فالخلق خلقى والرزق رزقى وإنى قاض فيهم بقضائى وأنا الحليم على من عصانى ورحمتى سبقت عذابى استقروا لما سمعوا النداء من العلى الأعلى الآية التى رآها النمرود قبل ولادته

سيدنا ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى وسلامه عليه) وذلك انه صعد على سريره فانتفض السرير من تحته انتفاضا شديدا وسمع هاتفا يقول خاب وخسر وتعس من كفر بإله ابراهيم وكان آزر واقفا على رأسه فقال النمروذ سمعت يا آزر أنت ما سمعت أنا فقال له نعم فقال له ومن يكون ابراهيم قال آزر لا أعلم به وإن هذا الاسم لا أعرفه ولا سمعت به إلا في هذه الساعة * فأرسل النمروذ خلف السحرة والمنجمين فلما حضروا بين يديه أخبرهم بما سمع من الهاتف بذكر ابراهيم فقالوا له ما سمعنا بهذا الاسم قط ولا يقدر أحد يعبد غيرك لأنك أنت دانت لك البلاد وأطاعك العباد من الشرق إلى الغرب من قريب وبعيد ثم انصرفوا من عنده خائبين (قال وهب بن منبه ثاني آية رآها النمروذ) بينما هو جالس على سريره بمدة وهو ينظر إلى حسن قصره وما فيه من البناية العجيبة والتصاوير الغريبة إذ سمع النمرود هاتفا يقول وهو لا يراه يا نمرود يا كافر يا جحود لا يغرنك قصرك وما زخرفت فيه من التصاوير فانه قد آن أوان من يأتي ويخربه على رأسك يا لئيم غير كريم فمن أين لك مهرب من إله ابراهيم (قال فلما سمع النمرود ذلك اغتم غما شديدا وفزع فزعا ما عليه من مزيد فاستدعى من ساعته بالمنجمين والكهنة والسحرة وأخبرهم بما سمع وقال لهم هل تجدون في علومكم شيئا يدل على هذا الاسم فقالوا جميعا ما سمعنا ولا رأينا ولا عرفنا نجما يدل على هذا الاسم فتحير النمرود في أمره وارتبك في سره من هذا الذي يخرب قصره ولما زاد به الخوف اتخذ من سائر السلاح وعلقه في قصره ومن سائر الوحوش بماله ناب ومن الطيور بماله مخلاب إلى أن جمع شيئا كثيرا وجعل الجميع حول قصره وكل ذلك بما سمع من ذكر ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الآية الثالثة التي رآها النمرود وهي أنه خرج ذات يوم إلى الصيد والقنص فكان كلما مر على شيء من الوحوش والطيور وغير ذلك نطق بإذن الله تعالى وقال بلسان طلق لا يغرنك ما جمعت من الوحوش وغير ذلك فان هذا لا يغنيك شيئا إذا أتاك أمر الله فان هذا الأمر لا يرده حرب ولا غيره فإذا أتاك يحول بينك وبين ملكك وكانوا يعنون بذلك سيدنا ابراهيم بن آزر بن خور بن تارخ بن أرغوى بن قالع ابن غابر بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل ان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار عند النمرود يصنع الأصنام سماه آزر ومما ذكر أهل التواريخ والعلم أن مولد سيدنا ابراهيم كان في زمن النمرود بن كنعان وكان بينه وبين الطوفان ألف سنة ومائة وثلاثون سنة وذلك قبل سيدنا ابراهيم وكان النمروذ بن كنعان بن كوش بن سنجار ابن حام بن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام (ولنرجع إلى ما كنا فيه من الكلام) ونصلي ونسلم على بدر التمام فانصرف النمرود من الصيد إلى داره وهو مهموم مغموم

وهو يقول ماهذا أمر عظيم ثم إنه أرسل إلى آزر فحضر بين يديه وسجد له فاخبره النمرود بما سمع وبما كان ثم مضى معه إلى بيت الاصنام وهو فى قلق وهيام وتقدم إلى صنمه زيلون ثم إن النمرود سأل صنمه عن ابراهيم مايكون فنطقت جميع الاصنام باذن الملك العلام وقالوا عن صوت واحد ويلك يا نمرود يا كافر يا جحود كيف تكفر بالله إبراهيم وإن إبراهيم لم يخلق غير أنه قرب ظهوره وظهرت معجزاته إذا وإنه ظهر فى دار الدنيا سلب نعمتك ولا يكون لك ملجأ ولا ينفعك عسكرك إن لم تؤمن بربه وتصدق برسالته (قال وهب) فبقى النمرود حائرا فى امره متبكا فى سره وقد زاد فزعا وزعيا فقال له آزر لا يهولنك كلام الاصنام فربما تكون ساخطة عليك فقرب لها قربانا فان لك أياما وأنت مشغول عنها فامر النمرود أن يقربوا للاصنام قربانا فقربوا لها سبعمائة بقرة فشيئا أخذته الفقراء والصعاليك وشيئا أخذته الطيور والوحوش (الآية الرابعة التى رآها النمرود) بينما هو جالس فى صحن داره وإذا بطائرين أبيضين سقطا من الهواء بين يدى النمرود فاقبل أحدهما وقال له بلسان طلق فصيح هلكت وزال ملكك أنا طائر الشرق وهذا طائر الغرب قد جئنا نبشرك من عند خالق الخلق وخالق السموات والأرض ونخبرك بان إبراهيم يظهر عن قريب وتهلك على يديه إن لم تؤمن بربه وتصدق برسالته فاذا جاء اليك فلا تكذبه فيكون سبب هلاكك وزوال ملكك ثم طارا وقد طار عقله وغشى عليه فلما أفاق من غشيانه ستحضر آزر عنده فلما حضر أخبره بما سمع من الطائرين فقال آزر أظن أن الذى يأتيك من الجان ويدخل عليك ويوسوس لك لانهم يحسدونك على ما انت من الملك والسلطان وقوة الهيبة والشأن لأن ملوك الارض جميعا قد دانت إليك والعالم معتمدهم عليك ومافى الأرض جميعا قد صار تحت يديك ولا يتجاسر أحد أن يقف أمامك ولا يرد عليك كلامك وهذا لا يشق عليك ثم انصرف عنه (الآية الخامسة) قال كعب الاحبار فبينما النمرود ذات ليلة من الليالى غارق فى المنام ولذيذ الأحلام إذ أتى إليه ملك وتصور له فى صورة يراها ويبصرها وقال له يا نمرود يا كافر يا جحود إلى كم ترى هذه الآيات والدلالات فى اليقظة والمنام وأنت لا تؤمن بربك ابشر بالدمار وخراب الديار ثم ذهب عنه وقد ارتبك فى امره وبعد أيام قلائل رأى مناما هائلا فانتبه وهو مرعوب واحضر الكهنة والمنجمين وقال لهم أنى رأيت رؤيا هائلة فى منامى ولذيذ أحلامى فاوضحوها ولا تكتموا عنى شيئا منها وان كتمتوا عنى شيئا منها قتلتكم ورميت لحومكم إلى الوحوش والسباع فقالوا اعلمنا اياها ونحن لا نكتم منها شيئا فقال لهم أنى رأيت نورا من السماء ساطعا يأخذ بالأبصار وهو أضوأ

من القمر وهو نازل من السماء إلى الأرض فرأيت أقواما ينزلون فيه ويصعدون من الأرض إلى السماء وإذا برجل أحسنهم وجها وأجلهم قدرا وهو واقف فى ذلك النور وهم يقولون له نصرك الله وأهلك عدوك هذا ما رأيت فأخبرونى بما عندكم فقالوا نحن نريد منك أن تمهلنا أياما حتى ننظر تأويل ذلك المنام فقال لهم أمهلتكم ثلاثة أيام فخرجوا من عنده فوجدوا آزر واقفا على الباب وجماعة من الوزراء والحجاب بين يديه قياما وقعودا على قدر مراتبهم فتقدم الكهنة بين يديه فقالوا له أيها الوزير إن الملك رأى رؤيا وأراد منا تأويلها وحلف وشدد فى الإيمان أننا نخبره بالصدق ولا نخفى عليه شيئا فيملكنا وإنا نخبرك عن تأويل هذه الرؤيا إنها تدل على مولود يظهر ولما يبلغ من العمر مدة يحضر بين يديه وينازعه فى ملكه وينصر عليه ويرث الأرض كلها ويرتفع قدره ويعلو ذكره فى المشارق والمغارب ولم يكن يقاومه أحد غير أنا لا نقدر أن نحدث الملك بهذا الكلام ولا نقول إلا الصدق فى تفسير المنام من كثرة ما شدد علينا فى الأقسام فقام آزر ودخل على النمرود لعنه الله وكان القوم فى صحبته وسجد بين يديه فأمره بالجلوس فجلس فى مرتبته وكان بالقرب منه ثم أنه تشفع عنده للقوم أنه لا يوقع بهم مكروها إذا عرفوه تأويل المنام فأمنهم على أنفسهم فأخبروه بتفسير الرؤيا من غير كذب وقالوا له يكون معلوما أن هذا الرجل الذى يأتى إليك لا يأتى معه عسكر ولا جنود ولا أعوان فتبسم النمرود لعنه الله عليه وقال إذا كان على الصفة فما يهمنا أمره ولا نبالى به ثم التفت إلى آزر وقال له هات ما عندك من الرأى والتدبير فقال آزر اسأل المنجمين هل يعرفون من يأتى ذلك الغلام فسألهم النمرود عن ذلك فقالوا أنه يأتى من أقرب الناس إليك وأحظاهم لديك فقال النمرود ليس أقرب الناس إلى غير ولدى كوش ووزيرى آزر (قال وهب بن منبه) ثم أمر باحضار ولده كوش بين يديه فتجارت الغلمان إليه فأتى معهم والحاضرين يظنون أنه يخوفه فلما رآه النمرود أمر بضرب عنقه فضربت رقبته فى الحال وقال هذا أمر كفينا شره ثم أن الملعون أمر بأن يكشفوا عن النساء الحوامل فمن ولدت ذكرا قتله ومن ولدت بنتا أحسن إليها ولم يزل كذلك سبع سنين حتى ذبح مائة ألف طفل او يزيدون ثم أحضر المنجمين وقال انظروا فى علومكم هل استرحتم من هذا المولود أم لا فقالوا أن هذا المولود لم تكن أمه حملت به وهو فى ظهر أبيه فأمر النمرود لعنه الله أن النساء تنعزل عن الرجال وجعل إلى كل اثنين رقيبا فإذا حاضت المرأة جمع بينها وبين بعلها وإذا طهرت عزلها عن بعلها فطالت عليهم المدة فصارت النساء تحبل رغما عنه (قال وهب) فعاد إلى ذبح الأطفال حتى ضجت

منه سائر المخلوقات من النساء والرجال فعند ذلك أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الأرض بالبشارة فارتجت الأرض ارتجاجا شديدا فدخل آزر إلى بيت الأصنام فرآها ترتج ولا تسكن عن الارتجاج وسمعها وهي تقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وقد أتى النمرود وما كان يحذره ويخشاه فخرج آزر خائفا متحيرا مرتبكا حتى دخل على زوجته وأخبرها بذلك الأمر فقالت وأنا أيضا أخبرك بشيء وأعجب من هذا فقال لها وما ذلك الشيء فقالت إني كنت أيست من الحيض من مدة كذا وكذا ففي يومي هذا أتاني الحيض فتعجب آزر من ذلك فقال لها اكتمي أمرك ثم مضى عنها فبعد أيام طهرت من الحيض فسمع هاتفا يقول يا آزر إن الله قد ردعلى زوجتك شبابها فقم إليها وواقعها حتى يخرج من صلبك ذلك النور الساطع فلما سمع آزر ذلك المقال لحقه الخبال فولى وهو هارب في البراري الخوال وإذا به يسمع قول القائل يا آزر إلى أين أنت ذاهب ارجع إلى خلفك ورد الأمانة التي في ظهرك إلى أهلها فعاد آزر إلى منزله ولم يقدر أن يقرب زوجته خيفة من النمروذ أن يعلم بذلك فربما يفعل به كما فعل بولده كوش أو يسلب نعمته فاقام على ذلك مدة أيام وهو تراوده نفسه أن يقرب زوجته فعرضت للنمرود حاجة خارج المدينة فلم يجد أحدا يحرص المدينة إلا آزر فاستدعى به فلما حضر قال له النمروذ يا آزر إني أريد منك أن لا تقرب زوجتك فقال له انت تعلم أن زوجتي عجوز عقيم وأنا أحرص منك على ذلك الأمر ثم إن النمروذ انصرف إلى قضاء حاجته ورجع آزر إلى منزله وإذا بهاتف يقول آن أوان ظهور النور فنظر آزر إلى زوجته فرآها قد عاد إليها حسنها وهي تقول له أنظر إلى كيف رد علي حسني فيتعجب آزر من ذلك النور وكان آزر هو الذي يتولى خدمة الأصنام ويصنع عندها الطعام والشراب فتأتي الشياطين ويأكلون الطعام وهو يظن أن الأصنام تأكل الطعام فلما كان ليلة من الليالي قرب للاصنام الطعام على عادته وانصرف إلى منزله فلما أتت الشياطين تأكله وإذا بالملائكة صاحت عليهم ولم يأكلوا شيئا من الطعام وبقي على حاله فلما كان عند الصباح أتى آزر فوجد الطعام على حاله فاغتم غما شديدا وظن أن الأصنام ساخطة عليه فسجد لها وتذلل بين يديها وأقام عندها يعبدها فاستبطأته زوجته وكانت المسافة بينهم قريبة فجاءت إليه تنظر ما جرى عليه فلما رآها وقعت في قلبه بموقع عظيم فهم بها ليواقعها فقالت له أما تستحي أن تكون قدام آلهتك وتفعل بين يديها هذه الفعال فلم يعبأ بكلامها وواقعها كل ذلك بامر الله ومشيئته حتى يظهر ذلك النور الذي هو نور سيدنا إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام (قال الراوي) فلما واقع

آزر زوجته حملت بسيدنا ابراهيم واصبحت الأصنام كلها منكسة على رؤسها فى الأرض وعيناها غائرة وفرحت الطيور والوحوش التى من حول القصر وفرح كل شىء خلقه الله تعالى من الوحوش والطيور والنبات وجميع المخلوقات طلع نجم سيدنا ابراهيم وله طرفان طرف بالمشرق وطرف إلى ناحية المغرب وكان نوراً عظيماً ساطعاً أضوأ من الشمس والقمر والناس يتعجبون من ذلك كل العجب وكان النمروذ لعنه الله قد عاد من غيبته فرأى ذلك النور فتعجب من ذلك وارتبك فى أمره فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح استدعى بالكهنة والمنجمين فلما حضروا قال النمرود ما تقولون فى ذلك النجم الذى ظهر إن هذا النجم الذى ظهر يخشى عليك منه وعلى ملكك ويتغلب عليك وربما غير ملتك ويكون له ملة أخرى (قال وهب) فزاد بالنمروذ أمره وارتبك فى سره وإذا بهاتف يقول وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه يا عدو الله وعدو رسوله إن المولود الذى تخافه وتخشاه قد حملت به أمه وهو الذى يخرب ديارك ويمحو آثارك والله تعالى جعل هلاكك على يديه ﷺ هذا كله ولم يزدادا الملعون إلا كفراً وتجبراً وعتواً وأخذ فى قتل الأولاد والأطفال حتى قتل خلقاً لا يحصى عددهم إلا الله الواحد الأحد هذا وابراهيم فى بطن أمه وهى تخفيه عن القوابل ولا من النساء حتى مضى عليه أربعة أشهر فرأت فى منامها كأنه خرج من تحت ذيلها نور ساطع وامتد إلى عنان السماء وقد عم المشرق والمغرب وملأ الخافقين براً وبحراً وسهلاً وجبلاً فانتبهت من منامها فوجدت آزر جالساً أمامها فقصت عليه ما رأت فى أحلامها وما شاهدته فى منامها فقال لها آزر إن صدقت رؤياك فإنه يخرج من بطنك نبى عظيم يكون هادياً مهدياً حتى يبلغ شأنه من المشرق إلى المغرب وربما يكون هو الذى يخاف منه الملك ويكون به الأمر مقضياً ولكن اكتمى أنت أمرك واجعليه أمراً مخفياً فقالت له زوجته وكن أنت الآخر كذلك وامسك عليك وانظر إلى ما بين يديك ولا تظهر ذلك الكلام فيخشى عليك قال وهب هذا وابراهيم فى بطن أمه ويمضى عليه الأيام والليالى والنمروذ منهمك فى قتل الأولاد لأجل ما سمع من الهواتف وما سمع من الكهنة والمنجمين وقد ازداد كفراً وتجبراً وطغياناً إلى أن صار لسيدنا ابراهيم فى بطن أمه تسعة أشهر فسألت بعلها أن يوصلها إلى الأصنام حتى أنها تسألها تخفيف الولادة عليها فجاء بها إلى الأصنام ومضى بها فى الليل خوفاً عليها من الناس لئلا يعلم أحد بحالها فلما دخلت إلى الأصنام نكست رؤسها إلى الأرض إكراماً لسيدنا ابراهيم فلما رأت الأصنام نكست رؤسها خرجت مرعوبة وإذا هى بالنمروذ قد أتى وبين يديه المشاعل والخدام فقال النمروذ من تكون هذه المرأة فى الليل العاكر فقال له الخدام هذه زوجة

عبدك آزر فأراد أن يقول امسكوها وأمسك الله لسانه فقال سيبوها تمضى إلى حالها وكل
هذا إلهام من الله سبحانه وتعالى فهرولت إلى منزلها وهى خائفة مرعوبة من النمروذ لعنه
الله (وقال وهب بن منبه) فجاءها الطلق كما يشاء رب الخلق فى الطريق وإذا بملك أتى إليها
وقال لها لا تخافى ولا تحزنى وسيرى معى من وقتك وساعتك إلى مكان تضعين فيه مافى
بطنك فتبعته وهى فرحة مسرورة وهى تسمع صوته ولا ترى شخصه حتى انه دخل بها إلى
الغار الذى ولد فيه الأنبياء الأخيار وهم نوح وإدريس عليهما السلام وذلك الغار يقال له
غار النور وهو مكتوب مسطور فنظرت فاذا هناك فرش مفروشة وآنية مصفوفة
وقناديل معلقة وآلة ولادتها حاضرة وكل ذلك اجلالا وتعظيما لسيدنا إبراهيم فأخذتها
الرجفة والرعدة لما صارت فى ذلك المكان وإذا بقائل يقول لها على مهلك لا تخافى نحن
رسل ربك نحفظك ونراعيك لأجل مافى بطنك ، قال وخفف الله عنها ما تجد غيرها من
ألم الولادة ومن مرارة الطلق كما يشاء ملك الخلق وباسط الرزق فوضعت سيدنا ابراهيم كما
يشاء الملك العليم وكانت ليلة الجمعة ثمان مضت من شهر الله المحرم الحرام (قال وهب
ابن منبه) ولما صار سيدنا ابراهيم على الأرض ارتجت فى الطول والعرض ثم استوى جالسا
وقيل ساجدا وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل
شيء قدير الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فبلغ صوته إلى المشرق
والمغرب وإلى السماء والأرض وارتفعت الأصوات سائر الجهات ومن سائر المخلوقات
وقطع جبرائيل سرته واكحل مقلته وأذن فى أذنه وبارك فيه وإلى نهر الرضوان مضى به
وهو أبهى من الشمس والقمر وكانت أصابعه الخمس تدر له قوتا يقتات به فكان الابهام يدر له
عسلا والسبابة لبنا والوسطى خمرا والخنصر زبدا طريا (قال وهب) فتعجبت أمه لذلك عجبا
شديدا عظيما ثم قال لها ذلك الملك قومى الآن إلى منزلك فقامت وهى خفيفة نظيفة كأنها لم تحمل
من أمرها فدخلت إلى منزلها وهى مشغولة القلب على ولدها ولما أصبح الله تعالى بالصباح
دخل عليها آزر فرآها خفيفة نشطة فقال لها ما كان من حملك فإنى أراك غير ما أعهده منك
فقالت له يا آزر أنا أخبرك أن الذى كان فى بطنى ريح زال عنى وقد فرحت بذلك ففرح آزر
وخرج من عندها وقد نسى ذلك الأمر (قال وهب) كانت الملائكة تزور سيدنا ابراهيم
عليه السلام قال أهل الأخبار لا يولد نبى ولا صديق إلا تتولى أمره الملائكة وما صلى على أحد
منهم إلا سيدنا ابراهيم وعلى نبينا محمد ﷺ وكان قولهم اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى
آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم فى العالمين إنك حميد

مجيد (قال) ولما كان في اليوم الثالث خرجت أم سيدنا ابراهيم عليه السلام من منزلها سرا تريد ولدها فلما وصلت إلى الغار وجدت الوحوش والسباع على باب ذلك الغار (قال) ولما رأت الوحوش وسمعوا لها وجعلوا يمرغون وجوههم على التراب بين يديها فلما رأت ذلك أمنت على ولدها ودخلت عليه في ذلك الغار ولما أن نظرت إليه بقيت متحيرة في ذلك وعلمت أن له رباً يحفظه من المهالك وقد اصطفاه وسلكه في أحسن المسالك فرجعت إلى منزلها وأقبلت على زوجها وأخبرته بأمرها وهي مرعوشة مرعوبة فقال لها ياهذه احذري أن تعودي إلى ذلك المكان فانه هو المولود الذي أخبر عنه الكهان وسوف يكون له شأن وأي شأن فكانت أمه كل الميل تمضي اليه سرا وتنظر منه كل شيء عجيب وهي صابرة على ذلك حتى كمل له حولان كاملان وقد شملته العناية والوقار (قال وهب بن منبه) كان سيدنا ابراهيم عليه السلام ينزل عليه سيدنا جبرائيل بطعام وشراب من الجنة وقد صار يطعمه ويسقيه إلى أن استحق الفطام وصار له من العمر حولان كاملان كما ذكر قال المؤلف فهذا ما كان من سيدنا ابراهيم وما تم له وأما ما كان من النمروذ لعنه الله تعالى فانه ركب في يوم من الأيام يريد الصيد والقنص فجاز على باب ذلك الغار فرأى الأعلام أي أعلام الملائكة عليه منصوبة وخيم الأنوار عليه مضروبة ومن بابه تشرق الأنوار وقد ذكرنا فيما تقدم من الكلام أن النمروذ لم يكن له علم بولادة سيدنا ابراهيم عليه السلام فبقي النمروذ اللعين حائراً في أمره مشتغلا بما رأى في سره ولا يدري ما يفعل في ذلك وقد ضاقت عليه الدنيا بما حل به وجعل يفكر كيف الوصول إلى ذلك العمل وقد خاف أن يؤل ذلك الأمر إلى المهالك وزعم في نفسه أن يدبر الحيلة على اهلاك هذا المولود وإعدامه ولم يعلم أنه هو الذي سينزل به الدمار ويجعل عاقبته البوار وأنه ولد عظيم لم يكن مثله في الخافقين وأنه محفوظ معصوم وسوف يكون شأن عظيم فبينما هو كذلك وإذا هو بهاتف من ورائه يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول له يا ملعون إن الله تبارك وتعالى لم يجعل لك عليه من سبيل لانه نبي الله ابراهيم الخليل فخر النمروذ من ذلك مغشياً عليه فلما أفاق انصرف خائفاً وجلا لا يبصر ما بين يديه (قال وهب بن منبه) ألم ينجو نه من مكايد الشيطان أحد إلا أربعة من الرجال وأربعة من النساء فأما الأربعة الذين هم من الرجال الكرام فهم سيدنا ابراهيم عليه السلام وموسى وعيسى ونبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام * وأما الأربعة اللاتي من النساء الكريمات آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة الزهراء عليهم أجل التحية وأتم الرضوان (قال وهب) وانرجع إلى ما كنا فيه من كلامنا الأول وهو أن النمروذ لما رأى الغار

في المنام وفيه المولود وهو سيدنا ابراهيم عليه السلام وقد أكرمته الملائكة ذلك الإكرام وقد خيل له أن ذلك في اليقظة لا في المنام فلما انتبه بقي مرعوبا مهموما وقد حل به الذل والهوان وفي عاجل الوقت والحين جمع السحرة والكهنة والمنجمين فلما حضروا بين يديه وخروا له ساجدين فأعلمهم بما رأى في منامه وقص عليهم جميع أحلامه وقال لهم أتعرفون غارا صفته كذا وكذا وفيه مولود من سلامته يكون منصورا على عدوه فلم يعرف ذلك منهم أحد ولا وصل علمه إليه أبدا فانصرفوا وهم خائفون خائبون ثم أن النمروذ لم يزل مهموما مغموما ليله كله ونهاره وهو حيران في أمره هذا وسيدنا ابراهيم عليه السلام من ربه في غاية التعظيم والإكرام والملائكة يدخلون عليه في كل ليلة جمعة ويكرمونه ويتبركون به ويقبلونه بين عينيه ولم يزالوا يخدمونه حتى كمل له من العمر أربع سنين وقد ظهرت له العلامات والبراهين وأتاه ملك بكسوة من الجنة وقد حفته من الله الرحمة والمنة وكانت تلك الثياب من السندس والاستبرق فصارت الأنوار منها تعلو وتشرق وسقاه شراب التوحيد وهو أن لا يشرك بالملك المجيد وقال له الآن أخرج يا ابراهيم من الغار فخرج سيدنا ابراهيم من الغار والبر من أنواره قد أشرق وأضاء وبيده قضيب من الذهب كأنه الحسام الماضي وقال له الملك يا إبراهيم دم على حالك وما يليك واقصد إلى بيت أمك وأبيك ولا تخف فإن ربك معك يحفظك ويرعاك قال فخرج سيدنا ابراهيم يريد منزل أمه وأبيه والملك يدله على الطريق ويريه وكانت أمه تلك الليلة قد رأته في المنام لأنها كانت قد انقطعت عنه مدة أيام فاشتاقت إلى رؤيته ونظره ولو كان يمكنها لمضت إليه في ليلتها وأبصرت جميع خبره فقال لها آزر يا هذه إن الذي أصابك جنون أو بخارات الطعام فقومي وادخلي إلى بيوت الأصنام وتعبدي هناك فلعل أن يسكن ما بك من الهواجس والآلام ثم انهما قاما جميعا في جوف الليل ودخلا على أصنامهم فوجدوها منكسة على رؤسها ففزعا ورجعا على الأثر (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) وفي ذلك الوقت أقبل سيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وجبرائيل وميكائيل يحفظانه من خلفه ومن بين يديه حتى أوقفاه على باب أبيه فقال له جبرائيل يا إبراهيم إن هذا بيت أبيك بارك الله فيك ثم انصرفا وعرجا إلى السماء ولم يبق له من بعضهما إلا الله تعالى فوقف إبراهيم على باب أبيه وصار ينظر إلى تلك المعاهد ويتأمل ثم انه استأذن على أبويه في الدخول فأذنا له فدخل فلما نظر آزر إلى سيدنا إبراهيم ورأى ذلك الحسن والجمال وقع له التحير ولحقه الإندهال فوثب عليه وعانقه وقبله بين عينيه وقامت إليه أمه وصارت تقبل وجهه ويديه وقالت له يا ولدي وعزة النمروذ لقد كنت مشتاقة إليك فقال لها

سيدنا إبراهيم ويحك يا أمي لا تقولي وعزة النمرود فإن العزة لله الملك المعبود الذي خلقني وخلقك وفي بطنك صورني ومنه أخرجني وفي الغار رباني وحماني وطعمني وسقاني وأرشدني وهداني (قال وهب) فارتعد آزر من كلام سيدنا إبراهيم وخاف من جهته خوفا عظيما وقال لزوجته إني أخاف من شأن هذا المولود أن يكون سببا لازالة ملك النمرود وسلب هيبته ولذهاب النعمة السنية والمنزلة الرفيعة العلية عنه ثم أنه نظر إلى حسنه وجماله وما أعطاه الله من كماله فقال ما أحسنك من ولد وما أجملك وما أبهاك وما أكملك وما وقع في قلبي لك من المحبة لكنت الساعة أرسلت أعلمت النمرود بخبرك ثم أنه بكى خوفا على سيدنا إبراهيم أن يقتله النمرود الرجيم فقال له إبراهيم يا أبت لا تخف فإن الله يحفظني منه ومن غيره وهو السميع العليم فتعجب آزر من ذكاء عقله على صغر سنه (قال وهب) ثم أن سيدنا ابراهيم عليه السلام أقام عندهم وهذه الحالة حالته قد خلت عليه أمه يوما من أيام فقال لها من ربي وكان يمتحنها بذلك فقالت له أنا فقال لها إبراهيم فمن ربك أنت فقالت أبوك فقال ومن رب أبي فقالت النمرود فقال لها إبراهيم ومن رب النمرود فقالت له اسكت يا ولدي عن هذا فسكت طاعة لها فدخل عليها آزر فأخبرته بما قال سيدنا إبراهيم فدخل آزر عليه فقال إبراهيم يا أبتاه من ربي فقال أمك قال فمن رب أمي قال أنا قال فمن ربك أنت قال النمرود فقال ومن رب النمرود فقال فنهاه أبوه عن ذلك فسكت طاعة له (قال وهب) ثم أنه قال يوما لأبيه أريد أن أنظر إلى هذه الأرض واتساعها وإلى هذه السماء وارتفاعها فخرج هو وأبوه من باب داره (قال وهب) فانطلق سيدنا إبراهيم يسعى في ذلك البر فنظر وإذا بالخيل والإبل والبقر تسعى فسأل أباه فقال أبوه أنها دواب خلقها النمرود لنركبها ونأكل منها ألبانا وغيرها فقال سيدنا إبراهيم أن الذي خلق هؤلاء هو ربي الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني وهو رب ليس له ثاني ولا إله غيره ولا أعبد إلا إياه ولا أتوكل إلا عليه (قال وهب رحمه الله تعالى) فقال أبوه ألك رب غير النمرود والنمرود له شرق الأرض ومغربها وهو يعبد الأصنام ونحن نعبدها معه فقال إن ربي لا إله إلا هو خالق كل شيء ورازق كل حي ورافع السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها لا شريك له (قال وهب) فبلغ خبر إبراهيم إلى أقارب آزر فدخلوا عليه وأكثروا عليه الاقاويل وقالوا يا آزر من أين لك هذا المولود فقال آزر هذا ولدي وابني وقد أتيت به إلى الآلهة على كبر سني فقال الرجل فما هذا القول الذي قد بلغني عنه أنه يقع في حق النمرود وإلهنا وأيضا يقول في حق أصنامنا فقال آزر هو كذلك فكلمه يا هذا عسى أنه يرجع إلى ديننا وكلامنا (قال وهب) فاجتمع عليه القوم وجعلوا يلومونه ويخوفونه من سطوة النمرود ويحذرونه من عذابه وسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يرتع لذلك ولم يزداد

إلا علما وفهما وضياء ونورا حتى بلغ أشده فقال إبراهيم لأبيه وهو قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين فلم يزدهم ذلك إلا قسوة وضلالا إلى أن كان يوم من الأيام خرج ابراهيم الى الصحراء فنظر إلى ما خلق الله تعالى من الأشجار والأطيار والأنهار وهي تسبح الله الواحد القهار فأمسى عليه الليل وقيل أنها كانت ليلة معتمة وقيل كانت ليلة أحد وعشرين فرأى المشتري وقيل كانت الزهرة فرأى ذلك الكوكب وهو كأنه القمر المنير وذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما مضى الليل بعتكاره وأشرق النهار بأنواره وطلعت الشمس على الأرض وأشرقته ورأى نورها وقد تشعشعت فقال هذا ربي وذلك قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين فلما رجع إلى بيت أبيه جعلوا يجتمعون عليه ويلومونه على ما يقول وذلك قوله تعالى وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان وجعلوا يتوعدونه بسطوة النمرود وشدة بأسه فلم يخش من ذلك شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون هذا وسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام يجادلهم ويحاججهم ويذكر ربه وفضله عليهم حتى أعجزهم (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فانصرفوا عنه وهم في أمره متعجبون وفي أمورهم متحيرون نخاف آزر أن يلحقوه إلى النمرود لعنه الله ويخبروه بخبر سيدنا إبراهيم عليه السلام فقال له يا إبراهيم كف عن هذا الكلام حتى إني استخلفك على بيوت الأصنام فقال سيدنا إبراهيم يا أبت كف عن عذلك لي والملام فاني لا أعبد إلا الملك العلام الذي خلق فابدع وأتقن ما صنع وأما هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله فانها لا تضر ولا تنفع فكف عني يا أبت لومك فاني عن عبادة ربي لا أرجع وذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين ولا تخزني يوم

يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم (قال وهب بن منبه) واتفق أنه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان عند أمه يوما فنظر إلى وجهه في المرآة فقال لأمه يا أماه أينا أحسن وجها أنا أم النمرود فقالت له يا ولدي أنت أحسن وإنما النمرود أسود أدبس معبس الوجه أحول أفطس فقال لها سيدنا إبراهيم لو كان إلها ما كانت هذه الحالة حالته ولا هذه الصفة صفته فقالت أمه لأبيه ما قاله إبراهيم فقال أبوه يا إبراهيم لا تذكر إلهنا النمرود بسوء فتكون عدوا لنا فإنه هو الذي خلقك وخلقنا ورزقك ورزقنا فغضب سيدنا إبراهيم وقال تبا لك من شيخ ما أجهلك وذلك قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين (قال) وكان آزر يصنع الأصنام وينحتها من الخشب وغيره فسار يصنعها ويعطيها لإبراهيم ويأمره ببيعها فيذهب بها سيدنا إبراهيم عليه السلام طاعة لوالده وينادي عليها من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها منه أحد فإذا بارت معه من البيع يذهب بها إلى النهر فيضرب رؤسها في الماء ويقول لها اشربي وكان يقول ذلك استهزاء منه بقومه وبآلهتهم (واتفق) لسيدنا إبراهيم عليه السلام أنه بينما يبيع الأصنام إذ خرجت عليه امرأة عجوز قد مرت عليها السنون والأعوام فقالت له يا إبراهيم بعني صنما وإني أستنصحك أيها أجود وأنفع فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام على سبيل الاستهزاء بالأصنام إني أنصحك أن تأخذي هذا الكبير فإنه أنفع لك لأنه أكثر حطبا فقالت له إني ما آخذه لأجل الوقود وإنما آخذه لأجل العبادة فقال لها سيدنا إبراهيم عليه السلام تبا لكم لما تعبدون فردته إليه ولم تأخذه، ولم يزل سيدنا إبراهيم عليه السلام على ذلك الحال حتى فشا منه استهزاؤه بآلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى (قال) فخاف آزر من غائلته ومن اتصال الخبر إلى النمرود قبل أن يعلمه به لأنه كان كما ذكرنا مقربا عنده وكان رأس وزرائه فأقبل حتى دخل على النمرود لعنه الله وتقرب منه وسجد بين يديه وقال له أيها الملك إني جئتك ناصحا ومحذرا من شيء اطلعت عليه فقال النمرود قل يا آزر ما بدا لك فإن كلامك عندنا مسموع مقبول فقال آزر أيها الملك أن المولود الذي تخاف منه ومن ظهوره وتتقيه وتحذره هو ولدي وهو الآن في داري وتحت يدي ولم يولد عندي ولا في داري وإنما جاءني وهو غلام يعقل ويفهم غير أنه يزعم أن له إلها غيرك ومعبودا سواك إني قد عرفتك بذلك فاصنع به ما أنت صانع فإني لأمرك مطيع ولقولك سامع (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فلما سمع النمرود من آزر ذلك الكلام ارتعد رعدة عظيمة وحلت به الأسقام من خيفته مما كان يراه في منامه من الأحلام وقال لآزر ويلك صف لي هذا الغلام

قال فوصف له آزر جميع صفاته حتى كأنه رآه وتصور ما فيه من شمائله وذاته فعندها صاح النمرود صيحة أذهل بها كل من كان حاضراً في مجلسه وقال أذ صاحب هذه الصفة هو الذى كنت أنظاره فى المنام وهذه الصورة صورته وكنت احذره وأخاف منه واخشاه وإلى الآن هو عندك يا آزر وما أعلمتنى به حتى أنفذ فيه أوامرى لعله يزول عنى ما كنت أخاف منه وأحذر وهل هو الآن باق عندك قال نعم فقال النمرود لم لا علمتنى به فقال له آزر كنت أجادله عن دينه وارتجى أن أعيده إلى عبادتك فلم يفعل والآن قد أخبرتك به وافعل ما تريد أن تفعل فيه فعندها قال النمرود لأعوانه ائتونى به فخرجت الأعوان فى طلبه رجاء أنه إذا حضر إلى النمرود يعجل عليه إلى أن وصلوا إلى بيت أبيه وأخذوه من الدار وذهبوا به وقد أنزل الله عليه السكينة والوقار وقد حفته الأنوار ولم يلحقه من ذلك وحشة ولا انذعار إلى أن وصل بين يدى النمرود الغدار فلما رآه النمرود وقد وقف بين يديه لم يستطع النظر إليه من شدة الهيبة التى وقعت عليه فأمر به فى ساعة الحال إلى السجن وقال خذوه واحبسوه وفى غداة غد إلى بين يدى احضروه (وقال وهب بن منبه) فمضى بها الأعوان إلى السجن وأدخلوه وعاد إلى النمرود ينظر ماذا يأمرهم به يفعلوه فلما كان من الغد أمر النمرود بتزين البلد وكذلك أمر بتزين قصره فزينوها بزينة عظيمة ورتبوها بأحوال عجيبة وأمرهم باتخاذ أسلحتهم وأوقف بين يديه جملة من الوحوش والأفيلة وخدمتهم الموكلين بهم منها الأسود والنمورة والأفيلة وغير ذلك ممن له ناب أو مخلاب من الجوارح وغيرها وصار فى عز لم ير على غيره من الملوك ثم قال لمن حوله من الجنود والأعوان والخدام أحضروا بين يدى ذلك الغلام فذهبت جملة من الأعوان إلى سيدنا ابراهيم واخرجوه من السجن وقد داروا به من كل جانب ومكان وأتوا به إلى بين يدى النمرود عليه اللعنة إلى يوم الدين وقد شقوا به بين تلك العساكر والجنود وعرضوه على تلك الوحوش فلم ينزعج ولم يرتاع مما عليه من الهيبة وما أنزل الله عليه من العلو والارتفاع والهمة كأنه داخل بها إلى حرب وقراع ثم التفت يميناً وشمالاً لم يجد له معيناً ولا نصيراً إلا الله تعالى فقال اللهم انصرنى على عدوى وعدوك إنك على كل شيء قدير فقال له النمرود لعنة الله تعالى عليه ما هذا القول الذى قد بلغنى عنك وأنا خلقتك ورزقتك لى ثلثمائة صنم يعبدها قومى فقال سيدنا ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له النمرود لعنة الله عليك ألك رب غيرى تعبده فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام نعم ربى الله الذى لا إله إلا هو خالق كل شيء ورازق كل حى الذى خلق السماء ورفعها وبسط الأرض ووضعها وأرسى الجبال الشامخات وأوتدها وخلق جميع المخلوقات وأوجدها وهو بعباده

لطيف خبير وهو على كل شيء قدير (قال) فلما فرغ سيدنا ابراهيم من كلامه اقشعرت منه الجلود ولانت له الكبود من وصفه إلى مصنوعات الملك المعبود فاقبل عليه النمرود وقال له يا هذا اتبع ديني وأمن عليك نعمة مالها حدود فاني خلقتك ورزقتك قال إنما خلقني وخلقك ورزقني ورزقك الله الذي لا إله إلا هو خالق الخلق وباسط الرزق للخلق أجمعين وهو الذي أنشأ هذه المخلوقات وهو الذي أنشأني يكون لي عليك ناصراً ومعيناً لا إله إلا هو يحيي ويميت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير (قال وهب) فبهت له الحاضرون وتعجبوا من حسنه وجماله وقده واعتداله ولم يروا فيه شيئاً ما هو في أمثاله وحسن حديثه للنمرود وما أورد عليه من الأقوال قال وهب ثم التفت النمرود إلى آزر أبي سيدنا ابراهيم عليه السلام وقال له يا آزر أن ولدك هذا صغير صعلوك فقير لا يدري ما يقول وإن قوله هذا قد ارتبكت عليه العقول ولا ينبغي لمثلي مع علو قدري وعظيم ملكي وأنفاذ نهيي وأمري انني أميل عليه بقوتي وتجبري نخذه إليك يا آزر وخوفه من شدة بأسي وقوة مراسي لعله يتحول عما هو فيه وبعد ذلك خير نا وبرنا يصل إليه (قال صاحب الحديث) وأخذه آزر بيده وانصرف إلى منزله وانفض مجلس النمرود وانصرف الناس وليس لهم اشتغال إلا بما وقع لابراهيم مع النمرود ودلجت الناس في ذلك لحاجة عظيمة (قال وهب) ولما انصرف آزر بولده إبراهيم عليه السلام إلى منزله تلقته أمه وفرحت بسلامته من كيد النمرود لعنة الله عليه ثم أن آزر جعل بعد ذلك يلومه ويخوفه ويروعه ومن جملة ما قال له أن قال له يا ولدي أن لي عليك حق الأبوة وأنا أسألك بحق عليك أن تطيعني وتكفينا شر النمرود فإنه خولنيك قدرة وتلازمني في عملي وتساعدني على بيع ما أصنعه من الأصنام أنت وعليه تكون مساعداً لأخوتك على ذلك فقال سيدنا ابراهيم لأبيه كيف تلزمني بيع ما أبغضه وأجمع منه وهو علي حرام فقال له أبوه افعل أنت ذلك ونحن نجعل لك فيها قسماً وكان ذلك غرض أبيه يظن أنه إذا خالطها لعل قلبه يميل إليها (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فاخرج آزر صنمين واحد كبير وواحد صغير وقال له بع الكبير بكذا وبع الصغير بكذا وتكون قد قضيت حاجتي وقمت بواجب حق عليك من ولايتي فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام لأبيه فأنت تعبد الأصنام على أنها ترزقك وتزعم أنها خلقتك قال نعم فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام تباً لكم ولما تعبدون من دون الله فإنها لا تضر ولا تنفع ولا تضع ولا

ترفع ولا يضر وينفع إلا الله ولا يشقى ويسعد إلا لله ولا يقرب ويبعد إلا الله ولا يميت ويحيي إلا الله فنهاه أبوه على جهاداته فى ذلك وذلك قوله تعالى واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا فاغتاظ آزر من ذلك وذلك قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا أى لست بتارك عبادة الأصنام قال ابن عباس اهجرنى مليا أى عمرا طويلا ودهرا فقال له سيدنا إبراهيم عليه السلام سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا أى عالما بى مستجيبا دعوتى (قال وهب) ومات آزر على الكفر وتبرأ منه سيدنا إبراهيم وذلك قوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم (ولنرجع إلى ما كنا فيه من حديث سيدنا إبراهيم) قال فلما أمره أبوه ببيع الأصنام كان يخرج ومعه صنمان فيقول أين من يشترى منى ما يضره ولا ينفعه ولا يهش الذباب عن نفسه ولا يدفعه فكان لا يشتريها منه أحد فيأتى بها إلى نهر ويدس رؤسها فيه استهزاء بها كما تقدم له سابقا وكان يشد الحبال فى أرجلها ويجرها على وجوهها ذلك لما ألقى الله تعالى عليه من الهيبة فى قلوبهم ولما كان لأبيه من التقدم والخدمة عند النمرود لعنة الله عليه قال وهب رحمه الله تعالى فبينما سيدنا إبراهيم ذات يوم من الأيام وبين يديه بعض الأصنام وإذا بشيخ كبير قد تقدم إليه ووقف بين يديه وقال له يا إبراهيم أريد أن تبيعنى صنما وتعرفنى كيف أعبده فقال له سيدنا إبراهيم عليه السلام ياشيخ إنى لا أحسن عبادة الأصنام وأنى لا أعبد إلا الملك العلام وأنى ما قعدت ههنا إلا مستهزئا بآلهتكم وما أنتم عليه من أمرها فقال له الشيخ بورك فيك ماذا تفعل ثم تقدم هاران أخى إبراهيم وقال له يا ابن ناخور بعنى صنما جيدا حتى أعبده وعرفنى كيف عبادته فباعه صنما وعرفه كيف يفعل به فاحتمله الرجل على عاتقه ومشى به قليلا فعثرت رجله فى حجر فانكسر قال وهب فرجع الشيخ إلى هاران أخى إبراهيم عليه السلام وقال له يا ابن ناخور أيحل لك أن تبيعنى إلها مكسورا فقال له سيدنا إبراهيم عليه السلام وماذا تفعل يا هذا بالصنم المكسور فقال له هاران إن هذا لم يكن مكسورا فقال له الرجل أى أذهب إلى أبيك ليحكم بينى وبينك أعمدا أنه منصف فى نفسه ثم إنهما تحاملا إلى آزر وشكا الرجل قصته إليه فقال له يا شيخ اذهب به واعبده حتى عبادته فإنى جوزت لك أن تعبده وهو على حالته قال وهب بن منبه ثم

أن سيدنا إبراهيم عليه السلام بينما هو في يوم من بعض الأيام قاعد على قاعدة الطريق يبيع الأصنام إذ مرت عليه امرأة عجوز قد مرت عليها السنون والأعوام فقالت له يا إبراهيم بعني صنما من هذا الصنمين وأريد أن أشترى هذا الصنم وأعبده ولا أزل أتوسل إليه وأنا قائمة على رحلي بين يديه لعله أن يرد على رحلي فقال سيدنا إبراهيم لا إله إلا الله إله يسرق ليس هو بإله فلو كان إلها ماسرق وأن هذا أمر ليس يطيقه أحد ولا يسمعه ولكن يا عجوز كم سنة لك تعبدين هذا الصنم الذى سرق فقالت إنى أعبده من نصف عمرى وعبدت النمرود بقية دهرى فقال لها سيدنا إبراهيم عليه السلام بئس ما كنت تعبدين وخاب ما كنت فيه تعتقدين قال وهب وهذه معجزة لسيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ثم قال لها يا عجوز اتريدين أن تعبدى رب الأرض والسماء حتى يرد عليك جميع ما أخذ منك فقالت كيف لى بذلك وكنت أرجع عن هذا الدين وأتيقن بيقين غير هذا اليقين فقال لها سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل بيت رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين ورحمة الله على أمة سيدنا محمد أجمعين فقال لها إبراهيم لك على شرط أن رد عليك رحلك تؤمنى بالله رب العالمين قال وهب فدعا إبراهيم ربه وتوسل إلى الملك العلام وإذا بالرجل الذى سرق الصنم قد أتى به سيدنا جبرائيل عليه السلام والرحل بين يديه فقال سيدنا إبراهيم ياعجوز انظرى فإن هذا رحلك ومعه صنمك ولم يعدم لك منه شيئاً ولا الدرهم الفرد فابصرى أن كان عدم لك منه شىء فلك هلى بدله فقامت العجوز وافتقدت رحلها فوجدته لم ينقص منه شىء فعمدت إلى صنمها وأخذته من داخل رحلها وجعلت تضربه بحجر حتى أنها كسرته وصارت تقول له تبا لك من إله ماتحمى نفسك وتسمى لمن يعبدك دون الله وآمنت تلك العجوز بالله وسيدنا إبراهيم نبى الله رزادالله فى حسنها وجمالها فبلغ خبرها إلى النمرود باحضارها إليه فسحبت إلى بين يديه فلما حضرت سألها عن حالها فأخبرته بما جرى لها فقال لها إن لم ترجعى وإلا قتلتك فقالت له اصنع ما أنت صانع فانى عزمت أنا عليه لست براجعة فأمر بقتلها فقتلت ورموها خارج البلد فبلغ ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام فمشى إليها وتوجه إلى الله تعالى وسأله فيها فاحياها الله تعالى وأعاد الله عليها حسنها وجمالها أكثر ما كانت عليه ونزلت عليها قبة من نور مزخرفة فحملت فيها

ورفعت فى الهواء حتى وقفت على رأس النمرود لعنه الله تعالى وأخزاه ونادته من داخل القبة وقالت له ويلك يا نمرود يا كافر يا جحود يا مطرود عن باب الله الكريم ابشر بالعذاب الاليم أنا فلانة الذى فعلت معى ما فعلت من القتل والرمى على الكيمان فانى راقية إلى الجنان بجوار الملك الديان مع الحور والولدان قال وهب وهذه معجزة ثانية لسيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأتم التحية والاكرام وذلك أنه كان للنمرود خازندار يقال له برهام فلما سمع من العجوز ذلك الكلام وعاين ما فعله من القتل والآثام انزعج الخازندار غاية الانزعاج وقال آمنت بالله الذى لا إله إلا هو واتبعت ملة إبراهيم عليه السلام وآمن معه زيادة عن ألف إنسان وكانوا من وجوه أهل كوثريا وثبت فى قلوبهم الإيمان فاغتم النمرود غاية الغم الشديد وارتج على رأسه الايوان وأمرهم أن ينشروا بالمناشير وأن يلقوا بين يدى السباع والنورة والكلاب وغيرها من كل شىء جارح فلم تأكل لهم لحماً ولم تنهش لهم عظماً بل صارت تشفق عليهم وتلحس جراحاتهم وفى ذلك اليوم أتت على القوم زلزلة عظيمة فارتجت تلك لها الأرض وأيقن الناس بالهلاك وهلاك النمرود لما رأوا فى ذلك اليوم من الأهوال والعجائب وكاد الايوان أن يسقط على رأسه وأقبلت أم سيدنا إبراهيم أوشا وجعلت تشق الناس وتقول اعتبروا بما نزل من البراهين وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام قد أتى ووقف على باب النمرود لعنه الله وصار يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله واتبعوا ما جاء به نبى الله .

(ذكر بعث سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم)

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلما كمل له من العمر أربعون سنة نزل عليه سيدنا جبرائيل عليه السلام وقال له يا إبراهيم ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قد أرسلتك إلى النمرود فاجهد وسر إليه وادخل من غير ريبة عليه ولا تخف ولا تجزع فانى حافظك وناصرك (قال وهب) وعرج جبريل إلى السماء فاقبل سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أن وقف على باب النمرود بن اللئام وهو غير خائف ولا وجل ثم نادى بأعلى صوته وقال يا قوم قولوا معى لا إله إلا الله وإنى ابراهيم رسول الله (قال وهب بن منبه) فانتشر صوته حتى ملأ السهل والجبل وقد لحق الناس من ذلك الرعب والوجل وسمعه الصغير والكبير والوزير والأمير قال ففزع النمرود من ذلك وصار يرتعد مثل السفينة فى يوم ريح عاصف وخرجت الأسود والأفيلة والفهود والنمور وكانت الوحوش كلها مربوطة فى دار النمرود فلما سمعوا صوت سيدنا إبراهيم تنافروا من أماكنهم وقطعوا امقاردهم وطلعوا

على وجوههم مجيبين دعوته ملبين لكلمته وهم يقولون لبيك وسعديك يارسول الله قال بعضهم وفى ذلك الوقت اقبل اللعين إبليس فى صورة بعض الوزراء وتقدم إلى بين يدى سيدنا إبراهيم وقال له ياولدى ألا ترحم شبابك وتترك مامعك من السحر لأن فى مملكة هذا الرجل من السحرة والكهنة شيئاً كثيراً فقال له سيدنا إبراهيم لست بكاهن ياملعون وإنما أنا رسول رب العالمين وأنا أعرفك أنك ملعون مطرود وقد أتيت تتقرب إلى عدو الله النمروذ أتظن إنى ماأعرفك وأنت ذليل أخرجك الله من رحمته وأنت مدحور وشيطان رجيم قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى فلما سمع إبليس ذلك القول من سيدنا إبراهيم أدبر من بين يديه ثم دخل على عدو الله النمروذ وقال أيها الملك ماهذا القعود فقد جاءك إبراهيم الساحر يريد أن يتوصل بسحره إليك وهو واقف على بابك يريد الدخول فإذا دخل لاتخف وكن مسرعاله فى رد الجواب قال المصنف لهذا الكتاب فاستدعى فى ذلك الوقت بالوزراء والحجاب وأجلسهم فى مجالسهم على قدر مراتبهم وأقاموا جنودهم صفوفاورتب عساكره ألوفا وأمر باحضار سيدنا إبراهيم فامره الأعوان بالدخول فلما دخل جعلت الأسود والفيلة تخضع بين يديه وتمرغ وجوهها على قدميه فلما توسط الدار وقد حفت به السكينة والوقار والسبلت عليه السكينة والوقار نادى بصوت رفيع وقال ياقوم قولوا لا إله إلا الله وحده لاشريك له خالق كل شىء وباعث كل حى قال وهب بن منبه المعجزة الثالثة لسيدنا إبراهيم عليه السلام والتحية والإكرام إنه كان فى دار النمرود خطاطيف قد آوت إلى ذلك المكان من سنين قديمة وأعوام فصاحت وجعلت تترامى على أقدامه تقبلها وتسلم عليه وتتذلل بين يديه ثم تقدم سيدنا إبراهيم حتى وقف بين يدى النمروذ وتكلم بافصح لسان وقال قولوا لا إله إلا الله وأقروا بأنى إبراهيم نبى الله فعند ذلك قال بعض الوزراء القعود من أنت أيها الرجل المسعود فقال أنا إبراهيم نبى الله أتيت إليكم أدعوكم إلى عبادة الله رب العالمين وآمركم بطاعته أجمعين قالوا فمن ربك الذى تدعونا إليه قال رب السموات والأرضين فقال النمروذ اللعين فلكى أعظم من ملكة لأنى كما ترى فى عز وتمكين فقال له سيدنا إبراهيم ياذليل يامهين إنما الملك والسلطان لله الملك الحق المبين فقال النمروذ لقد تكلمت ياإبراهيم بكلام عظيم وأنا خلقتك ورزقتك فبينما النمروذ يتكلم بذلك الكلام السقيم وإذا بسريره قد اضطرب اضطرابا عظيما وأيقن من كان حوله بالعذاب الأليم فقال سيدنا إبراهيم كذبت ياعدو الله إنما خلقنى

وخالقك الولى العظيم وأنك لغمور بنعمته ولا تقر بوحدانيته قال وهب رحمه الله تعالى المعجزة الرابعة لسيدنا إبراهيم عليه السلام وذلك أنه كان فى دار النمروذ ديك أبيض فأقبل حتى وقف بين يدى النمروذ وقال له يا كافر يا جحود أفق من غفلتك وأشهد بأن الله رب العالمين وأن هذا رسوله إبراهيم أرسله إليكم أجمعين وأن قوله هو الحق والصدق المبين وهو أبو الأنبياء قال وهب رحمه الله تعالى وأذكر المعجزة الخامسة وما وقع لسيدنا إبراهيم ذلك أنه كان فى ذلك الوقت فى دار النمروذ بقرة وكانت عجيبة الخلقة وكان النمروذ يحبها محبة شديدة فأقبلت تسعى إليه وهى فى غاية ما يكون من الحسن والسمن وكان قد اختصه بها ناس من بلاد الشام فتقدمت إلى أن صارت بين يدى النمروذ لعنه الله وقالت له بلسان فصيح يا كافر يا لعين لو أن ربى أمرنى أن أهلكك لكان ذلك أهون على من لمح البصر قال فأمر النمروذ لعنه الله بذبح البقرة فذبحت فأحياها الله وقالت مثل المرة الأولى فأمر بذبحها ثانيا فأحياها الله تعالى ثم قالت مثل ما قالت ثلاث مرات ويحييها الله تعالى وهى تخاطبه مثل ذلك ويقال أن الله تعالى أنبت لها جناحين وسرت بهما فى الهواء وهى تقول يا نمروذ يا ملعون يا رجيم أن لك عند الله عذابا أليما ثم أقبل النمروذ على إبراهيم وقال له أنى رأيت من سحرك شيئا عظيما من كلام الديك والخطاطيف والبقرة وما لا قدر عليه السحرة فهل بقى عندك شىء غير ذلك قال وأذكر المعجزة السادسة وما كان منه لسيدنا إبراهيم عليه السلام فنقول ثم التفت إبراهيم يمينا وشمالا وجعل ينظر إلى أولئك القوم الفجار وإذا بجارية واقفة بباب خباء النمروذ على كتفها بنت صغيرة ترضعها فلما وقع نظر سيدنا إبراهيم عليها وتبينها وثبت الصغيرة من على كتفها وجعلت تمشى حتى وقفت بين يدى النمروذ عليه اللعنة من الملك المعبود وقالت له يا أبت اعلم أن هذا إبراهيم نبى الله قد جاء بالحق من عند الله فمن تبعه فقد أفلح وما صدق نبوته وصار من أمنه فقد نجح ثم أنها حولت وجهها إلى سيدنا إبراهيم وقالت أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك إبراهيم عبده ونبيه ورسوله جئت بالهدى ودين الحق فنطقت بالصدق فلما نظر النمروذ الكافر الجحود إلى تلك الآيات العظيمة والمعجزات الكريمة انزعج فى نفسه انزعاجا عظيما وقال للجارية لأعذبنك العذاب الأليم لما أنك صبوت إلى سحر إبراهيم ثم أنه أمر أن تقتل وأن يقطعوها قطعا ففى ساعة الحال احتاطت بها الأعوان وقتلوها وقطعوها فأحياها الله تعالى لتمام المعجزة لسيدنا

إبراهيم عليه السلام ثم أن النمرود لعنه الله وأخزاه وجعل النار متقلبه ومثواه التفت إلى



آزر وقال أيعجبك يا آزر ما جاء به ولدك ابراهيم من السحر ثم أنه التفت إلى ابرهيم وقال له تريد أن تقهرني بسحرك وأصير تحت أمرك ونهيك فقال ابراهيم كذبت يا كافر يا فاجر إني لست بكاهن ولا ساحر وإنما أنا رسول رب العالمين الذي هو على كل شيء قدير وإنما ادعو الأسود والأفيلة والنمور والفهود التي ربيتها أنت وهي معتادة عليك واسلطها عليك وآمرها أن تمزقك بمخاليبها وأنيابها وآمرها أن تنهش لحمك (قال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى فاضطرب النمرود ثم قال يا ابراهيم ما ظننك صادقا فقال ابراهيم وحق من لا يعجزه شيء وهو الغفور الرحيم إن ربي غني كريم وهو على كل شيء قدير من قدرته أن يحي الموتى فقال النمرود أنا أحي وأميت فقال له ابراهيم كذبت كيف تفعل يا كافر قال أخرج رجلا من السجن لا يستحق القتل فاقتله وكذلك أفعل برجل يستحق القتل

فأطاقه فأكون قد أحييت هذا فقال له سيدنا ابراهيم يا نمرود يا كافر إن ربي على كل شيء قدير وإنه لم يفعل هكذا بل الميت يحييه والحي يميته من غير ذلك ولكن يا نمرود يا كافر يا جحود إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب وذلك قوله تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الكافرين (قال وهب بن منبه) المعجزة السابعة من كرامات سيدنا إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وذلك أنه قال يوما من الأيام رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن تأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم (قال وهب) فأخذ إبراهيم ديكا أبيض وغرابا أسود وحماما أبلق وطاووسا ملونا فذبحهم وقطعهم وخلط الدم بالدم وكذلك اللحم والريش بالريش ثم أنه قسمهم أربعة أجزاء وسار إلى جبال بالقرب منه ووضع كل جزء على جبل وكانت الجبال متقاربة من بعضها ثم جعل رؤس الطيور بين أصابعه ثم أنه دعاها إليه كما أمره الله تعالى فجعل كل لحم وعظم يطير إلى صاحبه ثم جعلت الرؤس تخرج من بين أصابعه وتلتئم على لحمها حتى صار كل رأس على بدنه وطار بإذن الله تعالى حتى استقر بين يدي سيدنا ابراهيم عليه السلام فلما نظر إلى ذلك خر ساجدا لله الملك العلام وقال إن ربي على كل شيء قدير ثم قال النمرود إن هذا من سحرك يا إبراهيم ثم قال النمرود من أنا يا إبراهيم قال له أنت النمرود الذي وثب على سلخاء الراعية فواقعها سفاحا بعد قتل بعلها ثم ولدتك حراما وامر بعدك عنها فذهبت بك وسلمتك إلى راع يرعى بقرا فوضعك بينها فنفرت منك فألقوك بالنهر بعد ذلك فقذفك النهر إلى شاطئه وقيض الله لك نمرة فارضعتك إلى أن خرجت أهل البلد وأخذوك ربوك إلى أن كبرت وقتلت أباك ونكحت أمك من بعده واستولى عليك الشيطان بغروره حتى ظهر كفرك ومعاندتك إلى ربك ولا بد له أن يدمرك ويذهب عنك ملكك (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فغضب النمرود من ذلك وزاد حنقه وأمر بإبراهيم أن يقيد في أصفاد الحديد وأن تغل يداه إلى عنقه وأن يذهبوا به إلى السجن وكان ذلك السجن عميقا وهو تحت الارض وفيه حسك وسكال وقراره عميق بعيد وفيه عقارب وحيات وله رائحة كريهة من كثرة ما فيه من الصديد (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فلما أتوا بإبراهيم إلى باب السجن

جاءت أمه إليه ودعته وقبلته بين عينيه وقالت له يا بنى ألم أنهك عن هذا فما انتهيت حتى فعل بك هذا لكن هكذا اشتهيت فقال إبراهيم سوف ترين يا أمى من قدرة مالك الأملاك ما يفرح به قلبك وتقربه عينك ثم دخل إبراهيم إلى السجن فنظر السجان إلى نور وجهه وما أعطاه الله من الحسن والجمال وأراد إبراهيم أن يصلى فلم يتمكن من ذلك لثقل ما عليه من الحديد فعظم ذلك عليه وكبر لديه فبينما هو كذلك أتى إليه الوحى يقول ربك يقرئك السلام ويقول لك اصبر فإنى مخرجك من السجن وأحل بعدوك الانتقام وأنصرك على عدوى وعدوك وأنجيك من جميع الآلام ثم أنه فرش له فرشاً من السندس والإستبرق وألبسه حلة خضراء من حلل الجنة ووضع بين يديه طعام من طعام الجنة وهو طعام قال الله له كن فكان فأكل إبراهيم عليه السلام ما جاء به الملك له من طعام ثم قال له اصبر يا نبى الله كما صبر الأنبياء من قبلك فإن الله تعالى قد أعطاك نصراً وتأييداً لم يعطه لأحد مثلك ثم صعد الملك إلى السماء وبقى سيدنا إبراهيم وحده فى السجن يسبح الله تعالى ويقدسه وكان إذا قام فى جوف الليل للصلاة يصعد من عند رأسه عمود من النور حتى يلحق إلى عنان السماء وتضىء منه سائر الجهات وكانت تنزل عليه الملائكة قال وكان سيدنا إبراهيم يذكر لأهل السجن حديث الجنة والنار وما أعد الله فى جهنم من العذاب فتقدم إليه رجل من أهل السجن وقال له يا إبراهيم إنك لتصف إلهاً عظيماً فلم لا تخاطبه حتى ينصرك فقال له إنى لو سألت ربى ذلك ولكن الصبر هو أحسن العمل فقال له رجل آخر يا إبراهيم من يطعمك ويسقيك فإنا لا نرى أحداً يأتيك بطعام ونجد عندك طعاماً طيباً وشراباً صفياً له رائحة أطيب من ريح المسك الأذفر فقال لهم سيدنا إبراهيم إن ربى الواحد القهار الأحد المعبود هو الذى يرزقنى وينصرنى على النمرود الكافر الجحود فقام إليه رجل منهم وقال له يا إبراهيم انى رجل من أهل الغرب وهذا النمرود لما ملك بلادنا وكنا أربعة أخوة فقبض علينا ثم فرق بيننا وأمر بحبسى هنا وحبس الثانى فى المشرق وأمر بحبس الثالث فى أرض المغرب وأمر بحبس الرابع فى بلاد اليمن حتى أنه شتت شملنا فهل يقدر ربك أن يجمع بيننا حتى أننا نوحده ونكون به مؤمنين وبرسالتك مصدقين فقال إبراهيم عليه السلام إن أردت ذلك أنت ووافقتنى عليه دعوت ربى أن يفعل ذلك فقال له الرجل افعل فإنى موافقك على ذلك (قال وهب) فتوجه

سيدنا إبراهيم إلى ربه بعد ما توضأ وصلى ودعا الله سبحانه وتعالى فما أتم دعاءه إلا ورجلان منهم قد انقض أحدهما من المشرق والآخر من المغرب قال وهب فتعجب أهل السجن من ذلك وبلغ الخبر إلى النمرود فاستدعى بهما وقال لهما من جمع بينكما ومن فك عنكم ما كنتما فيه فقالا له إبراهيم فقال النمرود لعنة الله عليه إن هذا قليل على ما عنده من السحر الذى أنا نائبه ثم استدعى بمن عنده من السحرة فحضروا بين يديه قال اعلموا أن إبراهيم قد فعل من السحر ما هو كذا وكذا فهل تقدرون أن تفعلوا مثله وتحضروا لنا الأخ الآخر من اليمن كما فعل ابراهيم فقالوا لا نقدر على شىء من ذلك ولا نقدر أن نفعل نحن ولا غيرنا ولا يصل أحد اليه فاستدعى النمرود ابراهيم إلى بين يديه فأتى به الأعوان وأدخلوه عليه فقال له إبراهيم أنت أحضرت هذين الأخوين من مكانهما فقال ابراهيم فعلت ذلك بإذن ربى إنه على كل شىء قدير فقال النمرود اننا نريد أن تحضر لنا أخاهما الذى فى اليمن كما أتيت بهذين الأخوين قال وهب المعجزة الثامنة لسيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه فلما قال له النمرود ذلك توجه الى ربه وطلب ذلك منه فأوحى الله اليه أنه مات ودفن فى قبر فى اليمن فأخبرهم ابراهيم بذلك فكذبوه ولم يصدقوه فقال له النمرود ادع ربك أن يأتينا بقبره لنتحقق أمره فتوجه ابراهيم الى ربه ودعاه فأمر الله الملك الموكل أن يخرق الأرض ويطلع القبر ويأتى به الى بين يدى سيدنا ابراهيم عليه السلام قال وهب رحمه الله تعالى فبينما الناس قيام وقعود فلم يشعروا إلا بخروج القبر من الأرض وقذفه بين يدى النمرود عليه اللعنة والخزى من الملك المعبود فقال سيدنا ابراهيم للاخوة الثلاثة إن هذا قبر أخيكم قد دعوت ربى فأحضره اليكم فقال السحرة الذين طلب منهم النمرود ذلك وعجزوا عنه إن كان هذا حقاً فليدع ربه حتى يحييه وينظره أخواه قال المؤلف فدعا ابراهيم ربه أن يحى ذلك الرجل ويقيمه الى أخويه حتى يزداد يقيناً ومعرفة واذا بالقبر قد انشق وظهر منه الرجل وهو ينادى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك ابراهيم نبى الله جئت بالحق من عند الله وبلغت ما أرسلك به ففزع منه القعود والقيام لما سمعوا منه ذلك الكلام وكذلك النمرود قد حار ولحقه الانبهار والرجل يقول هذا جزاء من عبد الأصنام من دون الله الملك العلام قال وهب فوثب الخازن الذى كان للنمرود وكان جليل القدر عنده وكان يحبه محبة عظيمة فقام وهو ينادى آمنت برب ابراهيم وبما جاء به ابراهيم وصار يقول لمن حوله من هؤلاء الخلائق القعود والقيام الحرب

الهرب مما أنتم فيه يا لئام من عبادة الأوثان والأصنام وعليكم بدين إبراهيم عليه السلام فقال له النمرود ويلك قد عمل فيك سحر إبراهيم ولكن سوف أعذبك لما رأى الحاضرون ما فعل ذلك الخازن آمن معه جماعة من الحجاب لما رأوا تلك المعجزة فعندها قال النمرود لأعوانه خذوا هؤلاء وقيدوهم وإلى السجن أدخلوهم فتبادرت إليهم الملعونون فصاح فيهم الخازن فولوا عنه مدبرين وقال الويل لك يا نمرود أما تخشى من عذاب الملك المعبود هل تريد بيانا وإظهار معرفة وإيقانا أعظم من إحياء الموتى من قبورهم الدارمة وأنت لا ترجع عن طغيانك وكفرك بالله فعند ذلك صاح النمرود بأعوانه فهجموا عليهم وقبضوا على الخازن وعلى كل من آمن معه ثم التفت إلى كبراء قومه وقال لهم أشيروا على بأى عذاب أعذب به هؤلاء الذين كفروا بي فقال بعض وزرائه عليك أن تقتل هذا الذي كفر بك شر حتى لا يعود أحد يجسر عليك ولا على مخالفتك (وقال وهب) فعند ذلك أمر النمرود لعنة الله عليه بسيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه إلى السجن هو ومن معه فأرادت الأعوان أن يدنوا إليهم فزعق عليهم الخازن فرجعوا عنهم فعندها امتزج النمرود غيظا وغضبا وزعق عليهم في عاجل الحال فعادوا إليهم وتعاونوا عليهم فأمر النمرود بهم فطرحوهم بين يديه وكان له أساطين أثقال فوضعت عليهم بعد ما شدوا أيديهم وأرجلهم في القيود والأغلال فما آلمهم من ثقلها وجع ولا مسهم منها ألم وبقى النمرود باهتا لا يدرى ما يصنع فما كان منه إلا أن قال لهم عودوا إلى طاعتي وأنا أعفو عنكم بسطوتي وأرفع عنكم ما أعددته لكم من شدتي فإني الذي خففت عنكم هذه الأساطين حتى أنكم لم تجدوا لها ألما فقال له الخازن كذبت يا نمرود يا كافر يا جحود فإن كنت صادقا في قولك فأمر في هذه الساعة واحدا من هؤلاء الحجاب الذين حولك أن يوضع عليه أسطوانة من هذه الأسطوانات وخففها عنه حتى يظهر لنا صدقك من غيره ونعلم أنك صادق في قولك (قال وهب) فغضب النمرود لذلك غضبا شديدا وأمر بنار فأوقدت بين يديه وألقاهم فيها فلم تحرقهم النار ولا أثرت فيهم أثر إكراما لسيدنا إبراهيم عليه السلام وهبت عليهم نسمات الرياح بإذن فالق الأصباح وأرسل الله عليهم سحابة بيضاء فأمطرت عليهم مطرا غزيرا حتى صار الماء ملء ذلك البر والفضاء وأطفأت النار بإذن الملك الجبار ولم تحرق لهم لحما ولا هشمت لهم عظاما ولم تحرق منهم غير الحبال التي كانت في أيديهم وأرجلهم ثم إنهم وثبوا على أقدامهم فارتبك النمرود وانعكس في أمره وازداد هما من تحيره وتفكره ولم يدر ما يصنع فيهم ولا كيف يوصل الأذية إليهم فأمر بهم إلى السجن فأدخلوهم فمكثوا فيه أربعين يوما وكان قد جعل

التوكيل عليهم وأمر النمرود لعنه الله أن لا يطعمهم أحد ولا يسقيهم (وذكر المؤلف) أنهم لما نزلوا الى السجن ومكثوا فيه ثلاثة أيام قيل كان فى السجن حيات وعقارب وأفاعى فحبسهم الله عنهم فلم تؤذهم ولا وصلت إليهم ووسع الله عليهم مجالسهم إلى أن كان فى بعض الأيام جاءت أوشا أم سيدنا ابراهيم عليه السلام حتى وقفت على باب النمرود لعنه الله وأطالت البكاء وسألته أن يعفو عن ولدها ابراهيم فأمر بإخراجه من السجن هو ومن معه إن كانوا على قيد الحياة وكان ظن الملعون أنهم ماتوا من الجوع والعطش فلما خرجوا وجدهم فى الحياة ولم يصبهم شيء وحفظهم الله تعالى مما يؤذيهم فبقى النمرود متعجبا من ذلك فقال لابراهيم من أطعمك وسقاك لما كنت فى السجن أنت ومن معك فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام أعلم أن الكل مقدرات وأنى لست كنت فى سجنك وإنما هو سجن ربى أقعدنى فيه هذه المدة اليسيرة وهو الذى أطعمنى فيه وسقانى وهو الذى يدلنى على طريق الخير ويلك يا نمرود آمن بالله فانه هو الذى أراك آياته وأظهر لك معجزات نبيه ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ومن آياته أنه يحيي الموتى وأنه ينجى المؤمنين من القوم الكافرين فهو الله رب العالمين فيجب عليك يا نمرود أن تؤمن بربوبيته وأن تصدق بوحدانيته فغضب النمرود لعنه الله تعالى وأحصر من ابراهيم حصرا عظيما ولم يدر ما يفعل به فقال لآزر أبى ابراهيم أن هذا لم تخش منه ولم نعبأ به ولا من سحره ولدك إلا أنى لما كنت أسمع بخبره كنت أحسبه أنه يأتينى فى أعوان كثيرة وأمور خطيرة والآن قد عرفت أن أموره لا تنفذ وأنى قد اطمأن قلبى من جهته فى هذا العمل فخذ ولدك فانى وهبته لك ليكونك وزيرى ومدبرى ومشيرى وأنى محتاج الى مثله يكون على بابى ومن جملة حجابى وأصحابى فخذه وادخل به الى بيت الأصنام وتلطف به وعده عنى بالجميل والأنعام فعسى أن يكون على طاعتى فأتوجه بتاج كرامتى وأزوجه بابنتى وأقاسمه فى نعمتى ويكون وزيرى الأكبر (قال المؤلف) لهذا فأخذ آزر ولده بيده وهو متلطف به وأخرجه من دار النمرود لعنه الله تعالى وقال له يابنى اذهب معى حتى أدخلك على أصنامنا وتنظرها فلعل أن يميل قلبك إليها وتعبدها فقال سيدنا ابراهيم لأبيه يا شيخ يا ضال ليس لك عقل تهتدى به ثم قال له قوله تعالى (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) ثم ان ابراهيم تنحى عن أبيه وصار حتى توسط كوتريا ووقف على محل عال ونادى وقال ياقوم قولوا لا إله إلا الله وصدقوا بانى ابراهيم نبى الله وقد جئت بالحق من عند الله فانكم إذا أقررتم بذلك تفلحون وفى أموركم تنجحون فانى أخشى عليكم أن يقع بكم

العذاب كما وقع على الذين من قبلكم ويفعل الله بكم كما فعل بقوم نوح عليه السلام وهود وصالح والامم الذين من قبلكم (قال وهب) فلما سمعوا منه ذلك كذبوه واجتمعوا حوله وقالوا له إن الذى جئت به هو سحر ثم بعد ذلك أقبل إليه أبوه وقال له ياولدى أما تخشى من كيد النمروذ إنه يقتلك ويفجعنى فيك ألم تر إلى ما كان منى ومن والدتك من الشفاعة والتذلل بين يديه فقال إبراهيم إن ربى هو الذى يعصمنى من كيد النمروذ فقال له أبوه إنى لم أقدر على غيظ النمروذ ولا أعارضه فى مملكته فانك إن لم تطعنى وترجع عن معاندته والاهجرتك ورجعت إلى خدمته لانى كما ترى من تقربى عنده قد وكانى بخدمته فقال له ولده ياأبت إنها لبئس الخدمة وبئس التقرب ثم زاد بينهم الملاججة والكلام حتى أفضى بهم الامر إلى المشاجرة والخصام فقال له أبوه انى لست مطيعا لك وليس بتارك آلهتى التى وجدت آبائى يعبدونها فقال له ولده ياأبت إن هذه الاصنام التى تعبدونها لاتسمع ولا تبصر ولا تغنى عنك شيئاً ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً لم يزدد لذلك آزر إلا قسوة ونفورا وذلك قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبياً إذ قال لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا (قال وهب رحمه الله تعالى ثم أنه اعتزل إياه من ذلك الوقت وتبرأ منه وذلك قوله تعالى فى كتابه العزيز « وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لاواه حليم » وأقام سيدنا ابراهيم عليه السلام على مدة من الزمان ينتظر عواطف الرحيم الرحمن (المعجزة التاسعة لسيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه) وذلك أنه لم يزل النمروذ وعصل الله خزيه اليه يوكل بقتل كل من آمن بسيدنا ابراهيم حتى قتل خلقاً كثيراً لايحصى عددهم إلا الله تعالى فاوقع الله الغلاء والقحط فى تلك الارض ولم ينزل عليهم من السماء مطر ولم تنبت لهم الارض زرعا حتى ضاق على الناس الحال واضطرب النمروذ من ذلك الامر وضيق الحال لجمع الحبوب والاطعمة ووضعها فى المخازن وصار يخرج للناس يوم بعد يوم فاضر الجوع بالناس

الذين آمنوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام لأنهم لم يكونوا يطعمون مع الناس فدعا سيدنا إبراهيم ربه أن يطعمه هو ومن آمن معه فأوحى الله اليه أن أذهب إلى الكثيب أى الرمل الذى بظاهر المدينة فخذ منه ما يكفيك أنت ومن معك فانه طعام حسن للمؤمنين فصار المؤمنين يخرجون اليه ويأخذون منه فيجدونه حنطة طيبة فيطحنونها ويخبزون ويأكلون وصارت الكفار يأتون إلى النمرود ومن طعامه الذى احتكره يأخذون حتى نفذ جميع ما عنده وما كان قد احتكره ولم يبق عنده شيء . قال فبلغه أمر الكثيب الرمل وما يصنع به فاشتد ذلك عليه لأنه أبصر العالم قد طلبوا سيدنا ابرهيم عليه السلام (قال وهب) ومالوا اليه فاغتم لذلك غما شديدا (قال وهب رحمه الله تعالى) ولما أبصر النمرود إيمان القوم بسيدنا إبراهيم يزداد يوما بعد يوم حار فى أمره وارتبك فى سره ولم يجد من ذلك محيصا فبينما هو ذات يوم فى قصره وإذا هو قد نظر إلى سيدنا إبراهيم وهو مار عليه وبيده جراب فيه حنطة قد احتمله من ذلك الكثيب ورأى الخلق قد تبادروا اليه واحتاطوا به ووقفوا بين يديه فاستدعى به إلى عنده فحضر اليه فقال له ماهذا الذى معك يا ابراهيم فقال له أنه طعام رزقنى به ربى ورب العالمين وأنه لا يأكل منه إلا من كان من المؤمنين فقال له النمرود افتحه وأرنى إياه فلما فتحه ضرب النمرود يده فى الجراب وقبض منه فاذا هى رمل أحمر مثل ما كان فى الكثيب فقال له سيدنا إبراهيم عليه السلام لا تعجب يا نمرود من أمر الله ثم أنه مد يده المباركة وسمى باسم الله تعالى وادخلها فى الجراب وقبض منه قبضة وأخرجها فاذا هى حنطة الحبة فى قدر الفستق مكتوب على كل واحدة منهن هذه هدية من الله رب العالمين لنبيه إبراهيم ولمن تبعه من المؤمنين فقال النمرود لعنه الله تعالى إنك قد تغلبت على وعلى قومى وأفسدتهم بسحرك فاخرج من بلدى وإلا قتلتك وكفيت شرك فقال عليه السلام ولماذا أخرج من البلد وأنا أحق بها منك لأنها بلدى وبلد آبائى وأجدادى وإنما أنت أبوك كنعان قد تولى بها ظالما وكان رجلا صيادا وقد أتى إلى أمك سلخا وهى ترعى غنمها وراودها عن نفسها وواقعها سفاحا فحملت بك وأخذها إلى قصره إلى أن وضعتك وتشاءم بك وأمرها أن ترميك فى البرية حتى يرتاح منك ومن شؤم طلعتك فذهبت بك وأعطتك إلى راع فوضعك بين البقر فنفرت منك فتشاءم منك ورماك إلى النهر فقذفك الماء إلى الجانب الآخر وقيض الله لك نمرة أرضعتك إلى أن خرج جماعة من أهل البلد وأخذوك وربوك إلى أن كبرت وطلعت كافرا عنيدا وجبارا جحودا وجئت إلى أبيك وتغلبت عليه وقتلته ودخلت إلى

قصره وملكه ونكحت أمك سلخا الراعية وهذه قصتك ومنشؤك فانت الأحق بالخروج منها (قال وهب رحمه الله تعالى) ثم أن سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه قال يا نمرود آمن بالله تعالى وإلا دعوت الله عليك فيهلكك ويذهب عنك ما تحتويه من ملكك فغضب النمرود لذلك غضبا شديدا وشق ذلك عليه وأمر أعوانه أن يخرجوا ابراهيم من بين يديه لأنه قد ارتجف قلبه منه وما زال لا يعبأ به ولا يخشاه لأنه متوكل على مولاه (قال المؤلف) وأصبح الخلق ضاجين من الجوع إلى النمرود عليه اللعنة والخزى من الملك المعبود ويقولون له أما ترى إلى ابراهيم ومن معه من المؤمنين فى فرج ونحن فى ضيق وغلاء وجدب فاما أن توسع علينا وإلا آمنا به وبربه واتكلنا عليه قال المؤلف فارتبك النمرود فى سره واحتار فى أمره وضاقت عليه الأمور. وقيل أنه كان فى نفسه رجلا غيورا فحل به ذلك الويل والثبور ومن كثرة ما اشتد به استدعى بآزر فحضر بين يديه فقال له النمرود لعنة الله عليه يا آزر أن إبنك ابراهيم آذانى فى مملكتى وأفسد على أهل مدينتى وأرباب دولتى ولولا صحبتك لى ومعزتك عندى لكنت بطشت به وفعلت فيه فعلا عنيدا فقال آزر أما تعلم أنى قد هجرته ولست راضيا له بذلك وقد حذرته من شدتك وسطوتك وقوة بأسك فلم يقبل منى قولا فاصنع به ما شئت من الأمر المهول فانى لا يضيق صدرى بما تفعل به (قال وهب بن منبه) رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه ولما كان بعد ذلك بأيام أراد سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يرى النمرود وقومه ضعف الأصنام والأوثان التى كان يعبدونها من دون الله وعجزها وإلزام الحجة عليهم وإثباتها فجعل ينتهز لذلك الفرصة ويحتال فيها حتى أنه يشفى ما بقلبه من تلك الغصة وكان لأهل المدينة التى هى كوتريا فى كل سنة عيد وكان يخرج فيه السادات منهم والعبيد وكانوا يعملونه فى موضع بعيد وكانوا يقيمون فيه أياما يتفرجون فاذا انقضت أيام عيدهم فالى بلدهم يرجعون وكان النمرود لعنة الله عليه يخرج وسادات قومه حوله وأرباب دولته بين يديه وكان يركب فى زينة عظيمة لأن ذلك العيد كان له عندهم قدر وقيمة فلما قرب ذلك العيد وأرادوا الخروج إليه قالوا لبعضهم على أن نأخذ إبراهيم معنا فتقدموا إليه وقالوا يا ابراهيم ألا تخرج معنا إلى عيدنا تنظره وتتفرج عليه لعلك إذا نظرته يعجبك ديننا وتدخل فيه فخرج ابراهيم معهم وهم على تلك الحالة ونظر إلى ما هم عليه من الجهالة والضلالة وكانوا قبل خروجهم يدخلون إلى بيوت الأصنام ويضعون عندها الطعام ويخرون لها ساجدين من دون الله رب العالمين فإذا رجعوا من عيدهم دخلوا إليها فعلوا معها كذلك وسجدوا لها وعادوا إلى منازلهم وهم مغترون بذلك فلما كان العيد الثانى وأرادوا

أن يخرجوا على عادتهم وطلبوا سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يخرج معهم فألقى نفسه وقال إنى سقيم فاتركونى لحراسة أصنامكم مقيم فتولوا عنه مدبرين وإلى عيدهم ذاهبين ولم يبق إلا من عافه الصغر أو استولى عليه وهد حيله الكبر وكانوا قبل خروجهم دخلوا إلى بيوت الأصنام وأقاموا بواجب خدمتها وكانت الشياطين عند ذهابهم تأتى وتأكله إلا مدة تلك الأيام التى أقام فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام فلم تأكل الشياطين لهم طعاماً إكراماً لسيدنا إبراهيم تعظيماً لقدره وكانوا كما ذكرنا إذا عادوا من عيدهم فدخلوا على أصنامهم يجدون الشياطين قد أكلت طعامهم فيفرحون مستبشرين ويخرون على وجوههم ساجدين فلما كان ذلك اليوم الذى مضوا فيه إلى فرجتهم ذاهبين نادى فى أعقابهم بالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فلم يسمعه القوم لما تكلم بهذا الكلام إلا رجل منهم فكان ذلك الرجل متأخراً عنهم وهو الذى أفشاه عنه لهم ثم أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وثب داخلا إلى بيوت الأصنام فوجدها فى أمر عظيم ووجد ذلك الطعام بين أيديها مقيم ومستقبل ذلك صنم كبير وعليه من الثياب الملونات والحرير شىء كثير وإلى جانبه أصنام أصغر منه وكراسيها موضوعة على الأرض وبعضها بجانب بعض وكل منها يليه أصغر منه (قال وهب) فلما نظر سيدنا إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على سبيل الإستهزاء بهم ألا تأكلون فلم يجيبوه بجواب ولم يبدوا له خطاب لأن الشياطين لم تقبل على سيدنا إبراهيم كما تقبل على أولئك القوم الملاعين وذلك قوله تعالى (قال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين) وكان معه فأس قد استعدها لذلك الأمر وقيل أنه وجدها فى جانب البيت الذى للأصنام وهى التى كانوا ينحتون الأصنام بها فأخذها بيمينه ومال عليها وجعل يكسر رأس هذا وأنف ذاك ويد ذلك حتى جعلهم قطعاً قطعاً وذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) لأنه لم يترك منهم بلا تكسير إلا ذلك الصنم الكبير فعلق الفأس فى عنقه وأراق تلك الأطعمة التى كانوا وضعوها بين أيديهم وخرج من عندهم الباشق قلبه منهم ومضى إلى بيت أمه كأنه لم يعمل من ذلك شيئاً (قال وهب رحمه الله تعالى) فلما فرغ القوم من عيدهم دخلوا على بيوت الأصنام لأجل أن يتبركوا بهم ويأكلوا ما بقى من طعامهم فعاينوا ما حل بهم من تلك المصائب والآلام وما فعل بهم سيدنا إبراهيم عليه السلام فقالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قال أسمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وظن أنه هو الذى فعل بهم هكذا فبلغ الخبر إلى النمرود لعنة الله عليه فقال ائتونى به وذلك قوله تعالى «قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون» إنه هو الذى فعل ذلك بآلهتهم

فلما أن أحضروه قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا؟ فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكذب بل روى فى ثلاثة مواضع وهى مذكورة عنه فى كتاب الله تعالى وهى قوله «إنى سقيم» سقيم القلب منهم لما دعاه قومه إلى الفرجة إلى عيدهم فأبى ذلك والثانى قوله «بل فعله» أى إبراهيم والوقف فى القراءة على فعله وكبيرهم كلام مبتدأ فظنوا أن كبيرهم هو الذى فعل بآلهتهم أى كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون والثالث لما قال له الملك ما تكون منك هذه الجارية قال هى أختى أى فى الدين (ونرجع إلى ما كنا فيه) فلما قال لهم إبراهيم هذا المقال قالوا قوله تعالى فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادتكم هذه الأوثان مع هذا الصنم الكبير وقد زاد عليهم ما حل بهم الويل والتنكير ذلك قوله تعالى «ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون» فبقوا من ذلك متحيرين متشاورين وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فلما ثبتت الحجة عليهم وقد خاطبهم بذلك الخطاب ورأوا أنهم قد عجزوا عن رد الجواب قالوا للنمرود أحرقه فى التنور الذى لنا كما أحرق قلوبنا على آلهتنا (قال وهب رحمه الله تعالى) المعجزة العاشرة على التمام لسيدنا إبراهيم عليه السلام وذلك أنه كان للنمرود لعنه الله تنور من حديد وإن غضب على أحد من مملكته يأمر بأن يحمى ذلك التنور ويطرح فيه ذلك الرجل فيحترق ويذوب لحمه عن عظمه فلما كان ذلك اليوم ووقع لسيدنا إبراهيم مع أولئك الملاعين أمر بذلك التنور يحمى ويربط ويلقى فيه حتى يحترق كما احترق غيره فتقدمت اليه الأعوان وفعلوا ما أمرهم به عدو الرحمن وألقوه فيه ولم يعلموا أنه محفوظ بحفظ الملك الديان فلما ألقى فيه صار كأنه فى روضة من رياض الجنان ولم يمسه من تلك النار شىء بقدرة الله تعالى وصار قاعداً فى التنور كأنه قاعد فى الفضاء فقال النمرود أخرجوه حتى أنظر ما فعل به وما كان منه فانى قد عجزت عنه من سحره وتحيرت فيه وفى أمره فتقدمت إليه الأعوان وأخرجوه وهم يتعجبون من قدرة الملك الخلاق فوجدوه ولم تحرق منه النار شيئاً غير الوثاق وهو الحبل الذى كانوا ربطوا به يديه فلما رأى النمرود ذلك حار فى أمره وارتبك فى سره وضاقت به الحيل ولم يدر ما يفعل وجعل يتشاور مع قومه أرباب دولته ورؤساء مملكته وقال لهم ما ترون فى أمر هذا الذى أفسد علينا ملتنا وفعل ما فعل بآلهتنا وذلك قوله تعالى قالوا «أحرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين» وكان الذى أشار عليهم بحرقه رجل من الأكراد يسمى هيرق فقال لهم إن أردتم أن تحرقوه وتبلغوا منه ما تريدون فاحبسوه من وقتكم هذا

وجمعوا له حطبا كثيرا واضرموا فيه النار حتى يصير جمرا فإذا صار كذلك ألقوه فيها فإنه يحترق فإن النار الكثيرة لا ينفذ فيها سحره (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) ثم إن ذلك الرجل الكردي لما قال ذلك المقال ودلهم على تلك الفعال خسف الله به وبداره الارض فهو يتلجلج فيها إلى يوم القيامة ثم ان النمرود امتثل لما قاله ذلك الرجل وأمر بحبس سيدنا إبراهيم وإن يحفروا له حفرة كبيرة ويبنوا لها حائطا عاليا حولها ثم انهم أخذوا في جمع الحطب من أصناف الخشب حتى كانت المرأة تمرض أو يمرض ولدها فتقول إن عوفيت أو عوفي ولدي لأجمعن حطبا لحرق إبراهيم وكان من النساء من تنذر على نفسها ان تجمع حطبا وتجعل ذلك في دينها احتسابا وكذلك فعل الرجال أيضا ويطلبون بذلك ثوابا ثم انهم اكثروا من الحطب حتى عجزت الخيل والجمال عن حمله فتصور لهم ابليس اللعين في صورة رجل منهم وأمرهم أن يحملوا الحمير والبغال وكانت تحمل بقبول فقيل أنه قطع نسلها بسبب ذلك فجمعوا الحطب حتى ملئوا الحفيرة وطلع من الجانب الآخر وصار قدا الجبل الكبير العظيم فعند ذلك اضرموا النار في أربعة أركانها وهبت عليها الرياح المختلفة حتى التحمت النار بعضها ببعض وعلت وماجت وصار لها وهج عظيم حتى كانت الطير تمر بها من مسيرة نصف يوم فتحترق من شدة وهجها فاحتاروا في أمر إبراهيم كيف يلقونه في النار فبينما هم كذلك واقفون إذ تصور لهم ابليس اللعين في صورة رجل شيخ وعليه الملابس الحسنة كل لون فاخر فصاح عليهم صيحة واحدة فشخصت الابصار وأطالوا النظرة وهو يمشي على مهل وقد أقبل عليهم بذلك الزي والملبوس فتقدم إلى بين يدي النمرود لعنة الله عليه وسجد بين يديه من دون الله تعالى وقال له أيها الاب المسكين مالي أراكم في أموركم متحيرين وانتم في خطب جسيم واظن ذلك من جهة هذا الذي يسمى إبراهيم فقال النمرود أيها الشيخ وأنت عندي قولك انا قد حرنا في أمره وقد عجزنا عن إلقائه في النار حتى يحترق فقال ابليس اللعين أنا أدلكم على شيء تبلغون به قصدكم وتنال به أيها الملك مرادك وما تختار ويحترق فيها ويصير لها وقودا وشررا فقال له النمرود اللعين أفعل ما بدالك ودلنا على ما تريد أن نفعله من أعمالك فعندها أمر اللعين باحضار النجارين والحدادين وقال لهم أريد أن تصنعوا لي شيئا يقال له المنجنيق ويكون واثقا مكينا فقال النجارون لا نعرف ذلك ولا سمعنا به من آبائنا الاولين فقال ابليس اللعين تكون صفته كذا وكذا وصورته بأمر مكين (قال وهب رحمه الله تعالى) وكان الذي أخرج المنجنيق ابليس اللعين لعنة الله عليه وهو الهم العمل فما مضى عليه ذلك النهار حتى اكتمل وأتوا به إليه قدام النمرود لعنة الله تعالى عليه ونصبوه بإزائه وكان من الأخشاب الطوال وجعلوا له حبلا

وكتفه وله حبال يجذبونه بها فلما اكتمل عمله أمر باحضار سيدنا إبراهيم عليه السلام فأحضروه إلى بين يديه والبارى سبحانه وتعالى مطلع عليه فقال له يا إبراهيم إنى قد عزمت على إلقائك فى هذه النار أو تدخل فى دينى وتقر بأنى ربك فقال سيدنا إبراهيم يا ملعون إن ربك الله الذى لا إله إلا هو الملك العلام الذى لا إله إلا هو ولا معبود سواه فلما سمع النمرود ذلك من سيدنا إبراهيم امتلأ غيظاً وغضباً وأمر الأعوان أن كتفوا يديه ورجليه ووضعوه فى كفة المنجنيق وهو ينظر وليس له فيهم صديق وجذبوا حبالها حتى صارت فى أعلى مكان وأطلقوه فى الهواء فطلع منها إبراهيم مثل السهم حتى وقع فى النار فقال له جبريل هل سل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فأمر الله جلا وعلا النار أن تكون برداً وسلاماً عليه وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم (قال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو لم يقل وسلاماً لأهلكته النار ببردها ويحكى أن النار ما أحرقت إلا وثاقه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه إنما نجى إبراهيم عليه السلام بقوله حسبى الله ونعم الوكيل وكان يطل عليه النمرود من الصرح فيجد سيدنا إبراهيم فى روضة ومعه جليس من الملائكة بجانبه (ذكر الناقل لهذه القصة والخبر) بأن النار بقت تتقد سبعة أيام هى فى أشد ما يكون لها من الإضرام حتى أنها من أربع جهاتها التهبت وفى اليوم الثامن أراد الله إخمادها فخمدت (قال وهب رحمه الله تعالى) وكان فى الليلة الثامنة قد أبصر النمرود فى منامه أن النار لم تحرق إبراهيم ولم يضره منها شىء فاستيقظ مرعوب ذاهل العقل واللب وصرخ صرخة عظيمة أذهل بها كل من كان فى داره ففى ساعة الحال اجتمعوا حوله وقالوا له ما شأنك أيها الملك فقال لهم يا قوم إنى رأيت فى منامى أن النار لم تحرق إبراهيم ولا أكلت له لحماً وإنى ما بلغت من حرقه مرادى ولا بلغت من حرقه أملى فقالوا له أيها الملك ما هذا الكلام فهذه النار العظيمة لها تتقد سبعة أيام ويقع فيها إنسان ولم يحترق ما نظن هذه إلا أضغاث أحلام فقال لهم النمرود عليه وعليهم اللعنة من الملك المعبود إنى غداً أفتح باب الوادى الجديد الذى كانت فيه النار وأدخل بذاتى إليه وأنظر إلى إبراهيم وما جرى عليه فإن كانت النار أحرقته فيكون أضغاث أحلام وإن كان حياً فأنا أكون صادقاً فى المنام ثم أن النمرود أمر أن ينادى فى البلدان لا يبقى فى البلد أحد إلا ويخرج إلى ظاهرها حتى أنهم ينظرون إلى النار وما عملت بإبراهيم رسول الملك الجبار ففعلوا ما أمرهم به وتهيئوا للخروج عند الصباح كأنهم يأجوج ومأجوج فلما أصبح الله تعالى بالصباح خرج النمرود لعنه الله ومعه جميع أرباب

دوابه وفرسانه ملكته ولم يبق أحد فى البلد إلا وخرج حتى يتفرج على إبراهيم وما فعلت معه النار قال وكان ممن خرج مع النمرود أبوه آزر وأمه كى ينظر اما جرى على ولدهما وكان أعظم الناس حسرة لذلك أم إبراهيم فساروا حتى وصلوا إلى الوادى فنزل النمرود لعنه الله تعالى وأتى إلى باب الشعب وأمر بفتحه ودخل اليه وقد كان يعهده نار تتأجج فوجد فى وسطه نهرا جاريا بأمواجه تلجلج والخضرة فيه على ألوان مختلفة أنوارها تتفلج وفيه زهر أول ما بدا يتبهج وإبراهيم عليه السلام قد صف أقدامه وهو واقف يصلى ويداه مبسوطتان نحو السماء وإن النار لم تحرق من سيدنا إبراهيم غير الحبل الذى كان فى يده ورجليه قال وهب فتقدم النمرود عليه لعنة الملك المعبود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وقال له يا إبراهيم من ردعنك هذه النار فقال له ربك يا ملعون أخزاك الله ردها عنى الملك الجبار الواحد الأحد التواب الذى إذا سئل أعطى وإذا دعى أجاب فلما سمع النمرود منه ذلك الخطاب امتلأ غيظا فحار النمرود فى أمره وارتبك فى سره وخاف أن تتغير عليه قلوب رعيته وينفروا عن عبادته لما نظروا ما وقع من إبراهيم ومعجزاته (قال وهب بن منبه) وظهر إبراهيم عليه السلام من ذلك الوادى وأعين العالم ناظرة اليه وقد وقع فى قلوبهم الرعب والرعب من تلك الهيبة التى نزلت عليه ومازال إبراهيم يشق بين الخلائق حتى جلس بجنب أمه وقد رفع الله عنه الهم والغم وإذا بجارية مليحة القوام حلوة الإبتسام قد أقبلت تشق بين العالم وهى كأنها قضيب بان أو قضيب من الخيزران حتى أنها جلست بجانب إبراهيم ووجهها كأنه قمر فى ليلة أربعة عشر فقالت لها أم إبراهيم ماذا تريدين قالت لها إنى كفرت بالنمرود وآمنت برب إبراهيم الذى لا إله إلا هو الملك المعبود الذى نجى إبراهيم من هذه النار ونصره على هؤلاء القوم الفجار قال المصنف لهذه الأخبار وكانت تلك الجارية التى تكلمت مع إبراهيم هى سارة رضى الله تعالى عنهما ثم بعد ذلك أقبل النمرود حتى وقف على إبراهيم وقد ضاعت قوته وتحيرت فكرته وصار لا يدرى ما يفعل به وقال لإبراهيم ما أعجب سحرك الذى أبردت به هذه النار العظيمة فقال إبراهيم أبردها الله الذى لا إله إلا هو وهو على كل شىء قدير وجعلها على بردا وسلاما وألبسنى ثوب العز والبهاء فقال له النمرود إنى رأيت عن يمينك رجلا فقال إبراهيم كان ذلك ملكا جاءنى من ربى يبشرنى أنه اتخذنى خليلا وأنه عن قريب منزل بك أمرا وبيلا فاغتاظ لذلك النمرود غيظا عظيما وأمر الله تعالى الريح أن تنسف تلك الرمال فى وجوه أولئك العوالم فلم يبق أحد إلا وهرب طالبا البلد من التعب والنكد وقد عميت أعينهم مما حل بهم وزاد الأمر عليهم حتى كان الرجلان يصطدمان

فلا ينظر بعضها بعضا وقد داستهم الخيل والدواب فمات منهم خلق كثير مما حل بهم من الويل وما صدق النمرود أن يدخل إلى البلد سالما وهو على ما به وبقومه نادما أتى سيدنا إبراهيم دخل عليه وقال يا ملعون يا كافر يا مفتون رأيت ما فعل بك ربي وبقومك إذا لم تؤمن بالله فهو يهلكك وقد نجاني الله من كيدك فقال النمرود الكافر والجحود عليه اللعنة والخزي من الملك المعبود إذا كان ذلك كلامك . إلهك يساعدك علي فأنا أصعد إليه وأقتله كذب الملعون الكافر المفتون فانه يمهله ولا يهمله وقال الملعون حتى أنظر بعده من ينصرك (قال وهب) فخطر للنمرود لعنه الله تعالى له خاطر في سره وكان ذلك سببا لهلاكه ودماره وذلك أنه أمر ان يصنع له تابوت من خشب وأكده بمسامير من حديد وجعل له بابا إلى ناحية السماء وبابا إلى ناحية الأرض فلما فرغ منه النجارون أمر بأربع نسور عظام شداد فجوعت ثلاثة أيام ثم أنه اتخذ أربع رماح فسمرها في أربع أركان التابوت وجعل على كل رمح قطعة من اللحم ثم أمر بالنسور فشدت أرجلها في أركان التابوت في أسفل الرماح وفرش التابوت وقعد هو ووزيره معه داخل التابوت وأخذ معهما ما يأكلان وما يشربان وأخذ معهما قوسا وكنانية ملآنة من النبل ثم أنه أطلق النسور فرفعت رؤسها فرأت اللحم مع ما أضرها من الجوع الذي لحقها فطارت تقصد اللحم وكلما ارتفعت ارتفع اللحم فوقها فلم يزالوا على ذلك ساعة من الزمان فقال النمرود لوزيره افتح الباب الذي يلي الأرض وانظر كيف هي ففتح الوزير الباب ونظر فاذا هي كالقرية ثم قال له افتح الباب الذي يلي السماء ففتحه فقال له كيف تراها فقال له أراها كما كنت في الأرض فقال اطبق الباب ففعل فارتفعت النسور إلى مقدار نصف يوم ثم أمر بفتح البابين ثانيا وقال له كيف تراه قال كما كنت ونحن في الارض فقال اغلق الباب وارتفعت النسور إلى ما شاء الله تعالى ثم أنه أمر الوزير أن يفتح الباب الذي يلي الارض وقال له كيف تراها فقال له الوزير إني لم أر شيئا الا كغمام من دخان فأمره أن يغلق الباب ففعل ذلك وصعدت النسور ثالثا ما شاء الله تعالى ثم أنها ضعفت قوتها وعجز طيرانها وأيقنا بوقوعها بالتابوت وقيل أنه سمع تسبيح الملائكة في السماء وسمع قائلا يقول إلى أين تصعد يا نمرود يا كافر يا جحود فقال له النمرود فمن أنت الذي تخاطبني بهذا الخطاب فقال له أنا ملك من ملائكة العذاب أتيت إليك حتى أنظر ما تصنع ومعي الاذن أنك من هنا تقع فقال النمرود اني صاعد إلى إلهك حتى أحاربه فقال له الملك يا ملعون يا كافر يا مفتون أتدري كم بينك وبين سماء الدنيا قال لا قال فان بينك خمسمائة عام وهن سبع سموات تمام وبين كل سماء والتي تليها خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك وبعد ذلك حجب لا يعلمها إلا الله تعالى فلما سمع الوزير ذلك القول خر في التابوت ميتا فرماه النمرود وبقي في التابوت منفردا ثم أنه من تجبره وشدة

كفره أخذ القوس ووضع فيها سهما ورماه فى الهواء فأمر الله تعالى ملكا من ملائكة الغضب أن يلطخه دما ويرده إليه استدراجا لقوله تعالى: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وأمر الله تعالى ذلك الملك أن يضرب التابوت بخافقة من جناحه فضربه فانقلب ولا زال يهوى حتى وقع فى البحر ثم أن الله تعالى أمر الأمواج أن تقذفه إلى الساحل فقذفته فخرج من التابوت ووقف قائماً وقد ابيضت رأسه وذقنه وسار إلى مدينة من مدائنه وكان ليلا فلما أصبح عليه الصباح ورآه الناس دخل عليه الدواب فلم يعرفوه إلا من كلامه ثم انهم سجدوا وقالوا لو أعلمتنا أنك قادم علينا كنا طلعنا إليك وتلقيناك على بعد من الديار كما نحب ونختار فقال النمرود أنا كما شئت إن شئت أتيت وحدى وإن شئت أتيت بعسا كرى وجندى ثم أنه ركب وساروا إلى أن وصل إلى مدينة كوتريا وهى دار عزه ومحل مملكته فدخل ليلا حتى لا يعلم أحد بحاله لأنه فى حال النعس والنحس والذل مما جرى له فلما كان عند الصباح وقد علمت به أهل مملكته وأرباب دولته دخلوا عليه وحضروا بين يديه فانكره حجابه وأهل دولته لبياض ذقنه وتغير حالته فلما تكلم عرفوه بكلامه وقد تعجبوا مما حل به من ذله وإرغامه فسجدوا له وسلموا عليه وبلغ ذلك إلى سيدنا إبراهيم فأتى إليه وقال له كيف رأيت قدرة ربى وفعله فيك يا ملعون يا كافر يا مفتون فقال له النمرود وقد أخفى ما به من الكمد وأظهر الكفر والتجبر والجلد إنى قتلت ربك كذب الملعون الكافر المفتون فقال إبراهيم كذبت يا أثيم إن ربى قوى شديد وانك لا تقدر عليه وليس لك وصول إليه وإنما هو يملك ولا يملك ولو شاء من ساعته قتلك وإنما غرك الشيطان حتى يحل بك الهلاك والخسران وها أنا عبد من عبيده وهو يتصرف فى وفيك ويفعل ما يريد فهل لك يا ملعون أن تحاربنى فقال له النمرود يا ابن آزر إنك فى الحرب لا تقاومنى فقال له إبراهيم إنى متوكل على ربى وأنه ينصرنى عليك ويفرج عنى كربى فقال له النمرود يكون الملتقى بينى وبينك ظاهر البلد وتجهز وخرج فى عالم لا يحصى لهم عدد وخرج إبراهيم فى نفر قليل من المؤمنين وقد ضجوا بالتكبير والتهليل لرب العالمين قال وهب فأمر الله الملك الموكل بالبعوض أن يرسل عليهم منه قدر ما شاء الله تعالى فأرسل عليهم منه ملء الأرض وشد أجنحتها طولا وعرضا واجتمعوا على جيوش النمرود حتى صاروا فوق رؤوسهم كأنهم الدخان المعقود وفيهن كبار وصغار وفيهن من لها فم ومنقار وقيل أن الواحدة قدر طير الحمام فجعلوا يلدغونهم والخلق يضرب بعضهم بعضاً حتى مات منهم خلق كثير وانهزم الباقون إلى البحر وجعلوا يرمون أرواحهم فيه فغرق منهم ما لا يحصى لهم عدد ومنهم من ذهب إلى الدور والقصور وأطلقوا عليهم الدخان وكان ذلك مما أطلقوه من النيران فلم يغن عنهم ذلك شيئاً مما حل بهم من الذل والهوان وهلك ذلك الجميع كله ولم يبق منهم إلا نفر قليل

وكان ذلك بقدر الملك الجليل يرى ذلك ولم يزدد إلا كفراً وطغياناً وفضلا وحلماً وكرما وعفواً من الملك المتعال الرحيم الرحمن ثم إنه خاف على نفسه وعاد هاربا حتى وصل إلى قصره ودخل إليه وغلق الأبواب وأرخى الستور وظن أنه نجا ولم يعلم بأن الله غيور ونام على قفاه وجعل يفكر فى ذلك الأمر وإذا ببعوضة سخرها الله لانقضاء أجله فتخللت الستور والأبواب حتى قعدت على جبهته ولدغته حتى كادت أن تخرج مقلتيه فمسكها بيده وهم أن يقتلها ولم يعرف بأن الله تعالى إلى قتله أرسلها فطارت وقعدت على شفتيه فأراد أن يمسكها فدخلت فى أحد منخريه وصعدت إلى رأسه فاشتغل عن أهله ومشت فى مخه وصارت تخمش فيه حتى أحرمته لذيذ النوم ومكثت فى رأسه على ذلك الحال أربعين يوما فصار لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ودام على ذلك الحال مدة ليالى وأيام وصار يضرب برأسه الأرض وكان أعلى الناس عنده منزلة من يخلع من رجله المداس ويدق به على أم ناصيته والرأس ودام على تلك الحال حتى سمع هاتفاً يقول هذا جزاء من يتجبر ويتكبر على الملك العلام المتعال ثم أنهم بعد ذلك اصطنعوا له دقاقا من خشب وصاروا إذا اشتدت عليه يضربونه به على نافوخه فلم يزل على ذلك حتى رق جلده وانتفخت رأسه ومات وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ولم يبق من أهل مدينة كوتريا إلا الذى آمن بسيدنا إبراهيم عليه السلام وكان توفيقا من الله السميع العليم وكان من جملة المؤمنين به السيدة سارة ابنة هامان وقالت إنى أحب أن أتزوجك فقال لها سيدنا إبراهيم إنى لا أجد ما أمهرك به فقالت له يكون مهرى أن لا تخالفنى فيما آمرك به فأوحى الله أن أفعل ما تقوله إليك ثم إنه إبراهيم ومن آمن به لما جرى على أهل كوتريا ما جرى وهلكت أهل مدينة كوتريا ومن حولها من القرى ولم يبق لهم فى تلك الأرض مقام خرج بهم وطلبوا ناحية الشام حتى وصلوا إلى بلد يقال لها حوران فدخلوا إليها وأقاموا حتى مضى عليهم حين من الدهر والسنين (قال وهب) وكان سيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه قد تركهم وسار من بلد إلى بلد غيرها وهو متوكل على الفرد الصمد فلم يلحقه من تلك العوالم إلا السيدة سارة وكانت كما قدمنا آمنت فلما سار من تلك البلد لحقته طائعة مختارة فقال لها سيدنا إبراهيم ما حالك أيتها المرأة فقالت له يا سيدى لم يبق لى عنك صبر فان شئت أن تجفونى وأن تقبلنى فانى بعد ربك قد اتكلت عليك وقد سلمت أمرى

إليك وأنى أريد منك بحق الله أن تأخذنى لك زوجة ولا تدعنى من اليوم فريدة وحيدة فقال لها إبراهيم وقد تغيرت منه الأحوال إذا كان كذلك فاسترى وجهك فانى منتظر من ربى ما يريد فانى فى هذا البر وحيد فريد فقالت له أنى أشهد الله وملائكته أنى زوجتك نفسى عن طيب ورضا فقال لها إبراهيم وأنا الآخر أشهد الله ربى أنى رضيت بهذا الزواج وانك من اليوم تكونى زوجتى ثم أنهما توافقا فلما تعاقدا على النكاح جعل يده فى يدها وسارا فى ذلك البر حتى وصلا إلى بلد يقال لها مصر وكان ملك هذه البلد رجلا جبارا يعبد الأصنام من دون الله وهو مغرم بالنكاح ومصر على الفساد ولما وصل سيدنا إبراهيم إلى باب البلد وهو متوكل على الفرد الصمد وأراد الدخول فرآه الموكلون أوصلوهما إلى بين يدى الملك ولما رآهما ونظر إلى وجه سارة وهو كأنه البدر المنير لحقه الخبال وقال لسيدنا إبراهيم ما تكون منك هذه الجارية يا غلام فقال أنها أختى وقد عنى بذلك أنها أخته فى الإسلام فقال الملك هل لك أن تزوجنى إياها فقال هى وشأنها فقال الملك أنا رضيت بها طائعة أو كارهة وأمر الخدم أن يدخلوا بسارة إلى داخل القصر وأخرج سيدنا إبراهيم من بين يديه وقام من وقته وساعته ودخل عليها ومد يده إليها يتحرش بها فتزلزل القصر واضطرب جوانبه وأخذته الأرض وشلت يده فلم يصل إليها فاستغاث بها وقال أما ترين ما حل بى فقالت هذا جزاؤك لأنك أغضبت خليل الله على أهله فقال تبت وندمت على ما فعلت فاسأله أن يدعو لى بالفرج عنى فسألته السيدة سارة فدعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه بالفرج فأوحى أنه لا يطاق بما حل به إلا بتسليم جميع ما يملكه لك يا إبراهيم فاخبره سيدنا إبراهيم عليه السلام فاجاب بالسمع والطاعة فامر بتسليم جميع ما يملكه إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام فردت إليه يده وقذفته الأرض ثم أن الخليل رد عليه جميع ما أخذه منه (قال الراوى) وكان لهذا الملك جارية قبطية تسمى هاجر ذات جمال ودلال وقد اعتدال وافرة العقل وبيدها خزائن ذلك الملك لحسن أمانتها هو وهبها للسيدة سارة وقال لا تصلح هذه خادمة إلا لهذه السيدة سارة والسيدة سارة وهبتها لسيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام وأتت له بسيدنا إسماعيل عليه السلام جد النبى ﷺ فدخلت الغيرة فى هذه السيدة سارة فقالت لسيدنا إبرهيم عليه السلام أنى لا أحب أن تكون معى هاجر فى هذه الدار فحولها عنى حيث شئت فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه بان يحولها إلى البيت العتيق وجىء له بالبراق فحمل هاجر وسيدنا إسماعيل عليه السلام ووضعهما بجنب البيت وكان دارسا ولا ماء هناك ولا زمزم لأن الله تعالى لما تعلقت

أرادته باهلاك قوم نوح بالطوفان أمر الملائكة أن تغرقهم به ورفع البيت المعمور إلى السماء ومكثت الأرض هكذا سنين وأعواما إلى أن بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام وأمره بعمارة البيت الحرام ورفع قواعده ويرزق الله سبحانه وتعالى أهله من جميع الثمرات ويجعل فيه القناعة والبركات وقد حصل كل ذلك ببركة دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم أن سيدنا إبراهيم لما وصل السيدة هاجر عند البيت كما تقدم وأراد أن ينصرف إلى الشام قالت له السيدة هاجر على من تتركنا يا خليل الله قال سيدنا إبراهيم على ربي سبحانه وتعالى هذا ما أمرني به ربي فقالت رضيت بما أمرت ورجعت إلى ولدها سيدنا إسماعيل فعند الانصراف التفت إلى ناحية هاجر وولدها وأخذته الشفقة حيث لم يترك لها شيء من القوت والماء ما يكفيهما ولا ترك لها أنيساً ولا جليساً وقال رب إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم إلى آخر الآية كما قال سبحانه وتعالى ذلك إخبارا عنه لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام قال الراوي ثم انطلق سيدنا إبراهيم الخليل منصرفا إلى الشام ووكل أمر هاجر وولده لله سبحانه وتعالى فهذا ما كان من سيدنا إبراهيم وأما ما كان من السيدة هاجر رضوان الله عليها حين انصرف سيدنا إبراهيم عليه السلام من عندها رجعت لولدها سيدنا إسماعيل عليه السلام وقد طلعت الشمس واشتد الحر وهي غير معتادة عليه فتحيرت في أمرها فشكت حالها إلى عالم سرها وقالت رب دلني كيف أفعل فعمدت إلى عباءة عندها فضربتها على أصل شجرة وجعلتها وقاية من الشمس وصارت عند اشتداد الحر تمكث تحتها وكان عندها قليل من الماء وقليل من الزاد فشربا الماء وأكلا الزاد ولم يبق عندهما شيء من الماء والزاد واشتد به وبها العطش حتى كاد أن يهلكا من العطش فطلعت من الظلة ومشت إلى جهة الصفا تطلب الماء بعلامة من طيور أو خضرة فلم تجد ثم مشت إلى جهة المروة كذلك وكان بينهما واد حين تصله تهرول فيه مسرعة خوفا على ولدها فصارت الهرولة سنة بعدها إلى يوم القيامة قال الراوي فبينما هي كذلك وهي تذهب يمينا وشمالا لطلب الماء وإذا بهاتف ينادي يا هاجر اقبلي لجهة ولدك فرجعت لولدها فوجدت عين ماء جارية تحت أقدام سيدنا إسماعيل عليه السلام خوفا على ضياع الماء صارت تجمع حوله التراب والحصى من كل جانب وتقول له زمزم يا مبارك فبقدرة الله سبحانه وتعالى وقف ولم يسل وكان السبب في ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر سيدنا جبريل أن يفتح لهم هذه العين فضرب بريش من جناحيه هذا

المحل المعهود فخرجت عين زمزم إكراماً لسيدنا إسماعيل عليه السلام وجعل الله تعالى ماءها أفضل من ماء الكوثر فشربت وارتفع ظمؤها وباتت مطمئنة ولولا أنها حوطت عليه التراب والأحجار لكان نهراً جارياً فى تلك البقعة الشريفة كما أخبر بذلك سيدنا محمد ﷺ وفى اليوم الثانى مر بها أقوام من اليمن من بنى جرهم وكان قصدهم التوجه إلى الشام فرأوا الطير حائماً فى ذلك الوادى فاستدلوا بأن الطير لا يحوم إلا على الماء والجيف فأرسلوا منهم واحداً ليكشف الخبر فغاب وحضر وأخبرهم بما عاين فتوجهوا إليه فرأوا الماء ووجدوا السيدة هاجر وولدها فقالوا لها من أين لك هذا الماء فقالت لهم هذا حق هذا الوليد الصغير أخرجه الله بقدرته فقالوا لها أتأذنى لنا بالورود منه والاستعمال ونحن نمدك بالمال فقالت لهم حباً وكرامة أعطوها زاداً وأغناماً ورجعوا إلى أهلهم وأحضروهم وسكنوا ذلك الوادى وصارت الناس تتوارد عليها كل يوم قوم بعد قوم وكل ذلك ببركة دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام وكثرت قبائل العرب فى ذلك الوادى وحصل للسيدة هاجر الأنس والعز فانظر فى العواقب ونشأ سيدنا إسماعيل بينهم على أحسن حال إلى أن بلغ مبلغ الرجال وكثر ماله وصار له رجال ورجال ومواشى وأغنام وأموال وأحب ركوب الخيل وصار يتفنن على ظهرها النهار والليل حتى حاز من الفروسية أكملها وأعطاه الله من الجمال والبهاء والفضائل أعظمها وكان يميل إلى الصيد والقنص وكان له خواص وجلساء ونور نبينا عليه الصلاة والسلام يلمع فى جبهته الحسناء فلما تم له الحال ضرب له مضرباً للضيفان وصارت الناس تهرع إليه من كل مكان وكل ذلك ببركة دعاء سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه من الله سبحانه وتعالى أفضل الصلاة وأتم السلام هذا ما كان من أمر السيدة هاجر وسيدنا إسماعيل عليه السلام قال الراوى وأما ما كان من أمر سيدنا إبراهيم عليه أفضل السلام فانه أشتاق إلى ولده إسماعيل فأخبر السيدة سارة بذلك فقالت له بشرط أنك لا تنزل عن دابتك وتعود راجعاً فرضى بذلك وتوجه على البراق طالباً الحرم المعظم إلى أن وصل إليه فرأى شيئاً قرت به عينيه لأنه تركهم على حالة الانفراد وما عندهم ما يكفيهم من الماء والزاد فوجد عندهم الخيرات ومن الرجال والنساء أعداد فسبحان من له الملك وهو رب العباد واقتحم البيوت وهو يسأل عن بيت إسماعيل فقالوا له عليك بهذا البيت الرفيع العماد الذى لم يكن له بين كل هذه البيوت مثيل فحمد الله سبحانه وتعالى على ما خول ولده وأهله من الخير الجليل حتى وقف على باب الخباء ونادى يا أهل المنزل الرفيع البناء فخرجت إليه امرأة غير مكترثة به

وقالت له من أين أنت ولا لمن تريد ولا رحبت به بل كلمته بكلام فظ غليظ لا يليق به فقال لها أين صاحب المنزل قالت غائب فى الصيد قال ربنا يبارك فيه فاذا أتى فقولى له غير عتبة باب دارك وانطلق راجعاً إلى الشام ثم إن سيدنا إسماعيل حضر من الصيد فأخبرته الخبر فقال لها إلحق بأهلك على الأثر ثم بعد برهة من الأيام تزوج بامرأة غيرها من بنى جرهم ذات عقل وكمال وجمال وقد معطر (قال الراوى) اشتاق الخليل لزيارة سيدنا إسماعيل عليه السلام فأخبر سارة بذلك وركب البراق وتوجه نحو الحرم إلى من له حسب وهو إليه مشتاق وشرطت عليه عدم النزول فرضى منها ذلك بالقبول حتى وصل إلى الحرم فوقف على باب الخباب ونادى يا أهل المنزل الرفيع الشأن فخرجت الزوجة الثانية وهى مسرعة قد شمت فيه رائحة الأحباب فقالت فى نفسها إن هذا الشيخ لأشبه الناس بسيدى إسماعيل ففرحت به فرحا زائداً وقالت له إنك ضيف عزيز فقبلت يده وقالت له ألا تنزل عندنا لتحل بركتك علينا ويكون قد حضر سيدى إسماعيل صاحب الخباء الجليل فقال لا أقدر على النزول لما هو موكول لكن إن كان عندك شىء من الزاد فقدميه كى أدعو لكم بالبركة فأحضرت له قعباً من اللبن وقطعاً من اللحم فدعا لهم فيها بالبركة فمن بركة دعائه وقد نقل عن رسول الله ﷺ أنه قال والذى نفس محمد بيده لو وجدت تلك المرأة شيئاً من البر ودعا لها خليل الرحمن بالبركة لكان فى أرض تهامة أكثر من غيره ببركة دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام ثم قالت له ياسيدى هل يمكن أن أسرح لك ذوائبك فانى أرى شعرك شعث من أثر السفر قال لها ألم أقل لك بأنه لا يمكننى النزول فلما سمعت منه المرأة أنه لا يمكنه النزول أتت بصخرة إلى جانب مركوبه حتى بقيت محاذية لسيدنا إبراهيم وأتت بشىء من الزبد فدهنت به رأسه وأصلحت شعره وأسبلت ذوائبه وأراد الانصراف فقالت له ياسيدى لم لا تصبر حتى يأتى سيدى إسماعيل وتنظره فقال خليل الرحمن إذا أراد الله أمراً كان لكن إذا أتاك صاحب بيتك فقولى له أتاك حبيب من الأحباب يقرئك السلام ويقول لك احفظ عتبة باب دارك ولا تغيرها ثم انصرف عنها راجعاً بعد أن قبلت يده وقالت له ياسيدى لا تنسنا من دعائك (قال الراوى) وبعد قليل أقبل سيدنا إسماعيل واقتحم البيوت داخلا فقال إنى أشم رائحة الحبيب فلما جلس قال لزوجته هل طرق ديارنا طارق قالت نعم ياسيدى أتى إلينا شيخ مليح الشيبة كثير الهيبة بهى الصورة والمنظر للخير عليه علائم ودلائل فأردنا ضيافته حتى تشملنا بركته فقال لا يمكننى النزول فقال بلغنى إسماعيل عنى السلام وسوف يعود بعد قليل من الأيام فقال لها ماقال لك من الكلام قالت أنه يقول إذا أتى إسماعيل فقولى له يحفظ عتبة باب داره ولا يغيرها فإنها مباركة (قال وهب بن منبه) وبعد أيام اشتاق

سيدنا إبراهيم إلى رؤية ولده إسماعيل لأنه فى المرتين ما رآه وأراد الإقامة عنده والسكنى بالوادى المحرم وكان ذلك بإذن العلى الأعلى فأذنت له سارة فى ذلك فركب على ظهر البراق وسار طالبا إلى ولده إسماعيل فلما وصل إلى الوادى المحرم اقتحم البيوت داخلا فوجد ولده إسماعيل جالسا فقام اليه ساعيا فلما وقعت أعينهم على بعضهم البعض صار إسماعيل يقبل يديه واعتنقه أبوه فلما استقر بهم القرار قال إسماعيل لأبيه يا خليل الرحمن لأى شىء وضعتنى أنا ووالدتى فى هذا المكان الذى لا به أناس ولا جيران فقال يا بنى أنى ما فعلت ذلك إلا بإذن العزيز الرحمن الكريم الباقى على الدوام ثم أن سيدنا إسماعيل أحسن ضيافة والده فبينما هو فى ليلة من الليالى إذ رأى فى المنام كأنه أمر بذبح ولده إسماعيل وكان ذلك بأمر الملك الجليل فانتبه فى منامه الخليل وهو مذعور فاستدعى ولده إسماعيل فأتى إليه فرح مسرور لأنه يعلم ماذا عليه قادم فقال يا بنى إنى أرى فى منامى أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فقال يا إسماعيل أقصص ما رأيت ولا تخش من ملام فعند ذلك أبدى الخليل يقول وذلك قوله تعالى فى محكم الكتاب المبين (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) فقاما وقد أسلما أمرهما لله رب العالمين وأخذ إبراهيم مدية وحبلا طويلا وخرجا إلى الصحراء من غير قال ولا قيل وسار إبراهيم ومن خلفه إسماعيل وإذ قد تعرض لاسماعيل الشيطان الرجيم وقال له من أجل أضغاث أحلام أبوك يقتلك وتشرب كاس الانتقام فقال له تنح من وجهى يا ذليل يا شيطان فان خليل الرحمن لا يفعل إلا ما يأمره به الملك العلام وصار يرجمه بالاحجار فصارت سنة رمى الجمار ولم يكن الخليل بذلك عالما فلما أبعد عن الحى اضطجع اسماعيل وقال يا أبت افعل ما تؤمر يا أبت اشدد نى ولا تكن لى راحما ففعل إبراهيم ذلك ولم يأخذ فى ذلك تهاونا فضجت ملائكة الأرض والسماء من ذلك ثم وضع المدية على عنقه فانقلبت كأنها الشبابة قد رحمت فقال اسماعيل يا أبت إن كانت انقلبت فانخع بها نخعا فعند ذلك تجلى الملك الجليل وهو مطلع على ما قال اسماعيل وما عمل الخليل وضجت ملائكة السماء والأرض وإذا بالنداء من العلى الأعلى يا ملائكتى تأدبوا فأنى أعلم بما مضى وما هو آت وأن إبراهيم وإسماعيل من جملة عبيدى فإنى متصرف فيهم وفيكم بما أريد أهبط يا جبريل إلى الجنة وأخرج لهما الكبش الذى ادخرته لهما قبل أن أخلقهما بكذا وكذا العام فهبط جبريل كما أمره الملك الجليل وذلك قوله تعالى (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم) قال ابن عباس وكان من جملة قول رسول الله ﷺ أنا ابن

الذبيحين ولا فخر * ثم أن الله تعالى الملك العلام أمر سيدنا إبراهيم بعمارة البيت الحرام وذلك قوله تعالى وهو أعز من قال إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى العالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) فعند ذلك انتدب إبراهيم إلى ما أمره به ربه وشرع فى عمارة البيت وأعانه الله تعالى فلما أكمل بناءه دعا الله تعالى وقبل الله دعاءه وأمره بالنداء فى الناس بالحج فقال إبراهيم يارب أن ندائى لا يبلغ إلى جميع الناس فأوحى الله تعالى إليه أن يا إبراهيم عليك النداء وعلينا البلاغ وذلك قوله تعالى «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» قال الرواة ولما انتهت تلك الأحوال واستقامت لسيدنا اسماعيل الأحوال وعاد خليل الرحمن إلى بلاد الشام وكان ذلك بأمر الملك العلام ورزق سيدنا اسماعيل الأولاد ودانت له تلك الأودية والوهاد وكان من جملة أولاد سيدنا اسماعيل قيدار وجرى له ما جرى فى التابوت والسكينة مع يعقوب ابن اسحاق وهو ابن عمه ولما تزوج قيدار رزق الأولاد وتناسلوا وتوالدوا إلى زمان معد بن عدنان فرزق عدنان بمعد ومعد رزق ولدا فسماه نزار ورزق نزار أربعة أولاد فكان منهم أياد وربيعة ومضر وأنمار وكان نور سيدنا محمد ﷺ بين عينيه (أى نزار) ولما آن أوان وفاة والدهم أحضر أولاده بين يديه وقال لهم يا أولادى أنتم اليوم سادات العرب وأنى قد قسمت بينكم تركتى حتى لا تتخاصموا من بعد موتى فاذا قضيت نحبى وقضيتم عزائى بعد وفاتى فقد كتبت لكم رقعة تتضمن أموالى وخصصت كل واحد منكم بما يليق له فاذا إطلعتم عليها فليأخذ كل واحد منكم ما خصصته له ولا تتخاصموا ولا تتلاججوا وإن كان لا يرضيكم ما قسمته بينكم فعليكم بالملك الأفعى بن الجرهمى فامضوا إليه فانه يحكم بينكم ومهما يأمركم به فافعلوه * ثم بعد ذلك قضى نحبه ولحق بربه فواروه فى التراب وعملوا عزاءه وقاموا بواجب حقه وأحضروا الرقعة حتى يعملوا بما فيها وينظروا معانيها وإذا مكتوب فيها أما الخيل الدهم الملاح والسيوف والرماح وآلة الحرب والكفاح فهى لولدى إياد وأما الغنم والجمال والأبقار فهى لولدى أنمار وأما الخيل الشقر والقباب الحمر فهى لولدى ربيعة وأما النعم والعبيد والاماء فهم معدودات لولدى مضر قال صاحب العبارات فلما قرأوا تلك الرقعة قالوا ما هذه التقسيمات لا نرضى بهذه العبارة فوقعت بينهم مشايخ القبيلة وحكموا بينهم قالوا لهم إن كان لا يرضيكم ما فعله أبوكم فامضوا إلى الملك الأفعى يحكم بينكم كما قال أبوكم فرضوا بذلك وتوجهوا إليه فبينما هم سائرون فى طريقهم وهم يتذاكرون فيما يريدون أن يقولوه قدام الملك الأفعى جاءت طريقهم على واد يقال له وادى السمسمع فى جنباته يرتع وأرضه واسعة فياحة سياحة قد

فرشت أرضه بالزعفران والزهر والاقحوان وترنمت على أشجاره البلابل والورشان وناحت على اغصانه الحمائم فهيجت قلوب المحزونات وصاح القماري على نضير الاغصان وزعق الكروان وبصياحه يهيم الغريب إلى الأوطان وصرحت أم حسان وفاحت روائح ازهاره وطاب نسيمه لزواره والأرض قد فرشت بالسندس الأخضر وبسطت بالعنبر والعبقري الأصفر فتبارك الله الملك الخالق الذي تكفل بأرزاق الخلائق الذي انشأ أشجاره الباسقة وأوراق أشجاره المتعانقة وقد أينعت أثماره وأشرقت أنواره واحمرار جلناره وباحت من زهره أسراره فهو كما أشار الشاعر حيث يقول ونحن وأنتم نصلي على سيدنا محمد النبي الرسول :

الظل ممدود السرادق	والظل مفروش النمارق	قد غنت الأطيار فى
جنباته كل الطرائق	ما بين قمرى يصيح	بحسن أنواع الحقائق
وبلابل قد بلبلت	وبلحنهما قد هام عاشق	والاقحوان وعرفه
بين النواصى والمخانق	وعرائس الأطيار تجلى	يانديم على الخلائق

(قال الراوى) فبينما أولاد نزار يتحادثون ويتنادمون وهم سائرون إلى ما هم قاصدون وإذا قد نظروا اقدامهم أثر بعير كأنه شارد وإلى ناحية الماء الذى بين أيديهم وارد فقال ربيعة أن الجمل أهوج قال مضر وأنا اقول أنه أعور فقال إنمار وأنا اقول أنه ازور وقال اياد أنا اقول إنه ابتر فلما خرجوا من ذلك الوادى وإذا بأعرابى قاصد إليهم مهرولا وهو ينادى السلام عليكم ياسادات العرب لقد شرد منى بعير وأخبرت أنه إلى ذلك الوادى يسير فهل رأيتموه فى طريقكم أزال الله عنكم تعويقكم فقال ربيعة ياوجه العرب أجملك أهوج قال نعم فقال مضر أجملك أعور قال نعم فقال أنمار أجملك ازور فقال نعم قال اياد ياأخا العرب اجملك ابتر قال نعم فقال أنمار ياأخا العرب حمله عسل ودقيق فقال الاعرابى ياالعرب قد صح عندى أن بعيرى عندكم فان هذه الصفات صفته ولا أعرفه إلا منكم فقالوا أيها الاعرابى لا نعلم بعيرك ولا رأيناه فقال الاعرابى واحرباه من هذا الجور والتعدى كيف انكم تصفوه وتنكرونه فقالوا ياأخا العرب ما عندنا علم منه وإنما نحن سائرون إلى الملك الافعى الجرهمى فى حكومة بيننا ونحن أولاد نزار بن معد بن عدنان وقد وقع بيننا خصومة فقصدناه ليفصلها فقال الاعرابى وأنا أسير معكم وعلى جملى أحاكمكم (قال صاحب الكلام) بعد الصلاة والسلام على بدر التمام فساروا حتى وصلوا إلى ديار الملك الافعى والاعرابى معهم يجد ويسعى فلما وصلوا إليه وقدموا عليه ترحب بهم واستقبلهم أحسن استقبال وقال ياسادات العرب ما الذى أقدمكم إلينا وأنا الذى أحق بالسعى إلى جنابكم إنكم سادات العرب أولاد نزار بن معد بن عدنان أشرف

هذا الزمان فقالوا نحن أتينا فى حكومة اليك وسوف نقصها عليك فقال الملك الافعى على الرحب والسعة والكرامة ثم أنه أدخلهم إلى دار الضيافة وأحضر لهم سماطا على قدر مرتبته وكان من جملة السماط خروف مشوى وخبز أبيض نقى وخمر صاف فأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا ولما دارت بينهم نشوات الخمر قال ربيعة ما أطيب لحم هذا الخروف لولا أنه رضع من كلبة فقال مضر ما أطيب هذا الخمر لولا أن كرامه مغروس بجانب جبانة فقال إياد ما أطيب هذا الخبز لولا أن عاجنته كانت حائضا وقال إنمار إن صاحب هذا الزاد ينسب إلى غير أبيه (قالت الرواة) وكان الملك الأفعى جعلهم فى مضرب من الديباج وجعل عندهم جارية تسمع كلامهم بحيث لا يرونها ولا يشعرون بها وأمرها أن تحفظ كل ما يقولون ولا تفرط فيه فرجعت الجارية إلى الملك الافعى واعادت عليه ما سمعته منهم فاسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يبصر ما بين يديه وأحضرهم إلى عنده والرجل صاحب الجمل معهم فقال لهم ماذا يريد هذا الرجل منكم فقال الاعرابى أيها الملك أنا شرد لى بعير فسرت أدور فوصلت إلى وادى السمع فرأيت هؤلاء السادات فسألتهم عنه فوصفوا إلى مشيه ونقله المقال وسألهم وقال من قال منكم إنه أعور فقال أنا قال من أين علمت وما برهانه قال لانه البعير السالم العينين إذا أكل من النبات يأكل من الجهتين وهذا أكله من جهة واحدة فعلمت أنه أعور فقال الملك ومن قال أنه أزور فقال أنمار أنا قال الملك من أين علمت وما برهانه قال إنى رأيت مكان أكله متمفشا فعلمت أنه أزور ومعنى الازور مخلوع الحنك قال الملك ومن قال أنه أهوج قال ربيعة أنا فقال له الملك من اين علمت وما برهانه قال ربيعة أن البعير إذا مشى ينقل يدا بعد يد ورجلا بعد رجل فيبقى مشيه متتابعا مستقيما وهذا أثر مشيه مختلف فعلمت أنه أهوج قال الملك ومن قال أنه أبتر قال اياد أنا قال الملك من أين علمت فقال أياد إن الجمل إذا أراد أن يحرك ذيله على أوراكه فيفرد روثه وهذا روثه كتل كتل فعلمت أنه أبتر والأبتر مقطوع الذنب ثم قال الملك لانمار من أين علمت أن حمله دقيق وعسل قال لأنى رأيت الذباب يعف من جانب الدقيق من الجانب الآخر فعلمت أن حمله عسل ودقيق قال فانقضت محاكمة الجمل ولم يثبت عليهم شىء ثم جلسوا يتحادثون فقال الملك الافعى ياسادات العرب انى أريد أن أسألكم عن شىء والكذب شين لأنه يشين الرجال ولو كانوا جليلى المقدار أخبرونى عن أربعة أشياء تكلمتم بها وانتم تأكلون فقالوا اقل ما شئت فانا لا نتكلم إلا بالصدق فقال من قال عاجنة الخبز حائض قال أنمار أنا فقال الملك من أين علمت قال أيها الملك أن المرأة إذا كانت حائضا وعجنت العجين يصير الخبز يتقطع وذلك الخبز الذى أتانا كان على تلك الصفة فدلنى

على ما قلت قال الملك ومن قال أن الخروف رضع من كلبة قال ربيعة أنا قال الملك من أين علمت
وما برهانه قال أيها الملك سائر الحيوانات شحومها فوق لحومها إلا الكلاب فان لحومها فوق
شحومها وهذا الخروف الذى أتانا كان لحمه فوق شحمه فعلمت أنه رضع من كلبة فتعجب الملك
من كلامهم غاية العجب ثم قال لهم يا أولاد نزار بن معد ومن قال إن الخمر غرس بجانب جبانة
قال مضر أنا قال الملك من أين علمت وما برهانه قال مضر لأن الخمر إذا شربها رجل تعطى
نشاطاً وفرحاً وهذه حين شربتها حصل لى منها كسل وفتور وذكرتنى الموت والبعث
والنشور فعلمت أن غرسها بجانب جبانة فقال الملك ومن قال أن الملك ينسب إلى غير أبيه قال
أنمار أنا قال من أين علمت وما برهانه قال سمعت فى الأخبار أن الرجل إذا لم يجلس مع
ضيوفه ولم يحادثهم ولا يمازحهم ولا يتكبر عليهم يكون منسوباً إلى غير أبيه وإن لم تجالسنا
ولم تمازحنا فاستدللت بهذه الصفة على ترك المعرفة (قال الراوى) فقام الملك الأفعى من عندهم
وهو لا يعيد ولا يبدى واستدعى بالخبازة إليه وسألها عن حالها فقالت يا مولاى إن الحيض
قد دهمنى عند ممارسة الخبز فصرفها وطلب الراعى وسأله عن الخروف وما سبب منشيه
فقال يا مولاى وضعته أمه ومكثت قليلا وماتت وكان بين الغنم كلبة والدة فأرضعته منها حتى أنه
كبر فصرفه وطلب الشربتلى وسأله عن أصل ذلك الشراب فقال يا مولاى إنى ما وجدت فى
الكروم فى هذا الأوان أطيب من الكرام الذى على الجبانة لأن طرحها جيد طيب فصرفه
وتعجب عن تلك المعرفة غاية العجب وبعد ذلك دخل إلى أمه والسيف فى يده مشهور وقال
أصدقينى فى قولك يا الخناء وإلا قتلتك قالت ما الذى أصدقك فيه قال من هو أبى ومن
ينتهى إليه حسبى قالت يا ولدى أبوك الملك الجرهمى فقال ألم أقل لك تكلمى بالصدق وأهوى
نحوها بالحسام وأراد قتلها فقالت يا ولدى اصبر على قليلا فانا أصدقك فى المقال ولكن يا ولدى
تعطينى الأمان فقال لك ذلك فقالت يا ولدى إن أباك الجرهمى كانت ضعف همته على النساء
وكبر سنه فخفت على الملك أن يخرج من أيدينا فواقعت بعض الغلمان فحملت بك وهذه قصتى
والسبب فتركها الماعلم بالأمور وخرج إلى أولاد نزار وقد كتم أمره عنهم وقال يا سادات العرب
اتركوا ما نحن فيه واذكروا حالكم وما تسألون عنه فأخبروه بالرقعة التى كتبها لهم أبوهم
وكيف أنه وصاهم إذا وقع بينهم الخلف أن يقضى بينهم فقال يا أولاد نزار بن معد من تكون
هذه الفراسة فراستهم وهذا الأب أبا هم لا ينبغى لمثلى أن يحكم بينهم والرأى عندى أن ترجعوا
وترضوا بما قسم لكم أبوكم فرضوا بذلك ورجعوا المنازلهم قال الراوى وبعد ذلك كثرت أموالهم
وصلح حالهم وتوالدوا وتناسلوا حتى صاروا مائة وعشرين ألفا فتفرقوا فرقا فرقا ورحل
من رحل من أرض الحرم وقعد من قعد ونزلوا على ماء يقال لها مياه وهو آخر ماء الحجاز

وأول ماء اليمن (قالت رواة الأخبار) وظهر بعد ذلك لربيعة أربعة أولاد كان كبيرهم يسمى وائلا ويكنى بأبى ثديه وأخوه الذى دونه يسمى عديا ويكنى بالوهاب (قال وهب) وكان فى أيامهم ملك باليمن يقال له مرة بن ذهل وكان مرة بن ذهل له عشرة أولاد وكان أكبرهم جساساً وهماماً فلما علم بأولاد نزار ونزولهم عليهم صعب عليه وكبر لديه وكان فيهم رجلا جبار وهو فى حكمه مطاع وكان لها ابن أخت من العمالقة طوله اثنى عشر ذراعا وكان إذا جلس طول الإنسان إذا كان قائماً ولا يجسر أحد أن يوقظه إذا كان نائماً وكان اتخذ كبشاً من الغنم وكساه من الحلى والحلل وغلف قرونه من الذهب الأحمر ورصعه بالدر والجوهر وعلق فى رقبته قلائد من أصناف اليواقيت والزمر الأخضر وسلم ذلك الكبش إلى ابن أخته وأمره أن يطوف به على سائر المال والقبائل وعلى كل من كان نازلا على المياه والمناهل ويأخذ منهم حق المرعى والخفارة فصار يفعل ذلك وكانت العربان من سطوة ذلك الملك تطيع لذلك الكبش وتقبل الأرض بين يديه وتؤدى الخفارة إليه فلما أتت أيام جمع المال وجبايته جاء ابن أخت الملك ومعه الكبش حتى يأخذ المال على جارى عادته واتفق أنه أتى إلى ربيعة ومضر وطلب منهم الخفارة عن عندهم من العربان قال الرواة فجاوبوه بغليظ الكلام وتعاونوا عليه وقتلوه وأكلوا كبشه ونشأ بعد ذلك كليب وجرى له مع تبع بن حسان ما جرى وقتله وملك قصره وما حوته يده من المال والمدن والقرى وأخذ الملك وبلغ ما بلغ وشرط ما شرط وكانت أيامه كلها غلظا وشطط وقتله ابن عم له وكان سببه ناقة البوس أخت تبع بن حسان لما جاءت إليهم وألقت بينهم الكلام والهذيان ودام الحرب بينهم والقتال مدة من الزمان وتوارثته جماعة وكان من جملتهم جمعة بن عباس بن اليشكرى سيد بنى زبيان وانقسمت العرب قسمين وكان منهم بنو عبس وعدنان وكان الملك فيهم والمؤمر عليهم الملك جذيمة بن رواحه قطيعة بن عباس بن غفلان بن معد بن عدنان وكان رئيساً فى ذلك الزمان على كل من طلعت عليه الشمس فلما جرى للمهلهل الذى يلقب بالزير وأخذ الثار وكشف عنه العار وأخذ بثأر أخيه كليب وقتل الحارث بن عباد اليشكرى فى أرض العراق وكان ما كان فسبحان من له البقاء والدوام وبقى ذكره على ألسنة العوام فجفلت عربه بعد موته خوفاً من العربان لأنه كان فى زمانه قد أباد الشجعان وأهلك الأقران وقد دانت له البلاد وأطاعته العباد فخافت قومه أن تخاطهم العربان من كثرة ما كان عليهم من الدماء فى زمن المهلهل تشتتوا فى تلك الآفاق وكل فرقة منهم التجأت إلى أكثرهم التجأ إلى بنى عبس وكان كما قدمنا ملكهم جذيمة بن رواحة جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً

وبطلا صنديدا لا يصطلى له بنار ولا يعتدى له على جار فلما التجأت إليه قوم المهلهل أمنهم وأعطاهم الأمان والذمام فخافتهم العربان (قال الراوى) وصار جذيمة يحكم بينهم بالعدل والانصاف لأنه كان خبيرا بالسياسة والمعروف وتدبير الحرب وهو فى خبرته موصوف وكان حسن الرأى جيد التدبير وبعواقب ما يأتى من الأمور بصير وكان ذلك الملك له يومئذ عشرة أولاد وكانوا من شدتهم كأنهم الأسود فى الكر والطراد معروفون بين العربان بالشدة والبأس وقد حضروا الوقائع وخاضوا فى المعامع وذكرهم بين العرب شائع ومن جملتهم عمرو وزنباع الفارس المناع وزهير وأسيدا باقيهم كانوا فرسانا إلا أن أكبرهم عمرا كان مطيعا والده فى كل ما يريد وكان الملك جذيمة يؤمل أن الملك من بعده يكون لولده عمرو لأنه كان كاذكرنا أكبر أولاده وكان موصوفا بشدة بأسه وقوة مراسه فلما كان يوم من بعض الأيام وكان ذلك الوقت وقت قيامه من المنام ركب جواده وقصد ناحية الغدير وكان ذلك الغدير يسمى ذات الأرصاد وليس معه أحد سوى عبده فلاح (قال) وكان فى عنق عمرو طوق من الذهب الأحمر وقد رصع بالدر والجوهر ولما وصل إلى الغدير خلع أثوابه التى كانت عليه وقلع الطوق من رقبته وقرب من الغدير ونزل فيه وبقى العبد عند أثواب مولاه ولما صار عمرو فى الماء غطس فى عاجل الحال خفى شخصه واختلس فانتظره العبد حتى ضاقت أخلاقه فلم يصعد فلطم على وجهه ورأسه ولما انقطع من مولاه يأسه رجع العبد إلى مولاه جذيمة وأخبره بما جرى من تلك الأحوال الذميمة فعظم عليه ذلك الأمر ولطم على رأسه من أجل ولده عمرو وكثرت فى الحى الصياح وزاد البكاء والنواح واشتد الأمر وكثر البكاء والتعداد وركب الملك جذيمة فى نفر قليل من قومه ومن له من الأولاد وقصدوا الغدير وفتشوا فلم يجدوا سوى الأرض وتلك الوهاد فعاد إلى الخيام وقد ساءت منهم الأحوال وقام هو وأولاده على ذلك الحال مدة أيام وليال وبعد ذلك أراد الملك جذيمة أن يفرج عن قلبه ما نزل به من الغصص فركب هو وأولاده إلى الصيد والقنص وأوسع فى البر لأجل انتهاز الفرص فبينما هو سائر على تلك الحالة إذا لاحت بينه وبين الكثبان غزالة تجد وراءها الطالب وأوسع وأوسعت هى قدامه فى الهرب ولم يزل يجد فى طلبها وهو تابع أثرها حتى وصلت إلى غابة كثيرة الأشجار وأرضها كثيرة المياه والأنهار فدخلت الغزالة فى تلك الغابة وهى ما نزل بها مرتابة فدخل الملك بين الأشجار خلفها بالعجلة وظن أنه ينال منها ما أمله (قال الراوى) فبينما هو يشق بين الأشجار فى ذلك المكان إذ لاح له شخص آدمى إلا أنه عريان فولى الملك جذيمة منه هاربا وخرج ذلك الانسان إلى خارج الوادى ووراءه طالبا وكلما جد وراءه فى الجريان يظن جذيمة أنه عفريت أو شيطان فبينما هما كذلك وإذا بذلك الشخص

ناداه بعدما حاذاه وقرب منه وقال أيها الملك قم ولا تخف من أمرى فأنا والله ولدك عمرو فعند ذلك فرح به وضمه إلى صدره وسلم عليه وقال له يا ولدى ما الذى أصابك حتى أنك فارقت أخوتك وأصحابك وما الذى أتى بك إلى ذلك المكان وأنت هكذا عريان وقد بكت عليه الأهل والجيران (قال الراوى) فأخبروه حين نزل فى الغدير على يد شيطان وقد حمله إلى أقصى ذلك المكان ولما تخلص منه عاد إلى ما رآه من المكان قال الراوى فعند ذلك خلع عليه بعض ما كان عليه وألبسه إياه ورجع إلى أصحابه بعد ما أردفه وراءه وأعلمهم بما جرى له فى الغدير ففرحوا به وبرؤيته ثم أنهم عادوا به إلى الأحياء والأبيات وقد وقع فى الحى بقدوم الملك وولده عمرو المسرات وعلت من القبيلة الأصوات فى سائر الأوقات وكثرت الأفراح والمسرات وعادوا إلى ما كانوا عليه من الأفراح واللعب والصياح وراق لهم الزمان ومنعت عنهم طوارق الحدثان ودانت العرب إلى جذيمة فى كل واد وحملوا له الخراج ولم يبق أحد إلا أطاعه وأجاب إلى أمره وكانت ملكة بنى الريان يقال لها الرباب ملكة عظيمة الشأن قوية السلطان ولها جند وأعوان وخدم كثيرون وغلمان وكانت قد مارست الأقران وقهرت الفرسان فى ذلك الزمان وكان قومها أشجع العربان وهم كما قدمنا يقال لهم بنو الريان وهم أبطال وأقران (قال الراوى) فلما علم بنو الريان أن الملك جذيمة قد طال عليهم واستطال على جميع العرب وقد حملت اليه الملوك الخراج والعداد من كل حى وواد وقادوا اليه الخيل الجياد والنوق والجمال فقالوا نحن لا نطيع أحدا ولا نعطى أحدا عقالا ومن طالبنا بشيء من ذلك فماله عندنا إلا الحرب والقتال قال فلما بلغ جذيمة ذلك المقال ففى الحال جمع العساكر والاجناد وأتته العرب من كل شعب وواد وسار طالبا ديار بنى الريان وملكتهم الرباب حتى أنه يجازيهم على مقالهم وينزل بهم الفناء والعقاب ويترك أموالهم غنيمة للعربان وسار بعسكره وهم يجدون فى سيرهم الليل والنهار وجذيمة فى ذلك العسكر الجرار حتى وصل إلى بنى الريان فى تلك العساكر وأشرقت عليهم تلك الغبائر وقد ضربت فيهم بوادره فوقع فى بنى الريان النفير وفروا من سائر المواضع وأقبلوا مثل الغمام الطالع وقد ارتجت منهم الجبال وأقبلوا كأنهم السيل السائل وهم فى عساكر وجنود ليس لهم حد محدود لأنهم خلق كثير لاسيما وقد فيهم النفير (قال) وكانت هذه القبيلة كثيرة غير قليلة وما فى قبائل العرب قدر هذه القبيلة ولا أشجع من أهلها ومع ذلك قد انضاف اليها خلق كثير من غير أهلها لأنهم كانوا يقصدونها وينزلون حولها وقد ملكوا تلك الشعاب والهضاب ليجتمعوا بتلك القبيلة وملكتهم الرباب لما شاع لها من الحرمة والهيبة وعلو الجناب

وكانت تلك الارض واسعة ومياهها من بعضها قريبة نابعة قال الأأن العساكر لما نزلت وقر بها القرار وصار بعضها لبعض فى الانتظار استدعت الملكة الرباب برجل من قومها جليل القدر والمقدار وبنى عمها والاقارب والانصار وقالت له أريد أن تمضى يا بن العم إلى هؤلاء القادمين وتبصر ماهم عليه عازمون وإلى أى القبائل ينسبون وما يريدون حتى وصل إلى المعسكر المأمور بالوصول اليهم ولما وصل إلى أول العساكر قاموا اليه قال وما قصدكم ومن يقال لكم فقالوا له ويلك لاأم الك نحن بنو عبس وعدنان وملكنا جذيمة ملك هذا الزمان وقد أتينا نخرب أطلالكم وننهب أموالكم ونسبي نساءكم



رسول الرباب بين يدى الملك جذيمة

وأولادكم فقال الرسول ياقوم ارشدونى ودلونى عليه حتى أنى أكلمه بما

جئت فيه اليه فبعد ذلك ساروا بين يديه حتى أوصلوه إلى الملك جذيمة فقبل الأرض وسأله عن حاله والسبب الذى أزعجه من اطلاله فاعلمه الملك جذيمة بما تقدم ذكره وانه أتى يقتل الرجال وينهب الأموال فقال الرسول أيها الملك ولماذا تريد أن تفعل بنا هذه الفعال فقال الملك جذيمة أفعل ذلك بكم لأجل عصيانكم على وكلامكم الذى أوصلتموه إلى أن سائر العرب دخلت تحت طاعتى ولبت دعوتى وحملت إلى الخراج والعداد إلا أنتم يا أوغاد فقد بلغنى ما أنتم عليه من العصيان وما قالت لكم ملكتكم من الارهاب والارعاد وما كنت بالذى أحل عليكم وأنتم على غير استعداد وإلا كنت أمرت العساكر التى أتت معى فى عدد الجراد تحمل عليكم وتفترسكم فارجع إلى الذى أرسلتك وبلغها ما قلت لك فعند ذلك عاد الرسول بذلك الجواب حتى وصل إلى ملكتهم الرباب وأعاد عليها كل ما سمعه من الخطاب فقالت له ارجع اليه وبلغ كلامى اليه وقل له يبرز إلى الميدان لأجول أنا وإياه فى معترك الجولان فان قهرنى دخلت تحت طاعته وإن أنا قهرته مننت عليه بروحه وأخذت فرسه ونكون بهذه الفعال قد سلمنا جميع الرجال وأرحنا القبائل من الحرب والقتال وسلموا من الهلاك والوبال وكل منهم يعود إلى دياره والأطلال إذا انقضت الاشغال فعند ذلك رجع الرسول بذلك الخطاب إلى الملك جذيمة وأخبره بما قالت الرباب فزاد به الغيظ وقال له ارجع لا أم لك وركب فى ساعة الحال وطلب الميدان وجال وصال حتى رمقه الفرسان وبعد ذلك طلب الطعن والضراب فبرزت اليه الملكة الرباب وهى على جواد من لون الغراب وجالت معه فى الميدان حتى حيرت جميع الأبطال والعربان وأخذا فى الكر والفر وكان ذلك الجواد قوى الأعصاب من خيول الملوك الكبار وقد زاد بينهما الهزل والجد والأخذ والرد والماحكة والمعاركة والمقايضة والمشابكة وقد شخصت لهما الأعين بالاحداق وامتدت اليهما الاعناق وقام الحرب بينهما على قدم وساق وجرى بينهما الالتصاق والافتراق وكان فى الحرب ما لا يطاق (قال الراوى) وقد نظرت اليهما كل عين وتعجب مما جرى من قتالهما كل من فى الفريقين وقد عولا على الحملة بعضهما على بعض فى تلك الفلاة والأرض ولا يزالا على ذلك الحال ساعة من النهار وبعد ذلك اختلفت بينهما طعنتان واصلتان قاطعتان ماحقتان إلا أن الملك جذيمة كان بالطعنة سابق لأنه كان رأى من الملكة الرباب الأهوال والبوائق فلهذا كان بالطعنة سابقا ولما أن رأت الملكة إلى طعنته وأنها إلى صدرها واصلة وفيها العطب فانقلبت فى الحال عن الجواد وصارت لجوادها لبب فعندما مرت الطعنة خائبة بعد أن كانت صائبة ورجعت

إلى ظهر جوادها وهجمت على خصمها ومالت عليه وضايقته ومارغته وراغته وتمطت



فى كعوب رمحها وهجمت على خصمها وطعنته فى صدره فطلع السنان يلمع من ظهره فمال على جواده وقد عدم صلاحه وانقسم ظهره وانهد أساسه فوقع الأرض مخمودة أنفاسه ولما أن رأت عساكره إلى ذلك الحال حملت العرب بعضها على بعض وارتجت من ركض خيولهم تلك الأرض وعمل السيوف القرضاب وتقطعت منهم الرقاب واشتدت الأمور الصعاب وتخضبت الكفوف وطارت القحوف وولى الجبان المخوف وحان بينهم الحين وحمى الوجل وثار القسطل وضاقت بهم الحيل وعملت السيف الرقاق أوفى عمل الأمر عظيما والخطب جسيما وقد رأت بنو عبس الأهوال وزادت عليهم الحال وخرجت عن حد القياس ولا طاقة لهم بما اجتمع عليهم من تلك الخلائق والناس فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وطلبوا ديارهم والأوطان من خوف الهلاك ووقوع الحدثان لأن تلك الأرض امتلأت خيلا ورجالا فانهزموا خوفا من دنو الآجال (قال الراوى) ولم يزالوا فى تلك الهزيمة والانكسار إلى أن أشرفوا على الاطلال والديار فعند ذلك ندبت النوادب وكثرت المصائب وصار اللطم يعمل فى البيوت على الأبواب من كل جانب وذهلت الخيول وشقت الأثواب وكثر البكاء والانتحاب ولم يزلوا على ذلك العمل والحال وهم فى بكاء وندب وأعوال مدة سبعة أيام وليال (قال الاصمعى) لمصنف لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب ثم بعد ذلك جلس

عمرو وموضع أبيه جذيمة وأتت العرب من جميع الوديان والفيافى والقفار تعزيه فى أبيه وبالملك تهنيه إلا أنه ما أقام فى الملك إلا أياما قلائل ومات فلما مضى وانقضى تولى مكانه أخوه زهير لأنه كان طريده فى العمر إلا أنه كان فارسا فلما جلس مكان أخيه أظهر الهيبة وعلا فى القبائل ذكره وأطاعته جميع العرب وفرحت بنو عبس بهيبته وتسارعت الفرسان والملوك إلى خدمته وطاعته وخلع ووهب وفرق الفضة والذهب وأكرم من أتى إليه من الكبراء وأحسن إلى السادات والأمراء إلا أنه يا سادات لما استقر فى مملكته وعلم أنه اشتدت هيبته وثبتت قواعد سلطنته أراد أن يأخذ ثاره ويمحو عنه عاره فجمع جنده وأنصاره وأرسل إلى من يقاربه ومن كان من خلفائه من ملوك العرب وصار يحث على



الملك زهير وقواد مملكته

أخذ ثار أبيه فى الطلب فلم تسكن إلا أيام قلائل حتى قدمت عليه الفرسان والجحافل وأقبلت من الشعاب والجبال وتسارعت إليه كأنها البحر العجاج فعند ذلك تهيأ ووهب وفرق الفضة والذهب ولما أنجز حاله وانقضت أشغاله صار طالبا ديار بنى الريان بما قد جمع من العربان ليأخذ الثار من ملكتهم الرباب ولم يزل سائرا قدام العساكر يقطع المياه والمناهل ويكثر من السير المتواصل حتى وصل إلى حى بنى الريان بتلك الجموع التى كأنها البحر العجاج وعند وصولهم إليه زعقت فى بنى الريان فاجتمعت من كل جانب ومكان وأقبل من الشعاب

والجبال وقد خافوا على الحريم والعيال وأتوا طالبين الحرب والقتال إلا أنهم لما قدموا لم يمهلوا بل حملوا على بنى عبس وكان قد داخلهم الطمع قال فحملت الطائفتان وحان الحين وزعق غراب البين وعلا الصياح واشتد الكفاح وتطاعنوا بالرماح وثبت كل فارس جحجاح لو جرى الدم وساح وصبرت الكرام وفرت اللئام وتناهلوا بكاسات الحمام واختلطت الرجال بالرجال والأبطال بأبطال وصدم الملك زهير الملكة الرباب فى حومة الميدان صدمة تهد شوامخ الجبال وكر عليها فى المجال وصاح يا لثارات الملك جذيمة ثم انهما تقاتلا قتالا شديداً فسطا عليها زهير سطوة جبار عنيد وطعنها طعنة شاذبين ثدييها فطلع الرمح من بين كتفيها ونادى يا آل عبس يا آل عدنان أنا أخذت ثارى وكشفت عارى فلما رأوا بنى الريان ذلك انحلت عزائمهم وبنو عبس عليهم هاجمة وعلى فنائهم عازمة فولوا اقدامهم وركب بنو عبس ظهورهم وأفنوهم بالصارم البتار وفرقهم فى جهات البر والقفار (قال الراوى) ثم أنهم عدلوا إلى خيامهم فملكوها وحازوا أموالهم ونهبوها ثم أن الملك زهير عاد إلى الديار وهو فرحان ولم يزالوا سائرين فى البرارى والقفار حتى وصلوا إلى الديار فعند ذلك فرق الغنائم على جماعته وأرباب دولته وتفطرت قلوب أعدائه وأعطى الغنى والفقير والغلام والأمير فأحبوه محبة عظيمة لأنه فعل فعلا ما فعله أبوه جذيمة وأقام بعد ذلك يشن الغارات ويقتل السادات وينهب ما لحقه من الأموال ويسفك دماء الرجال الجهال وجميع العربان والأبطال وعلا شأنه وقوى عزمه وسلطانه قال الناقل لهذه الأقوال يا أهل الذوق والعرفان وهو المصنف لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على خير الأنام وقد كانت العرب فى ذلك الزمان تحج إلى بيت الله الحرام وزمزم والمقام فى شهر رجب الحرام وكانت توقره تشريفاً له واحترام وكذلك تفعل فى شهر ذى القعدة وذى الحجة وهى الأشهر الحرام فكانت العرب فى شهر ذى القعدة تقعد عن القتال وما سمى ذى القعدة إلا لهذه الفعال وأما ذى الحجة فما سمى بهذا الإسم إلا لاجل أنهم كانوا يحجون فيه البيت الحرام ويعظمونه فى كل عام من عهد أبينا آدم عليه السلام إلى ظهور الإسلام وكان من تعظم العرب لهذه الأشهر المباركة ولا سيما شهر رجب لأنه الشهر الأصب الذى تصب فيه الرحمة وقيل الأصم لانه كانت تصم فيه آذان العرب عن طنين السلاح ولا أحد منهم يحمل سلاحا تعظيما لهذا الشهر وكان أحدهم يلتقى مع قاتل أبيه أو أخيه فلا يقاتله ولا يتعرض له بسوء وكانوا يرفعون أسنة الرماح من رماحهم وينزعون السيوف من أعناقهم فإذا مضت الأشهر الحرام أعادوا أسنة الرماح ولبسوا الحديد

والسلاح وماسمى شهر صفر إلا لمعانيه وكان الحرب والشر بين العرب يصفر فيه فهذا ما يتعلق بالأشهر الحرم ومعانيها وهى التى كانت العرب تحترمها وتتقيها قال وأما كان من الملك زهير وما كان له من الأسباب فإنه لما أخذ ثاره من الملكة الرباب واستقر فى ملكه ودانت له الأباعد والأصحاب وأقبلت تلك الأشهر الحرم طلب الحج إلى بيت الله الحرام فاخذ معه إخوته والأكابر من أهل دولته ولما وصل إلى مكة شرفها الله ونظر ما يفعله الحجاج فى يوم وقوف عرفة وكيفية الطواف بالكعبة وتقبيل الحجر الأسود وتعظيم الصفا والمروة فعند ذلك حج وتعبد (قال الناقل) فاعجبه ذلك الفعل كله وأراد أن يكون له مثله لأنه جبار من الجبابرة ونظر إلى نفسه وقد أطاعه العربان بالبادية والحاضرة فلما قضى حجه وعاد إلى دياره وصل اليها وقربها قراره وجلس على كرسى مملكته استدعى بأكابر قومه ودولته وقال يابنى عمى ومن بهم يفرج همى وغمى إنى جمعتكم لأشاوركم فى حال من الأحوال فاشيروا على برأيكم الذى فيه الصلاح وذلك أنى عزمت على أن ابنى فى العالم السعدى وأرض الشربة بيتا يكون بناؤه على صفة البيت وأسميه البيت الحرام وآمر الناس أن تحج إليه فى كل عام وأبنى بجانبه بيتا للضيفان يشبع فيه الجيعان ويروى فيه الظمآن ويحصل للخائف فيه الأمان ولا يصاد من حوله وحش ولا غزلان ولا يسفك فيه دم إنسان ومن خالف أمرى أو عصانى من قاص أو دان قحطانيا كان أو عدنانيا نزلت به المصائب وعذبته بأشد المعاطب وجعلت لحمه للطيور من هذا الأسباب لتشيروا على بما فيه من الصواب قال أن بنى عبس لما سمعوه بمقاله ما منهم أحد إلا وقد تفكر فى هذا الأمر وأحواله ولم يجبه أحد منهم بكلام وقد صار كل واحد منهم كأنه ألجم بلجام فعند ذلك نهض من بينهم شيخ كبير قد حنكته التجارب وهذبته الليالى والأيام وكان قد قرأ كتب القدماء وعرف مقالات أهل الفضل والعلماء التى تدل على توحيد رب العالمين ثم أنه وثب قائما على قدميه وأشار إلى الملك زهير بيده وقال له استمع مقالى أيها الملك الآتى والأسد الكمى فانى أشير عليك بما فيه الصواب والنجاح والصلاح وبما فيه التوفيق إلى طريق الرشاد والفلاح فدع عنك هذا الأمر الذى قد خطر ببالك ولا تركب مطية البغى بأعمالك اعلم أن هذا البيت للرب القديم وفيه مقام أبينا الخليل ابراهيم وتلك المواقف العظام والصفة والمشعر الحرام وقد جعلها الله لخلقه حمى وأما ناعظيما مكرما من رب السماء والأرض العليم الخبير بما فى طولها والعرض وهو الذى أمر ببنائها فى ذلك المكان وأمرنا على لسان أبينا الخليل ابراهيم أن تحجه الناس على مدى الأيام والدهور والأزمان واعلم أيها الملك أنك متى عارضت قدرته وطلبت أنك تهدم كعبته حطمك وقصمك وأزال عنك نعمته وتعلقت

ياهلا كانه قدرته ومن أين يكون بيتك الذى تبنيه للضيفان يسع ستمائة ألف إنسان ولا يضيق بهم المكان فالصواب البعد عن هذا الأمر أيها الملك العظيم الشأن لأنك لا تقدر على ماشرحته لك من الأمر والشأن فان هذه الأمور التى ذكرتها لك ماهى إلا اقدرة باهرة وآيات بينات ظاهرة فكن أيها الملك متجنبا لما حدثتك به نفسك الغادرة بحديث الماضيين من الجبابرة الذين أصبحوا بأعمالهم مرهونين فى الغابرة ومنازلهم بعدهم خربة دائرة فارجع أيها الملك عن هذا الحال ولا تفعل ماخطر ببالك من هذه الأمور الثقال فانى قد نصحتك فى المقال خوفا عليك أن يحل بك الوبال والنكال (قال صاحب الحديث والمقال) ثم أن الملك زهير آلما سمع من الشيخ ذلك المقال وما أشار إليه ارتدوعاد عما كان قدعزم عليه وقال له سادات قومه وأبطال عشيرته مثل الأمير شداد بن قراد ومن جماتهم أخوته مالك وزخما الجواد وكذلك الأمير الربيع بن زياد وأخوته وأهل عشيرته وقالوا كلهم أيها الملك المهاب والأسد الوثاب اسمع من هذا الرجل مابه عليك قد أشاروا تبع سنة العرب الأخيار وإن كنت قصدت بهذا الأمر العلو والافتخار فانك اليوم أعلى الملوك فخارا وقدها نارا وأوفرها أنصارا وأكرمها القصاد والضيفان قرارا وعدوك يخشى منك الهلاك والدمار وما رأيناك رددت سائلا ولا منعت قائلا يهتدى إلى بيتك الوارد والطارق ويقصدوا لك حتى فى ظلام الليل الغاسق وأجفانك ملآنة للقادم والمارق ولسانك منصق وفيما تقوله صادق فلما سمع الملك زهير كلام تلك السادات الأجواد وهم آل عبس وبنو قراد وبنو ازياد انثنى عزمه عما كان قد عزم عليه وعاد عما أراد وسمع تلك الأقوال السداد من مثل تلك السادات الامجاد لأن هؤلاء الذين ذكرناهم كانوا سادات قبيلته وأماجد عشيرته وهم الذين كان يعتمد عليهم عند شدته وهم فرسان قبيلته وأصحاب الحرب والجلاد ومالهم همة غير ركوب الخيل الجياد والغارات على أصحاب الحلل والبلاد وكانت تهابهم ملوك الزمان وتفزع منهم الفرسان وآل قحطان وعدنان وبنو اشيبان قال وأقام الملك زهير على ذلك الأمر والشأن أياما وليالى إلى أن كان يوم من بعض الأيام طلبت نفسه الوصال لربات الحجال واشتهى له امرأة ذات حسن وجمال وأن تكون من أصحاب الانساب والأجناب ثم أنه جعل يسأل ويستخبر (قال الراوى) فما زال يبحث إلى أن سمع برجل من العرب ذى بأس شديد وكان فارسا صنديدا وكان سيدا من السادات وهماما من القادات وله بنت تسمى تماضر ماشاهد أحد مثلها فى البوادى والحواضر وهى فائقة فى الجمال مائسة بالدلال إلا أنها باغضة للرجال . كان أبوها بها ضنين وهو عرق لا يلين وأى شخص خطبها من الرجال أو من الأعراب يذكر أنه ليس له بنت خلاف حجاب وقد ردعنها جميع الخطاب والطلاب فلما سمع عنها الملك زهير ذلك المقال

الاشتياق إليها مثل ما يشتاق العطشان إلى الماء الزلال وتمنى أن ينال منها وأن يحظى منها بالوصال وقد هام بحبها على الصفة ولم يحقق منها معرفة كما أشار بعضهم لهذا المعنى حيث يقول صلوا على سيدنا محمد النبي الرسول :

يامن كلفت به عشقا ولم أره   والعشق للقلب ليس العشق للبصر
سمعت أوصافك الحسنى فهمت بها   فكيف أن نلت ذاك الحسن بالنظر

(قال الراوي) ثم أن الملك زهير من عظم فطنته وذكاوته ما أرسل يطلبها ولا بعث أحدا من عنده له يخطبها لأنه علم أن أباها لا يقر له بها بل صار يهدى إلى أبيها الهدايا ولم يزل كذلك حتى صار من أصحابه وملكه باحسانه واحتوى على عقله ولما علم ذلك منه أنفذ إليه يقول ألا تأتي عندي وتنظر أبطالي وجندي لأنه ما بقي لي عنك صبر أبدا ونتفق أنا وأنت على المحبة ومازال معه على تلك الصداقة والمودة والصحبة حتى نقله من بلاده إلى العلم السعدي وحكمه في مراعيه ولا بقي يأكل ولا يشرب إلا معه هذا وقد زادت به النيران وألهبه العشق والغرام وزاد عليه ألم الكتمان ومن عزة نفسه مع زيادة بلباله لم يظهر أحد على أحواله ولا شكا إلى أحد من الخلان بل كان يتسلى بشرب خمر الدنان ويبيت ليله سهران وإذا زاد به القلق وجن عليه الظلام ينشد الأشعار ومن جملة ما قال هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

ترى هل لليل من آخر * ترى هل لعشق من ناصر * أبيت أقاسي كروب الهوى
ونار اشتياقي إلى باهر * وأخفي هو الحب في باطني * دليلا يترجم عن ناظري
سأصبر حتى أنال المنى   وتحمده عاقبة الصابر
وأكتم وجدي وشوقي   ولا أظهر الحب في خاطري

(قال الراوي) وكان من جملة حلفائه قوم يقال لهم بنو غراب وهم تحت طاعته ونازلون قريبا من حلته ولما أعيته الحيل فيما يعمل أرسل إلى بني غراب سرا مع بعض أصحابهم وقال لهم غيروا على جيراني واسروهم ولا تقتلوهم وطاوهم فإذا رأيتموني قد أشرفت عليكم وقدمت لديكم وأتيت في بني عبس أنجدهم فعودوا وارجعوا عنهم قال وما فعل زهير هذه الفعلة إلا لأجل أن يشاهد تماضر عند سبيها ويعلم أبوها أنه قد نظرها وإذا خطبها منه لا ينكرها فلما وصلت تلك الرسالة إلى بني غراب ركبوا خمسمائة فارس أنجاد وساروا على خيول سوابق وصبحوا القوم عند الصباح فأخذوا أموالهم وسبوا عيالهم ووقفوا يطاولونهم في القتال وكانوا في انتظار أخبارهم فادركهم بنو عبس وفي أوائلهم الملك زهير فلحقهم وهم يمانعون أنفسهم . هذا والبنات على أبواب البيوت متهتكات وللشعور ناشرات وتماضر على

باب خبائها كأنها الشمس وقت ضحاها وقد نشرت ذوائب مثل الغسق وجبينها بالأنوار أشرق وخد ودها من اللطم كالورد إذا تمحق ودموعها على وجناتها تتدفق فلما نظر الملك زهير إلى ذلك الجمال زاد بلباله فحملت الفرسان والأبطال وهجموا على بنى غراب وهم كأنهم أسود الغاب فولوا اقدامهم طالبين الذهاب وعاد الملك زهير إلى المضارب والقباب ورد النساء والبنات الأتراب بعد ما هتكن وراء الستور والحجاب ثم أمر الربيع بن زياد أن يستر تماضر برداء ففعل ما أمره به واشتهاه ولم تكن غير ساعة حتى انكشف الغبار وطلبت بنو غراب الحرب والفرار وعادت بنو عبس عنهم ومعهم ثلاثون أسيراً منهم بعد ما خلصوا المال وأطلقوا الاسارى من العقال وأتوا بأسارى بنى غراب فقال الملك زهير امضوا بهؤلاء إلى الحلة حتى أريكم ما أفعل فيهم وسوف أوقع عذابى لكونهم تعرضوا لجيرانى ثم قال عجلوا بالطعام والشراب حتى أقيم نهارى مع هؤلاء السادات الانجاب ثم استدعى برجل من بنى عبس وأسر له شيئاً من الخطاب وكان من جملة ما قال له إذا بعدتم عن المضارب والقباب فاطلقوا أسارى بنى غراب (قال الراوى) واعتنق أبى تماضر وطيب قلبه وهناه بالسلامة من الغلبة والقهر وخلاصه من المذلة والاسر هذا والعبيد قد تبادروا وأسرعوا وبسطوا الزرابى والبسط فى الحال وأتوا بالطعام الذى لهصنعوا فلم تكن إلا ساعة حتى تبدلت الأتراح بالأفراح وقدم لهم الطعام والراح ولما دارت بينهم الاقداح كثر بينهم البسط والانشراح وقد نهل القوم من خندريسهم وتمكنت الخمرة من رؤوسهم فعند ذلك أخذ الملك زهير فى مدح الشريد أبى تماضر وأثنى عليه الثناء الجميل ولم يزل يمدحه حتى فاضت الدموع من عينيه ولعبت الخمرة بعطفيه فوقف قائماً على قدميه وقال أشهدوا على يا سادات العرب ويا أصحاب الحسب والنسب أنى عبد لهذا الملك زهير وأنا قد أصبحت مملوكه وخادمه ولسانى عاجز عن بعض وصف مكارمه وما أعطانى الرب القديم شيئاً أتحف به على ما أولانى من الجود والمفاخر إلا ابنتى تماضر الذى منعت عنها الخطاب ورددت عنها الطلاب وحجبتها عن الملوك وعن كل غنى وصعلوك وأنا أسألكم أيها السادات الحاضرون أن تسألوه أن يقبلها منى جارية وأنا مملوكه فقالوا أيها السيد إنك قد نظرت موضع النظر وقضيت لهذا الملك الوطر وأهديت الدرة لمن يعرف قدرها ويعلى على بنات العرب مهرها ونحن نسأل الملك أن يقبلها ويترك لها جوارى فى منزلها قال فقام الملك زهير على قدميه بعد أن علم أنه يبلغ مرامه وأخفى جواه بعد أن بلغ مناه من كان يريده ويهواه وأخذ بيد الرجل إلى ما إليه دعاه وقال أيها السيد المهاب قد رضيت أن نتساوى فى الأحساب والأنساب وأن تكون عندنا من أجل الأصحاب وفى تلك الساعة ضربت قبة

الزفاف وتم الأمر وما بقى خلاف وما ارخى الظلام أذياله حتى أقبلت الجارية على الملك زهير وكان قدومها عليه فى ذلك الأوان أحلى من العافية إذا أقبلت على سقيم الأبدان لأنه عاين شمسا على قضيب خيزران وورد جورى على خدود إنسان وقد أصبح شاكر الزمان ثم إنه خلع ووهب وفرق الفضة والذهب وأقام عند القوم فى الخيام سبعة أيام وبعد ذلك انتقل إلى خيامه وجدد الولائم والدعوات وذبح لقومه الأغنام والإبل مدة عشرة أيام تمام هذا والملك زهير قد نال مناه وحصل ما كان يتمناه وراقت له الأيام وحظى بجارية تفوق بدر التمام ومن كثرة عجبه بنفسه وكيف أخذها بالتكبر والبطر حدث زوجته فى بعض الليالى بما فعل ودبر وكيف أخذها بعد امتناع أبيها بلا مهر فلما سمعت مقاله نفر قلبها من فعاله وكانت امرأة عاقلة وفى أمورها غير جاهلة فما كلمته حتى صحا من الخمر فأخذ يلاعبها ويضمها إلى صدره فردت يده اليه وقالت له أما تستحى من ذلك الفعال وأنت تدعى الرياسة والأفضال وتأخذ بنات الرجال بالمحال وتبخل عليهم بعطية المال فصعب عليه ذلك المقال وقال لها ويلك أنا ما بخلت عليك بالمال ولا فعلت إلا أفعال الرجال لأن أباك تجبر على الخطاب فما كان له عندى غير هذا الجواب ولو علمت أنى لو أخطبك منه بعطيك حتى أمهرك فقالت له يا ملك أنت تقول أنك فعلت هذه الفعال وملكت ناصيتى بالمكر والاحيال فأبى أكثر منك شطارة ومكرا ورجال (قال الراوى) فلما سمع زهير ذلك الكلام أخذه القلق وزاد به الخنق وجلس فى فراشه بعد ما كان راقدو الشمعة منيرة عليه ودارت فى أم رأسه مقل عينيه قال لها يا بنت اللئام ما الذى رأيتيه من عجزى وو هنى حتى تقولى أن أباك أشطر منى فقالت له ياسيدى لا يصعب عليك وانظر ما بين يديك وأعلم أن من أطلق لسانه فى الخطاب صعب عليه رد الجواب ومن أحتقر بالرجال دخل عليه المحال وأعلم أن أختى التى رأيتها فى الحسن والجمال ما بلغت منها الآمال ولا حظيت منها بالوصال وهى أحسن من شمس النهار وإنى لا أصلح أن أكون لها خادمة للنعل لأنه لم يكن على وجه الأرض مثلها ولا فى بنات العرب شكلها ولما غمرت أبى باحسانك عليه الحياء منك فأهدانى وأختى اسمها تماضر وهى تدهش برؤيتها كل ناظر ويحير من وصفها كل خاطر وأما أنا فاسمى خداع وبينى وبينها تفاوت فى الحسن والارتفاع ولو أن الأمر قد انقضى ما كنت حدثتك بشىء مما مضى قال فلما سمع الملك زهير منها ذلك الكلام مع اللوم نفر من عينيه النوم ولا بقى يعرف ما بين يديه من القوم فقال لها أتصدقين فى هذه المقالات قالت نعم ورب السموات وإن لم تعتقد صحتها فارسل بعض العجائز المحتالات وقل لها تنظر لك أختى من وراء الحجاب فيظهر لك الصدق من الجواب فقال لها إذا كان الأمر

الأمر على م قد صار فلا تنظر الى الإسائلة ما لها مقدار أرسائل يدور بين البيوت أو حدار فقالت له نعم لأن الحدار ماله عند بنات العرب مقدار ولا تستحى منه الجوار ولا البنات الابكار فقال بحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذى يعطى بلا طلب وأمره على كل العباد غلب لا بد أن أتسبب فى هذا الأمر بكل سبب ولما أصبح الصباح وظهر قال لخدامه بعد ماوقف قائما على أقدامه من طلب اليوم على الدخول فقولوا له ما لك إليه وصول لأنه أصبح اليوم متوعكا من شرب العقار ويريد أن يأخذ له راحة فى هذا النهار فلما أتت أرباب دولته إلى خدمته أخبروهم بمقالته فرجع كل منهم إلى منزله وأقام الملك زهير يدبر ما كان عليه من أمره وقصته فخلع ما كان عليه من لبس الملوك ولبس لبس صعلوك واخذ حقيبة ملآنة من العطر والطيب ثم إنه خرج من خلف الحجاب مشدود الوسط حافى الأقدام وفى رأسه عمامة كأنها جرن حمام وقد هرول فى مشيته وضيق اللثام ولما بعد عن المضارب تفكر فيماذا يفعل وما يترتب عليه من ذلك العمل وما الذى يدبر من الحيل فجعل يتمثل بهذه الأبيات يقول ونحن وأنتم نصلى على سيدنا محمد النبى الرسول .

إذا ما ادعيت العشق عانى أموره　　بنفسك لا تأمن على السر صاحبا
ولا تدعى فى العشق بأسا وسطوة　　يسموك بين الناس فى العشق كاذبا
ودار الهوى خوف الوشاة ولا　　تكن جزوعا إذا كان الحبيب مجانبا



(قال) فهذا ما كان أمر الملك زهير وأما ما كان من زوجته تماضر فانه لما خرج الملك من عندها قامت من ساعتها ولبست الرجال وتعممت وخرجت من بيت بعلها وطلبت

خيام أبيها وهرولت فى مشيها حتى دخلت إلى بيت أبيها وأحضرته عنده او احضرت أخاها واخبرتهما بما سمعت من بعلها وما قال وبما أخبرها فى ذلك الحال أنه ما أخذها منهم إلا بالمكر والخداع وأعلمتها بما دبرت من الاحتيال قال فتعجبا من مكرها وكيف قدمت على تلك الاهوال فقال لها تريدين أن تدبرى فقالت تخرج أنت وأخى الساعة عنا وا كنوا قريبا منا واقعد أنا وأمى فى خبائنا النفيس وندعوه عندنا فإذا دخل والحقيبة على كتفه اخذناها منه واشغلناه بالحديث حتى تأتيا أنتم وتقبضا عليه حتى يوفى لكما بالمهر وإلا بقيت أنا وأنتم معيرة مدى الدهر فإذا عتب عليكما فقولا له هذه فى مقابلة مقالك وعثرة لسانك ومعيرتك لعيالك (قال) فاجابها إلى مقالها وقد امتلأت قلوبهما غيظا على الملك زهير من أجل هذا المقال لما سمعا أنه قال ما أخذها إلا بالمحال ثم أنهما اعتدا بالسيوف وكمنا فى مكان بحيث أنهما يشاهدانه ثم أن تماضر خلعت ثياب الرجال ولبست لبس النسوان ربات الحجال وضيقت البرقع على محاجر عينيها وملأت بالكحل جفنيها وقعدت تنتظر الملك زهيرا حتى يقدم عليها هذا وأمها تقول والله يا بنية كنا غنيين عن هذه الفضيحة كلها والصواب رحيلنا من أرض هذا الرجل وننزل على بعض الحلل ونبعد عن هذه المعاهد والطلل فقالت لها تماضر لا يهمك هذا الوجه وما يأتى من جانبه ولا تخافى من عواقبه (قال الراوى) فبينما تماضر مع أمها فى الكلام وإذا بالملك زهير وقد دخل بين الخيام يلوح بعينين كأنهما عيون الثعالب وهو ينظر إلى البيوت والمضارب فنادته أم تماضر وقالت له ادن منا يا حدار إن كان معك طيب اصلح للبنات الابكار قال معى طيب يصلح لكل خل وحبيب ثم تقدم إلى باب المضرب وفى قلبه نار كنار اللهب وحط الحقيبة عن كتفه ونظر زوجته هى وأمها وهن وقوف وهى تنظر إليه بعيون أحد من السيوف فقال لام الجارية أتريدين الطيب قالت نعم إنا كنا نستاهله يا وجه العرب فقال إلى وحق الملك القادر أنك رخيصة الأرواح والنواظر ولكن ما اسمها قالت اسمها تماضر فقال هل معك غيرها من البنات قالت نعم رزقت أخرى واسمها خداع وكان الملك زهير نظر هذه الجارية وطلب أن تكون له أهلا فارضينا أن يكون لها بعلا وكتمنا هذه الجارية لما فيها من الحسن والجمال لانا نريد أن نعطيها لبعض الملوك الثقال الكبار فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وقال فى نفسه وحق الإله المعبود إذا خرجت من هنا لا بد من قتل أبيها وأخيها وأخذ هذه الجارية ولا أترك فى قلبى غصة ثم أنه أراد أن يرضيهن بشىء من الطيب ويعود وإذا بالرجال هجموا عليه مثل الأسود ومسكوه وشدوا يديه إلى رجليه وقامت زوجته تماضر إليه وكشفت البرقع عن وجهها وقد اشتفى قلبها وخاطرها وقالت له أيها الملك كيف رأيت أعمالنا من أعمالك قال وكان الملك زهير لما مسكوه وقد آيس من

نفسه وأيقن بحلول رمسه ولما نظر إلى وجه زوجته وسمع مقالها عاشت روحه بعد ذهابها وقال لها ما الذى أحوجك إلى هذه الفعال فقالت له معيرتك لى وقولك أخذتك بالمكر والاحتيال ورب زمزم والحطيم لا أطلقك ولا أكون عنك بعيدة ولا ترانى الك ضجيعة إلا إن كنت تحلف لى برب البيت العظيم أنك إذا أطلقناك تسوق لأبى النوق والأغنام والجمال وتوفى المهر على التمام والكمال وإلا أبقيناك هكذا أبداً على هذا الحال (قال الراوى) فلما سمع مقالها تبسم وندم على مقاله وكيف عيرها وأعلمها باحتياله وقال لها أنا أعطيك خمسمائة ناقة وحليني من الاعتقال فقالت له أنها لا تساوى ساعة من ساعات الوصال فقال لها أزيد عليها مثلها من جمال فقالت له إنها قليلة فى ليلة من الليالى فقال لها إن أردت عدد الساعات والليالى تأخذى جميع نوقى وجمالى فتبسمت من مقاله وحلته من عقاله بعدما انفصل الحال على ألف من الجمال وعشرين رأسا من الخيول المسومة النوال وعشرين عبداً وعشرين أمة وحلف بعد ذلك برب البيت الحرام أنه يوفى بما قال من ذلك المرام وأقام عندهم حتى أظلم الظلام وبعد ذلك سار مع زوجته وأبوها وأخوها فى خدمته إلى أن قرب من البيوت والمضارب فعادوا عنه ودخل موانى بيته وقد زادت محبته فى زوجته قال الأصمعى وأبو عبيدة وأقامت معه حتى ولدت منه عشرة أولاد وكانوا كأنهم الآساد وكان أكبرهم شاس وقيس ونوفل والحارث ونهشل ومالك وجندل وخداش بعده وبعدهم ولدت بنتا واسمها المتجردة وكان فى ذلك الزمان وتلك الأيام المتعددة إذا ولدت امرأة عشرة غلمان سموها المنجبة ويشيع ذكرها بين العربان ويقولون أنجبت زوجة فلان . قال وكانت المتجردة بنت الملك زهير من أحسن بنات العرب وأوفاهن عقلا وأدب وكانت من المنجبات أيضاً شريحة إبنة وضاح وكان أبوها من أرباب الحرب والكفاح ترعى من بنى تميم السادات كان تزوج بها زياد بن عبد اللات لأنها كانت الأخرى ولدت عشرة أولاد ذكور وحديثهم فى هذه السيرة مشهور وهى الربيع وقيس الجواد وأنس والخفاف وعمارة الوهاب وغالب وطالب والدارك وعمرو والفتاك وكانوا أبطالا شداداً جلاداً أمجاداً وهم فى الحرب شداد رماحهم مداد وسيوفهم حداد معدين ليوم الحرب والطراد وكان بنو عبس وبنو زهير وبنو قراد وبنو زياد أصولا لهذه القبيلة الأمجاد إلا أن بنى قراد منهم شداد وأخوه مالك رزخمة الجواد كانوا ممن تشهد بوادرهم ولا تؤمن نوازلهم قال الراوى وأقام الملك زهير من الزمن وقد أطاعته ملوك العرب وحملت له الهدايا من كل حدب . هذا وبنو عبس مواظبون على شن الغارات وقتل الفرسان والسادات وحتى هابهم وخافهم جميع العربان وسكان الفلوات قال الراوى وعجب ما جرى فى هذه السيرة

العجيبة الامور المطربة الغريبة الفائقة إن فرقة الزائفة من بنى عبس وفرسانها قد افتقروا وقل مالهم وشمت حالهم ولم يبق عندهم شىء من كثرة الطارق عليهم والوارد من الضيفان إليهم فعزموا على الغزو والغارة ونهب أموال العربان كما جرت عاداتهم فى ذلك الزمان وكانوا عشرة فرسان ومن جملتهم الأمير شداد بن قراد المسمى بفارس جروة وحامى النسوة لأن فرسه اسمها جروة وكانت من الخيل الموصوفات الحسان فى ذلك الزمان وقد حسده عليها جميع العربان والفرسان وقد راسلته بسببها الملوك وهو لا يجد عنها سلوان ولا يقبل فيها ثمنا ولا رهان وكان دائماً يذكرها فى أشعاره فى كل الأوقات ومن جملة ما قال فيها هذه الأبيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات :

ألا لا تطلبوا فرسى ببيع　　جروة لا تباع ولا تعار
لأن لنا بها حصناً منيعاً　　وفى وثباتها عز وجار
ونغزوها إذا جاءت إلينا　　مع الرعيان تتبعها المهار
وندخرها لأيام الرزايا　　فتنجينا إذا طالع الغبار
جروة مهرة للخيل سادات　　كما فوق النظام علا النثار
تطير مع الرياح بغير ريش　　وتخشاها البرارى والقفار

قال الراوى وكان من جملة العشرة الأمير شداد ومالك ومعاوية وزخمة الجواد والحرث بن شماخ والعيسوب وعامر بن ناقد وعياض بن ناشت وزياد بن شاح وعاصم وهو باقى العشرة وهم من الفرسان من لا يجرى مجراهم فى الرهان المشهورين المعدودين فى الحرب والطعان ثم أنهم ساروا من أرض الشربة فى تلك الجماعة وهم غائصون فى الحديد متدرعون بالزرد النضيد وساروا حتى أبعدوا عن أرضهم ولم يحبوا الغارة بالقرب من دارهم وجدوا حتى قطعوا أرض بنى عدنان ودخلوا أرض بنى قحطان وجعلوا يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل فى الظلماء ومازالوا على ذلك الحال حتى أشرفوا على جبلين يقال لها أجا وسلمى فرأوا بينهما قبيلة عامرة وأموالها جزيلة غامرة ولها مضارب وخيام ورايات وأعلام وأكثر المضارب من الديباج الزيبقى ولها لمعان فى الشمس وارتهاج الحلة كأنها البحر العجاج المتلاطم الامواج من كثرة العبيد والغلمان والفرسان والشجعان والجوارى الحسان والخيول المختلفة الألوان وهى قبيلة جليلة وهى تسمى بنى جديلة وهم آمنون من ريب الزمان وتغيير الحدثان قال الراوى فلما رأى بنو عبس أحوالهم وكثرة خيلهم ورجالهم لم يجسروا على المسير إليهم وخافوا على أنفسهم من الهجوم عليهم فتركوهم وعادوا قاصدين مراعيهم فنظروا إلى ألف ناقة ترعى وقد أوسعت فى المرعى وأسنامها قد مالت من كثرة العشب والكلأ وهى سارحة فى تلك الأرض والفلا ومع تلك النوق أمة سوداء وهى قائمة ترعى فى تلك البقاع والمرعى وهذه الأمة عريضة الاكتاف غليظة الأطراف مائسة الأعطاف مائلة الأرداف مليحة الاعتدال كأنها غصن البان إذا مال

ونهدها مقمدو ثنايا ها مثل البرو خدودها كأنها برق يتوقدو مع تلك الأمة ولدان أطفال وهم يعينونها على رعى الجمال ويدورون حولها ذات اليمين وذات الشمال قال الاصمعى فلما أن نظرت بنو عبس إلى تلك النياق وجدوا إليها فى السباق وخطفوها وساقوها سوق الأرانب ولذعوها من كل جانب بأسنة الرماح والقواضب فجدت النياق فى خطاها وقد أوسعت فى



بنى عبس عائدين من غزو قبيلة بنى جديلة

مشيها ومسراها ومعها تلك الأمة والعبدان أولادها من وراءها بنو عبس فى أثرهم متأهبين للقاء من يتبعها من الفرسان أعداها إلا أنهم ما بعدوا عن الديار إلا القليل حتى طلع من خلفهم غبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار عن بريق زرد ولميع خوذ وخلائق مالكثرتها عدد هذا وخلف الغبار صياح الأبطال وهمهمة الأقيال فلم تكن إلا ساعة حتى أدركوهم وهم لهم طالبون ونادوا إلى أين يا كلاب العرب ونحن لكم فى الطلب فلقد سعيتم بأرواحكم إلى آجالكم دعوا ما معكم من الأموال واطلبوا الأرواحكم النجاة والفوات فقد وصل إليكم الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر ثم أنهم حملوا على بنى عبس حملة صادقة قال الراوى فلما نظرت العشرة من بنى عبس إلى ذلك الحال أعنوا خيولهم واعتدوا بنصولهم فلما وقعت العين على العين وتقابل كل من الفريقين انكبت بنو عبس رؤسها فى قرابيس سروجها وحملت مثل الشواهين واثبتوا الأسنة وعملت فيهم الأسنة فسال الدم وجرى ومدوا الفرسان على وجه الثرى وتركوهم لوحش البر فرائسا فعند ذلك عمل البتار وقدحت حوافر الخيل الشرار وعميت الأبصار وقلت الانصار ولحق الجبان الانبهار وحار وطلب الهرب والفرار وقصرت الأعمار وكشفت الأستار وباحت الأسرار وضاقت الأقطار ولم يزالوا على هذه الاخطار إلى نصف النهار قال الراوى هذا وبنو جديلة مع بنى عبس فى حرب وخصام وتجريع الموت إلى الزوال ولم ينالوا من بنى عبس منال وقد نفذ منهم المال وعدموا النياق والجمال وعولوا على الانفلال وقل

عزمهم وعجزوا عن لقاء خصمهم وتلف جمعهم فصاحت بنو عبس عليهم فولوا هاربين وطلبوا الديار والاطلال وما زالوا سائرين الى أن غابت عنهم الشمس وأمسى عليهم المسا فنزلوا على بعض الغدران لأجل الراحة فى ذلك البر والساحة ثم انهم أكلوا شيئا من الطعام هنالك وأرادوا المنام حتى يذهب الظلام قال الراوى فعند ذلك قد لاحت من الأمير



شداد التفاتة إلى تلك الأمة التى كانت تسوق النياق فجلت فى قلبه احتوت على سرائره

واليه إلى وصلها قد اشتاق وذلك لأجل ما رآى من نعومة أطرافها ولين أعطافها وحسن لونها وغنج عيونها وسحر جفونها وميل قدها وسماحة وجهها ولميع خدها وحلاوة لفظها وحسن شكلها لها عيون أحد من المنايا وبرق ثناها ألمع من المرايا ومبسمها عذب وقوامها معتدل كما وصف ذلك بعضهم حيث قال صلوا على سيدنا محمد ضامن الغزال :

وفى السحر معنى لو عرفت بيانه　　لما نظرت عيناك بيضا ولا سمرا
لباقة أعطاف وغنج لواحظ　　يعلمن هاروت الكهانة والسحرا
ولولا سواد الخال فى خد أبيض　　لما عرف العشاق يوما له قدرا
ولولا سواد المسك ما انباع غاليا　　ولولا سواد الليل ما اطلع الفجرا
ولولا سواد العين فيها لما زها　　محاجرها فى عين عاشقها جهرا

(قال الراوى) فلما نظر الأمير شداد بن قراد إلى ما فى هذه الأمة من الأوصاف زهت فى عينيه كما شاء خفى الالطاف ليظهر منها مكنون سره فهنالك أومألها شداد وسار فتبعته إلى مكان بعيد ولم تعلم ما يريد فهنالك طلب أن يغشاها فمانعته عن نفسها ولم ترض الأمر بذلك النكير لأنها كانت من بيت كبير فقال لها ويلك أنت بقيت زوجتى وأولادك عندى وأنا أكرمك طاقتى (قال) فهنالك طاوعته على مراده لخلابها لما رأى من حسن طباعها وقضى غرضه وبرد فؤاده بذلك لما هو عند أهل ذلك الزمان وجهل فرسان جاهلية العربان من اعتقادهم أن كل من اكتسب شيئا فهو له حلال لكثرة الجهل والضلال (قال المصنف) لأنه ما كان لهم رسول يمنعهم عن ركوب الآثام ولا شريعة تعرفهم الحلال من الحرام بل كانت العقلاء منهم ينتظرون ليلا ونهار طلوع شمس رسالة صاحب الأنوار سيدنا محمد النبى المختار عليه أفضل الصلاة السلام (ونرجع إلى ما كنا فيه من سياق الحديث الاول) فلما قضى الأمير شداد من الأمة مراده عاد إلى أصحابه وقد عرفوا منه ذلك فأرادوا أن يفعلوا مثل فعله واتبعوه فى أمره فلم ترض تلك الأمة لهؤلاء الرجال ولم تطعهم على ذلك الفعل والأعمال بل هربت من بين أيديهم فى الرمال وقد أنكرت منهم تلك الأحوال لأنها من نسل قوم كرام وسوف نذكرها فى تأصيل نسبتها ونذكر سبب غربتها وفرقتها ولكن نذكر كل شىء فى مكانه بعون الله وسلطانه إذا وصلنا إليه والنبى يبتسم فى وجه من يصلى عليه ﷺ فلما أن بعدت عنهم تلك الأمة وفعلت فعل الحرة المكرمة ولم ترض بهذا الأمر النكير ولأنها كما قدمنا من بيت كبير غارت نفس الأمير شداد عليها وردهم عنها وقال لهم إنى جعلتها فى عصمتى ورضيت أن آخذها من قسمتى فرضوا بذلك الحال ثم عادوا عنها راجعين وما أملوه خائبين ولم ينالوا منها أرب سوى الأمير شداد المنتخب ولله الحكم له

قاضى العرب وقال يا شداد إن هذا المولود يعد لك من جملة الأولاد ثم إنهم باتوا فى تلك الأرض والبطاح إلى أن أصبح الله بالصباح وطلع النهار ولاح ورحلوا يقطعون البرارى والقفار وساروا بالغنائم والأموال طالبين الديار (قال الراوى) فعند ذلك قسموا الغنيمة وأولموا الوليمة بحضرة الملك زهير بن جذيمة صاحب القدر والقيمة بعدما أخرجوا منها قسما للملك زهير ذى القدر الوافر ووقعت الجارية وأولادها فى قسمة شداد الأسد الكاسر وكان لها بين الأحرار حرمة وهيبة وكان اسم ولدها الأكبر جرير والأصغر شيبوب وكانا كالبلاء المصبوب فعند ذلك تركها الأمير شداد من جملة الاماء فى المرعى هى وأولادها للاموال وكان الأمير شداد يرعى ودادها ويفتقدها صباحا ومساء وفى سائر الأوقات والساعات وقدرة الله سبحانه وتعالى تقلبها كيف يريد صاحبها ويشاء وما زالت على ذلك الحال والعمل حتى ظهر عليها الحمل وكبر بطنها وقل نشاطها وتداولت عليها الأيام والشهور حتى كملت أوقاتها وحان من الولادة الظهور كما يشاء الملك الغفور الذى قدر الأشياء وابتدعها وخلق الخلائق وصنعها (قال المؤلف) فلما كان تلك الليلة أخذها الطلق كما يشاء خالق الخلق فما زالت من أول الليل تصرخ إلى وقت السحر فولدت مولودا ذكرا وهو أسود أدغم مثل الفيل فطس المنخر واسع المناكب واسع المحاجر صنعة الملك الجليل معبس الوجه مفلفل الشعر كبير الاشداق مكدر المنافس متسع الظهر صلب الدغائم والعظام كبير الرأس كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

وأسود يحكى ظلام الدجا كأنه حجر من جلمد له ذراعان بعيد المدا
قوامة المياس كالمرود وقد تراها أعبسا أدبسا ومزعجا للبيض والاسودا

(قال الراوى) إلا أن أعطافه ومناكبه شداد وأعضاءه وخلقته تشبه خلقة أبيه شداد ففرح به الأمير شداد لما أن رآه وقال سبحان من خلقه وسواه وبعنترة سماه وأوصى أمه زبيبة عليه وصار فى كل الأوقات يشرف عليه وينظر إليه وكانت أمه زبيبة إذا منعته عن الرضاع همهم وصرخ ودمدم ويزوم كما تزوم السباع وتحمر عيناه حتى تصير كأنها الجمر إذا أضرم وكل يوم يلبسونه قماطا جديدا لأنه يقطعه ولو كان من حديد ولما أن صار له من العمر عامان بالتمام صار يدرج ويلعب بين الخيام ويمسك الأوتاد ويقلعها فتقع البيوت على أصحابها ويعافر مع الكلاب ومن أذنابها يمسكها ويخنق صغارها ويقطعها ويضرب الصبيان وإذا رأى ولدا صغيرا هدمه فى وجهه ورماه على ظهره وبلغ منه المراد وإن كان ولدا كبيرا يعافر معه حتى يفتت منه الاكباد ولم يزل على ذلك الحال حتى خرج عن حد

الرضاع وصار له من العمر ثلاث سنين وكبر وانتشى وترعرع ومشى فعند ذلك سمع به الفرسان العشرة القصرية الذين كانوا مع الأمير شداد فى السرية فما منهم إلا من تعجب من هذه القضية واشتهى كل واحد أن ينظره وتحدثه نفسه أنه عبده دون البرية ثم أنهم قد اجتمعوا وأتوا إليه فلما أن رأوه وقفوا حواليه ثم أنهم قالوا لشداد أنت لما كنا اقتسمنا كان لهذه الجارية اثنان من الأولاد وهذا الغلام الثالث كانت حاملا به وماصار عليه كلام (قال) ووقع الصياح وزاد بينهم الخصام حتى كاد أن يقع بينهم ضرب الحسام ولولا حرمة الملك زهير تمنعهم عن بعضهم البعض لكانوا قرضوا أنفسهم قرض ثم ادعى كل واحد منهم أنه عبده بعد ما عصيه أقاربه وجنده وزاد الشر فى القبيلة وقلت الحيلة وصارت فتنة وبيلة وقد جرد كل سيفه الباتر وصار الأول منهم لا يعرف الآخر (قال الراوى) فلما علا الصياح ونما ووصل إلى عنان السماء فعند ذلك وصل الخبر إلى الملك زهير صاحب الكرم والخير فأرسل خلفهم يدعوهم إلى حضرته ويسألهم عن هذا الشر وعاقبته وماهذه المخالفة والفساد فما كان غير قليل حتى أقبل الأمير شداد والعشرة الفرسان الأمجاد فلما دخلوا عليه قبلوا الأرض بين يديه فقال لهم أيها السادات والأعيان لقد أزعجتم النساء والصبيان فما سبب هذا الأمر والشأن فاخبرونى بالخبر وأطلعونى على جلية الأثر حتى آخذ للمظلوم حقه وأقابل الظالم بما يستحقه لانكم أولاد عم وقرايب وأهل وحبايب ونسايب (قال الراوى) وكان فى ذلك اليوم عند الملك زهير ضيوف من بنى غطفان السادات الكرام وهو جالس معهم على الطعام فلما حضر الجميع الرفيع منهم والوضيع سألهم الملك زهير عن حالهم وما الذى أوجب قتالهم فأخبروه بقصتهم وما اكتسبوه فى سفرتهم وكيف أنهم ساروا فى سرية وكيف غنموا النوق والجارية الحبشية وكيف قد غشيها الأمير شداد وكيف أعطاهم قسمه وما كان عليه اسمه وأخذ الجارية والأولاد وأنها أتت بمولود خلقته تشبه خلقة الأسود وكل منا يدعى أنه لم تقع عليه القسمة حيث كان مخفيا ببطن أمه يا أهل الوفاء والذمة وهذا الذى كان سببا للفتنة (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تعجب غاية العجب من تلك الأحوال وقال لشداد ائتنى بهذا العبد الذى تخاصمتم عليه حتى أنظره أنا وهؤلاء السادات الحاضرون فعند ذلك مضى الأمير شداد وغاب ساعة وعاد وأتى بالغلام بين يديه فلما أوقفه الأمير شداد قدام الملك زهير نظر إليه الملك والحاضرون وإذا بصورته كصورة الأسد إذا اندعر وعينيه كالدم الأحمر فاحتار الملك منه والحاضرون وما منهم إلا من قال هذا أسد من أسد العرين هذا والملك زهير ينظر إلى صورته ويتعجب من خلقته وكبر جثته مع أن عنترا كان ذلك اليوم لم يكن له أربع سنين إلا أنه كان

يقارب أولاد العشرين ثم أن الملك زهير زعق عليه ورمى إليه قطعة من اللحم الذى بين يديه فسبقه كلب إليها من الكلاب الواقفين وخطف اللحمة وولى يطلب الهرب فهنالك حملق الغلام عينيه وعدا وراءه وقد اشتد به الغضب فلحقه ومسكه من رقبته وبرك عليه وأخذ اللحمة من بين فكيه ثم أدخل يده فى فمه وقبض على شدقيه فشق حنكه إلى حد كتفيه وعاد يطلب أباه شداد وهو يأكل من تلك اللحمة (قال الراوى) فتعجب الملك زهير غاية العجب وبهت فيه كل من كان هناك من سادات العرب وقال الملك زهير والله ما هذه الفعال إلا دليل الشجاعة لهذا الغلام المسمى عنتر ولا بد أن يصير من أشجع الشجعان ثم إن الملك زهير أقبل على الفرسان وقال لهم يا بنى عمى ومن بهم يفرج همى وغمى اسمعوا كلامى وافهموا مرامى إن كنتم لكلامى سامعين لا تتقاتلوا وتنزلوا بأنفسكم التدمير من أجل هذا المولود الصغير وابطلوا بذلك الأمر النكير وإن كان لا بد لكم من تبيان هذا الامر الذى يفنى الذرارى فعليكم بقاضى العرب بشارة بن قطية الفزارى واعلموه بهذا الامر والسبب فهو يحكم بالسوية ويفصل لكم هذه القضية لأنه أخبر بهذا السبب وهو قاضى سائر العرب (قال الراوى) فلما سمعوا من الملك زهير كلامه ما منهم إلا من أطاع أحكامه وكفوا أيديهم عن القتال وابطلوا المشاجرة والأقوال وركبوا خيولهم فى الوقت وساروا إلى قاضى العرب صاحب الحسب والنسب من ذوى الرتب فلما وصلوا إليه وتمثلوا بين يديه شرحوا



له قصتهم وأعلموه بقضيتهم وما جرى لهم فلما سمع قاضى العرب منهم ذلك الكلام

قال لهم أحد منكم غشيها فقالوا الا وحق من خلقها وسواها إلا شداد فهو الذى افترسها فقال لهم إذا كانت هذه شهادتكم على أنفسكم وهى بارادتكم وما أرى أحد منكم جحدها فكيف آخذ ولد الرجل واعطيه لكم وإنى قد لاح وجه آخر وهو أن هذا الغلام أشبه الخلق بشداد وأنا قد حكمت أن يكون لها من جملة الأولاد فكفوا عن الشر والعناد وأرجعوا إلى طريق الصلح والوداد والسداد والعفو والرشاد (قال الراوى) فعند ذلك اصطلحوا قدامه واجابوا كلامه ولزموا الاحترام والأدب بين يديه ورجعوا كلهم عما كانوا عازمين عليه والأمير شداد أفرح الخلق بهذا الأمر والشأن فلما رجعوا إلى الديار ووصلوا إلى الاوطان وفرحت بصلحهم جميع الأهل والخلان وبعد ذلك أفرد الأمير شداد لزبيبة واولادها بيتا من الارجوان وجعل عندها ما تحتاج إليه من الطعام والالوان واوصاها باولادها وأكد عليها وأكثر وصيته على الولد الأصغر الأسد الضرغام المسمى عنتر وصار عنتر ينمو ويكبر ويخرج مع أمه وأخوته إلى البرية والصحراء والمرعى ويعينهم على رعى النوق والجمال فى البرية القفرا (قال الراوى) ولم يزل عنتر على هذه الأحوال إلى أن كبر واشتدت أوصاله وقوى عصبه واصلحت أحواله وقويت عظامه واحتد كلامه فصار يكابد أقرانه ويضرب من غالطه وهانه وإذا غاد من المرعى عند المسا يطرح نفسه بين العبيد ويكثر عليهم الشر والاسا وإذا أراد وأمرا وأرادهو غيره لا ينفذ إلا ما يريد وأى من عانده منهم وتعاصى عليه وثب إليه ونزل بعصاه عليه ولو كان أكبر ما فى العبيد وكل يوم تأتى العبيد والاولاد إلى مولاه شداد يشكونه إليه وصار كل من فى الحى ضد إليه (قال الراوى) فلما أن كثرت الشكاوى عليه هنالك أشغله مولاه شداد بقطعة من الغنم وكل رعيها إليه فاخذها وصار يبعد بها فى البر والآكام عن الأحياء ويستحسن هذه الأشياء ويوسع فى البر ويخوص بتلك الأغنام ويخلو بروحه ويختفى ويحدث روحه بكل أمر خفى ويقضى نهاره بالجرى فى جنبات البر ويراكض كلاب الغنم ويتعلم من طرادها الكر والفر وفى كل يوم تزداد قوته (قال الراوى) فلما ان كان فى يوم من الايام أوسع فى البر بالغنم وقصد بها الروابى والآكام إلى أن حميت الشمس وكان قد بعد عن حى بنى عبس فقصد شجرة يستظل تحتها وأراد أن يدير ظهره إلى جانبها وترك الأغنام ترعى وهو يرقبها وإذا بذئب قد أتى من كبد البر ودخل بين تلك الغنم فشردها وعنتر ينا ظرها ويراقبها فلما ذلك الذئب وقد شرد لاغنامه خطف عصاه ونهض على أقدامه وسعى نحوه إلى أن قاربه وصرخ فيه وكان الذئب قوى الرأس.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

(الجـــزء الثانى)

من سـيرة عنتر بن شداد

صعب المراس فلم يلتفت إليه ولا عدا عليه بل حطم على الغنم وشتتها فى البر والآكام فهجم عليه عنتر وضربه بعصاه فجاءت بين عينيه فطيرت مخه من أذنيه وفى الحال تقدم عنتر إليه وقد شد قلبه عليه وداسه برجله ثم بعدها قطع يديه ورجليه ورأسه من بين كتفيه وعاد وهو يهمهم ويدمدم ويزمجر كأنه الأسد القسور ويقول ويلك يا ميشوم الناصية لا تأكل إلا من أغنام عنتر ما تعلم أنه همام غضنفر ثم أنه جعل رأسه ويديه ورجليه فى مخلاة كانت معه وترك باقى جسده ملقى على الفلاة وعاد إلى الشجرة وجلس موضعه جاثيا على ركبتيه ثم أنه جال الشعر فى خاطره فباح بما كان فى ضمائره فانشد وجعل يقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول :

يا أيها الذئب الهجوم على الردى ها قد بقيت معفرا منهوباً أتريد أموالى تكون مباحة ها قد تركتك بالدما مخضوباً شردت أغنامى ولم تك عالماً انى هزبر لا أزل ضروباً لو كنت تعلم أن هذا تلتقى منى وتضحى للحمام شروباً ما كنت تبغى نحو صنديد فقد وافاك حتفك عاجلا مصبوباً هذى فعالى فيك يا كلاب الفلا والحال أنى ما شهدت حروباً

(قال الراوى) ولما أمسى المساء عاد عنتر طالب الأحياء ولم يخش من رقيب فلما وصل إلى البيوت تلقته أمه وأخذت المخلاة منه فوجدت فيها رأس الذئب والعراقيب فارتابت وخافت خوفاً شديداً فسألته فاخبرها وأعلمها بما جرى له من الأمر العجيب فحارت من ذلك الكلام واستهولت هذا الأقدام وأخذت رأس الذئب إلى مولاها شداد أخبرته أن ولدها عنتر قتله فاستعظم ذلك أيضاً واستهوله وتعجب شداد من ذلك السبب وقال لها والله أن هذا الغلام فعاله كلها عجب فبينما هم فى الكلام وإذا بشيبوب يبكى خلف الخيام فناداه شداد بين يديه وقد صعب بكاؤه عليه وقال له ما بالك وما الذى جرالك فقال له يا مولاى أجرنى من رعى الخرفان فى هذا النهار قاسيت الموت والأهوال وكدت أن أهلك من شدة ما ركضت وجريت فى البرارى والوديان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن شداد لما أعطى عنتر الأغنام يرعاها أعطى الخرفان الرضيع لشيبوب لأجل خفته وراها فلما كان ذلك اليوم الذى نحن فى ذكره شيبوب والخرفان وراء ظهره إلى أن توسط البر فرأى رابية خضراء فساق إليها الخرفان ووقف يراقبها وينظر إلى البر والقيعان * قال وكان فى ذلك الرابية ثعلب فلما وصلت الخرفان إلى الرابية هرب فنظره

شيبوب وظن أنه من جملة الخرفان وألقى العباءة عن كتفه وأخذ فى يده العصا وأطلق رجليه وكان شديد الجريان يسابق الغزلان فى البر والقيعان هذا والثعلب جد فى الهرب وشيبوب وراءه من رابية إلى رابية كأنه الطير إذا طار إلى أن أدركه ورده بالعصا قوة واقتدار ولازال ساحقاله حتى أوصله إلى الخرفان فلما رأته الخرفان جفلت يميناً وشمالا فركض شيبوب وجمعهم حالا وافتقد الخروف فما رآه طالع يجرى وراءه إلى أن رده بالعصا فلما رأته الخرفان شردت فعاد لهم فهرب الثعلب وتشتت وبقى على ذلك إلى المساء وساق الجميع إلى الأحياء وهو يراقبها وبكى قدام شداد كما ذكرنا فقال ويلك هذا أمر كبير من هذا الخروف الحقير فدلنى عليه حتى أذبحه واريحك منه ولوكان ما فى غنى عنه فقال شيبوب هاهو يامولاى يحدق بأعينه إلى فلا رعاه الله ولا حياه ما أكبر أذنه المدلاة فنظر إليه شداد المنتخب وإذا به ثعلب فمسكه وذبحه ثم أن شداد التفت إلى زبيبة وقال لها إعلمى أن أولادك شياطين فلا تفارقيهم أجمعين خصوصاً عنتر فلا تبعدى عنه ليلا ولا نهار لئلا يسطوا بعض الوحوش عليه ويأخذوا روحه من جنبيه فتعدميه فعليك أن تلاحظيه وارعى أنت الغنم وهو معك ولا توسعوا فى البيداء لئلا يلتقى بكم أحد من العدا فلما أن كان الصباح سرحت زبيبة ومعها أولادها وقد ساقوا الخيل والجمال والأغنام وطلبوا بها الجبال والآكام وصار عنتر يتوسع فى تلك الفلاء ويقصد المراعى البعيدة والأراضى المخصبة والمياه وأمه عن ذلك تنهاه وتعلمه بما أوصاها به مولاه فلم يسمع كلامها ولا مقالها ولم يفعل إلا ما اشتهاه وصار يركب الخيل يتعلم على ظهورها الفروسية والشطارة ويسوق عليها فى جوانب الأقطار ويطعن بالقصب الفارسى صول الأصحار ويطلب بنفسه العلو والافتخار ويتقلق على ما تبديه نفسه من الأشعار وكانت أمه تخفى جميع أحواله ولا تعلم أباه فعاله خوفاً عليه أن يضربه أو يشتد اعتقال وكان عنتر إذا خلا بنفسه فى القفار يتمهر فى أبواب الحرب طول النهار ويطلب بذلك منازل العز والافتخار قال الراوى لهذا الكلام ياسادة ياكرام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام رسول الله الملك العلام ﷺ ما ناح الحمام (قال الناقل) ثم أن عنترة فى بعض الأيام قال لأخيه شيبوب هات عباءتك ياقيم السودان فأعطاها إياه فأخذها وعلقها على بعض الأشجار وصار يجول على بعض الخيل يطعنها بالقضب إلى أن خرقها ومن جميع أطرافها مزقها ثم أخذ عباءة أخيه جرير وفعل بها مثل مافعل بعباءة شيبوب بلا نكير ثم شلح عباءته وصار يطعنها إلى أن أتلفها ومزقها. وهو يتقلب على ظهور الخيل هذا وشيبوب من خوفه من مولاه شداد أخذ العبى وراح إلى مراقد الرعيان فبدلها بغيرها ولم يشعر بذلك انسان لأن الحر فى الأرض شديد وعند نصف النهار تنام الرعيان والعبيد فأتاهم شيبوب بالعتيق وأخذ الجديد وصار كل يوم

على هذا الحال والفتنة تقع بين الرعيان عند المساء حتى يعودوا إلى الأحياء ويقول بعضهم لبعض أنت بدأت العباءة ثم أن شيبوبا ترك الرعيان وصار يأتى إلى الناس وهم نيام فيأخذ عبيهم الجدد ويضع لهم القدام وكل صباح تقع الفتنة بين العبيد ويعلوا بينهم الصياح ولم يزالوا على هذه الأحوال القباح ولم يعرفوا الشر من أين جاء وهذه الفتنة من عنتر وشيبوب ليوقعوا بين العبيد البلاء المصبوب ومن شدة خبث شيبوب وأخيه يسبقهم إلى المرعى فى الفلاة للنزول فيه وإذا كان وقت الرجوع يرجعون بعد الرعاة وبقوا على هذا الحال مدة من الزمان حتى ضجت أهل الحلة من كثرة الفتن التى تقع بين الرعيان قال وما زالوا على ذلك الأمر المتوالى إلى أن كانت ليلة من بعض الليالى فغرق شيبوب فى المنام وما أفاق إلى الصبح وكان ذلك من شدة التعب ولما أفاق ساق هو وأخوه جرير وعنتر المال والخيل وساروا حتى وصلوا إلى المستقر الذى لهم وأطلقوا المال يرعى وطلب عنتر من شيبوب العباءة ولم يكن سرق شيئاً ولم تكن معه إلا عباءة فاعطاه إياها فأخذها وما زال يطعن فيها حتى مزقها وكذلك عباءة أخيه جرير وقال لأخيه شيبوب إذا كانت الليلة الآتية حين ينام العبيد خذ عبيهم وغيبها ففعل ما أمره به الأمير عنتر ثم أن العبيد عندما تفقدوا عبيهم صاروا فى ضجر إلى أن وصلوا البيوت وهم على هذا الحال قال الراوى فاتفق أن مولاهم شداد خرج يباشر أمواله فسار فى البيدا وطلب الصحراء على مهل وإذا بماله وخيله قد أقبلت فلما رأى شيبوب مولاه أقبل قال لأخوته ويلكم أرى سيدى شداد يهرول إلينا على عجل وأنا والله خائف منه يلقانا هذه الساعة ونحن على تلك الحالة من البشاعة وربما عبيكم ممزقة فالصواب أن تعملوا إلى خلاصكم طريق فقال عنتر وأى شىء يا ابن اللئام تدبره لنا فقال لهم شيبوب يا أخوانى سوقوا أنتم المال وتخلصوا أنتم من هذه المصيبة وأنا أتقدم إليه وأكذب عليه كذبة وأقص عليه ما جرى لى فى الغربة عسى انها تدخل عليه وإلا لم تقدروا أن تقفوا بين يديه وإن كانت لا تدخل عليه فانظر ماذا تعولون عليه وعلى أى شىء تقدمون إليه وتعلموا ما تلقونه من الضرب الشديد ويجرى علينا ما يجرى على العبيد قال الراوى ثم أن شيبوبا تقدم إلى مولاه شداد ولاقاه وصاح وناح وعدد وباح ورمى نفسه إلى الأرض وحثا على رأسه التراب وشق ما عليه من الثياب فانزعج الأمير شداد غاية الانزعاج وخاف على أمواله ونوقه وجماله وصاح على شيبوب ويلك يا غلام ما بالك وما الذى جرى لك هل أحد غار عليكم ووصل بضره إليكم أو شردت الجمال أو أخذ شىء من الخيل الأصائل فقال شيبوب لم يكن يا مولاى شىء من

هذا الحال بل أنا أخبرك أننا دخلنا بالأموال إلى شعب الوادى وأطلقنا الدواب فى المراعى وإذا قد خرج علينا جراد عظيم بليغ حتى سد فم الوادى فطلبناه من كل جانب فرددناه بالعصى نخرقها ولولا أننا فعلنا تلك الفعال لكان قد ضيع منا النوق والجمال فقال شداد أتكذب يا ولد الذنى لماذا متى رأيت أو سمعت أن الجراد يفعل بثياب الناس هذا فقال له نعم وحياتك يا مولاى لأن فيهم جراداً كباراً قدر العصفور فقال له شداد لا عدتم تبعدوا هذا البعاد فى الوديان قال الراوى وهذا ما سمعناه فى هذه السيرة الحجازية ونصلى نحن وأنتم على خير البرية وقد ذكرناه حتى لا يضيع على المستمع شىء من الحديث الذى أردناه ولنرجع إلى سياق الكلام الأول والخبر وما زال عنتر يطلب لنفسه المنازل العالية والأمور السامية وكانت أمه تخفى حاله ولا تظهر على أبيه أفعاله مخافة من أن يضربه ويشد اعتقاله وكان إذا خلا بنفسه فى القفار ينقلب على ظهور الخيل والمهار ويقهر عليهم فى أبواب الحرب طول النهار ويطلب بذلك العز والافتخار ولم تزل هذه الأوصاف أوصافه حتى اشتدت أطرافه وعرضت أكتافه وكملت أوصافه بالقوة والبراعة وظهرت فيه أعلام الشجاعة وصار إذا شرد منه البعير يصيح عليه فيرجفه وإذا مسكه من ذيله يوقفه ثم يعافر الجمال العوال ويجرها ويقهرها وإذا تعاصت عليه دق أعناقها وشق أشداقها فخافته جميع العبيد وهابه القريب والبعيد ولم يزل كذلك وهو على هذا الحال مدة من الأيام والليالى قال الراوى وكان للملك زهير مائتا عبد ترعى له نوقه وجماله وأمواله كما قدمناه وكان شاس أكبر أولاده والموصى له بالملك من بعد أبيه عند نزول ريب المنون وكان لشاس عبيداً ترعى له أمواله وكان المقدم عليها عبد اسمه داجى شديد التكبر وكان من تكبره كل من عارضه لا يكون من شره ناجى وكان شاس يحبه لأجل شدته وفعاله وحفظه لنوقه وجماله وأمواله والعبد هيبته من هيبة مولاه وما فى العبد إلا من يهابه ويخشاه ومع هذا قد طمع فى العبيد الضعيف منهم والشديد واستخدم منهم القريب والعبيد وكان عنتر لا يعبأ به ولا يخافه ولا يرعاه ولا يحسب حسابه وكان داجى يغتاظ من عنتر ويبغضه ويتمنى هلاكه وموته ولم يزل الأمر بينهما على ذلك الحال وهم على ذلك المرام إلى أن كان يوم من الأيام عند المساء وكان من رعاة الرعيان أنهم يطلبون قبل المساء الأحياء بعد أن يطلبوا الغدير ليسقوا المواشى والأغنام فلما كان ذلك اليوم وقد تجمعت الصعاليك والأرامل والأيتام وقد أتوا ليسقوا جمالهم لدى الخاص والعام وصاروا كلهم عند الماء قيام وداجى عبد شاس ابن الملك زهير عند الغدير وملكه بلا نكير ورد الجميع عن الوصول إليه

هم أن الغدير يسع جميع الواردين عليه وإنما كان ذلك من داجي عبد شاس بجرد أذية لهؤلاء الناس فكان الفقراء والصعاليك والايتام ينظرون إليه وهم عطاش قيام لا يقدرون أن يهجموا عليه لخبث أخلاقه اللئام قال المؤلف فتقدمت إليه امرأة عجوزة من عجائز بنى عبس وكانت امرأة كبيرة السن ضائعة الذهن فقربت إلى نحو داجي وصارت له بالذل والاحتقار تناجي ثم دنت منه وركبت مركب الأخطار وقالت له ياسيدى داجي اتفضل على واسق لى غنيماتى ونماجي لأنى من لبنها أقتات فارحم كبرى وعبرتى حفظك من الشتاوت أقبل سؤالى واسقها لى يا من ينتمى للامجاد والسادات ثم أنها ألحت عليه فى الكلام فلم يلتفت إليها ولا حن قلبه عليها فعند ذلك تأخرت ونفسها قد انكسرت قال الراوى فتقدمت إليه عجوز أخرى وكانت من أرباب النعم وعلى أعطافها شواهد الضيافة والكرم ثم أنها تقدمت إليه وقالت له ياسيدى داجي أنا امرأة ضعيفة كاترى وقد رمانى زمانى بعد أهلى وخلانى وأصابنى الدهر كاترى بقضائه المبرم وبادت رجالى وفقدت أولادى وأهلى وبعلى الأكرم وقد تشتت من بعد الاجتماع بهم شملى وعدت لا أملك إلا هذه الغنيمات وإنى من لبنها أقتات وما أبقى لى الزمان من يقوم بأمرها فارحم وحدتى وقلة حيائى قال الراوى فلما سمع داجي من العجوز ذلك المقال ورأى ازدحام النساء عليه والرجال تشوشت أخلاقه ومرمزاقه واحمرت أحداقه وطلع الزبد على شدقه والتفت إلى المرأة ودفعها فى صدرها فوقعت على ظهرها ولم تبلغ الآمال وقد صارت فى أسوأ حال وانكشفت عورتها وهتك سترها وظهر ما كان من أمرها فتضاحكت العبيد عليها لانكشاف عورتها وشدة ذلتها قال الراوى فلما نظر عنتر إلى تلك القضية لعبت بأعطافه النخوة العربية وعصفت فى رأسه حمية الجاهلية ولم يصبر على ذلك الحال واصفر وجهه بعد ما كان مثل الليل الحالك ثم أنه تقدم إلى العبد داجي وعارضه وزعق فيه فأرعبه وعلى ما جرى عاتبه وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا ماهذه الفعال الرديئات يا ابن العاهرات أتهتك ستر النساء العربيات قطع الله أوصالك وأوصال من هو بهذه الفعال يرضى لك ثم دنا منه وصار يكلمه بمثل هذا الكلام ويقول له والله يا نسل الحرام ويا ابن اللئام مالك دواء إلا الحسام قال الراوى وكنا ذكرنا أن العبد داجي كان طويلا عريضا فظا غليظا فلما سمع من عنتر من غليظ الملام ما أشار به إليه كاد أن يغشى عليه واستقبل عنترة وقد وصل إليه ورفع يده إلى أن بان سواد إبطيه ولطم عنترة على وجهه فكاد أن تسيل مقل عينيه وأن يقضى عليه (قال الراوى) فعند ذلك صبر عنترة حتى أفاق من اللطمة وردت روحه إليه وتقدم إلى العبد داجي وركض عليه ومسكه من إحدى رجليه وجذبه ورماه على عجزه وأراد أن يحل به عطبه وأدخل يده فى شدقه وقبض بيده الأخرى على عنقه ورفعه بقوة

ساعديه وزنده وقدزاد به الامر عندحده إلى ان بان سوادإبطيه وجلد به الارض فرض عظامه رض وخلط طوله فى العرض وفى الوقت قضى عليه ثم عادعنه وقد اشتد به الغيظ والحرد وصار يدمدم ويزمجز ويهمهم كهمهمة الأسد فلما نظرت العبيد إلى داجى وقد حلت به النوائب والمصائب تصايحوا على عنترة من كل جانب وقالوا الويلك يا ابن الملعونة ونسل الارجاس قتلت داجى عبد الأمير شاس اخبرنا من هو الذى بقى ينجيك ويجيرك من الناس (قال الراوى) ثم أنهم وقعوا فيه بالعصى والحجارة على رجليه وأقدامه وقد حلت به الخسارة فخلع عباءته ولفها على يده وتستر بها من الضرب ، فعل كما تفعل أبطال الفرسان إذا اشتد الحرب ثم جذب من واحد منهم عصاه ودفعه فرماه على قفاه وعاد إليهم كعودة الأسد وصار يحمل عليهم ويحملون عليه وأرادوا أن يوصلوا الأذية إليه وقدزاد الصياح بينهم والغبار قد خيم عليهم هذا وعنتر يضرب فيهم وصارت دماؤهم من رؤسهم تسيل وقد عمل بالعصى فيهم مالا يعمله غيره بالحسام الصقيل (قال الاصمعى وأبو عبيدة) وكان فى أولاد الملك زهير ولد اسمه مالك وكان كانه البدر إذا تجلى فى ظلام الليل الحالك وهو مبدع فى الجمال زائد فى الكمال جيد الخصال حسن الفعال كثير الحية للنساء والرجال قوى الجنان فصيح اللسان له وجه مثل الصبح وقامة أعدو من الرمح وكان أبوه الملك زهير يحبه للطافته وحسن خلقته تحبه وتريد قربه قال الراوى من بعض الاتفاق الذى يؤرخ ويسطر فى الأوراق إنه كان فى ذلك اليوم خارجا يطلب الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص ومعه جماعة من العبيد يخدمونه وفى ذلك البر والبيدا يتبعونه وهم قدامه مثل الآساد ولازال يقطع بهم البر والمهاد إلى أن قارب غدير ذات الارصاد فسمع الصياح قد علا والغبار قد نما وقد طبق الفلا فحرك الجواد واقتحم ذلك الغبار والسواد حتى يكشف عن تلك الاخبار وإذا قد رأى العبيد فى جمع زائد صياحهم مترايد كلامهم قد أحاطوا بعبد واحد فحقق الأمير مالك فيه النظر وقال لبعض من معه ويلك من هذا الغلام فقال له غلامه يا مولاى هذا عنتر وهو عبد الأمير شداد بن قراد هذا وقد حقق فيه النظر وإذا به ظافر بهم ولم يخسر وقد بدد شملهم يمينا وشمال وهو يحمل عليهم حملات الاسد الريبال فتارة يجمعهم وتارة يفرقهم وتارة يقلقل جمعهم وتارة يمزقهم ودماه من ساتر جسده ويقول يا أولاد اللئام الشجاعة صبر ساعة وقد رضى لنفسه بالهلاك والعطب ولم يطلب من قدامهم الهرب واختار الهلاك والدمار ولم يرض بالهرب والفرار وهو يدمدم كأنه الأسد الهدار وقد قيل فى الأشعار بعد الصلاة على النبى المختار :

يانفس قرى لاتملى للهرب ... فليس ينجيك إذا الموت اقترب
والعمر محتزم وأن جاء الذنب ... فلتصبرى صبر الكرام ذوى النسب
لاتفزعى يانفس من خوف العطب ... تبقى ذليلة عند سادات العرب
ولتثبتى حتى تنالى الأرب ... وستنصرين على عدوك فى الطلب

(قال الراوى) فلما سمع الأمير مالك ونظر أفعاله دمعت عيناه لما رآه ورثى لحاله وقال لله درك من عبد ما أطول باعك وما أقوى ذراعك وما أشد دفاعك وما أحسن بين العبيد قراعك ثم أنه صاح على العبيد ففرقهم عنه يمينا وشمالا ولم يجسروا أن يدنوا منه وقال لهم مالك ياويلكم ياأولاد الحرام لماذا تفعلون هذه الفعال لاحيا الله آباءكم وأمهاتكم ووجوهكم ياأولاد الزوانى اللئام اما تخافون من المعيرة عند كل قاص ودان ياويلكم تجمعتم كلكم فى الجمع المتزايد واتفقتم على شخص واحد واضمرتم له قتالا وشرا ومع ذلك هو أصغركم عمرا أرجعوا ياأولاد اللئام إلى وراكم وإلا محقت بهذا السيف أقصاكم وأدناكم فقال له العبيد يامولانا أنه قتل داجى عبد أخيك الأمير شاس فقال تكذبون ياأنذال الناس هذا امر لا يصدق ولا يقال لأن عبد أخى معدود فى الحرب من جبة الرجال فكيف يقدر هذا الطفل عليه ويوصل إليه الوبال (قال الراوى) ثم مال إلى ناحية عنتر ليكشف عن حاله فسمعه يهمهم مثل الأسد الغضنفر وقد زاد به الغيظ والحرد وهو ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

إذا أقبلت جمع العبيد الكواذب ... وألقوا بأحجار تحاكى اللهايب
حملت عليهم ثم بددت شملهم ... كفعل هزبر قد سطا فى الكتائب
ألا ياعبيد السوء تأتون عنترا ... لصغرى ولاتخشوا فنون المصايب

(قال الراوى) فتعجب الأمير مالك لما سمع مقاله فتقدم إليه ثم أدناه إلى ركابه وقد زاد منه إعجابه وسأله عن حاله وما سبب قتاله للعبيد فشرح له عنتر جميع ما جرى له وأخبره بفعل العبد داجى مع العجوز وقصتها وكيف دفعها فى صدرها وألقاها على ظهرها وكشف عورتها واضحك العبيد عليها لما هتك سترها وقال فى آخر كلامه فلما رأيته فعل تلك الفعال جئت أنا يامولاى إليه ونهيته عن ذلك فلطمنى على وجهى حتى كاد أن ينزل بى المهالك فقلعته بيدى من الأرض وخبطته خبطة خفيفة دخل بها طوله فى العرض ورضيت عظامه رض وخالطت بعضه فى بعض وراحت روحه المالك بعد أن شرب كاس المهالك فلما رأى فعلى به هؤلاء العبيد الأشرار ثاروا إلى ليأخذوا منى بالثار فلزمنى أن أدافع عن نفسى وجسمى ولولا قدومك كنت هلكت وانمحى رسمى وبقيت قتيلا أعفر فى هذا البر الاقفر (قال

الراوى) فلما سمع الأمير مالك من عنتر ذلك المقال وكشف له عن صحة الحال أحبه لما رآه قوى الجنان فقال له سر فى ركابى ولا تخف أنت بجار من كل من كان تحت السماء عن أكل الخبز وشرب الماء ولا أتخلى عن ذمامى من جميع الناس وحق البيت الحرام وزمزم والمقام الا ارجع عن ذمامى ولو صار رأسى قدامى وعليك اداري وأحامى طول شهورى وأعوامى فعندذلك تقدم عنتر اليه وقبل فى الركاب قدميه وسار من جملة عبيده الذين بين يديه إلا أن الأمير مالكاما قرب من خيامه إلا وأخوه شاس قد طلع وفى يده السيف يلمع وتحته حجرة أسرع من السحاب إذا همع وصدره ملآن غيظا وشرا لما أن قد أتاه الخبر بما فعل بعبده داجى عبد شداد عنتر وهو قد أقبل ليقتله فلما رآه أخوه على مثل ذلك وأنه لم يدفعه عن عنتر وصل اليه منه الضرر فعندها تلقى مالك أخاه شاس وقال له ياأخى مالى أراك منزعج الحواس فقال له شاس اعلم أن عبدى داجى قتله عنتر بن اللئام وأناقد أتيت اريد أن أنهب جسده بهذا الحسام (قال الراوى) فقال له مالك ياأخى ما بقى لك اليه من سبيل وكل من عارضه أصبح قتيل لأنى أنا أجرته وأعطيته ذمامى وما بقيت أتخلى عنه أبدا ولو صار رأسى قدامى (ياسادة) فلما أن سمع شاس كلام أخيه لم يلتفت اليه ولا رد له سؤاله وقد نظر إلى عنتر وهو ماش إلى جانب ركابه وقد صار من جملة عبيده وأصحابه فطلبه ليقتله ولم يعتن بأخيه ولا هابه بل مال اليه بالحسام فعند ذلك غضب مالك وزاد به الكرب وسل سيفه الشطب وقد تدانى الاخوان وعزما على الضرب والحرب فبينما هما قد عزما على تلك الاسباب إذا بأبيهم الملك زهير قد أقبل وخلفه من الأبطال جلباب (قال الراوى) وكان الخبر قد وصل اليه بما جرى بين العبيد فركب فى ساعة الحال من غير تفنيد ووصل اليهم قبل أن يقع الحرب بينهم ويزيد فلما رآه الأمير مالك تقدم اليه قدام الناس وشكا له كيف خرق حرمته ولم يسمع مقالته أخوه شاس فلما رأى الملك زهير ذلك الأمر رد شاسا عن أخيه مالك وقال ياولدى أهب لأخيك هذا العبد الأسود الحالك وأنا على عوضه عشرة من العبيد تكون أنت لهم المالك قال الأصمعى وأبو عبيدة فعند ذلك رجع شاس حياء من أبيه وصاح الملك زهير بعنتر وقال له ويلك لماذا قتلت عبد ولدى وأنزلت به العبر فقص عليه عنتر جميع الخبر وأعلمه كيف دفع العجوز فى صدرها وألقاها على ظهرها وكيف هتك سترها وأضحك العبيد عليها ثم قال جئت أنا اليه ونهيته عن ذلك فلطمنى على وجهى فكاد أن يطير مقل عينى وينزل بى المهالك فما كان منى إلا أن حملته عليه وضربت به الأرض فصار هالك فلما سمع الملك زهير مقاله نظر اليه وإذا بعنتر أنشد وقال هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

ألا أيها الملك المشار لأمره ومن خصص بالفعل الجميل وبالذكر
فلا لوم لى من أجل قتلى داجيا فان جزاء القتل يامالك العصر
إنى لعجوز ذات فضل ونعمة وأزرت بها الايام فى عادة الدهر
دعاها فألقاها على صفح ظهرها وقد هتكت بين العبيد على النهر
فاقبلت يامولاى إنى أصده فناولنى كفا أحر من الجمر
قبضت مراقبة بعزم وقوة وجندلته فى الأرض ملق إلى الحشر
فمال إلى نحوى العبيد لأجله بضرب جحاديف أمر من الصبر
فانقذنى من فاق بالجود مالك وانجدى من ضيقه العسر باليسر
وشاس بغى قتلى فأقصاه سيدى قد اصطدم الاثنان بالبيض والسمر
ولولاك أن تأتى وفينا بقية لما عاد منا من عبد ولا حر
فعش فى أمان سالما وبنعمة تدوم بها والعز باق مدى الدهر

(قال الراوى) فعند ذلك لما سمع الملك زهير مقاله تبسم وقال والله ماقصر عنتر فى فعاله ثم التفت إلى من حوله من الفرسان وقال والله ليكونن هذا العبد شديد الغيرة على النسوان ويصير شجاعا قرما مناعا قوى الجنان ثم التفت إلى أبيه شداد وقال له ياشداد هذه نخوتك قد عملت معه فى الأساس فوالله ليكونن هذا العبد أعجوبة لجميع الناس ويكره الظلم والفساد ويسلك طريق السداد (قال الراوى) وكان شداد فى ذلك اليوم قد ركب مع الملك زهير خوفا على ولده لأنه قطعة من كبده ثم قال له الملك زهير خذ ولدك فقد وهبته لك وأوصيك به إلى حين أطلبه منك (قال الراوى) ومن ذلك اليوم وقع لعنتر فى قلب مالك وأبيه الملك زهير بن جذيمة محبة عظيمة ثم أنهم عادوا إلى الأبيات واجتمعت حوله النساء والبنات وجعلن يسألنه عن حاله لأن خبره قد شاع فى الحلة وأتت إليه نساء عمومته ومن جملتهن بنت عمه مالك التى تسمى عبلة فتقدمت إليه وسألته عن حاله وتوجعت لوجعه (قال الراوى) وكانت عبلة أحسن من الشمس والقمر وهى فى العمر أصغر من عنترة وكانت ضاحكة السن تزهو كهلال وهى مبدعة فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وكانت بهية فائقة الملاح وكانت تتدلل على عنتر وتكثر معه المزاح لأنه كان خادمها وهو ولد عمها فلما حضرت ذلك اليوم مع البنات والنسوان قالت له ويلك ياولد الزنا لماذا قتلت عبد الأمير شاس أما خفت أنه يقتلك ولا يجير لك منه أحد من الناس قال الراوى فقال لها والله يابنت العم ماقابلته إلا بما يستحقه من المجازاة لأجل جوره على العجوز وقلة حياه وحدثها بما جرى له وأطلعها على قصة داجى وماقاساه فتبسمت فى وجهه وقالت له ماقصرت فى فعلتك وقد فرحنا والله بسلامتك

وما عملت هذا الأمر إلا فى محله وكل من تعدى عليك فاسقه كأس أجله لأنك اليوم عندنا مثل الأخ وعند أمهاتنا مثل الأولاد فى المنزلة والحرمة لأجل ما لك علينا من الخدمة ثم أن النساء انصرفن عنه قال الراوى وما كان فى نساء بنى قراد امرأة إلا وعنتر يخدمها ويزيد فى إكرامها وذلك بعدما يفرغ من خدمته لزوجة أبيه شداد وهى سيدته لأنها كانت تأمره بما تريد وهو كأنه لها من جملة العبيد وكانت عادات نساء العرب فى ذلك الزمان أن يشربن ابن النياق عند المساء وعند الاشراق وكان العبيد يحلبونه ويبردونه فى هبوب الرياح ويأتون به لساداتهم فى المساء والصباح وكان عنتر يفعل ذلك مع زوجة أبيه سمية وامرأة عمه زخمة الجواد وامرأة عمه مالك وبنتها عبلة بالجملة ويسقى من بعدهن الفضلة لمن يشاء من نساء الحلة ولم يزل على ذلك وقد تعلقت عيناه بعبلة وقد تصورت صورتها بين عينيه إلى أن كان يوم من بعض الأيام فدخل عنتر إلى بيت عمه مالك فوجد أم عبلة تمشط شعرها وقد أسبلته على ظهرها وهو أسود كأنه الليل الحالك فتحير عنتر من ذلك هذا وعبلة قد قامت لما دخل عنتر ورآها والشعر ينسحب من ورائها فعند ذلك بهت وتحير وقد عدم الصبر ثم أنه أطرق برأسه وقد غابت جميع حواسه وتنهد وتحير وتفكر وقد حصل عنده من هواها محصول فعند ذلك أنشد وجعل يقول أنا وأنتم تصلى على طه الرسول :

وجناه تسحب شعرها من طوله ... وتغيب فيه وهو ليل أسحم
فكأنها فيه نهار طالع ... وكأنه مذيان ليل مظلم
وكأنه بدر بدا فى تمه ... وبنوره الوهاج تخفى الأنجم
زادت محاسنها على من حولها ... فسعى لخدمتها الجميع ويمموا
وتمتعوا بجمالها وكمالها ... وتلذذوا فى حسنها وتنعموا
وتفكروا فى الصدز مع رمانه ... فرماهم قوس الجفون المبرم
فتراهم ضدين مذ هاموا بها ... فالبعض ذو خرس وبعض يفهم
لا تعذلونى فى هواها اننى ... مضنى وقلبى فى هواها مغرم
انى سأكتم حبها فى مهجتى ... حتى أرى لى السعد يوما يخدم
كيف اصطبارى والهوى نار الجوى ... والشوق يفنى والفؤاد متيم

(قال الاصمعى) ياسادة ياكرام صلوا على بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العزيز العلام من كان يصلى بالليل والناس نيام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام عدد ما غرد قمرى على الأغصان وناح حمام وبعد هذا النقض والابرام أقام عنتر برهة من الزمان على هذا الأمر والأحكام وهو صابر فى الأيام والليالى وقد زاد به البلبال إلى أن كان أول شهر

رجب الفرد الحرام الذى كانت سائر العربان فى الجاهلية تحترمه وتحج فيه إلى البيت الحرام زمزم والمقام والمشاعر العظام ويعظمونه ويتقربون فيه إلى الآلهة والأصنام من دون الملك العلام ويسجدون لها ويعظمونها ويحترمونها وكان الذى يقيم فى القبائل والحلل السادات والنساء والبنات وكانوا يخرجون إلى ظاهر الخيام ويظهرون أصنامهم فى يوم عيدهم موافقة لزوار البيت الحرام فلما كان ذلك اليوم خرج بنو عبس وأخرجوا أصنامهم معهم وترتبت الإماء والرجال ولعبت النساء والبنات ورقصت الإماء وغنت المولدات على المزاهر والدفوف والطارات وخرجت السادات وكان يوما عظيم الصفات وكانت عبلة فى ذلك اليوم من جملة البنات المزينات وقد لبست العقود وأبرزت النهود وأضاء جبينها على الجواهر فصارت أبهى من الشمس والقمر بين النجوم الزواهر (قال الأصمعى) ولقد أخبرنى من أثق به وأعتمد فى كلام الصدق عليه أنه ما كان يعلم فى ذلك الوقت فى سائر الأقطار والممالك أجمل من عبلة ابنة مالك وقد ثبت عندى ذلك بإذن مالك الممالك الذى كل شىء غير وجهه الكريم هالك (ونرجع إلى ما كنا فيه من الطلب) ونصلى ونسلم على سيدنا محمد النبى المنتسب فلما نظر إليها عنتر فى ذلك الزى نهت وتحير وأطرق رأسه إلى الأرض وتفكر ثم أنه أنشد وجعل يقول هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على سيد السادات :

رمت الفؤاد مليحة عذراء ... بسهام لحظ ما لهن دواء
مرت تريد العيد بين نواهد ... مثل الشموس لحاظهن ضياء
فاغتالنى سقمى الذى فى باطنى ... أخفيته فإذا به وضاء
خطرت فقلت قضيب بان حركت ... أعطافه بعد الجنوب صباء
نفرت فقلت غزالة مذعورة ... قد راعها وسط الفلاة ظباء
سفرت فقلت الشمس حقا وجهها ... لما بدا للناظرين ضياء
وبدت فقلت البدر ليلة تمه ... قد قلدته نجومه الجوزاء
وتبسمت لاح الضيا من ثغرها ... وبدا لداء العاشقين شفاء
الله أكبر يا لها من نبيلة ... تسبى العقول لطيفة حسناء
سجد تعظم ربها فتمايلت ... لجمالها أعطافها العظماء
يا عبلة مثل بهاك إنى لا أرى ... بشمائل تارت بها الأرجاء
إن كان يسعدنى الزمان وإن أبى ... فلهمتى فى صرفه إزراء

(قال الراوى) فلما أن سمعت عبلة من عنتر وصف شمائلها وجمالها وهى بين أترابها ازداد فرحها وإعجابها وصارت تشاغله بلحاظها وتتبسم من فصاحته وتتعجب من وقاحته وهو

إليها باحت وبما جرى عليه صوته خافت ولما انقضت أيام العيد وعادت إلى الحي الجواري والعبيد زاد بعنتر العشق والهوى وقد التهب فؤاده بنيران الجوى وقد حدثته نفسه بأشياء شتى فلما كان ثاني يوم يا سادة يا معدن الجود والإفادة أتى عنتر باللبن وهو مشغول الفؤاد فاسقى عبلة اللبن قبل سمية زوجة أبيه شداد وقد ماست بقدها كي تبل له الفؤاد فعلمت عبلة بحاله فضحكت ثم أنها شربت وناولته باقي اللبن بعد ما شبعت وقد أبصرت سمية ذلك فغضبت وعبست وقطبت وتحققت أنها لم تكن خلقت وأرادت أن تشكوه إلى أبيه وتبلغ من عذابه ما تشتهيه (قال الراوي) وقد دام عنتر على هذه الحالة وقد صارت له عادة أنه أول ما يحلب اللبن يسقي عبلة وبعدها يسقي سمية الفضلة وقد زاد به العشق والبلبال وصار يهواها دائماً مشغول الفكر والبال إلى أن كان يوم من بعض الأيام وكانت عبيد بني عبس تخاف من عنتر وتهاب من سطوته وكان للربيع بن زياد عبد يقال له ضاجر وكان من العبيد الفواجر ولما علم أن عنتر قد ارتفعت منزلته ونفذت فيهم كلمته دخل الحسد حتى أحرق قلبه وجسده فما كان له دأب إلا أنه استغفل عنترة حتى سرح إلى البراري والهضاب فأتى إلى الأمير شداد ودخل عليه وقبل يديه وقال له يا مولاي اعلم أن عبدك عنتر كل يوم يأخذ أمو الك ونوقك ويبعد بها في البر الأقفر ويخاطر بها ويطلب بذلك أن يتقلب على ظهور الخيل ويسوقها في القفار ويطعن عليها بالقصب وورق الأشجار ويشغلها عن المرعى وعن شرب الماء طول النهار وينتقل من على ظهر حجرة إلى ظهر حصان وقد طير لحومها من شدة الجرى وإني نهيته عن ذلك الأمر والشأن فشتمني وضربني ولو كنت ألححت عليه لقتلني فلما سمع شداد من العبد ذلك الكلام قال والله يا ولدي أنك صادق وقد ثبت عندي صدق مقالك لأنك من يوم سلمته الخيل يرعاها ما اكتسبت لحما ولا شحما وهذا دليل على أنه يركبها ويسوقها في القيعان وأذاب عنها لحومها بالجريان وصعب على شداد ذلك الأمر والشأن (قال الراوي) فلما سمعت سمية ذلك المقال ووجدت إلى عذاب عنتر مجال وتكلمت بما في قلبها شكت إلى بعلها وأعلمته كيف أنه يسقي عبلة اللبن قبلها (قال الراوي) فلما بلغ شداد ذلك الكلام نما الغيظ في قلبه وزاد وصبر حتى أتى عنتر من المرعى فقبضه من يده وشده شداً وثيقاً وضربه بالسوط حتى مزق جلده تمزيقاً. وهذا وأمه زبيبة واقفة تراه وهي لا تتجاسر أن تتكلم مع مولاه لأنها لا تدري ما سبب بلاه ثم أنها خرجت من الخباء وسألت بعض الإماء فأخبرتها بشكوى العبد ضاجر وكيف يفعل عنتر تلك الفعلة بالخيل وأخبرتها أيضاً بشكوى سمية وكيف يسقيها اللبن بعد عبلة (قال) فلما سمعت زبيبة ذلك المقال قعدت وسكتت وصبرت على ذلك الحال حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكرت أمامه زين الملاح وكنز الملاح

وسرحت العبيد إلى المراعى وكل منهم غدا إلى مراعيه يرعى وبعد ذلك دخلت زبيبة على ولدها عنتر وأخبرته بجميع الخبر وقالت له ياولدى أن ضاجر عبد الربيع بن زياد هو الذى شكاك إلى مولاك حتى أنه فعل بك ذلك الفعل وكذلك تكلمت فيك سمية بما فعلته معها من تلك الفعلة وكيف أنك تسقيها اللبن بعد عبلة فلا عدت من اليوم تخالفها فيما تريد والزم معها سنة العبيد ولا بقيت تمد عينك إلى مولاتك عبلة فيكون سبب هلاكك بالجملة قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك من أمه عمل معه الغيظ وتمطى فى أكتافه فقطع حبلها ووثب على قدميه قائما ثم انطلق لسانه بالشعر متكلما وجعل ينشد ويقول أنا وأنتم نصلى على طه الرسول :

اليوم يقتل ضاجر عبد لئيم فاجر ويكون فى وسط الفلا يرعاه وحش كاسر
ويقر قلبى بعده ويطيب منى الخاطر لم كان مسعاه بما قد قاله ويخاطر
إن لم أكن فى قتله وسط الفلاة أبادر لاسر قلبى ساعة بل لاصفا لى ناظر
لم كان يشكونى له هذا اللئيم الفاجر

قال الراوى ولم يزل عنتر سائرا فى تلك الفلاة وهو يدور على العبد بين الرعاة حتى التقاه وقبضه من مراق بطنه بيده ورفعه وضرب به الأرض فرض عظامه وأدخل طوله فى العرض فلما رآه خمدت أنفاسه خاف من ذلك الأمر على نفسه ثم أنه بعد ذلك سار طالبا بيت صديقه الأمير مالك وقصده من دون الناس وهو الذى المقتل داجيا عبد الأمير شاس فصدد خيامه فلما وصل إليها دخل عليه وحدثه بما جرى عليه وتم فتعجب الأمير مالك وتبسم ثم انه بعد ذلك طيب خاطره ووعده أن يفرج همه وكربه وبعد ذلك تركه فى البيت وقد سكن منه الفؤاد وركب وسار طالبا بيوت بنى زياد فلما وصل إلى البيوت لم يجد أحدا من السادات سوى النساء فسألهن عن الربيع فقالوا له عند الملك زهير فسار طالباً بيت أبيه وعلم أن الأمر قد أتاه كما يشتهيه ولما وصل وجد سادات بنى عبس جالسين وسادات بنى زياد والربيع أقرب من الملك زهير دون الجميع والعبيد كلهم فى الخدمة من قيام وهم واقفون على الأقدام ولا أحد منهم يقدر أن يفسر له كلام وذلك من هيبة الملك زهير ومن حضر عنده من هؤلاء السادات بنى الأعمام فلما دخل مالك عليهم حياهم بالسلام فلما رأوه ما بقى أحدا منهم جالسا إلا وقام ثم أن الربيع قال له انزل يا مالك واجلس لأن الناس كلهم قائمون لقيامك فقال مالك ياأعم تحب أن أجلس معكم ويطيب منى الخاطر فقال الربيع أى وذمة كل من هناك فى هذا المقام حاضر فقال

مالك لا أجلس حتى تهب لى عبدك ضاجر فقال الربيع وما الذى رغبك فيه حتى خطر لك هذا الخاطر فقال مالك لانى رأيته عبدا نجيبا فأحببت أنك تهبه لى فقال الربيع أجلس فقد وهبتك إياه وإن شئت وهبتك عبدين سواه فقال مالك أشهد عليك هؤلاء السادات العبسية أنك خرجت عنه ووهبته لى فقال الربيع وأى ورافع السموات العلية وباسط الأرضين أنه هبة لك ولا أمن عليك يا أمير بهذه العطية فقال مالك أشهدوا عليه يا جماعة وأعلم ياربيع أن الأمر قد تدبر وأن العبد ضاجر قد قتله عبد شداد وأنه لما رأى الأمر قد فرط منه أستجار بى فاجرته فلا تعارضه كرامة لابى فلما أن سمع الربيع ذلك القول لحقه الكرب والغيظ وزاد بلاءه قال الراوى فعند ذلك قال الملك زهير لولده مالك ما الذى الجأ عنتر إلى قتل العبيد وما الذى يطالب بذلك وما يريد فحدثه مالك بجميع أحواله واعلمه بما قد جرى له فعند ذلك تبسم الملك زهير من مقاله وطيب قلب الربيع ووهبه عبدين من عبيده الشداد وأصلح ما كان عنده من الفساد فلما سمعت عبيد الحلة بما جرى من تلك الفعال هابوا عنتر وخافوا منه فى كل حال وما منهم إلا من خاف منه على نفسه ولو فعل مهما فعل وما عادوا يكلموه وكل من العبيد أيقن أن عنتر سيسكنه فى رمسه ثم أن القوم عادوا لما كانوا عليه من أكلهم وشربهم ولهوهم ولبسهم وفرحوا بما هم فيه من الدعوات فلما أن كان عند المسا عاد مالك إلى بيته وهو فرحان مستبشر غير ملام ثم أنه طيب قلب عنتر وقدم له الطعام والمدام وقعد الليلة بالتمام وتحدثا بما جرى لهما من الأمور والأحكام وأيضا قد حدث مالك عنتر بما جرى له مع الربيع من ذلك الكلام هذا وعنتر قد وثب قائما على قدميه وقد صار من شدة فرحه يقبل يديه ويمدحه ويثنى عليه وأشار يمدحه بهذا الأبيات ويقول أنا وأنتم نصلى على طه الرسول :

يامن بجانبه الرفيع تعلقت دون البرية كلها آمالى قد طال ترددى عليك بحاجتى
وعلى الكرام تحمل الأثقال أوليتنى مننا وأنت ذخيرتى يامنقذى من هلكتى ووبالى

فلأشكرنك طول عمرى دائما حتى تغيب فى الثرى أوصالى

قال الراوى فلما سمع مالك من عنتر ذلك الكلام وفهم مالك ما قال عنتر فى حقه من الشعر والنظام ازدادت محبته فى قلبه وقد احتوى على مجامع ذهنه ولبه وعلم أن ذلك الكلام من الصدر بطل همام وفرح به مالك وقربه إليه وشكره وأثنى عليه فهذا ما كان من أمر عنتر وأما ما كان من الأمير شداد بن قراد فإنه لما عاد من الوليمة وكان قد صعب عليه فعل

عنتر بعيد الربيع ونما غضبه وزاد احضر إخواته بين يديه وهما مالك وزخمة الجواد وقال لهما يابنى أبى لقد تعب قلبى وضاقت بى الحيل ولا أدري ما الذى أعمل فيما جرى وتجدد من أمر هذا العبد الاسود وأنا خائف منه أن يقتل أميرا كبيرا أما له حسب ونسب ويلق الفتنة بين سادات العرب ونصير نحن نطالب بدمه ويصير وجودنا كعدمه فقال زخمة الجواد والله يا أخى لقد نظرت موضع النظار وإن لم تعمل على هلاكه رمانا هذا العبد مع الناس فى غاية الخطر إنه والله يا أخى لو يكون مع هذا الشطارة والشجاعة فيه عقل ما كان له مثيل فى الدنيا بين العبيد ولا فى سائر البشر ولكن بعد هذه الفعال ما نريد خدمته ولا بد لنا أننا ندبر فى قتله ونعود وقد بلغنا المقصود ولكن يا أخى قتله على رؤوس الأشهاد ما هو مليح ولا ينظرونه تحت زمام الأمير مالك بن الملك زهير الكريم المعشر والصواب أن نقتله وهو فى المرعى ونتركه موسدا فى القيعان ولا يدرى به أحد ولا ينتطح فيه كبشان ولا نطلع أحد على ذلك الحال فلما سمع شداد بن قراد من أخيه ذلك الخطاب رآه موفقا للصواب ثم أنهم أتفقوا على ذلك الشأن فلما كان عند الصبح سرح عنتر يطلب المراعى فسارت أعمامه وأبوه خلفه على الأثر وصاروا يطلبون قتله وكان عنتر فى ذلك اليوم قد ساق الأموال وطلب البر الواسع والقفر البعيد الشاسع وقصد بذلك الاتساع فى القفار فى حتى أنه يبعد عن الديار لأجل أن يخلو بنفسه وينشد الأشعار ويترقب من قلب عبلة بالتذكار فسار حتى تعالت الشمس وغاب عن الضراب وتذكر ما جرى عليه من المصايب ففاضت دموعه على خديه سواكب لأنه كان قد رأى عبلة تلك الليلة فى المنام وهى تشير إليه بالسلام فعندها زاد به الوجد وبكى منتحبا وأنشد وأجاد وطربا وجعل يقول :

أتانى طيف عبلة فى المنام ... وقبلنى ثلاثا فى اللثام
وودعنى فاودعنى لهيبا ... وأطفئه فيشعل فى العظام
ولولا اننى أخلو بنفسى ... وأطفى بالدموع لظى غرامى
لمت جوى ولا أشكو لأنى ... أخاف عليك يا بدر التمام
وكيف أروم القرب منك يوما ... وحول خباك أسد فى الآجام
وحق هواك لا داويت قلبى ... بغير الصبر يا بنت الكرام
إلى أن أرتقى رتب المعالى ... بطعن الرمح وضرب الحسام
نسيم الصبح حين تمر فانزل ... بعبلة حيها يهدى السلام

وبلغها شديد الشوق عنى ... إليها فى صباح وفى ظلام
وصف حالى وما يلقى فؤادى ... وقلبى قد أضربه سقامى
أحامى عن هواك بطول عمرى ... وهل لهواك أن يرعى ذمامى
وأبذل مهجتى فى كل صعب ... إذا ما النقع خيم كالظلام
فاما أن شال على العوالى ... وما أن أعد من الكرام
وتخشانى الملوك وتتقينى ... وتحذر فى لظى الهاجا مقامى
خصوصا عندما أطلقت مهرى ... وصار النقع أسود كالظلام
فهيا يا بنى الأندال نحوى ... يمينى أو شمالى أو أمامى
سأنهب منكم الأرواح نهباً ... بسيف باتر صعب المرامى
أنا العبد الذى خبرت عنه ... رعيت جمال قومى مع فطامى
أروح من الصباح إلى المغيب ... وأرقد بين أطناب الخيام
اهيم بعبلة من عظم وجدى ... وأجعلها من الدنيا إهتمامى
وامتثل الاوامر من أبيها ... وقد قاد الهوى منى زمامى
رضيت بحكمهم طوعا وكرها ... لجودا قبل ما التقى حمامى
فان ضيعتمونى ما استفدتم ... فذكرى شائع بين الأنام
وإن عابوا سوادى فهو فخرى ... فانى فارس من نسل حام
ولى قلب أشد من الرواسى ... ولونى مثل لون المسك نامى
ولولا المسك ما افتخرت ملوك ... وأرباب الفخار على العوام
ولولا الليل ما عنيت صبحا ... له شفق يزحزح للظلام
اجيرنى من البلوى اجيروا ... فمثلى من يراعى فى الأنام
رضعت هواك مع لبنى صغيرا ... ويوم منيتى أنوى فطامى
ايحمد إننى أشقى واضنى ... وافنى فى هواك من الملام
ومن عجبى أصيد الأسد قهرا ... وصاد القلب ربات الخيام
وتقتنصنى فتاة ذات حسن ... بناياها مشرفة المقام
ألا ياظبية الجرعاء رقى ... لحالى وأسمعى معنى كلامى
وحقك لو سفكت ذى لأضحى ... حلال فى الهوى وقضى مرامى
محبك فى الورى أمسى وحيداً ... فمنى ياعبيلة بالكلام
إليك عبيلة منى دواما ... سلام فى سلام فى سلام

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم إن عنتر بعد إنشاده لهذا الكلام ولم يزل سائرا فى تلك البقع إلى أن وصل وادى يقال وادى السباع وهو كثير النمور والسباع فعند ذلك فرق الخيل والإبل ترعى فى جانبه وتأكل من عشبه ونباته وكان عنتر قد قصد هذا الوادى من بين الوديان ومن دون الرعيان لأنه علم أن الشعب قد طال فيه قدر وقامة إنسان وما كان فى عبيد بنى عبس أحد يقصده ولا يصل إليه من الرعيان وهو كثير إتساع وهو مسكن للنمور والسباع وما كان قصد عنتر وأتى إليه من دون الوديان إلا أنه قال لعلى أقع فيه بأسد كبير هائل فأقتله وأسطو عليه وأفتخر على العبيد ليعلموا أنى بقيت ذا بأس شديد فلما وصل إلى ذلك الوادى وتلك الأطلال سرح الخيل ترعى مع الجمال وقعد فى بعض الروابى العالية وجعل ينظر تارة يمينا وتارة شمال وإذا هو بأسد كبير قدر الثور وأكبر مجلل بالشعر والوبر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى إذا همز وهمر شدوق شدقهم عبوس ضيغم تسمع الرعد منه إذا همهم ودمدم يلمع البرق من عينيه إذا الليل أظلم هائل المنظر وقد خرج من بطن الوادى وهو يمشى ويتمختر وهو أغبر أفطس المنخر بأنياب أحد من النوائب ومخاليب أحد من المصائب عبوس الوجه تسمع صوته كالرعد شديد الحيل صعب المراس عريض الكف والأساس فلما ظهر من ذلك الوادى وشمت الخيل رائحته تفرقت وشردت فى جنبات الوادى يمينا وشمالا وكذلك فعلت النوق والجمال وهو حاطم كما قال الشاعر

عبوس أفطس الانف شديد الحيل والباس عريض الكف ذوابع
كبير الصدر والرأس إذا كشر نابيه أسالا من دما الناس

(قال الراوى) فلما نظر عنتر إلى ذلك الأمر المنكر تحدر إلى بطن الوادى يكشف عن ذلك الخبر والسيف فى يمينه مشهر وإذا هو بذلك الأسد رابض وباسط يديه وهو يلعب بذنبه ويضرب به جنبيه والشرار يطير من عينيه فعند ذلك زعق عنتر عليه وهجم عليه وصار بين يديه فدوت من زعقته الجبال وقال أهلا وسهلا ومرحبا بك يا أبا الأشبال ويا كلب الفلا إلى أين يا أوحش وحوش البر والبيداء فأنا اليوم والله لا بد أن أحظى منك صيدا فلقد أبديت بأسك وشدة مراسك وصولتك وافتخرت بهمتك وعظم خلقتك فلا شك أنك ملك السباع وسلطانهم وتحكم عليهم ويلك يا أبا الحارث ارجع بالخيبة ولا تجعل لك صولة ولا هيبة فما أنا مثل من لاقيت من الرجال وتعدنى ممن أهلكت من الأبطال يا أبخر الفم ويا فرية الدم أنا مهلك الأبطال وميتم الأشبال أنا لا أرضى أن ألقاك بحسام ولا أقتلك بسنان



عنتر وهو فى الثانى عشر من عمره يفترس جبابرة الأسود أعزل بدون سلاح وأبوه وأعمامه ينظروا أفعاله وهم فى شدة الغرابه والاندهاش

ولا أرديك إلا بالكف والبنان وأسقيك كاس الحمام ثم إنه رمى السيف من يده وحمل عليه وترنم بالشعر وأشار إليه بهذا النظام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام

أنا الأسد الموصوف والبطل الذى   تخاف الورى يوم الحروب سنانى
أكر وأحمى مال شداد والدى   وأقهر أعدائى بضرب يمانى
إذا لازمنى السيف فى حومة الوغا   يطيش من الفرسان كل جبان
ترهبنى أسد الفلا وليوثها   ولا أحدا لايخاف مكانى
فى ساحة البيدا تكون مجندلا   وأسقيك كاسا من صروف زمانى
ولست أخاف الموت أن جد جده   وأفهم ما ألقى بكل لسانى
وها أنا أرمى السيف ويحك من يدى   وأرديك يا كلب الفلا ببنانى

(قال الأصمعى رحمه الله تعالى) وفى تلك الساعة وصل الأمير شداد وأخوته كما ذكرنا وقد أتوا يريدون أن يقتلوه ويخفوا أمره كما قدمنا فرأوه وهو يخاطب الأسد وسمعوا جميع ما ترنم به وأنشد فصاروا ينظرون ما يجرى بين الأسد وبين عنتر الهمام الأمجد فقال شداد يا إخوانى أراحنا الله فلا تعب وعنا لأنى أراه نزل إلى الأسد بلا سلاح وفى هذا الوقت يقتله وعلى وجه الأرض يجندله ونرجع نحن فى عاجل الحال من غير أن يتعب منا الخاطر والبال فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الحديث والخبر (وأما ما كان) من عنتر فانه انحدر من الرابية وهجم على الأسد وقع عليه وقوع البازو نفخ مثل ما ينفخ الثعبان الأسود الذى هو بلقاء الأسود معود وكبب يده وامكه فى رقبته ووثب قائما عليه حتى صار محاذياه اكتفيه وقبض على شدقيه وتمطى فيهما واستعان بالله وقوته فشقهما إلى كتفيه وحدلبته وصاح

بعد ذلك بصوت أزعج الوادى ثم صبر على الأسد حتى طلعت روحه وقضى عليه وسحبه إلى خارج الوادى برجليه ثم إنه جمع الحطب من يابس الأشجار وأخرج من جربنديته زنادا وأوقد النار وأضرمها فى ذلك الوقت بالحطب وصبر حتى بقى كله جمرا يتلهب ثم إنه سلخ الأسد وشق جوفه وأخرج أمعائه وقطع يديه ورجليه ورقبته ولف اللحم فى الجلد وطرحه بعد ذلك على النار وصبر حتى نضج واستوى وصار يقطع ويبلع حتى أكله وما بقى منه إلا العظام الخشنة حتى أنه كاد أن يشبع ثم إنه مضى إلى عين ماء كانت قريبة إليه وشرب منها حتى روى وغسل يديه ووجهه وبعد ذلك أتى إلى شجرة فرقد تحتها وجعل رأس الأسد له وسادة واستظل من تلك الشجرة بظلها هذا كله يجرى وأبو شداد وأعمامه ناظرون إلى ذلك العمل وقد عاينوا جميع ما فعل فما منهم إلا من خاف منه واندهل فعند ذلك تشاوروا مع بعضهم البعض أنهم يهجمون عليه وهو نائم فقال زخمة الجواد وقد حار من تلك الفعائل والله من يكون له مثل هذا ويفرط فيه فلا يكون وعاقل والذى أعرفه أنا وأتحققه من غير مماطلة أن العاقل هو الذى لم يكن بينه وبين هذا العبد معاملة فقال مالك وقد خاف من ذلك الأمر ويلك يا أخى فكيف يكون التدبير فى هلاك هذا العبد القليل القدر وقد صار أمره كبير ولا فينا من يقدر له على مضرة ولا يدنو أحد منه إلا ويهلكه فى كرة ويوصل إليه البؤس والمضرة ويفعل به كما فعل بهذا الأسد ويجعل حشو جوفه مبددا وجسده فى القاع عددا وربما أنه يقتل أحدا منا وربما يكون ما شبع فيأكلنا مثل ما أكل الأسد (قال الراوى) فقال شداد لما سمع من إخوته ما أشاروا به عليه الرأى عندى أننا نعود بحرمتنا ونترك هيبتنا باقية علينا لأن الذى كنا نخاف منه على الخيل والجمال قتله وعجل فناءه وأكله وقد صرنا على أموالنا مطمئنين من هذا العشب وهذا الوادى آمنين وبعد ذلك قطعوا الكلام ورجع شداد وإخوته إلى الديار وكل منهم من فعل عنتر محتار فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر فإنه صبر إلى المساء ورجع إلى الحلة بالأموال من الخيل والغنم والنواق والجمال فتلقاه أبوه شداد وتبسم فى وجهه وأكرمه وأحسن إليه وأخذ بيده وأجلسه معه على الطعام فأكل هو وأباه والعبيد كلهم قيام على الأقدام فبينما هم على مثل ذلك الحال وإذا هم برسول الملك زهير قد أقبل ووقف بين يدى الأمير شداد وقال له أيها الأمير والسيد الخطير أن الملك زهير يسلم عليك وقد أرسلنى إلى حضرتك يأمرك أنك تأخذ أهبتك أنت وإخوانك لأجل أمر عظيم وهو يريد الغزو إلى بنى تميم وقد عول عند الصباح على المسير إلى أطلالهم ليقطع آثارهم ويخرب ديارهم فلما سمع شداد ذلك القول أجاب بالسمع والطاعة وأنفذ خلف إخوته ومن يلوذ به فى تلك الساعة (قال الراوى) ثم إن شداد التفت إلى عنتر

وقال أعلم أنى فى غداة أسير مع أبدال الحى وجميع الفرسان وتبقى البيوت خالية من الشجعان فوصيتك بابياتنا والنسوان ولا تبعد إذا خرجت للمرعى عن الحى مع الرعيان فقال عنتر يامولاى أن عدم ما تسلمه لى عقال فاتركنى عليه بقية عمرى فى الاعتقال فشكره الأمير شداد على ذلك المقال ووعده أنه إذا عاد من الغزو يعطيه فرسا يركبها فى المجال وجبة يلبسها لملاقاة الرجال فلما أصبح الصباح ركبت الأبطال وسارت عن الديار والاطلال وفى أوائلها الملك زهير كانه لأسد الريبال ولما خلا الحى من الفرسان وتخلف البنات والنسوان والعبيد والغلمان صنعه سمية زوجة الأمير شداد وليمة للنساء على غدير ذات الارصاد وغنت بها الجوارى والمولدات وكان عنتر من جملة الغلمان وهو بذلك القصد فرحان لأن عبلة كانت من جملة البنات والنسوان وقد خرجت وهى تزهو بينهن كأنها الغزال العطشان وعليها الحلى والحلل المختلفات الالوان وقد تولى عنتر خدمتها وقد غرق فى بحر محبتها وقد سبته بسواد مقلتها وقد طلعت أمها أيضا بالجلة وطلعت النسوان وهن يتمايلن كانهن الاغصان وقد أكلن من الطعام ودارت بعد ذلك عليهن كؤس المدام وكان الزمان يومئذ زمان الربيع والأرض قد كسيت بزهرها البديع وقد تبهرجت بحسنها وجليت لعشاقها فى حلل اشرافها وتأرجت فى آفاقها بشذا عباقها وفاضت غدراتها وفاح اقحوانها وفاح شيحها وبعيثراتها وتجاوبت الأطيار على أغصانها وترنمت بالحانها وهى كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات صلوا ابنا ياحاضرون على سيدنا محمد سيد السادات وصاحب المعجزات اللهم صلى وسلم وبارك عليه:

الظل ممدود السرادق والروض مفروش النمارق
والظهر فى خاقاته مثل الطراز على الشقائق
من أبيض وأحمر مع اصفر فى اللون فائق
وترى الغدير بمائه مابين ذاك الروض دافق
اشجاره وثماره شبه القلائد والبخانق
والطير غرد فوقها طربا باصناف الطرائق
من بلبل وحمامة ناحت فابكت كل عاشق
هب النسيم فصوتت ورق الغصون على الحدائق
نثر النثار فاطلقت بالزهر أشجار عوائق
والوقت طاب وقد مضت بالوصل آفاق العوائق
راق الزمان فكن إله لذا يوما مسابق
وافرح وته ولا تكن للهو ياهذا مفارق

(قال الراوى) هذا وقت أخذت النسوان فى شرب المدام اللهو والطرب حتى كاد البر بهم يلعب ثم أن بعض الجوارى والمولدات قامت من بينهن وشدت خمارها ضربت طارها ورقدت وانخلعت وأنشدت تقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول :

أشرق المرج بما فيه من البيض الغوالى كل عذراء حلوب ذات غنج ودلال
ذات حسن ودلال مبدعات بالجمال كل عذراء كعوب ذات حسن وكمال
مائسات بقدود مثل أرماح العوالى سابلات الشعور كعناقيد الدوالى
فاقدات صائدات بلحاظ كالنبال فاتكات آسرات قاهرات للرجال

(قال الراوى) ثم إنها تخلعت كل الاختلاع فعندها قامت عبلة من بين أترابها ورقصت باعجابها وضحكت فلمع البرق من بين نيابها وغنت فاخذت من الحاضرين عقولها فزاغ من عنتر البصر وذهل عقله وتخبل ثقله وهم أن يقوم فى تلك الساعة ويهتك العشق بأنامل البلبال وإذا هم بخيل طلعت عليهم من بين الجبال فتبينوهم وإذا هم مائة فارس من بنى قحطان قد أدركتهم على الغدير وقصدت النسوان فساقوا الجميع بالذل والهوان وأما عبلة فقد انقض عليها بعض الفرسان وأردفها وراءه على الحصان فنظر عنتر إلى ذلك الشأن فغشى عليه ولكن ما معه عدة تدفع عنه شدة فركض على الفرسان وهو ماش على الأقدام إلى أن لحق الفارس الذى سبى عبلة وجذبه من على ظهر جواده ورماه على أم رأسه فقصف رقبته وأخذ حصانه وسلاحه بعد ما أنزل عنه عبلة وركب وناداهم ياأوغاد ألم تعلموا أنى عنتر بن شداد ثم أنه مال عليهم فقتل منهم أربعين وحمل عليهم قال عليه منهم عشرون وتأخر الباقون فتلقاهم عنتر وهو ينشد ويقول بعد الصلاة والسلام على المظلل بالغمام :

أنا فى الحرب العوان غير مجهول المكان وحسامى مع سنانى
يشهدا لا ينكران وإذا نادى مناد فى دجا الهيجا ترانى
اطعن الخصم برمحى وهو يقظان الجنان ثم أسقيه المنايا
وهو منى غير دانى اننى قرم شجاع ثابت يوم الطعان
خلق الرمح بالكفى والحسام الهندوانى وهما فى المهد كانا
فوق صدرى يؤنسانى وهما ركنى وحرزى وبحربى يشهدان
اننى ألقى عدوى عابسا فى الأرض فانى وإذا ما الأرض صارت
وردة مثل الدهان والدما تجرى عليها لونها كالأرجوان
ورأيت الخيل تجرى فى الفلا والصحصحان أترك القوم حيارى
من ضرابى أو طعانى علانى إنما الدنيا أمانى
واسقيانى الخمر صرفاً فامزجاها واسقيانى عتقت حتى ظننا
انها قبل الزمان وأنت تسعى الينا فى رداء أرجوان
فاتبعانى واسمعانى نغمة كى تعجبانى وصرير الرمح جهرا

في الوغا يوم الطعان وصياح القوم فيه وهو للارواح دانى
إن هـذا الفعل عنـدى هو أمان فى أمان

أول موقعة لعنتر بن شداد وعمره أربعة عشر عاما قطع قبيلة بنى خطان بمفرده



(قال الراوى) ثم إنه استقبل القاب بقلب أقوى من الحجر وتلقاهم بطعن لا يبقى ولا يذر وكان قد عرف مقدم القوم وقاربه فحمل عليه وحاربه وزعق فيه فارعبه وطعنه فى جانبه فقلبه فلما نظر أصحابه ما حل به وكيف قتل مقدمهم انقطع طمعهم وقالوا إذا كان هذا جرى علينا من عبد لا قيمة له ولا مقدار فكيف يكون حالنا إذا جاءت الرجال الكبار فدعونا ننجو بأنفسنا وإلا حل بنا الهلاك والدمار (قال الراوى) ثم انهم عادوا وطلبوا العرب لما قد حل بهم من الويل والعطب وخلص النسوان بعدما كان قد وقع بين الذل والهوان ثم إن عنتر بعد رواح الفرسان وخلاص الحريم جمع الخيل والاسلاب وعاد وهو فرحان وقد زاد به الوجد والهيمان فانشد وقال بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المفضال :

هذى فعالى إذا ما الخصم أنكرنى وعايروا بسوادى وهو لى سود
أكفكف الخيل والابطال صاغرة ويقحم الحرب مهرى وهو موفود
من كان ينكرنى جهلا فقد علمت كل الخلائق أن الفضل محمود
أنا ابن يومى هذا والحسام أبى وفيه فخرى محمود وموجود

(قال الراوى) ثم إنه ضم الخيل والأسلاب فكانت ثمانين حصان وقد ازداد فى محبته النسوان اللاتى قد كشف عنهم الذل والهوان وسترهم بعد ما كانوا قد ايقنوا بالهتيكة والخذلان وسمية زوجة شداد قد تبدلت له بعد البغضة محبة وزادت فيه شهامة بنى زغبة وصار فى قلبها أحلى من الرقاد على العين بعد السهاد وصار عندها أعز من سائر الأهل والاولاد ثم أنها حلفت سائر الأماء والعبيد انهن لا يظهرن هذا الخبر لأحد من الفرسان خوفا عليهم من الرجال لئلا يغتاظوا من أجل أنهم خرجوا من البيوت إلى الغدران هذا وعنتر قد كتم حاله حتى كأن ذلك الشيء لم يكن جرى له (قال الأصمعى) وبعد أيام قلائل قدم الملك زهير من غزو بنى تميم ومعهم من الخيرات شيء جسيم وفرح المقيمون بالقادمين وكان لقدومهم يوم كثرت فيه الأفراح وركب شداد بعد قدومه عند الصباح وخرج ليفتقد أمواله ونوقه وجماله فوجد فيها خيلا زائدة ورأى عنترا راكبا على حجرة دهماء كأنها الليلة الظلماء تسبق الطرف وتفوق الوصف فقال له أبوه شداد أخبرنى من أين لك هذه الخيل الجياد فقل لى واصدقنى فى المقال وإلا نزلت بك الذل والوبال وكانت الحجرة التى تحت عنتر لمقدم بنى قحطان الذى قتله عنتر يوم وليمة النسوان وباقى الخيل من خيل الفرسان وأما الاسلاب فكان تركها عند أمه وأوصى عليها إخوته الذين كانوا يحملون همه ولما سأله أبوه عن الخيل وقد رآها شداد متفرقة فى المرعى تتدفق مثل السيل قال عنتر يا مولاى مرت على وأنا فى المرعى وأظنها غائرة ومن أرض اليمن إلينا هاربة تسعى ومعها غنائم ومن كثرتها لا تساق وكان القوم قراعا من العرب فساقوا الذى ساقوه وانقطع منهم الذى انقطع فاقتفيت آثارهم والقوم لا يعلمون بى وصرت لهم تبع فخطفت هذه الخيل من أعقابهم وهم لا يعرفون إن كنت من أعدائهم أو من أصحابهم فقال له شداد كذبت يا عبد السوء ما هذه خيل تنقطع من ركابها ولا أخذتها إلا من تحت أصحابها لانك تخلو بنفسك فى الفلوات وكل من عبر عليك أخذت ماله ولا تبالى إن عاش أو مات ولا تعرف أن كان من أعدائنا أو من حلفائنا ولا تزال على هذه الحالة حتى تلقى بين بنى عدنان الشر والعداوة قال الراوى وكانت العرب فى ذلك الزمن صنفين فمن أرض اليمن إلى نحو البحر يسمون بنى قحطان ومن أرض مكة وبر الحجاز يسمون بنى نزار وبنى عدنان وعرب أرض العراق يسمون شيبان وعرب الشام يسمون بنى غسان وقد ذكرنا ذلك أولا فى الديوان ثم اختلفت بعد ذلك أسماء القبائل وعادت إلى نسب واحد فى الفعل والأمر والخصائل وقد قال شداد هذا المقال من خوفه من عنتر أن يلقى فى أرضهم الفتن ويقيم بين العرب المحن وكان الذى قوى عزم شداد على تلك الفعال قتله قدامه الأسد فى الوادى المسبع فى سابق الحال حين تبعه هو وأخوته وراه

السكى بقتلوه ثم إن أباه الأمير شداد قبض عليه وجذبه إلى نحوه وشد يديه ورجليه وهذا مطأطئ لا يستطيع من شدة الحياء أن يتكلم وفى ذلك الوقت كان وجوده كأنه العدم وقال له أقعد ههنا ما بقينا نريدك ترعى جمالا ولا مالا ثم إنه قبعه بالسوط على أكتافه حتى أورد أتلافه وهو فى الاعتقال (قال الراوى) فلما أبصرت سمية زوجة أبيه شداد ما قد جرى على عنتر جرى دمعها من عينيها وانحدر على خدودها وقامت فى وجه شداد تسترضيه وقالت له ورب البيت ما أدعك تؤذيه فزاد غيظه وغضبه ودفعها فى صدرها فالقاها على ظهرها فقامت وقد انكشفت رأسها فألقت عليه نفسها وقالت له والله لا أمكنك من ضربه حتى أنك تضربنى قبله فقال لها شداد ويلك ما الذى أوقع فى قلبك هذه المحبه فقالت له أطلقه حتى أقص عليك قصته وأحكى لك حكايته وما جرى من شجاعته وقوة عزمه وبراعته قال الراوى ثم أنها قصت عليه وأخبرته كيف دعت النسوان وكيف غارت عليهم خيل بنى قحطان وكيف لحقهم عنتر وأباد منهم الشجعان وقتل المقدم على الفرسان وكيف لقى وحده مائة عنان وردهم بالذل والهوان وكيف صان الحريم وفعل فعل الكريم ثم أنها أنشدت وجعلت تقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الرسول :

شداد لو رأيتنى والوجه مكشوف ... وثقل ردفى ورا الفرسان مردوف
وعبلة أركبوها من ورا بطل ... ودمعها فوق صحن الخد مذروف
وعرس قيس تنادى لاسبيل لها ... وخمرتى عن أديم الوجه مكشوف
أما العبيد الأولى حرستهم هربوا ... وكلهم فر يجرى وهو مرجوف
وأهلنا حولنا يبكون جوى وضنى ... وظعننا قد سبى والقلب ملهوف
نخاضها عنتر والنقع ثائرة ... والجوز والظلمة والطير معكوف
ولت فوارسها من عظم صولته ... هذا قتيل وذا بالقيد مكتوف
وصاننا بعد ما رحنا بأجمعنا ... خلف الرجال وعرض الكل متلوف
يحق أن أراعيه وأحفظه ... ستر لعرضى وستر العين مكشوف

قال الأصمعى فلما سمع شداد كلامها وشعرها ونظامها تعجب من ذلك المقال وأخذه من ذلك الطرب وقال والله إن حكاية هذا الغلام أعجب وكتمانه هذا الحديث من أعجب العجب وانقياده معى للشد والوثاق أعظم وأغرب وهو من المروءة وسلوك الأدب * هذا وعنتر واقف بين يديه وهو مستحى منه وهو مشغول بنفسه وقد سمع سمية زوجة أبيه وهى تشكره وتثنى عليه والقيد فى رجليه والكتاف قد آلم يديه فتذكر بعد ذلك ما جرى عليه ففاضت الدموع من عينيه وبكى حتى غشى عليه ولما عاد إلى نسبته العربية جاش الشعر فى

خاطره فباح بما استكن فى ضمائره فأنشد عند ذلك وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الرسول :

قامت تظللنى والضرب يؤلمنى   والدمع من جفنها الهطال ينهمر
كأنها عندما أرخت ذوائبها   بدر بدا وظلام الليل معتكر
فالمال مالكمو والعبد عبدكمو   والروح تفديكمو والسمع والبصر
ستذكرونى إذا ما الخيل قد طلعت   عبس الوجوه عليها البقع معتكر
إذا لم أكفكها والطعن مختلف   فلا سقيت ولا أرونى المطر
سمر العوالى عندى ترتوى بدم   وعند غيرى تحاكى وخزها الإبر
والسيف فى راحتى قدما مضاربه   وسيف غيرى ما فى حده أثر
والناس قسمان هذا قلبه صدف   عند القتال وهذا قلبه حجر

قال الراوى فلما سمع أبوه هذا المقال قام إليه وقد لحقه الاندهال وحله من اعتقاله وقد تعجب من أفعاله ومن فصاحة بيانه وعلم أن الشعر والنظام لا يخرج إلا من صدر فتى همام وفارس ضرغام فخلع عليه واعتذر إليه قال الراوى وبينما هو معه فى ذلك القول وإذا قد أقبل عليهم عبد من عبيد الملك زهير بن جذيمة وهو يطلب شداد وأخوته ليحضروا وليمة عودة السلامة فعندها أخذ شداد عنترا معه وصار إلى وليمة الملك زهير وقد توهم فيها المسرة والخير ولما وصلوا رأوا بيوت الملك زهير منقلبة بدق الدفوف والمزاهر وجزر الجذور ونحر النحور وقد اجتمعت هناك سادات عبس وفرسانها وأبطالها فجلس شداد وبقى عنتر واقفا مع جملة العبيد وهو بينهم كأنه الأسد الصنديد وقد دارت أقداح الراح وامتزجت بينهم المسرة والأفراح وعمل العقار فى الأسرار وقد أخذوا فى إنشاد الأشعار وذكر الوقائع والأخبار فسمع شداد كل حكاية وشعر فما سمع أحسن مما جرى لولده عنتر ثم أنه حدث الملك زهير بما فعل عنتر وبما نظم ونثر ووصل الحديث ودار بين كل من حضر فتعجبوا من فصاحته وشجاعته فقال الملك زهير والله أنه من حين قتل عبد ولدى شاس علمت أنه ستكون له شهرة بين الناس وأن تكون هذه الفعال فعاله يجب علينا أن نعلى قدره ثم أن الملك زهير أدناه من ساعة فتقدم عنتر وباس الأرض بين يديه وسلم عليه فناوله القدح وقد غلب عليه السرور والفرح فلما شربه عنتر ورأى نفسه بين ذلك المحضر استنشده الملك زهير الأبيات التى ذكرها عنه وكان قصد الملك زهير أن يسمعها منه فعند ذلك ترنم عنتر وأنشدها وصار الملك زهير يشرب ويسقيه ويسأله عنها وهو يرددها ويقولها والملك زهير والحاضرون جميعهم يصغون إليه وقد زاد عنده لمحبوبته عبلة العشق والهيمان وأراد أن يكتم فلم يقدر على الكتمان

و باحت بأسراره دموعه فنطق بما عنده وما اشتملت عليه ضمائره وضلوعه فأنشد وجعل يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

العشق كالموت يأتي لامرد له ... مافيه للعـــاشق المسكين تدبير
كم ذل فيه عزيز كان مقتدرا ... وشاع هتك حب وهو مستور

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات والشعر والانشاد طربت من سماعه الفرسان الأجواد فقال له صديقه مالك يا عنتر فقال لبيك يامن هو جمال هذا المحضر فقال له الأمير مالك اشتهي عليك أن تنشدني شيئا من أشعارك الجياد كما أنشدت أباك شداد حتى يزداد فيك حبي ويكمل فيك طربي ويرتد سروري وسرور أبي فقال عنتر سمعا وطاعة فأنا أنشدك شيئا ما قلته إلا في هذه الساعة ثم أن عنتره رفع رأسه وأنشد وقال أنا وأنتم نصلي ونسلم على سيدنا محمد المصطفى الذى سلمت عليه الغزال :

العز في صهوات الخيل معقود ... والنصر بالسيف في يوم الوغا جود
ماثار نقع عجاج يوم معركة ... إلا أغاثني السمر الاماليد
أخوض في نقعها لم أخش غائلة ... إذا انثنى هناك البيض والسود
كم من فتى شرس ألقى السلاح إذا ... ثار العجاج قولي وهو مطرود
هناك اقتحم الحرب العوان ولي ... قلب وصدر من الأحجار مقدود
ياايها الملك الضرغام لو نظرت ... عيناك فعلي وسيفي وهو محدود
لمـــا أتونا العدا يبغوا غنائمنا ... القيت سيدهم في القاع ممدود
علوته بحســام ما به ملل ... فمال عن سرجه والخد مخدود
ملكتني يامليك الأرض قاطبة ... وذكر في جميع الأرض ممدود
أنتم ملوك مـن يعاندكم ... يلقى الهوان سريعا وهو مصبود
فدونكم أسدا ماسل صارمه ... إلا وهابته فرسان صناديد
ولا يخاف لقا الأبطال أن كثرت ... ولا يذل لجمع وهو مسعود
تهابه الأسد في غاباتها جذعا ... والجن ترهب منه والعرابيد
أخوض في النقع والأبطال جائلة ... والسيف يغتال لايثنيه جلمود
لاأنثنى عن مرادي حين أطلبه ... حتى يكون الذى أرجوه مقصود
إني لعبـــدكم أدعى بعنترة ... يوم الكريهة آبائي جدود
ويحفظ بالله شدادا أبي فله ... عندى يد لاتكافأ وهو مسعود
لانه السيد المولى وذو شرف ... من آل عبس وهم قوم صناديد

(قال الراوى) فعند ذلك طربت من نظمه السادات ووقعت فى قلوبهم هيبته ومحبته وصاروا يتعجبون من فصاحته وفرح الأمير مالك بن الملك زهير لأنه من جملة المحبين لعنتر وكان فرحه من أبيه أكثر لأنه كان من أشد متعصبيه هذا وقد خلع عليه الملك زهير حلة وعمامة لا تصلح إلا للملوك الكبار من ملوك تهامه وأكرمه غاية الإكرام ولما أن كان فى المساء عاد مع أبيه شداد وقد انسر بما وقع له وقلبه فرحان ببلوغ المراد وبعلو قدره ورفعة موضعه بين العباد وقد زاد فى عبلة طمعه وغرامه وتمكن حبها من قلبه وجميع أعضائه إلا أنه كان يكتم هيامه وجواده ولا يبوح إلى أحد بشكواه لأنه ينظر لنفسه بعين العبودية وأن القوم له موالى ولا يملأ عينه بالنظر إلى عبلة إلا إذا كان المكان خاليا فلما كان عند الصباح ركب عنتر جواده وقد امتلأ قلبه من العشق والغرام فؤاده وأخوته بين يديه تسوق الأموال إلى المراعى وهو من ورائهم حام لهم وراعى قال الاصمعى وكان أخوه شيبوب آفة العبيد واقواهم وأشدهم جنان وهو كأنه شيطان فى صورة إنسان إذا جرى يلحق الغزلان وإذا طلبته الخيل قطعها بين الوديان والكثبان قال الناقل وكان أولاد الملك زهير قد أصبحوا فى دعوة وليمة قد صنعها لهم عمهم اسيد بن جذيمة وكانوا قد اشتهوا عليه أن يبعد بهم فى البرارى والقيعان ويسقيهم على ربوات الرعيان ففعل ذلك وأمر العبيد والخدم أن تسبقه إلى ذلك المكان بالأغنام والمدام ويذبحوا الذبائح ويرجوا الطعام وركب أولاد الملك زهير العشرة وهم شاش وقيس ورقاء وخداش والحارث وكثير ونوفل ومالك ونشهل وجندل وساروا جميعهم إلى رابية خضراء وهى عالية مشرفة على الأرض والصحراء ممدحة الجنبات ومزهرة بالنبات وحولها عيون نابعات وغدران جاريات ووحوش نافرات وأرضها منوعة بالزهورات كما قال الشاعر هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات .

وبغض العبقرى الوشى غض ... نشا كل حين زخرف بالعقيق
سماء زبرجد فيها نجوم ... تراهم طالعات من عقيق

(قال الراوى) ثم أنهم جلسوا وقدم لهم العبيد الطعام فأكلوا وحضروا إليهم المدام فشربوا ونهلوا فعند ذلك رفعت الأصوات وغنت المولدات ودارت عليهم الكاسات والطاسات وأنشد فى حقهم هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على سيد السادات :

امزج بماء نار كأسك واسقنى ... فلقد مزجت مدامعى بدماء
واشرب على ظهر الرياض مدامة ... تنفى الهموم بعاجل السراء
لطفت فصارت من لطافة قدرها ... تجرى كجرى الروح فى الأعضاء

وكان ذات حبابها من جوهر أودات نار كيفت بها هواء
شمس الدجا قصت فرين وجهها بدر الدجا بكواكب الجوزاء

قال الراوى ولما تمكن خندريسهم من رؤسهم وبما هم فيه من اللهو والطرب طابت عند ذلك نفوسهم فعند ذلك التفت مالك ابن زهير ومد عينيه فرأى صديقه عنتر الذى يعز عليه وهو راكب جواده كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل والخيل والجمال أمامه ترعى وأخوته شيبوب وجرير بين يديه وهما يردان المواشى إلى المرعى وعنتر يطارد الوحوش ويتشاغل بالصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص فقال مالك هذا والله عنتر بن شداد الذى يجب أن يفتخر به الأمجاد والله إن مثله قليل لا يوجد فى الشداد لا سيما فصاحته فى المقال وحسن الفعال قال الراوى ثم أنه استدعى ببعض العبيد وقال له امض إلى عنتر وأدعه لنا لنتم به أفراحنا وسرورنا وتنتظم بمحادثته أمورنا فقال شاس من شدة بغضه لعنتر والله يا أخى إنك لقد نظرت إلى هذا العبد بغير موضع النظر وشكرته وهو لا يشكر وبالأمس أنت وأبى أجلستموه بين السادات ورفعتم قدره وبين القادات واستمعوا منه تلك الأبيات وتركتم له بين العبيد منزلة عظيمة ورفعة قدر وقيمة ولقد كدت أنى أقوم إليه وأضربه بسيفى فاقتله لما فى قلبى منه ولولا أنى أخاف من غيظ أرباب الأحاجى لكنت قتلته مجازاة لقتل العبد داجى وكنت مستريحا منه ومن ذكره إلى وقد زدتنى عليه الآن بغضا وصفك له بين يدى وأرسلت إليه وراه فوالله أن حضر معناها هنا لأقتله أشر قتله ولا أمثل به أقبح مثلة (قال المؤلف) فبينما شاس مع أخيه مالك فى هذا الكلام وإذا قد طلعت عليهم غبرة كأنها الغمام وبعد ساعة انكشفت وبان من تحتها ثلاثمائة فارس همام كأنها أسود الآجام وتحتهم خيول كأنها الغزلان وهم على ظهورها كأنهم العقبان وعلى أكتافهم رماح كأنهم الأشطان متقلدون بسيوفهم كأنها النيران ولما أن قربوا من المرعى وأشرفوا جمعوا رؤوس أخيلهم ووقفوا (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكانت هذه الخيل من بنى قحطان وقد وصلوا إلى هذا المكان فى طلب غنيمة يغنمونها من أرض بنى عدنان لأنهم كانوا قد قل عليهم الزاد فى ذلك المكان فتفرقوا سرايا فى الطرقات والوديان فكانت منهم السرية التى جاءت يوم وليمة النسوان وجاءت هذه السرية الأخرى الآن وكان قصدهم أن يسرقوا أموال بنى عبس من مراعيها ويأخذوها فوجدوا هؤلاء وهم يشربون المدام ولا عادوا يعرفون القعود من القيام فقالوا لبعضهم البعض احملوا بنا على هؤلاء العصابة اليسيرة لنأخذهم إلى ديارنا فإن فداهم أهلوهم بالمال فهو الغنى لأن هؤلاء سادات هذا المكان وكبراؤه وبهم نبلغ المنى ثم أنهم أكبوا رؤسهم فى قرابيس سروجهم وحملوا كأنهم العقبان وهم ينادون يا آل

قحطان وقد حملوا كأنهم الأبالس وكانوا ثلاثمائة فارس فلما شاهد أولاد الملك زهير إلى ما حل بهم عند اصطباحهم تواثبوا إلى خيولهم واختطفوا عدة سلاحهم ثم انحدروا من على ذروة الجبل وما منهم إلا من صاح وحمل وغاصوا تحت العجاج والقسطل وانطبقت عليهم فرسان اليمن مثل انطباق البحر إذا ماج وسمع عنتر صياحهم فخاف أن تنهبهم الأعداء برؤس العوالى لا سيما وفيهم صديقه مالك الذى اصطفاه وأجاره ومن دون بنى عبس أحبه واستخاره فلما حقق عنتر ذلك الأمر أحمرت عيناه حتى بقيت كأنها مثل الجمر وصاح فى أخيه شيبوب وطلب مقدم القوم وانحدر عليهم من الرابية مثل البلاء المصبوب (قال الراوى) وكان هذا الفارس أخا فاتك بن جلاح الذى قتله عنتر يوم سبى النسوان وكان قصده أن يأخذ ثأره فلما أن رآه عنتر علم أنه مقدم القوم فحمل عليه وطعنه بين ثدييه فاخرج السنان يلمع من بين كتفيه فمال عن جواده وصار يتخبط فى دمه بيديه ورجليه وحمل على أصحابه ففرقهم بالحسام وفرشهم تحت الأقدام وجعل السروج خالية من الرجال فنظروا منه شدة الأهوال التى لا تندفع والبلاء الذى لا يرتد ولا يمتنع فما بقى منهم من يسمع ولا يبصر ولم يكن لهم أوفى غنيمة من الهرب وقد انقطع منهم الطمع والطلب فلما فرغ من ذلك طلب أولاد الملك زهير من أجل خوفه على مالك وصاح فيمن بقى عندهم من الفرسان التى كانت هنالك فارتعدت من هيبته الأبدان وتغيرت من زعقته الألوان والتقى بأولاد الملك زهير وقد تبدل خوفهم بأمان وقد أقبل عليهم مثل ثنية الجبل وهو ينثر الرجال مثل نثر الحرمل وهو يصول ويجول وينشد وهو يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات ﷺ

لا ترتقى درج المعالى إلا بأطراف العوالى
والصبر فى يوم الوغا عند الملمات الثقال
ولقاء كل غضنفر أو قسور حامى الشبال
سلنى تجدنى حين إذ طار الشرار من النعال
لى مرهف يلقى إذا جردته صرف الليالى
طعنى تشق له النساء جيوبهن على الرجال
وأنا ابن سوداء الجبين زبيبة ذات الدلال
عبد يخاف طعانه سادات كل والموالى
والموت قد قابلته ما كنت قط له أبالى
هى شربة لابد لى منها إذا حان ارتحالى
أسعى إليها إن أتت من على يمينى أو شمال
ثم الصلاة على الذى قد جاءنا بالدين غالى

(قال الراوى) المرتب لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب البديع الغريب بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الحبيب صاحب البردة والقضيب والناقة والنجيب الذى كل من صلى عليه قط لا يخيب كيف يخيب وهو يصلى على الحبيب يا سادة ثم إنه بعد ذلك النثر

والنظام وما قال له من الكلام خاض العجاج ورمى نفسه فى المعمعة وصاح وهاج وترك الدم بحسامه يسيل من أنابيب الأوداج ورمى الفرسان على التراب وبددهم أفرادا وأزواجا وأوقع فى قلوب الأعداء الانزعاج وانكشفت الغمة عن أولاد الملك زهير وحصل لهم غاية الأفراح والابتهاج (قال الراوى) وكانت العبيد قد ألقوا النفير فى بنى عبس فعلم الملك زهير ما أصاب أولاده بالأمس فتغيرت أحواله وهاج بلباله فركب فى عاجل الحال على جواده وتراكضت من خلفه فرسانه وتتابعت من ورائه أقرانه وشجعانه وما وصلوا إلى المكان المعهود إلا وقد وجدوا عنترا قد قضى الاشغال وهزم الأبطال وبدد الأقيال من الرجال فى المجال ورجعوا عائدين إلى الخيام الغوال وعنتر بين أيديهم كأنه الأسد الريبال وهو مع ذلك يترنم بالأشعار وينشد ويقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات ﷺ

لا يطلب العز من لم يركب الخطر ... ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن أراد العلا عفواً بلا تعب ... يمت ولم يقض من لذاتها وطرا
لابد للشهد من نحل يمانعه ... لا يجتنى النفع من لم يحمل الضررا
وأحزم الناس من لو مات من ظمأ ... لا يقرب الورد حتى يعرف الخبرا
فقد يقال عثار الرجل أن عثرت ... ولا يقال عثار الرأى إن عثرا
يهون بالرأى ما يجرى القضاء به ... من أخطأ الرأى يستوشم القدرا

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير منه ذلك المقال ورأى منه تلك الأفعال أعجبه ذلك الحال ثم أنه فرح بسلامته وسلامة أولاده وحمد عنترا على حسن وداده وسألهم عن الخيول الغائرة فحدثوه بحقيقة الخبر وما منهم إلا من أثنى على عنتر ومدحه وشكر وعادا لجميع وكلهم ينشدون ما سمعوه من الأشعار التى قالها عنتر عند حملته ويتعجبون من فصاحته وشجاعته ولما وصل الملك زهير إلى بيوته ومضاربه جدد الولمية لأولاده وأهله وأقاربه ثم أنه لما جلس أقعد عنترا إلى جانبه وسقاه من خاص شرابه ورفعه على جميع أصحابه وخلع عليه من ملابسه خلعة معلمة بالذهب وأركبه على جواد من أفخر خيول العرب وقلده بسيف مشطب ثقيل اللمس وسماه بحامية بنى عبس وقال لأبيه شداد لاعدت من هذا اليوم فصاعدا تحط منزلته يرعى الجمال بعد ما بان منه ما بان من جميل الأفعال وفصاحة المقال واتركه يغير مع الشجعان ويغزو مع الأبطال (قال الراوى) ومن ذلك اليوم لما أن رأى أبوه منه ذلك رفعه فازداد فى عبلة ابنة مالك طمعه وهى التى كانت سببا لفصاحته ومقاومته للابطال وشجاعته وجرأة لسانه لأنه كلما ذكرها انطلق بالشعر لسانه وطلبت نفسه المنزلة العالية وقوى جنانه وصار يبعد عن الحى ويغير على القبائل وأخوه شيبوب يدله على الطريق والمناهل وقد صار ساعى ركابه ورفيقه فى سائر سفراته

ومغازيه ومن خواص أصحابه وماتواجه فى أمر إلا ونجح ولا عدل إلى مهم إلا وانصلح وكلما غزا حيا من أحياء العرب لا يعود إلى الديار إلا بالغنائم الكثيرة وقد أفلح حتى أغنى أباه شدادا وفرح به الرجال الأمجاد وصار له باغضا وحاسد شاس بن الملك زهير والربيع ابن زياد وأخوه عمارة القواد وكلما رأوه يفعل تلك الفعال يزداد عليه قلوبهم البغضاء والأحقاد (قال الراوى) وقد صار محبوا عنتر من بنى عبس إذا حضروا على الشراب يتناشدون أشعاره ويتذاكرون أخباره ولا يقول ذلك إلا من الأحباب ويصفون محبته لعبلة وكان عنتر يذكر فى قيامه وقعوده محبوبته عبلة حتى بلغ الحديث عن أمها وأبيها بالجملة وسمعاه وحفظاه ونقل إليهم مرارا أنه يذكرها فيما يقوله من الأشعار وهما يضحكان منه فى السر والاجهار ولا يأخذان فى بالهما شيئا من ذلك ولا يغتاظان لانهما يستقضيا نه حوائجهم ويستخدمانه فى كل ما كان وهو عندهما بمنزلة العبيد ولم يعدوه بمنزلة الابطال الشداد (قال الراوى) ولما أن كثر الحديث عند أم عبلة دعته إليها وقالت له إنى سمعت عنك أنك تحب ابنتى عبلة وتذكرها فى شعرك وكانت عبلة قاعدة جانبها وقد أرخت شعرها وذوائبها فسمعت أمها تقول لعنتر ذلك المقال وهو واقف ينظر إليها فتبسمت عن ثغر أبرد من الزلال وضوء وجهها أنور من الهلال فزاد بعنتر الهوى والبلبال وقد تغيرت عند نظرها منه الأحوال فقال لها يامولاتى وهل رأيت أحدا يبغض مولاته نعم والله أن حبها قد تمكن من قلبى وإن ذكرها وصورتها لا تبرح عن ناظرى وأنها ملأت ضمائرى وأنا أكتم هذا المعنى وما يدل عليه من الشعر والنظام ولا أصف إلا ما كساها الله من الحسن والجمال وما أعطاها الله من القد والإعتدال وما عندى من الوجد والهيام فلما سمعت أمها منه ذلك الكلام زاد عجبها وقرب عنتر من قلبها فقالت له ياعنتر إن كنت صادقا فى مقالك فانشدنى شيئا من أشعارك ينسب إلى أحوالك ويكون أول مقالك واسمعه لى هنا بينى وبينك فعندها جاش الشعر فى خاطره وظهر منه ما كان يخفيه فى ضمائره فانشد وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على النبى الرسول :

أحبك حب كرام الرجال ... وأقنع منك بطيف الخيال
وأنت محكمة فى دمى ... ومالكتى فاسمحى بالوصال
فيا عبلة قد كل منى اللسان ... بتعداد وصفك ذات الدلال
فقدك غصن كبان النقا ... قويم لدى الميل والاعتدال
وثغرك يحكيه در النظام ... فكيف نشبهه باللآلىء
ولى فى جبينك كل الهدى ... وبالليل شعرك فيه ضلالى

ونهداك قد خلقا فتنة فيحفظك الله رب الجلال
وعقدك قد شد عقد الصدور وحل من الناس عقد الوصال
بخصر نحيل رقيق المعانى ويحمل جور الهوى وهو بالى
ومن دونك بيتك أسد البحاح وبيض الضياء وسمر العوالى
ووجهك يحكى هلال السماء قريب الصفاح بعيد المنال
وقد شاع عشقى وحبى لديك فهل لى معين على سوء حالى
فديتك إنسان عين الفؤاد وفيك تعلمت رعى الجمال
وأعجب أن أصيد الأسود وتنقصنى منك عين الغزال
وتخشى الضرغام من سطوتى وأخشى ملامك بنت الموالى
عليك سلام بطول الدوام فانى مدا العمر ماقط سالى

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الأبيات وعبلة وأمها فى وجهه باهتات ومن ألفاظه متعجبات إلا أن عنتر قد شفى غليله وأهدى لاعج فؤاده وأفشى ما فى قلبه وكشف بالمحبة ستره وقد رأى من عبلة عين المحبة والنجاح وعن لومه وعتبه بواسطة المحبة قد استراح ومن عجب أمها به لما سمعت منه ذلك الكلام قالت والله يا عنتر ما كنت أحسب أنك تنطق بمثل هذا النظام فوحق ذمة العرب لقد فقت أصحاب الحسب والنسب تعلقت بفصاحة السادات من ذوى الرتب ولا بد أن أقول لبعلى مالك أن يزوجك بخميسة أمة إبنتى عبلة فقال عنتر يا ستاه وحق إله السماء ومن علم آدم الاسماء صاحب العزة والقدرة مضاجعت قط امرأة لا أمة ولا حرة ولا أريد إلا من يريدها قلبى وأما من لا يريدها قلبى فلا خير فيها فقالت له عبلة الله يبلغك جميع أمانيك ويرزقك بزوجة تكون تحبك وترضيك فقال عنتر آمين اللهم آمين يا رب العالمين قال الراوى يا سادة يا كرام صلوا على بدر التمام وقد شاعت الأخبار بهذه الأبيات فى الحى بين العبيد والسادات وقد تناشدها البنات والمولدات واتفق أن الربيع بن زياد عمل وليمة عظيمة وعزم فيها شاس بن الملك زهير ومالك أبا عبلة ودار بينهم الكلام وذكرت أخبار عنتر بين يدى الربيع بن زياد وشاس بن الملك زهير وبعض إخوته السادات الاجواد وكانوا على الشراب وكان قد أتاهم خمر جديد وعندهم أبو عبلة وجماعة من العبيد وجاءوا بذكر عنتر وما أشعر من الأشعار والنظام وما قاله فيها من رقيق الكلام فقال شاس والله ما ينظر هذا العبد السوء إلى نفسه إلا بالرفعة على أبناء جنسه ألا ترون على هذا العبيد الأسود كيف تعدى طوله وتمرد فقال الربيع والله يا شاس ما ترك لهذا العبد ذكرا يذكر إلا أبوك وكذلك أخوك وقد مضى دم عبدين عبدى ضاجر وعبدك داجى وبالأمس أقعده

أبوك من السادات واستشهده تلك الابيات وخلع عليه لولا ذلك مازاد طمعه فى البنات العربيات فبكى عمرو أخو عبلة وزاد عليه الغيظ وقال وحق الملك الفتاح أن ضرب الصفاح وطعن الرماح أحسن من هذه المقالات فقال الربيع أنا عبدى بسام قدهم أن يقتله وأنا أنهاه من ذلك الشأن ثم أن شاسا والربيع اتفقا على أنهما يرتبان لعنتر أربعين عبدا عشرين من عبيد شاس وعشرين من عبيد الربيع بن زياد ويكونوا بصحبة بسام واتفق رأى الجميع على هذا الأمر والابرام قال الاصمعى ومما اتفق أنه كان لشداد بنت اسمها مروة وكانت متزوجة من بنى غطفان برجل يقال له ماجد وكان الأمير ماجد زوج أخته برجل يقال له الحجاج بن الليث فلما راحت مروة إلى وليمة العرس أنت إلى أبيها ونساء بنى قراد ودعتهم إلى الوليمة فاجاب شداد وأخذ معه أخوته مالكا وزخمة الجواد وجماعة من بنى



قراد وسارت الفرسان تقطع البرارى والقيعان وتاخرت النسوان وحدهن ومعهن عنتر وهو متولى خدمة سمية وعبلة وهو يتمنى أن يطول عليه الطريق وعبلة وأمها يضحكان من هذه الاحوال هذا وعنتر قد جاش الشعر فى خاطره فانشد يقول صلوا على الرسول

سيرى مسير الأمن يا كل الامل ... سيرى فمن حولك ضرغام بطل
يضرب بالسيف إذا الحرب اتصل ... ضرب غلام لا يبالى بالاجل

ولى جنان ثابت يوم الرجل ولا يهاب البيض مع سمر الاسل
ياعبلة سيف اللحظ من سجف الكلل كلحظ عينك سل قتل
وحق رب فى علاه لم يزل حبك فى قلبى عبيلة ما انتقل
ياعبلة هل منك أبلغ الأمل بالعشق قلبى وفؤادى اشتعل

قال ولم يزالوا سائرين وهم فى لهو وطرب إلى أن قدم الظلام بالغيهب فنزلوا على غدير من الماء يسرح زهره قد تفتح فاقاموا أن أصبح الصباح وإذا هم بغبار قد ظهر من البر والوديان وانكشف وبان من تحته فرسان وأى فرسان وهم مائة فارس للحديد لوابس مثل الأسود العوابس ويقدمهم فارس صنديد وليث عنيد وهو مثل البرج المشيد وهو سائر قدام وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

اليوم آخذ ثارى إن ظفرت به وأترك الخصم فى البيدا مجندلا
من عبد قوم لئام لا نخار لهم أبناء عبس ولا أصغى إن عذلا
لأننى فى جلاد الحرب مقتدر أنا الشجاع الذى آتى الوغا بطلا

قال الراوى ياسادة يا كرام وكان هذا الفارس ينادى الثار الثار وكنا قدمنا أن شاس والربيع قد اتفقا وتحالفا على عنتر فلما أن سمعنا بمسير بنى قراد أحضر العبيد وأفرغا عليهم العدد وساروا وأكمنوا لعنتر فى الوادى وهم عازمين أنه إذا أشرف عليهم يبادرونه بالحرب ويتكاثروا عليه ويقتلونه فى القيعان ويجندلونه وقد ذكرنا أن عنتر ما طلع عليه من تحت الغبار إلا مائة فارس وكان ظهورهم من الوادى وتبادروا فى الحرب وكان قدومهم فى ذلك الوقت له قصة لأن حوادث الدهر كلها غريبة وذلك من تقلبات الأيام والدهور وقد يحدث من الأمور أمور وذلك أن عبيد بنى زياد لما طلعوا من الحلة وأبعدوا فى البر وكان المقدم عليهم عبد للربيع اسمه بسام وكان ذلك العبد من العبيد اللئام ولا يعرف عهدا ولا يرعى حرمة ولا ذمام وكان داهية من الدواهى العظام لم يزل سائر هو ورفقته فى تلك الوديان حتى أنهم أشرفوا على وادى الغزلان وعولوا على الدخول فيه وأن يكمنوا فى تلك الوديان وإذا هم بحس رجال وهمهمة أبطال قد طلعت عليهم وقد تبادرت إليهم من اليمين والشمال وفرسان فى أيديهم سيوف تلمع وحديد وزرد يتشعشع وقد حمل هؤلاء القوم وهدروا وزمجروا بالقتال إليهم وهم يقولون اخبرونا من تكونون من فرسان الخيل واثبتوا فى أماكنكم قبل أن يحل بكم الذل والهوان

والويل وأعلمونا من تكونون من العرب قبل أن نرح أرواحكم وتذهب فلما سمع بسام منهم ذلك الكلام نبه أصحابه إلى الطعان وقال لهم ياوجوه العرب نحن من بنى عبس وعدنان وأنتم من تكونون من العرب فقال لهم المقدم عليهم يانسل العبيد اللئام والله إننا طالبون لكم من دون الانام لاسيما أن فيكم عبد شداد الذى هو فى جميع أموره معتدى قال وكان هؤلاء من عرب يقال لهم بنو المصطلق وبالقضاء والقدر أتفق أن عنتر كان قد قتل المقدم الذى عليهم أخا يقال له ماجد ونهب ماله وكان أخوه غالب بن واثبه هذا غائباً فى بعض الغارات فلما قدم وعلم اغتم غما شديدا وشق ثيابه وعظم عليه ماحل به من الخرائب ثم سار فى هذه الفرسان يقطع البرارى والآكام وهو يقول ماقتل أخى إلا عبد شداد وهو من بنى عبس وعدنان فانا اقتل منهم السادات والأعيان والقى الخوف فى أرضهم والفيعان وأختطفهم من كل بر وفدفد ولا أعود إلا برأس ذلك العبد الاسود ولم يزل سائر إلى أن أشرف على وادى الغزلان وأكمن فيه بمن معه ثم أنه أنفذ بعض عبيده ليأتيه بالأخبار فمضى وعاد إليه وكان قد سار حتى قرب من الديار فحدث مولاه وبالوليمة التى صنعت فى بنى غطفان وقد سار إليها جماعة من بنى عبس وعدنان وهما رجال وأولاد وقد سارت الرجال وفرسان بنى قراد قدامهم ولم يختلف الفرسان وغير عبيدهم وعنتر بن شداد يشير معهم فى الجملة لأجل أن يتولى خدمة مولاته عبلة فلما غالب قول عبده فرح وداخله الطرب وصاح من شدة فرحه ياالعرب لكم البشارة إلا أن أجيئكم بالأموال والذهب لأخذ الثار وبلوغ الأرب قال الراوى فلما سمع رجاله هذا الخبر تعجبوا من هذا الاتفاق كل العجب وأقاموا فى إنتظاره حتى أشرف عليهم العبد بسام هو ومن معه من العبيد اللئام وجرى لهم ماجرى ثم أنهم أعلموه بالخبر وأنهم ماأتوا كلهم إلا لقتل عنتر فلما سمع بسام ذلك الكلام قال لهم ياقوم قد ربحنا من كل جانب لأن كلا منا قد أتى وهو لقتل هذا العبد عنتر طالب ونحن مواليها قد أرسلونا فى طلبه حتى أننا نسقيه كاس عطبه وعما قليل يصل إليكم مع البنات ماضين إلى الوليمة التى صنعت فى بنى غطفان إن شئتم نحن نقتله ونعطيكم رأسه ونهدم لكم أساسه ونخمد أنفاسه فقال ياموليدين العرب ماانما نريد منكم معاونة على هذا الشيطان ولولا انكم أخبرتمونا بخبر عندنا منه علم وقاعدة ما كنا بقينا عليه ساعة واحدة ولكن عاهدونا على أن تكونوا لنا ولا تكونوا علينا مخامرين وإلا بذلنا السيوف فيكم أجمعين فعاهدهم على ذلك بسام بعد أن تحالفوا بالأقسام وأعطاهم غالب الذمام ثم أن بسام

فقال العبيد الذين هم رفقته هاقد كفينا هذا الأمر الذى قد تجدد والرأى أننا نصبر حتى ينفصل هذا الأمر فان رأينا عنتر قد سطا عليه وطال حملنا عليه بعد ذلك وقطعنا منه المدد وإن رأيناهم وقد قتلوه وحملنا عليهم ولا نمكنهم من سبى سادات العرب ولو تركوا نامددين وإنهم إن قتلوا عنترا أرسلنا واحدا منا إلى الحلة وإن رأيناهم قد تعرضوا للنسوان أشغلناهم بالقتال حتى تدركنا الخيل والرجال ونكون وقت الحملة متأخرين حتى لا يعلم بنا النساء أنا كنا عليهم قادمون ويتحدثون عنا أننا كنا مع الأعداء فقال له أصحابه أفعل ما بدا لك فكلنا متبعون أفعالك ثم أنهم صبروا حتى انجلى الظلام وكانوا قد اتفقوا على ذلك الأمر والمرام وكان عنتر هو ومن معه من النساء قد أتوا ونزلوا قريبا من ذلك المكان فعند ذلك طلعت عليهم الأعداء وغبارهم قد طلع مثل الغمامة السوداء وقد أقبلوا عليهم وهم يصيحون البدار البدار اليوم نقضى الدين من هذا العبد ثم أنهم أكبوا رؤسهم فى قرابيس خيولهم وجردوا سيوفهم ومدوا إلى عنتر رماحهم فعند ذلك علا من النسوان الصياح والبكاء ونظر عنتر إلى عبلة ودموعها على خدودها تسيل وهى تلطم خدودها وأمها قد حارت فى أمرها وما فى النساء إلا من بكت ودقت على صدرها فلما نظر عنتر إلى عبلة تبسم وإلى النساء تقدم وقال لأم عبلة كيف ترين حالك ياستاه فى هذا العدو الذى ظهر علينا فقالت ياولدى قد قلت الحيلة وعدم المصطبر وفى هذه الساعة تسبينا العدو وقال عنتر ياستاه أتزوجينى بعبلة وأنا أردعنكم الخيل وأنزل بهم الذل والوبال وأرديهم بأطراف الرماح فقالت له ياعنتر فى هذا الوقت لا يكون المزاح فقال عنتر أنا ما أقول إلا الصدق وحق فالق الأصباح إن وعدتينى بزواجها رددت هذا الخيل وأقتل أهلها فقالت له إن مصيرها لك إن كان فيها نصيب إلا أنها ما قالت لعنتر ذلك الكلام إلا بلسانها خلاف قلبها فلما سمع عنتر هذا المقال قال لأخيه شيبوب ويلك يا ابن الأنذال أحم أنت ظهرى بالنبال وأنا أفرجك على القتال فقال له أحمل أنت يا ابن شداد عليهم وأنا أشفى غليلك منهم وأميل فيهم فعند ذلك حمل وصاح وزجر وإلى نحوهم من تلك التلال انحدر هذا وجعل شيبوب يحمل خلف عنتر فرأى عبلة تبكى ودموعها تجرى على خدها فقال لها ياستاه كفى دموعك ولا تخافى من بشر لأن الأمر أهون من ذلك وأيسر والعدو أقل وأحقر وسوف تنظرين كيف يقهر وتشاهدين من أخى عنتر ما يروى عنه ويكتب فى الأوراق ويسطر هذا ما كان من أمر شيبوب وعبلة وأما ما كان من عنتر فإنه صاح فدوت

لها تلك الجبال وحمل على أوائل الخيل أتطبق واستقبلهم بطعن مطلق وأوصاله إلى الصدور والحدق واستقبل الفارس الأول بطعنة فى صدره والثانى والثالث وهو فى كر وفر فاراد أن يطعن عنتر فضربه بشيبوب بنبلة نكسه عن جواده فلما نظروا إلى حرب عنتر وفعاله هابوه قال الأصمعى فلما نظر عنتر منهم التقصير وقد تفرقت من بين يديه الفرسان مال إلى ناحية العيال وقال لعبلة أفلى يانور عينى من بكاك فلا عاش من يشناك ولا شمتت بك أعداك فلما سمعت عبلة ذلك المقال تبسمت عن ثغر كانه من اللآلىء الغوال وأيقنت بالنصر وبلوغ الأمل هذا وعنتر عاد إلى الأعداء كأنه الأسد الريبال وحمل عليهم فى ساحة المجال وصار يبدد يمينا وشمالا وشيبوب من خلفه يحميه بالنبال هذا والغبار قد طلع وعلا وملا جنبات البر والفلا والخيل تخرج من تحته خالية وأصحابها قتلى وسروجها تقطر بالدماء والنساء قد أيقنت بالنصر والحما قد تركن العويل والبكاء وصرن يدعين ويتوسلن إلى رب السماء لأن عنتر لما طاب له الحرب والقتل ترنح فى سرجه ومال وأنشد وقال هذه الأبيات :

كفى الدموع فإن القلب مبتول ... والجسم من زفرات الحب مشغول
ياعبلة لاتجزعى يوم الوغا أسفا ... فقد حماك هزبر الغاب بهلول
ليث تذل له الأبطال خاضعة ... بالحق يوم اللقا تعدوا الأباطيل
ياعبلة أن الجفا والبعد أقلقنى ... فليت حبل التدانى منك موصول
ياعبلة قومى انظرى فعلى وفعلهموا ... تحت العجاج وشخص الضد مذبول
لاحمينك هذا اليوم يا أملى ... فلى حسام يقد الهام مصقول
وقد أراد العدا يسبوك لاسلموا ... ياعبلة كف الذى يشناك مشلول
لاروين حسامى من دمائهم ... ويشبع الوحش والسرحان والغول
قفى انظرى لفعالى عند حملتهم ... إذا عدوا وعميد القوم مقتول
هناك تعلم كل الخلق قاطبة ... بأن خصمى تحت النقع مقتول
وأن جارى عزيز لاعدو له ... وإن قولى عند الناس مقبول

قال فلما سمعت الفرسان منه ذلك المقال لحقهم الانذهال وأيقنوا بالذل وصار عنتر يهجم عليهم كأنه الأسد الريبال وقد قتل من تلك المائة خمسين فارسا وبددهم وذل الباقون ولحقهم الانبهار هذا وجواد عنتر قد كل من الطود والمجاولة فنزل عنه وركب غيره من الخيول الغائرة ياسادة هذا كله جرى وعبيد بنى عبس تنظر وترى وقد

تقطعت ظهورهم وحاروا فى أمورهم فقال العبد بسام لأصحابه أشكروا اللات والعزى اللتين جلبا لنا هذه الأعداء وأشغلاه عنا هذا وعنتر قد عاث إلى المجال وأجاد فيهم الحرب والقتال فقال غالب والله لا يعد للنوائب إلا أهلها وأصحابها ولا أحد يأخذ بثأرى إلا سنانى ورمحى وبتارى فقال له أصحابه لو أنك كنت خرجت من الأول إليه ما كان مكنته من قتل أحد من الرجال وكنت قضيت الأشغال وكانت تسلم من القتل جميع الرجال فقال غالب أعلموا أن الأجل محتوم والرزق مقسوم وابن ثلاثة لا يموت ابن يومين لا يموت ابن يوم وأنا الذى فرطت فى أمر هذا العبد السوء حتى أنه بلغ من أمره إلى أن وصل إلى هذا الحد وسطا على أصحابى فى الحرب والقتال وفعل بهم هذه الفعال ثم أنه نهر الجواد إلى الميدان وكان عليه زردية فلمع وتردد البواتق وتمنع متقلداً بسيف باتر الأعمار يقطع وفى يده رمح أسمر من عمل سمهر يفصل ويفعل فعله بحكم القضاء والقدر وركب على جواد أجرد حالك اللون أسود بقوائم مثل العمد عيناه كأنهما سراجان تتوقد وهو من ظهره كأنه برج مشيد أو قطعة من جلمد إلا أنه كبير الرأس ثابت الأساس صلب الأوصال عريض الأكتاف طويل السبال خبير بالقتال كثير الأهوال وملاقاة الأبطال فلما خرج إلى الميدان صال وجال وتذكر وتفكر أفعال عنتر بأخيه فزاد به البلبال فأنشد وقال ونحن وأنتم نصلى على الرسول:

رمتنا صروف الدهر من قوس صرفه ... على يد عبد لا يبالى بحتفه
فلا عجب أن يرفع الدهر عاجز ... ويتركه يلقى الاسود بضعفه
أيا عبد سوء تجاوز حده ... أتاك همام لا تقوم بوصفه
فدع عنك هذا الجهل يا ابن زبيبة ... فكم أسداً أرديته عند زحفه

قال ثم أنه أوسع فى المجال وأراد أن يتم شعره يقول ومقاله وإذا بعنتر قد فاجاه بحملته ولاقاه بصدمته وأجابه على عروض شعره بعد الصلاة على الرسول :

تعايرنى ياابن اللئام بأننى ... كلون الدجا هاقد بليت بسعفه
وإن كنت عبداً قد قتلت رجالكم ... ورميتكم من ذا الزمان بصرفه
أنا الأسد الكرار فى حومة الوغا ... أكر إذا جاءت الكمى بعنفه
تميل الجبال الراسيات لهيبتى ... ويبشر من يبغى عنادى بحتفه
فكم فارس لما بدا لون غرتى ... حيال مقام الحرب الوى بعطفه
تخلت يداه عن جميع سلاحه ... وخر بعض الأرض خوفا بكفه

وكم من كمى قد تركت مجندلا ... وأوجدته طعنا على رغم أنفه
إن كنت تبغى الحرب دونك ماجدا ... يذيقك طعم الموت من ضرب كفه
فخذ ضربة من يد ليث سميدع ... يصيد ملوك الأرض فى وقت زحفه

قال الاصمعى وأبو عبيدة رحمهما الله تعالى ثم أنه بعد ذلك حمل عليه ولم يتركه ينظر إلى ما بين يديه وطعنه بين ثدييه فأخرج السنان يلمع من بين كتفيه وتركه يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه ثم أنه انقض على باقى أصحابه مثل انقضاض البازو أنجز أمرهم غاية الانجاز فشردت الفرسان فى كل مكان بما أنزل عليهم عنتر من الضرب والطعان وقد جعل يطعنهم فى الصدور والنحور وترك آدميتهم على وجه الأرض تفور ونظرت بقية الرجال إلى طعن يشتعل اشتعال كأنه نيران صارت تتأجج فى تلك الروابى والتلال ونظرت عبيد شاس والربيع ماجرى لبنى المصطاق وعنتر من خلفهم كأنه النار ذات اللهب أو الشهاب إذا انطلق وشيبوب من خلفه كأنه البرق إذا برق فعند ذلك عادت العبيد على الأعقاب وطلبوا الروابى والشعاب وأما يسام عبد الربيع فانه راح فى الأول وهو يصيح فى العبيد يا أولاد الزنا اطلبوا بنا الأحياء وإلا اليوم هذا العبد ولد الزنا فيكون مجنونا وقد طلب الموت والفنا ثم أنهم بعد ذلك غابوا فى القفار وطلبوا الأهل والديار وعاد عنتر وسنان رمحه يقطر من الدماء فتلقته النسوان وقد استبشروا بالنصر والظفر والهنا وقد صار عنتر فى قلوبهم أحلى من الماء الزلال عند شدة الظمأ تلقته عبلة عند رجوعه وتبسمت فى وجهه وشكرته على صنيعه وقالت لله درك يا أبيض الفعال ويازين الجمال وياغاية الآمال ويامليح الخصال ثم أنها لما كلمته بذلك الكلام الجميل على قلب عنتر ألذ من العسل وأحلى من العافية على بدن العليل وزال عنه ما لاقاه من الحرب الثقيل فشكرها على ما قالته من مقالها وردها إلى هودجها وأركبها على ظهر جملها وأمر العبيد فجمعت أسلاب القتلى والخيول من ذلك الفلا وهم سائرون فى ثياب العز والامان حتى وصلوا إلى الحى وهم سالمون فوجدوا الناس فى اصطناع الولايم مجتهدين وهم ينهلون من شرب الخمور وكاسات الفرح والسرور عليهم تدور والنقل المقيمون بالقادمين وصاروا على بعضهم البعض مسلمين وزادت بينهم الأفراح وعلا منهم الصياح بالانشراح وأخبرت النساء رجالهن بما فعل عنتر فما منهم إلا من فرح بذلك واستبشر وشكروه وأثنوا عليه فيما فعل وما وصلت يده إليه من الفخر وقدمت العبيد الاسلاب وتلك الخيول والجياد إلى ما بين يدى الأمير شداد وأخبروه كيف أن عنتر صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم ودفع عنهم ذلك الهول العظيم وكيف لقى الفرسان الذين لاقوهم وكانوا مائة وعشرين فارساً صناديد من

سادات العرب الأماجيد وأنه أرداهم وتركهم ممددين على الصعيد (قال الراوى) فلما سمع أبوه الأمير شداد ذلك القول زادت رغبته فيه وما بقى يعرف بأى شىء يجازيه فعند ذلك قام من بين يدى الحاضرين إليه وقبله بين عينيه وأخذه بيده وأجلسه مع السادات فعقد لحظه لأجل خاطر أبيه شداد ثم قام بين الحاضرين ووقف مع العبيد على ما جرت به العادات وقال والله يا مولاى لا أغير فى خدمتك العادة ولا أغترم بأيام السعادة فضحك الأمير شداد وتعجبت فرسان العرب من حسن أدبه وما منهم إلا من عظم قدره عنده وهابه وقربه ولا سيما أبوه وأجلسوه بينهم وأسقوه من صافى الشراب ودارت عليهم كاسات المدام وزادوا له فى الإكرام فعند ذلك أنشد وقال هذه الأبيات صلوا على سيد السادات:

أمزج بماء كاسك وأسقنى فلقد مزقت مدمعى بدماء
واشرب على ظهر الرياض ثلاثة تنفى الهموم بعاجل السراء
لطف فصارت من لطافة سكرها تجرى بجرى الروح فى الأعضاء
وكان ذات حبابها من جوهر أو ذات نار كيف بهواء

(قال الراوى) وداموا على شرب المدام سبعة أيام على الكمال والتمام وما من يوم يمضى إلا وبنو غطفان يرفعون قدر عنتر ويعظمون الأمير شداد هو ومن معه من الرجال الأجواد ثم بعد ذلك انقضت الوليمة وعاد بنو قراد طالبين الأوطان بالنساء والبنات والأولاد وجميع الرجال والفرسان ولم يزالوا حتى قاربوا الأبيات فرأوا الصياح من ساير الجنبات والغبار وقد أظلم على الراوبى والفلوات وأهل الحى قد طرقوا بحوادث الآفات فقال شداد لمن حوله من ساير الرجال والسادات وحق ذمة العرب أن حلتنا قد رميت بالدواهى والآفات ثم أنهم حركوا أنفسهم على الخيول العربيات واقتحموا المضارب والأبيات فوجدوا النساء متهتكات والبنات من المضارب بارزات وقد أغرقوا البراقع بالعبرات وفى الغبار بريق السيوف لامعات وأسنة الرماح السمهريات مشتهرات وهم همت الرجال كأنهم الأسود فى الغابات وما كان فى الحى إلا رجال قلائل الكل مثخون بالجراحات وهم فى أذيال البيوت يمانعون ممانعة من قد أيقن بشرب كاس الممات وهم قد خفتت منهم الحركات وخففت منهم الأصوات (قال مجد مؤلف تلك العبارات) بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات كان لذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب لا بد أن نذكره إن شاء الله تعالى على الترتيب لكن بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى النبى الحبيب وذلك أن الملك زهيرا كان قد أخذ فرسان بنى عبس وعدنان وسادات الحلة الأعيان وسار بهم طالبا ديار بنى قحطان يطلب

عدوا له يقال المتغطرس ابن فراس وكان فارساً شديد الباس صعب المراس وكان من عرب يقال لهم بنو قينان وقد بلغ الملك زهير أن ذلك الفارس تجهز اليه بجماعة من الفرسان فصعب عليه ذلك الأمر والشأن ورحل يلاقيه فى الطريق قبل أن يصل إلى أرضه وترك فى الحى أخاه قرنباع فى نفر قليل من بنى عبس وعدنان ليصونوا أماله وعرضه فخالف عدوه فى الطريق من غير قصد ولا حذر لأن كل واحد منهم سار يطلب ديار الآخر فاختلفوا فى الطريق لأن البر مثل البحر العجاج الواسع الفجاج فوصل المغطرس إلى ديار بنى عبس فوجد الأحياء خالية وركبت على صهوات الخيل الجياد وهزوا فى كفهم الرماح المداد وجردوا قواضب البيض الحداد واتصل بينهم الطعن بالسمر الصعاد وتمددت القتلى على بسيط الأرض والمهاد فعادوا إلى الخيام والأطناب لما أن نظروا إلى سقاة المنايا تدور عليهم بكاسات العذاب وقد ابتلوا من العدو بأمر لا يطلق وسالت دماؤهم على أسنة الرماح الدقاق والسيوف الرقاق ورأت موردالموت مر المذاق * هذا وقد زاد من النساء الصياح والزعاق وأيقنوا بالسبى والشتات فى الآفاق وفاضت الدموع من الآماق وخرجت تماضر زوجة الملك زهير من خدرها وقد انهتك بين النساء والرجال سترها وانحدرت دموعها على صدرها حتى بلت قلايد نحرها ودقت من خوف السبى بيديها على صدرها (قال الراوى) وفى تلك الساعة أشرف عليهم شيبوب وأخوه عنتر بن شداد والأمير شداد بن قراد ونظروا إلى ذلك البلاء العظيم الذى قد نزل على بنى عبس الأجواد فعند ذلك التفت شداد إلى من معه من سادات بنى قراد وقال لهم والله لقد انقلعت آثارنا وخربت ديارنا وما جرى هذا المجرى إلا والملك زهير غائب غير حاضر فيا للعرب الكرام أبناء الجزائر فدونكم يا بنى عمى والحملة على هذه الكتائب وابذلوا المجهود لعلنا أن نكشف عن قومنا هذه المصائب وكان عددهم أربعين فارساً من قراد فحملوا وقد تركوا جميع العبيد عند النسوان إلا عنتر فانه التفت إليه الأمير شداد وقال له يا ابن زبيبة أريد أن أنظر اليوم إلى فعالك بما سمعت وما نقله عنك الرجال ورأوا منك فى سابق الحال فقال له عنتر وقد تبسم أى والله يا مولاى ليس الخبر كالعيان فاليوم تشكرنى عند لقاء هؤلاء الفرسان فقاتلوا أنتم واطلبوا تلك الأعلام والرايات المشتبكات التى هى عن الحى بعيدات فلاشك أنها لمقدم القوم وسوف ينتظر الرجال حتى يسوقوا إلى بين يديه الغنائم والأموال فقال شداد والله انك لصادق فيما تقول ولكن ما يصل إلى هناك إلا كل بطل مهول ثم أنهم صاحوا يا لعبس يا لعدنان وهزوا القواضب وطلبوا الفرسان من كل جانب ومكان وضجت العبيد والاماء لما علموا أن هؤلاء القادمين من سادات الحما هذا وبنوا قراد

قد حملوا على الميسرة وطلب عنتر الميمنة وله هدير وزمجرة كأنه النار المسعرة المحرقة ولما أن رأى سيوف الأعداء قواطع وسوق الحرب قائم حمل وهو كأنه الليث المصادم إذا رأى فرسيته وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد النبي الرسول:

اليوم أسعرها ناراً بلا حطب ... تفنى الجبابرة الطاعنين فى الحطب
واليوم أسعرها حربا تذل له ... إذا علوت رؤوس القوم بالغضب
واترك الدم يجرى من على قمم ... كجرى سيل بنهر الماء فى صبب
وكم شجاع رآنى جئت طالبه ... ألقى السلاح وولى طالب الهرب
أنا الهزبر لنار الحرب أشعلها ... أردى شجاع الوغا بالصارم القضب
واليوم يفرجنى يوم الكريهة أن ... ثار العجاج وصار النقع كاللهب
كم قسطلا خضته لم أخش غائلة ... دعائم الحرب منها وهى فى الطلب
وراحى فى تلك الأبطال إذا جمعت ... فرقتها كوقود صار فى اللهب
لأفعلن فعالا لا مثال لها ... فعلا يسطر فى الأوراق والكتب
وليس لى لامؤنس فى كل معركة ... إلا الجواد وسيفى وهو ذو قضب
فمن يفاخرنى والموت يخدمنى ... وقد علوت على ذى الجاه والنسب
وهمتى قد علت فوق السماء ولى ... عزم يفوق على الأعجام والعرب

(قال الراوى) المؤلف لهذا الكلام بعد الصلاة على النبى ﷺ ثم أن عنتر انقض على الميمنة فزعق فيها فخبلها وحمل عليها فأذهلها وطعن فى صدورها فبلبلها فتنافرت من بين يديه الأعداء واندفعت فى ساحة البيداء وكذلك فعل شداد وأخوته فى الميسرة وقد انعقدت عليهم الغبرة وكانوا فى حملتهم كأنهم النار المسعرة فلما رأى بنو عبس الذين كانوا فى الحلة إلى مافعل بنو عمهم عند الحملة على الأعداء ارتفع بعد الخوف صياحها وعادت تجر رماحها وأقبلت تهز سلاحها وعاشت بعد الموت أرواحها وصار القتال يعمل بين الفريقين فى البر والسبسب واقتسمت الأبطال فى المجال وتصادموا على ظهور الجياد وتطاعنوا بالرماح المداد وتضاربوا بالسيوف الحداد وتقابضوا بالسواعد الشداد ونهبت منهم الأرواح البشريات بمخالب أسنة الرماح السمهريات وطارت ثمار أغصان الجماجم بمضارب السيوف المشرفيات وقد هتك عنتر ميمنة القوم بضربات قاطعات وطعنات نافذات وأبصر عنتر المتغطرس وكان واقفاً على رأس رابية عالية والأعلام على رأسه مرتفعات فعلم عنتر أنه هو المشار إليه بهذه العلامات فجد فى طلبه وصارت الخيل من قدامه نافرات فرآه المتغطرس

وقد جرت منه هذه الوقعات والفرسان بين يديه على أعقابها شاردات والميمنة تنساق قدامه سوق الابل المهرولات أو مثل الغنم السارحات وفى أعقابها صرخات مثل الرعود القاصفات فتحدر عند ذلك المتغطرس من على الرابية بمن معه من الشجعان وقد تبعه من كان واقفاً عنده من الفرسان وقد أكثروا الصياح والزعاق ومد إلى عنتر قطع الرماح الدقاق والتهب الحرب بنار المنايا وزاد سعيرها فالتقاهم عنتر بمن معه من الفرسان بالصدور وصبر على عظائم الأمور وأعجب ما فى هذا الديوان من هذا الحديث أن بساماً عبد الربيع ابن زياد الذى كان قد خرج لقتل عنتر بن شداد لما سار بالنسوان إلى بنى غطفان وانهزم هو والأربعون عبداً لما قتل عنتر غالب بن ولاب وقتل أكثر الفرسان الذين كانوا معه ومضى الباقى وهم لا يصدقون بالنجاة فرأى الحى خالياً والرجال غياباً مع الملك زهير فاقاموا إلى أن كان هذا اليوم المذكور وجرى من القتال ما جرى فقاتل بسام من جملة العربان وانهزم مع المنهزمين كما وصفنا فى هذا الديوان (قال الراوى) ووصل عنتر وأبوه ومن معهما من الفرسان كما ذكرنا ودفعوا عنهم الأعداء ورأى بسام من عنتر شيئاً كثيراً أنساه الحرب الاول فزاد حسده له واضرمت النار فى كبده وصار فى فؤاده من كثرة الحسد نار الجحيم فاضمر فى نفسه أنه يقتله أن وجد منه فرصة فى الحرب ويتركه على الأرض عديم فحمل فى ذلك اليوم عند اختلاف الضرب والطعن وجعل يدير عينه عليه ويرقبه لعل أن يجد منه فرصة وتبعه فى الحملة حين لأجل لقاء المتغطرس فحمل وراءه فى الأثر هذا وقد حمل المتغطرس فى موكبه ومال برجاله إليه وقصده بالرماح من كل جانب ومكان يكثر من حوله الضجيج والصياح فى هذا الشأن. هذا وهو يلتقى الأعداء ولا يتأخر ويحمل حملات الأسد القسور هذا وأصحابه قد نظروا البلاء عليهم قد نزل فتأخروا وتنافروا لما رأوا الأذى إليهم قد وصل وما صبروا بل أن بساما عبد الربيع بن زياد لما رأى الغبار قد انعقد وما بقى أحد يعرف أحد أتى من وراء عنتر وحمل عليه وصمم بالطعنة إليه وصوب إليه السنان وعلم أنه ينال بقتله المنزلة العلية والدرجة الرفيعة ويبقى له عند مولاه الربيع قدر وقيمة (قال الراوى) وما هو إلا أن قارب من عنتر وأقام يده وأراد أن يطعنه وإذا بنبلة وقعت فى ظهره فخرجت تلمع من ظهره فزعق ومال عن الجواد وتمدد على الأرض والمهاد وقتله حسده لأنه قيل فى الأمثال لا تعاد مسعوداً فتموت مكموداً لأن الحسود لا يسود ولله در الحسد ما عدله بدا بصاحبه فقتله (قال) وكان قتل بساما شيبوب أخو عنتر لأن عنتر لما حمل وعلى القتال عول أوصى أخاه شيبوباً بعبلة وأن يحفظها ويكون ملازماً هودجها هى وأمها وبنات عمها ويقعد عندهن حتى يسكن روعهن من خوف الأعداء فلما رأى القوم قد خرجوا من بين

الأطناب واتسع لهم المدى فى واسع الرحاب ونظر أخاه عنترا وقد طلب الأعلام والرجال قد تحدث إليه مثل قطع الغمام ونظر إلى الرماح من حوله مثل قضب الحمام خاف على أخيه من شرب كاس الحمام فمدا طالبه مثل البرق تحت الغمام حتى اقتحم الغبار ورأى ماقد عزم عليه بسام وهو هاجم على أخيه بغدره فضربه بنبلة فى ظهره فطلعت تلمع من صدره واسقاه كاس الحمام وجرى من القصة ماجرى وماقدمناه فى كلامنا بلا امترا هذا كله وعنتر مشتغل بقتال الاعداء وهو لايعلم بشىء من هذه الأعمال إلا الطعن فى صدور الرجال وتنكيس الأبطال فى حومة المجال حتى أنه وصل إلى المتغطرس بن فراش فعلم أنه المقدم عليهم من دون الناس وهو يحرض برجاله ويشير بالرمح إلى أبطاله وهم لا يلتفتون إليه ولا يفتنون بما عول عليه وقد تفرقوا قدام عنتر مثل القطا النافر وبقى الأول منهم لا يلحق الآخر فلما رأى ذلك صعب عليه وثبت للطعان ولم ير لنفسه الهزيمة والهرب مع تلك الفرسان ومدعينه فرأى الفرسان قدام عنتر تتقهقر فتقدم وصدم عنتر بقلب مثل الصخر المرمر وجنان أجرى من تيار البحر إذ ذخر وكان المتغطرس من أفرس أهل زمانه فارس شديد وبطل صنديد فتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وخفقت منهم الأرواح لما قاسوا من ألم الجراح فاشتد من عنتر الغضب فصاح به وهاجمه مهاجمة الأسد وطعنه بحنق وحرد فخرق ماعليه من الزرد ومزق أحشاءه والكبد وتركه كالجذع الممدود ونفرت أصحابه مثل ماتنفر من الذئاب قدام ولما أن تم القتال وبطل الشغل جمعت العبيد الأسلاب المبددة والغنائم والخيل الشاردة وقد عادت الفرسان من خلف المنهزمين وهم فرحين بالنصر والظفر والغلبة والارتياب وهم يثنون على شداد وأخوته ويمدحون عنترا ويصفون شجاعته وقوة همته وكيف قتل المتغطرس وأباده بطعنة . هذا وعنتر فرحان بهذا المقال وشداد أيضاً قد داخله الفرح والسرور بهذه الأقوال وقد فرح بفعال عبده عنتر وعلم أنه بسببه يرتفع قدره بين الرجال هذا وأن عنترا قد أتى إليه وقبل يديه فاستقبله شداد وقبله بين عينيه وقد رآه مثل شقيقة الأرجوان مما قد سال عليه من أدمية الفرسان وسيفه وسنانه من دم الفرسان يقطران وبنو قراد فرحهم قد زاد وزاد بهم العجب وشداد ماوسعه سرجه من شدة الفرح والطرب وقال لأخيه زخمة الجواد وحق ذمة العرب لقد زكت فى هذا العبد تربيتنا وماضاع فيه التعب ولولا أنه ولد حلال مافعل هذه الفعال وقد ملكنا به رقاب ملوك العرب أصحاب الحسب والنسب فقال له أخوه زخمة الجواد يا أخى كيف لايكون ولد حلال منتسب وقد حكم لك به قاضى العرب قال أنه ولدك من ظهرك فلا تجحد نسبته وما وجب إليك وما وجب فاسمع منى وألحقه بالنسب وهب أنه تعاير ناك

به سائر العرب لأنه بطل وأى بطل ويستحق أنه يستأهل أوفى الحسب فلما أن سمع شداد من أخيه ذلك الكلام تبسم بعد الغضب والخصام وعادوا طالبين المضارب والخيام وعنتر من ورائهم وهم له أمام وقد سمع جميع ماقالاه من الكلام فأخفاه وكتمه فى فؤاده كأنه لم يسمعه ولم يبده لا فى خطاب ولا نظام بل أنه تقدم إلى قدام فتذكر حبه لعبلة بنت عمه فزاد به الهيام وأشار يقول الشعر والنظام فمن جملة ماقال هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

أنا الفارس المقدام والبطل الذى ... تذل له الفرسان يوم المهالك
إذا خضت فى الأهوال يوم اشتعالها ... ترانى كليث قد سطا بى فى الدكادك
إذا ثار نقع كنت موقد ناره ... وأفنى الأعادى بالسيوف الفواتك
وأصلى لظى الحرب العوان بهمة ... يقصر على إدراكها كل سالك
ومن يبتغى حربى فانى غضنفر ... اجندل أعدائى ببيض فواتك
وكم بطل ألقى السلاح لهيبتى ... وآخر قد رديته فى المعـــارك
وجندلت المتغطرس الفارس الذى ... يقدم فى الهيجاء عند المشابك
وخلصت قومى من أكف عداتهم ... ولست لفعل المكرمات بتارك
إذا ماطعنت القرم خر لوقته ... يكشر عن أنيابه غير ضاحك
إذا مادعانى صائح فى كتيبة ... أجيب ندا الفرسان عند التماسك
ولى سطوة فى الحرب عظما شهيرة ... فسل عن فعالى كل ليث مشابك
فهذا فخارى فى الأنام جميعهم ... وفى موقف الهيجاء غير مشارك

(قال الاصمعى) فلما أن سمعوا منه ذلك الكلام والشعر والنظام فما منهم أحد إلا وله قد شكر واستبشر وفرح به أعمامه وأبوه بما بان منه وما ظهر ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الخيام وشيبوب يعدو بين أيديهم كأنه ذكر النعام وقد أظهر الفرح والمسرات وهو يسوق ماحصل من الخيل والأسلاب وما وصل اليه من الخيرات حتى وصلوا إلى الحى ودخلوا فيه واستقروا فى الأبيات وأخذوا الراحة مما قاسوه من تعب الحرب والقتال وقد خلا بهم المكان فقال عنتر لأمه زبيبة ياأماه إنى قد سمعت اليوم كلاما من عمى زخمة الجواد مع مولاى شداد وهو كلام قد أورثنى بلاء وسقام وما عرفت معناه فاخبرينى من هو أبى ومن يتصل اليه حسبى ونسبى بين الأنام هل أنت رزقت بى من غير أب أنتسب اليه فاوقفينى على هذا الأمر ودلينى عليه فقالت له ياولدى ها أنا أقول لك على الحقيقة وأبين لك الأمر كله وأوضح لك الطريقة وذلك أنه كان فى حال صغرى وأنا صبية قد أخذت مسبية والذين أغاروا علينا

جماعة من الفرسان العبسية وكان من جملتهم مولاك شداد والباقى عشرة من رجال بنى عبس الأجواد فلما ملكنى مولالى شداد صار أمرى له مباح فغشينى من دونهم وهو يزعم أن ذلك سفاح ثم أنها قصت له جميع القصة من أولها إلى آخرها وأطلعته على باطنها ثم قالت له وإنى لما غشينى شداد وبلغ منى المقصود والمراد حملت بك فى ذلك الوقت والحين ومازلنا سائرين حتى وصلنا إلى العلم السعدى وبه وضعتك ثم أنها أعلمته كيف أنه يقاتل عليه العشرة رجال وكيف أدعى كل واحد منهم إنك ابنه من صلبه وتنسب إليه فمضوا إلى قاضى العرب فحكم لمولاك شداد أنك تكون له ولدا لأن تلك الفوارس شهدوا له أنه غشينى دون كل أحد وما فيهم من كتم ذلك ولا جحد وأنا على الحقيقة ياولدى لا أعرف لك أبا غير شداد وهذا الذى قد حصل يا ابن الأجواد (قال الراوى) فلما سمع عنتر من أمه ذلك الكلام وأكده زال ما عنده من الأوهام وقال لها يا أماه إذا كان قاضى العرب حكم بأنى ولده وكل أحد من السراية شهد بحق بما شهده فلم لا ينادينى بالولد ويفعل معى كما يفعل كل أحد فقالت له زبيبة والله إنه يعز على هذا الأمر وكيف لى به طاقة وقلبى من ذلك يتلظى على لهيب الجمر ولكن أنا أعلم أنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه يخاف من مذمة العرب ويدعى أنك ولد سفاح وقد أتيته من غير عقد نكاح ويخشى أن يدخلك معه فى الحسب والنسب فيم يروه بذلك ولا تطيعه فرسان العرب من ذوى الرتب فقال عنتر أنا لا أحوجه إلى ذلك وكل من يمايره أسقيته بسيفى هذا كئوس المهالك وقد شهد لى بهذا الأمر فى هذا اليوم عمى زخمة الجواد وكل أحد من الأمجاد وقد سمعته وهو يقول لأبى شداد أن عنتر ولدك فلم لا تدعوه كما ندعو الآباء أولادها ولكن مولاى شداد ما أراد قبولها ورأيته قد حصل له من ذلك إكماد وأنا لابد لى أن أكلمه على ذلك وأحسن له الوداد فان لم يلحقنى بالنسب والحسب وإلا جفوته ورحلت عنه ومثل ما يتبرأ منى أتبرأ أنا الآخر منه وإذا رأيته أنكرنى وجحدنى وأرادت كل عشيرته تطلب هوانى بذلت فى الجميع سيفى وسنانى ورحلت عليهم إلى قوم يعرفون قدرى وأول ما أقتل أبى إن لم يعترف بنسبى ويصل جسمه بجسمى والحق به عمى مالك وأسقيه هو وولده كاسات المهالك وأعجل منيته إن لم يزوجنى عبلة ابنته وأقتله شر قتلة وأما عمى زخمة الجواد فما ينالهمنى إلا المحبة والوداد لأنه قد تبين لى منه أنه رجل كريم ويعرف الجميل ويكره اللئيم فقالت له أمه بالله عليك لا تفعل شيئا من هذه الفعال لأنه قد أحبك النساء منهم والرجال لما رأوا منك من حسن الخصال فلا تتعرض لأحد منهم بسوء وتهدم ما بنيت فتكون قد ظلمت وتعديت فقال لها عنتر يا أماه أن أم عبلة قد وعدتنى أن

تزوجني بها وقد عاهدتني على ذلك لما إني حميتها وخاصمتها فقالت له أمه زبيبة ياولدي لا تطمع نفسك بالمحال ودع عنك هذا المقال ولا تؤمل هذه الآمال ليطول عليك المطال بأن هذا لا يكون على الأبد ولا فعله بين العرب أحد وكيف يكون عبد ماله حسب ولا نسب ويطمع نفسه في زواج بنات العرب والسادات من ذوي الرتب فقال لها عنتر سوف أريك ياخناء من فعالي وكيف ألحق روحي بالنسب وأذل بسيفي رقاب ملوك العرب والعجم إن كان لي عمر مديد وأجل بعيد ثم أن عنتر بات الليلة متفكراً إلى الصباح وهو موسوس فيما يفعل لنفسه من الصلاح وإذا بالملك زهير قد أقبل مع فرسانه أجمعين وهو لا يصدق أن يرى أهل الحي سالمين لأنه سمع أن المتغطرس بن فراس قد خالفه في الطريق وسار إلى أهله ودياره فخاف عليهم أن يعدموا السعادة والتوفيق وخشى عليهم من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فعاد راجعاً بعدما كان قارب ديار بني قحطان وقد جد في سيره حتى أشرف على الأوطان فرأى الناس في فرح وأمان وما أن رآه أهل الحي في ذلك الجيش العظيم تلقاه منهم رجل كريم وركبت إلى لقائه الرجال وتبادرت إلى تهنئته الفرسان والأبطال وأقبلت الأكابر والأصاغر وفي أيديهم الدفوف والمزاهر والقوة متقني السادات وبشروه بالنصر على الأعداء وقد أعادوا عليه ما فعله عنتر عبد شداد وكيف تلقى الفرسان بحملته وقتل المتغطرس بطعنته فقال الملك زهير والله لقد فخرنا بهذا العبد على كل القبائل ولا بد أن يكون عنتر حامية لهذه القبيلة ثم أن الملك زهير نزل في أبياته فتلقته زوجته تماضر وهي تثني على عنتر وكيف إنه حماهم من ذلك الأمر المنكر وتقول له والله يا ابن العم إنه قد صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم فزادت منزلته عند الملك زهير لما أن تبين في وجهه أعلام الخير فقال وحق ذمة العرب لو أننا حكمناه في هذه الأموال والأولاد كان قليلاً على ملاقاته لهؤلاء الفرسان ومجازاته على هذه الفعال الملاح ثم أنه أمر بذبح النوق والأغنام وترويق صافي المدام ودامت الناس على ما هم عليه من الأفراح وقضوا يومهم بشرب الراح وأقبلت الفرسان إلى وليمة الملك زهير ومن جملتهم الربيع بن زياد وجميع إخوته وحسن كل إنسان في مرتبته وأقبل الأمير شداد في بني قراد ومن يليهم من الفرسان الشداد (قال الراوي) لهذا الإيراد ونحن نصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد سيد العباد . هذا وقد دخل عنتر إلى الملك زهير ودعا له بدوام العز والنعم وإلى الملك زهير تقدم فقال له الملك زهير وحق ذمة العرب لا كان نديمي اليوم إلا أنت يا عنتر ولا أشرب إلا وأنت معي وإني إلى منادمتك أشتهي وأريد أتأملك وانظر اليك فعندها تقدم عنتر وقبل من وقته وساعته يديه فتزحزح له

الملك زهير أجلسه بجانبه وباسطه فى الحديث ولاعبه حتى كأنه من بعض أقاربه ففرح عنتر المحبون بذلك ومن جماعتهم مالك ابن الملك زهير إلا شاسا والربيع ابن زياد فانه ماسرهم ذلك وقد زادهم ما الهم والغم هذا وقد جعل الملك زهير ينادمه ويلاعبه ويضاحكه ويمازحه وينشرح معه وكلما هم عنتر أن يقوم إلى الخدمة يمنعه الملك زهير وهو يقربه اليه ويدنيه ويكافئه من دون أقاربه وأهليه (قال المؤلف) لهذا الكلام بعد الصلاة على بدر التمام ولم يزالوا على ما هم عليه من شرب المدام حتى لعبت الخمر برؤسهم وقد تغيرت عليهم الأمور فقام الرجال وتفرقوا وساروا إلى اماكنهم ومضاجعهم فى المنام وكان من جملتهم الامير شداد فخدم الملك زهيرا وأراد الانصراف فخلع عليه وعلى أخوته وخلع على عنتر أحسن من خلعة أبيه وعمومته وعممه بعمامة من الحرير المدثو مطرزة بالذهب الأحمر وقلده بقلادة من خالص الجوهر محركة بالحرير الأصفر بتقاميخ الذهب الأحمر وقدمت العبيد جوادا بسرج مذهب ووهبه الملك زهير سيفا مشطب يساوى بدرة من الذهب صقيل اللمس وسماه حامية عبس ثم خرج بنو قراد من بين يدى الملك زهير فى غاية الفرح وقد حفتهم السعادة والخير وزال عنهم الترح (قال الراوى) ولما أن قربوا من الأبيات ترجل عنتر وسار فى خدمة أبيه الأمير شداد وعضده حتى أنزله عن ظهر الجواد كما تفعل العبيد مع السادات فلما أن أراد شداد أن يدخل إلى الأبيات والمضارب فتقدم عنتر بين يديه وسال له مقارب وهو سكران طافح من السكر وقبل يديه وأثنى عليه وقال له يا مولاى لما لا تبلغنى منك ما أريد وتعترف بحقى كما عرفه القريب والبعيد فقال له الأمير شداد ما الذى تشتهى وتريد فقل لى على حاجتك حتى أقضيها لك وأبلغ روحك أمانيها وأحضر لك جميع أموالى وأحكمك فيها ومهما اشتهيت فافعل فيها وقد ظن شداد لما سمع من عنتر ذلك أنه يطلب منه نوقا وجمالا يقتنيها أو أبيانا يأويها أو أمة خطرت باله يبغيها فقال عنتر يامولاى أعلم إنى أريد منك أن تلحقنى بالنسب وتقول أنى ولدك حتى يصير لى حسب ونسب والحق بأولاد سادات العرب فأنا أكافئك بشىء لا يقدر عليه إنسان وأترك سادات العرب يخدمونك فى كل مكان خوفا من شدة بأسى ومن سيفى والسنان وأسيق اليك أموال سادات من العربان وأساويك بملوك الزمان ويكون لك قدر وشأن قال مجد بن هشام فما أتم عنتر كلامه حتى قامت عينا شداد فى أم رأسه وانزعجت سائر حواسه وقال والله يا ابن الملعونة لقد حدثتك نفسك بشىء يكون لك فيه الهلاك ومنتك أمانيك بسوء الارتباك وقد لعبت خلعة الملك زهير بعطفيك ودخل كلامه

فى أذنيك وصرت تطلب أن تضمنى وترفع قدرك وتتركنى حديثا لكل من تحدث



وسمع والله ما بقى لك عندى جواب بعد هذا الخطاب إلا الضرب بالحسام القرضاب ثم أن شداد جرد حسامه بعدما انتهى من كلامه ثم تقدم إليه وقد تهاربت العبيد من حواليه وسمعته زوجته سمية وهو يهدس بهذه المصائب فخرجت من الخباء وهى مكشوفة الرأس منزعجة الحواس مهرولة الذوائب فوقفت فى صدر زوجها شداد ومسكت السيف بيدها وردته عنه بقوة ساعدها وزندها وقالت له والله لا أمكنك أن تقتله لأنى ما أنسى على طول الزمان فعله ولا يضيع مثلك صنيعه وعمله وإن كان قد طلب منك أمراً لا يصلح فيكون السكر قد زينه لك (قال الاصمعى) ومازالت سمية على بعلها حتى سكنت غضبه وأخذت السيف من يده ثم أدخلته إلى الخباء وأضجعته هذا وعنتر قد استعظم زلته واستكبر فعلته واستحى أن يصبح فى أبيات بنى قراد وهو فرحان بما قد نال عنتر من المنزلة الرفيعة وعلو الشأن لأنه كان من المتعصبين معه ومن محبيه ولكثرة فعاله الجميلة رغب فيه وكان هم أن ينام فدخل عليه عبد من عبيده

واستأذنه فى دخول عنتر عليه فاندهل مالك لذلك وتحير وقال لعبده دعه يدخل فدخل عنتر وهو على حالة الذل والخبل جارى الدموع يتنهد من فؤاد موجوع فقال له مالك أهلا وسهلا ومرحبا ثم أنه أجلسه إلى جانبه وقربه إليه كأنه من أهله وأقاربه وسأله عن حاله فأعاد عليه ماجرى له مع أبيه وحدثه بالسبب وكيف أنه طالب منه أن يلحقه بالنسب وأن يدخله فى الحسب وكيف أنه أراد قتله من شدة الغضب فقال له مالك والله ياعنتر لقد تعديت على أبيك بهذا السبب ولقد جنيت على نفسك من دون العرب وماحملك على هذا السبب إلا أمر عجب ولكن اطلعنى على حالك ولا تكتم عنى شيئا ولاتخفيه حتى أنى أتدبر بعقلى ومعرفتى معانيه بتدبيرى غاية الجهد وإلا انفتح عليك باب لاينسد (قال المؤلف) لهذا الكلام العجيب والحديث الغريب فلما



سمع عنتر كلام مالك زاد به البلبال وما وجده بدا من أعلامه بجلية الحال وقال والله يامولاى ما حملنى على هذا السبب إلا الهوى الذى هد منى الحيل والقوى والهب قلبى بنيران الجوى ولعبت بعقلى كاسات الهوى وإلا ما كان جرى على ماقد جرى وما قدم فى هذه الليلة على من الاقترابل كنت كتمت هواى ووداتى حتى تدنو موتى ووفاة أعدائى والذى أعلمك به يامولاى أنى أحب عبلة ابنة مالك بن قراد وهى التى منعت من عينى لذيذ الرقاد ورمتنى بالسهر والسهاد وما طلبت من أبى أن يلحقنى بالنسب إلا من أجلها حتى يكون لقربى لها سبب والتى نفى من أجلها القلب والتعب ثم زاد به الوجد فبكى وتحسر حسرات متتابعات زائدات تدل على

نيران ثارات وأن واشتكى شكوات تتلظى بزفرات وصاحبه مالك تدفاضت دموعه على خدوده لما أن سمع منه تلك الشكوات ثم أن عنتر ارجع إلى طبع العرب لما أن زاد به الهم والكرب وجعل يتسلى بالشعر والنظام وحسن الكلام فأنشد يقول صلوا على الرسول

سأخفى غرامى فى فؤادى وأكتم ... وأسهر ليلى والحواسد نوم
وأطمع فى دهرى بما لا أناله ... وأمسك منه ذيل من ليس يرحم
وأرجو التدانى منك يا ابنة مالك ... ودون التدانى نار حرب ضارم
فمنى بطيف من خيالك واعلمى ... إذا غبت عنى أن قلبى متيم
ألا فاسألى نوح الحمائم فى الدجى ... فمن بعض أشواقى ونوحى يعلم
ولا تجزعى أن لح قومى فى دمى ... فمالى بهذا الهجر لحم ولا دم
ولكن عظام باليات وأعظم ... على رسمها جيش الصدود مخيم
وإن عشت من بعد الصدود فما أنا ... كمن يدعى ياعبلة فى الحب مغرم
وإن نام جفنى كان نومى علالة ... أقول لعل الطيف يأتى يسلم
بليت من الشوق المضر وإننى ... صبور على مر الجوى وغشمشم

قال الراوى فلما فرغ عنتر من أبياته وشكا ما يجده من ألم فراقه ونيران زفراته انهملت دموعه على خدوده وجناته فقال له مالك والله يا عنتر لو كنت أطلعتنى على هذا الأمر قبل أن يشيع بين الناس ويشتهر لكنت خاطرت بروحى وما أملكه وكنت دبرته بعقلى وسديد رأيى لأنى بمعرفة هذه الأمور وأمثالها أخبر والآن فقد أفسدت هذا الأمر وصار قلبك على لظى من الجمر وأنا أعلم أن عبلة بعد اليوم تحجب عنك ولا عدت تراها إلا أن يكون اتفاقا من غير أن تعلم أباها لأنه أن علم أنك تطلب من أبيك النسب وأن يلحقك بما لحقت به سادات العرب يعلم أنه من أجل هذا السبب ولا يمكنك من الدخول إلى بيوته ولا أن تدنو من مضاربه ويمنع عنك عبلة لمروءته وربما دبر عليك حيلة ويهلكك ويقتلك ويخفى أمرك ويطمس خبرك ويبذل المجهود هلاكك فلا تأمن بعد ذلك منه على نفسك وإلا يسكنك فى رمسك والصواب أنك تقيم عندى ههنا حتى أتحدث مع أبى فى أمرك وندبر لهذا الأمر تدبيرا وأبصر كيف يكون التدبير وكيف يزول عنك العنا وإلا أنزل بك بنو قراد التدمير لأن هذا أمر عسير فقال له عنتر يامولاى والله أنى ما أقدر أن أقيم فى الحى حتى تخمد النار وينسى هذا الحديث والاخبار وأكون أول النهار خارجا إلى الصحراء ولا أعود إلا وقمته

المساء حتى أرى ماذا يصير ولا بقى لى عين أنظر أحدا من الناس ولا بشر لاسيما عمى مالك وولده عمرو وأنت تعلم أن أشد الناس لى عداوة الربيع بن زياد وأخوك شاس ثم قطع هو ومالك بقية الظلام بشرب المدام إلى الصباح وركب عنتر جواده وتقلد بعدة جلاده وخرج من بين المضارب وسار حتى أبعد عن الأبيات وسار فى الروابى وهو لا يدرى إلى أين يأخذ من الجهات وقد ضاقت عليه الطرقات وغلقت فى وجهه المذاهب ولم يدر إلى أين هو ذاهب وسار يهيم يمينا وشمالا بين الروابى والتلال إلى أن أضحى النهار واتسعت فى وجهه البرارى والقفار وتذكر فعل أبيه شداد وكيف شمت به الأعداء والحساد وصار يترنم بهذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

أعاتب دهرا لا يلين لعاتب ... وأطلب أمنا من صروف النوايب
وتوعدنى الأيام وعدا مزخرفا ... وأعلم حقا أنه وعد كاذب
خدمت أناسا واتخذت أقاربا ... وعونا لدهرى عند حكم التجارب
ينادوننى فى السلم ياابن زبيبة ... وعند لقا الأبطال يا ابن الأطايب
ولولا الهوى مال مثلى مثلكم ... ولا روعيت أسد الشرى بالثعالب
ستذكرنى قومى إذا الخيل أقبلت ... تجهل بها الأبطال من كل جانب
إذا ما نسونى فالقواضب والقنا ... تذكرهم فعلى ووقع المضارب
فياليت إن الدهر يدنى أحبتى ... كما أنه مدن لكل المصائب
ويأتى خيال منك ياعبلة زائرا ... يرى فيض جفنى بالدموع السواكب
سأرحل حتى تستريح عواذلى ... وأعلم أعدائى بتلك الجوانب
مكانك فى أفق السماء محله ... وكفى قصير عن مثال الكواكب
وإن قدر الله العظيم بلطفه ... فلا غرو من أنى أنال مطالبى
وأكمد كل الحاسدين وأحتوى ... على بغيتى قهرا بحد القواضب

قال الراوى وكان عنتر ينشد هذه الأبيات وهو لا يدرى إلى أين يسير ثم أنه سار من غير قصد وقد طلب البر والفدفد فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الحى فانه أصبح يموج بحديث عنتر وقد شمتت به الأعادى والحساد وقالوا يافضيحتاه بين العربان وإذا علموا أن أولاد الزنا أخلوا فى إنسابنا وشاركونا فى الحسب والنسب وسمع مالك أبو عبلة بهذا الحديث والكلام فصار الضياء فى عينيه ظلام وزاد به الغضب وكذلك ولده عمرو وقد حل بهم الضجر وقالوا لشداد إننا نريد أن نرتاح من هذا العناد وحق

ذمة العرب الأجواد ما بقى لنا بد ولا غنى عن قتل هذا العبد ولد الزنا فقال شداد أما قتله على رؤوس الأشهاد فليس بصواب فقال له مالك والله ما أقتله إلا على رؤوس الأشهاد وإن احتمى له الملك زهير وولده مالك وحموه منعونا من قتله قتلت أنا ابنتي عبلة وأوقعته بها المهالك فقال شداد يا أخي الصواب ما قلت لك عليه نحن نهلكه بحيث لا يعلم به أحد أما في الصيد والقنص وأما أن ننفذه في مصيبة ما يجد له منها مخلص فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من شاس ابن الملك زهير فانه لما أن سمع بهذا الحديث والخبر الذى شاع وفشا واشتهر عن عنتر وبلغه أنه في بيت أخيه مالك تقلد بسيفه وطلبه وقد أخذه الغضب والحرد وسار وقد عول قتل عنتر الفارس الفائك وأن يسقيه كأس المهالك وقال لا أبالي أن غضب أبي أو رضى ولا بد من ضرب رقبته وأبلغ من ذلك غرضى ثم إنه سار حتى وصل إلى بيت أخيه مالك فلم يجد عنتر هناك فسأله عنه فانكره منه وجحده وقال له يا أخي ما الذى تريد منه فقال له أريد أن أقتله وعلى وجه الأرض أجندله وأى شخص أجاره فعلت به هكذا وعجلت دماره قال فتبسم مالك من كلامه ومقاله وقال له يا أخي لا تفعل هذه الفعال فأى جناية جناها حتى يستوجب عليها القتل وهذا العمل أتريد أن تجازيه على أن صان حريم بنى عبس وعدنان وقتل الفرسان أو على فعله الذى فعله في أودية الرياحين والسيبان أو من أجل قتل الفرسان على نهر الأرجوان وإنما طلب لنفسه المنزلة العالية والافتخار كما يفعل كل أحد وقد تحدث مع أبيه وهو سكران وماغلى أى جناح ولا عتب عند الناس وقد اعترف وأقر لما صحا من سكره بذنوبه القباح فقال شاس إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم فقال له مالك فان كان مرادك قتله فاطلبه في الأوغار فانه كفء لأهل هذه الديار فقال شاس وحق ذمة العرب والبيت العتيق المطهر وما جذب أن رجع إلى هذه القبيلة ووقع في يدى مرة أخرى لأقتله وأقطع رأسه إربا ثم قال يا مالك أنت وأبوك اطمعتماه حتى نطق لسانه بما سمعناه وإنه ما طلبه إلحاقه بالنسب إلا ليحط قدرنا بين سادات العرب ونبقى معيرة عند جميع القبائل بقولهم بنو عبس الحقوا عبدهم بالأنساب والحسب وأيضا ليتزوج بنت مالك عبلة وتصير فضيحة بين سادات العرب ولا بد وأن تقول العرب لمالك بن قراد بالأمس كان عنتر راعيا جماله وجماله واليوم صار ابن أخيك وزوج بنتك وهذا من أعجب العجب بالأمس كان راعيا واليوم يركب صدرها قال الراوى وهو نجد بن هشام ثم أن شاسا خرج وخرج أخوه مالك معه وهو يسكن غضبه ويبرد فألح شاس على مالك فقال لا أعلم له حال إلا أنه من

أول الليل طلع وسار وهج على وجهه فى البرارى والقفار والسهول والأوعار وما أطلعنى على حاله ولو سمعت به لامنعكم فى هذا النهار فانصرف شاس وأيقن أن أخاه صدق فى أنه ما عنده من هذا الأمر أخبار وأما مالك فانه كان يظن أن عنترا عند المساء يرجع إليه ويبيت عنده ويخبره بما جرى فما عاد إليه فى الليلة الآتية ولا الماضية فانتظره ثلاث ليال فضاق صدره عليه وتحير فى أمره واغتم لاجله لأن مالكا كان يحبه محبة عظيمة لما رأى منه من الحمية والغيرة على الحريم وهو ممن له قدر عظيم فمن شدة ماجرى عليه من فراق عنتر أعلم أباه بذلك وبما جرى من ذلك الأمر المقدر فنال قلب الملك زهير منال عظيم وتألم وعتب على ولده مالك وقال له ويحك يا مالك لم لا أعلمتنا وهو عندك حاضر حتى أنى كنت أتوسط توبته مع أبيه وعمه وأطيب منهما الخاطر وأدبر نوبته وكنت أخذته إلى أبياتى وأنظر إن كان مراده الزواج كنت أزوجه بجارية من خاص جوارى أو من المولدات فقال ياأبتاه إنى خفت وقوع الفتنة فى الحى وجلب المحنة بين العرب لأنى رأيت أخى شاس طلبه ليقتله من دون الناس وأيضا طلب ذلك أبى عبلة وأخوها عمر وحاسد وما كثر من محبته لأنهم يحسدونه على الفعل الذى يفعله وعلمت إنك إن نصرته تثور الفتنة والشر ويعظم الأمر وما خرج من عندى إلا على البر فقلت إنه يعود عند المساء فإلى الآن ما عاد ولا سمعت له خبر فقال الملك زهير وحق ذمة العرب لقد فرطت فيه غاية التفريط ولابد أن أرسل خلفه من يقتفى أثره وأعيده إلى دياره (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من عنتر بن شداد وأخباره فإنه عند خروجه من الحى سار حتى أبعد عن الديار وطلب البرارى والقفار وصار يلتفت يمينا ويسارا فرأى بين يديه غبار خيل سائرة سيرا حثيثا وهى نحو الأربعين فارسا بدروع تلمع ورماح شرع وخيلهم تنهب الأرض نهبا فحرك عنتر الجواد نحوهم لينظر من أين هؤلاء الفرسان وسار حتى أنه لحقهم فلما أن رآهم عرفهم وإذا هم من بنى عبس وعدنان وفى سروجهم كالأغصان على خيول كالغزلان ومقدم هذه السرية أمير من سادات بنى عبس الأطايب يقال له عياض ابن ناشد وكان معودا بخوض الشدائد والنوائب ولقاء الأهوال والمصائب معروفا بالشجاعة ولقد ذكرنا أن العرب كانت فى ذلك الزمان صنفين من العراق إلى بر الحجاز يسمون بنى عدنان ومن البحر إلى اليمن يسمون بنى قحطان ثم يرجعون فى النسب إلى جد واحد وإن بنى عدنان من نسل ربيعة ومضر وبنى قحطان من نسل أياد وأنمار والكل يرجعون فى النسب إلى بعد ألف صلاة وألف سلام على النبى المكمل فلما التفت عياض بن ناشد العبسى

ورأى غيرة عنتر عن الجواد ووقف معه الاربعون فارساً فلما قاربهم تبينوه وعرفوه فقال لهم عياض ياقوم هذا عبد شداد قدلحق بكم فلما وصل إليهم وعرفوه حياهم بالسلام فردّ عليه السلام وتلقوه بالتحية وسألوه عن سبب إنفراده فى هذه القفار فقال لهم إنى خرجت قاصد الصيد والقنص فرأيتكم وأنتم فى هذه القفار فظننت أنكم من الأعداء فرأيتكم من خاص المحبين فلت إليكم فقال عياض مرحباً بك أعلم أننا سائرون نريد المعاش فقال عنتر وأنا أسير معكم أساعدكم فقال له عياض سر معنا ونحن نبلغك ماتريد ونفضلك على من سواك من العبيد فقال عنتر وما معنى هذا الكلام أيها السيد الهمام فقال إن العبيد إذا غزا مع السادات الأحرار يعطونه ربع سهم على سبيل الهدية وأنت إذا غزوت معنا أعطيناك نصف سهم لما فيك من الشجاعة فقال بعض الفرسان والله إن عنتر لايقاس بغيره من العبيد وإنه يستحق سهماً تماماً ولو كان له حسب ونسب كان يستحق ثلاثة أسهم لما فيه من القوة والثبات عند الحرب وخبرته بمواقع الطعن والضرب فلما سمع منهم عنتر ذلك الكلام ازداد غيظاً وقال لهم ياقوم اسمعوا منى ولا تتعدوا على فان عادة الكرام الانصاف ومن عادة اللئام البغى والاسراف فأنا أروح معكم وأكبس الحلل وحدى وإذا نفرت وراكم الخيل التقيتها بقوة ساعدى وأعطونى قسماً كاملا وأنتم قوم كرام فقال له عياض لقد انصفت فى مقالك وإنك تستاهل أكثر من ذلك لأجل حسن فعالك وإنما نحن نخاف من معيرة العرب من بعد منها ومن اقترب إذا نحن قسمنا لابن الأمة مثل ابن الحرة فقال عنتر أعطونى نصف سهم كما قلتم حتى لاتكونوا خارجين عن سنة العرب كما وصفتم ولا أترك أحداً يعايركم من أجلى بكل سبب فقالوا رضينا بهذا المقال فسيروا على بركة الله فسار القوم على ذلك يقطعون القفار ويخوضون الأخطار وعنتر يقول فى باله لابد أن آخذ غنائمهم وإن تكلموا لأقطعن جماجمهم ومازالوا حتى خرجوا من أرض بنى عدنان ودخلوا إلى أرض بنى قحطان وأشرفوا على بعض حلل العربان فرأوا فيها نعماً وأموالا بعدد الرمال والحى يموج بساكنه مستريح بقاطنيه بقباب مضروبة وخيام منصوبة ورماح مركوزة وسيوف محدودة والخيل تلعب كأنها الغزلان وهى مختلفة الالوان من أصفر كالذهب وأحمر كاللهيب وأبيض وأشهب وأسود كالغيهب وأهل الحلة آمنون من طوارق الحدثان مطمئنون غافلون عن القضاء السابق فقال عياض يا بنى الأعمام ماهذه الحلة إلا كثيرة الأموال غزيرة الأنعام والنوق والجمال قليلة الرجال والأبطال فدونكم والأموال انهبوها قبل أن يعود النهار على الارتحال وتدهمنا الرجال

من جميع الأقطار ثم أن عياضا زعق فى أوائل الخيل وحمل وتبعته الفرسان مثل الغيث إذا هطل ودخلوا بين الأطناب وساقوا الجمال وقد ركب رجال الحى لرد الحريم والعيال والأموال فردتها الفرسان على الأعقاب ومددوا أكثرهم على التراب وسطا عليهم عنتر بسطوته وأبادهم فى البر بحملاته وتوتر طمناته قال الراوى وكان فى الحلة فارس من الفرسان المشهورة وبطل من الشجعان المذكورة يقال له الحارث بن عباد وكان غضب من قومه بنى يشكر ونزل عند هؤلاء القوم غضبان ومضى له مدة من الزمان فلما جرت هذه المحنة وأن فرسان بنى عبس قد طرقتهم وجب عليه نصرتهم لأجل مقامه عندهم فوثب فى عاجل الحال وركب على ظهر مهر أدهم كأنه الليث القشعب وكان هذا المهر يشبه لون الظلام أو كأنه قطعة من الغمام وكانت أم هذا المهر يقال لها نعامة وكانت تضرب بها الأمثال فى أرض تهامة ويفتخر بها أهل اليمامة وهى التى قال فيها الشاعر :

قربا مربط النعامة منى أننى فى الحرب كالريبال

لا تقربن لسيفى فالنعامة لى واسأل من بنى وائل جميع فعالى

قال الراوى وكان أبو هذا المهر يقال واصل وكانت تتحصر عليه العربان وملوك القبائل فلما أن صار الحارث على ظهر المهر صاح بين أذنيه وقصد به الغارة فطار من البيوت كأنه من العفاريت الطيارة ونظرت إليه الفرسان فلم يروا إلا غباره وقد وثب به وثبات متداركات حتى صار على أعلى الربوات العاليات المرتفعات وأمن صاحبه من الآفات والنكبات فلما رأى عنتر إلى ذلك الجواد تنهد وتحسر وتعجب كل العجب وأضرمت فى قلبه النار وزادت باللهب وصار عنتر مثل الغريق وتلهب قلبه على نيران الحريق وقد علم أنه يا أسياد إذا طلبه ما يبلغ منه المراد ولا يصل إليه بجرى ولا طراد هذا وبنو عبس قد قلعت الحلة بما فيها وأحاطت عليها من سائر نواحيها وقد ملكت الأموال والخيول وعنتر عن هذه الأمور مشغول ومن شدة ما جرى عليه ضاقت به الحيل وبقى يمنى نفسه بعسى ولعل فلما أن رآه الحارث بن عبادة اليشكرى وقد طلبه صبر عليه حتى قاربه فأبصر الموت من طعانه ومضاربه فعاد وزجر المهر بكعبه وصاح بين أذنيه وأطلق له العنان فر به مثل البرق فى خلال اللمعان هذا والجواد ينهب الأرض بأربعة حوافره ويريد أن يدرك مواقع نواظره وإذا رأى خياله تحدثه نفسه أنه يسبقه ويظن أن جواده قارب أن يلحقه وفى درجة غاب عن عينى عنتر وزاد به القلق ونسى عشقه لعبلة بذلك الحصان الذى ما ملك مثله إنسان لما اعتراه من العشق الذى قد دهاه وعاد عنتر يتمنى أن ينظر ذلك الفارس

أو يراه ولو أمكنه كان بنفسه اشتراه هذا وبنو عبس قد ساقوا الغنائم من تلك الديار ثم أمروا العبيد أن يسوقوها حتى صارت فى القفار وقالوا لعنتر يا ابن زبيبة تسلم هذه الأموال وسر بها فى هذه التلال ونحن نقف فى هذه الجبال حتى اننا نرد عنك الذى يتبعها من الرجال لأن هذه الأرض كثيرة الطرق ولا نأمن فيها من الخوف والبوائق (قال الراوى) فعندها تقدم وفعل ما به أمروه وقد علم أن القوم قد استحقروه فاسرها فى نفسه وصاح فى العبيد فساقوا الغنيمة بين يديه وما فيهم من خالفه ولا رد عليه وكانت تلك الغنيمة لها قدر وقيمة وكان قد وقع لعنتر فى قلوب العبيد هيبة عظيمة لما رأوا من حملاته وهجماته وما شهدوا من ضرباته وطعناته وما زالوا يسوقون المال والنساء يندبن على الرجال بالويل والثبور وعظائم الأمور وهن يكثرن من التفجع والأعوال ويبكين على المنازل والأطلال ويقطعن الشعور على من لهن من الرجال حتى غاب بنو عبس عن عينى عنتر وصار بينه وبينهم مقدار فرسخ أو أكثر . هذا وعنتر شائب يتلهب بنيران الحريق والابعاد كيف أنه يخرج من تلك الأرض وما حظى بهذا الجواد إلا أن بنى عبس ما غابت يافهم إلا وذلك الفارس قد أقبل بالجواد وهو يهيم وفى فؤاده على أهل ذلك الحى نيران الجحيم فلما أن رآه عنتر ناداه وافرحاه بعد ترحاه يافتى بحق الرب العظيم رب موسى وإبراهيم ورب زمزم والحطيم قف على يا هذا الفارس قليلا فى مكانك واسمع كلامى ولك زمام منى يدوم فى كل واد وأليم ومن سائر أصحابى وحق الملك العزيز العليم فبالله عليك أن ترد على جوابى قال فوقف الحارث ثم قال يا أسود والله أنك فارس كرار وبطل مغوار فها أنا قد وقفت لك فتكلم بما تختار فقال عنتر أريد منك أن تبيعنى هذا المهر الذى أنت راكبه والا فاهده لى إن كنت صاحبه وأعلم يافتى أن الجميل عندى غالى وإن بعته لى تحظ بديحى لك ومالى وتصير لى صديقاً وموالى (قال الراوى) فلما أن سمع الحارث من عنتر هذا الكلام تبسم وقال واوجز فى المقال فوالله فحول الرجال البيض مالهم زمان وعاجزون عن فعل الجميل فكيف تكون حالة السودان وأنا أستغفر الله العظيم الواحد المنان من هذه الفضول وأنا أقول وحق الملك الجليل المتعال لو كنت سألتنى فيه من قبل أن تفعلوا بنا هذه الفعال لكنت أهديته لك ولا أخذت منك شيئاً ولكن يافتى هذا جواد نجم راكبه بالسعادة مقرون لأنه يطير بلا جناح وفى لمح البصر يغيب عن العيون وإن كنت ماسمعت به فهذا الابجر ابن النعامة الذى ما اقتنى مثله فارس فى أرض تهامه وهو الذى عليه الملوك تتحسر مثل كسرى وقيصر وأبو هذا المهر يقال له المرجوع وبه تضرب الأمثال

فى سائر قبائل بنى يربوع ولم يكن لهم مثل الجواد الذى لم يبعد عليه ميعاد ويبلغ راكبه منه المراد ولكن اسمع يافتى هذا المقال ثم إنه أشار يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

إن كنت تطلب هذا المهر تركبه ... دع الغنيمة أولا عنه فانصرف
لأنه نعم مركوب إذا اشتبكت ... زرق الرماح ونار النقع كالسجف
هنالك يقتحم الهيجا بهمته ... ويترك القرم يوم الروع لم يقف
أغر أدهم كالليل البهيم له ... وجه وغرته كالبدر فى الشرف
فراكب الأبجر الخطار فى دعة ... وفى أمان من الآفات فاعترف
فخذه ياعنتر تنظر عواقبه ... إذا الجبان تولى وهو فى أسف



(قال الراوى) ياسادة ياكرام صلوا على البدر التمام فلما انتهى الحارث بن عباد من كلامه وسمع عنتر شعره وحسن نظامه قال له عنتر أنتم تعديتم علينا بالشر وسفك الدماء وصرتم لنا أعداء وهجمتم علينا فى الحما وهل رأيت أحدا يسلم حصانه وسلاحه بين الملا ويصير وحيدا فى البيدا بين العدا بلا شىء يركبه فى الفلا ولا سيما هذا المهر الذى يفتدى بالأرواح وهو المنسب كما تنسب العرب أصحابها الإنسان الصحاح ولكن يافتى إن كان قد وقع خاطرك فيه أن ترد هذه الغنيمة إلى أصحابها وتدعها تعود إلى أربابها ويعز على والله اننى أنزل من على ظهره وأبيعه بهذه الغنيمة ولكن الضرورة تخرج إلى مثل هذه النازلة الذميمة التى هى رزية ويقع سوء هذه القضية فما أنا والله جبان ولا بليد ولكنى ذو بأس شديد وما

عارضتكم وسرت بهذا المهر إليكم إلا وأنا أعلم أن فرسان الحى لا بد لها منكم وأن تلحقكم بأذيالكم ويخلصون الحريم والمال من أيديكم وأنا قصدى أتسبب فى خلاص الحريم والعيال فان كنت توافقنى فى المروءة وحسن الشيم فأمر العبيد أن يردوا المال والنساء والعيال وآخذ أنا الجميع وأرجع بهم إلى الأوطان وخذ أنت المهر الذى هو أعجوبة الزمان فان لم يسمح بمثله الدهر على أنك تعطينا من قومك الأمان ولا تظن أنك فى هذه البيعة خسران وأنا وحق مكون الأكوان وملون الألوان ومن دبر بحكمته وقدرته الملك والزمان لولا أنى نزيل هؤلاء القوم وقد أكلت زادهم وطعامهم وأنا لهم حام مصالح لما كنت لهذا الحصان فى مثل هذه الغنيمة مسامح والليل قد أمسى وصارت الليل غلسا (قال الراوى) فلما أن سمع عنتر من الحادث ذلك الكلام بقى كأنه فى منام وعلم أن الحارث من الرجال سادات الكرم فأراد أن يساويه فى المروءة وحسن الشيم فقال له يافتى إنى اشتريت منك هذا المهر بهذه الغنيمة وهذه يدى لك بالذمام وإن عارضك أحد من قومى جندلته بهذا الحسام ولا أدع منهم أحدا يبلغ المرام ثم إنهما تعاهدا على ذلك وأعطاه يده وحلف له بالله العلى العظيم الوهاب وهو لا يصدق بذلك الخطاب فلما استوثق منه بالعهود وحلف له بالايمان نزل عن المهر وسلمه إليه وأعطاه عنتر جواده وأمر بعد ذلك الغلمان أن يسوقوا الأموال والنسوان والعيال والعبيد أمرهم بالعود إلى الديار والأوطان فساقها العبيد وعادوا وقد أقبلت إليهم الأفراح وعاد فسادهم إلى صلاح وقد أخذهم الحارث وسار بهم فى عرض البر والقفار وصار عنتر يرعاهم حتى غابوا عن الابصار وعاد عنتر وقد نال بالأبجر غاية المراد وحصل له ما كان عليه يتحسر وحظى بالمنى والظفر (قال الراوى) وما غابت القوم بالغنيمة حتى طلعت فرسان بنى عبس فرأوه سائرا فى البر وحده والغنيمة ليست عنده فقالوا له ويلك يا ابن زبيبة أين رحت بالغنيمة فقال يا بنى عمى بعتها بهذا المهر وحزت به المنة العظيمة ونلت المنى والهنا وتركت لكم فى القوم الشكر والثنا وأنتم تعلمون أن الذين سبقوا يقولون فى الأمثال جلب الثنا خير من الغنى وإنى رأيت صاحب هذا المهر جيد الشيم بادى الجود والكرم كثير الغيرة على الحريم والخدم وسمعت منه كلاما يدل على المروءة فأردت أن أساويه فى أخلاق الفتوة وأن لا يكون لنا فى هذه الأرض فعلة قبيحة نعاير بها على طول المدى ونصير سمعة ومعيرة بين العربان وإذا كنا سبينا الحريم والغلمان فى غيبة الرجال والفرسان فوالله يا جياد إن سبى الحريم لفضيحة ولكن البر أمامنا واسع والرب لنا حافظ وناصر وهو المعطى المانع ولا نعود إن شاء الله بلا فائدة ومنافع ولا نرجع إلا ومعنا من أموال ونوق وجمال وعبيد بقدرة الصانع قال الراوى فلما أن سمع عياض بن ناشب كلامه وهو الذى كان على السرية مقدامه صار يهمهم ويدمدم وهو

كالأسد الواثب وقد دارت به المصائب وحلت بأصحابه النوائب وقال له ويلك ياولد الزنا نحن أعطيناك مثل ما يأخذ الواحد منا وأخذت الكل يا عبد السوء وما سألت عنا فقال لهم عنتر الآن كان ما كان وأنا أخلقها عليكم من غير هذا المكان أن كنتم توافقونى فى إعطاء الذمام وإن طلبتم قتلى مانعت عن نفسى بهذا الحسام قال الراوى فزاد بعياض بن ناشد الغضب وقال لأصحابه دونكم وهذا الولد نسل الحرام احملوا عليه واقطعوه واسقوه كاس الحمام وردوا الغنيمة وإلا أصبحتم معيرة بين الأنام وصرتم مثلا بين القبائل خاصها والعام قال الراوى فعندما هاجت فرسان بنى عبس وتأهبوا للقتال وامتدوا معه للحرب والنزال فعند ذلك خرج عنهم عنتر بجواده الأبجر ونزل عنه وشد حزامه ثم أنه عاد إلى ظهره أسرع من البرق وقد أظلم فى عينيه الغرب والشرق وصال وجال وأوسع فى المجال ورأى نفسه قليل الناصر فى تلك الحال فعاتب دهره بهذه الأبيات وأنشد وقال بعد الصلاة والسلام على من أجار الغزال ﷺ

أعاتب دهرا لا يلين لناصح	وأخفى الجوى فى القلب والدمع فاضحى
وقومى مع الأيام عون على دمى	وقد طلبونى بالقنا والصفائح
وقد أبعدونى عن حبيب أحبه	وأصبحت فى بر من الأرض نازح
وقد هان عندى بذل نفسى عزيزة	ولو فارقتنى ما بكتها جوارحى
فيارب لا تجعل حياتى ذميمة	ولا موتتى يارب بين النوائح
ولكن قتيلا تدرج الطير حوله	وتشرب غربان الفلا من جوارحى
رعى الله إنسانا أضاف بمعشر	فاصبح فيهم آمرا بالمصالح
ولما رأونا قد طرقنا ديارهم	على كل جوال من الخيل سابح
وعدنا بأموال وبيض كواعب	حسان بأكفاله ثقال رواجح
فداهن بالمهر الذى ليس مثله	وباع الفتى بيع الكرام المسامح
ومن رام منكم يابن عبس قتلنى	فانى له وسط المجال بفاضح
أجول عليكم فوق أجرد عابس	وأحمل فيكم مثل موج اللواقح

(قال الراوى) فلما سمع بنو عبس مقاله توقفوا عن نزاله وتأخروا عن قتاله وصار بعضهم يحرض البعض ويتأخر وقت الحرب ويتكل على الآخر ثم أنهم قالوا لمقدمهم عياض أنت تشير علينا بالقتال يا ابن العم وتتأخر عنه وقت النزال وأنت المقدم علينا والمشار إليه فينا فقال عياض والله يا بنى عمى أنى ما تأخرت عن قتال هذا العبد إلا لسبب والعاقل لا يكون بينه وبين هذا العبد معاملة ولا نسب فقالوا له أطلعنا على معنى هذا الكلام

ولا تدعنا مخاطرين لضرب الحسام ولا ترمنا فى المهالك فقال لهم عياض والله أنى رأيت لما نزل يشد حزام فرسه وأراد أن يركب فرأيت خصيته مدلاتين إلى قرب ركبتيه فعلمت إنه ما خطر له على بال ولو أننا خطرنا على باله لارتفعت خصيتاه وتغيرت جميع أحواله فقال رجل آخر وأنا رأيت أعجب من ذلك الحال فقال عياض وما الذى رأيت يا أخا العرب من القصص فقال حين رأيته وهبه الملك زهير الفرس وقد أخذه ليلجمه فتعاصى عليه ولم يقبل اللجام فمسك عنتر قوائم الفرس بيديه ورفعه إلى أن بان سوادا بطيه وجلد به الأرض فرض عظامه رضا وأدخل طوله فى العرض فلما سمعت الرجال ذلك المقال ضاقت نفوسها وعلمت أنها مخاطرة بروسها فقالوا المقدمهم عياض تقدم أنت إليه وامتن بالغنيمة عليه ولا نظهر له أننا خفنا منه حتى لا يزيد منه فينا الطمع ويحل بنا منه سوء المصرع وربما يقول لا أرجع عنكم حتى آخذ سلاحكم وخيلكم وأنهب أرواحكم فقال المقدم عياض لقد صدقتم وقد كنا فى غنى عن مرافقة هذا العبد ولدالزنا وقد أعطى القوة والبأس وعظم الحمية وقوة الرأس ثم تقدم عياض إليه وقال له ويحك يا ابن العم ماهذه الفعال القباح أما تستحى أن تقاتل بنى عمك وتشهر فى وجوههم السلاح وتطلب منهم الجد وهم طلبوا منك المزاح وماقدر هذه الغنيمة التى ملكناها وماهى إلا بقوة ساعدك وثبات جنانك وقد أخذتها أنت وبعتها واشتريت بها هذا الجواد الذى تقاتل عليه أعداءنا والاضداد فانحن يا ابن العم جاهلون لقدرك ولسنا قائمين بشكرك لأنك سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل وباعنا الذى تطيل به ونستطيل * ولم يزل عياض يمسح أطراف عنتر ويتلطف به حتى لان وقال يا ابن العم أنا لا أنسى جميلكم أبدا مدى الأزمان ولا أريد لكم أذى ولا خذلان ولكن الإنسان إذا بلى بمن يريد قتله وجب عليه أن يدافع ويحفظ خوفا واحترازا ممن يسكنه رمسه وقد اعتذرت إليكم أول مرة فما قبلتم عذرى بل احتقرتم توتى وجهلتم أمرى حتى بلغ الأمر إلى هذا الحد وما أنا إلا عبدكم بسيفكم أضرب وبيأسكم أغلب ولولاكم ما كنت بين الناس مذكورا ولا عند أحد مشكورا * وما كان كلام عنتر ذلا لديه وإنما أراد أن يعرف ما فى قلوبهم عليه لما عجزوا أن يقاتلوه وبهذا الكلام خاطبوه فعلم أنهم قد خافوا منه وعادوا وهم معترفون بالعجز عنه وعاد عياض وهو يقول لقومه يا بنى الأعمام ماقلت لكم إلا الذى تعهدوه وقد طلب منكم الفرس فلما أوهبوه فقالوا كلهم وهبناه الغنيمة كلها ثم انطفأت النار بحسب الظاهر وبقيت متوقدة فى الضمائر وعادوا خاسرين بعد التعب والكدر وعاد عنتر وهو فرحان بمهره الأبجر الذى ما حوى مثله كسرى ولا قيصر ولا ملوك بنى الأصفر فهو الأبجر بن نعامة الذى تحسرت عليه وعلى أمه أهل اليمامة

وتمنته عرب تهامة وهو فى الحرب شامة الريح أسير يديه وقرين رجليه والنجم معلق بلجامه والحرير ملمس بدنه وعظامه ظهره حصن لراكبه ونار لطالبه ويدهك الخيل تحت سنابكه جميل الآثار بعيد المزار قليل العثار إن حبسته ثار وإن أطلقته طار أعلاه جبل وأسفله جندل وظهره محمل كانه القمر إذا ابتدر أو هلال قد أهل للبشر وكانه الأسد إذا وثب لا يأخذه ملل ولا ضجر ولا يخشى عند طراده من حذر وفى عنقه قلادة من الجوهر نورها يخطف البصر قد ورث الهمة فى السير والسباق من آبائه وأجداده العتاق الكر والفر صار له عادة ما ملك مثله أحد من بنى عامر ومرة وكلاب ولا من بنى شيبان ولا السكاسك ولا زهران ولا بنى فزارة ولا ذبيان ولا عبس ولا عدنان ولا بنى ربيد ولا بنى بارقة وجديلة ولا خفاجة ولا هوازن ولا نبهان ولا غيلان ولا خوان ولا حوت مثله ملوك الزمان ولا سلاطين الأوان ولا ملوك العجم ولا فى الرى ولا فى أصفهان ولا قم ولا قاشان ولا الكرج ولا كوشان ولا الترك ولا العربان ويفتخر به كل إنسان وقد شاع ذكره فى سائر البلدان أسبق من برق اليمن ما فى مثله ملك من الملوك المغايرة اللاديان كانه نجم انقض على شيطان أو عفريت من جن سليمان عظيم النخوة والشأن وكانه من عزة نفسه سلطان محجل اليد والرجل يرى فى العيان ملك الرجاحة والنجاحة والملاحة دون سائر العتاق الحسان همته همة يقظان وخفته خفة غزلان وصهيله جرس قوائمه كأنها حرس وعيناه ياقوتتان ويداه جناحان وعندما يلقى كانه القبة المبنية أو العروسة المجليه كما قال فيه الشاعر من الأقوال السنية :

وأغر أدهم ذى حجول أربع ... وبيـــاضها يعلو على مسوده
خلع الصباح عليه بارق حلة ... منه وقلده الظـــلام بجلده
فكانه لمـــا تسربل بالدجا ... وطوى له فابيض فاضل عنده
قلق المزاج فان تتابع جريه ... ظن المطارد أنه فى مهـــده
ترمى حوافره الشرار وإن هموا ... قد عارضوه حوى الفخار بسعده
وصلاة ربى والسلام على النبى ... خير الخلائق من سما فى مجـــده

(قال الراوى) وكان هذا الجواد نزهة للناظرين ومنية للطالبين كما قال فيه الشاعر المسكين ونحن وأنتم نصلى على ضمين العاجزين :

وأدهم يحكى فى ظلام الدجا ... محجل كالصبح رابى الكفل
إذا جرى ضاق عليه الملا ... واجتمع السهل له والجبـــل

وقد خلف البرق في أثره يسائله ريح الصبا أين حل
كأنه الطير الذي أينما أراد بأرض نزولا نزل
وصل ياخالق كل الورى على الرسول المصطفى المكتمل

(قال الراوي) ياسادة يا كرام ومن حذر عنتر على نفسه بعد عن بني عبس وسار وحده وسار القوم والحسد يعمل في قلوبهم اللهب مثل ما تعمل النار في الحطب وبعضهم يقول لبعض مافعلنا في سكوتنا عن هذا العبد قليل الأدب خيرا بأخذ غنيمتنا منا ونحن من فرسان المنايا والنوائب وحق من في علم غيبه قد احتجب أن هذا الذي فعلناه إذا سمعته عنا سادات العرب عيرونا به وقالوا اما أعطيت بنو عبس أموالها وغنائمها لهذا العبد الشيطان ولد الزنا المهان بلا سبب الجميل والاحسان ونعود من سفرتنا بالذل والخيبة ويرجع هو بالعز والهيبة (ياسادة) هذا وعنتر سائر في أعراضهم وقد فاتهم وعلم أنهم في أمره يتلاومون وأنهم لابد يغدرون فعلم من وجوههم ذلك فاحترز على نفسه منهم وقد عول على أن كل من تعرض له منهم جرحه وعلى وجه الأرض طرحه ولم يزالوا سايرين إلى أن جاء وقت المساء وهم في قال وقيل وأعلى وعى حتى وصلوا إلى واد قد فاحت أزهاره وفاضت أنهاره وتناغت أطياره وطابت لزايره أنواره وفيه من ساير الأزهار المختلفة الألوان من شيح وياسمين وبعثران ومنثورة على ساير الحافات ونزلوا فيه لأجل الراحة والمبيت وبات عنتر حارسا حتى أشرق الصباح وعولوا على المسير والرواح وإذا قد لاح لهم جمل عال وعليه هودج مجلل بالديباج المدثر موشح بوشائع الحرير الأصفر والأحمر على ناقة عالية السنام مليحة القوام طويلة الزمام يطير الزبد من أشداقها وتحن إلى مرعاها من شدة اشتياقها وحولها جماعة من العبيد والأحرار في أيديهم الدفوف والمزاهر والمزمار وعليهم ألوان الحرير الفاخر وحولهم جماعة من العبيد كأنهم الأسود الكواسر وهم متقلدين بالسيوف البواتر ويتقلبون تحت درقهم ويلعبون بسيوفهم ومن ورائهم ستون فارس كأنهم الليوث العوابس كبار العمايم ملاح الشمايل طوال الشكائم وكانوا على خيول جياد متقلدين بسيوف حداد قال فلما نظر رجال بني عبس إلى ذلك الأمر المهول علموا أن في الهودج عروسا سائرة من عند أهلها بين هؤلاء الخيل إلى بعلها وأن هذه الخيل حامية لها ولكن لا يعلمون من هم أهلها ولا من هو بعلها بل قالوا هذه غنيمة قد ساقها لنا رب السماء لغنمها ونستعوض ما ضاع منا ثم اكبوا رؤسهم في قرابيس سروجهم وداروا بها وأرادوا الحملة ثم ساقوا الكل

بالجملة وحين نظر الفرسان الذين معهم هذا الشأن تزعق منهم الأبطال وحملوا على بنى عبس من غير مطال فتلقاهم بنو عبس من غير إمهال وأنزلوا بهم الذل والوبال ولم يزالوا فى كر وفر حتى قتل منهم خمسون فارسا وعاد منهم عشرة منهزمين وإلى أهلهم طالبين. ووقع الفرح فى بنى عبس لأجل ذلك الظفر والنصر هذا ما كان من بنى عبس (وأما ما كان) من عنتر فإنه ما قاتل معهم خوفا على نفسه منهم أن يغدروه ثم أنهم بركوا الناقة فرأوا فى الهودج عروسا مثل الصباح إذا أبلج بطرف أكحل وحاجب أقوس مزجزج وخد أحمر مضرج ومعصم قد غاص فيه الدملج فحارت منهم الأفكار وذهلت الأبصار وعلموا أنها من بنات الملوك الكبار وروائحها قد فاحت فى الأقطار والقيعان وهودجها كأنه مقصورة من مقاصير الجنان فسألوا بعض العبيد عنها والاماء فقالوا يا وجوه العرب هذه أميمة بنت حنظلة الملقب بشارب الدماء وبعلها الذى نحن سائرون إليه يقال له ناقد بن الجلاح فارس اليمن وغيره صنعاء وأهل عدن وقد تجاسرتم على أمر عظيم وركبتم طريقا غير مستقيم فقال عياض للعبيد تعظمون القصة يا أولاد الزنا لا كنتم ولا كانت أهل اليمن وصنعاء ثم صاروا يقطعون الفلا والجارية فى هودجها تصيح بالبكاء وكان عنتر يسمع من العبيد صفات أبيها وبعلها فعرفها وعرف أنهما من أشر القبائل وقايدين من أجله وكيف قد عولوا على قتله وأبصر قلة اعتنائهم به فحقد عليهم وقال فى نفسه لا بد أن أعرفهم قدرهم فى هذه البيداء ولا أجاور عبسيا أبدا ثم التفت إليهم وقال هنا كم الله بالنصر فقالوا له وأنت يأتيك ما يسرك ويدفع عنك ما يضرك يا ابن زبيبة فقال أنتم تعلمون أن هذه الغنيمة أوفى من الأولى قدرا وقيمة وقد اشتهيت أن تطرحوا عليها السهام وتقسموها حتى يفرح كل منا بقسمه ويحميه بروحه وجسمه فقال واحد منهم يا عنتر أخذت الأولى وحدك وتريد أن تأخذ من الثانية جزاءك (قال الراوى) فقال له عنتر يا مولاى الغنيمة الأولى وهبتموني إياها وعادت السادات إذا وهبوا شيئا لا يرجعوا فيه فقال عياض صدق الرجل فيما قال وما نهب شيئا ونرجع فيه اطرحوا السهام على ساير الغنيمة وانظروا ما ينوب الرجل منكم واعطوه نصيبه لأنه على كل حال عبدكم وشرفه عايد إليكم فقال عنتر يا وجوه العرب لا تفعلوا واقصدوا الحق الذى هو بسكم اليق لأنه لا يتكلم بالصدق إلا كل كريم ولا يحيد عنه إلا كل اثيم فقالوا ما معنى هذا الكلام فقال سبق الشرط الذى بينى وبينكم أن كل غنيمة غنمتوها آخذ نصفها فقالوا يا ابن زبيبة لقد أطمعت نفسك بالمحال وما أنت إلا مجنون بعد

هذا المقال ولقد خرجت عن التوفيق والاعتدال تبا لساعة صادفناك فيها على الطريق فقال لقد صدقتم ونعم مافعلتم فالجنون من برافقكم ويكون له رفيق منكم لانكم قليلون الانصاف كثيرون الجور والاسراف وأنا لا آخذ من هذه الغنيمة إلا نصفها وإلا قاتلت عنها من يطلبها فعند ذلك التفت عياض لاصحابه وقال لهم دونكم وولد الزناهذا الأسود الذى طغى وتمرد واتركوه على الأرض ممدود وقطعوه بكل صارم مهندو إن لم تخاطر بنفوسنا وإلا أخذ هذا العبد غنيمتنا ونحن فرسان بنى عبس فعندها اقتحمت الرجال وتصايحت الابطال وابعدوا عن عنتر وما بقى إلا القتال وإذا قد بان لهم غبار مثل الغمام فانتظروه حتى بان وطلع من تحته أسنة ورماح ولمعان صفاح وفى أوائل القوم أبو الجارية وهو يدمدم وفى يده صارم مهندو ممتقل برمح أملد وعلى رأسه بيضة تتوقد وعلى جسده درع أقوى من الجلمد وهم ينادون إلى أين تهربون ياأولاد الزنا وأنا الملقب بشارب الدما (قال الراوى) وكان السبب فى وصول هذه الخيل



إليهم العشرة فوارس الذين سلموا من الوقعة الاولى فانقسموا قسمين خمسة مضوا إلى ابى الجارية وخمسة إلى بعلها ناقد بن الجلاح وهم يدعون بالويل والثبور بلا مزاح وكانت حلة ابى الجارية أقرب من حلة بعلها ولما وصلوا إليه واخبروه بذلك الحال ركب وقد زاد به الغضب فتبعه من قومه ثلاثمائة فارس مثل أسود البطاح وهم غائصون فى الحديد فلحقوا بنى عبس قبل التحام القتال مع عنتر الأسد المفضال وهو

الترائب الذى قد عاقهم حتى وصل إليهم شارب الدماء وأدركهم ولما رأى عنتر الخيل قد أقبلت والشجعان قد تبادرت علم أنه يوم ثقيل وعلى أصحابه وبيل فقال عنتر يا بنى عمى قد جاءتكم الأبطال واليوم يحل بكم الوبال حيث أنكم منعتمونى من الغنيمة وطمعتم فى حقى وأردتم قتلى وقطع رزقى ولكن أنا أسامحكم لأنى فى نعمتكم ربيت وهذه غنيمة قد ملكتموها بأسيافكم فدونكم ومن جاء إليكم فقد اعترفت بذنبى وأعطيتكم جزئى بلا تعب * هذا وعنتر قد تركهم وقصد رابية عالية فملاها ونزل عن جواده وقعد مستريح فى رباها ثم أنه بعد ساعة نهض على الأبجر متكئا على رمحه الأسمر وقد ثنى رجليه على ناصية الجواد وهو ينظر ما يجرى لأصحابه مع بنى عبس الأمجاد فلم تكن غير ساعة حتى قاربتهم الخيل ودهمتهم مثل السيل فتلقوها باسنة الرماح وقد علموا أنه ما بقى ينجيهم الهرب ولا عادلهم إلا الضرب والكفاح ثم اختلفت بينهم الضرب واشتعلت نار الحرب وكثر على بنى عبس العدد وقل عنهم المدد وسطا عليهم شارب الدما وصير وجودهم عدما وكلت الأعين بمراودالعمى وأخذ الأنفس الكرب والضنا وتحسرت الاكباد على شربة من الماء وملك ابنته شارب الدماء هى ومن معها من المولدات والعبيد والأماء وطلبت بنو عبس الهزيمة وكانت نفوسها أوفى غنيمة ونظر عنتر إلى أحوالهم وهو على تلك الرابية وسعادة رأيه نامية وعزم على رد الغنيمة فوضع رجله فى ركابه واقتلع رمحه من التراب وتحدر من على الرابية مثل العقاب وقال أريد نصرة بنى عمى على ما سمعت منهم من الكلام والخطاب وسوف أريهم حتى يعرفوا أفعالى من أفعال أصحاب الحسب من سادات العرب ثم تبع آثرهم وصرخ فى أعقابهم فجاوبته البرارى والقيعان والأودية والكثبان وقد دفع الابجر فربه مثل السحاب وثار فى لجيج الغبار وهو فوقه كأنه الأسد الهدار (قال الراوى) ياسادة ياأخيار وكان بعض الخيل تبع بنى عبس والباقى وقفوا مع الجارية المقدم ذكرها فطلبهم عنتر وصاح فيهم وجعل يجندل الفرسان ويفترش الشجعان ويبيد الأقران فحار عند ذلك فرسان بنى طيء ودهشوا من أفعاله ومن عظم قتاله وتنافروا قدامه من شدة صياحه وأبعدهم عن الغنيمة بضرباته وكثر الصياح وعظم النواح فسمع الفرسان الذين تبعوا بنى عبس فالتفت مقدمهم فرأى ماحل من عنتر بأصحابه من ذلك فقال ياويلكم دهينا ورب الكعبة وقد أتت وراءنا الأعداء ولاشك أن هذا كمين من خلفنا قد أتى ثم عاد عودة الحنق وعادت الخيل خلفه

تندفق فتلقاه عنتر بطعن يسبق لمح البصر وضرب لا يبقى ولا يذر وقلب أقوى من الحجر وقد أعانه على ذلك مهره الابجر لأنه كان إذا طلب لحق وإذا طلب لم يلحق وإذا أكثرت عليه الرجاله ودارت به الأبطال خرج عنها وسبق وجعل يجول يمينا وشمالا يجندل الأبطال فى المجال حتى قلل عددها وسطا عليها وفرقها فعادت فرسان بنى عبس وقد انقطعت عنها الخيل والطلب ونظروا إلى عنتر وقد أثار نار الحرب وأضرمها وقتل الفرسان وأجرى دمها فما بقى بين يديه ثابتا إلا شارب الدماء والباقون على وجه الأرض قتلى فلما رآه رفقاؤه قالوا أن صاحب هذه الفروسية وحق ذمة العرب يحق له أن يطلب الغنيمة ولو كلها ذهب لأن عين الشمس لا تتغطى ثم حنت منهم القلوب فصار عنتر عندهم أحب من يوسف إلى يعقوب فحملوه ليعينوه على الأعداء بنيات صافيات فهجموا على أعدائهم وأنزلوا بهم الآفات فنظر شارب الدماء إلى هذه المصائب فرأى عنتر بين يديه مثل الأسد الواثب فالوى عنان جواده وولى وهو هارب وتبعه أصحابه ورفقاه وهم لا يصدقون بالنجاة (قال الراوى) وعاد عنتر على جواده الابجر بعد أن كل الجواد ومل وصار الدم يقطر من جوانبه ثم ترنم فانشد يقول هذه الأبيات :

أيا نفس صبرا عند مشتبك القنا ... فإن عزيز القوم من عز جانبه
ولا تطلبى منى الفرار فاننى ... أرى الموت حلو ألذ عندى مضاربه
ويبقى دماء القوم تجرى كأنها ... فيوضات بحر سار فيه مراكبه
أيا عبلة قد جاء العدا يطلبوننى ... يريدون من قتلى والقضى يغالبه
أيا عبلة لو عاينت ماقد أحاط بى ... من القوم كل صاحبته مضاربه
أيا عبلة مالى اليوم فى البر صاحب ... سواك وهذا المهر يسعد راكبه
أيا عبلة كم من سيد أسرته ... وآخر منهم أوحشته حبائبه
وكم محفل فرقته وقت معرك ... وكم ملك بالطعن فرت كتائبه
تكاد نجوم الليل تهوى بسطوتى ... وكم فارس فر إذ أنا طالبه
أنا فارس الفرسان يوم طعانها ... يذل لى الضرغام حين أقاربه
وكم فارس ألقى السلاح لهيبتى ... إذا جئته يوم الهياج أحاربه

(قال الراوى) فلما سمع فرسان بنى عبس هذه الأبيات تلقاه جميعهم بالتبجيل والتحيات وأكثروا له من الحمد والثناء وقالوا لله درك من فارس أسود وضارب بالمهند والله لو أخذت الأرواح وملكت الأشباح لكان قليلا فى مقابلة فعلك الجميل ثم اعتذروا

إليه فقبل عذرهم وقال أنا ما أنكر فعلكم وما أنا إلا عبدكم وبكم أعرف في كل هول ثم إنهم جمعوا الأسلاب والخيول والرماح وساروا طالبين الديار وهم في فرح واستبشار قال فوصل الخبر إلى بعل الجارية ناقد بن الجلاح (قال الراوي) وكان ناقد بن الجلاح فارساً جحجاحاً وليثاً في البطاح وأسد الكفاح لا يخاف طعنات الرماح وكان شغله مقاومة الأبطال وكان إذا لكز الخلا من الجمال قتله وإذا أمسك قوائم الفرس الجاري أوقفه وإذا هز الرمح الأسمر قصفه فكان قبيح المنظر أفطس المنخر وكان له مع أبي الجارية وقعات خلصه من الأسر مرات حتى زوجه بنته التي نحن في حديثها كما ذكرنا وقد أرسلها أبوها كما وصفنا مع ستين فارساً من بني طيء وكان لاقاها عنتر هو والأربعون فارساً وجرى ما جرى ولما وصل الخبر إلى ناقد ابن الجلاح بسبي زوجته وكان منتظراً قدومها وفي قلبه منها لهيب لا يطفأ فلما أن سمع هذا الخبر ثار مثل الأسد وصاح في بني معن الخيل يا أرباب الخيل فركبت القبيلة كلها وقالوا ما بالك أيها الشجاع والقرم المناع فحدثهم بما جرى من سبي زوجته وقال لهم اعتدوا للقتال فاعتدوا من ساعتهم وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وكانوا خمسة آلاف فارس ما بين مدرع ولابس واقتفوا آثار بني عبس وجدوا في المسير وناقد لا يقر له قرار يصل سير الليل بسير النهار بما قد ركبه من العار بأخذ زوجته في القفار وهو يسمى فارس الاقطار فسار ثلاثة أيام وهو معول أن يقصد ديار بني عبس وغطفان ومن خوفه أن يفوته غريمه في هذه الفلوات فرق الخمسة آلاف فارس خمس فرق على سائر الطرقات وملأ بها الفلوات وكان عنتر ومن معه قد قاربوا الديار وهم في أمان وإذا قد ثار عليهم الغبار حتى سد الأقطار فوقفوا شاخصين وإلى الغبار ناظرين ساعة من النهار وإذا بالمواكب أقبلت من كل جانب واهتزت القواضب وناقد في أوائلها كأنه أسد واثب وقد كشف رأسه وجمع حواسه وهو ينادي إلى أين تنجون يا بني عبس بالحريم وخلفكم مثلي وهو لكم غريم ثم إنه أغار على جواده واعتد بعدة جلاده وعول على طلبهم فنظرت فرسان بني عبس إلى هذا البلاء فهالهم وتقطعت ظهورهم وقال بعضهم لبعض والله هذه فرسان بني قحطان قد أتت لنهب الأرواح واليوم تباع النفوس ببيع السماح ثم أنهم التفتوا إلى عنتر فرأوه يتبسم فتعجبوا من قلة اكتراثه بالفرسان فقالوا له يا أبا الشجعان اليوم تؤخذ غنائمنا وتطير من فوق أبداننا جماجمنا فقال اعلموا أيها السادات الأماجيد أن الأعمار لا تنقص ولا تزيد ومن كان في أجله تأخير لا يعمل في جلده الحديد ويسلم من كيد الأحرار والعبيد وأنا لمثل هذا اليوم كنت أريد لأني خرجت من العشيرة وما لي نية في العود إليها لما بيني وبين أبي وقد اتفق لي معكم هذا

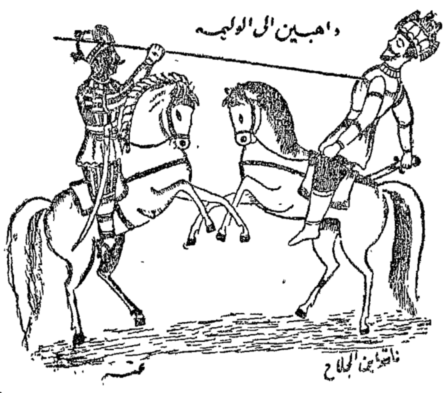
الاتفاق فى البرارى والآفاق وكنت سائرا إلى الحلة وأنا غير طيب الخاطر وما كان مرادى أن أجاورهم والآن قد حضرت هذه الفرسان وما بقى لى إلا الضرب والطعان فمن شاء منكم أن يكون هاربا فأنا لابد لى أن أكون لكاستها شاربا ولهيجاتها محاربا ثم حمل فى المواكب وهو ينشد ويقول بعد الصلاة على طه النبى الرسول :

اليوم تنظر آل عبس موقفى وفعائلى فى الحرب يوم أجول
واحوز كل المال مع أصنافه بمثقف ماضى السنان ذبول
وأبيد شجعان الحروب بصارمى فالكل مجروح به وقتيل
واكر فى فرسانهم بعزيمتى وأحول فيهم فى الوغا وأصول
أنا فارس الفرسان والأسد الذى ما قط لى بين الرجال مثيل
تخشانى الآساد فى آجامها وأنا الكمى الفارس البهلول

(قال الأصمعى) وابو عبيدة فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات حمل حملة الأسود الضاريات وحملت بنو عبس معه فخاضوا فى تلك الكتائب واختلفت رسل المنايا بين مغلوب وغالب فقتل من بنو عبس عشرون فارسا من السادات ونفذت فيهم الرماح السمهريات والباقون أيقنوا بالحتوف وعاجل الممات وعنتر يفعل مافعلت أصحاب العزيمات بطعنات نافذات وصدمات تهد الجبال الراسيات وضربات قاطعات أخف من هبوب الرياح العاصفات وقد اجتمعت حوله المواكب المختلفات كأنها البحار الزاخرات وقد كان فعل فارس بنى عبس فى هذه الوقعات كما قال منشىء هذه الأبيات :

ورب يوم شديد النقع حين دجا ليل الوغى وهجير الحر يشتمل
والخيل تختال زهوا فى أعنتها مثل العروس عليها الحلى والحلل
تبكى الجماجم والهندى يضحك والأرواح تزهق والخطى يعتمل
غنى الحسام بشجو والدماء له خمر وقاعت نشاوى زانها العقل
كأنما هى والأرواح زاهقة تحت النضال وجوه زانها المقل
إن جردوا بيضهم فالداجيات ضحى وإن أثاروا عجاجا ترقص الأسل

(قال الراوى) فلما نظر عنتر ناقد بن الجلاح وهو قاصد إليه يريد الحرب والكفاح علم إن قتله وقعت فى أصحابه هيبته فعاد راجعا حتى اتسع عليه المجال وتبعه ناقد طمعا فيه واستطال وعلم عنتر الحال فعطف عليه عطفة الأسد الريبال ثم انطلقا كأنهم جبلان فى صورة رجلين وقد جرى بينهما ما حير الفريقين وتقابضا بالزندين واختلف بينهما



طعنتان وكان عنتر أسبق إلى موضع الطعان فصادف سنانه صدر ناقد بن الجلاح فخرج من بين كتفيه مثل كوكب الصباح فمال إلى الأرض يختبط فى دمه ورأت فرسان بنى طيء وممن ماحل بصاحبهما من المحن فصاحت على عنتر سائر الجهات وقصدوه بأسنة الرماح السمهريات وهم يقولون لعنك الله ياعبد الزنا لقد قتلت فارسا مايسمح بمثاله الزمن ولا تضع بمثله النسوان ثم طالبوه بالأسنة ومالوا نحوه بالأعنة وضيقوا عليه المواضع وهو يمانع عن نفسه ويدافع ويتعلق باذيال المطامع وقد زاد عليه العدد وكثرت عليه الرجال حتى أثخن بالجراح وسالت دماؤه من وكز أسنة الرماح وآيس من السلامة وحلت بالندامة وتذكر الأطلال والربوع ففاضت عيناه بالدموع وثبت الرماح وهى تنهبه وقد طاب له الموت وصار يستعذبه وهاجت فى رأسه الأشجان وباح من عنده من الكتمان فانشد يقول هذه الأوزان الحسان بعد الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان :

لازلت مرتقيا إلى العلياء حتى بلغت مطالع الجوزاء
وهناك لا ألوى على من لامنى خوف الممات وفرقة الأحياء
ولأعصين حواسدى وعواذلى ولأصبرن على الشديد عنائى
ولأجهدن على اللقا حتى أرى ما أرتجيه أو يحين قضائى
ولأحمين النفس فى يوم اللقا حتى أرى ما يقتضيه لقائى
من كان يشكرنى فقد باح الذى قد كنت أكتمه على الرقباء
ماساءنى لونى واسم زبيبة إذا قصرت عن همتى أعدائى

فلأصنعن عجائبا وغرائبا ولأخرسن الألسن الفصحاء

قال فلما سمع بنو طيء ومعن من عنتر ذلك الكلام صاحوا وأما الرماح ما منهم إلا من حلت به الأوهام فنادى بعضهم بعضا ياويلكم اقصدوه بأسنة الرماح وإلا أفنا كم وصرتم رمما فى البطاح ففعلوا ذلك وأرادوا قتل الأبجر وقصده كل ليث هصور غضنفر وإذا بغبار من بين أيديهم قد صار حتى ملأ البر الاقفر وارتفع وعلا وأقبل مسرعا عجلا فاشتعلت به الأسرار وأحدقوا نحوه بالأبصار إلى أن انجلى ظلامه والاعتكار وظهر من تحته جيش جرار وصوارم كأنه شعل نار ورجال تهمهم أو همهمتها كأنها الرعد القاصف وفى مقدمته الجيش فارس كأنه العقاب على جواد يتدفق مثل السحاب مليح الوجه حسن الثياب عليه والكل ينادون يا لعبس يا لعدنان ويتسابقون إلى الحرب تسابق العقبان وكان السبب فى ذلك الجيش وقدومه مالك بن الملك زهير البطل الهمام لأننا ذكرنا قبل هذا الكلام ما جرى له على فقده على عنتر من الآلام وأنه أعلم أباه بعد ثلاثة أيام كيف أن عنتر طلب من أبيه شداد النسب وكيف أراد شداد قتله من شدة الغضب وكيف خرج من الحى حيران فصعب على الملك زهير ذلك الأمر والشأن من كثرة ما حصل له من إيقاد الفؤاد وأنفذ خلف أبيه شداد ولامه على تفريطه فيه فقال يا مولاى وذمة العرب أنا ما منعته عن ذلك الأمر بدون سبب وذلك أن أخى مالكا قال لى يا شداد عبدك عنتر قد فضحنى فى ابنتى فان أنت ألحقته بالنسب زاد طمعه بهذا السبب ويكون آخر أمرى أنى أقتله وأرحل عنك وأتبرأ منك إن أنت أدخلته فى أنسابنا فقال الملك زهير لقد فرطتم فيه ولا يفلح مكان لا يأويه ولقد أبعدتموه بكل قبيح وجازيتموه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال الملك زهير أنا لو عرفته به كنت أخذته عندى وزوجته بعض من يريد من إمائى التى هى أحسن من العربيات وأجمل من بنات السادات وكنا افتخرنا بشجاعته على سائر القبائل وعلى كل من قاد الجحافل وأى فخر أعظم من هذا الشأن إذا كانت عبيدنا تقاوم الشجعان وتذلهم فى كل مكان بالطعن فى صدور الفرسان وذمة العرب لا بد أن أقتفى أثره وأعيده إلى مكانه وحلته ثم وصى ولده مالكا أن يبحث على أخباره ففعل ما أمر به وأنفذ خلفه من يقتفى أثره إلى أن علم أنه قد سار مع عياض بن ناشب فخاف عليه أن يلقى نفسه فى المصائب لأنه قد خرج غضبان فأمر ولده أن يتبعه فى خمسمائة فارس ويلحقه إلى ديار بنى قحطان فقبل مالك ما به والده أشار وأخذ الفرسان وسار خلفه يقطع القفار مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع التقى القوم بالعشرين فارسا الذين انهزموا من المعركة فسألهم مالك بن الملك زهير عن الحال فأخبروه بما جرى عليهم من الوبال لما لحق بهم ناقد بن الجلاح وما فعل بهم عند الحرب والكفاح

فقال لهم مالك ما كان منه فقالوا له خليناه والرماح تنهب من جسده والصوارم من كل جانب تقصده فبكى مالك عليه وتناثرت الدموع من عينيه وقال وحق الواحد الحنان المنان لاعدت إلى الديار والأوطان حتى آخذ بثاره من بنى قحطان ثم جدوا فى المسير إلى أن أدركوه فى ذلك المكان ورأوه وهو يحصد الفرسان فنادى مالك يا للعرب ثم صاح وحمل وقد فعلت أصحابه مثل مافعل واختلط فرسان عدنان مع فرسان بنى قحطان واختلفت الضرب بينهم والطعان واتسع على عنتر الميدان وهدأت واتسعت حواسه عن الخفقان وتمكن من ضرب الحسام وانتشر الفرسان ونهب أرواح الشجعان وطلع القتام إلى العنان وفاض الدم كالغدران وطاب الموت وهان وبان الهام من الجبان ولم تكن غير ساعة حتى ولت بنو اقحطان وقد حاز عنتر أسلابهم وخيلهم وإماءهم وعبيدهم والجارية أميمة بنت شارب الدماء وصار عنتر فرحا بمجىء مالك إليه وقد علا أمره واشتد ذكره وصاروا إلى أن قاربوا الأوطان ولعبت بعنتر الأشجان وهبت عليه الرياح وقد جذبته الأشواق فباح ونادى وصاح وجرت دموعه فناح وأنشد يقول أنا وانتم نصلى على الرسول :

إذا هبت الأرياح بالعلم السعدى ... طفا بردها حر الصبابة والوجد
وذكرنى قوما حفظت عهودهم ... عرفوا قدرى وما حفظوا عهدى
ولولا فتاة فى حماهم مقيمة لنا ... اخترت طيب الوصل يوما على البعد
مهفهفة بيضاء طيب حديثها ... إذا كلمت الميت قام من اللحد
أشارت إليها الشمس عند غروبها ... تقول إذا اسود الظلام اطلعى بعدى
ونادى لها البدر المنير ياسفرى ... فوجهك مثلى فى تمامى وفى سعدى
شكا البان منها فى الصباح وفى المسا ... وقال اقصرى فى الميل ياقامة الزند
فولت حياء ثم أرخت لثامها ... وقد نثرت من خدها ورق الورد
وسلت حساما من لحاظ جفونها ... كسيف صقيل مرهف قاطع الحد
تقاتل عيناها به وهو مغمد ... ومن عجب أن يقطع السيف فى الغمد
يبيت فتاة المسك تحت لسامها ... ويزداد فى أنفاسها نكهة الند
ويطلع ضوء الصبح فوق جبينها ... فيغشاها ليل من دجا شعرها الجعد
شكا عقدها من نحرها متظلما ... فوا عجبا من ذلك النحر والعقد
ترى تسمح الأيام يا ابنة مالك ... بوصل أوى القلب من ألم الصد
سأحمل من قومى ولو سفكوا دمى ... واحمل فيك الضيم دون الورى جهدى

فلولاك لم أصبر على الضيم ساعة ولولا هواك ماطويت لهم حقدى
حذرت من التفريق بينى وبينكم وقد كان ظنى لا أفارقكم جهدى
ترى تجمع الأيام يا ابنة مالك نعيش كما كنا على العلم السعدى
ويأتى بشير منكمو بلقائكم ويخبر عنكم أنكم فى ربا نجد
وتجمعنا أرض الشربة والحمى وبالحجرين الساميين على السعد

قال الراوى وكان عنتر ينشد هذه الأبيات ومالك يتعجب من فصاحته فلما فرغ عنتر من أبياته خمدت نيران فراقه فقال له مالك أراح الله أشرارك أنا أعلم أنك نشرت لعبلة ذكرا يذكر إلى يوم القيامة ولا بد أن تأتى إليها السفار من جميع الأقطار فقال عنتر صدقت يامولاى لكن وحق خالق البشر لا يقدر أحد يذكرها مادامت الشمس والقمر ومادام هذا الرأس على البدن ما أبالى بصرف الزمن قال فهذا ما كان من أمر عنتر وعياض ومالك ومن معهم وأما ما كان من شاس والربيع بن زياد وأخيه ومالك بن قراد وولده عمرو فانهم ما أعجبهم عودة عنتر وسلامته وكان شداد قد حدث أخاه مالكا بما عتب عليه الملك زهير من أجل عنتر فقال مالك ياشداد إن كان هذا العبد ولد الزنا يعود سالما شدمعه الملك زهير أو أحد من أولاده رحلت بمن يعز على من أهلى ولا أجعل للعرب على ملاماً فقال شداد ومن هو الذى يشكد عليك لا تحمل قلبك هما من هذا العبد وأنا أقذفه فى مصيبة لا يرجع منها وما زال يطيب أخيه حتى لان وفى تلك الساعة وصل البشير بقدوم مالك وعنتر فركب الملك زهير إلى لقائهما وركب شداد وركب أخوه وولده وساروا فى موكب من بنى قراد وشيبوب قد فرح بعودة أخيه وطلع فى أوائل الناس كان عنتر إذا غاب لا يزال وشيبوب فى الحلة لا يفارقها لا ليلا ولا نهاراً والملك زهير قد خرج إلى ظاهر الأبيات واجتمع بعنتر فتقدم عنتر وباس رجله فى الركاب فقال له الملك زهير لم لا خبرتنا أنك قد كنت خرجت من الملك غضبان حتى كنا أرضينا خاطرك بأى شىء كان فقال يامولاى لا أزال أمرك نافذ فى جميع الأقطار وحق إنعامك ما كان خروجى من الحلة على أنى غضبان وما أنا ياملك الزمان إلا من أقل العبيد والغلمان وما هو إلا أننى لما طلعت من بين يديك وأنا سكران عثر لسانى مع مولاى شداد بنوع من المقال وما كان ذلك منى على سبيل الاذلال وإلا فمن أين استحق أنا هذه المنزلة ومارده عنى إلا كرمه ولما عاينت ذلك ما وسعنى إلا الرحيل من بين يديه والآن قد أقبل مولاى مالك وخلصنى من المهالك وقد حملتنى من أنعامك ما ثقلت به الجبال ونظر عنتر إلى مولاه شداد حين أقبل

فسعى إليه وقبل فى الركاب قدميه وقال يامولاى أما سمعت قول الشاعر حيث قال :

مولاى قد جئت مستغفرا   فاسمع لعبد كان قد أذنبا
فالسيف ينبو وجواد الفلا   أيضاً إذا مازاد عجباً كبا

قال الراوى فلما سمع شداد هذا المقال من عنتر ورآه يتخضع ثارت النخوة فى رأسه وقبله بين عينيه وقال له ياعنتر أنت الولد الشفيق والركن الوثيق ثم قال لنفسه لعن الله من يكون له مثل هذا الولد والأسد الأسود ويبعده وعليه يغضب (قال الراوى) ثم رجع القوم إلى خدمة الملك زهير وأما عنتر فما كان تذلله إليهم خوفا وإنما حاجته عندهم عبلة ومازال الهوى يذل الأبطال وبعد ذلك أحضرت الأموال بين يدى الملك زهير ففرقها على بنى عبس وأما الجارية أميمة فإنه أخذها إلى بيته وقال هذه بنت ملك لا يجرى عليها لا بيع ولا شراء وأوصى الملك زهير شداد على عنتر وكان أبصر الجواد الذى تحته فتعجب من خلقته وقال لولده مالك ياولدى مايصلح هذا الجواد إلا لعنتر ودخلوا إلى الحلة والملك زهير يقول لولده لا بد أن أجعل عنتر فى بيوتنا وبين حريمنا هذا ومالك عمه وولده عمرو يسمعان وفؤادهما يتقطعان وقال مالك ياولدى أن عنترة على هذا الأمر يطمع فى أختك عبلة فقال عمرو والله ياابتى لولا طمعه فى حريمنا لكان نخره عائدا علينا وكنا نتقوى به على أبناء الزمان ويلزمنا هذه الساعة أن نزوج ابنتك بمن يصحبها فقال مالك وأنا لا أخليه سالما والله لا بد أن أتسبب فى قتله بكل سبب ثم نزل فى الخيام وأما عنتر فإنه نزل فى مضاربه فتلقته أمه زبيبة وكانت تحبه محبة عظيمة ثم أن عنتر أعطى جميع مامعه لأبيه وما أخذ إلا الجواد وأما مالك ابن الملك زهير فإنه رجع إلى أبياته ولسانه لا يفتر عن حديث عنتر وما جرى له مع السرية وما قاله من الأشعار وأبوه الملك زهير يسمع هذا ويلتذ بهذا الحديث ومازالوا سائرين حتى نزلوا فى الخيام وبعد ذلك جمع الملك زهير أولاده العشرة وجماعة من الفرسان والأمراء وأحضروا أخوته وذبحوا الذبائح وأمروا بتهيئة الطعام بعد ما أحضروا العقار فقال الملك زهير لولده ياولدى فى مثل هذا الوقت يجب سماع ما جرى لعنتر فى سفرته حتى نقضى بحديثه هذه الليلة لأنك أخبرت عنه بشىء قد شاهدت بعضه والباقى ما كنت مشاهداً له ليس الخبر كالعيان فأنفذ خلفه حتى نسمع حديثه فما كان غير ساعة حتى حضر عنتر ودخل السرادق فرحب به الملك زهير هذه الأبيات التى قالها عنتر أطربته بعد أن أمر له بالجلوس وناوله الكؤوس وأخذها عنتر من يده وأومأ إليه برأسه وزنده ومازال عنتر ينشدهم إلى أن خرج عنتر بريق الماء فى الخلاء وإذا بشاس قد تكلم فى حق عنتر بما لا يليق ولا يجرى وقد قال لأبيه لأى شىء ترفع قدر هذا العبد

ولد الزنا وتحسن إليه هذا الإحسان فلما سمع الملك زهير كلام ولده صعب عليه وقال ويلك ياشاس تقول أنه عبد نعم كما تقول لكنه شديد الباس وقد بان لنا فيه أعلام السعادة وأريدك ياولدى أنك لا تكون حسودا فتموت مكمودا وارجع عن قديم العادة فأراد الجماعة أن يجردوا على شاس لذمة عنتر وإذا بعنتر قد أقبل وعينيه إلى نحو مضارب بنى قراد لأن نيران عبلة تتقد فيها أشد اتقادفنظر عنتر إليها وتحسر وانهمل دمعه وانحدر فأنشد يقول هذه الأبيات :

إن نيران عبلة يا نديمى ... قد أزالت ظلام الليل البهيم
يلتظى لهيبها فى فؤادى ... وجوى العشق ساكن فى صميمى
اضرمتها بيضاء تهتز كالغصن ... إذا ما ثناه مر النسيم
وكستها أنفاسها روح ند ... أدخلتها من حسنها النعيم
كلما ذقت باردا من لماها ... خلته فى فمى كنار الجحيم
ذقت من ريقها الزمن الشهد ... إذا ما زوجته بنت الكروم
سرق البدر حسنها واستعار الجفن ... ظلام ليل بهيم
وغرامى بها قديم فواطر ... سقامى على الغرام القديم
واتكالى على الذى ابصر ذلى ... يزيد فى التعظيم
ملك تقصد الملوك إليه ... لتؤدى مراسم التسليم
ويطوفوا بساحة هو فيها ... كطواف الحجيج عند الحطيم
وإذا سار سابقته المنايا ... فيبيد الاعدا قبل القدوم
لا تلوموا مضنى كئيبا غريبا ... ساهر الليل دائما بالهموم
فاعدلوا إن أردتم أو فجوروا ... أنتم جنتى وأنتم جحيمى
واسمحى بالوصال يا نور عينى ... وانقذينى مما أطاله همومى

(قال الاصمعى) وأبو عبيدة ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات اطرب كل من كان حاضرا فقال الملك زهير اقدأوليتنى وحق رافع السماء جميلا لا أقوم بمجازاته ثم اهدى له مولدتين وعقد جوهر وقال ذكرتنى فى شعرك ياعنتر وقبيح على أن تخرج من عندى بغير جائزة على أنى لا أرضى لك بشىء من هذه الرغائب حتى تنال ما أنت له طالب وحق ذمة العرب لولاك عبدا لالحقتك بنفسى وجعلتك من جملة أولادى ولولا أن العرب تعايرنى فى كل حين (قال الراوى) ومن شدة ما جرى على شاس من كلام أبيه نهض من حضرته وهو لا يعقل من شدة غيظه وأما عنتر فانه مازال يشرب عند الملك زهير إلى وقت السحر ثم خرج فى خدمة مالك

صديقه حتى أبعد عن السرادق وودع كل منهم صاحبه وافترقوا سار عنتر وأخوه شيبوب حتى وصلا إلى أبيات بنى قراد فرأى نيرانهم لم تخمد ونيران الحلة أخمدت فدخل إلى بيت أمه زبيبة وسألها عن إيقاد النار فقالت له ياولدى أباك وأعمامك من أول الليل ساروا فى عشرة فوارس خلف غنيمة ليتخلصوها من الأعداء وقد باتت النساء ساهرات من أجلك إلى هذا الوقت حتى يسألوك عن سفرتك وأكثرهن اشتياقا إليك عبلة محبوبتك لأنها فى أكثر الأيام تسألنى عنك (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك طار من رأسه الخمر شوقا إلى وجه محبوبته ثم أنه دخل إلى مضارب أعمامه فرأى النسوان كلهن فى انتظاره فسلم عليهن فرددن عليه السلام فمن كلهن على الاقدام وقالت له عبلة ويلك يا ابن زبيبة هكذا تعمل معنا وتسهرنا إلى هذا الوقت فقال والله ياسنات ويانور ناظرى ماعلمت بغيبة الرجال وإلا ما كنت قعدت إلى هذا الوقت ثم تقدم إلى أم عبلة وباس يدها وكانت دموعه التى تجرى أكبر شفيع إلى عبلة إلا أنها كانت تحبه لشجاعته ولشعره ومدحه فيها ثم قالت له ويلك يا ابن زبيبة وابن نصيبى اما كان لى عندك قدر ولا قيمة فقال لها ياروحى وحياة عينك وهو قسم على عظيم إن عبدك ماما الك منها ءقال بعير بل الكل وصل إلى أبيك وأعمامك وروحى وما أملك قدامك ثم ناولها العقد الجوهر الذى أعطاه له الملك زهير وأعطاها المولدتين والطيب ثم قال لها ياعبلة خذى هذا الطيب ولو كنت فى غنى عنه لأن طيبك أوفى ورفيقك اشفى فضحكت من كلامه وشكره النساء وسألته عن سفرته فحدثهن بما كان منه وقد كان فى قلب عبلة بما كان رفيع وشكر عنتر ليلته أولها وآخرها وقال هذه ليلة من عمرى لا أحسبها أولها سرور باطنابه وآخرها القاء الاحباب ولما أن هدأت ناره سأل عن أبيه وعن أعمامه فاخبروه أن العبيد الرعيان أتوا وأخبروهم أن قيس بن ضبيان معه غنيمة عظيمة وهو طالب بها أرضه ولما سمع مولاك شداد وأعمامك هذا الحديث من العبيد قالوا لهم ويلكم أتعلمون أين هم يبيتون الليلة قالوا يبيتون على أرض الردم والمناهل القديمة فقال أبوك أنا أسير إليه وآخذ منهم الغنيمة ولا أخلى بنى قحطان يجوزون أرضنا بغنيمة فتطمع فينا العربان ولا بد لى أن أتبعهم ولو أنهم الف فارس وسار أبوك وأعمامك وعمرو وزخمة الجواد وست فوارس من فرسان بنى قراد وهذا آخر العبد منهم فقال عنتر والله لقد ركبوا مركب الخطر لأن هذا قيس بن ضبيان أخبرونى عنه أنه آفة من الآفات وسيرجع بهم معه إلى الشتات ولكن ما بقى لى صبر عنهم ولا بد لى من المسير خلفهم ولو أنهم ما أعلمونى ولاشك أنهم قد احتقرونى ثم التفت إلى عبلة وقبل يديها وضمها إلى صدره وقبل خديها وقال ياسيدة

الغزلان هذه قبلة الوداع قبل الفراق لأنه ما بقى لى فى مثل هذه الليلة تلاق فلك بهذا المقال قلب عبلة وأمها ونسا أهل الحلة بالجملة فقالت له أم عبلة والله يا عنتر ما أنت إلا واحد منا وليس لنا غنى عنك وحياة ولدى عمرو أبيه وأعمامه الاجواد ما حجبت بنتى عنك إلا من كلام الحساد. فقال لها قد علمت ذلك ولا ألوملك على شىء من هذا ثم عاد إلى بيت أمه ولبس لامة حربه واعتد بعدة الجلاد وأخذ أخاه شيبوبا قدامه وثار يطلب أثر أبيه وأعمامه وكان الليل قد دخل بجيوش سواده وظلامه ولما أبعد عن البيوت قال له شيبوب اخبرك يا أخى بشىء وهو أن كل ما تفعله مع هؤلاء القوم ضائع فاجعل كلامى فى بالك وكن لى خير سامع وطائع فقال له اخبرنى بما عندك يا ابن الأم فقال شيبوب أن زوجة مولاى شداد قالت لى حذر أخاك من عمه مالك وولده عمرو لأنهما قد عولا على أهلاكه وعزما على أن يكمنا له فى الصحراء وإذا خرج يهجمون عليه وهو لا يرى ومولاك شداد لا يعلم بذلك وأعلمتنى بهذا المقال فقال له عنتر ويلك ولم لا أعلمتنى بذلك فقال له ما أمكننا لكون اساء أعمامك كن عندك ولكن إذا لحقناهم وهم فى القتال فخذ حذرك منهم وإلا اغتالوك ولأجل هذا ما أعلمك مولاك شداد حتى أنك لا تروح معهم لأنه علم بما فى قلوبهم من الأحقاد وانهم قد صاروا لك من جملة الأعداء والحساد فقال عنتر اشيبوب سوف أريك من يكون منا نادماً ثم أنهم اقتفوا آثارهم وشيبوب بين يديه سائر وقد امتلأ قلبه على عمه غيظاً وتعكر منه الخاطر وسار إلى أن طلع النهار وحمى الحر والقيظ وسار كأنه نار الحريق وإذا بفارس مقبل عليهما وهو معارضهما فى الطريق وثيابه غارقة فى الدماء كأنه قطعة شقيق فقال عنتر وحق ذمة العرب ماهذا إلا بئس الفال وأمر يدل على هلاك الأبطال ثم أنهم تبينوا الفارس المقبل عليهم وإذا به هو من بنى قراد من الفرسان الذين كانوا مع أبيه شداد وفيه جرح مثل الأرقم وهو يئن من شدة ما فيه من الألم وقد اشرف على الهلاك والعدم فقال له عنتر ويلك يا ابن العم أخبرنى ما أصابك وأين مولاى شداد ورفقته وأين الغنيمة التى أخذتوها فقال يا عنتر أنا فدلى هذا الجرح الذى ترى وإن كانوا أظلمونى فهم فى حل مما جرى فقال عنتر وقد ضحك من كلامه ويلك حدثنى بما جرى فقال له هو أننا لما سرنا مع أبيك حتى نهجم على بنى قحطان وهم نازلون على الغدير لنأخذ منهم الغنيمة رأينا قيس بن ضبيان نازلا يحرسهم وهو حاميهم فلما سمع بوقع حوافر خيلنا صاح فينا وحمل علينا وأول ما حمل طعننى وبعدى طعن عمك مالك وبعده أطبق على ولده عمرو فكركبه ولما سمع قومه ذلك صاحوا وثاروا علينا وداروا بنا وأكثروا فينا الصياح فما مضى دون ساعة حتى قتل منا أربعة فوارس وأسر مولاى شداد ولما كثر

فغينا الصياح هربت أنا فى الليل حتى أنى أرد الخيل وماسلم منهم إلا أنا فإن كنت تريد أن تلحق بهم فدونك وخيلك على حالك وإن أردت العود فهو خير لك فقال والله لا رجعت حتى أوشح الكل بحسامى واخلف أبى وأعمامى وارجع والغنائم تنساق قدامى فسر معنا إن كان فيك قوة على السفر وإلا فانزل على هذا الغدير حتى تأتيك فقال والله يا عنتر ما كنت سائر إلا خوفا من الأعداء والآن ما بقى قوة أمسك بها روحى على الجواد فقال عنتر يا شيبوب على وجه الغدير إلى أن نرجع إن كان فى أجله تأخير فطرحه شيبوب وربط جواده بجانبه وبقى هو وأخوه سائرين حتى أشرفا على القوم فرأوا الجمال والخيل والنياق تنساق قدام الفرسان والأبطال والفرسان مربوطون بالحبال وقيس بن ضبيان على أثرهم وهو حام لهم وهو مثل الأسد الرئبال وشداد مربوط على فرسه ولكنه ما أسر حتى قتل جماعة من الفرسان المذكورة والأقيال المشهورة (قال الراوى) وهذا قيس التفت إلى ورائه فنظر عنتر يركض بالجواد وهو طالب له حتى حاذاه فمسك جواده ووقف ولم يعلم أصحابه بما قد أتاه بل أنه عاد إلى عنتر وفاجأه وأشار إليه بكلام يعيبه وأنشد يقول :

أنا ابن ضبيان تخشى سطوتى العرب ... وأكشف الكرب والهندى مختضب
والجود سود والأقطار مظلمة ... من الغبار ونور الشمس محتجب
والنقع قد ثار والأبطال صائلة ... والأرض من شدة الأوهاج تنقلب
يوم تشيب له الأطفال قاطبة ... ولا يفضيه إلا من له حسب
شهدته بجنان ما ألم به ... وهن ولا مسه خوف ولا عطب
وخضته غير الموت مبتدر ... على جواد كريم مشيه خبب
وكل عين تراه وهى حائرة ... تدنو إليه وقد أودى بها العجب
لا خير فى المرء قد تدنو منيته ... وما له همة تجلى بها الكرب

(قال الراوى) ثم نادى لعنتر بعد شعره وقال أيها الساعى إلى حلول رمسه القائد كل الرد لنفسه أن همتك همة الفرسان وجلدك جلد السودان فقال عنتر الويل لك يا ابن الخنا قد حل بك التدمير عما تريد أن تلقى اليوم هنا ولا بد لأمك أن تقيم عليك مأتم الضنا فقال له أنت عنتر قال نعم أنا ذلك العبد خادم هذه الفرسان الذين معك وها أنا قد جئت إليك لأخلصهم من يديك وآخذ روحك الآن من جنبيك فلما سمع قيس كلام عنتر ورآه بهذا الكلام استظهر قال له اخرس يا ولد الزنا وتربية الخنا وحق من أنزل القضاء المتدارك لو علمت أنك عبد ما رجعت إليك ولا أخلى العار يركبنى فى نزالك بين الأخوان وعصبة الأقران فقال له عنتر يا وغد العرب وأخس من ضرب

فى البيداء طنب إن كنت تعايرنى بعبوديتى فاليوم يظهر لك من أنا وتتحقق معرفتى بالبيان ثم أنه على شعره يقول صلوا على طه الرسول :

إن كنت عبدا فروحى حرة خلقت ... أو أسود اللون فالهندى لى حسب
وأن تعير سوادى فهو لى شرف ... يوم الطعان إذا ما فاتنى نسب
وفى لقاء عنتر العبسى تعرفنى ... وصارمى من دم الأبطال مختضب
ونسبتى من قراد المجد سيمتهم ... والحزم والعزم والأفضال والأدب
وفى الوغى أهزم الأبطال قاطبة ... وأترك الدم فى الهيجاء ينسكب
وأن أسرك قومى زادنى طربا ... لكى أجىء وكاس الموت مقترب
واليوم ألقيك فى البيداء منقلبا ... ملقى طريحا وقد أودى بك العطب
واترك الخيل فى الأقطار شاردة ... خوفا وفرسانها فى النقع تضطرب

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره حمل على ذلك الفارس باهتمام وتلقاه كما تلقى الأرض صيب الغمام فتلقاه قيس بن ضبيان وهو كالبرج المشيد وله قلب أقوى من الحديد ثم أنهما هما همهمة الأسود وتطاعنا طعنا يشيب المولود ورأى شيبوب أخاه على خصمه قد إستطاع فبقى على حاله حتى لحق الرجال والغنائم والأموال وصار ينادى فى أعقابهم ياويلكم أطلبوا النجاة يا بنى قحطان وقد أتتكم بنو عبس وعدنان وقد قتل فارسكم ابن ضبيان (قال الراوى) فلما سمع القوم هذا الكلام المهول عادوا راجعين إلى شيبوب وداروا به وقالوا له ساءت فعالك يا ولد الزنا فبهذه البشارة تبشرنا ثم بعد ذلك طلبته الرجال فجعل يرميهم بالنبال وإذا أدركته الخيل يفر من قدامها كأنه ريح الشمال وإذا بعدوا عنه يعود على القتال فجعلوا يتعوذون منه كما تتعوذ الإنس من الجان وقد ظنوا أنه شيطان (قال الراوى) ولم يزل على ذلك الحال حتى كثرت عليه الرجال وانحدروا عليه من رؤوس الجبال وهو يمانع عن نفسه وأراد أن يعود عنهم وإذا بأخيه عنتر قد طلع وعليه الغبار خيم وسطع بعد أن جرى له مع قيس ما جرى وقد طاوله وجاوله وطعنه طعنة بين ثدييه فاطلع السنان يلمع من بين جنبيه فوقع على الأرض ثم تركه وعاد ينظر أخاه فادركه وهو فى أضيق الحال فسل حسامه ومال على هؤلاء القوم واشتهر وأراهم طعنا لا يبقى ولا يذر فذهلت منهم الأبصار وركنوا إلى الفرار قال كان شيبوب قد أسرع إلى شداد وفكه من على الحصان وفك إخوته الأمجاد وفك عمرو أخا عبلة وأحضر لهم عدة الجلاد وهى عدة القتلى الذين رماهم عنتر فى المهاد ولما انتظم حالهم اتبعوا عنتر وهو تابع أعداءهم فالحقوه إلا وهو راجع من خلف القوم وقدم قضى الأشغال فلما

الاقوة بأحسن ملتقى وعظموه وإلى ظهر حصانه ردوه ثم رجعوا سائرين إلى شيبوب فرأوه يجمع الأسلاب والغنيمة بين يديه فلما وصلوا إليه الجميع متوجهين إلى أوطانهم ومازالوا سائران إلى المساء وقلب عمه مالك كلما مر به قسا فنزلوا على الغدير الذي طرح عليه شيبوب الفارس فرأوه قد فارقته الروح فصعب ذلك عليهم وقال شداد والله هلك منا فى هذه السفرة أبطال خير من الغنيمة وكان هذا الغدير فى واد واسع كثير الخيرات فباتوا إلى نصف الليل وقد زال عنهم ما كانوا فيه الذل والويل ولكنهم مغمومون مما جرى من قتل تلك السادات والأمر وما زالوا حتى أشرفوا على الأحياء والشمس قد أشرقت على الصحراء فرأوا الملك زهيرا راكبا ومن حوله أولاده والأصحاب فعدل إليهم هو وأخوته وقدموا له الغنيمة بين يديه وحدثه شداد بما جرى عليهم حتى صارت الغنيمة بين أيديهم وأخبر بما فعل عنتر بالفرسان وكيف قتل قيس بن ضبيان وكيف جندل الفرسان من بنى قحطان فضحك زهير طربا من فعال عنتر حين حكوا له ما جرى وقال ياشداد ادع لعبدك على هذه المرة الأخرى وعدها له حتى تكون جازيته على فعله الحسن ولا تترك غيرك يعتز بسيفه بقية الزمن فاغتاظ لذلك جماعة ممن كانوا حاضرين منهم الربيع بن زياد وشاس بن مالك وزهير ومالك بن قراد وفرح بذلك صديقه مالك ابن زهير أن الملك زهير قسم الغنيمة كما أراد ولم يأخذ منها عقالا اكراماً لعنتر بن شداد ولما عرف كل منهم قسمه وهب عنتر جميع ما حصل له لأبيه وأعمامه الليل أمسى وصارت الليلة غلسا قال الراوى ياسادة يا كرام لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب الذى يجب أن نسومه على الترتيب بعد ألف صلاة ترضى النبى الحبيب ياسادة وفرح بذلك لعنتر صديقة مالك بن زهير ثم أن عنتر قال العبد وما تملك يداه لسيده ولو نال ما نال من الخير فتعجب العرب من فعاله ومن حسن خصاله وبعد هذا نزل الملك زهير على الغدير وهو ومن معه من الرجال وأمر العبيد بذبح الأغنام والجمال وأن يشرعوا فى ترويج الطعام فما كان إلا ساعة وحتى دارت الأقداح واتسع المجال وتجاذبوا أطراف الحديث والمقال وأشار الملك زهير إلى عنترة وقربه إليه من دون ذلك المحضر وقال له أريد منك أن تنشدنا شيئا من أشعارك على قدر وقتنا هذا وما نحن فيه فلما سمع عنتر ذلك القول من الملك زهير أطرق رأسه إلى الأرض ساعة ورفع صوته وتكلم على البديهة وأنشد يقول صلوا على الرسول :

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث ﴾

(الجـــزء الثالث)

من سيرة عنتر بن شداد

أتى الدهر بالأمر الذى أنت طالبه ... فعش سالما قد أمكنتك عواقبه
حضرت به فاخضر واصفر نبته ... وزاد ابتساما شرقه ومغاربه
وهذا غدير أنت أعذبت ماءه ... ولولاك ما انهلت عليها سحائبه
وفاح نسيم المسك من نور زهرة ... وبانت لنا آياته وعجــائبه
فدعـــنا نقضى حقه بمدامة ... ونمزجه حتى تفيض جوانبه
ونشرب بالـكاسات منه مسرة ... ونسحب ذيلا أنت بالفخر ساحبه
فوجهك بسام وجدك شامخ ... وسيفك فى الأعداء تمضى مضاربه
وفى كبدى نار قد يشب وقودها ... ولـكن يسكنها الحبيب وجانبه
وفى جانب الوادى قباب عجيبة ... ومن دونها فسطاط يسموه صاحبه
نسيج من الديباج والسندس الذى ... زها وصفه قد حيرتنى عجائبه
يعز علينا يوم سار عن الحى ... وعاد إلى المولى المليك يخاطبه
إذا قيل من الناس أوفى عزيمة ... وأى فتى منا تعد منــــاقبه
لقلــــنا زهير ماجد ومفضل ... على فى محل لا تنال مراتبه
وقلنا زهير من ربيعة سيد ... كريم سخى عز فى الـكل جوانبه
أضاءت لنا أفعاله غيهب الدجا ... فأشرق حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال فى كل الأمور مسددا ... تسير المنايا حيث سارت ركائبه

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير والحاضرين هذا الشعر زاد بهم الطرب ودارت عليهم الـكاسات وطابت لهم الأوقات وانتهبوا اللذات وبادروها قبل الفوات وبيناهم فى تلك المسرات وإذا بغبرة طلعت عليهم وقد بان من تحتها مائة فارس يقدمهم فارس مليح القوام بوجه مثل وجه بدر التمام على جسده ديباجة رومية وعلى رأسه عمامة خز كوفية وتحته حجرة عربية وهم نحو الغدير قاصدون وعلى بنى عبس واردون ولهم طالبون حتى وصلوا إلى الغدير فوقفوا وترجل هذا الغلام الذى قدمنا ذكره ورجاله وراءه وقوف وحوله ودنا من الملك زهير وقبل يديه وأعلن بالسلام عليه وأجرى على الخدود سوابع الدموع وشكى من فؤاد موجوع وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا أمان الملهوف والمستجير كن معينى على العدا ونصيرى
أنت ربيتنى صغيرا يتيما وبنعماك جبر قلبى الكسير
سيدى قد رمى الزمان فؤادى بسهام فشق ستري ضميرى
وابتلانى بظالم طبعه الغدر وهتك المخدرات البكر
كلما سار طالب الحرب سارت خلفه الخيل داميات النحر
برماح كأنها قصب الغاب بأيدى فوارس كالنسور
تنفر الجن منه والأنس جمعا وأسود الشرى وأهل الشرور
فأجرنا من شره وارحمنا قبل أن تسبى نساؤنا بالشعور

(قال الراوى) فلما أنشد الغلام هذا النظام ما بقى من الحاضر شخص إلا وقد رحم ذلك الغلام وقالوا له ما الذى أبكاك وفرسان بنى عبس وراك لا أبكى الله لك عينا ولا كان من يشناك اكشف لنا حالك حتى أننا نتحمل أثقالك ولم يزل به حتى أنه



خفف عنه ألم الجوى وسكن ما به من النار التى هدت منه قواه وتعجب الحاضرون من ذلك المقال وتطاولوا عليه حتى يعرفوا حقيقة الحال (قال الراوى) وكان هذا الغلام أخا مالك بن الملك زهير من الرضاع والسبب فى ذلك أن الملك زهير قد أغار على بنى مازن فى بعض الغزوات فأخذ أم هذا الغلام ولما عاد بها أدخلها إلى الأبيات وكان هذا الغلام على صدرها صغيرا يرضع اللبن وكانت زوجة الملك زهير قد رزقت بمالك فلما جاءت هذه الجارية رضعت مالك مع ولدها إلى أن انتشى مالك وهذا الغلام سواء

وكانت أم هذا الغلام قد زادحالها وصلح شأنها فسمعت بها أخت لها فأتت إليها تزورها وصارت تصف لها حسن الوطن وتشوقها إليه ومازالت بها حتى حن قلبها لوطنها تذكرت أهلها وصارت تندب وتبكى فسمعتها تماضر تنعى الأهل والجيران فاحضرتها وسألتها عن حالها ورق لها قلبها لما أن سمعت شكواها فقالت لها ياسيدتى إنى أبكى شوقا إلى المنازل ومن فيها من أهلى فلما سمعت تماضر كلامها شرعت تسبب لها فى المسير بعد ما شاورت فى ذلك بعلها فامرت بتجهيزها وعمدا إلى شىء من حطام الدنيا ووهبه لها وأرسل معه جماعة من الرجال يحرسونها إلى أن يوصلوها إلى أهلها وكان قد نشأ معها ذلك الغلام وفى أعضائه روائح من نسل الكرام فطلع نارا محرقة وصاعقة بارقة حتى تحيرت منه بنو مازن وجميع من كان حول ديارهم وقد أحبوه لما ظهر من شجاعته وما بان من فروسيته وصار يشن الغارات ويلاقى فى الحرب السادات وكان له فى تلك القبيلة خال وكان معه بنت ذات حسن وجمال وقد مائس واعتدال فنظر إليها فى بعض الأيام فتمكن من قلبه هواها ولكن استحيا أن يخاطب خاله فى معناها ولما كان فى بعض الأيام قدم على خاله رجل من بنى يرجم يقال له عوف بن غايم وكان فارسا كرارا وبطلا مغوارا وكثير المال وصل فى تلك الأيام إليه ونزل عنده فأكرم مثواه وذبح له النوق والأغنام وروق له صافى المدام ولما شربوا والتذوا طربوا قام ذلك الرجل فى عاجل الحال وأشار إلى أبى الجارية بيديه وقال له أعلم أيها الشيخ إنى قد جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا فهل أنت فيمن أتاك راغب فلا تخيب سؤال قاصديك ومن أحسن الظن فيك فلما سمع أبو الجارية منه ذلك أراد أن يصلح له بها وما خاف إلا من ابن اخته حصن ولكن لم يخف على حصن هذا المرام فهذا ما كان من أبى الجارية (وأما ما كان) من أمر الغلام حصن لما رأى غوف بن غيلم اليرجمى طالبا لها ورأى خاله راضيا به ضاقت عليه الأرض بما رحبت وعلم أنه إن سكت خرجت الجارية من يده وقد أفضحه ما شرب من الخمر فقال ياخالى لا تتم له بما طلب فانا أحق بها منه وأوجب لأجل صلة الرحم والنسب وماأخلى ابنة خالى تخرج من هذا المضرب ولا تبعد عن قومها وتتغرب فقال اليرجمى وقد لعبت به العقار وطارت من عينيه النار ياغلام أو بلغ من قدرك أنك تجاوب بمثل هذا الكلام وتريد أن تكسر عزمى وانت معدود من جملة الايتام (قال الراوى) فلما سمع حصن ذلك الكلام قال ولأى شىء لاأعارضك وأنا انخر منك نسبا وأجل حسبا بين القبائل الكرام وأشرف منك أما وأبا بين الأنام فوحق من رفع السماء بقدرته لولا أنك نزيل فى بيت خالى اعلوت رأسك بحسامى وأذقتك

الوبال بضرب بهذ الجبال وإن كنت تزعم أنك كثير المال فأنا أكثر منك مالا فأن أموال العرب كلها لى مباحة وإن كنت تدعى أنك شجاع فدونك والميدان قال الراوى فلما سمع البرجى ذلك المقال إزداد غيظا وقال لابد من مبارزته ثم قام إلى جواده وأخذ عدة جلاده وفعل حصن مثل ما فعل وخرجا من الحى فوقف القوم وخاله ينظرون ما يجرى بين الفارسين من الطعان وقد أوسعا فى المجال وصالا وجالا وقد تحملان فى الحرب أثقالا وقد ضايق حصن عوفا البرجى وأثار سوء أخلاقه ومسكه من أطواقه وجذبه من على سرجه فرجله بعدما صرخ عليه فاذهله وأراد أن يضرب رقبته فتقدم إليه خاله وسأله فيه العفو وقال له يا ولدى أطلقه من عقاله واعلم أنى لا أدعك تقتل رجلا أكل طعامى ودخل فى زمامى فلما سمع حسن من خاله ذلك الكلام عفا عنه وأخرجه من الحى خائبا وشاعت الأخبار عنهما عند الأعراب فقصرت عن الجارية الخطاب ولم يزل حصن على ذلك الحال إلى ليلة من الليالى اتت إليه أمه وقالت له يا ابنى أريد أن أخبرك بما سمعت من المقال فقال أخبرينى قالت له أن خالك قال لزوجته أن ابن أختى فارس حلو الشمائل كثير الفضائل غير أنه فقير وأخاف إذا زوجته ابنتى أن تصير معه تحت الضيق لا تغتم العدو ولا تفرح الصديق فقالت له وكيف الرأى فسكت خاله ولم يجبها فلما سمع حصن هذه المقالات تغير حاله وأراد أن يبيت عند خاله فرآه قد ركب مع جماعة من صعاليك العرب فاخذهم وسار حتى خرجوا إلى ظاهر البيوت والمضرب وعاد وحده وأتى خلف بنت عمه حتى أنها تطلع تودعه فخرجت إليه من الخباء كأنها غزال عطشان فالتقيا واعتنقا وقد أخبرها أنه يريد أن يمضى إلى طلب المهر ويأتى لأبيها بما يرضيه ثم أنه عانقها وودعها وتبكى ودموعها تسيل من طرف كحيل على خد أسيل فأشار إليها حصن يقول وأنا وأنتم نصلى على النبى الرسول:

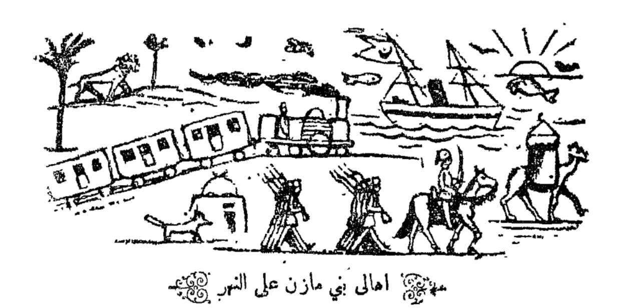
ودعتها وتركت قلبى عندها كيف الخلاص بمهجتى من ذا العنا
فبكيت عند فراقها بدم وقد ملك الفؤاد الحب فازداد الضنى

(قال الراوى) فلما سمعت منه بنت خاله هذا الشعر أجابته تقول صلوا على طه النبى الرسول:

عليك سلام الله منى دائما إلى أن تغيب الشمس حين تطلع
عجبت إلى حب يمـــد عينه إلى حبه يوم الوداع ويسرع

(قال الراوى) فلما سمع منها مقالها فقبلها بين عينيها وعاد راجعا على خاله حتى لحق بجماعته وجدوا فى المسير طالبين أحياء العرب فى طلب المعاش فغزوا بلاد همذان وغاروا على بنى ملجم

وغيلان وقد أفنوا فى غاراتهم جماعة من العربان فطالت عند ذلك غيبتهم وانتظرت القبيلة لسفرتهم فاتفق أنه كان فى بنى قحطان فارس شديد يقال له عساف أخبرت عنه الرواة أنه من الجبابرة العتاة عظيم الخلقة شديد الوعقة طويل القامة كبير الهامة إذا مشى ساوى بقامته الأشجار وإذا تكلم أشعل فى القلوب النار له صوت كصوت الأسد الهدار قال وكان يركب فى عدد كثير وجمع غزير فاتفق فى تلك السنة أن أرضه أجدبت فشكا اليه قومه ما حل بهم من تلك الأرض فارتحل ونزل بهم بين جبلين يقال لها خشاخش والتناصب ثم إنه ضرب مضاربه فى أرض يقال لها المانعة وكانت كثيرة العشب حتى أن الرعاة كانت ترعى فيها بلا تعب فسمعت به سكان هذه الأرض فهربوا عن الأحياء والتجأوا إلى الحلل والقبائل ثم إنه ركب يوما من الأيام وشق هو وجماعته فى الوديان حتى أشرف على بنى مازن فرأى غدرانها واسعة ومرعاها فائقة فاتفق أن الجارية نعيمة بنت نجم التى مضى حصن يأتى بمهرها خرجت ذلك اليوم مع أقاربها وجويرت آمن



اهالى بني مازن على النهر

أقاربها وجماعة من أصحابها وهم يلعبون فرآهن عساف وهن غافلات وقرب منهن وهن مشتغلات فرأى نعيمة بنت نجم هى أبهى من البدر تلتفت لفتة الغزلان وتتبسم بثغر كأنه بالمسك ملآن وتهم أن تقوم فتقعدها أردافها الثقال فطار عقله وزال ووقع به الانذهال فرأته الجوارى وهو ينظر اليهن فصاحوا فيه أما تستحى يا وجه العرب أما أنت من أصحاب الحسب والنسب وتقف بهذه الجماعة على بنات أبكار ونواعم أعذار فما هذا فعل الرجال الأحرار (قال الراوى) فلما سمع عساف ذلك الكلام ولى عنهم وقد أبدى الابتسام ثم قال

ومن نظرت عيناه أقلق قلبه   وتجرى على خديه سمط المدامع

ثم استدعى عجوز كانت عنده وخرجت معهم لتحرسهم فأتت تسألها عن الجارية نعيمة ومن أبوها فقالت له يا أمير اعلم أن هذه نعيمة بنت نجم سيد بنى مازن التى حازت جميع المحاسن فقال لها عساف يا أم الفرسان هذه الجارية ذات خدر أم ذات بعل فقالت والله ذات خدر وخباء فلما سمع عساف ذلك المقال رجع فى رجاله وهو مشغول ولما وصل إلى الأرض التى نزل فيها ما استراح مما حصل له من لهيب النار فأحضر بنى عمه وقص قصته وما جرى له عليهم وقال أريد منكم أن ترسلوا رسولا إلى بنى مازن ويدخل على نجم أبى الجارية الذى هواها ومحبتها فى قلبى جارية ويقول له إن الملك عساف أرسلنى إليك خاطبا راغبا فى ابنتك وقد رآها بين الجوارى على الغدير ويريد أن ترسلها له مكرمة معززة مثل عادات العرب وإن الصغير والكبير وكل ما طلبه من المهر فتكلم به وأنا أدفعه بلا تقصير وإن كان لا يرسلها عزيزة مكرمة أخذتها مسبية مثل الأمة بعدما أقطع بنى مازن وبنى تميم ولا أترك منهم رضيعا ولا فطيم



رسول عساف الى الأمير نجم سيد بنى مازن

وكان هذا الكلام من تجبره (قال الراوى) فمضى الرسول إلى نجم بهذه الرسالة ما ذكرناه فقال نجم يا وجه العرب إننى لابن أختى قد زوجتها ومضى الأمر من يدى فإن كفانا صاحبك شره فهو الكريم ذى الحسب والنسب وإن أنفذ رجاله إلينا وتجبر بقلة معروفه علينا وطلب قتالنا من غير جناية ولا سبب حاربناه ودفعنا عن أنفسنا وحمينا العيال والأموال ومتنا كرام ولا نموت لئام * قال فعاد الرسول إلى عساف بهذا الخطاب وقال له ما قاله نجم من الجواب فلما سمع من الرسول غضب وزاد به الحنق وحلف أنه ما يأخذها إلا أسيرة بالسيف وقال

حينئذ لم يبق لأبيها على عتاب (وفى) تلك الأيام قد وصل حصن ومعه غنائم وأموال لا تحصى فأعطى خاله ما طلب من المهر وقد عزل مائة ناقة لأجل الوليمة واشترى روايا خمر وطالب خاله بالزواج فحدثه خاله بحديث عساف وما جرى بالتمام فقال حصن والله يا خالاه أن تعرض لى لأطلبن آثاره وأخرب دياره وما أخليه يقيم بجوارنا إلا بمقدار ما أدخل على زوجتى وأكتب مولاى الذى ربيت فى نعمته حتى يأتى اليشا من رجال بنى عبس وعدنان وأقلعه من ذلك المكان ثم طيب قلب خاله وشرعوا فى أعمال الفرح وذبحوا النوق والأغنام وهيئوا الطعام ودار بينهم الكلام وشربوا الراح فى المساء والصباح سبعة أيام وفى اليوم الثامن زينت الجارية بالحلى الفاخرة وأنواع الزينة الباهرة وأراد أبوها أن يزفها على حصن فأتاهم الخبر من بعض السفار بأن عسافا من أجلها جمع فرسان القبائل وأصدقاءه ومن يعتز اليه وهو سائر اليكم وبعد حين يأتى لديكم ويبيد أقصاكم وأدناكم وقد علم أن بنى عبس تشير اليكم فتقاوى بالعربان وسيأتى عن قريب اليكم بالفارس والراجل وهو فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد أجابه عالم عظيم وسار معه عوف الذى كان أسره حصن فى جمع من بنى جرم فى طلب ثأره الذى تقدم فلما سمع أبو الجارية هذا الكلام خاف على نفسه وقومه فجمع بنى عمه وشاورهم فيما بلغه من يومه فقالوا والله يا نجم ما لنا طاقة بهذه العساكر القادمة علينا والجمع الذى تجمع فاسمع لنا ما نقول ودع عنك المحال ولا تتكل علينا فى نصب القتال ومن قد بدا لنا إياك زوجه بها من وقتك واحفظ عليك حرمتك وإلا تنقطع أهلك وعشيرتك فعند ذلك حار نجم فى أمره وقصته وتوقف عن زواج ابنته وقد فاضت دموع حصن على وجنته لأجل انقطاع إخراجه ومسرته وقد زادت لذلك نيرانه وحسرته فقال لخاله يا مولاى اصبر على عشرة أيام من غير إنكار حتى أريك ما أفعل بهذا الجبار (قال الراوى) ثم أنه اعتدل الحال وخرج فى مائة فارس ممن يحبوه من قومه وصاروا يقطعون الأرض حثيثا وتقربا وأشواطا وجوى ولهيبا إلى أن وصلوا إلى الجبل الشامخ والطود الباذخ الملك زهير بن جذيمة الذى له بين الملوك قدر وقيمة وهو بين قومه كأنه قيصر ملك الروم أو القمر بين النجوم فتقدم إليه وأنشد ما أنشد مما عراه وقد عرفه بحبه وجواه وقد عرفه ابن الملك زهير مالك وأخوته وسلموا عليه وأسكتوه من بكاه فقال حصن للملك زهير عن شكواه وأخبره بجميع ما جرى له فقال الملك زهير أبشر يا ولدى بكل خير وطب نفسا وقر عينا فنحن نعينك عليه ونقطع آثاره ونخرب دياره فقال له الملك أنا سائر معك برجال يرون الموت ألذ من شرب الراح وعناق الملاح هذا كله جرى وعنتر يسمع ويرى فقال لمالك يا سيدى كيف أخليك تفعل هذه الفعال وأنا اشتهى هذه الأحوال أم كيف أخليك تسير أنت وتركب مركب الخطر وبين يديك عبدك عنتر فأنا

أنوب عنك وأسير مع هذا الغلام وأبلغك أغراضك وما تريد من المرام وأقتل عدوه ولو يكون كسرى صاحب الإيوان وأفرق جيوشه ولو أنها عدد رمال الكثبان فضحك الملك وتعجب مما أعطاه الله من قوة الجنان ثم إنه قال لمالك مر أنت يا ولدى لنصرة أخيك ويكون معك ألف فارس وفى الجملة عنتر أبا الفوارس يحميك من كل مدرع ولابس (قال الراوى) ثم إنهم روجوا الطعام ودار عليهم المدام فقال الملك زهير اليوم خمر وغداً لله الأمر هذا ومالك ينفذ خلف الفرسان وينتخب الأبطال والشجعان ويأمرهم بأخذ الأهبة وأخذوا حظهم وبات حصن عندهم وهم لا يصدقون بإصباح الصباح حتى إنهم يسيرون فى تلك الربا والبطاح من خوفهم على أهل حصن وديار من الأعداء لأنهم لا يعرفون ما جرى عليهم من بعده ولما مضى الليل ظهرت الفرسان من الخيام مثل سباع الآجام ثم إن مالكا ودع إخوته وودع عنتر أمه زبيبة وهى تبكى لوداعه وهو لا يعبأ بها لأن قلبه متعلق بحب عبلة ثم سار وشيبوب فى ركابه سائر قدامه وجماعته وأصحابه وسارت فرسان بنى عبس وهم غائصون فى الحديد وهم على خيول عربية متقلدون بسيوف هندية معتقلون برماح خطية ومالك راكب بينهم على حجرة قصيرة الركاب سريعة الذهاب وهو لابس ثوباً من الزرد مطعم بالذهب وعنتر بجانبه مثل الأسد وشيبوب بين يديهما يقطع البيداء ولا يعبأ له عصب وهم يقطعون الآكام وحصن قد آلمه الهوى والغرام ومالك يسليه بالكلام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع برز ما أراده الله الملك العلام من القضاء والأحكام وما قضى بمشيئه وقدر وعنتر سائر بين أيديهم وهو يقول صلوا على الرسول :

بشراك حصن فقد صحبت بمالك   متعود خوض الوغى بالذابل
سفرى لمساف بأنى ضيغم   عند اللقاء بشديد ضرب فاضل
وأكر فى الهجا كأنى ضيغم   يخشى حسامى كل قرم هائل
والموت فى يوم الوغى لى خادم   وبصارمى الهندى أبيد مقاتلى
أنا كالقضاء على اللئام أنا البلا   وأنا المقيم العز وسط قبائلى
نجمى علا بين السما وهمتى   أعيت ملوك العرب عند تجاول
صدر رحيب مع حسام قاطع   من سطوتى خافت جميع محافل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت له السادات وتعجبوا من همته وفصاحته ولم يزالوا سائرين وهم فى سيرهم مجدين . قال ولما يريده الله من سعادة عنتر أنه عدل عن الطريق وقصد إلى وادعميق فنظر إلى فارسين يتقاتلان وقد سطا أحدهما على الآخر فعرج عنتر عليهما حتى قرب منهما ونظر إليهما وصاح فيهما على مهلكما يا وجوه

العرب وأخبرانى هل لقتما الكاسبب فلما سمع الفارسان كلام عنتر افترقا عن القتال وسارا



عنتر والغلامين

أحدهما اليه وقال لعنتر أنا مستجير بك فأجرنى يا همام فقال له أطلعنى أيها الغلام على جلية حالك وأصدقنى فى مقالك فقال له ذلك الفارس أعلم ياأخا العرب إنى أنا وهذا الفارس أخوان من أم وأب وكنا روحين فى جسد ولا كان بيننا لاغم ولا نكد وإن أخى هذا هو الكبير وأنا دونه وكان أبونا أمير كبير آيقال له الحارث بن تبع سيد بنى حمير وكان جدنا الأكبر تبع حسان ملك العصر والأوان سيداً على كل من نهى وأمر وكان فى بعض الأيام عرض أمواله عليه وتأمل فيما حوته كلتا يديه من نوقه وجماله وكان له ناقة مليحة الصفات زائدة الحسن سريعة الحركات وكان مولعا بها من دون الجمال ولما عرضوا عليه الجمال لم يراها مع الأموال فسأل عنها الرعيان فقال له بعض العبيد يامولاى أنا أخبرك بما كان منها وذلك أنها شردت يوما من المراعى فسرت خلفها فى الطلب إلى أن بعدت فى البر وقد تعبت ومللت فانحنيت إلى الأرض وأخذت حجراً أسود على صفة الصوان وهو شديد اللمعان ورميت به الناقة فجاء فى جنبها فخرق بطنها وخرج من الجانب الآخر فوقعت الناقة إلى الأرض وقد تبددت أمعاؤها طولا وعرض وماتت وبقى فى جنبها خرق هائل المنظر والحجر بجانبها ملطخ بالدم فقال جدى للراعى سر قدامى وأرنى الناقة والحجر فأخذه الراعى وسار حتى أراه إياها ميتة والحجر بجانبها فأخذ جدى الحجر وتميزه فعرف أنه صاعقة فأخذه وعاد وأحضر أهل الصناعة

الجياد وأمرهم أن يصنعوا له ذلك الحجر سيفاً قاطعاً فأخذه بعضهم وصنعه صنعة محكمة وأتى به إلى جدى فلما رآه عجبه فخلع عليه فعند ذلك وصف الحداد السيف وقال :

سيف حديد ماله من يغالبــــه   مليح ولكن أين للسيف ضاربه

قال فلما سمع جدى ما قال الحداد أخذ السيف وضربه به فأطاح رأسه عن بدنه وقال له أنا ضاربه وأى ضارب ثم إن جدى ترك السيف فى خزانته وسماه الظامى وما زال عنده إلى أن شرب كاس الانتقال فورثه بعده أبى ولم يزل عنده إلى أن أحس بوفاته دعانى إليه وقال لى ياولدى إنى أخاف عليك من أخيك بعدى أن يحتاط بالسيف مع الأموال فقلت له ياأبى وكيف تكون حيلتى فقال خذ ياولدى هذا السيف وأنكره من أخيك إذا أنا قضيت نحبى وجار عليك أخوك اذهب أنت بهذا السيف إلى من أردت من الملوك فإنك تغلبه بسببه فأخذت ذلك السيف وخرجت به إلى الصحراء فى هذا المكان ودفنته ورجعت إلى أبى وأقمت عنده حتى قضى نحبه فدفناه وبعد ذلك احتوى أخى هذا على ما كان من الملك والأموال وافتقد ذلك السيف فلم يجده فصعب عليه وزاد غضبه وقبضنى من طوق وجرد حسامه على وسألنى عنه فأنكرته فلم يصدقنى وأراد أن يقتلنى فلما رأيت منه ذلك أخبرته بما فعلت فقال لى أحضره وإلا أقتلك فقلت له ياأخى اركب معى وأنا أريه لك ثم إنا ركبنا وأتينا إلى هنا وفتشت على السيف فتاه عنى مكانه فخفت من أخى وقلت له والله ما عرفت له مكانا فقال لى أنت تخفيه عنى وتنكره منى وسل سيفه وأراد قتلى فحاميت عن نفسى حتى أشرفت أنت علينا وهذه هى قصتنا وأنا فوضت أمرى إليك فاحكم بيننا بما تريد حكم الموالى على العبيد قال الراوى فلما سمع عنتر كلام الغلام وقال له أنت مظلوم وحق الملك العلام ثم إن عنتر تقدم لأخيه وقال له لم ظلمت أخيك وهو ابن أمك وأبيك فقال يا ابن اللئام أى شىء ألجاك إلى هذا المقال وقد عول على ضرب عنتر بالحسام فاستقبله عنتر وطعنه فى صدره فطلع الرمح يلمع من ظهره ثم إن عنتر قال للغلام عد إلى حلتك واجلس مكان أخيك وأنت فى زمامى وكل من تعرض لك أعلمنى وأنا أقسم ظهره فشكره الغلام وقبل يديه وقال يامولاى بعد أخى ما بقى لى معاند ثم إنه ودع عنتر وسار طالباً أهله والديار هذا ما كان من أمر الغلام وأما ما كان من عنتر البطل الهمام فإنه لما فارق ذلك الغلام نزل يريق الماء فجلس وهو متفكر فى ذلك الأمر وجعل يبحث فى الأرض

بأناءله وإذا قد ظهر له غمد سيف فجذبه وإذا به سيف صقيل فسله فرآه حساما ماضى الشفرتين وأنوازه ساطعة ما ملك مثله الأكاسرة يكاد يقطع بلا وصول ففرح به عنتر وعلم أن سعادته كل يوم فى النماء وأن هذا السيف ساقه له رب السماء فأخذه وسار حتى لحق مالك وأخبره بما جرى له مع الغلام المخبول فتعجب مالك وقال له يا أبا الفوارس هذه تحفة أتحفك بها رب السماء ولا صنع هذا السيف إلا لك ولا يليق إلا لمثلك ثم اجتمعت حوله الفرسان من بنى عبس وعدنان ونظروا ذلك السيف وتعجبوا منه ومن حسن لمعانه ثم إن عنتر تقلد به وسماه الظامىء وبعد ذلك ساروا يقطعون الأرض بسير حازم وعنتر فرحان بذلك السيف حتى قاربوا ديار بنى مازن وهم يهنئون عنتر بما وصل إليه فعندها اشتد بحصن الحال وهاج عنده الشوق والبلبال فقال لمالك لا أدرى ماقد جرى من بعدى على الأهل والأقارب وأنا أريد الساعة أن أتقدم بين أيديكم وأكشف الحال وانظر إن كان بنو عمى فى شدة أو قتال وأبشرهم بقدومكم وأحفظ الحريم والمال فعندها قال له مالك افعل ما بدا لك وها نحن سائرين خلفك على الأثر فأسرع أنت بالعجل فما يكون بيننا وبينك إلا قليل فسار حصن بالمائة فارس الذين معه وفى قلبه النار حتى أشرف على الديار وإذا بالصياح عال والصراخ تام والأصوات قد أرجفت القلوب وهى تدل على غالب ومغلوب والرجال فى قتال يشيب الأطفال فصاح حصن فيمن معه وقال لهم واأسفاه هلكت الرجال وفنيت الأبطال ثم إنه أطلق جواده وتجارت من خلفه الفرسان إلى أن قربت من الأوطان فأبصروا قبائل عساف وقد دارت بهم من كل جانب وأسرت جماعة من الفرسان وكانوا بنو مازن أخذوا أولادهم ونسوانهم وحفظوهم فى جبل يقال له أبانه وثبتوا فى ذيل ذلك الجبل وهم يدافعون عن الحريم بشدة وإمعان حتى ثخنوا بالجراح والنساء قد أكثرن عليهم الصياح ونشرن الشعور والذوائب وتهتكت البنات هذا وعساف ينادى فى قومه ياويلكم اسبوا البنات والحلائل من المضارب وكل ماتأخذونه من المال فهو غنيمة وغنم وأنا لا آخذ من الجميع إلا نعيمة بنت نجم قال فلما رأى حصن ذلك انزعج قلبه وفاض دمعه وحمل فيمن معه من الرجال ونادى بالمازن وهجموا على ذلك الجمع العظيم فلما أبصرهم أهلهم وقد حملوا صاحوا عليهم صيحة الأفراح وانقلب الجبل بالصياح ونزلت الرجال المقيمون وقد سلت الصفاح وشرعت الرماح وهانت عليهم المصائب وحملوا على تلك الكتائب وحين حمل حصن جعل

يقاتل ويخترق المصاب خصمه عساف ليوقع به أشد الاتلاف لأن فى قلبه منه نار لا تطفأ وكان قد عرفه لما سمعه ينادى فقصده حصن وقرب اليه ونادى يا عساف خاب والله أملك يا عديم الإنصاف وستلاقى شؤم عملك بلا خوف قال الراوى فلما سمع عساف كلام حصن اسودت الدنيا فى عينيه وصاح عليه دونك والقتال يا ابن المجاف الأنذال وأخبرنى من تكون أنت من الفرسان وما الذى أتى بك إلى هذا المكان فقال له ويلك أنا حصن عبد نعيمة ذات العيون الحسان وقد أتيتك بسيوف حداد ورماح مداد ورجال شداد من بنى عبس وبنى قراد يسقونك كاس المنايا فان أجلك قد حان ويحلون بجموعك الرزايا وبلاء الامتحان فلما سمع عساف من حصن ذلك المقال زاد به الغضب والبلبال وقال له ويلك يا ابن المعونة أأنا ممن يفزع من بنى عبس أو غيرهم من الرجال ثم حمل عليه وصدمه صدمة تهد الجبال وتقصر الأعمار الطوال واشتد بينهن القتال وعظمت الأهوال هذا وخيل اليمن قد ملأت الفضا وحملوا على بنى مازن فردوهم إلى الجبل وقتلوا من أصحابهم خمسين بطل قال الراوى ثم إن حصناً لما رأى ما حل بأصحابه رجع إلى ورائه وخاف أن يحل ما حل برفقائه هذا وعساف قد ضايق حصناً تحت الغبار وقد قل منه الجلد والاصطبار إلا أنه صار يظهر الجلد ويخفى الكمد ولم يزل على هذا الحال إلى أن قاربت روحه التلاق وزاد به الاحتراق وأيقنت نفسه بالفراق وإذا بفرسان بنى عبس قد أقبلت كأنها العقبان على خيول أخف من الغزلان وعنتر قدام الخيل يحكى سواد الليل والأبجر من تحته يتدفق وهو مثل البرق إذا برق وهو يذكر أمه زبيبة على ركوب الأخطار وكثرة الإسفار وهو يترنم بهذه الأشعار صلوا على النبى المختار :

تخوفنى زبيبة بالكلام ... من الإقدام فى يوم الزحام
تخاف على أن ألقى حمامى ... بطعن الرمح وضرب الحسام
أخوض النقع فى بحر المنايا ... وأرجع سالماً والبحر طامى
فلا أرضى بمنقصة وذل ... وأقنع بالقليل من الحطام
فعش فى العز والإقبال يوما ... ولا تعش ذليلا ألف عام
وإسمى عنتر ابنى قراد ... وشداد أبى حامى الذمام

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره ورأى الحرب دائرة واقعة فى بنى مازن ورأى عسافا ضايق حصناً وقد أشرف على الهلاك فعند ذلك حمل عنتر وصاح على الأبجر فخرج من تحته كأنه البرق الخاطف وهجم على الخيل هذا والأمير مالك بن الملك زهير قد فرق

الفرسان فى سائر الجهات ونادى فى عساكر عساف بوق الشتات وقد انفصل البراز بين حصن وعساف وعاشت أرواح بنى مازن بعد التلاف وأضرمت نار الحرب وزاد الطعن والضرب وتمددت الرجال فى وسيع الأرض وقد حقت الحقائق وعمل السيف فى المعارق وزاد القلق وكثر الخنق وجرى الدم وسلت السيوف وقطعت الرؤوس وكان يوما عبوس هذا وعنتر قد فرق الكتائب ونثر الجماجم واتسع المجال ونظرت أهل اليمن شيئاً ما كان لها على بال قال الراوى وبينما عنتر يجول واذا بصوت مالك وهو ينادى يا أبا الفوارس الحقنى قبل الهلاك وكان مالك قد حمل فى مقابلة العساكر فأدركه عنتر ولما لحقه رأى عسافا ظافراً على مالك ففاجأه عنتر وحمل عليه وأراد عساف أن يجول مع عنتر وإذا بأبى الفوارس تأخر عنه وتمطى رمحه وطعنه فقلبه عن مركوبه فلما رأى بنو عمه إلى ما فعل به عنتر حملوا عليه كالسيل لأنهم كانوا قد احتقروه بالنظر والرأى وقتل عسافا بالاثوان طلبه الفرسان من كل مكان ولما قاربوه تلقاهم بقلب قوى فعند ذلك حملت الخيل وانعقدت عليهم الغبار كسواد الليل وقل منهم الجلد والحيل ونزل بهم الذل والويل واشتد القتال وطاب النزال وعملت النصول وبعث ملك الموت إلى قبض الأرواح رسول هذا وشيبوب مع عنتر لا يفارقه بل يرمى من حوله بالنبال فيصيب بها مقتل الرجال وعنتر يهيج فيهم كالأسد الريبال وقاتل مالك أحسن قتال وغرق بأصحابه فى تلك الأهوال حتى ملك أبطالهم وجندل رجالهم لأن صوته كان مثل الرعد القاصف فما سمعه إنسان إلا وصار منه خائف هذا وعنتر تذكر صياح مالك حين استغاث به فى ذلك اليوم المهول فأنشد يقول صلوا على الرسول :

إذا كانت الابطال بالبيض أفرطوا وعادت رقاب الخيل بالدم تنقط
فنادى ألا يا عنتر الخيل والقنا يجيبك من سوق البلاء المسلط
بطعن يشيب الطفل من عظم هوله ويرجع عنه بالمشيئة أمشط
وترتعد الأجسام عند برازه وتخفى له الاصوات إن هو يسقط
وتعنوا له الأبطال فى الحرب ذلة وتبسط أيد للرضا حين يسخط

قال الراوى فلما فرغ من شعره دارت سادات بنى مازن بعدما فرق الأعداء فى الميدان لأنهم رأوا من عنتر ضرباً يهد الجبال فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وركب كل

عودة بني عبس وبني مازن بعد قتل الامير عباد وهزيم جيوش بني قحطان شر هزيمة



واحد منهم هواه وهرب فى الفلاة فغنمت بنو عبس و بنو مازن ورجعوا والفرح عليهم حتى وصلوا إلى الجبل ونزلوا به وقد زال عنهم الخوف فلما أصبح الصباح نحوت بنو مازن النوق والأغنام والفصلان وكان أكثر فرحهم بمالك وعنتر أبي الفرسان وأقاموا على ذلك سبعة أيام وفى اليوم الثامن دخل حصن على زوجته وقد أكملت فرحته ولما صفت القلوب ولم يبق لبنى مازن عدو على تلك الأرض طلب مالك الرحيل فصعب على بنى مازن رحيلهم وفراقهم فخرجوا الوداعهم ولم يزل مالك هو وبنو عبس سائرين وعنتر سائر معهم وهو لا يصدق بالوصول حتى يرى مقام عبلة التى هى غالية عنده وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ماء يقال له المنهل فنزلوا هناك وقد هبت عليهم أرياح أرض الشربة فتنشق عنتر تلك الأرياح وتذكر عبلة ست الملاح فنطق لسانه بالشعر وباح وأنشد يقول صلوا على النبي الرسول :

غرامى إلى عبلة زائد جفوت المنام من الاشتياق
وقلبى من البعد فيه لاعج وقد ساء حالى بطول الفراق
ترى بعد توديعها فى الدجا أراها وأحظى بيوم التلاقى
وإنى لعبلة عبد الهوى وعبد بنى عبس مادمت باق
ألا يا عبلة لو تنظرين لضرب الفوارس إذا لا يطاق
سلامى عليك بعز وشوقى وإنى مدى الدهر فى الحب راق

قال الراوى ولما فرغ عنتر من شعره طرب مالك من نظمه وكذلك فرسان بنى عبس وقال له مالك إنك لنعم الرفيق والخل والصديق وإن زعمت إنك من العبيد فما أنت

عندنا إلا على الفرسان الصناديد وأنت لنا عدة عند كل شدة ولا تحسب أنك عندنا قليل بل أنت سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام من مالك ترجل وقبل قدميه فقبل مالك رأسه وبين عينيه ثم قال عنتر لمالك يا مولاى همتك هى التى رقتنى إلى هذه المنزلة ولولاها ما ارتفع لى رأس فلا زلت الدهر مسعودا وموصوفا بطول الحياة والبقاء ثم عادا إلى ظهر الجواد ثم سار واطالبين الديار وعنتر لا يصدق بالوصول وقد أقلقه الفكر * هذا ومالك يحدثه ويسليه وبأنواع الآمال يمنيه ولم يزالوا على هذه الوسيلة إلى ما بقى بينهم وبين الحى ليلة فهذا ما جرى لهؤلاء من الأخبار وأما ما كان من بنى عبس المقيمين فى الديار فانهم كانوا لهذه السرية فى الانتظار لاسيما الملك زهير فانه كان فى قلق لأجل ولده وكل من كان أخ أو قريب إلا عنتر فان حساده أكثر من محبيه لما قد نال من الفروسية والرفعة العلية بعد الرق والعبودية لاسيما عمه مالك أبو عبلة فانه كان يشتهى أن لا يرجع لأنه قد هتك بنته بذكرها فى أشعاره وقد سار لعبلة حديث فى سائر الأماكن والجهات وصارت الرجال تقصد بنى عبس فى الولائم والمسرات كى ينظروا عبلة ذات المحاسن الفائقات (قال الراوى) وكان للربيع أخ يقال له عمارة



عماره الوهاب   دايته العجوزه

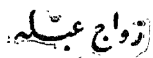
ويلقب بالوهاب وإنه لما سمع عن عبلة هذه الصفات اشتعل قلبه وفؤاده فعند ذلك استدعى بدايته وقال لها أريد أن تمضى إلى بيت مالك بن قراد وتنظرى عبلة وتأتينى بخبرها

وتنظرى أكان تصلح لمثلى أم لا وهل عنتر صادق فيما قال فيها من الشعر فمضت الداية إلى أم عبلة فى هيئة زائرة فاستقبلتها أحسن استقبال وتحدثت معها وهى تنظر عبلة وحققت النظر فيها من رأسها إلى قدميها ثم مازحتها ولعبت معها فسمعت من مزاحها سائر الدلال مع الأدب ثم عادت إلى عمارة وهى لا تدرى أى شىء تصف فى عبلة لم تزل سائرة حتى خلت عليه وسمعها تقول سبحانك ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك فقال لها عمارة أى



شىء استعظمتيه حتى تتعجبين وما تردين من هذا المقال فقالت يا مولاى عجبا لهذه الجارية وما قد أعطاها الله من الجمال فقد كنت أغتاظ من عنتر كل ما سمعته يصفها وهو والله ما أنصفها ومن الرأى أن تبادر إلى خطبتها وأعط أباها كل ما يريد لعلك تحظى بذلك الجمال الفريد (قال).

فلما سمع عمارة ذلك المقال زاد التهابه وقام من وقته ولبس ثيابه ثم ركب فى جماعة من العبيد فلقى مالك وولده عمرو وهما راجعان من الصحراء فقال لمالك يا عم ارجع معى على سبيل الفرجة فان لى إليك حاجة وأريد أقولها لك سرا بينى وبينك حتى لا يعلم بها أحد فقال مالك قد أتعبت نفسك وتعبتنا إلى هذا المكان فقال له جزاك الله خيرا ولكن الأمر الذى أريد أن أعرفك به يستوجب السعى إليك لأنى أريد القرب من جنابك والصيانة لحريمك





مالك ابو عبله   عماره الوهاب

وقد جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا لكى أمن عليك وعليها من هذا العبد الذى أفشى أمرها فى شعره بين الرجال وما فعلت ذلك إلا رغبة فى مواصلتك لأنى رأيتك شديد الغيرة عظيم

النخوة وأكون أنا وأخوتى إليك ذخيرة ومازال عمارة على مثل هذا الحال ومالك أبو عبلة يتقدم ورأيه لما فى قلبه من عنتر ويتأخر لكونه فضح إبنته بين البدو والحضر بما نظم فى وصفها وما نثر ثم أن مالك قال لعمارة أيها السيد إن إبنتى لك أمة وهى لك من بعض العبيد والجوارى وإنى قد زوجتها لك ثم أعطاه يده وزوجه بعبلة وعادوا إلى الحى وعمارة بهلاك عنتر بعده ثم افترقوا وسار عمارة إلى بيته وأعلم أخاه الربيع بما حصل بينه وبين مالك فقال الربيع والله أنا ما أرضى لك بذلك وبعد أن كنت تريد هذا الأمر ولا بد لك منه فانجزه قبل أن يجىء عنتر وبعد ذلك فاحذره فإنه والله شيطان لا يرام وبطل ضرغام وهو يحب عبلة مستهام فقال عمارة ومن هو يا أخى عنتر أو بنو قراد حتى يعارضوا مثلى وأنا لى مثل عنتر ألف خادم شداد ثم إنه بات تلك الليلة وهو قرين العين ونوى أنه عند الصباح يرسل المهر بالامين (قال الراوى) فلما كان عند الصباح قدم مالك بن زهير وعنتر وبنو عبس من ديار بنى مازن ومعهم الهدايا والأنعام فالتقى المقيمون بالقادمين وكان لقدومهم يوم عظيم وفرح الملك زهير بقدوم ولده مالك وفرح أيضا بعنتر ثم أن الملك زهير سأل ولده عن حالة السفر فحدثه بالحال وما قد فعل عنتر وكيف قتل عساف وفرق الكتائب فى سائر الأطراف وأعاد عليه الحديث من أوله إلى آخره فلما سمع زهير هذا المقال استبشر بما فعل عنتر وقال ما عنتر لهذه القبيلة إلا حصن مشيد فهذا ما كان من الملك زهير وولده وأما ما كان من عنتر فإنه لما وصل إلى أبيات أبيه وأعمامه فبالترحيب تلقوه وبالسلامة هنوه وفرحوا به غاية الفرح إلا عمه مالك فإنه بخلاف ذلك لأن له فى قلبه بغضا وقد فرق عنتر جميع ما حصل له من المال فشكره جميع النساء والرجال وبعد ذلك دخل على أمه زبيبة وهى لا تصدق أن تراه سالما ففرحت به غاية الفرح وكانت زبيبة قد علمت بزواج عبلة لعمارة فلم تعلم ولدها عنتر حتى أنه اطمأن واستراح ودخل الليل وخلا المكان وقد توسد للمنام وكانت عند رأسه تحادثه فعند ذلك سألها عن عبلة فقالت له يا ولدى دع عنك هذا الكلام من ذكر عبلة ولا عدت تذكرها لأنك ما بقيت تنظرها لأن أباها بعمارة زوجها وما بقى إلا المهر فلما سمع عنتر ذلك المقال أخذه الاندهال وكان نائما فقعد وزاد به الوجد والكمد وكاد أن يغشى عليه ثم قال لها ويلك يا أماه ويلك ومن هو الذى يقدر أن يتزوجها من الملك زهير فقالت له عمك رغب فى بنى زياد لكثرة مالهم وأما عبلة فإنها قالت لو قطعنى أبى إربا إربا أنا مطاوعة على ما يريد من هذا النسب فلما سمع عنتر ذلك كره الحياة وطلب الموت والوفاة وقال وحق من سطح الغبرة ورفع السماء بالقدرة وعظم الكعبة الغرا وعلى العرش استوى لئن تعرض عمارة لعبلة لأقتلنه ولو أنه فى

حجر كسرى فعند ذلك قال أخوه شيبوب أنا أمضى فى هذه الساعة وأذبحه ولم يكن لأحد به فكر فقال له عنتر لا يا أخى أصبر حتى امضى إلى الملك زهير وأجتمع عليه بصديقى مالك وأقول له على ذلك المقال ثم أنه بات تلك الليلة وما ذاق فيها لذيذ الرقاد بل قضاها بالسهر والتعداد ولم يزل فى بكاء ونواح حتى طلع الصباح فشدله شيبوب الأبجر فركب عنتر وسار إلى أبيات مالك بن الملك زهير ولما وصل إليه ترجل وقبل يديه فترحب به وسأله عن حاله فقال يا مولاى هذه الليلة ماذقت فيها المنام ولا أكلت ولا شربت المدام وكنت كما قال:

عبدك ياسيدى قد أتى من النار فى مهجتى قادحة
وسهران بات وغاب الكرى ولا انطبق الجفن مذ البارحة

(قال الراوى) فقال له مالك يا أبا الفوارس ما معنى هذا الكلام فحدثه عنتر بحديث عمارة وما قالت له أمه عليه ثم قال له ومع هذا قد عول على قتلى وأن يسقينى كاس منيتى وقد ترجح عندى أن أبدأه به وأركب معه الخطر وأتركه عبرة لمن اعتبر ولا أعيش تحت خوف ولا حذر فقال له مالك بن زهير وقد صعب هذا الأمر عليه واشتد هوله لديه والله يا أبا الفوارس لقد خاب أمر عمارة وقد خسر عمك فى هذه التجارة وما دام على هذا الأمر قد بلغ هذا الحد ولم يزل فى إزياد فأنا أتولاه وأرد عنك كيد بنى زياد وادفع عنك جميع الأعداء والحساد ولا خرجت عبلة من يدك ويتولد من هذا فى القبيلة فساد فطب نفسا وقر عينا واصبر على ما تجده من الكرب حتى أنى أعلم أباك وأسأله أن يلحقك بالنسب فان فعل ذلك خاطبنا عمك مالكا أبا عبلة فى الحال وضمناله ما يريده من المال ونقول له إن عنتر أحق ببنت عمه من سائر فرسان العرب وأسأل أبى أن يعاوننا على ذلك ونأخذها لك بكل وجه وسبب وإن لم يقبل سؤالى فى إلحاقك بالنسب ولم يجعل لكلامى قيمة ولا تأثير بين سادات العرب فأنا أطلب عبلة لنفسى وإسمى فينقطع طمع عمارة وغيره عنها وتماطل عمك بما تجمله به من المهر بحوجه أن لا يزوجها طول الدهر إلى أن يمل ويكل وعقدتك بالصبر تنحل فلما سمع عنتر هذا الكلام زال عنه بعض ما يجده من الغرام وقال لمالك لاعدمتك ياسيدى وبلغتك ما تريد ولا تزال منزلتك كل يوم فى مزيد ويجعل الله لك الأيام ما تشتهى وتريد ثم سار بجانبه والخدم بين أيديهم ومن خلفهم إلى أن وصلوا إلى أبيات الملك زهير فوجدوا عنده سادات العرب فوقف عنتر فى الخدمة إلى أن أمره الملك زهير بالتقدم فعندها تقدم عنتر إليه فتبسم الملك زهير فى وجهه وقربه وسأله عن أخباره وما جرى فى أسفاره فأخبره بحاله وما جرى فى سفرته وأخبره بحديث السيف وكيف رآه مدفونا ثم سله وهزه وتعجب منه ورده إلى غلافه وقال له يا عنتر هذا أيضا من تمام السعادة وقد ساقه إليك رب الإرادة

لان الرب القديم إذا أراد سعادة إنسان فتح فى وجهه باب الاحسان فقبل عنتر رجله فى الركاب وسأله أن يقبله منه هدية الأحباب فقال له زهير بل هو لكفك اليق وكونه معك أرفق لأنه لك مصنع ولو ضرب به غيرك لما قطع أن الملك كل يوم ويسير حول الأحياء فى أقطار الفلاة ويشرف على المراعى هو ومن معه وذلك الفلا وأن الملك زهير خرج ذلك اليوم على حاله وقد لحقت به فرسان الحى من بنى عبس ولبس عمارة أفخر ثيابه وأكثر الطيب فى أعطافه وأسبل شعره فى أكتافه قال فرآه عنتر ذلك اليوم على هذا الحال فزاد به البلبال وأضرمت نيرانه وزاد اشتعاله فصبر على ذلك الحال أو قد تعلقت منه بوعده مالك الآمال قال ولما أشرف الملك زهير على المراعى رأى أمواله وجميع عبيده وهو يتحدث مع أولاده وجنوده حتى حمى الحر وتوقدت الأرض بالنيران فعاد يطلب المنازل والأطلال ولما وصل تفرقت من حواه الأبطال وطلب كل واحد مضاربه فقال مالك بن زهير لعنتر سر أنت لوحدك إلى بيتى حتى أنى أتحدث مع أبيك واسمع ما تقول وأعود إليك ثم أنه انفرد عن عنتر ولحق أباه شداد وسلم عليه وباسطه فى الكلام وشداد يدعو له ويقول له يامولاى ما أنا إلا عبد نعمتك ومن جملة خدمك فقال له مالك ياشداد إلى متى تمنع ولدك ولا تعطف عليه وأنت تمنعه من حقه وكل القبائل تحسدك عليه وعلى رزقه أظن أن فى العرب أحدا مثله وهو لا يوجد من يقف قدامه ويجرد حسامه ومع هذا فإن العرب قد شهدوا لك أنه ولدك فاسمع كلامى وألحقه بنسبك حتى أنى أعمل وليمة وأجمع فيها سادات العرب لترفع رأسه من رق العبودية بين الرجال وتنظر ما يفعل معك فى مجازاة هذه الفعال فقال شداد وقد بان فى وجهه الغيظ يامالك ومن فعل هذا قبلى من الفرسان أتريد أن تحط قدرى بين السادات وتجعلنى بين القبائل حديثاً إلى الممات ويقال عنى أن شدادا اقتنص أمة سوداء بشهوة النكاح وأتى منها ولد بالسفاح فأعده من نسله وجعله رقيباً حتى يهتز بسيفه حين خرج عبداً نجيباً وهذه سنة قبيحة وإفشاؤها بين العرب فضيحة فقال مالك ياشداد ومن له ولد مثل هذا وذمة العرب ما على وجه الأرض من حرة ولا عربية ولدت مثل ولدك والرأى عندى أنك تسن هذه السنة فى العرب وتجعلهم لك تبعاً لأن الفضائل الحميدة تشكر إن لم تكن بدعة ولا منكر وهل المرأة إلا وعاء للرجل يستر منها ما يذر وما هي إلا بمنزلة ظرف يخبأ فيه العسل وإذا أخذ منه يرمى الظرف ولا يستعمل فقال شداد والله يامالك أن ضرب الحراب عندى أهون من هذا الجواب وأريد من إحسانك أن تتمهل على حتى أنى أنظر فى قصتى وأشاور أهلى وأخوتى (قال الراوى) ثم عاد الملك من عنده بلا فائدة وقد هانت نفسه عنده وعلم أنه قد

يلى بقوم غير كرام وقد ضاع مع شداد ما قاله من الكلام وقال والله لو عمل عنتر مهما عمل لا يلام ثم أنه عاد إلى بيته فوجد عنتر جالسا يتقلى فى حسرته فقص مالك عليه القصة وأخبره بما كان ففاضت دموعه على خديه من الأجفان وقد تحسر وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لاركبت على حصان ولا بد أن أكافىء كل أحد بما فعل فى حقى وما منه كان ولا أريد أباً ولا أعمام ولا أجعل لى قريبا وصاحبا ومعينا إلا هذا الحسام والانفراد بهذا الرمح المعتدل القوام فقال له مالك بن الملك زهير اترحل من الديار وأنا موجود والله لأرغمن أنف جميع أعدائك وأبلغك مناك وأجعل روحى فداك ولم يزالوا على ذلك الحال إلى أن غسق الظلام وطلع نجم سهيل ودام (قال الراوى) وكان عمارة بن زياد تلك الليلة عند مالك بن قراد فى دعوته وقد نحر له وشتروا ناوله اليه وهم يتشاورون فى أمر عبلة ومتى يكون دخولها عليه لأنه لم يكن بعد الملك زهير وأولاده من يليق الامارة من بنى زياد إلا الربيع وعمارة وطائفة من بنى قراد وهى أشجع من الطائفتين الباقيتين لأن الثلاثة كما قدمنا وإن كانوا أولاد عم لكن الشجاعة والبراعة والجود والحسب والنسب لبنى قراد ذوى الهمة والعزم قال وما خرج عمارة من بيوت بنى قراد حتى أضاء الفجر وأقبل الصباح وسار يطلب بيته وهو مثل الراح



(قال الراوى) فعندها التقى بعنتر وهو عائد من بيت مالك بن زهير وقد وعده

بذيل أمله وكل خير وشيبوب يمشي قدامه وهو طالب بيت أبيه وأعمامه وكان حول عمارة جماعة من العبيد وقد نال من أبي عبلة ما يريد حيث جاءه بالدر وغبه بالأموال والخير المزيد وأبو عبلة غره كونه من المتصفين بعز الحسب والنسب لكونه وأقاربه من أصحاب الشهرة بين سادات العرب فلما رآه عمارة قال أين كنت البارحة يا ابن زبيبة وأنا كنت عند موالي في أكل الطعام وشرب المدام وكنت انتظرك بين العبيد فما وقعت عيني عليك ولو رأيت لخلعت عليك لأن ساداتك ما قصروا وفينا ولا طلعت من عندهم إلا وأنا لهم شاكر لما فعلوا معي من الأكرام فلو كنت أنت حاضرا كنت أجلستك معي على الشراب فقال له عنتر وقد أخفى الكمد أعلم أيها السيد إني لا آخذ منك الخلعة ولا استأهلها ولا أطاوعك على الأمور كلها إلا أن زفت عليك مولاتي عبلة فعند ذلك أخذها وأثني عليك عند كل أحد ولكن يا عمارة لأخلعن رقبتك من بين كتفيك ويكون هذا أشأم الاعراس عليك وأجعلك عبرة لمن اعتبر بين الخلق والبشر ويلك يا عمارة وأضاقت عليك الدنيا حتى زاحمتني على محبوبتي عبلة وتزوجت بها وتريد أن تظهر سطوتك علي وتفتخر بها وتريد أن تأخذ روحي التي أعيش بها أما علمت يا عمارة أني هائم بها ليلا ونهارا أما سمعت ما قلت فيها من الأشعار الذي سارت بها الركبان والسفار في سائر الأقطار فوالله يا عمارة لأحرمنك شم الهواء وأخلي منك هذه الديار واقطع منك الآثار (قال الراوي) فلما سمع عمارة ذلك المقال أخذه الانذهال وقال ياويلك يا عبد السوء أي شيء هذا الحديث والهذيان وذلك من حماقتك فانك ساعة تطلب لنفسك النسب وساعة تطلب بنات العرب والله يا ابن الملعونة المنتنة الابطين لئن رجعت وذكرت عبلة بين العرب أو طلبت من أبيك الحسب والنسب لعلوت بهذا الحسام رأسك وأخمدت أنفاسك واعجل حتفك وارغم أنفك (قال الراوي) فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وهان عليه عند ذلك شرب كاس الحمام وقال يا عمارة لابد أن تبصر من منايشرب كاسه وتقلع عيناه وتقطع رأسه واعلم يا عمارة يا أرذل ذوي الامارة أنك لا تقدر أن تضرب كلبا ولا تهينه لدى مضربي والخيام ولولا أن بيننا حرمة النسب لعلوت رأسك بهذا الحسام فلما سمع عمارة ذلك زاد به الفكر وجرد سيفه وهجم به على عنتر وهو يقول ياولد الزنا توبخني وتشتمني وتطول علي بالكلام وأنت أقل من عبيدي وأحقر لا كنت ولا مثلك كان ولا عزت بك أوطان ثم أنه طلبه ليقتله فسل عنتر أيضا حسامه وقابله وهجم عليه وصار قدامه يمانعه ورفع يده عليه وأراد أن يوصل الأذية

إليه نصاحت العبيد عليه صاح أيضاً شيبوب ودخل بين الاثنين وخاف عليهم فى عاقبة الأمور من نزول البين ودفع عبيد عمارة عنتره فى صدره وصار عنتر واقفا متحيرا فى أمره وقالوا له ياعنتر لقد غرك عجبك حتى أنك على مواليك يا أى شرك لا بورك فيك والعزى تنشيك ثم وقع الصياح فى بيوت بنى قراد فخرجوا من الخيام وفى أوائلهم شداد ومالك ولده عمرو وزخمة الجواد وأتوا مسرعين وإلى الصياح مبادرين ولما وصلوا إليهم فرقوا بينهم وعظموا قدر عمارة وصاحوا بعنتر وتقدم مالك إلى عنتر ولطمه على رأسه وقال له يا ابن أمة الخنا أبلغ من قدرك أن تضاهى السادات الكرام ياويلك ارجع إلى رعى الجمال هذا وعمارة يقول والله يا ابن زبيبة لئن لقيتك فى مكان خال خارج عن الحمى لأخضبن جسدك بالدما (قال الراوى) ولما نظر العبيد إلى مالك وقد لطم عنترا على رأسه طمعوا فيه وسطوا عليه بالعصا والحجارة وطلبوه من سائر الجهات فأشرف منهم على الهلاك شداد ولم يمانع عنه إلا أخوه شيبوب فإنه جعل يتلقى عنه البلاء المصبوب هذا وعنتر باهت حائر من الحياء والخجل وهو لا يدرى أى شىء يعمل ووصل الخبر إلى مالك بن الملك زهير فأسرع إلى عنتر والسيف فى يده قد بان وأقبل وخلفه جماعة من العبيد وقدامه جماعة من الغلمان وهم يزأرون مثل الأسود وفى يد كل واحد عمود ثم تقدم مالك وصاح فى عنتر ونهره وقال له ياطنجير لم تبذل فى هؤلاء سيفك ياويلك أتظن لك عندهم مقاما فقال له عنتر مولاى وماتريد أن أفعل أفأمد يدى إلى موالى لا فعلت ذلك أبدا ولو نهبوا جسدى بأطراف القنا وسقونى كؤس الردى (قال الراوى) وكان عنتر قد نظر إلى مالك وهو آت حافى الأقدام متوشح بملحفة المنام لأنه لما أتاه الخبر كان طالبا أن ينام ولما رآه عنتر أتى على هذه الحالة جعل يقبل أقدامه ويقول له يامولاى قد أزعجوا خاطرك على مع أنى بالنسبة لانزعاجك لا أساوى شيئا فلا تظن أن وقرنى عن قتالهم خوفا وحذرا من المدد لاوزمة العرب بل لكونهم سادات بنى عبس وقراد وزياد أهل الحسب والنسب وعلى كل هم أولياء نعمتى بالشر والخير خصوصا وقد شملهم إنظار سيدى الملك زهير فكيف يكون لى وجه أن أوقع بهم الهم والضير ولولم يكونوا من قومى وعشيرتى ما أبقيت منهم أحدا ثم أنه حدثه بما جرى له مع عمارة وكيف قامت هذه الغارة ثم إنه صار يمدحه بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

أنت المجير ومفنى الدارعين إذا ثار العجاج على الهندى تعتمد
الخائض الغمرات المهلكات إذا ولى الجبان ونار الحرب تتقد
ياسيدى أنت لى حصن ألوذ به من الأعادى وشكرى ماله عدد

يا كاشف الكرب عنى بالسيوف إذا   جاءت عبيد زياد لى لهم مدد

(قال الراوى) فلما سمع مالك من عنتر شعره شكره ولكن شق عليه ذلك لما رأى الفتنة قائمة وقد انقلب الحى بفرسانه وقد بلغ الخبر إلى الربيع وقالوا له أدرك أخاك وإلا أهلكه عنتر عند ذلك ركب الربيع فى سائر أخوته ومن يعز عليه من عشيرته وأتى له زمجرة وقال ما أردت أن يتعرض أخى لهذا العبد ابن الأمة وأنا قد نهيته فما قبل وقد أهان نفسه مع هذا العبد وفعل هذه الفعال ثم أنه حرك جواده إلى أن أتى إلى مكان الوقعة فرأى أخاه يحرض العبيد على قتل عنتر لأجل أن يسقوه كاس حمامه هذا وعنتر يصيح فيهم ويردهم وعبيد مالك بن زهير قد قتلوا ثلاثة منهم وقتل من عبيد بنى قراد ثلاثة وقتل شيبوب عبد بن لبنى زياد من الصناديد لأنه استظهر عليهما بقوة قلبه من أخيه واعتز وقوى بقدوم مالك ابن زهير ولما أن رأى الربيع ذلك صعب عليه وتحير وكان السيف فى يده مشهر فهمهم وقصد عنتر وأراد أن ينزل به العثر وهو يقول بلغت رتبة العبيد أن تضاهى السادات الأماجيد وان يتطاولوا عليهم فى الكلام ويشهروا فى وجوههم الحسام ثم قال يلزمنا أن نسقى كاس الحمام لهذا العبد ولد الزنا والله لأقتلنه وأبلغ بقتله المرام (قال الراوى) وكان عنتر واقفا ينتظر وهو راكب على ظهر الأبجر وسيفه الظامى فى يده مشهر وأقام ينتظر ماذا يكون من أمرهم ويعتبر (قال الراوى) ثم أن مالك بن زهير لبس أثوابه وعدة جلاده وركب جواده لما رأى الربيع طالبا عنتر ومعولا على أن يضربه صاح فيه فارعبه وقال له يا ربيع لا تكن مثل أخيك رفيع وإلا وحق رب السماء تركت الخيل اليوم تجول فى الدماء ثم أنه تقدم ليقاتله وتأهب أيضا عنتر للقتال وقد حدثته نفسه أن يبذل فيهم الحسام



(قال الراوى) وإذا بالملك زهير قد أقبل فى جماعة من أولاده وفرسانه وأجناده وأتى وهو يركض بالجواد بين الفرسان وهم يصيحون ياويلكم أزعجتم قلب الملك من أجلكم

وقد بلغه صياحكم فأخبروه ما سبب هذه الفتنة (قال الراوى) وكان الملك زهير قد أتاه فى ذلك اليوم خبر من بنى طىء عن يزيد بن حنظلة الذى كوى عنتر قلبه كيا وسبى ابنته أمامه وقتل بعلها ناقذ بن الجلاح وأعدمه التوفيق والصلاح لما كان مع عياض بن ناشب فى السرية المقدم ذكرها وكانت الجارية فى بيت الملك زهير عند نسائه لم يعترها شىء من الضرورة ولكن أبوها فى قلبه من أجلها نار تضرم والعرب تعير أباها بتركها فى الأسر ويقولون له ما قعادك على بنتك وتركها فى الذل والأسر والهوان فما تركت أخذ الثأر إلا جبنا وخوفاً من بنى عبس وعدنان (قال الراوى) ولما ألهبته العرب بالكلام أنفذ إلى قبائل العرب من اليمن واستنجد بالحلفاء ومن هو له مطيع فى ذلك الزمن وقد أرسل لهم الأموال والهدايا فاجتمع عنده عالم لا تعد ولا تحصى بالاتوان ومن جملة من أجابه من بنو عبد المدان وبنو جشع وبنو خشعم وبنو همدان وبنو جديله وبنو قحطان صار يطلب بنى عبس ليخلص ابنته ويكشف عنه لباس العار ووصلت أخباره إلى الملك زهير فركب وهو مشغول القلب بتلك الإشارة (قال الراوى) فلما رآه العبيد أشرف عليهم انكفوا عن القتال وتقدم إليه عمارة وقد تخبلت عمامته فى رقبته وحوله جماعة من اخوته وقالوا له أيها السيد الهمام ما بقى لنا فى أرضك مقام إذا لم تأذن لنا فى قتل هذا العبد الهجام وتريح منه سائر الأنام وقال له الربيع أيها الملك المقدام لولا قدومك فى هذه الساعة لكان أفنى من القبيلة الجماعة وكان السيف يعمل بيننا وتصير مثلا بين القبائل لأن هذا العبد قد كبرت نفسه وداخله الطمع فينا من الأوائل وأنت السبب فى ذلك لأنك قربته إليك ورفعت قدره لديك وكذلك مالك ولدك لا يأكل ولا يشرب إلا معه ونحن أيها الملك لا نصبر على هذا الأذى ولا نقعد معه تحت الاهانة وهو بهذه المنعة فتطمع فينا العبيد أولاد الزنا فلما أن تبعده عنا وإلا فنحن نرحل فى هذه الساعة فقال الملك زهير وما كان سبب هذه الفتنة التى جرت بينكم وقد أقامت هذه المحنة فيكم فعندما أخبره الربيع بأن سبب تلك العلة هى أن عمارة خطب عبلة وكان فى الليلة الماضية يشرب الخمر عند أبيها وأخيها وكانوا يتحدثون فى الأمور التى يمكن أن يدخلوها فيها على عمارة وخرج من عندهم فلقيه عنتر فى الطريق ولما أن لقيه كلمه بغيظ الكلام لما فى قلبه من الآلام وجرد عليه الحسام وذكر أنه يحب عبلة مستهام وقد باح بسره وذكرها فى شعره بين الفرسان العرب وهذه كان هو السبب (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من الربيع ذلك الكلام أن عنتر مظلوم معهم من بين الأنام وانهم لما فعلوا تلك الفعال القبيحات فى طلبهم

عبلة من دون البنات إلا ليزيدوا بها كياده ويطلبوا عناده وطرده وإبعاده وكان الملك زهير قد نظر عنترة لما أقبل عليهم فرآه بعيداً عن المعمعة لا يدنو منهم وهو كالوالِه السكران غير أنه وقف يحفظ نفسه من أعداه فرق قلب الملك زهير له حين رآه وقال إن هذا العبد بين هؤلاء كالدرة المصفاة وقد علم أنهم قد تعدوا عليه لكن ما قدر أن يحاججهم لأجل ما سمع عن شارب الدماء من الخبر وما قد جمع من العسكر (قال الراوى) وأما شاس فإنه من بغضه لعنتر قال لأبيه الملك زهير فى حال وجوده من كان من العرب قد حضر يا أبتاه إن هذا الأمر لا يصبر عليه أحد من البشر وقد فضحنا بين العرب هذا العبد الأسود ومن هذا العبد ولد الزنا حتى أنه يهجم على سادات العرب من غاب أو حضر ويفعل هذا السيد المفضال فغداً يخرق حرمة أفاضل الرجال ثم تقدم مالك أبو عبلة بين يدى الملك زهير وبكى وقال وافضيحتاه واقلة ناصراه أيها الملك أتأذن لى فى الرحيل من هذه الديار ولا اتهتكت ابنتى فى سائر الأقطار ويركبنا الذل والعار ونعاير بهذا آناء الليل وأطراف النهار وإلا أعطانا الآذن أن نقتله لأن هذا العبد قد طغى وتعدى طوره (قال الراوى) ثم أن الملك زهير لما رأى القضية اشتبكت ورأى العبد بينهم قال لهم يا بنى عمى ما تريدون هذه الساعة فقالوا نريد أما قتل هذا العبد ابن الزنا وأما أن تبعده عنا لنزول ما بيننا من الشر والعنا فقال الملك زهير أما أن اقتله فلا أطاوعكم عليه ولا أمد يدى بسوء إليه لأنه دخل بيتى وأكل زادى ولو كان غريباً وأكل طعامنا فلا نمد أيدينا إليه بأذى ولا ضنى وأما قولكم نبعده عنكم فهذا أمر ما هو لى بل لأبيه شداد وهذا كله يجرى ومالك بن زهير واقف قدام أبيه وكلما أراد أن يتكلم يرى المبغضين لعنتر أكثر من محبيه هذا كله يجرى وعنتر واقف يتقصص ولا يدرى كيف يفعل لأنه أن غضب عليهم ورحل عنهم يخاف أن قلبه لا يطاوعه على بعده عنهم لأجل بنت عمه عبلة ويعلم أنه لا قدرة له على فراقها لأن هواها فى قلبه شديد وسلطان محبتها عليه عنيد وأن بذل سيفه فيهم وشفى فؤاده منهم لم يلقاه وجه يرجع به إلى الحلة ويحرم النظر إلى وجه عبلة فمن أجل ذلك صبر على جورهم وتفكر فى نفسه فما وجد للعشاق إلا الصبر فإنه لهم ترياق (قال الراوى) ثم أن الملك زهير استدعى بشداد إليه فأجابه وتقدم بين يديه فقال له اعلم أن هؤلاء القوم قد تعاونوا على قتل عبدك ويريدون أن يفعلوا به فعلا مذموماً وهذا أمره بيدك فافصل بينهم بما تريد وأنا على ما تحكم به شهيد وكل منكم إذا تعدى طوره كنت أنا خصمه وطلبت غوره فقال شداد أيها الملك الذى أقول فإنى والله قد احترت فى هذا الأمر المهول أما أخى ابن أمى وأبى فما أقدر أن اغضبه وهذا الولد ما هو ممن يستحق

الضرب حتى أضربه لأنه اليوم يعد نفسه من الفرسان رصار له شأن وأى شأن وما بقى فى الأمر إلا طرده وإبعاده ويرجع لما كان عليه من رعى الجمال مع الغلمان وتمنعه من ملاقاة الأبطال فإن بنى عبس بوجودك عن قتله غيبون وامنعه عن النطق بالأشعار وعن التكلم مثل فرسان العربان بقليل وقال وإن خلع عن جسده ثياب الصوف أوردته كاس الحتوف وأخرج هذه الحماقة من رأسه فقال الملك زهير ياشداد أحضره حتى يسمع كلامى واشرط عليه هذا الشرط قدامى وافصلوا هذا الأمر أمامى فعندها استدعى شداد بعنتر وكان بالبعد عنهم راكباً جواده الأبجر وهو على ظهره كالنسر المعمر فلما دعا به ترجل وسعى إليه وقبل يديه بحضرة الملك زهير وقد فاض الدمع من عينيه وأذله العشق الذى أذل الجبابرة وقهر الفرسان ولما رأى عنتر نفسه أنه مغلوب أعانها بدمعه المسكوب لأن الانتحاب للعشاق يطفىء نار الكروب ولذا قال بعض العشاق هذه الأبيات صلوا على سيد السادات:

كم دمعة طلت من جفن منتحب فزال عنه الضنى والهم والكرب
وزال عنه غـــرام كان متقدا بين الضلوع ونار القلب تلتهب
وما له مسعف ياصاح يسعده غير الدموع على الخدين تنسكب

(قال الراوى) هذا ثم أن شداد قال لعنتر لما سمع من الملك زهير ذلك الكلام ويلك ياعبد السوء ها أنت قد سمعت ما جرى من أجلك من هذه الفعال فارجع إلى ما كنت عليه من رعى الجمال وإلا جعلتك قتيلا وعلى الأرض جديلا على كل حال فلما سمع عنتر كلام أبيه وما به أوعده من ذلك المقال يامولاى افعل بى ما تريد واحكم على حكم الموالى على العبيد والعبد ماله غير مولاه إن أبعده أو أدناه وأنا أشهد على نفسى انى من اليوم فصاعداً قد امتثلت أمرك ولا أقصر عن خدمتك ولا أفارق رعى الجمال وأكون على حفظ أموالك واعياً ولا أركب جواداً ولا أجرد حساماً مع الأبطال ولا أنطق بالشعر أبداً ولو شربت كاسات الردى مع الانذال فعند ذلك شهد عليه الحاضرون وكذلك الملك زهير وانطفت نار الحرب بعد الايقاد وقد شمتت بعنتر الأعادى والحساد وكان أكثرهم فرحا عمارة والربيع بن زياد (قال الراوى) ثم إن الملك زهير قال يا بنى عمى الآن خذوا أهبتكم للقتال واعتدوا من اليوم إلى غد حتى أنى أسير بكم إلى ديار من أنى يطلب دياركم وقتل أولادكم ونهب أموالكم قال فلما سمع الحاضرون ذلك القول داخلتهم الحمية وامتلت بأعطافهم النخوة الجاهلية وقالوا أيها الملك من بلغك أنه سائر إلينا من ملوك الزمان وفرسان الأقران ومن هو الذى أقدم على هذا الأمر العظيم ونحن بنو عبس نقمع كل لئيم المعروفون بين الأنام الملقبون فى الحرب بفرسان المنايا والحمام فعندها

أخبرهم بما بلغه عن بنى طىء وما جمع عليهم بن حنظلة الملقب بشارب الدماء ومن أطاعه من القبائل ثم قال لهم الملك زهير يا بنى أعمام ومن اعتمد عليهم بين الأنام أنتم تعلمون أن بنى طىء جمرة العرب وقد انضاف إليهم جماعة من العربان ومن يدعى الشجاعة من فرسان الزمان وأن أميمة بنت سيدهم شارب الدماء عندنا فى أعز البيوت الملاح وعنتر كان قد قتل بعلها ناقد بن الجلاح وهذا سبب تجمعهم علينا والاتيان لقتالنا وأعظم الناس من يحارب فى دياره وقد عولت على أنى أسير بكم إليهم وأكر بكم عليهم وأدهمهم فلا أحد منكم يبيت إلا وهو مستعد للرواح فلما سمعوا ذلك أجابوا بالسمع والطاعة وتفرقوا على ذلك ليعلموا أصحابهم ومن كان غائباً عن الجماعة وقد علم عنتر أنهم سوف يحتاجون فدخل على زبيبة فوجدها باكية العين عليه بما وصل من الأذية إليه فقال لها دعو هذا البكاء والأنين ورب زمزم والحطيم ومقام أبينا الخليل إبراهيم لأبلغن مناى ولآخذن عبلة على رغم أنف بنى زياد وأكمد الأعداء والأحساد وأبلغ بحد حسامى هذا المراد فقالت له أمه يا ولدى أما عبلة فهى لك أمة وهى لك تريد على كل حال من دون العباد وكانت عندى فى هذا اليوم وقت أن خلت البيوت من الرجال عنده ما اشتغلم فى القتال ورأيتها تبكى على ما جرى عليك وتتوجع على ما توجه إليك وقالت لى طيبى قلبه وفؤاده ولا أنا لا أنسى جميله ووداده ولا أطاوع أبى وأعطيه مراده ولو قطعنى بالحسام (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام انشرح وفى مثل هذا يقول :

ولست أبالى سخط من لا أريده ۞ إذا رضيت عنى حبيبة مهجتى

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أمر عنتر عند ذلك أخوته أن تسوق الجمال والنياق إلى المرعى بعزم شديد وكان الحى أصبح يموج بقطانه كأنه البحر إذا لعب به عواصف الرياح مع لمعان القنا وبريق الصفاح وما انتصف النهار حتى خرجت وما بقى من العشيرة إلا نفر قليل وقد ركب الملك زهير قدامهم وهو كأنه الأسد الغضنفر وهو غائص فى الحديد ونشر على رأسه رايته العقاب ودارت به أصحابه كغيث السحاب فلما رأى الملك زهير البرق هج بالحديد فرح فرحاً شديداً وخاف أن يسير بهذا الجمع فيتخلف فى الطريق وتأتى الأعداء إلى الحلة فيعدموها التوفيق فترك فى الحى والدهشا سافى خمسمائة فارس من كل ليث عارس وشد عضده بأخيه قيس وكان من الرجال الأجواد لما يعلم فيه من الرأى والعقل السامى وكانت العرب تسميه قيس الرأى وكان لعقد الرأى معتاداً ثم أنه

الملك زهير أوصى شداد وأخويه مالكا وزخمة الجواد وكانوا فى جملة المقيمين عند الحريم والأولاد (قال الراوى) ثم سار العسكر وكان جملتهم خمسة آلاف فارس وهم طالبون الأعداء وقد امتلأت بهم البيداء وقد ركبوا الخيل العتيق وساقوا خلفهم النجب السباق واعتقلوا بالسمر الرقاق وافرغوا على جسمهم الزرد المطليات (قال الراوى) هذا ما كان من الملك زهير (وأما ما كان) من بنى طيء فانهم ساروا من حيهم ورحلوا من ديارهم فى ثمانية آلاف فارس من كل بطل للحروب ممارس والكل للدروع لابس (قال الراوى) لهذا التبيان وقد كان حساب الملك زهير الذى حسبه من ذكائه وخبرته بأحوال الزمان وافق ما خطر له فى الجنان لأن بنى عبس وبنى طيء ما اختلفا فى الطريق لسعة البر وكان الأسبق للديار بنى طيء لأنهم وصلوا بعد خروج بنى عبس من الحى وكان وصولهم فى الصباح وقد ملؤا تلك الأرض والبطاح ولما نظرهم الرعيان عادوا على أعقابهم وردوا الأنعام الى الأحياء بجميع الدواب ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ودخلوا من أقطار الحى وأخبروا بقدوم بنى طيء فنفرت الابطال وتسارعت الاقيال وركب شاس وأخوه قيس وخرجت الفرسان وأخذوا فى ترتيب الصفوف ورفع الستار واعتدوا المعاناة الحرب والطعان ليمانعوا عن الحريم والأولاد والعيال وركبت أبطال بنى قراد وفى أوائلهم شداد واخوته مالك وزخمة الجواد وما بعدوا عن الحى والخيام حتى طلعت عليهم خيل بنى طيء من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب وظهرت الخيل والجنائب وارتجت الأرض من شدة الغياهب ولمعت الأسنة فى القنام اعب الكواعب وحجبت الشمس بنورها الثاقب ولما رأى قيس هذه الأمور العجائب قال لأخوته والله إن فراق أبى ما كان صائب ولا بقى ينجينا إلا الضرب بالسيوف القواضب وإلا نهبت أموالنا وافتضح بين القبائل العرب نساؤنا ثم أنهم تأهبوا للقتال وتقدمت الأبطال وتقاربت الرجال من الرجال هذا وعنتر قد أبصر الأبطال وتلك الأهوال ففرح بذلك الاشتغال وقال وحق الإله المتعال لا بد وأن أدرك اليوم ما أشتهيه من بلوغ الآمال ثم أتى إلى أخيه شيبوب وقال له ويلك يا أخى ما الذى تشير به على أن أفعله من الفعال فقال له شيبوب اقبل منى ما أقول لك تبلغ المأمول وتنال أنت شرف النسب وتعد من سادات العرب وإن لم تنل اليوم ما تريد فلا تزال من جملة العبيد فقال له يا أخى قد استشرتك فى هذه فاخبرنى ما الذى أعمل وما الذى ترى فيه الخير من الأعمال فقال شيبوب الرأى عندى انك تأخذ قدامك قطعة من النوق والجمال وتقصد بها بعض التلال حتى ترى ما يكون من الفعال ولا تزال على الجبل حتى تنظر ما يقع بينهم من العمل فأنا أعلم يا أخى ان أصحابنا ينكسرون وإليك يحتاجون فلا تركب جوادك حتى أن أباك يلحقك بالنسب ينكمد عدوك ويزيد به العطب ويشهد أبوك على نفسه أنك

ولده وقطعة من كبده وإن لم يفعل فلا تركب جوادو لا تحضر حرباً ولا جلاداً ودم واقفاً في الموضع الذي أنت فيه ولا تغيره وقل له يا مولاي أنا من جملة العبيد وما جرت العادة أن العبيد تقاتل السادات الأماجيد وبالأمس منعتني من ركوب الخيل وأشهدت على سادات العرب وليس لي أن أخالف أمرك ولا أقلع عن بدني ثياب الخدمة لك وأكون بين يديك كالعبد الصعلك (قال الراوي) فلما سمع عنتر من شيبوب في ذلك الكلام ورآه صواباً فرح به غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أخذ العصى بيده وساق الابل قدامه وجعل ينتظر ما يجري والابل سائرة أمامه حتى تعلق في ذيل الجبل فوقف على رأس العلم وشيبوب قائد له الأبجر قدامه وعلق بالسرج لجامه وسلاحه وسيفه الظامي ، وأخذ الرمح واعتقل به على كتفه ولما تعالت الشمس انتشب الحرب بين بني طيء وبني عبس وشيبوب يقول لعنتر هذا اليوم يومك وسيفرح قلبك وقد أتت بنو طيء مثل قطع الغمام وقد التقتهم بنو عبس وطاب لهم الحمام وجرى الدم وسال حتى بل الرمال وقدار تجت الأرض تحت الاقدام وارتفع الغبار وقد علم الأعداء أن الملك زهير غائب فتوقوا على بني عبس من كل جانب وأعملوا فيهم القنا القواضب وهم صابرون صبر أولاد المراتب وقد اختاروا على الحياة شرب كاس الممات وضعفت منهم الأصوات وتكاثرت عليهم الكربات وغمرهم كثرة العدة وأبهرهم زيادة المدد وزاد الكرب على الفرسان وصبر على حربهم الشجعان وكلت الابدان من الطعان وثبتت الكرام وفرت اللئام وعلا على رؤس الطائفتين القتام وانقطع من الفريقين الكلام وصهلت الجياد وصالت الأجواد وظهر العناد وتفطرت المرائر والاكباد وخفق من الرجال الفؤاد ورجع بنو عبس إلى الخيام وجرح قيس بن الملك زهير وقاسى هو وجماعته كل هم وضير وأعطى بنو عبس للأعداء أكتافهم وقد ايقنوا بدمارهم وهلاكهم وصار الغبار يعمل بين الأطناب وداست في بطون القتل الدواب وخرجت من البيوت الكواعب الأتراب وانكشف وعنهن الستر والحجاب وهن الذوائب ناشرات ولأثوابهن مخرقات وينادين بالويل والثبور وعظائم الأمور ويكثرن الانتحاب ويشققن الاثواب ويصحن في الفرسان ويرددنهم إلى الطعان وهم لا يسمعون منهن كلاماً ولا جواب واختاروا العار على ضرب الرقاب وزعق فيهم بوق الشتات والخراب فعندها قال مالك أبو عبلة لأخيه شداد وقد جرح في موضعين وحل به البلاء والشين يا أخي أين عبدك عنتر ولم لا حضر في هذا اليوم المنكر قال الراوي فلما سمع شداد ذلك المقال من أخيه قال له يا مالك أنت ما أبقيت لنا مع عنتر أمراً ولا حالاً فدع عنك هذا الجدال فوالله الرحمن الرحيم الملك المتعال لو كان عنتر معنا اليوم في هذا القتال لكان لنا حال غير هذا الحال ثم أن شداد التفت فرأى عنتر واقفاً على العلم السعدي وهو

يضحك على بني عبس وينظر ما حل بهم من الدمار وأخوه شيبوب قدامه يرقص بالمزمار فعندها همز شداد جواده وما صبر حتى صار قدام أبي الفوارس عنتر وقد لحقه ما لك على



الأثر ولما صار شداد عنده صاح فيه ألا يا عبد السوء يا صاحب العقل الأزور ألا تنظر ما أصاب بني عبس من الأذية والضرر بين الأنام من الأعداء اللئام فقال عنتر يا مولاي وما الذي أصنع لو أن يدي طائلة لكنت لأعدائكم أدفع فاني يعز على ما جرى فيا ليت لي قوة وعقلا سديداً لا بلغ به ما أريد ولكني عبد من جملة العبيد لا قدر لي ولا قيمة عند بني عبس الأماجيد وحيث كان أمري عندكم هكذا فاريد أن أعيش وحيداً أو أساق مع الغنيمة فكل من ملكني من السادات خدمته خدمة العبد للسيد في جميع ما يطلب مني وأخرج له الزبد والسمن حتى لا أهان ولا أباع ثم إن عنتر ساق الجمال وترك أبوه وأعمامه واقفين فاغتاظ أبوه شداد وزعق عليه حين رآه غير معتن بكلامهم ولا مكترث بقدرهم وقال له ويلك يا ابن الزنا لأي شيء عدم الاعتنا أمجنون أنت أم مسحور يا ابن الزنا فقال عنتر يا مولاي وما الذي تريده أرأيت أحدا من السادات الأماجيد يطلب النصر من العبيد ويترك السادات الممدودين (قال الراوي) فلما سمع شداد من عنتر ذلك زاد به الغيظ وأظهر الكتمان وقال له ويلك صبرت وقدرت وأنا أعلم أن قلبك علينا من الغيظ ملآن وبما جرى عليك منا غضبان ولكن أحمل معنا على الأعداء وكر وأنت بعد اليوم حر فقال عنتر يا مولاي أنا قد

فأكدت فى اليمين إنى ما بقيت أركب جوادو لا أحضر حرباو جلادو لا بقيت أعانى القتال ولا أركب أنا بين الرجال ولا اعدروحى من الأبطال ولا أزال أرعى الجمال وأريح قلبى من القيل والقال وكل من ملكنى كنت له مملوك وأعيش بين يديه كما يعيش الفقير الصعلوك فقال له شداد ويلك لا تفعل فانك إلى محتاج فاركب وقاتل معنا اليوم وأنا ألحقك بحسبى فقال له عنتر يامولاى ماأعرف هذا الكلام ومعناه على خفى غير مظنون ولا أعرف الحسب كيف يكون ولا أنا يامولاى على هذا الأمر مغبون فقال شداد قد أقررت بأنك ولدى وخرجت من ظهرى ثم تقدم مالك أبو عبلة وقال له ياابن أخى أحمل على هؤلاء العدا وقد ألحقناك بالأنساب وخلص قومك من العذاب فقال عنتر يامولاى أنا أعدروحى بأقل العبيد وقد صح عندى أنه لاقدر لى عندكم ولا قيمة وأريد أن يكون محرورا مع الأعداء فى الغنيمة فلا بد لكم من سبيكم وإن أخذونى وصرت عندهم ففى ذلك الوقت أريكم من يكون الراجح وأى شىء أريده أفعله معكم فقال له مالك أرجع ياأبا الفوارس وأنظر إلينا نظرة الحارس (قال الراوى) كل هذا يجرى بين عنتر ومالك وشداد وإذا بخيل اليمن قد دخلت البيوت وقد قلعوا الأوتاد وأخرجوا النساء والبنات واشتفى منا الأعادى والحساد وخرجت سمية والمدلله وشريحة والجمانة وعبلة وما فيهن إلا من تنادى بالويل والثبور وعظائم الأمور وكانت أشدهم خوفا وذلة بنت مالك حائزة الجمال عبلة وقد سباها رجل جبار يقال له سوار وكان طول عمره يسبى النساء والبنات الأبكار وهو الذى كسر بنى عبس فى هذه النوبة وأحل بهم البلاء وأخذ عبلة وسحبها سحب الأمة فى الذلة والقلة وهى تلطم وجهها وقد خضبت خدودها بالدماء وفاضت دموعها كفيض الماء وأخذت أيضاً أمها وقد جرح أخوها وأبوها. فلما نظر مالك إلى بنته وقد سبيت زوجته قد انهتكت فاضت دموعه مثل السحاب وذل عند حلول هذا المصاب فأقبل إلى عنتر بلسان الأذلال لما رأى من تلك الأهوال وقال له ياأبا الفوارس أما ترى إلى بنت عمك وهى تنساق سوق الأماء وكيف هى فى يد الأعداء وأنت ياأبا الفوارس قد عودتها بالحمى على طول المدا فلما سمع عنتر مقاله ورأى ذله وعلم سؤاله قال له يامولاى لم طرحت نفسك على عمارة الوهاب وسألته أن يخلصها من السبى والارتياب ماهو قد تزوجها وقد أخذته لك صهراوحمى فقال ياابن أخى أن عمارة فى هذه النوبة قد أثخن بالجراح وبكى على نفسه وناح فعندها قال له عنتر لما رأى ذله بين يديه أن حملت فى هذه الساعة وبذلت روحى فى هواها وخلصتها من بلاها أتشهد على نفسك أنك تزوجنى إياها فقال له مالك من شدة ماأصابه أى وحق من خلق الجبال وأرساها ودحا الأرض وسواها إن اجتهدت

وخلصنها من النوائب وفرجت هذه الكربة من الأهل والأقارب لأكونن لك عبدا وهي لك أمة قال فلما فرغ مالك من حديثه والأقسام حتى تقدم شيبوب بالأبجر وقال الآن ما بقي على أبيك وعمك ملام فاركب الساعة وابذل المجهود وتوكل على الملك المعبود فها أنت قد بلغت المقصود فاقبل مني ما أقول لك عليه فعندها قام عنتر وتقدم ولبس عدة الجلاد وقد زالت من قلبه الأحقاد وقد نظرت إليه الفرسان الأجواد وقد أخذ على عمه العهود بأن لا يخون ثم أن عنتر أفرغ على جسده الزرد وبسيفه الظامي تقلد وأخذ بيده رمحه الأملد



وتحدر من الرابية وهو يهمز همزات الأسد وقد اشتد به الغضب على الأعداء وحمل وقد طلع من شدقه الزبد ثم ترنم وقال بعد الصلاة والسلام على من أجار الغزال :

ستروني اليوم فعلى انني فارس الهيجاء ذو عزم قوى
وشجاع في الوغى لا أنثنى عند وقع التاج من رأس على
وأخوض الحرب لا أخشى لطعن بل أنا المردى برأس السمهرى
وارد الخيل قسرا ناكصات فوق ظهر الأبجر السامى البهى
ويرى الأعداء فعلى حين حربي وكيف أرديهم بحد المشرفى
سوف ترين ياعبلة صدامى وأسق السيف من هام الكمى
وستعودين يا ابنة العم نحوى برغم الحاسد الكلب الغوى
ويطيب العيش لما أن أراك في غوانى الحي كالبدر المضى
ثم أرديهم على الأعقاب منهم وأرد الخيل في القاع السوى

وقد الهام بالهنــدى ضربا وأذيق القوم موتا بالظمى
بحسام أبتر فى الجسد ثابت ليس ينبو ثم رمح سمهرى
وأروى من دم الأبطال سيفى ورمحى فى البكور وفى العشى
فلى ضرب شديد الوقع عالى يحير الأبطال عن داء دوى
أترى ياعبلة هل يصدق أبوك ويوفى الوعد بالفعل الرضى
وأحظى بالذى أملت منه بثغرك ذلك العذب الهنى
وإنى قد بذلت اليوم جهدى أقد البيض بالضرب القوى
وأرد فرسانا أتونا عنوة فعل ضرغام شجاع قوى
وأقيم الحرب فى الأعداء طرا فعل ليث وهمام ما جدى
وأرد السبى من حوز الأعادى بقتل وطعان السمهرى
ويكون الذكر لى بين البرايا كل قوم وزمان أبدى
وأنا من خير عبس أبى المعالى ولى فخر بعزمهم القوى
أنا المشهور حقا يوم حرب أنا بطل ولى عزم الكمى

(قال الراوى) ثم أن عنتر صاح بعد نثره ونظمه وأكب رأسه فى قربوس سرجه وحمل عليهم وجعل قصده الفارس الذى سبى عبلة وكان خرج بها من الحلة وهى تنادى فلم تجد لها نصيرا وهى تقول أين عينالك يا ابن زبيبة فلما سمعها عنتر انقض على الفارس انقضاض الأسد وأراد قتله فخاف أن يضربه فتصل الضربة إلى عبلة فيهلك الاثنان بالجملة فطرد الجواد حتى ساواه وطعنه فى صدره فمال عن الجواد يخور فى دمه وساق عبله راكبة على الجواد قدامه وقد سقى الفارس كاس حمامه هذا وعبلة فزعت من هول ما عاينته من ضربته وما هدا روعها حتى أنها عرفته وهناها بالسلامة وسلمها إلى أبيها وهى فرحانة بسلامة نفسها من الردى وخلاصها من أيدى العدا ثم أن عنتر عاد بعد ذلك إلى الغبار وانصب عليهم انصباب الأمطار وجعل قصده بنى كندة لأنهم أكثر عددا وأقوى مددا فنكب أقيالهم وفرسانهم وقتل حماتهم وقد أخرجهم من الخيام وردهم منهزمين على الاعقاب وسقاهم من الموت أخبث الشراب وفرقهم بين الهضاب ولما خلت المضارب من الرجال وقد هلكت الفرسان وهربت الاقران ونظر الأعداء إلى عنتر وقد فعل تلك الفعال وقد نثر الأبطال وصال فيها وجال وشيبوب يدور حوله بالنبال كأنه السرحان القتال فلما رأت بنو عبس ذلك الحال تراجعت بنو قراد إلى القتال وفعلوا فعل الرجال الأبطال فعندها ولت بنو كندة وقد رمت ما كان معها من الأسلاب وتهاربت كما تتهارب الغنم من الذئاب ولما رأى عنتر أن القوم

ما بقي لهم رجعة إلى القتال ترك بني قراد تحمل في أعقابهم تأخذ الأموال وحرق تلك الناحية التي فيها بنو طيء وكانوا قصدوا أبيات الملك زهير من دون بيوت الحي لأجل أن يخلصوا أمامة بنت سيدهم فإنها كانت هناك ماسورة فخلصوها ومن هناك أخذوها وعلى الخيل العتاق اركبوها ومن الحي أخرجوها وبردت عند ذلك نار أبيها وحين خلصها أبوها من الضير سبي حريم الملك زهير وحريم أولاده وقلع المضارب بكل ما فيها وقتل حضارة وعاد هو وبنو عمه طالبين ديارهم ومعهم السبي والأموال فتلقاهم ابن شداد الليث الغضنفر بضرب لا يبقى ولا يذر فطلبوه وازدحموا عليه فزعق فيهم ففرقهم وطعن فيهم حتى مزقهم هذا وبني عبس قد بلغوا امرادهم وقويت بعنتر قلوبهم وأكثروا عند ذلك زعيقهم ونادى لهم بالنصر المنادي ورجعت الفرسان من كل شعب ووادي ورجع شاس وقيس بعد ما التجئوا إلى الشعاب وقويت قلوبهم على الطعن والضراب وأبصر شاس فعال عنتر بالأعدا وقد سقاهم كؤس الردى ونظر إلى حسامه قد لمع تحت الغبار والصياح من حوله قد ارتفع وصوته كالرعد القاصف إذا تقعقع فقال لأخيه قيس أما ترى إلى هذا العبد ولد الزنا كيف تقاعد عن القتال إلى هذه الساعة حتى أنه يظهر عزه وذلنا وأنا إن لم أقتله وأبلغ المقصود أمت من الغيظ وأنا مكمود فقال قيس فاي شيء في نيتك تعمل فقال لا بد لي من قتله على كل حال ما دام أنه مشغول في القتال فإنه أن عاد سالما إلى الحلة لا بد لأبيه أن يدخله في أنسابنا بالجملة فقال قيس إذا كانت هذه أفعاله فلا ينبغي قتله فإن شاع عنك هذا الخبر ووصل إلى الفارس عنتر وأنك تريد به تلك الفعال فإنه يوقع بك النكال وربما يصل منه إليك خير في حال من الأحوال فاسمع مني ولا تعادي رجلا مسعودا فتموت مكمودا وانظر كيف هو في مقام الأخطار وقد فادى عن الحريم والعيال حتى خلصنا من نائبات الوبال وعمل عملا ما تقدر عليه صناديد الرجال ولم يزل قيس يراجع أخاه حتى رده عما عزم عليه واشتهاه ثم حملت الصناديد الثقال وأعانت عنترة على ما هو فيه من القتال فعندها زاد الحرب في الاشتعال وجرى الدم وسال وبان الصدق من المحال وكثر الضجر والملام وتقدم الشجاع وجال وقد اجتهد قيس أن يصل بفرسانه إلى عنتر فلم يقدر من كثرة الزحام وسارع عنتر في طلب فارس بني طيء ربيعة بن فياض وما زال عنتر يطلبه حتى أدركه في المجال ورمى بروحه عليه فطعنه فخرق أمعاءه مع ما هو متحصن به من لبس الحديد فانقلب عن ظهر الجواد كأنه طود من الأطواد ومن بقايا قوم عاد قال ولما نظرت بنو طيء إلى هذا الطعن المنكر رجفت أجسادها وردت سيوفها في غمودها وولت هاربة تطلب بلادها وتركت ما كان معها من الغنائم وتخلت عن سبي المحارم وهرب شارب الدماء ولم ينل سوى

ابنته ذات البهاء فأخذها وسار طالباً دياره وقد تبعه رجاله وتبعهم بنو كلاب بن وبرة وكانت عليهم ايشم سفرة وانكسروا قدام عنتر كسرة وأى كسرة لأنهم قد تفرقوا فى الأرض



وعنتر يضرب فيهم بالطول والعرض وبنو عبس قد بدلت فيهم رماحهم إلى أن بعدوهم عن الديار وعادوا راجعين إلى الأوطان ونالوا الأوطار وعنتر بين أيديهم كأنه الأسد الأدرع ثم أنه أقبل على بنى قراد وهنأ عمه مالكا بالنصر وأباشداد وقد زالت من قلوبهم الضغائن والاحقاد وقربه أبوه بعد ذلك البعاد ومحا بياض فعاله ذلك بالسواد وظن عنتر أنه قد نال المراد ولم يعلم أن فى باطن عمه الحسد والأحقاد وعنتر قد ساد بهذه الفعال على كل الرجال ولما قدر أى ماقد حصل له من الاكرام أنشد وقال :

عقاب الهجر أعقبنى الوصالا ... وصدق الصبر أظهر لى المحالا
ولولا حب عبلة فى فؤادى ... مقيم مارعيت إذا جمالا
عتبت الدهر كيف يذل مثلى ... ولى عزم أقد به النصالا
أنا الرجل الذى خبرت عنه ... وقد عاينت مع خبرى الفعالا
غداة أتت بنو معن وطىء ... تهز أكفها سمرا صقالا
بجيش كلما فكرت فيه ... حسبت الأرض قد ملئت رجالا
فداسوا أرضنا بمضرمات ... حسبت صهيلها قيلا وقالا
فولت جفلا منى حيارى ... وقتلاهم على البيد أجدالا
ومارفعت ذوى الأحساب ضيما ... ولا سمعت لداعيها مقالا
ولا رد الفوارس غير عبد ... ونار الحرب تشعل اشتعالا

بطعن ترعد الأبطال منه لشدته تجنبت القتالا
صدمت الجيش حتى مل منه وصدمى وجدت له ملالا
فولوا بالخيول غدا هزاماً خفافا بعدما كانت ثقالا
تدوس على الفوارس وهى تبدو وقد جعلت جماجمها نعالا
وكم بطل تركناه طريحا يحرك بعد يمناه الشمالا
وخلصت العذارى والغوانى وما أبقيت مع أحد أعقالا
بطعن الرمح والسمر العوالى بهم أرمى على الغى الرجالا
ولى سعد علا فوق الثريا وأخرق حجبها لما تعالا
وأنى عنتر حامى ذمامى بسيف لاترى فيه أنفلالا

قال الراوى ففرح عندذلك شدادوقال لأخيه ياأخى لابد أن يرتفع قدر هذا الولدعند سائرالبشرمنالبدو فقال أبوعبلة بمكره الآن ياأخى كانالذى كان ثم أنهمدخلوا إلى الحى والإماءقدامهم تدق بالدفوف ودارت النسوان بعنتروهوعائدفدعوا له بطول العمروالبقاءوالنصرعلى الأعداء وقد زادت فىقلب عبلة محبته وعلت فى العشيرة منزلته ودامت عندهم الولائم واستمرعلى ذلك الحال خمسة أيام وهم فى فرح وسرور فبينما هم كذلك وإذاهم بالملك زهيروقد قدم وهوطائر العقل لايصدق أن يرى حيه سالما لأنه قد سمع أن الأعداء خالفوه فىالطريق ففزع على خراب الديار وعادراجعا بعسكره فرأى قومه آمنين فرحين ورآهم فرحين ورآهم لعنتر شاكرين وهم يثنون عليه ثم أن عنتر ركب إلى لقاء الملك زهيرولما وصل إليه ترجل وقبل يديه وقبل ركابه ويديه فانحنى له الملك زهير وقبل رأسه وبين عينيه وهنأه بالنصرعلى الأعداءثم أنه أمره بالركوب على جوادمن جنائبه فركبه وسارالملك زهيرحتى وصل إلى أبياته وعنتر بجانبه وقدظهرت فى وجهه الأفراح وزالت عن قلبه الأتراح وباتوا تلك الليلة فى هناء وانشراح حتى طلع الصباح وأمرالعبيد بنحر النوق والأغنام وأن يروجوا الطعام وكانت تلك الوليمة لهاقدر وقيمة وفرح بذلك فرسان القبيلة واستبشر أبطال العشيرة بتلك الأمور وكان أقرب الناس إلى الملك زهيرمن دون العباد الأمير بدرالدولة عنتر بن شداد لأنه فى ذلك اليوم زاد فى إكرامه لأجل ماسمع عنه من الأعمال وكيف صان الحريم والعيال فزادغيظ شاس وقد داخله الوسواس حتى كادت نفسه أن تزهق وشمتت منه الحواس ثم أن الملك زهير سأل شدادفاخبره أنه ألحقه بالنسب حتى أنه زال عنهم الكرب ولما سمع ذلك شاس ظن أن

قلبه النهب و تفكر عنتر وكيف أنه تغافل عن القتال حتى وصل إلى هذا الحال وصار له الذكر بين الأبطال فقال شاس يا شداد كيف يجوز أن نلحق عبد النسب فقال قيس والله ماقصر عنتر فيما فعل وأنه يستحق أن يعمل فى حقه أوفى من هذا العمل فقال زهير ياشاس لا تتكلم بكلام الحسد وتدخل بين الوالد والولد لأن هذا الأمر مالك فيه نسب وكل القبيلة تعلم أن عنتر ولد شداد إن شاء أن يلحقه بنسبه وإن شاء يبعده وأنه ولد قد فاق على سائر الفرسان وقهر العربان وفرسان بنى قحطان وصان أموالنا والأولاد وله زيادة على ذلك قوة وبراعة وفصاحة وشجاعة وإذا افتخر علينا كان يحق له الافتخار لأنه يرفع قدرنا ويدفع عنا كل أذى فى القبائل والأمصار ويقبل كل ما أمرناه ونحن نمهله ولا نلتفت إلى ماأراده ويتمناه قال الراوى وكان الملك زهير يقول هذا الكلام وعنتر يقبل الأرض ويدعو له بطول البقاء والدوام ثم قال يامولاى لا تؤاخذ مولاى شاسا بما قال من الكلام لأنه قد تألم قلبه من الحاق بالنسب فانا لا أغيظ سيدا من ساداتى وفى غد أرحل إلى بعض إحياء العرب واتخذه مسكنا ووطن فاما أن أبلغ ماأريد أو أنى أشرب كاس الحمام ولا أقيم بدار ذل وهوان ولا أعادى منهم على الاحسان وقد فنى عمرى وقل صبرى وإنى قد قلت لكم مافى صدرى ولولا إنتظارى لهذا اليوم رجائى فيه فيض الواحد العلام لما صبرت على هذا الضيم والخصام وهذا كله من أجل بنت عمى عبلة وكرامة لها والساعة قد بلغ الأمر منتهاه وقد وعدنى عمى بها وسبق لى منه كما ذكرت خطبها ولكنى ما أطلبها إلا عن أذنه ورضاه وإن كانت لا ترضيكم هذه الفعال ولا يعجبكم هذا المقال فأنا أتخذ لى بعض المنازل سكنا وأقيم على بعض المناهل وأجعله لى وطنا وأتجرد بعد ذلك لنهب الأموال ورمى الفتن وأخذ النوق والجمال وأسر النساء والعيال وأخلى الأرض من السكان وأعيش عمرى بلا صاحب ولا خليل ولا أقارب وأهجر الأهل والحبايب ثم بعد ذلك انحدرت الدموع من عينيه وكاد من الغيظ يغشى عليه فانه تأوه وأنشد يقول صلوا على الرسول :

دع ذكر عبلة والزمان الأول ... وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا بليت بظالم كن ظالما ... وإذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل
واختر لنفسك منزلا تعلوا به ... أو مت كريما تحت ظل القسطل
والموت لا ينجيك من آفاته ... حصن ولو شيدته بالجندل
وإذا الحبيب جفا ومل نخله ... فى غيه واسمع مقال العذل

موت الفتى فى عزه خير له ... أن يبيت أسير طرف أكحل
إن كنت فى عدد العبيد فهمتى ... فوق الثريا والسماك الأعزل
وبذابلى ومهندى نلت العلا ... لا بالقرابة والعزيز الأمثل
إن أنكرت فرسان عبس نسبتى ... فسنان رمحى والحسام يقرلى
والخيل تشهدوا والفوارس أننى ... فرقت جمعهموا بحد الفيصل
رميت مهرى فى العجاج نخاضه ... والنار تشتعل تحت ظل القصطل
وأعدته كالأرجوان مخضبا ... يشكو بفرط تقلق وتململ
خاض العجاج محجلا حتى إذا ... شهد الوقيعة خاء غير محجل
وقتلت فارسهم ربيعة عنوة ... والهندبان وجابر بن مهلهل
وابنى ربيعة والجريش ومالكا ... والشيطان بعض سم الجندل
باتت زبيبة فى الظلام تلومنى ... خوفا على من إزدحام الجحفل
فأجبها أن المنية منهل ... لابد أن اسقى بذاك المنهل
فاخل لبالك لا أبالى واعلمى ... إنى أمرؤ ساموت أن لم أقتل
أن المنية لو تصور شخصها ... يوم الهياج طعنتها فى الأول
لابد أن تبقى الملوك بأمرها ... من سطوتى عند الجهاد تقر لى
وكذلك الجحاجحة العتاة إذا رأوا ... شخصى يلوح تفر خيفة متصلى
والخيل عابسة الوجوه كأنها ... تسقى فوارسها نقيع الحنظل
وأنا ابن سوداء الجبين كأنها ... ضبع ترعرع فى رسوم المنزل
والساق منها مثل ساق نعامة ... والشعر منها مثل حب الفلفل
يانازلين على الحمى ودياره ... هلا رأيتم فى الديار تقلقى
وحلتموا منى السلام إلى الأول ... لولا هموما ما خضعت نار الهوجل
وصفا لهم وجدى وذلى فى الهوى ... ومن العجائب عزمهم وتذللى
قولوا لهم مابال حال أسيركم ... كان بكم يبكى بدمع مهمل
أن حل قتلى عندكم فى حبكم ... من ذا يطالبكم بقتلى فى المهمل

قال الراوى لهذا الكلام فلما فرغ عنتر من شعره حتى نهض الملك زهير قائما على الأقدام ومشى بنفسه إلى عنتر وقبله بين عينيه وقال لا شمتت بك عدو ولا حاسد ولاتشكو عندى إلا كما أنت الولد وأنا أول من يخضع الك من الملوك ويحق

لك أن تلحق بالنسب وأن تفتخر على سادات العرب لأنك حويت الفخر العميم والفضل المقيم وأنت اليوم ابن عمى ولحمى ودمى ومفرج عنى وعن أموالى وعيالى ثم أنه نادى ياسادات العرب من كان منكم نسبى وصح عنده حسبى فلينادعمى عنتر مثل ما ينادينى فإنه وحق ذمة العرب من بعد منها ومن قرب أن عنتر صديقى ورفيق وابن عمى وأرجوه فى مضيق .

قال الراوى لهذا الكلام الذى يشرح الخاطر وكان ولده مالك حاضر وهو يخاصم عنه ويناظر ولما أن سمع من أبيه ذلك الكلام الذى يشفى الغليل ويعافى العليل من الآلام نهض قائما على الأقدام كأنه البدر عند التمام ثم أنه عانق عنترا وهنأه وبابن العم ناداه هذا وشاس والربيع قتلهم الغيظ ولكن أظهروا الجلد وافقوا المجلس وقد تمت الأفراح وقد زالت عن قلوب المحبين الأفراح وقضوا يومهم بحديث عنتر وشجاعته وبعد ذلك قام الملك زهير وخلع على عنتر من الملبوس المفتخر ومضى إلى خيمته وقد تفرقت الفرسان من بعده وما فرغت الوليمة حتى خلع الملك زهير على عنتر خلعة ثانية وقلده بصمصام هندى وأعطاه قناخطية وأركبه على حجرة عربية وسماه حامية عبس وعدنان وفرح بذلك من يحبه من الفرسان ثم سار بعد ذلك مع أبيه وعمومته إلى أبياته والعبيد فى خدمتهم وقد علت منزلته وزادت بينهم مرتبته والإماء والجوارى حواليه بالمزاهر والدفوف والعبيد قدامهم بالحراب والسيوف ووقعت لعنتر البشائر وفرحت به العشائر ولما وصل إلى أبيات بنى قراد لقته البنات والنساء والأولاد وقد زاد ببنى زياد الكياد وعنتر قد زاد أمره وعظم شأنه وارتفع ذكره وبلغ مناه وكان أعظمهم حسرة عمارة بن زياد لأنه راح من الوليمة مكمودا وقد كاد قلبه أن يذوب وقد علم أن عبلة خرجت من يده وقد اشتعلت النار فى كبده وظن أن روحه قد خرجت من جسده فخلى بنفسه وقضى ليلته بدوام حسرته حتى أضاء النهار وقد زاد غرامه وحار وكثر أنينه والانكار وحس أن قلبه أطلقت فيه النار وكان هذا من حب عبلة لأنه هام بها عقله وطار وذلك من حين سماعه الصفة من غير نظر ولا معرفة وكان كما ذكرنا خطبها من أبيها وزاد طمعه فيها إلا أنه جرى لعنتر ما جرى وألحقه أبوه بالنسب وبقى يعد من سادات العرب ولما سمع عمارة أن مالكا زوج عنتر بعبلة حين خلصها من السبى بشجاعته قال مالى إلا أنى أحتال على عبلة وانظرها فان كانت فى الحسن كما قيل لى عنها فأنا أطرح روحى على الربيع وأسأله أن يعاوننى على عنتر ونقتله سريعا وأكون قد بلغت المراد الأكبر

لأن أخي قادر على أهلاكه قال الراوى ثم أن عمارة رصد حتى رأى عبلة خرجت من الخباء فلبس ثياب العبيد وخرج خلفهم وجلس فى موضع بحيث أنه يراهن ولا يرينه فنظر إليها وتميزها بينهم فتبين منها صورة الجمال وهى تمشى وتتمايل بذوائب طوال ولها وجه كأنه الهلال ترد الشمس منكسفة وهى ناعمة مترفة ولها عيون غنجة وثنايا مفلجة وهى كأنها القمر ليلة أربعة عشر بل أضوأ منه إذا أسفر يأخذ الإنسان منها الفكر كما قال الشاعر وما قصر:

هيفاء تخجل غصن البان قامتها   إذا تثنت بكشح بارد عطر
كأنه سل سيف من لواحظها   بين الجفون على العشاق مشتهر
تمت محاسنها من غطر نكهتها   فالشمس تحسدها فى الحسن والبهر

قال الراوى فلما نظرها النهب فؤاده وتزايد عشقه وغرامه وبدت لوعته وسقامه ورجع وهو لا يدرى أين يضع أقدامه فلما وصل منزله قص على أخيه الربيع قصته وشكا حسرته وعظمت مصيبته وقال يا أخى إن فاتتنى هذه الجارية ذهب عقلى وأن أخذها هذا العبد كان سبب قتلى فقال الربيع يا عمارة لقد أورثتنا الذل والخسارة وحملتنا أمرا كنا عنه فى غنى وأحوجتنا أن نعادى العبيد أولاد الزنا الذين هم ليسوا من جنسنا وأنا من أول الأمر ما أحببت أن تتعرض لبنى قراد فانهم ذو شهامة وعناد ولا عبلة لأنها توقعك فى المذلة والآن فما بقيت تقدر عليها إلا أن كان أبوها يعينك ويميل إلى مصاهرتك فاطلبه غدا على أمرك فان كان لا يريد إلا عنتر لأجل شجاعته فأنا أدبر لك حيلة على إهلاك مهجته ووالله لقد كذب الربيع يا أخوان لأن تدبير المخلوق لا يضر إنسان ومن كان له عناية من المنان ما تهدله إركان قال الراوى فطاب قلب عمارة بهذا القول الهذيان وظن أنه بلغ المرام وزاد به الابتسام وإنطفأ ما كان يجده من نار الغرام وقام من الغدو لبس أفخر ثيابه وقد نفخ إبليس فى معاطفه وزين حاله وأنفذ عبدا من عبيده خلف مالك أبى عبلة وولده عمرو فاقبلا من ساعتهما وسلما عليه فقال مالك لعمارة ما حاجتك أيها الأمير فقال له يا عماه أنا مادعوتك إلا لأبصر ما فى قلبك على جهة الدرة اليتيمة هل أنت باق على ما حصل بيننا من الاتفاق أو عدلت عنى لراعى الجمال والنياق الذى فضحنا أبوه فى نسبتنا وأنت جمعت له شمل الفراق وأن رأيك الذميم أورثنى مر المزاق فعندها قال عمرو أخو عبلة وقد زاد به الكمد وظن أن قلبه قد انفقد أنهم لو قطعونى إربا إربا وأبعدنى أبى شرقا وغربا

ماطاوعته على ذلك ولا أسلم أختى اليه ولو اجتمعت العرب على وعليه ولا أترك العرب تعايرنى بذلك وأعلم أنه ما أضر على من هذا العبد ولد الزنا فقال مالك لولده أطو الساعة هذا المقال حتى أتحدث أنا وهذا السيد المفضال وأعلم أنى ما أبغض أحدا من الدنيا سوى هذا العبد إبن الزنا ولكن من له سعادة لا يعاند ونحن لما كنا فى القتال وقلنا له نحن ندخلك فى نسبنا كان ذلك محال وماقدر أن ينال هذه المنزلة إلا بالملك زهير وولده مالك ونحن كان الخطامنا ومن تمام سعادته أنه فى يوم حرب بنى طى خلص ابنتى من المهالك وصار له حجة على بذلك ولو غدرت به ما مكنى من ذلك الملك زهير ولكن أنا أدبر وأحسن التدبير وأنظر ما تجرى به المقادير فقال له عمارة يا مالك أما خوفك من الملك زهير وولده مالك فهذه حجة ما تحتج بها علينا ولا نقول أن أحدا يغصبك على إبنتك ويغلظ عليك فى الكلام ويزوجها بغير إرادتك ولو أنك تكون أقل من فى القبيلة ولكن أريد منك الموافقة غدا إذا حضرنا فى المجلس وقعد الملك زهير فأقوم أنا وأخطب منك ثم أغلظ عليك فى المقال فإذا تكلمت معك أجبنى لذلك وأطلب منى كل ما أردت من المهر من نوق وجمال ودعنى أنا بعد ذلك أتجرد لعنتر وزهير وولده مالك الآخر ولكل من يعارضك أن ينازعنى ورغم أنف كل من لا يطاوعك ويكون المهر ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر تنساق إليك من غير عاقة وألف رأس من الغنم وعشرين رأس من الخيل ومائة ثوب ومائة عبد ومائة أمة وعمل وليمة يحضر فيها كل من كان فى الحى وصار عمارة يرغب مالكا فى المال ويلح عليه فى المقال فقال عمرو أخو عبلة وقد فرح بذلك وظن أنه أصاب أنه قصدنا مالك ولا نوالك ولا قصدنا إلا مصاهرتك حتى نهاب بصولتك وإلا فأى شىء تعمل بهذا العبد الذى ليس له حسب ولا نسب له بين العرب (قال الراوى) فلما سمع عمارة ذلك المقال فرح فرحا زائداً وأيقن من الشر والضير من جهة عنتر والملك زهير، هذا وقد عول مالك أن يغدر بابن أخيه عنتر بن شداد ثم لما أنفصل الحال حدث عمارة أخاه الربيع بما جرى له مع مالك ففرح بذلك الربيع ووعده بالمعاونة على ذلك الأسود ولما كان من الغد جلس الملك زهير للسلام ودارت به من بنى زياد وقد كبروا العمائم وضيقوا اللثائم وجلسوا على يسار الملك زهير وقد أيقنوا بالخير وأقبل السادات من بنى قراد يقدمهم بدر الدولة عنتر بن شداد فابتدأه الملك زهير بالسلام والصباح وضحك فى وجهه وصاح وقال أهلا وسهلا ومرحبا بابن العم ومن هو مالك ابن الملك زهير وأخذت الفرسان مقاماتها وجلست على حسب عادتها وبعد ذلك

أخذ الملك زهير يحادث عنترا ويسأله وهو يرد عليه جوابه ولما استقر بالناس الجلوس أراد عمارة أن يخطب من مالك العروس فالتفت إليه وأعلن بالسلام عليه وقال له يا سيدي أتعرف أن نسبي ردىء فقال له مالك لا يا ولدي بل أنتم السادات الحماة والفرسان الكماة فقال له عمارة يا والدي ولأي شيء تتهاون في حقي بعدما أنعمت علي بابنتك وأنك تعلم أني راغب في مصاهرتك فإن كان حدث في نفسك شيء فقال عمارة الآن مضى ما مضى وها نحن اليوم في حضرة هذا الملك المعظم صاحب الاحسان والخير وكاشف كل هم وضير المقدم الملك زهير وأنا قد جئت إليك خاطب وفي مصاهرتك راغب فاقطع المهر عما شئت وأشهد عليك هؤلاء السادات (قال الراوي) هذا كله يجري وعنتر يسمع ويرى ويتعجب مما جرى وقد فهم بذكاء عقله أن عمه راغب في عمارة فقال عنتر لعمارة استحياء من أن يخاطب عمه يا ابن زياد أعلم من هذا بأنك تخطب من الرجل شيئاً ما هو له مالك فقال عمارة بحماقته اسكت أنت يا عبد السوء والزم موضعك فإني ما أضيع كلامه معك (قال أبو عبيدة رحمه الله تعالى) ثم أن عمارة التفت إلى أبي عبلة في عاجل الحال وقال له أي شيء تقول فيما سمعت من المقال وإني عازم على ما بذلت لك من الصداق وإن شئت أزيدك عليه من غير نفاق وإني مقيم على ما وعدتك به من الوعد وبعد هذا أنا عمارة الوهاب من سادات الأعراب طبط في ذقنه يا حاضرين وكونوا لقولي فاعلين قال فعند ذلك قام عنتر وقد زاد الغيظ والحنق وأخذه القلق والوسواس وذهب من وجهه الحياء ولا بقي يبصر الدنيا ولا الناس وقال ويلك يا عمارة ما تعرف أي شيء تقول ومالك بحديث عبلة حتى أنك تأمر وتنهى فيها وكيف تذكرها بفمك ويدك لا تصل إلى دبرك واعلم أن عبلة هي لمن خلصها من مخالب الفرسان وأنت دائر حيران وكان ذلك الوقت لا يعطف الأخ على أخيه والولد على أمه وأبيه فعندها قام عمرو أخو عبلة من بين الجماعة وقال والله يا عنتر لو أن هذا الملك يقتلني أو أن سيوف هؤلاء الحاضرين تهبني ما سلمت إليك أختي ولو شربت كاسات الردا بامتهان ولا أصير معيرة بين العربان ويكون حديثنا شائعا في كل مكان ويقال عنا أن بني قراد الذين هم معدودون من السادات قد زوجوا ابنتهم الدرة اليتيمة بعبدهم الذي ما له قدر ولا قيمة وحق اللات والعزى أن هذه لغريبه فعند ذلك التفت إليه الربيع العنيد وقال له ومن هو الذي يغصبك على زواجها بعبد من العبيد فزوجها لمن تختار من السادات الأماجيد وتحدث شاس بن الملك زهير بما أراد وكذلك كل من كان يكره عنتر أظهر ما في صدره من الأحقاد وعاون بعضهم بعضاً على ذلك العناد فلما رأى عنتر الأمر خارجاً من يده أحس بانفطار كبده وكاد أن يخنقه الحق بين

الحاضر والباد فقام وركب جواده رقد زاد غضبه وأظهر عناده وكان سيفه الظامىء مع أخيه شيبوب فأخذه وقد أظهر من غمده وهزه حتى بان الموت من فرنده ونادى وقد أحمرت عيناه يا سادات بنى عبس ويا من لهم الفخر بالفروسية على كل من طلعت عليه الشمس ها أنا وأنتم فى حضرة هذا الملك العالى المكان والسلطان على القاصى والدان وقد خطر لى ما خاطر وأنا فى حضرته فأقول قدام هذه السادات الكرام وهو مما يصدقنى فيه الخاص والعام أنتم تعلمون أنى سألت أبى المرة بعد المرة أن يلحقنى بنسبه ويجعلنى فى عداد العرب فلم يجبنى إلى ذلك بالكلية ولا رضى أن يطلقنى من رق العبودية حتى أنه احتاج إلى فى وقت فظيع وانتصر بسيفى على الجميع لما حصل له ولقومه ما حصل من ذلك الأمر الشنيع وهذا عمى قال لى حين عزمت على تخليص ابنته يا ابن أخى خلصها وهى لك زوجة وأمة وعاهدنى على ذلك وأخذت عليه الميثاق وخلصتها وغيرها من ضيق الخناق وقلعت فرسان بنى طىء من هذه الديار ومحقت بسيفى الظامى منهم كل بطل مغوار وعملت عملاً يعجز عنه صناديد الرجال وما تركت أن يذهب مع الأعداء من الأموال ولا عقال وبذلت نفسى للسيوف الصقال والرماح الطوال طمعاً فيما يحدث فى مثل هذا اليوم من المقال فكيف فى ذلك اليوم بقوله لا أزوج العبيد فقد جرى لى ما جرى وأراه قد تعرض لى مرة أخرى وطمع فى لما رآنى أفعل معكم من الخضوع والأدب وأراعى لكم قدره وألزمته طوره عند كل من بعد واقترب فلولا كان عمارة خلص عبلة وأباها وأخاها من المهالك بل هج على وجهه وقد ضاقت به المسالك ولم يعبأ به أحد فى ذلك النهار ولم يخش ركوبه العار والساعة قد كان الذى كان من الجور والاسراف وانى أريد منكم العدل والانصاف فإن رأيتم أنى معهم مظلوم فاسعفونى بالاتلاف أعلموا أنى لست عن أخذ حقى جبان ولا يدى قصيرة عن الضرب والطعان بل أنى أشد من ضرب بالحسام وطعن بالسنان ولا أرجع عن قصدى حتى أنال ما أريد وأنا عزيز غير مهان وأصبح طعاماً للرخم والعقبان لأنه ما بقى لى نفس تصبر على الضيم والهوان ثم أن عنتر أشار إلى الملك زهير وقد تألم قلبه وامتلأ حقداً من قليلين الخير وما أصابه من الشر والضير وقال أيها السيد الجليل العادل المهاب فى سائر القبائل لا تلمنى على ما أنا فاعل فإنك أعلم وأدرى بما نحن فيه وهذا أمر لا أريده ولا أشتهيه وهذا عمارة قد عاندنى فى بنت عمى وأراد همى وغمى وأنا يا ملك لا أظلمه ولا أرده عن طلبه فأمره أن يبرز لى وأبرز له وكل من أسر رفيقه كانت العروس له وأنا ما أخرج له إلا بغير سلاح وهو على ما ترى ويختار من الآلات الكفاح وإن قهرته يشترط على عمى

ما يريده من الصداق حتى آتية بكل ما يطلب من الأموال والأرزاق ولا يحتج على بمال فإن عمارة لا يملك إلا ما فى يده وأنا ملك العرب كلها لى ولا يعيقنى على أخذها إلا طلب الراحة ولا أتركها إلا عفوا منى وإن لم يسمع منى عمى ذلك الكلام رحلت وأقمت فى البيت الحرام وأعبد ما يكون هناك من الآلهة والأصنام وأكون عدوا لكم عدوا على ممر الأيام ولا أزال كذلك حتى أفنى أعدائى جميعاً بالحسام البتار ولا أترك منهم شيخاً ولا غلام وأتركهم موعظة للأنام لأنى أحسنت لهم مراراً عديدة وهم يجحدون الاحسان وتحملت جهلهم فقالوا هذا جبان وأريد أن أعرفهم اليوم من هو الأحق بالذل والهوان وإنى يا مالك قد تكلمت بهذا الكلام لأنه ما بقى لى عندكم نية ولا مقام ولا بقيت أطلب منكم حسباً ولا نسباً ولا أباً ولا أعمام ولا أريد لى نسباً إلا هذا الحسام ولا عم غير الرمح المعتدل القوام ثم جاش الشعر فى خاطره وأنشد وقال :

إذا جحد الجميل بنو قراد ... وجاروا فى الفعال بنو زاد
فهم سادات عبس أين حلوا ... كما زعموا وفرسان البلاد
فلا عتب علىَّ ولا ملام ... إذا أصلحت حالى من فساد
لأن النار تخرج من جماد ... إذا ما الصخر كر على الزناد
ومن لم يركب الأخطار أمسى ... بقيد الذل فى أسر الأعادى
أحلمت كما علمتم حق حلمى ... ولم أترك بداركموا ودارى
سأجهل بعد هذا الحلم حتى ... أحل دم الحواضر والبوادى
ويشكو السيف من كفى ملالا ... ويشكو عاتقى حمل النجاد
وقد شاهدتمونى فى يوم طى ... فعالى بالمهند الحداد
رددت الخيل خالية حيارى ... سقت جيادها والسيف صادى
كم داع دعانى يوم حرب ... ونادانى فلبيت المنادى
لقد عاديت يا ابن العم ليثا ... جواد لا يمل عن الطراد
يرد جواده قولا وفعلا ... ببيض الهند مع سمر الصعاد
فكن يا عم منه على حذر ... ولا تملأ جفونك بالرقاد
أو لولا سيد فينا مطاع ... كريم القول مرتفع العماد
قمت الحق بالهندى قهرا ... وأظهرت الضلال من الرشاد

قال الراوى ولما فرغ عنتر من شعره وتعجب الحاضرون من نظمه ثم أن شداد التفت إلى

مالك وهو بين تلك المحافل وقال له يا أخى أنت تريد أن تفرق شملنا فى القبائل وتجعلها عائدة لكل قائم وقاعد قم زوج ابنتك لولدى عنتر وإلا رحلت أنا الآخر واسعى أنا وهو فى البر الأقفر وأصير لكم من جملة الأعداء وأجلب لكم الشر والضر وكذلك قال زخمة الجواد وأما مالك بن زهير فإنه أحمر وجهه وقد زاد به على أبى عبلة غيظه وغضبه وصار يريد أن يكلمه ولكن الحياء يمنعه فقال له أبوه ما بالك يا مالك تكلم بما تريد وكان الملك زهير يحب ولده فقال مالك أقول أى شىء ما أبو عبلة إلا من الظلمة المعينة لارعاه الله من كل الأذية وكذلك كل من يرى الظلم ويحمله غيه ثم قال لأبى عبلة لأى شىء الحقتموه مع أولاد العرب وأنت فى وقت نزول البلاء بك تقول يا ابن أخى وعندما خلص بنتك من ضيق الخناق جدت بها عليه إلى أن أسلمها لك فكيف يحل لك الرجوع عن قولك وعهد مثلك حجة لا ينقض ولكن وحق من غسق الغسق أنها له عن رغم أنفك قال فلما أن تكلم مالك بهذا الكلام ساعده جماعة من المحبين لعنتر وقالوا أنه يستاهلها ولاموا أبا عبلة وعنفوه عليها فلما رآهم انحرفوا عليه وأهانوه قال من غيظه وقلقه أنا لا أسمع كلامكم ولا أزوج عبلة إلا لمن عاهدته فى الأول وهو الأمير عمارة فقال زهير هذه حجة باردة لا أسمعها ولا نغضب هذا الفارس الذى حمى القبيلة ولا ندع أن يخرج من أيدينا هذا الفارس الأسود والحجر الجلمد الذى ناره لا تخمد وصارمه لا يزال مثلا من قطع الهام وقد الزرد وإن كان خوفك من الربيع عمارة فأنا اسألهم أن يهبوا لنا الجارية فى الحال ويرفضوا الأمر الذى يكون لنا فى عاقبته وبال واسأل الربيع أن يطفى لنا هذه النار فلما سمع الربيع ذلك الكلام التجم من الخرس بلجام الخبال وقام من شدة غيظه فى الضلال وقال للملك زهير أيها البطل الهمام والليث الضرغام وحق مالك الممالك ما بقيت اخل عمارة يذكر هذه الجارية ولو هلك فى محبتها من الغرام ولا أنادى عنترة إلا كما أنادى أبناء الأعمام مثلك ومثل السادة الكرام قال الأصمعى ثم انفصل الأمر على ذلك المقال وتوقته الأبطال وبلغ عنتر الآمال وعاد عمارة بما أمله خائب وقد أحاط به الذل وكل النوائب ولم يزل حتى وصل إلى أبياته هو وأخوه الربيع وقد حس أن قلبه ينفطر من هذا الأمر الشنيع ثم أنهما لما وصلا واجتمعا فى الأبيات بكى عمارة بين يدى أخيه وقال وحق اللات والعزى لئن أخذ عبلة هذا العبد الزنيم وحصل بجمالها هذا الوغد اللئيم فانى أموت فى الحسرة والكمد ويشمت بى فيما يجرى كل واحد وأنا لم يبق لى صبر ولا جلد فقال له الربيع يا عمارة أن لم ترجع عن هذا العبد الأسود حتى يرمينا فى النكد

ولقد تعلقت فى أمر يخرب ديارنا وحطيت قدرنا مع من ليس من أقراننا فدخلت عليهما أمهما فوجدت عمارة زائد البكاء فسألته فاخبرها بما جرى له مع عنتر وما شرط عليه قدام الملك زهير وكيف عابوه وعن عبلة منعوه (قال الراوى) وكانت أمهما كبيرة القدر بين العرب فقالت يا عمارة إياك إن تتعرض لهذا البطل لأنى أخشى عليك منه الفشل فانه قد ظهرت شجاعته وازدادت براعته ومع هذا فهو عاشق بنت عمه ولا يبالى بما فعل ولا تعاند من إذا قال فعل وقد رأيت من شجاعته ما حير بصرى لأنه صان الحريم بسيفه ولولاه كنا إلى الآن تحت الذل والهوان فقال لها عمارة طبعك هكذا دائماً يا أماه تصفين هذا الوغد اللئيم بالثناء والتكريم وإنك كلما تذكرينه يذوب جلدى وإن أخذ عبلة أموت بحسرتى فقال الربيع وأنا إذا لم أبر على اهلاكه فما أنا الربيع *قال وكان للربيع صديق من بنى عبس وكان بطلا شجاعاً قد أفنى عمره فى الغارات ونهب أموال العرب وكان لا يقر بمكان وهو مغرم بملاقاة الشجعان وكان يصطاد السباع من الآجام وكان اسمه عروة بن الورد يلقب بعروة الصعاليك لأنه كان يحب الفقراء وكان إذا تفرقت بنو عبس فى الحر على المناهل يبقى هو والصعاليك فى الحى ويذبح لهم ويطعمهم وينفق كل ما كان معه عليهم ولهذا سمته العرب عروة الصعاليك وكانت العرب تتحدث بكرمه وحسن أخلاقه وكان ذلك مع ماهو فيه حلو الكلام فصيح اللسان وكان من جملة ما قال حين كانت أمه تمنعه عن السفر فى الليل والنهار فأنشد يقول هذه الأبيات :

أقل يا أميمة من كلامى وعزلى فى الرحيل وفى المقام فمن طلب العلا أمسى وحيد فاهنا ما يلذ به رقادى محادثة الضيوف على الطعام وأبذل نعمتى لجياع قوم حيارى بين أطناب الخيام وأجعل نارنا فى النار تهدى أيها الطارقون دجى الظلام

ويطربنى صرير الرمح حتى أشبهه بغانية المدام
فعش فى العز والاقبال يوماً ولا تحت المذلة ألف عام

قال وكان عروة هذا يسمع بعنتر وبفعاله ولكن ما حضره فى حرب قط ولما جرى لعمارة هذه المجرى مع عنتر وشكا حاله لأخيه الربيع وكان عروة فى تلك الايام فى الحلة فاستدعى به الربيع بين يديه وكان بينه وبين الربيع صحبة قديمة فلما وصل إليه عروة دخل عليه الربيع بحديث أخيه عمارة وما جرى له مع عنتر قدام الملك زهير من تلك العبارة ثم أنه طلب منه الاعانة عليه والمساعدة منه لديه فقال له عروة يا ربيع أو بلغ

من هذا العبد الشنيع أن يصل إلى هذا الحد وصار ممن يراجعكم فى المقال ويهددكم فى الفعال ونسى ما كان عليه من رعى الجمال وجمع المسكة بين التلال فقال الربيع أى ومن أرسى الجبال ويعلم عدد الرمال لقد خرج علينا شيطان لا ينافس وقد رفع الملك زهير قدره على بين الرجال ذكره ولقبه بحامية عبس ودعاه باين عمه ونريد منك يا أبا الأبيض أن تعيننا عليه وتجتهد فى أذية أوصلها إليه ولعل بقوة بأسك نكفينا شره ومكره وكان عمارة حاضراً وقد لعبت به الخمر وطاش عقله من السكر وحكم عليه سلطان الهوى وزاد به الجوى وطلب من عروة النصر على عنتر وقد حل به الوجد والفكر ثم أنه قبله بين عينيه وبكى فقال عروة لا تبكى يا أمير عمارة فالأمر أقرب من هذا الحال وأنا أخرج إليه وأقتله وإن أراد أن يخوص فى الثرى أو يطلع إلى السماء قتلته وهذه يدى لك بالوفاء بما أقول وسيصل إليك خبر ما أفعل به من الأمر فقال عمارة يا أبا الأبيض نذر على إن أنت فعلت ما تقول أعطيتك فرسى اليعسوب ورمحى المعتدل الكعوب وجبتى الحمراء فقال له عروة مرادك يا عمارة أن تخدعنى بالمال والنوال وأنا لا أريد كيلا تقول العرب أنى قليل المروءة وإنى أخذت على قضاء حاجة رشو من المال ولكن أنا أغتاله فى بعض المواضع الخاليات واقتله ولا يعلم بى أحد من المخلوقات فاشرب وطيب قلبك واشرح صدرك واترك أمرك إلى غداة غد ولا تشمت بنفسك العدا فشرب عمارة عند ذلك وطاب قلبه لما سمع من عروة ذلك وخف عنه كربه وداخله السرور والفرح وطاب قلبه وانشرح قال فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عنتر فانه لما أصبح الصباح جلس الملك زهير وأتت الفوارس إليه لأجل الخدمة والسلام عليه وأتى عنتر فى الجملة وهو يهذى بذكر بنت عمه عبلة فقال له زهير ويلك يا أبا الفوارس أو تحب عبلة إلى هذا الحد فقال نعم وحق من ليس له ند لولا طيفها يطرقنى فى المنام لكنت هتكت ستر الاحتشام ولكن أيها الملك أنا أظهر الصبر والجلد وأخفى الوجد والكمد كى لا يشمت بى من الأعداء أحد ثم ضاقت عيناه بالدموع وأن أنيناً من الفؤاد موجوع وأنشد يقول :

جفوت نومى وهذا الدمع قد وكفا	بحب عبلة أضحى القلب محتقفا
حورا كريمة الأخلاق ناعمة	لا صبر عنها ولا ألقى لها خلفا
إذا انثنت كان غصن البان يحجبها	عن الرجال بقد يورث التلفا
يا عبلة أنى أسير فى هواك ولا	أرجو الفكاك بأسر عنك فيه خفا

يا عبلة قد ذلت الأبطال صاغرة | لسطوتي وأنا أرعى الذى سلفا
يا عبلة أنى أصيد الأسد مغتصباً | وأنت قانصتي في ذا الهوى شغفا
إن عايروني بأني أسود فأنا | يوم الكريهة فعلى أبيض وكفى
يا زهرة الشمس جوى للمحب فقد | زاد الغرام على المهجور وانعكفا
وواصلى من لطول الليل يسهره | يرعى النجوم ودمع العين قد ذرفا
لو حال دونك كسرى ما غفلت به | وكنت أهزمه بالطعن مختلفاً
وأورد الخيل نهلا من دمائهم | والجو أقتم والأوغاد لم تقفا
لكنني أرتجى بالقلب يا مالك | فكن معيني لأحول العز والشرفا

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من عنتر ذلك الشعر والنظام طرب طرباً شديداً وكذلك صديقه مالك لحقه الوجد والهيام ثم انهم انصرفوا من حضرة الملك زهير وسار مالك إلى بيته وقد أخذ عنتراً في صحبته وصحبه أبوه شداد وعمه مالك أبو عبلة بقوا ذلك اليوم في دعوته. بالجملة وقد فرح عنتر بقضاء حاجته وعلو منزلته وجعل يصف مكارمه وكذلك فعل بعمه مالك وصار كلما قام وقعد يقبل يديه ويخدمه ويظهر له الوداد ويقول له بالله عليك يا عم لا تضيع خدمتي لك وتعبي ولا تترك عمارة بن زياد يشمت في ولم يزل كذلك حتى غلب عليه السكر وأراد أن يختبر عمه ويعلم ما في قلبه فقال له يا عم إن كان في قلبك شيء فاظهره ولا تكتمه حتى إنني أعرفه وأعلم خبره فقال له بمكره وخبثه ودهاه والله يا ولدى ما بقى في قلبي منك شيء إلا المحبة ومن اليوم فصاعداً لا أجعلك إلا ركني وأنت من اليوم في مرتبة ولدى وما وقع مني ذلك اليوم كان حياء من بني زياد لأنهم من أصحاب الأحساب فما أمكنني أن أجاوبك قدامهم إلا بذلك الجواب وأنت عندي يا ابن أخي من جملة الأحساب وأن هذا السيد الذى نحن في أنعامه وأنعام أبيه لما انطفأ الشر الذى كنا فيه لأنه هو الذى كفهم عنى وطفأ تلك النار وكذلك أبوه الملك زهير لا عدمنا ظله وأنعامه لأنه رد عنا شر الربيع وشر اخوته الجميع والآن بلغنا المراد وصار لنا من يردعنا بني زياد وقد صفت القلوب من الأحقاد فشكره عنتر على هذه الفعال وأيقن عند ذلك ببلوغ الآمال وقال يا مولاى ما أضمر في قلبي ذلك اليوم والله لو قتلني الملك زهير أو نكلني أشد النكال ما سلمت أختي بمن كان بالأمس يرعى الجمال فقال له عمه مالك يا ولدى أن ابني عمرو قد رغب في نعم بني زياد وأمل أن يختلط بهم ويعيش في ظلهم بالأرغاد وهو لا يعول على قوله لأن الأمر وأما الذى أدبر في الأول وفي الآخر وفي غداً أمضى إلى عمارة وأكفيك شره وشر بني زياد بالجملة وأحرمه أن يذكر عبلة فشكره

وفى غدا إلى عمارة واكفيك شره وشر بنى زياد بالجملة واحرمه أن يذكر عبلة فشكره مالك وقضوا يومهم بالسرور والأفراح وشرب مدام الراح وتداول الكاسات والأفراح إلى أن أقبل الليل بظلامه الحالك فركب شداد وأخوه مالك وعاد إلى المضارب وعنتر ماش فى ركاب عمه مالك ويريدون بذلك التقرب أن يميل إليه قلبه ولعل أن يعطف عليه ويحبه ولم يزالوا حتى وصلوا إلى الأبيات فشكره عمه مالك وشكرته أم عبلة على تلك الاشارات ثم بعد ذلك عاد إلى بيت أمه زبيبة وقد انجلى عنهم كل هم وريبة (قال أبو عبيدة ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب مالك بن الملك زهير إلى أبيات بنى زياد يرجو بذلك أن يطفىء ما حصل بينهم من الشر والعناد ثم إنه دخل على عمارة فترحب به وقال أهلا وسهلا بالأمير الناصح والسيد الذى لم يزل يتكلم فى المصالح أرجو أن تكون قد عرفت ما عملت فى حقى وكيف تعديت على وقطعت من عبلة رزقى فتبسم مالك وقال بالله يا عمارة اقصر عن هذه الحورية لئلا تحل بك الرزية فغيرها كثير من البنات العربيات وما أتيت إليك إلا لأعرف إنك خلصت من أمر عظيم وقد كفيت شر هذا الأسود الزنيم فقال الحمد لله يا مالك على تفضيلك ابن الأمة على ابن الحرة وهو ابن عملك فقال مالك والله يا عمارة أنه ما كان ذلك إلا شفقة عليك وخوفا من أن تصل اذيته إليك بسبب امرأة قد عشقها وذكرها فى شعره ثم قال عمارة أنها قد تعلق بها قلبى من كثرة ما وصفها لى فقال مالك إذا كنت أنت يا عمارة حلت بك هذه الفعال وأنت ما رأيتها فكيف بالذى قد تربى معها وقد عرفها حق المعرفة على أمور لم تخطر بها على بال ثم أن مالك بن زهير ركب جواده وسار من عند عمارة وقد ألهب فى قلبه النار من خطابه (قال الراوى) وكان عمرو أخو عبلة قد بات تلك الليلة باشد حنق لما علم أن أباه عند مالك ابن الملك زهير ولما أتى أبوه قال له أخبرنى يا أبتاه أن كنت قضيت أمرا مع عنتر من جهة عبلة فانا ارحل عنك بسلام لعنتر وإن كان الأمر قد صح فلا بقيت ترانى أبداً، ولا أسمع بمثل هذا الكلام فقال له أبوه طب نفسا وقر عينا فوحياتك لاقتلنه شر قتلة على يد غيرى ولاشفين غليلى من هذا الولد ابن اللئام ولا أدع أن يقع فى ذلك عتب ولا ملام فطاب قلب ولده عمرو بذلك وما صدق أن الصباح يصبح حتى مضى إلى عمارة وحدثه بما جرى بينه وبين أبيه من تلك الاشارة وحدثه أيضا بحديث عروة وكيف ضمن له قتل عنتر وكيف وعده بذلك الوعد ففرح عمارة عند ذلك واستبشر وقد أيقن أنه بذلك الهذيان انتصر

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عروة فانه بقى متفكرا فى أمر عنتر وصار يقول فى نفسه أنا قد عقدت لسانى مع عمارة أنى أقتل له عنترا فانه كن له الارصاد وكان

عنتر يقطع أكثر أوقاته في الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص وهو منتظر وعد عمه مالك وما اتفق عليه من الاتفاق وهو صبر العشاق وقال وكانت عبلة ابنة مالك تحب عنترا وتريد قربه وتراسله وتطيب قلبه وتخبره بما جرى بين أبيها وأخيها من الرأي الذي يدبرانه بمكرهما ويعملانه باتفاقهما ثم إنها أرسلت تقول لعنتر يا ابن العم لا تغتر بما قال أبي وأخي وخذ منهما حذرك ودبر أمرك واحذر على نفسك منهما واعلم أن عمارة ابن زياد قد وعده عروة ابن الورد بقتلك وأنا أسأل الله رب البيت الحرام أن ينصرك على أعدائك اللئام فخذ حذرك ولا تضيق من قبلي صدرك فما أنا إلا في معونتك على العدا ولا أملك روحي لغيرك أبدا فسكن روعك وبرد هجرك (قال الناقل) فلما بلغ عنتر هذا الخبر أخذ رجاله وساوبا بطاله من أمس وهو طالب بهم أرض بني مذحج ليغيروا عليها ويكسبوا من حولها من الأبطال والرجال وكان لعروة بن الورد مائة فارس تركب لركوبه وتنزل لنزوله وكان عنتر قد صدق عبلة فيما أرسلته له من الكلام هذا وإن عروة قد اختبأ لعنتر برجاله في شعب يقال له شعب الوادي وقد أكمن به العيون والأرصاد إلى أن اتفق لعنتر إنه خرج من الحي وأخذ أخاه شيبوبا في ركابه وأبعد في البر والقفار والسهول والأوعار ثم إن شيبوبا أشار على أخيه عنتر بالصيد والقنص وانتهاز الفرص فعند ذلك خرج عنتر في الحال ولم يخالف أخاه في المقال وتبطنوا في تلك البراري الخوال وصار عنتر يصطاد وأخوه شيبوب يرد له الوحوش من القفار وما زالا على ذلك الحال حتى أشرف على شعب الوادي الذي كمن فيه عروة له الأرصاد (قال الراوي) فبينما عنتر ومن معه على ذلك الحال إذ خرج عليهم من جانب الوادي فاوس وهو في الحديد غاطس طويل القامة عظيم الهامة فما هو إلا أن أطلق نحو عنتر عنانه وقوم إليه سنانه وجرد حسامه في ميدانه وكان حين وقعت عينه على عنتر حمل عليه وصرخ في وجهه وتقدم إليه وكان أوصى رجاله وقال لهم اعلموا أيها الرجال أن العبد قد شاع ذكره بالفروسية والشجاعة وقد سمعت عنه أمراً عظيما وأن له همة علية ونخوة أبية وأنا قد ضمنت لعمارة قتله وقد خرجنا من الحلة بسببه وما صدقت أن أراه فما فيكم من يحاوله ويحمل عليه وها أنا خارج إليه وأرمي روحي عليه فإن ظفرت به كان وإن رأيتموه قد استطال واستظهر علي فعند ذلك ابذلوا فيه الصفاح وشيلوه على أسنة الرماح وإن رأيتموني قد ظفرت به فدعوني أنا وإياه حتى إني اقتله وأوفي ضماني وأكون أظهرت منزلتي بين أقراني وكان قد قال هذا المقال من جودة خبرته بالقتال ثم إنه خرج في ذلك الوقت على عنتر كما ذكرنا من غير أسباب وحمل عليه من غير كلام ولا خطاب ولما أن رآه

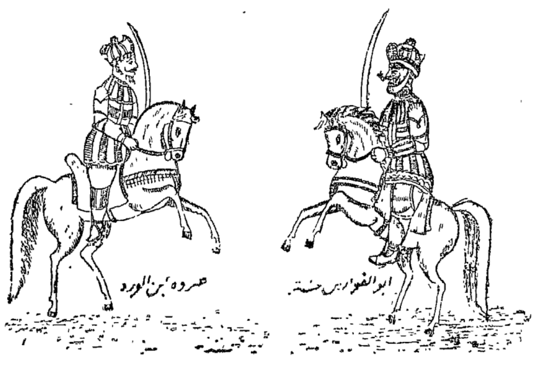
عنتر صدق الخبر وعرفه بركبته وطول قامته وأراد أن يحقق معرفته فاستقبله من ساعته وناداه وقال له ويلك من تكون أنت من العربان وما الذى أوقفك فى هذا المكان قال فلم يكلمه عروة بمقال ولا نطق بشفقة ولا بلسان قوال بل أنه صال معه وجال فعند ذلك صرخ عنتر وقال يا الرجال الأجواد ما أحسن ركبة هذا الفارس الطعان فانى أراه ثابت الجنان لكن كأنه أخرس اللسان ولم ينطق بكلام بين الرجال عند الجلاد فقال له شيبوب يا ابن الأم أقتله ودعه يكون أيا من كان من العباد وإلا فدعنى أضربه بنبلة فى الفؤاد أحرمه بها الرشاد وأقلبه بها من على ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد لا أقلب حصانه من تحته حتى يقع فى وسط الميدان وأربطه ولو يكون النمرود بن كنعان فقال له عنتر لا يا شيبوب أمهل ولا تكون خوان حتى نعرف من هو من الفرسان وإلى من ينسب من العربان فأنا وحق السيد عبد مناف ما أريد منه إلا الإنصاف وأنا كفء له ولو كان معه خمسة آلاف لاسقيتهم كؤس التلاف ولكن أن صدقنى حذرى ولم يخطىء فكرى وحياة عيون عبلة ست الملاح ما هذا الفارس إلا عروة بن الورد البطل الجحجاح وقد أتى إلينا كما وقع بينه وبين عمارة بن زياد الاتفاق (قال الراوى) فلما سمع عروة من عنتر ذلك الكلام علم أنه عرفه فكشف عن وجهه اللثام وقد زعق عليه وسار عروة إلى أن بقى بين يديه وقال له ويلك يا أسود الجلد يا زنيم يا وغد يا لئيم إن كنت ما تعرفنى فأنا أعرفك نفسى أنا عروة بن الورد الكريم الأب والجد وإنى لك بهذا المكان فى الانتظار حتى إنى أقتلك بسيفى البتار وأقطع منك الآثار لأنك قد تعديت طورك وجاوزت حدك ولم تعرف قدرك فإنك قد ساديت بنى زياد وأنا قد ضمنت لهم قتلك وأنا أصرف عنهم مكرك وشرك وأشار عروة يقول بعد الصلاة والسلام على النبي الرسول :

قف قد أتى ليث شجاع فاضل   مودى العدا يوم الوغا بالمنصل
أسد تخاف الأسد شدة بأسه   والنقع فى الهيجاء ليس بمنجلى
يا أسود لاقاك قرم باسل   متعود خوض الحروب حلاحلى
بمهند صافى الحديد مقدم   والموت فى ضرباته لم يخذل

(قال الراوى) فلما فرغ عروة من شعره وسمع عنتر ما قاله من نظمه ونثره قال له والله يا ابن الورد لقد حدثتك نفسك بالمحال وقد حل بك الوبل والنكال وألقيت بنفسك للوبال ولو علمت من أنا لكنت عن هذا الأمر فى غنى فإ كنت بى جاهلا فأنا اليوم أعرفك من فينا ولد الزنا ومن فينا ولد الحلال ثم أن عنترة أوسع فى مجاله وأجابه عن مقاله وقد أشار إلى عروة وأنشد يقول بعد الصلاة على الرسول :

دع عنك شقشقة اللسان فإنها   ترديك فى مهوى الهلاك العاجل

وأبرز لتلق ضيغما ما مثله … يوم الكريهة فى غبار القسطل
إن كان لونى أسوداً ففعائلى … بيض كلون الشمس فانهض واسأل
وأنا المنية وابن كل منية … وأنا الرسول إلى القضاء المنزل
مالى أنيس فى الظلام إذا أتى … إلا الحسام وذابلى ذو المنصل
كم من عزيز قد أهنت بصارمى … وتركته فوق الثرى يتجندل
واليوم ياابن الورد ترى فى الفلا … وتكون رزقا للطيور الأكل



(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره والنظام طلبه عروة كأنه الجارح إذا انقض على الحمام وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه وانحدر عليه عنتر انحطاط الغمام وهجم عليه مثل أسد الآجام وقد جالا مع بعضهما البعض حتى تدكدكت من تحت أرجل خيولهما الأرض وتقاتل بالطول والعرض وماز الا فى قتال ونزال ومجارية وجدال إلى أن كلت منهما الأوصال لأنهما كانا فارسين شديدين يحيران بفروسيتهما كل عين ولكن كان عنتر أجلد وأصبر بأحوال القتال أدرى وأخبر (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب فيه أحد كامنا من الرجال فمضى وغاب ساعة وعاد إلى أخيه أسرع من ريح الشمال وهو ينادى ولمعلع فى المقال ويقول يا أخى خذ حذرك فقد جاء تلك الرجال من الشعب ومن بين الجبال وهى تهزفى أكفها أطراف العوال * قال فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب هذا المقال هدر مثل الأسد الرئبال ثم جاوله وطاوله إلى أن أوقع به الضجر والملال وكان عنتر كلما لاح له من عروة مضرب يعفو عنه إلى أن أتعبه وأكربه وقد مد يده إلى جلباب درعه وهزه فاقتلعه من

سرجه وأخذه من على ظهر الحصان ورماه إلى الأرض وقد رض عظامه في بعضها البعض فلما أن صار على الأرض انقض عليه شيبوب وشد كتافه وقوى منه سواعده وأطرافه وبعد ذلك طلب عنتر فم الشعب وإذا بالخيل قد خرجت كأنها النار ذات الاشتعال وحملوا عليه وداروا من حواليه فاستقبلهم عنتر بطعن يعمي البصر وضرب لا يبقي ولا يذر وجعل ينثر الرجال نثر الورق كلمح البصر ويحمل على المواكب ويرد الخيل من كل جانب وشيبوب يرمى بالنبال إلى سائر الرجال ويتركهم من حوله ممددين في الرمال كل من وقع يشد كتافه إلى أن صاروا لا يخرج أحد من خوفه وكأنه ما بقي أحد فيه روح إلا من قتيل أو مجروح ولم يزالوا على مثل هذا الحال إلى أن تعالى النهار وقد رأت أصحاب عروة من عنتر ما يحير الأبصار فعند ذلك طلبوا النجاة والفرار والرواح وكان منهم جماعة موثوقين بالجراح وهم مشرفون على خيلهم ويسير بهم نحو الديار وساروا بعد ذلك طالبين البيوت وصار عنتر يتحدث مع أخيه شيبوب بمودة عبلة وكيف أعلمته بهذه الفعلة وأنشد وقال :

أيا عبلة لولا الخير يأتي تكرما ... تركت جميع القوم بالسيف جثما
خرجت إلى صيد الوحوش فبان لى ... رجال وفيهم عروة قد تلثما
ولولا الحيا من آل عبس تركتهم ... طعاما لوحش البر والطير حوما
ولو رام غيرى أن يرام لحرمت ... عليه المنايا كلما رام أورمى
أعروة دع مكر الربيع وغدره ... فما بيننا ثار ولا بيننا دما
وقل لى أفيكم فارس ذو حمية ... يقوم لمثلي بارزا متقوما

قال الراوى فهذا ما كان من أمر عنتر وعروة وأما ما كان من الربيع الغدار الذى دبر هذا التدبير وكان به على عروة مشير فإنه ركب ذلك اليوم هو وأخوه عمارة مسرورين بما اتفقا عليه من شن تلك الغارة وما دبراه من هذه الإشارة وقد أملا أن عنترا ما عاد يرجع وكان الملك زهير في ذلك اليوم قد التقاهم فقصدهم والتصق بشاس ابن الملك زهير ومالك أبي عبلة وأعلمهما بالخبر وبما دبر في قتل عنتر ففرحا واستبشرا لما سمعا منه مقاله وما دبر من فعاله وسار إلى أن حمى الحر واشتد الهجير فعند ذلك رجع الملك زهير وهو طالب الأبيات وحوله ساير الأبطال والسادات وقد انفرد منهم شاس وعمارة وأخوه الربيع حتى تساعده وتشتفى بقتل عنتر من دون الناس فما زالوا سايرين على ذلك الحال حتى أنهم

وصلوا إلى وادى الجراجيل وإذاهم بأوائل الخيل المنهزمين أولهم لا يلتفت لآخرهم وهم على خيولهم يركضون وإلى ورائهم لا يلتفتون ولما رأوا ذلك حاروا فى أمورهم وذهبت عقولهم وقد حرك شاس جواده وتلقاهم وقال لهم ما وراءكم فقالوا اعلم أن وراءنا الموت الأحمر وهو ابن شداد المدعو عنتر وقد فعل فينا هذا الفعل المنكر الذى لا يبقى ولا يذر وقد أسر مقدمنا عروة وأنزل به الذل والبلوى وسطا علينا وتجبر وترفع وتكبر فلا تمقتنا أيها السيد ودعنا نمضى إلى حال سبيلنا لأنه إن لحقنا عنتر يفنينا فقال لهم تمهلوا وأخبرونى بأصل الخبر وأوقفونى على الأثر فعندها أخبروه بما جرى عليهم من عنتر فلما سمع شاس منهم ذلك الكلام صار من الغيظ مغشيا عليه حتى صار لا يعرف ما بين يديه وأما الربيع فإنه تعلقت خصيتاه فى حلقه ما قدأنى عليه ثم أنه بعد ذلك قال لشاس مما قد أصابه من الهم والوسواس والله ما بقى إلا أننا نستمر على ما نحن عليه من ذلك الحال حتى أننا نلتقى هذا العبد ونلومه على هذه الفعال ونقبح عليه أعماله حتى أنه يطلق لنا من بين يديه عروة ورجاله قبل أن يفعل بهم المكائد لأنه ذو بأس شديد وهو شيطان مريد وأنه إذا علم أنها منا نخاف أن يعلم أباك بأحوالنا فيلومنا على أفعالنا ثم أنهم يركضون بخيلهم وهم لأنفسهم يلومون ويؤملون لأنهم لعنتر يلحقون ولعروة ورجاله منه يخلصون فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عمارة فإنه صار يضرب بيده على صدره ويقول واحزناه وافرقتاه راحت عبلة من يدى وأنا أعلم أنه سيملكها من دونى يقول له وقد حل به من الغيظ هم عظيم فظيع وحق اللات والعزى أن الموت ما يقدر على هذا العبد ولد الزنا فقال له الربيع والله يا عمارة أنت لا تترك عنا اللجاج والعناد حتى أنك تتركنا مثلا بين العباد وتحوجنا أن نتظاهر بالعداوة عبد شداد فقال عمارة يا أخى أن عبلة تستاهل أكثر من ذلك من جليل الأفعال وأنها رخيصة بذهاب الآجال فقال الربيع والله يا عمارة مادام هذا العبد فى الحياة ما يدعك تشمها ولو فعلت مهما فعلت ثم أنهم بعد ذلك يتفكرون وهم يجدون فى السير * قال فبينما هم كذلك وإذا قد طلع عليهم ثلثمائة فارس من أبطال قوانص وفى الحديد غواطس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وهم كأنهم الأسود العوابس يقدمهم فارس أمرد وعليه جوشن منضد وهو متقلد بحسام مهند وعلى رأسه بيضة تتوقد وهو مضيق اللثام وآخذ بالزمام وتحته حجرة عربية وتسبق الرياح الغربية .

قال الراوى) فلما رأى ذلك الفارس شاس ابن الملك زهير هجم عليه كأنه الأسد الرئبال أو أسد الآجام وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وانقض بعده على مالك وولده عمرو وانقضاض

الأسد الكاسر والليث الغاشر وشد منهم الاكتاف وقوى منهم السواعد والأطراف فعندها برز اليه الربيع بن زياد وكان ذلك الفارس يسمى الهجام وكان فارسا مقداما على الاهوال العظام فحاول الربيع ساعة وأخذه أسير بعد ماجرى بينهما العجائب والاهوال لأنه الربيع كان من الفرسان المعدودة فى الحرب والقتال وقرنه إلى شاس فى الأعقال وقد نزل عليهم الذل والخبال وبعدها طالب عمارة وزعق عليه وطعنه بعقب الرمح فنكصه عن جواده وأعدمه عقله وفهم رشاده وأرجف أعضائه وارعب فؤاده فكتفه الذى كتف أخاه وأوثق شداده ثم أنهم رفعوهم من على الأرض وسار بهم يطلبون الديار وقد عرج بهم وسار على طريق بلادهم وأمصارهم وماز الوا سائرين والغلام المقدم عليهم سائر أمامهم وهو فرحان ببلوغ الآمال وقضاء الأشغال فى عاجل الحال قال الراوى وكان ذلك الفارس من بنى معن يقال له الهجام ابن جابر وكان سبب مجيئه إلى بنى عبس وعدنان سببا عجيبا وأمرا مطربا غريبا وذلك أن الملك زهير لما سار إلى قتال المتغطرس من غير تعويق وصل إلى حيهم فوجدوه خاليا من الرجال والابطال فعرف أنهم ركبوا وساروا إلى ديارو قد خالفوه فى الطريق فرجع الملك زهير إلى دياره خوفا على سبى عياله لانه ماترك فى حيه إلا القليل من الرجال وولده ورقة فوجد القوم قد سبقوه وسبوا الحريم والأطفال والعيال وقتلوا بعض الفرسان ولحقهم عنتر فى أول مبتدأته وخلص منه الأموال والسبايا وقتل رجاله فى طريقه على قوم هذا الغلام كما تقدم وقتل من تعرض له من الرجال وسبوا نساءهم والأطفال وقتل أبا هذا الغلال الذى نحن فى ذكره وكان هذا الغلام غائبا فى بعض أسفاره فلما قد وصل إلى الحى سمع النوادب والنوايح فسأل عن الخبر فاخبروه بما جرى على أهله وقبيلته وبكى بين يديه وعزوه فى أبيه وأعلموه أنه قتله الملك زهير فى غيبته فسار فى هذه الثلثمائة فارس من بنى عمه لما أوقد فى قلبه من لهيب النار وسار يطلب ديار بنى عبس وملكهم ليأخذ منه الثار فوقع بشاس بهذا الاتفاق كما قدمنا وأسر الجميع كما ذكرنا وأنزل بهم الوبل الذى هو قاتل والدى وهذا الربيع وعمارة ومالك بن قراد وهم مشايخ الحلة قد ظفرنا بهم وأسرناهم بأمان فجعلوا بنا فما بعد الربح إلا الخسران والرأى أننا نرجع إلى ديارنا ونقتلهم هناك ونأخذ منهم بالثأر ونكون قد كشفنا عنا العار ثم أنهم شدوهم على خيولهم بالعرض وعولوا على الرجوع إلى ديارهم وقد أوسعوا بهم فى جنبات الأرض فبينما هم كذلك وإذا بغبرة ثارت من بين أيديهم فتأملوها وإذا هى مقبلة نحوهم وواصلة اليهم قال الراوى وكان هذا الغبار غبار عنتر ومعه عروة ومن أثر من رجاله وكل منهم قد أيقن بهلاكه ووباله فلم

ورأى ذلك الفارس عنتر مال عليه وتقرب إليه وناداه ويلك من تكون من الفرسان ولأى العرب تنسب لعل أن ينجيك النسب ويكون لخلاص مهجتك سبب فما داه إن لم ينجنى النسب نجانى هذا السيف المشطب والرمح المعتدل المكعب أنا الفارس النجاد الضارب بالسيوف الحداد أنا عنتر بن شداد فأخبرنى من تكون أنت من الفرسان ومن تعرف من الشجعان فقال ذلك الفارس يا أسود الجلد أنا الهجام فارس بنى الريان واليوم أقودك ذليلا مهان وأضيفك على من معى من الفرسان ثم إنى أسير بكم إلى الديار والأوطان وأكشف عنى ما على من العار من قتل ملككم أبى سيار (قال الراوى) فلما أن سمع عنتر من الفارس كلامه وأبصر الأسارى الذين مربوطين على خيلهم بالعرض زعق فيه زعقة ارتجت لها أقطار الأرض وقال له يا ابن اللئام ويا من هو معدود من نسل الأوغاد الذين هم غير كرام أخبرنى من هؤلاء الأسارى الذين هم فى الشداد فقال له أما هذا فهو الربيع وأخوه عمارة أولاد زياد وأما هؤلاء فهو عمك مالك وولده عمرو وأما هذا فهو مولاك شاس فلما سمع عنتر كلامه اسودت الدنيا فى عينيه وتغيرت جميع أحواله وعظمت نار اشتعاله وقال يا غلام لقد خابت منك الآمال وقدمت إلى أسوأ الحال ونزل عليك الذل والخبال لتعرضك لبنى عبس الأشبال فلما سمع الهجام من عنتر هذا الكلام وقوله له يا غلام صار الضياء فى عينيه كالظلام ولم يأخذه هدو ولا قرار فصال وجال وترنم وقال هذا الشعر والنظام بعد الصلاة والسلام على خير الأنام :

أنا الهجام والليث العبوس ... وحامى الجار والأسد الهموس
أقيد النار فى الحرب اشتعالا ... هجوم فى الوغى قيل شروس
عبيد السوء قد وافاك حتف ... وتأتيك المصائب والنحوس
فلست كمن ترى لاقيت قبلى ... من الفرسان بل إنى العبوس
ستبقى طعمة للوحش ملقى ... على القيعان تلقاك العكوس
فدونك فاسأ برديك عاقلا ... تمزقك الكواسر والنئوس

(قال الراوى) فلما فرغ الهجام من نظامه ونثره فى الحال حمل عليه عنتر بقصد قهره وهاج كالليث الغضنفر وقابله ولم يتفكر وأنشد وقال صلوا على النبى المفضال :

دع الهذيان ياوغد النفوس ... فانى الفيل والأسد الشروس
وإنى ماجـــد فرد كمى ... إذا اشتبك اللقا قرم عبوس
غبار الحرب يشهد لى بأنى ... سأجليه إذا حمى الوطيس
وإنى أوحد الفرسان حقاً ... وليث الحرب إذا دارت كؤوس

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه مجالا فى الميدان وصالا واختلف بينهما الضرب والطعن وتعجب من فعالهما الانس والجان وعنتر ما قصد معه التطويل بل حمل فى الحال معاجلة عليه وضربه ضربة الحنق فوقعت الضربة على وريديه فاطاحت رأسه من كتفيه فوقع قتيلا وعلى وجه الأرض جديلا ثم أنه حمل على أصحابه فى عاجل الحال ونزل عليهم مثل السيل إذا سال والتقاهم بضرب يهد الجبال هذا وأخوه شيبوب يساعده برمى النبال فيصيب بها مقاتل الأبطال وبقى كل واحد منهم مدهوش وعنتر دائر فيهم بهوش وعملت بينهم الأحقاد وكثر المناد وتفتت الأكباد وصارت الرقاب تقطع والأرواح من الأشباح تنزع والأرض بالدماء تتكرع وفر الجبان من الخوف والفزع والدماء فائرة والمنايا عليهم زاعقة هذا وأصحاب الهجام قد واقعهم الندم وعلموا أنهم قد خرجوا من الوجود إلى العدم وما جرى مثل ما يموج البحر إذا التطم وشابت من تلك الواقعة الأطفال وكثرت بينهم الأهوال وزاد الصياح وأبصروا منه مالا يطاق قال الراوى هذا وشاس والربيع وعمارة ومالك وعمرو ينظرون إلى عنتر وما فعل فى تلك المغارة وكل منهم قد تحير من تلك العبارة وقد تعجبوا من اتفاق سعادته وعظم نخوته وبقى كل واحد منهم فيما جرى يتفكر ومرائرهم كادت أن تنفطر وهم مشددون على خيلهم عرضاً وقد زاد لعنتر فى قلوبهم الحقد والبغضاء فلما رأى أصحاب الهجام إلى ضربات عنتر بانها لا تبقى ولا تذر ركنوا إلى الفرار وولوا الأدبار وكان سيف عنتر لهم ماحقا وما نجا منهم إلا من كان جواده سابقا فشتتهم فى البر الأقفر فعندها ترجل عنتر عن جواده الأبجر وسعى على قدميه وقصد الأمير شاسا وقبل ركابه وتقدم إليه وحل يديه ورجليه وقبله بين عينيه وقال له يا مولاى لا أعدمت هذه الطلعة البهية ذات الأفعال المرضية ولا كان يوم أراك فيه أسيرا ولا كان يوم يصل اليك فيه الزمان بنائبة من نوائب الشر والعدوان وعبدك عنتر راكب على ظهر الحصان ثم أن عنتر تقدم إلى عمارة ورأى ما حل به من الذل والخسارة وضربه بالسوط على معاطفه وأكتافه وعلى خواصره وأجنابه حتى مزق جلده تمزيقا وأشرف على هلاكه وتلافه وقال له ويلك يا ردىء الفعال ويا أخس الرجال واندل الانذال من يعادى الرجال ينبغى أن يفعل به هذه الفعال تبرطل على عروة بالمال لما أنك عجزت عن حربى وقتالى وضربى وها قد خيب الله آمالك وأتلف احوالك وقد نصرنى الله عليك وعليه وقد أسرته وشددت يديه ورجليه وقتلت جماعة من رجاله وساءت جميع احواله ثم أنه كرر الضرب عليه ليريه بذلك شهامته وجسارته ولم يزل يضربه حتى تعبت يداه فلما نظر شاس إلى فعال عنتر بعمارة ماهان عليه واغتاظ من فعل عنتر وخرقه حرمة عمارة وهتكه بين

الناس ولكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد ثم تقدم إلى عنتر بن شداد وقال له يا أبا الفوارس بحياتي عليك وحياة أبي إن كنت تقبل لنا وداد فاقبل شفاعتي في عمارة وأطلق سبيله وسبيل أخيه وعمك وابن عمك وأيضا عروة فإنهم بنو عمك وبهم يزول همك وغمك فقال عنتر يا مولاى أنا مثلي ومثلكم في الأمر الممدوح كما قال قيس بن مكشوح :

أريد حياته فيريد قتلي فاترك ما تريد لما يريد

فأما عمارة وأخوه فاشفعك فيهم وأما عمي وولده فأنا عبدهم وبين أيديهم وأما عروة ومن معه من رجاله فإني لا أطلقه من عقاله إلا بين يدى أبيك حتى أن يحدثه بالحال ويعلمه من جسره على هذه الفعال ثم إنه أطلق عمارة وأخاه وعمه وابن عمه وعادوا وهم يطلبون الأبيات وكانوا لا يصدقون بالانفلات ولا بد أن أخذ عبلة دونى بين الأنام وأموت بحبها من الوجد والغرام فقال له الربيع بن ذمة العرب ياعمارة إنك ما ترجع عن هذه اللجاجة حتى ترمى في أشد الكيادة فقال عمارة يا أخي أن عبلة تستاهل أكثر من ذلك وأنها رخيصة فلا بد علي أن أراها حيث صار لها منيعاً (قال الراوى) ثم إنهم ساروا وهم في سعد هذا الرجل يتساءلون بما جرى له معهم ويتعجبون ثم إن شاساً نظر إلى عروة ومن معه من الرجال بين يدى عنتر وهم مشدودون بالحبال فأقبل عليه وقال يا ابن العم أى شىء هذه الفعال لقد أسأت التدبير إلى عروة مأوى الصعاليك وكهف المماليك فقال له عنتر لكنه فضولى يتكلم فيما لا يعنيه وكثرة فضوله أوقعته فيما هو فيه مما لا يرضيه وقد أغراه على الأعداء أن يسقيني شراب الردى ولا بد لي من قتله حتى لا يعادينى أحد ويفعل معي مثل هذا الأمر ويعود إلى مثله فقال له شاس ومن هو الذى يقدر من الرجال أن يكون لك منافسا وأنت ابن عمنا وقد صرت واحداً منا فقال له عنتر يا مولاى أنا مالى عدو إلا بنى زياد لأنهم كل وقت يطلبون إلى الشر والعناد وعمارة الذى برطل على بالأموال لهذا الرجل حتى خرج وفعل هذه الفعال هو ومن معه من هؤلاء الرجال وإن الله تعالى قد نصرنى عليهم على كل حال وقد فعلت ما ترى من هذه الفعال ولا بد لي من إحضار الجميع قدام الملك زهير وأقص عليه حالى وأبين له أحوالى وأخبره بما وقع لى مع هؤلاء القوم وما جرى لى معهم حتى إنه إذا رأى هذا الأمر يدبر بمعرفته ما يريد ومتى علم بذلك يصير على وعليهم شهيد (قال الراوى) لهذه الأخبار فلما سمع شاس من عنتر هذا الكلام علم أنه يقول ويفعل ما يريد من المرام فعندها أقبل شاس على عنتر وقال له يا أبا الفوارس لا تحدث على صفو عيشك الكدر ما دمت تسمع في بنى عمك كلام الأعداء الذين يريدون أن يوقعوا بينك وبينهم الشر والضر وإنى أريد من

إنعامك أن تقبل منى فى عملك ما أشرت به عليك إلا بكل خير وغاية مطلوبى أنك تنجو من كل هم وضير فاستحى عنتر من شاس وقال يا مولاى قد أجبتك وأطعتك فيما به أشرت من مقالك فقال له شاس إن كنت قبلت قولى فلا تعلم أحداً بحالنا ولا بما تم بيننا وما جرى لنا ولا تجهل أنك لقيتنا فى الطريق ولا خلصتنا من الأسر والضيق فقال عنتر وحق من من علينا بالاحسان وهو الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان ما أظهر أحداً على هذه الأحوال ثم إنه أعطى الربيع وعمارة عددهم وخيلهم وسار نحو الحلة من وقتهم وساعتهم وعنتر سائر وعروة ورجاله مرابطون على خيلهم وهو يشكر ربه على جميله وإحسانه الذى قد نصره على أعدائه حيث ظفر بهم من خيره وإنعامه فسار وهو فرحان فرحا شديداً ما عليه مزيد وهو يفتخر بأعماله وقد جاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره فأنشد يقول بعد الصلاة على الرسول :

أنا الفارس القيل الذى ليس مثله   وموردى العدا طعن برمحى
ولى سطوة فى الحرب ليست ضيخم   إذا التقت الأبطال فالفخر عاد لى
وإنى لمقدام إذا خافت الورى   هجوماً على الأبطال عند التناضل
أيا عبلة قد جاءه العد بسرعة   لكيما يكيدونى ولست بواجل
أيا عبلة إنى قد أسرت حماتهم   وعروة قد أوثقته بحبائلى
وأسقيت للهجام كاس حتوفه   وألقيته فوق الثرى إذا يملل
بنو همن قد اهلكتهم بمضاربى   على السوق والأعناق من كل باسل
وخلصت شاسا وهو فرع مليكنا   ووارث ملك كان عن كل كامل
وأطلقت حتى للربيع وبعده   عمارة المغرى بخمس سمائلى
وكم اكربة فرجتها عن أحبتى   إذا ثار نقع الجو فوق الأفضل
وكم فارس ألقى السلاح مخافة   لبأسى وعزمى مع عظيم خصائلى
سلى عنى الأبطال يا ابنة الأبطال   إذا كنت فى يوم الوغى ذا تناضل
يفيدك عنى من رأى فيه سطوتى   بأنى أجيد الطعن عن كل نازل
ومالى أنيس غير سيفى وذابلى   وقلبى كجلمود وصبرى مواصلى
ومهرى لا تفسيه يسمى بأبجر   له جلد عند اللقا لفعايلى
فلا الموت أخشى إن لم يلم بساحتى   وأسد الشرى صيدى غذائى ومأكلى
وكم من شجاع قد تركت مجندلا   تحوم عليه الطير ذات الغوايل
لهذا مالى يوم كل كريهة   ومالى فى يوم اللقا من مماثل

ولى همة فوق السماك محلها وعند اللقا فى غيرها لم تعاذل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه سار يقطع البرارى والقفار وعروة ورجاله معه فى الأثر والاضرار حتى أنهم وصلوا إلى الديار ودخلوا على الملك زهير فوجدوا الربيع وعمارة وسائر بنى زياد عنده وهم فى فكرة وضنين فدخل عنتر عليه وقبل الأرض بين يديه قال فلما رآه الملك زهير فرح به غاية الفرح واتسع صدره له واستبشر وانشرح وسأله عن أحواله وقصته وما لاقاه فى سفرته فقال يا مولاى قصتى عجيبة وحالتى غريبة وان أمرنى الملك قصصتها عليه وأبديتها إليه فقال له الملك أذكرها لى حتى أسمع وتكلم ولا تفزع قال وكان الربيع وعمارة حاضرين كاذكرنا فنشف ريقهم وجمدت أعينهم فى وجوههم خوفا من أن يحكى قصتهم مع القصة بالجملة إذ عند العرب إفشاء العيوب أمر من قطع الكبود وخلع القلوب وكانوا لما طالقهم عنتر سبقوه إلى الديار وجلسوا فى مجلس الملك زهير بين الحضار وقد خافوا من عنتر أن يحدث الملك بالقصة ويورث القصة فابتدأ عنتر وحدث الملك زهير بما حصل فى سفرته وقص عليه جميع قصته فصعب عليه وعظم لديه ثم أنه استدعى بعروة العقل والكرم والفروسية وحسن الشيم فالذى قادك إلى معاداة هذا الرجل الذى لم يصل اليك منه شىء يؤذيك وهو حامية عبس وأفرس من طلعت عليه الشمس وهو جامع شمل العشيرة بعد الطمس فقال عروة يا مولاى ما أعرف شيئا مما تقول عنى ولكن أنا أحدثك بحالى وأبين لك صدق مقالى وكذبى من محالى وأنت تعلم أنى رجل كثير الأسفار شهرا غائبا ويوما فى الديار وفى هذه التوبة أخذت رجالى وطلبت مذحج قد وصلت إلى أرض الردم وأنا سائر أتحدث مع بعض القوم وأنا قد نفر الوحش فصار عن يمينى الغزلان وعن شمالى الغربان فقلت فى نفسى دعنى أصطاد من هذا فعدلت اليها فشردت وإلى الجبال طلعت اعدلت أطلب الديار فلقيت عنتر فى طريقى وأنا سائر وهو يتصيد فى تلك القفار والدوائر وكان فى قلبى منه أمر عظيم يمزق المرائر لما سمعت من فعاله وحربه وقتاله لأنى ما عاينت نزاله ولا شاهدت قتاله ولما رأيته منفردا أردت أن أجرب روحى معه وأختبر شجاعته وفروسيته وقلت إن ظفرت به نلت عند العرب المنزلة العلية والرتبة السنية بالذكر بين الملا والفخر وقد شدونى بالوثاق وشد جميع من كان معى من الرفاق وقال لى أنت أخذت على البرطيل من أعدائى وخرجت لتجعلنى قتيلا أو جديلا واتهمنى بشىء لم أعرفه ولا أعرف معناه وأنى بالزور فى دعاه فقال عنتر وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب والرب إذا طلب كل العباد غلب لقد كذبت فى مقالك يا كلب العرب قبح الله لى من أرسلك ومن المصائب ما حملك ولا

احتملك ثم أن عنتر التفت إلى الملك زهير وقال ياسيدى وحق الكعبة المضية ومكة العلية ماكان مكثنا فى أرض الردم إلا لقتلى وإذلالى لأنه كان ينتظرنى يوما بعد يوم وقد جعل على العيون والأرصاد طمعا فى برطيل بنى زياد وهذا عمارة الذى ضمن له المال على قتلى ثم أنه قال لعمارة يا ابن زياد هذا ذل منك ومهانة و عجز منك وخيانة أنك تبرطل على وتطلب بلوغ مناك بغيرك وهذا شىء لايتم لك وأنت تزعم أنك من أصحاب الحسب والنسب فان كان فى نفسك شىء فابذل مهجتك وخاطر بنفسك بين العرب وابرز إلى أنت وأخوتك وأنا ما أحاديكم بسيف منتضب وما أقاتلكم إلا بهذه العصا التى هى من الخشب وكونوا أنتم على أتم الأحوال والبسوا كامل آلة الحرب والقتال وحق الملك المتعال وأنا أشهد على وعليكم هذا الملك المفضل فأما أن تظفروا بالمنى وأما أن تموتوا أبدا ماله دواء فقال عمارة والله ياعبد السوء أنك أذل وأحقر وإن أردت هذا فسوف تلقاه أسرع من لمح البصر وتعلم أنى أسقيك كاس الحمام وأفلق رأسك بهذا الحسام فقال عنتر فلم لا تعلم لاتعدل بالقيام وتصدق فى الكلام وتترك القيل والقال فإنى أريد منك أن تفعل هذه الفعال حتى أنى أريك إلى ما تريد من الفعال وتفزع من يخاف منك ومن لايخاف من أقرانك فى موقف الحرب والضرب والنزال وأنا لو تقرز لى الموت فى صفة إنسان فى الميدان لضربته بالقضيب ليبان ثم أنه بعد فراغه من هذا الكلام وما ابداه من المرام أنشد وقال بعد الصلاة والسلام على النبى المفضال :

تهدد بالقتال وبالنزال شجاعا طبعه طعن العوالى
عمارة لو صدقت وقلت حقا غدلت من المقال إلى الفعال
فيا ابن زياد قد عاديت ليثا صورلا فى الملمات الثقال
بياض فعالى وسواد جلدى أشد عليك من ضرب النصال
سأحويها ولو أن المنايا تميل على فى صور الرجال
واحظى بالذى ارجوه حتما بأمر مهيمن ماضى الفعال
وقد عاينتنى فى يوم طى فإن انكرتنى فانظر قتالى
عمارة لو ذكرت اليوم ما قد جرى لك كنت تبقى فى خبال
ولكنى لأجل فتى كريم سأستر ما مضى لك من ضلال

(قال الراوى) ولما انتهى عنتر من شعره ونظمه وقد دبرت ترجواه بما قاله من الشعر والنظام قد أبداه قام اليه الربيع بمكره ودهاه وتلقاه وقبله فى صدره وبين عينيه وقال

يا ابن العم وذمة العرب لقد كذب وفشر من أخبرك عن أخى عمارة بهذا الخبر ومتى جعلت أذناك طريق اللئام واعلم بأن أخى عمارة من يوم سأله الملك المفتخر أدام الله تعالى توفيقه وجعل إلى الخيرات طريقه فى السكوت عن تلك الجارية سكت ولم يتكلم بذكرها بعد هذا الكلام وإن سمعته أطحت رأسه بهذا الحسام وأما عروة فكل من فى الحلة يشهدون له بالفتوة ويقرون له بالكرم وحسن الأخلاق والشيم وصدق الكلام والمودة وحفظ الذمام وما يفعل فى حق الأرامل والأيتام وطول عمره يطلب لهذه القبيلة الذكر الجميل بين الأنام فلا تدخله فى أمر يكون عليك فيه وبال ولا علينا ولا على بنى الأعمام وما هو إلا صادق فيما قال وما عليه فيه ملام وما طلب منك القتال إلا على سبيل المزاح وقد جارية على فعاله وأهلكت أكثر رجاله وأبطاله ولكن عذرك فى هلاكهم واضح ومثلك من يعفو ويسامح وأنت ما عرفتهم وما ظننت إلا أنهم طالبون لقتالك ومؤاخذوك على فعلك وذلك كان بقضاء الرب الكريم رب موسى وإبراهيم * ولما رأى الملك زهير أن هذه التوبة مشكلة من سائر الجهات لم يكن له أصوب من الصلح بينهم لأن الربيع شيخ من مشايخ بنى عبس ومشيرها فى كل الأمور وعروة عند جميع الناس محمود ومشكور وعنتر كذلك غير أنه من أعدائه محسود ومنصور وضده مكمود فاصلح بينهم صلحا لم يكن مقبولا بل هو صلح مضيع لا يضر ولا ينفع لأن أحقاد العرب تزاد ولا تزول كما أشار الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول :

قلوب حشوها حسد وغل وأضغان كنيران الزناد
فما هــذا اتفاق بل نفاق كصلح العامرية بالفساد

(قال الراوى) ثم إنهم بعد ذلك نهضوا وتفرقوا وقد شاع هذا الحديث فى القبيلة وسمع به شداد أبو عنتر ففرح بما قد حصل لولده من هذا الفعال وكيف خلص من الرجال الثقال لأن عروة كان فارس بنى عبس الأوحد وعمادها الأمجد ورجاله ركن من أركان بنى عبس ففرح شداد وزاد به الاستبشار وحمد الإله القديم وانقلب بغضه بمحبة من وسط الصميم وصار يهجس بفعاله ويحدث بهذا الخبر بنى عمه وكل رجاله وأما مالك وولده عمرو فإنه عظم عليهم هذا الأمر وقال مالك هذا شيء لا ننال به مقصود ولا نكيد به حسود لأن هذا الملك الخرفان قد كسانا الذل وثوب الهوان وقد صار يعجبه فعائل هذا العبد ولد الزنا وتربية الخنا وأنا إن لم أهلكه فما نلت المنى وإن لم أبعده عن الديار وألقيه فى الأخطار وإلا ألبسنا ثوب العار ثم صاروا يدبرون الأمر فى هلاك عنتر وكذلك الربيع أحس أن قلبه قد تفطر وأشرف على الهلاك ولم يجد من ذلك انفكاك

ولما كان من الغد خرج عنتر إلى البر وكان يفعل هذا من ضيق نفسه والصدر وقد حار فى أمره فلما علم الربيع ذلك وأن الحى خال من عنتر أنفذ خلف مالك فركب إليه وسلم عليه وركب عمارة وساروا على خيلهم يتحدثون وفى قتل عنتر يتشاورون فقال الربيع لمالك وقد علم ما فى نفسه إن أردت قتل عنتر فاسمع منى مقالى لأنى أنفذت خلفك حتى دبرت فى هلاكه واتلاف مهجته فقال له مالك وماذاك يا أخى فقال له الربيع وذلك بأن تظهر له المحبة والوداد كما يفعل الأقارب بالأولاد ولا تمنعه من دخول الخباء وبعد ذلك طالبه بمهر ابنتك وإذا قال لك وما الذى تريده من المهر الكثير فقل له أريد منك ألف ناقة من النوق العصافير التى للملك المنذر ابن ماء السما اللخمى حتى تفتخر بها ابنتى على سائر بنات العرب وتصير لك أنت المنزلة العالية على أصحاب الحسب والنسب وأنا أعلم يا مالك أنه إن سار إلى بنى شيبان فيأخذوه أسيرا مهانا إذ أنه تعرض لهذا الملك العظيم الشأن وألقى روحه للمنايا ومخالب العقبان ولا تعود تسمع حسه ما بقى الزمان ويكون عذرك واضحا عند الملك زهير وعند سائر العربان لأنهم يقولون أنه مضى ليأتيه بمهر ابنته فاغتالته طوارق الحدثان (قال الناقل) ولما أن سمع مالك ذلك رآه عين الصواب وخف عن قلبه البلاء والالتهاب وقال عمارة يا أخى وحق ذمة العرب لقد فتحت لهذا العبد بابا ذا عطب وما عادوا إلى المضارب إلا وقد أيقنوا أن عنتر بهذا التدبير عاطب (قال الأصمعى وأبو عبيدة) ثم أن عنترا أقبل عند المساء من صيده فتلقاه عمه مالك وضحك فى وجهه وأمر العبيد أن يأخذوا ما معه من الوحش والغزلان فأخذوه وأصلحته المولدات وأخذوه إلى بيته وجعل يحادثه حتى راج الطعام وأكل هو وأخوه شداد وولده عمرو مع عنتر ثم أحضروا المدام وقضوا به أكثر الظلام وشداد لا يرفع رأسه من نظره إلى ولده عنتر ولا يشبع من كلامه ويقول لأخيه مالك يا أخى أن غلمان بنى زياد يبغضون ولدى عنتر ويكرهونه وأنا لم أر فيهم مثله وحق الرب القديم رب البشر يا أخى أنه ليس فى العرب العرباء شرقا ولا غربا أفرس من عنتر ولا فيهم مثله ولا أرى فيهم من يضاهى شجاعته ولابد أن يكون له شأن ثم بكى شداد وقبل عنتر بين عينيه والتفت إلى مالك وقال له يا أخى إن كنت تحبنى فاحب ولدى لأنى قد أحببته بعد بغضه فبالله كن مقربا له وارع ذمامه وأكرم لأجل مثواه وعظم احترامه فقال مالك بخبثه ودهاه بعد أن أسال دمعته على خديه مما أبداه أنت يا أخى عمادنا وعنتر حاميتنا وأن عنتر لسيفنا القاطع ودرعنا المانع وبنو زياد لا يريدون رفع مجدنا ولا علو قدرنا ولكننا نراعيهم لكونهم لنا أرحاما والباغى له مصرع وهو من الذباب أوقع ففرح عنتر بذلك الكلام ورآه من أوفى المرام وتلذذ من عبلة بالمنادمة والكلام إلى تمام

الثلاثة أيام وفى الليلة الرابعة خلع الملك زهير على عنتر خلعة ليس للعشرة مثلها وقد طاب قلب عنتر بمشاهدته لمحبوبته عبلة وصار ابن عمه عمرو يحادثه وينادمه على الخمرة ويستحسن الخلعة التى عليه ويقول له ياأبا الفوارس مارأيت أحسن من هذه الخلعة التى عليك فلما سمع عنتر كلامه عرف معناه وعرف مايريد منه فخلعها عنتر من على بدنه والبسه إياها وقال يا ابن العم وسوف تنظر ما يصل منا إليك من الخلع والقلع الجميل ثم إنه أشار إليه وأنشد وجعل يقول ونحن وأنتم نصلى على الرسول :

إن للدهر صاح مداً وجزرا — واطرق الحياة سهلا ووعرا
كم ملكنا من فارس ذى جنان — لايسامى فى الناس مجداً وفخراً
كم خلعنا من خلعة فى مقام — ليس يحصى لها الفوارس قدرا
غابت النجم ثم لاحت شموس — ستراها فى غيهب الليل بدرا
فاسقيتها من الصباح إلى أن — يأتى الليل والكواكب زهوا
ودعانى أشاهد البدر ليلا — وأقبل ياصاح خمساً وعشراً
بدر تم ما مثله يا نديمى — هو روحى وراحتى فيه ذكرى
وأنا عنتر الفوارس حقاً — ومبيد الأبطال عبداً وحراً

قال الراوى فلما انتهى عنتر من شعره قال له عمه ياابن أخى إن عبلة اليوم هى أمتك والمرتبة مرتبتك وأبوها عبدك وأخوها خادمك فلما سمع عنتر كلام عمه زال همه وغمه ومن سكره وعشقه ماوجد شيئاً يكافئه به على كلامه إلا ثيابه التى كانت على جسده فخلعها على عمه وكان لها قدر وقيمه ومابقى عليه إلا سراويله وصار يتخضع لعمه ويقبل يديه وقدميه قال فلما نظرت عبلة إلى عنتر كأنه فحل جاموس ورأت جسمه وهو عريان كأنه قطعه أبنوس وفيه ضربات السيوف وخدوش الرماح صارت عبلة تضحك عليه وتعجب من جثته وعظم همته وتبتسم فى وجهه من محبتها له فلما نظر عنتر إلى عبلة وإلى ضحكها عليه أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

ضحكت عبيلة مذ رأتنى أسودا — وبجانبى من الرماح خدوش
لا تضحكى وتعجبى منى إذا — دارت على مواكب وجيوش
يا عبلة ماتدنى الرماح منية — نحو الشجاع ولا الجبان يعيش
التى صدور الخيل وهى عوابس — وأنا ضحوك بعدها نحوها وبشوش
إنى لأعجب كيف ينظر صورتى — يوم الهياج مبارزى ويعيش
إنى أنا ليث العرين ومن له — أضحى الجبان محيرا مرعوش

وأنا الذى أسطو على جمع الورى　　وأصول فيهم بالقنا وأهوش

(قال الراوى) فما استوفى عنتر أبياته حتى قامت إليه عبلة وقبلت رأسه وقالت والله يا ابن العم أنا ما ضحكت إلا فرحاً بك وبرؤيتك وتعجبت من صورتك ونظرت إلى الجراحات التى فى جسدك وأنت لا تلتفت إليها ولا تبالى بها فعلمت يا ابن العم أنك أسد ضارى وبحر جارى (قال) ثم إنهم أتوه بثياب غيرها فلبسها ولم يزل كذلك مع محبوبته وعمه مالك فى أكله وشربه وتلذذه مدة تسعة أيام وكل يوم يزيد له عمه فى الاكرام ويجتمعون على شرب المدام فلما أن كانت الليلة العاشرة طاوله عمه فى الكلام وشرب المدام حتى نامت النسوان وهجعت العبيد والغلمان وذهب أبوه شداد إلى بيته ولم يبق إلا عنتر ومالك وولده عمرو وقد سكروا من تناول الأقداح فقال له عمه يا أبا الفوارس أى شىء فى نيتك وما فى مرادك أن تفعل فى حق ابنتى فإنك قد قطعت عنها الخطاب ومنعت عنها الطلاب أتأخذها يا عنتر بلا مهر ولا صداق وتتركها معيرة طول الدهر فى جميع الآفاق فقال عنتر يا مولاى أنظر ما تريد من المهر لهذه الحرة المصونة والجوهرة المكنونة ومهما أردته وطلبته فلا يكون له قيمة وأنا كنت منتظر كلامك فاطلب ما تريد ولا تطلب إلا ما تعجز عنه الفرسان الصناديد وأنا آتيك به بقوة الملك المجيد فقال مالك وذمة العرب والرب إذا طلب كل العباد غلب لا أطلب منك إلا مثل سنة العرب وهم لا يطلبون فى الصداق إلا الجمال والنياق وأنا أريد منك ألف ناقة من نوق الملك المنذر لأنها لم توجد عندنا فى أرض الحجاز وتكون فى أمو النا مثل الطراز وتنال بذلك العز والافتخار إذا أتيت بها فهى مهر محبوبتك فقال عنتر وقد داخله الفرح واتسع صدره والشرح وزاد به الاستبشار وقد لعب بعقله الخمر وشرب العقار وقال يا عماه أيوجد عند الملك المنذر هذا القدر من النوق قال نعم وإنما دون ذلك شدائد وأهوال ولا يقدر أحد أخذ ناقة منها إلا فحول الرجال لأنها محفوظة من حولها بالرجال والأبطال وقد سماها النوق العصافير فقال عنتر أنا آتيك بها بإذن العليم القدير لتفتخر بها على طول الدهر وتنال بها بين القبائل الفخر وتجعلها غيظاً لبنى زياد وقطعاً لكلام الأعادى والحساد فشكره عمه وقال ما أريد منك شيئاً سواها واصنع لك وليمة ونجمع فيها سادات العرب أقصاها وأدناها حتى تبلغ عبلة ابنتى مناها وأنحر من جمالى ما يكفى بنى عبس لأن الحبل بينى وبينك قد اتصل ولا أمنع عنك ناقة ولا جمل وما زال عمه يرقق له الكلام والخطاب حتى أنه أنعم وأجاب *قال ولم يعلم عنتر أن النوق والجمال للملك المنذر المفضال سيد سادات العربان وخليفة كسرى أنوشروان وأنه صاحب التاج والإيوان والحاكم على قبائل العربان فقال عنتر يا عماه إذا أنا أتيتك بهذه النوق محملة من خزائن صاحبها إلى عندك

تخاصر لى نيتك وتزوجنى ابنتك فقال مالك نعم يا ابن أخى لك على ذلك فعندها عاهده عمه وحلف بالبيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام إنه صادق فيما قال من الكلام فعند ذلك قام عنتر إلى منزله وما جاءه فى تلك الليلة منام وذلك مما ناله من الفرح ولم يعلم أن عمه أراد هلاكه ثم إنه قام نصف الليل ونبه أخاه شيبوباً وقال له شد الأبجر فقال له شيبوب إلى أين يا ابن الأم يكون المطلوب وإلى أين أنت قاصد فى هذا الظلام أصدقنى يا أخى فى الكلام فقال عنتر إنى سائر فى طلب مهر بنت عمى عبلة لعل الله يفرج عن قلبى تلك العلة فقالت أمه يا ولدى أطلب عمك هذا المهر ومال قلبه إليك بعد الجفا فقال نعم يا أماه والظاهر لى أنه قد زال من قلبه النفاق والحسد وذهب عنه الرياء والكمد وقد عاهدنى أنه يزوجنى بابنته إذا أحضرت له الصداق فقالت كان الله لك عوناً وردك إلى أوطانك ولك حافظاً ومعيناً على كيد الأعداء وردك إلى سالماً ثم إن شيبوب شد الجواد وأحضر آلات حربه وجلاده وخرج الاثنان فى ظلام الليل الحالك وأمهما خلفهما تبكى وتنوح من كبد مجروح خوفاً من وقوعهما فى المهالك وبعدها رجعت أمهما زبيبة وقلبها لا يصدق بوعد عمه مالك هذا وقد سار عنتر وتبطن فى القفار وأبعد عن الأهل والديار وتفكر فى بعده عن محبوبته عبلة وفى فؤاده منها غلة فلعلع بصوته فى البر الأقفر وهو سائر يتحسر وأنشد يقول

أتانى طيف عبلة فى المنام ... فقبلنى ثلاثاً فى المنام
وودعنى فأودعنى لهيباً ... يؤرقنى ويشعل فى عظامى
ولولا أننى أخلوا بنفسى ... وأطفى بالدموع جوى غرامى
لمت أسى ولا أشكو لأنى ... أغار عليك يا بدر التمام
أيا إبنة مالك كيف التسلى ... وعهد هواك من عهد الفطام
وكيف أروم منك القرب يوماً ... وحول خباك آساد الآجام
وحق هواك لاداويت قلبى ... بغير الصبر يا بنت الكرام
إلى أن أرتقى دوح المعالى ... بطعن الرمح وضرب الحسام
أنا العبد الذى خبرت عنه ... رعيت جمال قومى من فطامى
أروح من الصباح إلى مغيب ... وأرقد بين أطناب الخيام
أذل لعبلة من فرط وجدى ... وأجعلها من الدنيا اهتمامى
وأمتثل الأوامر من أبيها ... وقد ملك الهوى منى زمامى
رضيت بحبها طوعاً وكرهاً ... فهل أحظى بها قبل الحمام

وإن عابت سوادى فهو فخرى — لأنى فارس من نسل حام
ولى قلب أشد من الرواسى — وذكرى مثل عرف المسك نامى
ومن عجبى أصيد الأسد قهرا — وأفترس الضوارى كالهوام
وتقنصنى ظبا السعدى وتسطو — على مها الشربة والخزام
لعمر أبيك لا أسلو هواها — ولو طحنت محبتها عظامى
عليك أيا عبلة كل يوم — سلام فى سلام فى سلام

(قال الراوى) فلما انتهى عنتر من أبياته سار وقد تبطن فى البرارى والقفار فقال له شيبوب إلى اين تريد أن تركب وإلى أى المذاهب تذهب فقال أقصد ياشيبوب أرض العراق ومنازل بنى شيبان لأن عمى أخبرنى انهم أكثر العرب أموالا وجمالا وإن فيها ماندبنى عمى إليه ومافيه أرغب من المال فقال له شيبوب لو أقمت فى الحى إلى الصباح وأعلمت صديقك مالكا ابن الملك زهير بهذا الرواح فإنه إذا علم بحالك فربما يساعدك على بلوغ آمالك لأن هذه الديار التى أنت قاصدها بعيدة ومسالكها صعب شديدة فقال عنتر سر أنت ودع عنك كثرة الكلام فإنى لا أريد مساعداً على بلوغ المرام إلا الذى خلق الضيا والظلام ورزق الطير والوحوش والهوام وهذا السيف المشطب وهذا الرمح المكعب والذى فعلته أنا فهو عين الصواب وإلا لو كنت سرت على رؤوس الأشهاد فربما العدا لى مكيدة أو مصيبة يوصلوها إلى ويبلغون منى المراد قال فعلم شيبوب صدق هذا المقال وصحة تلك الأحوال فعندها سار بين يديه وقد استقبل ريح نجد فهاج به الوجد وهبت عليه روائح الخزام فأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أجوب الفيافى والقفار باسرها — عسى الله أن يدنى مراد أحبتى
واقتحم الخطب الجليل لعل أن — أنال الذى أرجو وأبلغ منيتى
وأغدو إلى أرض العراق بهمة — أجول بها من عظم بأسى وشدتى
وأرجع بالنوق العصافير سالماً — وأكيد أعدائى اللئام بعودتى
لتعلم فرسان الهياج بانى — أنا فارس الهيجا وحامى عشيرتى
أياعبلة أنى فى هواك مخاطر — وقد سمحت نفسى بروحى ومهجتى
وانهب أموال العراق بصارمى — وترجف أرض الفرس من سطوتى
أصول إذا ثار العجاج بادهم — من الخيل حر أرتجيه اصولتى
إذا ماجرى فى البر لابرق خاطفاً — والقاه تحت النقع حافظ صحبتى
تراه كمثل الليث فى حومة الوغا — بصدر رحيب فى مجالى وخبرتى

نذرت على روحى إذا عدت سالما إلى العلم السعدى وأرض الشربة
أحج إلى البيت العتيق تطوعا وأشفى غليل النفس من بعد شقوتى
ترى تجمع الأيام ياعبلة بيننا وتخمد نيرانى وتمسى ضجيعتى
أنا الضيغم الموصوف فى حومة الوغا صروف الردا أضحت تذل لهيبتى
علوت على أبناء جنسى تكرما ولست أبالى أن تدانت منيتى
ولى همـــة عبسية عنترية وسعدى علا فوق الثريا وهمتى

(قال الراوى) ثم سار عنتر يعسف فى البرارى والقفار والسهول والأوعار إلى أن تضاحى النهار وإذا قد لاح من بين أيديهم غبار وتقرب وبان للنظار وانكشف من تحته فرسان كأنهم العقبان فلما قربوا من عنتر عرفوه وصاحوا عليه وطلبوه وقالوا له إلى أين ذاهب يا غدار وسائر فى هذه البرارى والقفار ونحن لك فى الانتظار فى هذا اليوم تصرم عمرك ونكفى الناس شرك قال فلما سمع عنتر هذا المقال احمرت عيناه ولا بقى يعرف ما بين يديه ولا يراه وسل سيفه الظامى وصار يدافع عن نفسه لما رآهم قد ألحوا فى طلبه فاستقبلهم بهمة غير فاترة وحمل عليهم حملة منكرة وأراد أن يهلكهم فى تلك البرارى والوديان وأن يسقيهم كؤوس الهوان وقد تبين له أنهم أعداه وقد أكمنوا له فى تلك الفلاة فصار يذم الزمان على ما أبداه من فعاله وكيف عاقه عن بلوغ آماله ثم جاش الشعر فى خاطره فانشد وقال صلو على النبى المفضال :

عاندنى الأيام حتى كأننى عدو لها فى ليلها ونهارها
وتجمعنى مع كل أحمق جاهل وتحسب أنى عاجز عن كفاحها
فلو مثلوا لى صورة الموت بينهم خضبت يدى من دمها وجرحها
ولى صارم لو أن ضربت بحده صروف الليالى بان شين فلاحها
أكر على الأبطال كرة باسل ولو أن بحر الحرب زاد طفاحها
ولو أنصفونى لم يكونوا تعرضوا لحربى ولو كانوا أسود بطاحها
أنا عنتر العبسى فارس قومه وذكرى سرى بين الورى بصلاحها
وإنى لهجام إذا اشتبك القنا إلى أن تروح الروح بعد فلاحها

(قال الراوى) فلما انتهى عنتر من شعره زعقت عليه الرجال وتسارعت إليه الأبطال وحمل عليهم عنتر وصال فيهم صولته المألوفة وهجم على مقدم القوم وهو مثل السلب وأراد أن ينزل به العطب وإذا بالفارس كشف عن وجهه اللثام وأبدى الضحك والابتسام وإذا به شاب معتدل القوام ثم أنه ناداه لا تفعل يا أبا الفوارس أنا ابن الملك زهير

ابن الحارث الذى ما رأيت منه إلا كل الخير سلمك الله من كل هم رضين ثم أنه دنا منه وسلم عليه فلما حقق عنتر رمى الرمح من يديه وترجل إليه وكان هذا طريد أخيه مالك الذى يحب عنترا ويتعصب له وكان الآخر كذلك وسبب ملتقاه به أنه كان غائباً فى وليمة عملت له فى بنى غطفان ولما عاد من الوليمة التقى بعنتر وهو سائر وشيبوب كما ذكرنا . فلما رآه أراد أن يمازحه حتى يتفرج على طعانه فصاح فيه وجرى بينهما ما جرى فندها ما عرفه عنتر قال له يا مولاى لأى شيء تفعل هذه الفعال وحق الإله المتعال لقد خاطرت بنفسك وبهؤلاء الرجال لأنه لو كان فرط منى أو سبق لك منى ضرب ثم علمت أنك طريد سيدى مالك بن زهير لكان تلبس بة إلى لظا الجمر ربما مت من الكمد ولم يدر بى أحد ولا كنت أقدر أن أقيم فى الحى أبداً فضحك الحارث وتعجب من ذلته إليه وخضوعه بين يديه فقال لله درك من فارس مهاب فقرم وثاب ولكن إلى أين سائر وذاهب فى هذا البر والسباسب فقال عنتر يا مولاى أما سمعت قول القائل من أراد النفيس خاطر بالنفيس وأنت تعلم أن عبلة بنت عمى قرة عينى وقد قاسيت من أجلها ما قاسيت من الذل والشقاء حتى أنعم لى أبوها بزواجها وقد طلب منى مهرها وها أنا قد خرجت فى طلبه وأنا آمل من الله تعالى أنى أعود حتى أبلغ بسعادتكم مآربى فقال له الحارث أرضى منك عمك بالمهر وأطاعه لك رب السماء والأرض بعد هذا العصيان بطول الدهر فقال نعم يا مولاى حصل ذلك وهان الأمر فقال الحارث ارجع معى إلى الحلة وأنت تعلم أنه ليس فى أموالنا قلة وأنا متعجب كيف أنك لم تعلم أبى بمسيرك فى هذه البرارى البيد فقال عنتر يا مولاى ما علموا بمسيرى ولا أطلعتهم على شيء من أمورى فقال الحارث لقد أخطأت بطلعتك فارجع ولا تحرمنا رؤيتك رأنا وحياة أبى أعطيك كل ما تريده من نوق وجمال وذهب وملبوس وأضمن لك أن أبى يعطيك ما يكفيك ولكن يا أبا الفوارس كيف أن أهلك تركوك وحيداً ولم لا أعطوك من أموالهم ما تريد فقال عنتر أنهم ما معهم خبر من أمرى ولا أطلعتهم على سرى فقال الحارث وماذا عليك يا أبا الفوارس أن أطعتنى بأن ترجع معى إلى الحلة ولا تخالفنى وأنا أبلغك المراد ولا تشمت بك الأعدا والحساد فشكره عنتر وقال له يا مولاى إن عمى طلب منى حاجة من تلك الأرض والبلاد وهى لا توجد فى أرض الحجاز يا ابن الأجواد فأجبته إلى ذلك وقلت له نعم وها أنا من أجلها أقطع البر والآكام وأنا بعد ما قلت نعم لا أقول لا لكى لا أبقى أحدوثة فى الملائم أشد وقال صلوا على النبى المفضال :

لا تقل لا بعد ما قلت نعم   تلبس العار وتبقى فى ندم   قول لا بعد نعم فاحشة

وهو يحكى من بفحشاء ألم وإذا صاحبت فاصحب ماجدا فيه نبل ذا حياء وكرم
قولك للشيء لا ينتج لا وإذا قلت نعم قيل نعم اجعل المال امرض جنة
انفق المال ولا تخش النقم رب فقر قد أتى بعد غنى وغنى قد أتى بعد عدم

(قال) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه وسمع الحارث حسن كلامه قال له كلما يا عنتر نسير معك وعلى ما تريد نتبعك فقال عنتر لا يكون ذلك أبدا ولا أخاطر بمثلك فى طرق الردى فقال الحارث إذا كان الأمر كذلك فسر مصحوبا بالسلامة آمنا من الندامة ثم أن الحارث ودعه وسار طالبا أرض الشربة والعلم السعدى ثم أن عنترا وشيبوبا سارا ولو كان لهم أجنحة لطارا وصارا يقطعان الأرض والآفاق وهما مجدان إلى نحو أرض العراق وهما كما أشار الشاعر حيث قال :

لأجلك سعى واجتهادى وخدمتى ويا ليت هذا كله فيك يثمر
فو الله ما بعدى محب ومشفق وسوف إذا جربت غيرى تذكر
تبعت الذى يرضيك فى كل حاجة فان لم تكن تبصره فالله يبصر
فما شئت من أمر فسمعا وطاعة فما ثم إلا ما تحب وتأمر

هذا واستمر عنتر سائرا وشيبوب يرد أمامه الوحش وهما سائران سيرا حثيثا إلى أن أقبل عليهما المساء وطلبا بعض الغدران وعولا على المبيت وإذا هم بمضرب شعر منصوب وإبل ترعى فى تلك الأرض تسعى فقصدها عنتر النحرير وإذا هو بشيخ كبير قد حناه الكبر وصار عبرة لمن اعتبر وهو كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات :

وشيخ فوق ظهر الأرض يمشى ولحيته تعادل ركبتيه
فقلت له لماذا أنت محنى فقال وقد رفع نحوى يديه
شبابى فى الثرى قد ضاع منى وها أنا دائما أسعى عليه

وفى يد الشيخ قعب ملآن من ابن اللقاح المبرد فى الرياح ممزوجا بالماء القراح فلما رآهم نادى أهلا وسهلا بضيوف أتونا كرام قد ساقهم إلينا الملك العلام فلما سمع عنتر كلامه دخله الفرح وتناول القدح وشرب حتى ارتوى وناوله لشيبوب فارتوى أيضا ثم أن عنترا ترجل عند باب المضرب ووطأ الشيخ تحتهم نوعا من الطنافس وهو يقول أهلا ومرحبا وكان جواده موقرا من الغزلان فاضرم لهم الشيخ النار وصنع الطعام وأحضر المدام وجلسوا يأكلون ويتحدثون إلى وقت الظلام وبعد ساعة سأل الشيخ عنتر وقال يا ولدى لماذا أتيت إلى هذا البر الاقفر أعلمنى يا ولدى بالخبر فعندما أخبره عنتر بالقصة وما وقع له مع عمه مالك

أبى عبلة وكيف أنه طلب منه المهر والصداق وأرسله إلى أرض العراق وأنه طلب منه النوق العصافير التى فى ملك الأرض والآفاق * قال فلما سمع الشيخ جميع ما قاله عرف أن عمه ما أرسله إلا للهلاك فقال الشيخ ألا قاتل الله عمك مالك وضيق عليه المسالك فلقد رماك إلى الهلاك والتدمير ودبر على قتلك باحسن تدبير فقال له الأسد الماحك كيف ياعم ذلك فقال الشيخ هذه النوق لا توجد إلا فى بنى شيبان وهى للملك المنذر سيد العربان وتحت يده شجعان ويحكم على جميع العربان وهو نائب كسرى أنوشروان صاحب الأيوان وهذه النوق التى ذكرتها لا يقدر أحد عليها غيره فلا تتعرض لها لئلا يمسك شره وضره وأقول لك ايضا ياولدى هب أنك ملكتها بتدبيرك فمن الذى من هذا الشر يجيرك لقد جملك عمك كالا وابد ورماك فى الشدائد وما فعل معك هذه الفعال إلا زورا منه ومحال واعلم إنى ما نصحتك إلا لا كلك معى الزاد وأراك فارسا جوادا فقال شيبوب لأخيه عنتر لقد صدق هذا الرجل ياابن الأماجد واعلم أن عمك فيك زاهد فانقض ياأخى هذا العمل ولا تبلغ الأعادى فيك الأمل وارجع بنا ورد كيد عمك فى نحره ودع عمارة يموت بغيظه وأخبر الملك زهير بامرك فلعله أن يأخذ لك عبلة منه إن أبى أو أراد فقال عنتر ويلك ياشيبوب أى شىء هذا الكلام وإنى لا أسمعه حتى لا يرانى عمى بعين النقصان ولا أقول فى الأمس نعم وأقول بعدها لا ولو أبقى طعاما للوحش الفلا ولا أفعل هذه الفعال ولو مالت على الجبال فى صورة الرجال قال وما زال على مثل ذلك الرواح وهما فى ملك الأرض والبطاح إلى أن أصبحا الصباح فودعا الشيخ وسارا قاصدين أرض العراق فى البرارى والآفاق وقد حمل عنتر نفسه غاية الخطر وعشقه لعبلة غيب عنه السمع والبصر وكلما طالت عليه الطريق يتذكر عبلة وتلك الأوطان فينشد ويقول بعد الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان :

بارض الشربة شعب بوادى   رحلت وهم فى صميم الفؤاد
يحلون فيه وفى ناظرى   وإن بعدوا فى محل الواد
إذا خفق البرق من حيهم   أرقت وبت حليف السهاد
وريح الخزامى بذلك النقا   يذكرنى عرف ذات الأيادى
أيا عبلة منى بطيف الخيال   على المستهام وطيب الرقاد
عسى نظرة منك تحيا بها   حشاشة ميت الجفا والبعاد
أيا عبلة ماكنت لولا هواك   قليل الصديق كثير الأعادى

وحقك لا زال ظهر الجواد مقيلي وسيفي ودرعي وسادي
إلى أن أدوس بلاد العراق وأفني حواضرها والبوادي
وإذ قام سوق لبيع النفوس ونادى وأعلن فيه المنادي
وأقبلت الخيل تحت الغبار بوقع الرماح وضرب الحدادي
هناك أصدم فرسانها فترجع مخذولة من طرادي
وارجع النوق منقادة تسير الهوينا وشيبوب حادي
وتسهر لي أعين الحاسدين وتريد أعين أهل الوداد

(قال الراوي) فلما انتهى عنتر من هذه الأبيات طرب شيبوب وهام وقال يا أخي لقد شوقتني إلى إنشاد الأشعار وذكر الآثام ثم أنه أشار الآخر يقول :

فراق الحبيب وطول البعادي أضر بجسمي وأضني فؤادي
وكم ذا ابوح على فقدهم واحرم عيني لذيذ الرقاد
أنوح بليل وجفني جريح يراعي الكواكب والليل هادي
فلا تهجروني فلا ذنب لي لقد كان لي في حماكم أيادي
وعنتر أخي وهو ليث الوغا وحكم الإله انا بالبعادي

(قال الراوي) فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب هذه الأبيات تعجب منه وقال له قاتلك الله يا شيبوب وأماتك ولا أحياك أو بلغ من قدرك أن تناظرني في أبياتي وتقول مثل مقالي (قال الراوي) وكانت هذه الأبيات أول أبيات صدرت من شيبوب ثم أنهما سارا يقطعان القيعان والمناهل والغدران حتى أشرفا على أرض بني شيبان وقد بقي بينهما وبين الحرة يوم كامل فرأى عنتر بلاداً عامرة وخيرات وافرة ومراعي خضرة ومياها جارية وأشجاراً مائلة وخيولاً صائلة ونياقاً وفصلاناً وجمالاً حساناً وعبيداً وغلماناً وإماء ومولدات واقليماً قد عمته سائر البركات وشملته الهيبة من سائر الجهات وأرى أرضاً كافورية بيضاء نقية وهي في واد من الأودية الحسان وقد تزخرفت بزخارف الجنان وهي ذات روح وريحان وروضة وبستان ودوح وغيطان وفنون وأفنان وفيها أشجار وأطيار تسبح الملك القهار قال فلما نظر عنتر إلى الرياض والأزهار وإلى حسن تلك الديار تعجب من صنع الإله القهار خالق الليل والنهار وقال فبينما هو غارق في بحر الأفكار وإذا هو بست هوادج على ستة جمال وفيها جوار كأنهن الأقمار وحولهن ستة من الفرسان راكبون على خيول أخف من الغزلان وهم كأنهم العقبان قال فلما نظر عنتر إلى الهوادج تذكر محبوبته عبلة التي شق هواها كبده بنبله فبهت فيهم وحار في أمره وزاد لهيب جمره وجاش الشعر في خاطره

أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

ما للهوادج بالأحبة ترحل والصبر ماض والتأسف مقبل
ولقد سألت الدار عن سكانها فأجابني رسم الرسوم تحولوا
كانوا بهـــا والحاسدين بحسرة وقضوا المقام بأرضنا واستقبلوا
لاتسمعن بربعهم متبكيا إلا الحمائم والظبـاء الجفل
فلأرسلن مع النسيم تحية لو أن أنفاس الصبا تتحمل
وأقول كيف هجرتمو لمتيم حيران أقلقه الجفا والعذل
لله صب قد تمى لوصالكم فقضى وهو تحت التراب مزمل
أضنى الهوى جثمانه وأذابه لكنه بين الورى يتململ
فالنار دون العار ياحادي السرى والسوق عاد والتحمل أجمل
ولقد بلغت بمعشر يا صاحبي قوم على قتلى مراراً عولوا
فهو عمارة الربيع ومالك عمي وعمر ذا اللئيم الأرذل
نصبوا على وأرسلونى عنوة نحو العداة لأجل مهر يحمل
وأنا المكنى بالهزبر حقيقة ليثا أصول على الشجاع وأفضل
إن يجهلوا عزمى فقد شهدت به بيض الصوارم والرماح الذبل
فاسألهم عنى إذا حق اللقا والنقع ليل والدجنة أزيل
ولقد وصلت إلى العراق بهمة لرجا النياق وللقضا مستقبل
من أجل عبلة كى أفوز بوصلها يوما ويأتيني النعيم الأكمل
يا لائمي فى حبها ومفندى فاراك فى ثوب المذلة ترفل
شيبوب أسرع وأكشفن لى عاجلا مرعى النياق لكى إليها نهرول
سلمت أمرى للذى رفع السما وبحوله ألقى العداة وأفصل

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره نظر خيولا ومهارا بلاعجدات فى التيار وهى تسير سيرا كموج البحار ونياقا وفصلان وخيرات حسان ونعما سارحات وأقلها قد عمته البركات ولما رأى عنتر ذلك حار وأخذه الإنبهار وعلم أن عمه مكار غدار وما أرسله إلا وهو يريد هلاكه والإضرار وعلم أنه رماه فى هذا البحر الذى ماله قرار إلا أن الشجاعة قد زينت له الهجوم على الأخطار والعشق قد صغر عنده الأمور التى تورثه الدمار فقال شيبوب ياأخى أن هذه الأموال تدل على أن صاحبها عظيم الشأن قوى السلطان فقال عنتر ياأخى لقد صدقت فيما نطقت بأن الملك كثير الجيوش والأعوان والفرسان وما أرسلنى عمى

إلا وقصده هلاكى وما ينفع هذه الساعة إلا حسن النظر والتسليم للقضاء والقدر فسر يا أخي وخذ خبر نوق العصافير وأعرفه معرفة الرجل الخبير حتى أنى أريح جوادى الأبجر وتكون أنت قد عدت إلى بيقين الخبر فقال شيبوب لك السمع والطاعة وها أنا أسير فى هذه الساعة ثم أنه حط قوسه وكنانته وقد لبس خليقات سرقة وحط العصا على كتفيه وسار يطلب المراعى فوصل إليها وكان قد مضى بعض النهار فوجد المراعى طيبة الأرجاء كثيرة الماء فنظر العبيد إلى شيبوب فرحوه وأخرجوا من زادهم وأطعموه وتحدثوا معه وقال لهم يا بنى الخالة أنا عبد من عبيد الربيع بن زياد فعليه ما يستحق من رب العباد لأنه جبار عنيد وشيطان مريد وهو لا يرحم أمة ولا حرة فهربت من شره واسترحت من جوره وغدره ومرادى أنى لا أراه ولا يرانى فقالت له العبيد يا ابن الخالة أقم عندنا عمرك واقطع فى ارضنا سنتك وشهرك فأنت تكون فى أمان طول الزمان ونحن نقول لولا انا أن يزوجك ببعض إماه وتقعد معنا فى حماه فشكرهم شيبوب على ذلك وأثنى عليهم وأقام عندهم باقى يومه حتى أنه عرف النوق العصافيرية من غيرها فرآها من عجائب الزمان وهى بيض الألوان بأكفال مدورات وأسنام مائلات وهى من غير هذه الأرض معدومات ثم أنه تمشى مع العبيد بحسب الكفاية وحادثهم وساق الإبل معهم حتى قرب من الأحياء وما زال سائر إلى أن وصل إلى أخيه عنتر وأخبره بما سمع وما نظر فقال له أخوه عنتر وحق ذمة العرب ما نحن إلا فى مقام الخطر ولقد دبر هذا الخبيث فى هلاكنا وما قصر وأنا أعلم أن بنى زياد تشمت بنا إذا سمعوا بقصتنا وما هى إلا نقطة دم تراق يشرب كاس من المذاق إلا أن تكون معنا سعادة من الرب القديم رب زمزم والحطيم فهو الذى ينجينا مما دبر العدو لنا من الهول العظيم ثم قال عنتر ويلك يا شيبوب ألم تعلم القول الصائب من لم يصبر على النوائب فكيف ينال أعلى المراتب ثم أنهما أقاما إلى وقت السحر فقال عنتر يا شيبوب قدم لى الأبجر فقدمه له شيبوب فى الحال من غير إمهال وكان عنتر قد لبس الحديد وصار كأنه برج مشيد وأردف أخاه خلفه فيالها من بطلين فارسين وأسدين ضرغامين وسار إلى المراعى فرأيا كل عشرة من العبيد يسوقون مائة من النياق ثم أن عنتر أكمن فى مكان تمر عليه النياق العصافيرية (قال الراوى) ثم أن النوق صارت تطلب المرعى والعبيد كما ذكرنا يسوقونها ويداورونها حتى لا تزاحمها فحول الجمال فلما رآهم عنتر صبر عليهم حتى توسعت النوق ولا كلموه لأنهم ومن العز العظيم على جانب والعبد من طينة مولاه لأنهم من منذ نشؤا ما طارقهم طارق

يعرفون أى شىء تكون البوائق وجعل شيبوب يقول ياأخى هذه النوق العصافيرية التى أتيت فى طلبها فاصنع ما أنت صانع فقال له أذهب أنت وامسك عليهم الطريق التى هى من جهة الحلة ولا تمكنهم من الهزيمة بالجملة فربما يثور عليها الصياح قبل ما نبعد عن الديار والبطاح ففعل شيبوب ما أمره به أخاه وصار إلى جانب الحلة ووقف خلف العبيد ونزع كنانته وأوتر قوسه وجثا على ركبتيه كل ذلك والعبيد عنهم غافلون وهم فى أمرهم مشتغلون (قال الراوى) وانرجع إلى البطل الهمام والأسد الضرغام وصاح فى العبيد يا بنى الزوانى قدامى قال فلما سمع العبيد كلام عنتر صاحوا عليه وقال المقدم عليهم دونكم واياه فاعدموه الحياة فمالوا عليه ولكنهم أعطوا للجلد قوة وتبادروا إليه بالكلية وقالوا له من أنت أيها الجاهل المغرور الذى قد ساقه الأجل برجليه إلى الهلاك والثبور وارتكاب عظائم الأمور أما علمت أن هذا النوق والعصلات لملك الأرض فى طولها والعرض صاحب العز والنصر والمنازل العالية والنصر وهو الملك المنذر بن ماء السماء اللخمى مالك أهل هذا العصر فقال له فى أست أمك واست أم المنذر معك وضربه بالحسام على وريديه فطير رأسه بين كتفيه (قال الراوى) فلما رآه العبيد ورأوا تلك الضربة خافوا وساقوا النوق قدامه وقد جلت قلوبهم وحاروا فى أمورهم وقد علت الضجة فى المراعى والحى وكثر اللجاج على هذا الشىء وقد تركهم عنتر عبرة لمن اعتبر أوما الذين قصدوا جهة الحلة فان شيبوبا قد استقبلهم بنباله وردهم بخفة سعيه واقباله ورماهم فى النحور والصدور وترك دماءهم على البيداء تفور وما سلم منهم إلا من لم يراه عنتر ومن لم يلحقه أخوه شيبوب القسور ثم أن شيبوبا رجع ولحق المال والعبيد وأمرهم أن يسوقوا المال والجمال واستقبل مهب الشمال وغاص فى البر والسباسب وساق النوق سوق الهارب وغاصوا فى البر الاقفر وتأخر عنهم محاميا لهم على الأثر وما زالوا سائرين إلى أن انتصف النهار وإذا قد طلع من خلفهم غبار وعلى وملا الفلا والقفار واقبل من كل جانب وكدر المشارق والمغارب وصار ذلك الغبار مثل الدخان حتى أنه قد إلى العنان وهو يذهل العقول والأذهان وقد بان من تحته فرسان وظهرت أبطال بنى شيبان ولمعت شفار الصفاح وأسنة الرماح وصلصل الحديد ولمع الزرد النضيد وهمهمت الرجال الصناديد وطلبوا عنتر مثل الشواهين وهم من عشرة إلى عشرين وهم عصب وفرق وما منهم إلا من للحرب قد سبق وترادفت الفرسان من كل جانب وهم مثل السلاهب والكل ينادون أمن غرته نفسه إلى أين تنجو من سطوة المنون وشرب كاس الحمام من سيف ملك الزمان

ونائب كسرى صاحب التاج والايوان (قال الراوى) وكان الصياح قد وصل إلى الملك المنذر وهو فى ظاهر الحيرة وكان قد ركب إلى الصيد والقنص وحوله مواكب وأبطال برجال كالجبال فلما رآه العبيد ألقوا نحوه الصوت فا لتفت الملك اليهم بل قال لولده نعمان أنظر هؤلاء العبيد مالهم وما حالهم واكشف لى عن خبرهم وما نالهم وكان النعمان أكبر أولاده وأشدهم عزما وهو الموصى له بالملك من بعده ثم أن النعمان بن الملك المنذر تقدم إلى الرعيان وسألهم عن الخبر فأخبروه بأن فارسا قد أغار على المراعى وأخذ من النوق العصافيرية ألف ناقة وسار بها (قال الراوى) فلما سمع النعمان ذلك حرك الجواد وتجارت خلفه الرجال الاجواد من شهل وشيبان وثعلبة وشكر وبنى سنان وما زالوا حتى لحقوا بعنتر وقاربوه كما ذكرها واطلقوا إليه الخيول ومدوا إليه النصول ثم أن عنتر لما رآهم اهتز على جواده طربا وتبسم عجبا وتلقى الخيل كما تتلقى الأرض العطشانة وابل المطر وطعن الصدور وخرق الجوانب والنحور هذا وقد صارت الرجال تميل إليه وهو يبددها على الأرض بالطول والعرض إلى أن كثر العدد وزاد المدد وغاص معهم تحت الغبار وطعن فيهم بالأسمر البتار وكان إذا طعن ضلعا دقه وإذا ضرب رأسا شقه ولما ازدحمت عليه الأبطال وأخوه شيبوب مشتغل عن معاونته بالنوق والعبيد الذين معه قد قويت قلوب العبيد بقدوم مولاهم وتوقفوا عن المسير إلى جهة مسعاهم ثم أنهم لما رأوا النعمان بن الملك المنذر هجموا على شيبوب وأرادوا هلاكه وروحا كل منهم من يديه فكاكه فعند ذلك ناداهم شيبوب يا أولاد الزوانى وحق الكعبة إن تنفس أحد منكم أو صاح لأضربنه بنبلة فى لبته بلا توانى ثم صار ينظر إلى أخيه عنتر وما يجرى له مع النعمان قال وكان الملك النعمان قد صاح فى الفرسان وناداهم أذاكم الله بين العربان هذا كله يجرى عليكم من عبد لا قدر له ولا شان فعندها تناهض الأبطال وتبادروا وتقدموا بعدما تأخروا فقاتل عنتر ذلك اليوم حتى كلت مناكبه ووقعت ضرباته على الجماجم فانتثرت ونفذت طعناته فى الصدور فأثرت ورغت موجات العساكر كالبحور إذا أزبدت وغلا الغبار واعتكر وقصر تحت عنتر جواده الابجر وصار لا يقدر أن يتقدم أو يتأخر ثم أن الجواد تحته مثل الريح الهبوب وهو خال من صاحبه عنتر فأيقن شيبوب أن صاحبه قد قتل وشرب كاس المنية ونفذت فيه الرماح السمهرية ففاض الدمع من جفنيه وتناثر على خديه ونجا بنفسه يعدو على قدميه وأبصرت العبيد منه ذلك فصاحت عليه وأومت للخيل إليه فحركت خلفه الفرسان على خيول عتاق وطلبته من سائر الآفاق فأحس شيبوب بوقع حوافر الخيل

خلفه فسعى مثل الطير الطائر والنمر النافر وغاص البر بقوة عصبه ولجت الرجال فى طلبه فلا هو يفوتهم وينجو بنفسه ولا هم يلحقونه حتى يسكنوه فى رمسه وقد دام الأمر كذلك من الظهر إلى المساء فوصل شيبوب إلى مغار فى جبل فرأى على بابه غلاما بدويا أسمر اللون وهو قاعد وأغنامه ترعى وبين يديه نار تضرم وعليها لحم من الوحش يشوى قال فلما رآه شيبوب دنا إليه وناداه يافتى أجرنى فانى بذمامك اعتصمت وبك استجرت أجر عبدك الذى فارق أخاه وجار عليه الزمان بفراق من طابت سجاياه وأشرف على هلاكه وفناه فقال له الغلام أى أبيك قد أجرتك واللات والعزة من كيد الأشرار يا غريب الديار فدخل شيبوب الغار وهو لا يصدق بذلك إلا أنه ما استقر به الجلوس حتى وصلت الخيل إلى الراعى وهى متقطعة يتبع بعضها بعض وعلى أكتافها بيض الصفاح وفى أيدى فرسانها الرماح فلما رأوا الراعى زعقوا عليه وقالوا له أخرج لنا هذا الشيطان الذى قتل خيولنا وبلبل عقولنا حتى تتخطفه على أسنة الرماح ونقطعه بشفار الصفاح قطع الله نسله ما أشد عصبه وأقوى قصبه فقال لهم الغلام يا سادات العرب هبوه لى وأقبلوا فيه سؤالى فإنى قد أجرته وقد صار فى ذمامى من غير معرفة به فقالوا الا كنت ولا كان ذمامك أخرجه وإلا نقتلك قبله ونسقيك حمامك فانه لا بد لنا من قتله فإن أخاه قد قتل من بنى حسان ما ينوف عن ثلثمائة بطل الفرسان فسلمه إلينا فإنا لقينا منه ما لا نلقاه من إنسان لأن هذا الكلب من الجان فارحم نفسك إذا لم تسمح بتركه قال فأعملوا معى نوع المعروف وأبعدوا عن المغار قليلا مقدار أربعين باعا أو ذراعا قدامى حتى أخرجه لكم من ذمامى ثم دونكم وإياه ولا تخفروا ذمتى ولا تضيعوا يا فتيان حرمتى فقالوا الما فعل ما بدلك فما فينا أحد يخالف مقالك فعندها دخل الغلام على شيبوب فوجده بأسوأ حال من خوفه على نفسه من الوبال فقال له الراعى يا فتى ها أنت قد سمعت ما جرى بينى وبين هؤلاء الكلاب وقد اطلعت على السؤال والجواب وما أقدر على خلاصك إلا بإتلاف مهجتى وأنا راض بذلك ولا أضيع حرمتى ولو كان معى عشرة من بنى دودان ما كان وصل إليك منهم شيطان فاخلع ثيابك والبس ثيابى وإذا صرت على باب المغار فسق الغنم بين يديك وخذ زادى هذا ومرودى وخذ هذه العصا فى يدك فإن رأوك وسألوك فقل لهم يا وجوه العرب أنا دخلت لكى أخرجه إليكم فما رضى أن يخرج معى فدونكم وإياه فإذا رأيتهم دخلوا على ونزلوا عن خيولهم إلى فاطلب أنت لنفسك النجاة ودعنى أنا وإياهم حتى يسقونى كاس الحمام ولا أكون مفسوخ الذمام فعندها لبس

شيبوب ثياب الراعى وشد مزوليه بين كتفيه وأخذ العصا بيديه وخرج من الغار وحيثهم بما علمه الراعى من الكلام وساق بين يديه الاغنام ومازال حتى أنه أبعدعنهم فى الآكام واستعان بباقى المزود من الطعام فعادت قوته إلى ركبتيه ثم أنه ترك الأغنام فى ذلك المكان وسار يقطع الفلا والقيعان وهو فرحان بنجاته من أعدائه على يد ذلك الغلام فترجل بنو شيبان ودخلوا المغار وأخرجوا الغلام إلى ضوء النار فرأوا عليه ثياب شيبوب وهو ساكت فقالوا له ويلك ولماذا فعلت بنفسك هذه الفعال ورضيت بالقتل والتعذيب لأجل رجل غريب فقال لهم ياوجوه العرب اعلموا أنه قد استجار بى فأجرته وأتيتم أنتم فى طلبه وسألتكم فيه فما قبلتم سؤالى ومالى طاقة بدفعكم ففديته ورضيت لنفسى التعذيب وأنا بينى وبينكم مطالبة وقد صرت أسيرا فى أيديكم وانتحب وأشار يقول بعد الصلاة على سيد العرب :

يابنى المنجيات من شيبان لا تضيعوا صنائع الإحسان
أنا إن كنت قد تعديت فلا لست أهجى فى سنة العربان
فاسمحوا غنموا وثنائى وشكرى ومديحى لكم بكل لسان

(قال الراوى) فتعجب فرسان بنى شيبان من مقاله وفعاله وما استحسنوا من أنفسهم أن يقتلوه ورأوا أن يرجعوا بالخزى والمذلة ويكون الغلام قد فاز بالشرف والذمة فرجعوا عنه خائبين وأما شيبوب فانه نجا بنفسه واستمر سائراً بأمان فى البرارى والبطاح إلى أن أصبح عليه الصباح وهو سائر يتذكر ماجرى له وصار لأخيه عنتر وكان أشد ما عليه دخوله إلى حيه ونعيه لأخيه وشماتة أعدائه فيه لاسيما عمه مالك وولده عمرو وعمارة والربيع بن زياد (قال الراوى) ومما جرى لشيبوب من عظيم الأهوال وما حصل فى قلبه من هذه الأحوال اعلم بصوته فى البر وأنشد يقول بعد الصلاة على طه الرسول

يافارس الخيل ماللخيل تبكيكا وما لسمر القنا بالويل تنعيكا
لا كان يوم رأيت الخيل مقبلة فيه إليك وأطراف القنا فيكا
لوكان يقبل صرف فيك فدا لكنت من نائبات الدهر أفديكا
سقاك عمك كأسا من خديعته كما يسقى الغيث يابن الأم ساقيكا
فاليوم تعرف عبس حق من فقدت إذا أتيت إلى الأحياء أنعيكا
ويشمت بن زياد أى عمارتهم وتشفى فيك ياروحى أعاديك
وبنت عمك تضحى وهى جارية له ولو عشت لا ترضاه مملوكا
يافارس الخيل لا أبقيت لى جلدا وليس قلبى من الأحزان يسلوكا

والمهر يصهل بين الخيل ملتفتا   اليك كالمرأة الثكلى يناديك
لهفي عليك وقد أصبحت مجندلا   مضمخا بالدما والنقع يعلوكا
سقى ثراك الحيا من كل غادية   هطلا ولا زالت الأطلال تنعيكا

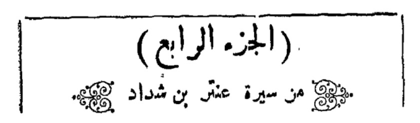
(قال الراوى) ثم أن شيبوبا سار يطلب ديار بنى عبس وغطفان ودموعه تجرى مثل الغدران وقلبه موجع وعقله حيران فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من أخيه عنتر فانه مازال يقاتل وهو يرد الخيل على أعقابها حتى ترك الأرض حوله غارقة بالدماء ومددالرجاله على الثرى وهو لا يسمع ولا يرى وتعجبت منه الأبطال ونزلوا عليه مثل السيل إذا سال وهو يضرب فيهم بالحسام يمينا وشمال حتى وقع على وجهه من شدة الكر والفر والنزال فأخذوه أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وقدموه بين يدى النعمان فلما رآه تعجب من صورته ومن عظم جثته وقال لهم حطوه على جواده حتى نسير به إلى الملك يفعل فيه كل مراده ويسأله عن حاله ومن أى العرب هو ويقتله كما يريد ويقطع أثر القبيلة التى هو منها ويبددها على الصعيد ثم أنهم أوثقوه بالكتاف وقوا منه السواعد والأطراف وعارضوه على جواده وقد أيقن بتلافه ونكاده وعادوا به إلى الملك المنذر آخر النهار وهو فى حالة العدم والاضرار وكان الملك قد خرج فى ذلك اليوم إلى الصيد والقنص وهم أن يرجع إلى الحلة فظهر عليه أسد من أرض يقال لها جفان وكانت سباع جفان يضرب بها الأمثال فى ذلك الزمان وكان كل من قتلها يفتخر بها على الفرسان وقد ذكرتها الشعراء فى أشعارها بهذه الأبيات :

إن نحن نلاقى سباعا لامثال لها   من أرض جفان لا تبقى ولا تذر
إذا تمطت رأيت الخيل جافلة   وإن سطحت طار من ألحاظها الشرر

(قال الراوى) فلما ظهر ذلك الأسد أرعب قلوب الرجال ونفرت منه خيلهم من المجال وقد نفرت من نحوه الأبطال وكثر الصياح من اليمين والشمال هذا والنعمان قد قدم

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع)





عنتر بين يدى المنذر فاوقفه قدامه وأخبره بحاله فتعجب المنذر من خلقته وطول قامته وقال من أى العرب أنت فقال له من بنى عبس واعلم بانى أنا الليث الهمام والبطل الضرغام الضارب بالحسام أنا طبيب عبس إذا مرضت وحاميها إذا ذلت وحافظ حريمها إذا ولت وشجاعها إذا بتدرت * فتعجب المنذر من فصاحته وقوة قلبه وهو فى ذلة القهر وغلبة الأسر فقال له المنذر ويلك وما حملك على التعرض لاموالى ونهب جمالى فقال له عنتر حملنى على أخذ نوقك بغى عمى على وتجبره لانى ربيت مع إبنته وافنيت عمرى فى خدمته فلما رآنى طالبا

زواجها طلب منى مهرها ألف ناقة من النوق العصافير وأنا بها جاهل غير خبير فأجبته إلى ما طلب فسرت إلى أرضك وتعرضت لها فوقعت فى هذا البلاء والعطب فقال له المنذر وأنت بهذه الشجاعة والفصاحة والأدب وخاطرت بنفسك من أجل جويرية من بنات العرب فقال عنترأى نعم يامولاى فان الهوى يحمل الإنسان على ركوب الأخطار والأهوال ومن أجله تضرب أعناق الرجال ولا يعذر العشاق إلا من ذاق مرار هجر الوصال وما يوقع فى البلاء فى المواضع إلا النظر لما تحت البراقع وأى بلية تحمل النفوس على إتلافها وقتلها إلا والنساء أصلها وسبب فرعها ثم إن عينيه غرغرت بالدموع وتأوه من قلب موجوع وتنهد وتحسر وصار لا يسمع ولا يبصر وأنشد يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

جفون الغوانى من جواشى البراقع ... أحد من البيض الرقاق القواطع

إذا جندت ذل الشجاع وأصبحت ... محاجر عينيه غزير المدامع

سقى الله عمى من يد الموت شربة ... وشلت يداه بعد قطع الاصابع

كما قاد مثلى بالمحال إلى الردى ... وعلق آمالى بنيل المطامع

لقد ودعتنى عبلة يوم بينها ... وداع يقين إننى غير هاجع

وناحت وصاحت كيف حالك بعدنا ... وأصبح مثلى بالجوى غير هاجع

وحقك لا حاولت فى الدهر سلوة ... ولا غيرتنى عن هواك مطامعى

خلقنا لهذا الحب من قبل آدم ... فما يدخل اللوم المصمم مسامعى

سأضرب بالهندى حادثة للنوى ... وأتلفها ضربا يروم الفجائع

وأقطع صرف الحادثات بقاطع ... ومثلى أنا فى الحب ليس بقاطع

فبلغ لها يا برق منى تحية ... وكل ديارهـــا والمراتع

ويا ساكنات الأيك إن جزت فاندبى ... إذا صرت ملقى للطيور السواجع

ونوحى على مات ظالما ولم ينل ... سوى البعد عن أحبابه والفجائع

ويا خيل فابكى فارسا كان يلتقى ... أسود المنايا دائما فى المعامع

وأمسى بعيدا فى غرام وذلة ... بقيد ثقيل من قيود المطامع

بحقكموا لا تعذلونى واقصروا ... ولا ترفعوا ما من نحو مسامعى

كيف أطيق الصبر عمن أريده وقد ... أججت نار الهوى فى الأضالع

أنا الفارس الرعديد فى حومة الوغا ... وقد شهدت أبطال عبس وقائعى

إذا شئت فأسال عن حديثى وموقفى ... ترى عجبا يوم الوغا فى المعامع

إذا لاح برق النار من حد صارمى ... تذل لها هام الرجال الشواجع
وإن نال وجه الأرض بأسي وشدتي ... رأيت دوانى الأرض مثل السواسع

(قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر من عنتر ذلك الشعر والنظام تعجب من شجاعته وفصاحته وكان الملك المنذر من فصحاء العرب وهو يعرف الشعر والأدب فعلم أنه غارق فى بحر العشق والهوى وهو لا يعلم ما عليه استوى فبينما هو معه فى الكلام وإذا بالرجال نفرت إلى ما بين يديه كما ينفر من الجارح أضعف الحمام فطلب الملك عن تلك الأحوال والاستعلام فقالوا له أيها الملك المظفر الهمام الغضنفر قد ظهر علينا أسد قسور وقد أهلك الفرسان وفرق الشجعان والرماح لا تعمل فى جسده ولا تؤثر فيه فقال المنذر بادروه بين العرب بسبب ذلك فلما سمع عنتر الملك المنذر هانت عليه المصائب وطاب على قلبه أن يرمى نفسه فى النوائب ونادى أيها الملك أقسمت عليك بحق من رفع السماء وعلم آدم الأسماء وأجرى بقدرته الماء أنك تقول لأصحابك أن يرمونى قدام هذا الأسد ويدعونى بين يديه ودعه يهجم على وأهجم عليه فإذا أفرسنى تكون قد أخذت منى ثأرك وقضيت أوطارك لأنى قد قتلت رجالك وبددت أبطالك وإن أنا قتلته فيكون ذلك بسعادتك فقابلنى بما أستحقه من نعمتك وأموالك وعطيتك ولا تعدل عن الحق بما أنت فيه من مملكتك قال فأمر المنذر أن يحلوه من القيود والأغلال فبادرته الحجاب والغلمان فى الحال وحلوا يديه وأرادوا أن يحلوا رجليه فقال عنتر لا يا ملك لا تفعل بحق ذمة العرب والرب الذى إذا طلب كل العباد غلب ولا تتركهم يحلوا غير يدى ويدعوا القيود على حالها فى رجلى حتى لا يكون لى من قدام الأسد براح إما أن أقتله وإما أن يتركنى قتيلا ملقى على البطاح ولا يكون لى قدامه مهرب ولا رواح فعند ذلك تعجب الملك المنذر وزاد به العجب وأمرهم أن يحلوا يديه ويدعو رجليه ففعلوا ذلك فقام على قدمه وأخذ سيفه الظامى بيديه وأخذ درقته وحجل فى قيده وأغلاله وقد تبصر فى أحواله وزاد به الاشتياق عند الحلول فقام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول:

دونك يا كلب البطاح والربا ... فاليوم أسقيك بكفى العطبا
وسوف تلقى فارساً غشمشما ... حلا حلا عند اللقاء مجربا
ويحك لمثلى لا تكن مبادراً ... لأننى سميدع قد أتعبا
بجفل الفرسان يا كلب الفلا ... فأين تلقى اليوم منى مهربا
خذ ضربة بالمرهف الظامى الذى ... معه الردا والحتف عنه ما نبا
من كف قوم عنتر باسل ... تأتى النكال والوبال والوبا

(قال الراوى) فلما سمع المنذر منه ذلك الشعر والنظام ورأى ما عزم عليه من المرام تعجب من مقاله للأسد وخطابه وما أبداه من جوابه وتقدم بين خواصه وحجابه وأهل دولته وأصحابه وهم يريدون أن يتفرجوا على ذلك البطل الأسود لينظروا كيف يكون قتاله مع أسد عتيق فى قد الثور الكبير واسع المناخر طويل الأظافر وهو شدق وشدقم عبوس ضيغم أفطس أدغم تسمع صوته كأنه الرعد إذا زار ودمدم وعويه كأنه صخر جبل تهدم بشدق كأنه القليب وأنياب كأنها الكلاليب وإذا مشى وتمخطر يطير من عينيه الشرر ويعجب فى مشيته ويهتز فى خطواته وكلما رأى الخيل والرجال حوله زعق وضرب بيده وكشر عن نابيه ولما رأى الأسد عنتر قاصد إليه أخذه القلق وبالأرض التصق وكشر واقعشر ونظر إليه بعين مثل الجمر وتمطى فسار كشليه واجتمع للوثبة عليه متى صار كنصفيه وفى الحال تقدم إلى عنتر ونهض عليه وهو كأنه القضاء إذا نزل من السماء وزعق زعقة عظيمة تقلقل الجبل فأجابه عنتر بزعقة أعظم من زعقته وفتح باعه لضربته واستقبله بالحسام وضربه بضربة بطل همام من يد عنتر وقال أنا ما شقيت فأنا حييت عبلة ما بقيت فوقع الحسام فى جبهته فما زال يقطع إلى أن وصل إلى سرته فوقع الأسد قطعتين وصار على الأرض شطرتين لأنه وافق وثبة الأسد وقوة ساعد البطل الأمجد فلما صار على الأرض ممدد مسح عنتر سيفه فى جلده وقد اقشعرت منه الجلود وتغيرت الألوان وزاغت العينان مما فعل من ذلك الأمر والشان وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ترى علمت عبلة ما ألاقى   من الأهوال فى أرض العراق
رمانى بالدها وبالمكر عمى   وجار على فى طلب الصداق
فخضت بهمتى بحر المنايا   وسرت إلى العراق بلا رفاق
وسقت النوق والرعيان وحدى   وعدت أجد من نار اشتياقى
وما أبعدت حتى ثار خلفى   غبار حوافر الخيل العتاق
وأطبق كل ناحية غبار   وشعل بالمهندة الدقاق
وصاحت تحته الفرسان حتى   حسبت الرعد مطلوق النطاق
فعدت وقد علمت بأن عمى   دهانى بالمحال وبالنفاق
وما قصرت حتى كل مهرى   وقصر فى السباق وفى اللحاق
نزلت عن الجواد وسقت جيشا   بسيفى مثل سوقى للنياق
وبادرت الفوارس وهى تعدو   بطعن فى الصدور وفى الأماقى
وفى باقى النهار أسرت قهرا   ومنى قد وهى عضدى وساقى

وساقونى إلى ملك كريم جليل قدره بالعز باق
وقد لاقيت بين يديه ليثا كريه الملتقى مر المذاق
قددت لهامـــه بالسيف نصفا وعدت إليه أحجل فى وثاق
عساه يمدنى برضاه عنى ويقعم بالجمال وبالنياق

(قال الراوى) فلما سمع المنذر من شعر عنتر ورأى أفعاله قال لحجابه والله أن هذا أعجوبة الزمان وفريد العصر والأوان لأنه قد حوى الفصاحة والشجاعة والأقدام على الأمور الصعاب وقد رأينا منه أمور تحير فيها أولوا الألباب ومثل هذا أنال به عند الملك كسرى ما أريد من المرام وأفتخر به سائر الأنام قال وكان الملك المنذر عاقلا كثير الفهم قوى العزم حسن السياسة والتدبير وهو بنوائب الدهر خبير فلهذا قدمه الملك كسرى أنوشراون على سائر العربان وجعله عليهم خليفة وسلطان وأمر القبائل كلها بطاعته وحثهم على خدمته ومن يعصى له أمرا من الأمور يقطع أثره ويقصم ظهره قال وكان الملك المنذر إذا قدم على الملك كسرى أنوشروان وأقبل عليه الأيوان يرفع الملك كسرى منزلته ويعلى حرمته ويترحب به ويأمره بالجلوس وينصب له كرسيا من الفضة بين يديه ولا يناديه إلا باشارة نازيان يعنى ياملك العربان ثم أنه يأكل هو وإياه فاذا انبسط معه فى الكلام يذكر له أصائل العرب ومكة والبيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر الحرام وافتخار العرب على الديالم والأعجام وينشد له قصائد الفصحاء التى علقت على البيت الحرام وكان الملك كسرى من عدله وإحسانه يظهر الفرح والطرب ويمكنه من الفضة والذهب لان الأكاسرة كانوا فى ذلك الزمان يفتخرون بالعدل والانصاف ويكرهون الجور والاسراف ويملكون رقاب الناس بالعطاء والإسعاف وكذلك الملك كسرى قد جعل جرسا على رأسه من الذهب الأحمر وجعل له سلسلة من الفضة إلى ظاهر قصره فاذا تحرك الجرس يأمر حجابه أن يأتوه بالأخصام إلى بين يديه فيحكم فيهم على أى حالة تكون وكان الملك المنذر قبل أن يقع عنتر فى يده قد سار إلى الملك كسرى ودخل عليه فى الأيوان وأقام عنده مدة وهو يخلع عليه ويعطيه ويقربه ويدنيه فحسده بعض الحجاب على ذلك قال فلما دخل الملك المنذر دخل ذلك الحاجب على الملك كسرى وقال له أيها الملك لماذا تكرم هذا البدوى عابد الحجر وترفع قدره إن غاب أو حضر وهو أقل من ذلك وأحقر ثم أن ذلك الحاجب قال أعلم أيها الملك أن العرب كلهم رعاة الأغنام عابدون الأصنام وما فيهم من له عهد ولا ذمام ولا يفتخرون إلا بالسرقة والعيارة وعبادة الحجارة ويشترى الرجل منهم الأمة وينكحها حتى تحمل منه ثم أنه يبيعها وهى حامل فتلد حالها وتربى بنتها إلى أن تكبر فيشتريها مثل أمها فى الأول ثم ينكحها أو يزوجها

لولده فينكحها وهى أخته وأما اللصوصية والكذب والقيادة فهى عندهم مباحة وعادة ومعلوم أن الحسد مركب فى الانسان وقد قالت العرب فى حق سيدنا الإمام على كرم الله وجهه وعمه بالرضوان :

حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه   فالناس أعداء له وخصوم
كضرائب الحسناء قلن لوجهها   حسدا وبعضا أنه لدميم

(قال الراوى) وكان ذلك الحاجب الذى حسد الملك المنذر جبارا من جبابرة الديلم وهو عند كسرى مقدم على عشرين ألفا من عساكر العجم وفراعنة الديلم وكان يقال له خسروان ابن جرهم وأنه مازال يسب العرب ويتكلم فيهم بالكذب وقلة الهمم حتى أنه غير الملك كسرى عن مودة الملك المنذر وقد قال فى آخر الكلام أيها الملك إن أردت أن تعرف بلاده فاحضره عند الأكل وأمر الغلمان أن يقدموا قدامنا تمرا منزوع النوى وتأمرهم أن يقدموا قدامه تمرا بنواه وأنظر أيها الملك ما يعمل قال ففعل كسرى ذلك وأحضر الملك المنذر وأمر الناس باحضاره وبعد الطعام أمر بالتمر فاتوا به فى أطباق من الفضة والذهب ثم أنهم تركوا قدام الملك كسرى تمرا منزوع النوى وجعلوا موضع النوى لوزا وفستقا وسكرا من أنواع الطيب والعنبر وتركوا الملك المنذر بنواه فصار كسرى ومن معه يأكلون من ذلك التمر الذى نزع نواه ويبلعونه لأنه ليس فيه نوى يرمونه فنظر الملك المنذر إلى فعلهم فانكر فى نفسه وقال أظن العادة عند القوم عباد النار أن يأكلوا التمر بالنوى فيجب من أمر السياسة ومعاشرة أهل الرياسة أن يفعل الإنسان مثلهم ويتبع فعلهم ويتخلق بأخلاقهم ويقتفى سنتهم قال فاكل المنذر التمر وبلع النوى فغص ببعض النوى وذاق العذاب فتضاحكت عليه الوزراء والحجاب وتبسم كسرى وكاد أن يخرج منه الإرتياب فخجل الملك المنذر من ضحكهم عليه ونظرهم إليه وقال الملك أدام الله عزك وضحكك يا ملك الزمان ما الذى أضحكك وأضحك حجابك وقد زاد غيظا وحنق وتمنى أن لم يكن يخلق فقال الملك كسرى يا سادة تلزبان نحن ضحكنا عليك من شأن أكلك التمر بنواه فقال المنذر أيها الملك أنا أتبعتك أنت وقومك وفعلت مثل فعلكم وأكلت مثل أكلكم لانى رأيتكم تأكلون التمر وتبلعون النوى ففعلت مثلكم وتخلقت بأخلاقكم وقلت لأى شىء أخالف الجماعة والمخالفة من طبع أهل الفساد والشناعة فقال له كسرى نحن تمرنا منزوع النوى وموضع نواه سكر ولوز وفستق وطيب فأكلناه بلا تعب ولا نصب فقال الملك أنت وحجابك وما أنا ياه الملك إلا من بعض خدامك وعبد نعمتك وخادم دولتك ولو فعلته

معى مافعلت بما أخالف مقالك قال فلما سمع الملك كسرى كلامه وما أشار به من اهتمامه طيب خاطره بلين الكلام وأسعفه بالعطاء والإحسان والانعام وضحك فى وجهه وباسطه فانبسط المنذر ولم يبين له غيظا وكلام خوفا على نفسه من شرب كاس الحمام ثم أنه أقام عنده ثلاثة أيام وعاد إلى الحيرة بسلام فلما وصل فى محل عزه وحكمه يظهر الغضب وقام وقعد وأرغى وأزبد وكتب إلى عربه وقومه ومن كان تحت طاعته من سائر العربان وقال لهم غيروا على رستاق كسرى وأخربوه وطوفوا حول المدائن وكل من لقيتموه انهبوه وكل من مانع عن نفسه اقتلوه وخذوا ماله وانهبوه ثم أنه شرح لهم ماجرى له مع الملك كسرى وأنشد يقول :

ألا بلغوا العربان عنى رسائلى ... وحيوا إذا جئتم لبكر بن وائل
وقولوا لهم أن الأعادى ضيعت ... عهودى وسامونى بسوم الأراذل
حمى الله مقرى الضيف من غير أكله ... ومن يطلب الانصاف من غير عادل
دعانى كسرى واستحق بشمره ... فعال لئيم ناقص العقل جاهل
أساءوه بلما فاتبعت فعالهم ... ولم أك عن فعل الجميل بناكل
فلما رأونى قد تغصصت بالنوى ... على ضحكهم بين الورى من فعايلى
وهم سخروا بى واستباحوا مذاقى ... وغرهمو طوعى لهم وتواصلى
فياليتنى سام النبى وتبع ... وعنصر إبراهيم خير الأصائل
لقد غير الدهر الخؤن عليكم ... وصارت أسود البيد تحت الجنادل
وقال السها يا شمس أنت خفية ... وقال الدجا ياصبح لونك حائلى
فطوفوا بلاد الفرس منكم بغارة ... وقودوا الأسارى بين حاف وناعل
ليعلم كسرى ما جناه بفعله ... على ومن قد هند عند الفائل

(قال الراوى) فلما وصل الكتاب إلى بنى وائل ومثله إلى بنى طىء وسائر القبائل صعب ذلك على سواد بن عامر وعلى الفرسان فغاروا على سائر المدائن وغار الحارث بن جرير على بلاد الإيله فما ترك لاصغيرا ولا كبيرا وقد وقعت الفتن فى الرستاق وخافت من العرب جميع الآفاق وضربت الأعناق وصارت تجار العجم تشكو إلى كسرى وتصفح من كل جانب وضجت من عظم المصائب فقامت على كسرى القيامة واشتد به الغيظ والندامة ثم أمر الوزير بزرجمهر أن يكتب كتابا إلى الملك المنذر ويخبره بما جرى من العرب وأن يأخذ الحق من العربان لترد أموال التجار ألا وحق النار والنور والملك الذى يدور أرسل لك الفرس والديلم فكتب إليه الوزير كتابا يقول فيه الذى

تعلم به ملك العرب المقدم فى الرتب أن قلب الملك العادل عليك قد تغير من غارة العرب على العجم والرعية وقد تالم فقابل الذى تعدى وأجرم وأبذل فيهم سيوف النقم وخذ للمظلوم حقه ممن أظلم أن كنت سامعا الدوله الكسروية وناصر للدولة الفارسية والسلام عليك من النار الحميه ثم أنه أنفذ الكتاب إلى المنذر قال فلما وصل إليه الكتاب وسمع ما فيه من الخطاب رد الجواب بقوله الذى نعلم به للملك العدد أن إسمى بين العرب قد انهدم وناموسى بين القبائل قد انحطم وقد هانت عندهم حرمتى لما بلغهم مافعلت بى عنتر كل النمر وقد فات الأمر وظنوا إنى مسخرة فخرجوا من طاعتى ومرقوا من تحت طاعتى ففعلوا هذه الافعال ولا سمعوا لى مقال وأنت البصير بدولتك والعارف بسياسة رعيتك فإن أردت من العرب الطاعة والانقياد والاصلاح بعد الفساد فارسل لى جماعة الحجاب الذين أضحكتهم على مكتفين حتى أكويهم بين يدى على وجوههم بالنار وأطأ على رقابهم بالنعال ثم إنى أبعث كل واحد منهم إلى قبيلة من القبائل العرب حتى يهينوهم ويفعلوا بهم ما يريدون فإذا وقع ما أقول فحينئذ ترى الكل قد عادوا إلى طاعتى وسمعوا مقالى وخافوا سطوتى (قال الراوى) فلما وصل هذا الجواب إلى كسرى وقرأه قامت عليه القيامة وقال وحق النار والنور والظل والحرور لقد طمعت فينا العرب واستطال علينا المنذر الكلب الاكلب وإن لم أذله وأقابله على هذا المقاله واهدم من الكعبة الأركان وارمى من فوقها الاصنام والأوثان وإلا فلا أكون ملك الأنام لأنه قد استطالت علينا رعاة الأغنام فقال له الحاجب خسروان الذى كان سببا لهذا الشر والطغيان يامولانا ومن هو الملك المنذر حتى يدخل على قلبك منه غم فأنا وحق نعمتك أسير إليه وأقتل فرسانه وأخرب دياره وأعجل دماره وآتيك به وبأولاده فى الحبال مشدودين وأهلك فرسانه أجمعين وآتيك بالنساء والبنات والبنين فقال كسرى ما لهذا يدك ودبر هذا الأمر بعقلك ولكن لاتقتل ملك العرب أن ظفرت به بل ائتنى به حتى أعذبه وأعرفه قدره وبعدها آمن عليه بروحه قال فلما سمع الحاجب خسروان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا بمسيره إلى الملك المنذر وقد عول على قتله وأمر العسكر الذين تحت يده بأخذ الاهبة للمسير وتجهز فى ثلاث أيام وصار فى عشرين ألف فارس من الديالم والاعجام وهم مستعدون بالتروس الكسروية والعمد الديلمية والسيوف المشرفية والمجانب العربية وخسروان فى أوائلهم مثل الأسد وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من الملك المنذر فإنه لما جرى له مع عنتر ما جرى ورأى ضربته للأسد فقاله وذمه العرب بما أفرط فى هذا الفارس الذى ما يوجد مثله فى أقطار الأرض ثم أنه قال

لاولاده وحجابه احتفظوا عليه إلى أن يأتينا من عند كسرى جواب الرسالة وتعلمه أنه منعناه لأنه غار على أموالنا رساق نوقنا وجمالنا وقتل رجالنا لأجل أن نحتج بذلك عليه من كل جانب وننال من الحاسد الذى تكلم فينا المطالب فسكت عنتر وهو فى الوثاق الشديد وصار لا يمكنه فعل ما يريد «قال ولما أقبل النهار وركب الملك المنذر فى عسكره الجرار فبينما هو يتصيد وإذا بغبار قد طلع من ناحية بلاد العجم فقال المنذر هذه عساكر الفرس أقبلت فخذوا يا بنى عمى أهبتكم للحرب والطعن والضرب وأنا أعلم عن كسرى صعب عليه كلامه ورآه غير صواب لأنى أسأت معه الأدب فى الخطاب ولكن عثرات اللسان قلما يسلم منها الإنسان كما قال الشاعر :

أمسك لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك أنه ثعبان
كم فى المقابر من قبل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

(قال الراوى) فلما سمعت الرجال كلام المنذر أجابه كل واحد منهم بجواب واستعدوا للحرب والضراب وارسلوا الفرسان إلى قبائل بنى شيبان وإلى جميع العربان فاقبلت إليه القبائل وأتوا بالفارس والراجل واستقبلوا عساكر العجم وتسارعت للحرب العرب والديلم وانعقد الغبار إلى العنان وحمل كل فارس منصان وتقدمت فرسان الديالم وصار الحرب بينهم قائم والتقت الطائفتان وحملت ففاضت الدماء وهطلت وقدحت نار الحرب قال وكان المنذر فى ذلك اليوم قد حمل فى جميع الفرسان ليلتقى كسرى وهو فى إثنى عشر ألف فارس فما أمسى حتى قتل منهم أربعة آلاف وصار الباقون يطلبون الهرب والفرس والديلم لهم فى الطلب وينادون باسم النار والظل والحرور والفلك الذى يدور وصارت الفرس تقتل وتأسر حتى أظلم الغيهب ثم عادت الديلم والاعجام وضربت لهم المضارب والخيام ونزل خسروان وهو يرعد مثل الأسد الغضبان وقد أضرمت فى قلبه النيران وقال للمرازبة والحجاب دوروا بالحيرة من كل جانب وأحفظوا الطرقات والمذاهب إلى أن يصبح الصباح حتى لا يهرب الملك المنذر تحت الظلام والغياهب لأنى أريد غدا أن آخذه أسيرا وأقوده ذليلا حقيرا وأقدمه ذليلا حقيرا وأقدمه بين يدى أنوشروان فى الذل والهوان قال ففعل الحجاب ما أمرهم به وداروا حول الحيرة من كل جانب وحفظوا الطرقات والمذاهب فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من الملك المنذر بقى حيرانا مقهورا ودخل إلى البلد مكسورا وصار يعض كفيه ندما وغيظا وما زال على

هذه الحالة إلى أن دخل الحيرة وجلس على كرسى مملكته وأحضر جميع أولاده والخواص من أجداده وكان له ثلاثة أولاد شداد وكل منهم له عساكر وأجناد وهم كانهم الآساد وهم الملك النعمان ويزيد القلب بالاسود وهو الأكبر والأصغر يقال له عمرو بن هند وكانت أمه من بنات ملوك اليمن قال فلما أن أحضرهم إليه أخذ فى المشورة والكلام معهم وقال لهم ياأولادى ولقد فتحنا علينا باب فساد وسلكنا أسوء فما لنا غير طريق الصواب وذلك بعمادا تنا للملك كسرى صاحب الإيوان وأنا لو اجمعنا العرب والفرسان القاصى والدان قبل هذا الآن قبل أن يصل إلينا هذا الحاجب ومن تبعه من الأقران والفرسان كنا قدرنا على ملاقاة هذا الشيطان ولكن ما كنت أظن أن كسرى يفعل هكذا والآن ما بقى ينفعنا إلا الصبر على الأهوال والضراب بالصوارم الثقال فإن نحن نصرنا فى غداة غد عليهم فى مجال القتال كان فى بلوغ ذلك بلوغ الآمال وإن لم يكن ذلك نجمع عليهم عند إقبال الظلام سائر الشجعان السادات وتدور بهم من سائر الجهات ونحمل على هؤلاء الأعداء من كل جانب ونضرب هامهم بالسيوف القواضب ولم نزل نضرب بالصوارم والرماح إلى أن نصير من وراء العدا قال فبينما هم فى هذا الحديث والتذكار وإذا هم بعبد داخل عليهم قال أيها الملك الهمام أعلم أن الفارس العبسى الذى نحن به موكلون قد سمع الصياح فسأل عن الخبر فأخبرناه بما جرى بيننا وبين الأعداء وكيف حضرتنا الأعدا وجعلنا العدا فى حالة الردا وأدخلونا قهرا وما حصل لنا من النكد الذى يعسر على كل أحد فلما سمع مقالنا فهم سؤالنا قال لنا أخرجونى إلى الملك وأنا أضمن له كسر هؤلاء العسكر وتشتيتهم فى البر الأقفر قال فلما سمع الملك المنذر من العبد هذا المقال قال أحضروه حتى نسمع كلامه فى ملأ الرجال لعله أن يكسر هؤلاء الأنذال ويبليهم بالذل والخبال فإذا كسرهم نمن عليه بالعودة إلى بلاده وبما طلب من النوق والأموال والجمال لأنه لا يستحق هذا الذل والوبال قال فسار العبد إلى نحو عنتر ليطلقه من وثاقه وكان عنتر تذكر ابنة عمه عبلة ومحبته لها وهواه فيها وما قاسى من أجلها وكيف خرج يأتى بمهرها وجرى عليه ما جرى بسببها فطفح ما فى قلبه من الهم وفاضت دموعه من الغم فباح بسره المكنون وزاد به الشجون ناشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

ألا بلغوا عنى زهيرا ومالكا ... وعبلة صدق القول غير ملبس

بأني ملكت النوق تختال فى الثرى   وجندلت يوم الروع كل عرندس
وقد حزت أموالا ونوقا كريمة   وسقت لها فى ارض لخم العوابس
ومهرى الابجر كل منى وخاننى   وغادر بالطعن كل مترس
وعدت رهينا فى القيود اجرها   ومشيت فيها مشية المتلبس
وماهالنى إذ جاءنى متغطرسا   فقد حسامى هامة المتغطرس
وأطلعته من بين خديه عاجلا   ونظفته فى جلده المتدنس
رمونى إلى بحر الأذى يبتغوا الردى   فأرديته كالها المتكردس

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه دخل عليه العبيد وقالوا له أجب الملك المنذر لأننا بلغناه ما قلت من المقال وأعلمناه بالسؤال وقد طلبنا ليسمع مقالك ويرى أفعالك فقام عنتر معهم يخاطر فى قيده حتى دخل على الملك المنذر فتقدم بين يديه وأشار بالسلام عليه وأمرهم بفك قيده من رجليه وأن يقطعوا الكتاف من يديه فعندها تقدم عنتر وقبل الأرض وأشار وأنشد يقول هذه الأشعار :

عفا الله عنى ما أحد جنانى   ولكن عمى خاننى ورمانى
وأوقعنى من غدره وسط حفرة   من النار فى تأجيجها أصلانى
وقد صرت مسلوب الفؤاد معذبا   تغل إلى عنقى يدى وبنانى
ومثلى يزيد القيد ياعبلة رجله   ويرتاب من ذا الحال على جبان
فيا ملك الدنيا وبجدك تبع   وحمير قوم سادة فرسان
ويانسل من قد حاز كل فضيلة   فتى ماله به البرية ثانى
إذا ذلت الفرسان فاندبنى لها   لتنظر حربى عندهم وطعانى
وتصبح منصورا بصولة عنترا   وأبدل خوف سيدى بأمان
فاحم حمى ظهرى بالف صميدع   ترى عجبا من صارمى وسنانى
ترى ضيغما يردى الفوارس فى الوغا   بسيف يفوق البرق فى اللمعان
وبعد فهبنى مهر حى عبلة   بألف عصافيرية الألوان
ووف به فضلا على ومنة   لنشكر عند القرم من عدنان
وخذنى خليلا ما حييت مصاحبا   وقاوم بعزمى جملة الفرسان
أيا عبلة لا تخشى على من العدا   إذا اكثرت حولى وجال حصانى
فانى بيوم الحرب شهم مجرب   أبيد العدا دوما بطعن سنانى

وما الموت إلا صورتى وشمائلى   كذا السعد مقرون بطرف عنانى
أيا أيها الملك الذى شاع ذكره   لكل ملوك الأرض والفرسان

(قال) فلما سمع المنذر هذه الأبيات تعجب وأخذه الانبهار مما رأى من فصاحة لسانه وقوة جنانه وأيقن بالنصر من سيفه وسنانه فقال ياعبسى ماهذا القول الذى قلته وسمعته عنك وما الذى ذكرته من الكلام ولما سمعت الصياح وقت الصدام فقال عنتر يامولاى ورب الكعبة والبيت الحرام كادت مرارتى أو تنشق لما سمعت أنكم منهزمون من هؤلاء الطناجير الكلاب وكيف وليتم قدامهم هربا باضطراب وهذا عار لاينمحى عن الأعراب إذا هى رضيت بهذه الأسباب وإن هذا ياملك لايرضى به أحد من أهل الطعان والضراب فقال الملك المنذر فما الذى تصنعه الرجال إذا بليت بأسباب البليات ويكون ثباتها إذا بليت بما لا تطيق وانسد فى وجهها كل بر وطريق فقال عنتر أيها الملك العظيم الشأن إن غلبة الرجال هى الموت الأحمر الذى لا يقدر عليه أحد من البشر وإن الرجال تصبر على الحروب والقتال وتشرب كؤس الموت كما تشرب الماء الزلال ولا تولى وقت الحروب والقتال ولا تلبس ثوب العار بركوبها الهزيمة والفرار من مجال النزال ولو داستها حوافر الخيل وأتاها البلاء والويل وها أنا أيها الملك بين يديك وحالتى قد عرفتها وقصتى قد قصصتها عليك وإن أنت أيها الملك الكبير ضمنت ألف ناقة من النوق العصافير التى قد طلبت منى وهى مهر إبنة عمى عبلة التى هى من لحمى ودمى وتفرج بها همى وغمى وترد لى سيفى ورمحى وجوادى وتعطينى عدة جلادى ويكون معى من قومك ألف فارس أبطال عوابس ليكونون خلفى يحمون ظهرى فعندها ترى ما يصنع عبدك الأسود والبطل الأنجد وتنظر كرى وفرى وما يظهر من فعلى وأمرى فقال له الملك المنذر ياعبسى ورب الكعبة الحرام وزمزم والمقام أن فعلت ما ذكرت وكسرت هذا الجيش كما قد قلت حكمتك فى جميع أموالى وماتحويه يدى من نوقى وجمالى وغير ذلك من التحف الغوالى وأعطيك كثيرا من الأموال والنوق والجمال وكلنا نكون بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ونحمل معك التعب والعنا ونضرب فى وجوه أعدائنا بالسيف والقنا فصار عنتر يرى هذه الرجال شبيهة بالغنم وهو ذئبهم فدعهم على الأرض رمم ثم أن الملك المنذر بعد هذا الكلام أمر أن يردوا على عنتر جواده ويعدوا له عدة جلاده ثم انهم باتوا تلك الليلة وهم مغلولون عن الحرب والكفاح إلى أن أصبح الله بالصباح ولما أن أصبحوا اسمعوا الصياح من المداقد علا حتى أطبق جنبات الفلا وطمعوا فى نهب الأموال وأخذ النساء

والأطفال والعيال فعندها خرجت العرب بهمة قوية وعزيمة على الحرب جرية واصطفوا فى مقام وطراد وفى أوائلهم عنتر بن شداد وهو قد أوقر الجواد بعظم حثه وهول همته وهو ينادى خابت آمالكم ياطناجير العجم اليوم ترون من عنتر ما يتحدث به الأمم ثم إنه حمى جواده وسار إلى وسط الميدان ومحل الضرب والطعان. ولما صار فيه وهاج وماج ولحقه الوجد والانزعاج وصار يقول ياللعينين عبلة أقاتل عباد النار اللئام أولاد الحرام ثم أنه بعد ذلك أنشد وقال :

يوم حرب يطول فيه قتال   فابرزوا إلى معاشر الانذال
أنا ذو البطش بالفوارس حقاً   متلف للكماة والأبطـــال
فى يدى صارم يقد الجلابيد   ويبرى الرقاب مع الأوصال.
ولهام الرجال يبرى ويفرى   ويقد الصخور فى الأجبال.
طاب وقت القتال بالصارم   الغضب وطعن المثقف العسال.
وبرمح يأتى على الجيش جمعاً   فالبثوا ساعة تروا أهوال
سأخلى القتلى على رزقاً   لوحوش القـلا والأشبال.
ودماهم تجرى كسحب عواد   وهى تجرى من صارمى الفصال
فاعدلوا تحت قسطل النقع والطعن   وضرب الريبال ذى الأنكال.
سأخوض العجاج حتى ألاقى   خسرواقا أسقيه كاس الوبال.
سوف يسقى من حد سيفى شرابا   لم يذق بعده عشرات الزلال.
وترى الخيل شاردات حيارى   قد خلا ظهرها من الأفيال
وأنا الضيغم المقدم فى الحرب   وبأسى تخشـــاه كل الرجال
ولى المجد والسعادة والفخر   ونحمى على النجوم بلالى

(قال الراوى) ثم أن عنتر بعد شعره قد حمل وتلقى أوائل الخيل يطعن فيهم بطعن أحد من لمح البصر وربما وافق القضاء والقدر فلم تكن إلا ساعة حتى سالت الدماء على الأرض كالماء وتكحلت الشجعان بمراود العمى ولما رأت بنو الأعجام أقبلت إلى ذلك من سائر الجهات طمعاً فى نهب الأموال والبنات فردها العرب عن تلك النيات بسيوف قاطعات لأنها ظهرت من الحيرة كاظهر الأسود وعنتر قدامهم كأنه عمود وسيفه يلمع على أعناق الرجال كالبرق وصورته كالرعود ثم أن العرب تثبتت الأعاجم الدائرات لما أن رأوا ثبات عنتر صاحب العزمات تعلموا منه الصبر على النائبات فعند ذلك دارت على الأعاجم الدائرات ورأوا عنتر قد نزل عليهم بنوائب رادفات وطحنت العبيد والسادات

وقد ساقهم عنتر سوق الغنم السارحات فانقطع طمعهم من نهب البنات والتجأت الأعاجم إلى وكان الخسروان فى ذلك اليوم واقفاً بعيداً ينظر إلى القتال فطال به المطال ورأى أصحابه عادوا إليه هاربين فسأل بعضهم فقال له يامولاى لقد نصرت علينا فى هذا اليوم العرب ونظرنا من فارس منهم غاية العجب وإن لم تنزل إليه وإلا فما يبقى منا شخصا ولا إذا ذنب وهذا الفارس لا يخطىء إذا ضرب فقال ومن أين أتى هذا الفارس إلى هذ المكان ولم ينتسب من العربان فقال له حاجب من الحجاب ما ندرى وحق النار والنور والظل والحرور وأنا من هذا الفارس قد حار فكرى لأنى قط ما شهدت فى الحرب مثله ولا رأيت من يفعل فعله قال فلما سمع الخسروان من الحاجب هذا الكلام خرج من تحت الأعلام طالبا مكان المعمعة ومحل الصدام وفى يده عامود ثقيل ما يخرجه قبان وهو كأنه من بعض الجان فلما رآه الفرسان الذين حوله حلوا معه خوفا عليه فخاض هو العجاج بنفسه وافتخر على أبناء جنسه فخفت من عاموده الفرسان وهابته الشجعان والأقران وقد ثار الغبار إلى العنان وعادرج العجم إلى خسران وقام الحرب على ساق وقدم وتخضبت اللحى بالدم وأيقنوا بعد الوجود بالعدم ولم يزالوا كذلك فى حرب وقتال وطعن ونزال وضرب بالنصال إلى أن آلت الشمس إلى الغروب وقد خمدت نيران الحروب فافترقت المواكب بعضها عن بعض وقد امتلأت من قتلاهم جوانب الأرض (قال الراوى) وكان الملك المنذر قد أمر أولاده أن يخرجوا الخيام إلى خارج البلد لما بان له وجه النصر والظفر بذلك الفارس الأسود الأسد وقد فرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقد ضربوا السرادقات والأعلام ودارت بهم العبيد والخدم وجلس الملك المنذر مع سائر فرسانه ودارت به أولاده وجميع خلانه ثم أن الملك المنذر أقبل على عنتر وقال له إجلس فجلس عن يمينه مقدما على أولاده وصار عنده من أعز أحبابه وأقبل عليه غاية الإقبال وصار يطيب قلبه ويعده بالنوق والأموال ثم أنهم بعد ذلك أحضروا موائد الطعام فأكل الملك المنذر وعنتر وحدهم لا غير وفى هذا غاية الاكرام وصار الملك يمازحه ويباسطه فى الكلام وعنتر يدعوا له بطول العمر والبقاء على الدوام ثم أن الملك المنذر سأل عنتر عن مبدأ حاله مع بنت عمه وما جرى له مع عمه وأهله فعند ذلك أخبره عنتر بما جرى له مع عمه مالك وما وقع بينه من الأمور والأحوال وأخبره بجميع ما عمله من الأعمال كيف ألحق روحه بالنسب وكيف رضى عمه عليه بعد الغضب وكيف أنفذه ليأتى بالمهر والمداق ويتحصل على النوق العصافيرية من أرض العراق ثم قال له وأنا قد خرجت على هذا الشرط والاتفاق (قال) فلما سمع الملك المنذر من عنتر ذلك الكلام قال له

يا عبسى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لقد غرك عمك وكذب عليك فى المقال وكل ما دبره لك فهو زور ومحال لينال به من إعدامك الآمال ولو كان راضياً عنك ما كان أبعدك ولا أنفذك إلى هذه الديار ولا رماك فى هذه الأخطار والآن قد سهل الله لك الأمر والخلاص من المهالك ولو كنت أعلم أن قلبك يطيب بالإقامة عندى لكنت كتبت إلى ملككم زهير أن يأخذ عبلة من أبيها وينفذها إلينا بالرضا أو بغيره ولكن أخاف أن قلبك لا يطيب بذلك فتحمل أمورا لا ترضاها فيكون ذلك على غير هوى النفس ومناها فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له والله يا مولاى ليس لى قدرة على المقام وأعلم أن كل يوم يمضى على كأنه أشهر وأعوام بلهيب الغرام وفى غد أكسر لك الجيش بسطوتك بحملة هذا الجبار الذى حمل فى آخر النهار وفى الصباح أطلب البراز فإن برز إلى أسقيته كاس الحمام فقال له المنذر لا يا ولدى بل إن ظفرت به لا تقتله بل استبقه لأجل شيء قد فعلته وكان غير حميد وأنا خائف من وقوعى فيه وكنت أردت أن أعلى العرب على العجم فاتانى الأمر على غير ما أريد وغضب على الملك كسرى الذى هو ملك الأرض والملوك تطيعه وهذا العسكر الذى أنفذه إلينا ما هو إلا نقطة من تيار جيوشه وعساكره وأنا خائف من غضبه ولما فرغوا من أكل الطعام وما دار بينهم من الكلام قاموا يريدون الراحة والمنام وكان عنتر أراد أن يتولى الحرس فامكنه المنذر من ذلك بل من ولديه الأسود والنعمان أن يتوليا الحرس ومعهما جماعة من الفرسان فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا وأما ما كان من طائفة الأعجام فإنهم لما نزلوا فى الخيام ومقدمهم الخسروان يهدر مثل الأسد الهمام قدم أصحابه من أجل أنهم بلغوه من أعدائه الأرب فقالوا له وحق النار كنا ظفرنا بكسر عسكر الملك المنذر لو لا ظهر لنا فارس قد فعل معنا ما فعل ورأينا منه شيء ما رأيناه بطول أعمارنا لا من العرب ولا من العجم وإن دام علينا يومين أو ثلاثة لا يخلى منا لا كبيراً ولا صغيراً وحق النيران ما كأنه إنسان وما هو إلا شيطان من الجان وإننا لما إلتقينا بقينا نحمل عليه من كل جانب ونقول إننا ننهب جسده بالقواضب فيصيح فى الخيل فيردها على أعقابها ويكركب من على ظهورها غضبة ركابها وصوته يزعج الأرض ويهدها ويضرب بحسامه الجماجم فيقدها فعند ذلك قال لهم الخسروان وإن بئس ما تصفون فى هذا الجبار فإنى رأيته وما حملت إلا من أجله حتى إنى أعجل قتله ولكنى لما حملت كان بعيداً عنى فقتلت فى حملتى عشرة فوارس صناديد وفى غداة غد وحق الكواكب العلية لا يتقدم ويبرز إلى حرب هذا البطل أحد غيرى لأجل أن أسقيه كاس الردى وآمر كم أن

تبذلوا سيوفكم فى جميع هؤلاء العرب ثم أنه أخذ وقال لبعض حجابه خذ هؤلاء الجماعة وتولى الحرس معهم إلى الصباح فأجابه إلى ذلك وأقام فى حرس أصحابه إلى الصباح فعند ذلك تبادرت الفرسان إلى الميدان وإذا بفارس من عسكر العراق خرج بين الصفين من الطائفتين وهو كأنه البرج المشيد وهو غائص فى الحديد مسربل بالزرد النضيد وتحته حجرة صفراء فى لون الذهب ثم أن الفارس ساق إلى الميدان بالعرض والطول وكشف عن وجه كأنه وجه الغول فتبينه الفرسان ونظرت إليه الشجعان وإذا هو البطل الجواد الأمير عنتر بن شداد وكان قد خرج ذلك اليوم ليقتل الخسروان وينزل به الهوان وبعدها حمل علينا مثل الشرار وطلب البراز وقصد إلى ميمنة الفرس ففرقهم وقتل منهم تسعة أبطال وطلب الميسرة فقلبها على الميمنة وقتل منها سبعة ورجع إلى الميدان وهو على تلك الحجرة التى وصفناها الأبجر قد أصبح تعباناً قليل الثبات وكان فى صدره اليوم الماضى جراحات تقدم الملك المنذر هذه الحجرة ليخوض بها الملمات فلما أن خرج إلى الميدان وجال عليها فوجدها ثابتة الأوصال صعبة عند ملتقى الأبطال فعاد بها إلى وسط الميدان ودعاهم إلى البراز وقد أنشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

نفسوا كربى وأزيلوا عللى ... وأبرزوا إلى كل ليث بطل
وانهلوا من حد سيفى جرعاً ... مرة منها نقيع الحنضل
وإذا الموت أتى فى جحفل ... فدعونى ولقاء الجحفل
ياابن الأعمام مابالكموا ... عن لقائى كلكم فى شغل
أين من كان لقتلى طالباً ... رام يسقينى شراب الأجل
قدموه وانظروا مايلتقى ... من سنانى تحت ظل القسطل
قسما باعبلة يامنيتى ... بثنايا كالزلال العسل
وبعينيك وماقد جمعا ... من دواهى سحرها والكحل
إننى لولاك ماذقت الكرى ... كى أرى الطيف به ياأملى
ياترى ريح الصبا تخبرها ... باشتياق لربوع المنزل
وتبلغك سلاما كلما ... شن ذيح الليل صبح ينجلى
فسقى الله لياليك التى ... سلفت وابل غيث هطل
وسلامى لك يهدى دائماً ... ما سرت ريح الصبا والشمال

ثم أن عنترا كان ينشد هذه الأبيات وهو يصول فى الميدان والخسروان يتأهب

للقتال فقفز بجواده إلى المجال وهو على حصان سريع الالتفات كثير الحركات وقد تقلد بسيف بتار وأخذ تحت فخذه أربع حراب مثل شعل النار ولما صار فى الميدان أخذ يبربر ويشتم العربان ثم أنه أراد أن يحمل على العسكر فما مكنه عنتر من ذلك الشأن بل أنه حمل عليه والتقاه بقلب قوى الجنان وتصادما وتضاربا ساعة من الزمان وقد أظهر من عجائب الصرام ما حير الأذهان وما زال على ذلك الحال إلى نصف النهار وكان الخسروان كلما أراد أن يهم على عنتر ويضربه بالعمود يجده يقظان فيوسع له فى الحبال ويظهر له الخداع وكان عنتر يتبعه حتى اشتد الحر وزاد السكر واشتد بمقام العجم الغيظ فأخذ حربة وهمهم على عنتر وزجها إليه فخرجت من يده كأنها البرق الخاطف أو الرعد القاصف هذا كله يجرى وعنتر ساكن غير محتفل لها إلى أن وصلت إليه فسحبها بمعرفته فحارت الفرسان عارأت فأخذ الخسروان حربة ثانية وزجها إليه فحاد عنتر عنها ومضت خائبة فلما رأى الخسروان ذلك حار فى أمره وأخذ الحربة الثالثة وزجها إليه فأبطلها بحسن صناعته فبدر إليه بالرابعة فكانت كباقى الحراب متابعة فلما نظر الخسروان إلى ما فعل عنتر زاد به الغيظ ونقل العامود من يده الشمال إلى اليمين وتمطى بما أعطاه الله من القوة وقذف عنتر بالعامود وزعق فى عقب قذفته زعقة دوت منها الجبال فركز عنتر الرمح من يده واستقبل العامود وخطفه من الهواء بيده وهزه وضرب به الخسروان ونادى عند ضربته خذها يا قرنان وأنا حبيب عبلة بنت مالك بن قراد وكان الخسروان قد استهول أخذ العامود من الهواء وعاد يطلب الفرار وجعل ترسه بين كتفيه فوقع العامود على الترس أعظم من حجر المنجنيق فحذفه قدام أكثر من اثنى عشر ذراعا فكسر أضلاع الخسروان وقطع منه النخاع وقد حار من تلك الضربة كل بطل شجاع ولما نظرت الأعجام إلى ذلك حارت فى أمورها فحملت على عنتر وعلى العرب من شدة ما نالها فالتقتها فرسان العرب بأسنة بسمهرياتها وقد اشتدت بفعال عنتر قوة عزماتها ونخواتها وقد شفى عنتر فؤاده من العجم بالقتال وجندل الأبطال وصاح المنذر فى العرب وأمرهم بالحملة فرمت العرب عن صياحه أنفسها على أعدائها وقد اشتد زفير الحرب والنهب بحملاتها وقد سقطت ثمار الأعناق عن غصون قاماتها ونظرت الأعجام من عنتر ما أذهلها فولت هاربة إلى فلواتها وتفرقت فى تلك الأرض ولم تصدق بنجاتها وصارت العرب فرحانة ببلوغ الأرب ومكثرة لعنتر من الشكر والثناء ثم قد تذكر ما جرى له فجاش الشعر فى خاطره فأنشد يقول صلوا على طه الرسول:

سلى يا إبنة العبسى رمحى وصارمى ... وما فعلا فى يوم حرب الأعاجم
سقيتهم والخيل تنفر فى الوغا ... دماء العدا ممزوجة بالعلاقم
وفرقت جيشاً كان فى جنباتهم ... همام شديد عند برق الصوارم
على مهرة منسوبة عربية ... تطير إذا اشتد الوغا بالقوائم
وتصهل عجبا والرماح قواصد ... إلى صدرها تنسل سل الأراقم
وخضت بها بحر المنايا فمحمحت ... وقد غرقت فى بحرها المتلاطم
وكم فارسا يا عبلة خليت غاديا ... يعض على كفيه عضة نادم
يقلبه وحش الفلا وتنوشه ... من الجو عقبان النسور القشاعم
أحب بنى عبس ولو سفكوا دمى ... لأجلك يا بنت السراة الأكارم
وأحمل ثقل الضيم والجور والأسا ... وأظهر أنى ظالم وابن ظالم
عليك سلام يا إبنة العم فاعلمى ... بأنى إليك قادم بالغنائم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك النظام تعجب المنذر ولحقه الهيام وقال ياوجه بنى عبس أعلم أنى قد وهبتك كل ما تركت العساكر فى هذه النوبة لأنك أنت السبب فى نصرتنا وكل هذه الأسلاب تأخذها مع النوق العصافير والمال ويكون هذا فى مقابلة فعلك قليلا فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له يامولاى أفعل ما تريد فإننى قد صرت لك من جملة العبيد ثم أنه بعد ذلك دعاله بدوام العز والنعم ولأعدائه بالويل والنقم ثم إنه انصرف من قدامه إلى مكان أعد له ثم جلس الملك المنذر على سرير مملكته وقد جمع أمراء عشيرته وسادات قبيلته وقد أخذ معهم فى المشورة من أجل مكاتبة العرب ليأخذ حذره من طائفة العجم ولقائها صار يتأهب (قال الراوى) فلما أن سمع منه أكابر قومه ذلك قالوا له أفعل ما تريد ولا بأس من الاحتراز من شر هؤلاء الأعجام الصناديد فبينما هم فى الكلام وما قد تشبهوا فيه من المرام وإذا بحاجب من حجابه قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له يامولاى قد اختلف القول والعمل واعلم أن وزيرك عمرو بن نفيلة قد وصل وقد أتى للسلام عليك وذلك من إشتياقه إليك لأنه قد بلغه ما جرى لك وقد سمع بقصتك مع الملك كسرى وما صار من أحوالك فأتى ليدبر هذا الأمر كما يريد ويفصل هذه القضية برأيه السديد (قال الراوى) وكان هذا الوزير عمرو ابن نفيلة من جملة المعمرين المنتظرين لظهور سيدنا محمد ﷺ لأنه قد عاش خمسمائة عام وكان أكثر مقامه فى البيت الحرام وكان هو من جملة من قدم عليه وأسلم على يديه ومن

جملة ما وقع له أنه كان فى تلك الأيام مقيما فى البيت الحرام لأجل زيارة مكة والتبرك بها فسمع من الحجاج بخبر هذه الواقعة وما جرى بين الملك المنذر وبين الملك كسرى فما قدر أن يصبر عن العرب وخاف عليهم من طائفة العجم كى لا ينزلوا العطب فخرج من مكة وسار إلى أن وصل إلى الحيرة فلما أقبل على الملك المنذر وسلم عليه فأكرمه غاية الإكرام وسأله عن العربان الذين اجتمعوا عند البيت الحرام وسأله أيضا عن الشيخ عبد المطلب الذى فى ذلك الزمان كلمته العليا على جميع العرب وهو صاحب الحسب والنسب فقال الوزير عمرو اعلم أيها الملك إنى أخبرك عن شىء جرى فى مكة وهو أنه وصل إلى شيخ الحرم خبر الواقعة التى جرت لكم مع طائفة العجم فأراد أن يجهز لكم عسكرا جرارا من كل ليث مغوار فأشرت عليه برأى وهو أن يكون منتظر الجوابى بعد توجهى إليك ونظرى سبب هذه الوقعة التى قد جرت عليك وإن قدرت أصلحت قصتك وأقمت ناموسك وحرمتك لأن الشيخ عبد المطلب قد أخبر أنه لم يبق إلا القليل لظهور الرجل الجليل الذى يظهر الحق ويخفى الأباطيل وأنه يسلم عليك ويتقرب بذلك الأمر إليك ثم أنه يقول لك لا تعاند عباد النار حتى تشرف مكة بالأنوار من الذى يظهر من عدنان بالنبوة والبرهان تشتد به العمران وتخرب لقدومه بيوت النيران وتتساقط عن الكعبة الأصنام والأوثان وما بقى إلا القليل ويظهر ذلك النبى ﷺ النبيل فاسمع من الشيخ عبد المطلب واجب ما قال واعلم أنه ما بقى يليق فى القصة إلا أن تعتذر فى السر والنجوى وتتواضع لهذا الملك كسرى واعلم أنك قد أسأت التدبير فى الأول والثانى وقتلت حاجبه الخسروان وكسرت مواكبه فاحذر منه ولا تأمن عواقبه فعند ذلك قال الملك المنذر أيها الوزير كيف يكون التدبير قل لى حتى أنى أتبعك فى رأيك وما به على تشير فقال له الوزير إن أردت الرأى فالزم الأدب واقعد عن مكاتبة العرب واصبر على قليلا حتى أسير إلى خراسان واجتمع على الموبذان وأدخل عليه وأقبل يديه وسلم الأمر إليه وأسأله أن يكف عنا شر كسرى ويرده عن معارضة العربان لأن الموبذان رجل حليم حكيم ذو ذكاء والحكماء لا تشير باهراق الدماء فقال له المنذر افعل أيها الوزير ما تريد أن تفعله من أعمالك لأنك الشفيق فى أعمالك ثم أن الوزير عمرو بن نفيلة أقام فى الحيرة يومين إلى أن استراح من التعب وفى اليوم الثالث رحل طالبا المدائن وقد أوصى الملك المنذر بعشر وقال له لا تمكنه من العودة إلى الأوطان حتى أجازيه على أفعاله قبل الارتحال ولما أن توجه وسار بقى فى قلبه معه آثار وما زال سائرا فى تلك البرارى والقفار إلى أن وصل إلى المدائن ودخل على الموبذان من بعد الاستئذان فقام له وبجله وأكرمه



وأجلسه إلى جانبه وقال له ما الذى أقدمك علينا بعد ما وصلت أذيتك إلينا فقال له الوزير عمرو بن نفيلة أعلم أيها الأب الكبير إنى لما جرت هذه القضية ما كنت حاضر هذه الأمور الكبار ولما بلغنى الخبر بما جرى وكيف أنه أكل التمر وغص بالنوى وضحكت عليه الحجاب وعاد إلى الحيرة وهو منكس الرأس فأمر فرسان العرب بشن الغارات على الرساتيق من أهل البلاد ونهب الأموال فلما سمعت ذلك علمت أن هذا الأمر يزداد فسادا فأسرعت فى حث الركاب وقلت لعلى أدرك الأمر قبل الفوات فما وصلت إلا وقد فات فبادرت بالسير إليك خوفا على هذه الصور الآدمية أن تهلك وإن كانت باستحقاق المنية فأحسن ما دمت قادرا على الإحسان وافرض إن العرب جهال ولا يخطر لهم حساب الملوك على بال قال فلما سمع الموبذان ذلك الكلام رق له قلبه ولان وقال له وحق النار والنور إنى دبرت هذا الأمر من قبل أن تأتى ولما أن وصل الجيش وهو مكسور وصاحبه فى العدم والثبور لا بلغت الملك كسرى بهذه الأمور خوفا على الرجال من الأهوال وعلى الدماء أن تهرق وعلى شمل العرب أن يتفرق وكان أيضا عندنا شغل وهو أهم من هذا ونحن فى القيل والقال ولا أردت أن أحمل قلب الملك كسرى هذه الأثقال لأنى أفديه بروحى من كل الأهوال لأن الدولة تمرض كما يمرض الإنسان وتنقلب كما ينقلب الدهر والزمان وما لها من يديرها إلا وزراؤها وحكماؤها إلا أنها أعرف بأمورها وأحوالها فقال له عمرو يا مولاى أعلمنى أى شىء الذى أشغل الملك العادل وهو مالك الأرض فى طولها والعرض فقال له الموبذان

أعلم أيها الوزير أن الملك قيصر صاحب أنطاكية كان كل سنة يحمل له المال والجوارى الروميات وذخائر تعجز عنها الصفات مداراة عن بلاده بالتحف والهديات إلى أن دخل هذا العام ووصلت الأموال فوصل معها بطريق جبار من كبار الجبابرة الأشرار وقد أتى معه خمسون فارسا من عبدة الصلبان وعشر قسوس وثلاث رهبان وذلك البطريق معه رسالة ولما أتى إلينا قال للترجمان أعلم الملك كسرى أن معى أموالا لا تحصى وقد صحبها جوار حسان كانهن حور الجنان ولكن لا أسلمها للملك إلا أن يكون عنده فارس يلقانى فى الميدان إذا اختلف بيننا الحرب والطعان وذلك كما أمرنى المسيح ومارى الممدان قال وكان هذا البطريق له حكاية عجيبة وأمور غريبة مما ظهر من هذا البطريق من الأهوال والفروسية وكان له عنده قدر واجلال إلى أن كان يوم من الايام دخل عند قيصر فوجده جالسا وخزانه بين يديه وهم يعرضون الأموال عليه وهى من الجواهر الغوال ويضعونها فى أكياس وهو يختم عليها ويحطها فى الصناديق وهو مشغول الحواس ورأى أيضا عنده جماعة متهيئين للسفر وسلوك الطريق فى البر الأقفر فعند ذلك تعجب البطريق غاية العجب وكاد عقله أن يذهب فسلم وجلس إلى جانبه ثم أنه سأل الملك عن هذه الأحوال وقال له إلى أين ترسل هذه الذخائر الغوال فقال له ياولدى أن هذا المال للملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والإيوان الحاكم على جميع العربان القاصى منها والدان الذى هو ملك العرب والعجم وأطاعه سائر الأمم وأنه يحمل له كل سنة من الأموال والتحف والغوال مثل هذه الأحمال التى تراها بين الرجال فقال البطريق وكسرى هذا هل يعبد المسيح فقال لا ياولدى هو يعبد النار ذات الشرار ويحكم على سائر الأقطار وذلك لاجل كثرة جيوشه وأعوانه ومواكبه وفرسانه ولولا مداراتنا له بالأموال والجوار ما كان لنا فى أرض الشام من قرار (قال الراوى) فلما سمع البطريق من الملك ذلك الكلام قامت عينيه فى أم رأسه وانزعج حواسه وقال وحق المسيح والمذبح والذبيح ما كنت أقول أن فى الدنيا من يعبد غير المسيح وإن كان هذا الملك كما ذكرت فما بقى غير الجهاد وإظهار الدين الصحيح فكيف الذل والهوان من عباد النيران وأنت تدعى عبادة المسيح تشد الزنار وحق من أقام الموتى من حفر التراب ونفخ فى الطين فطار منه طيور وحارت منها أولو الألباب لاتركتك تحمل من هذا المال دينارا واحدا حتى أسير به إليه وأطلب الجهاد فى طاعة المسيح وألتقى بعسكر هذا الملك وأبذل فيهم المجهود وإذا أنا قتلت قدم أنت على هذا المعهود وإن أنا نصرت ونصرنى المسيح وفتحت أقاليمه وبلاده أقمت فيها من قبلك أعدل نائب

وأنت تكون مقيماً فى مكانك وتأمن من النوائب وتصير الدنيا كلها مسيحية والملة مريمية فقال له الملك قيصر لا تفعل ياولدى ولا تفتح على باباً لاقدرة لى على سده ولكن إذا كنت تريد أن تفعل شيئاً لأجل يمينك الذى حلفته فسر وافعل ما تقدر عليه فإذا رأيت ملكه وبلاده وفرسانه فعند ذلك أطلب منه البراز فى حومة الميدان والمجاولة مع الفرسان فإن أوصلك إلى ما تريدو هو لا يتعدى ولا يحيد فإنك تبلغ آمالك وتنصلح أحوالك لأنه ياولدى هو عادل طيب الأخلاق حسن السيرة ولا عنده رياء ولا نفاق فإن رأيت لك فى ملكه مطمع فعد إلى حتى إنى أريك ما تصنع وإن أبصرت الأمر عظيما والخطب جسيما فلا تتعرض له بل تحمل المال إليه ليكون حالنا معه مستقيما ولا يكون فعلنا ذميما فلما سمع البطريق ذلك الكلام امتثله ورآه صوابا وصار مع المال لما تجهز وأخذ معه الهدايا والتحف ومازال فى سيره تحدثه نفسه بالبشرى إلى أن وصل إلى بغداد وصار فى حضرة الملك كسرى فقال له أيها الملك إعلم أن ملكنا قيصر يحمل إليك الأموال كل عام وقد أتيت إليك بكثير من الأموال والجواهر والمماليك وكان حمل إليك هذا المال حذرا من سطوتك لئلا تلحق بنا الذل والنكال وما أتيت إليك فى هذا العام إلا وأنا أريد أن أكشف هذا الضيم عن دين النصرانية وأحامى عن الملة المسيحية وأبارز بين يديك كل فارس يعز عليك فإن قتلت فى البراز كان دمى لك حلال مع ما أتيت به من المال ويتم بينكما العهد على ما أنتم عليه فى كل حال فإذا رزقت النصر وشاهدت الظفر حط عن بلادنا ذلك الخراج فهل أنت عن ذلك الشرط راض بلا جدال وتترك هذا العناد وسفك دماء الأبطال لأن سفك الدماء فى سائر الأديان حرام ولا يرتضى به أحد من الأنام واعلم أيها الملك أنى ما قلت لك هذا الكلام إلا طمعاً فى عدلك بين الأنام وذكرك الذى قد شاع فى جميع الأراضى والآكام على ألسنة الرجال وضربت به الأمثال (قال الراوى) فلما سمع كسرى من الترجمان هذا الكلام بان فى وجهه الغضب إلا أنه ما أظهر شيئاً من هذا التعصب لأنه كان ملكا عادلا والعدل يرده إلى الصواب ثم قال لأرباب دولته من يطلب الانصاف فلا يكون له إلا الاسعاف فانزلوه فى مكان يصلح له واتركوا المال الذى أتى به عنده إلى غداة غد حتى أنه يخرج إلى الميدان وتشهد براز الفرسان ولا نأخذ من الذى أتى به شيئاً إلا باستحقاق وإذ لم يكن عندنا فارس يلقاه من فرسان العجم والديلم فما يكون له عندنا إلا غاية الكرم وجميع ما أتى به يكون إليه مسلم لأنه قد رضينا منه بهذا الشرط بلا زيادة ولا نقصان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان (قال الراوى) ففعلت الحجاب

ما أمرهم به الملك كسرى وبات على ألسنة العسكر فى أمره ذكرى بما شرط على الملك كسرى إلى أن أصبح الصباح فعند ذلك تبادرت الفرسان من العجم والديلم وقد امتلأ الميدان بالامم وركب الملك كسرى وعلى رأسه التاج والاكليل وبين عينيه درة تضيء مثل القنديل وقدامه المرازبة والحجاب والصقالبة وهو راكب على جواد له غرة مثل الطراز يطير وترجلت بين يديه الشجعان واصطفت الفرسان والعساكر صفين وانقسمت قسمين وما زالت العساكر وقوفا وهم بين يديه مصطفون صفوفا إلى أن أقبل البطريق والبدرموط ومن حوله القسوس وقدامه الرهبان ومن ورائه الجنائب المختلفات والالوان وأصحابه قد رفعوا على رأسه الصلبان وتأهبوا للضرب والطعان (قال) فلما توسط الميدان وصال وجال وتأهب للمصائب ولقاء النوايب وقد تقلقلت له المواكب ثم أنه تقلب تحت القنطارية على الجواد وارتعدت من هيبته الاجساد وقد زادت به الاحقاد وطلب به ذلك البراز والقتال فتبادرت إليه الابطال والاقيال من عباد النار وطلبته من جميع الجهات يريدون بذلك الافتخار عند الملك كسرى عن الميدان وقالوا لهم أخرجوا إليه فارسا بعد فارس كأمر الملك وكل من أسره فى الميدان أخذ جميع ما صحبه من المال والنوال وإن كنتم لا تصبرون على بعضكم البعض فاقرعوا فمن وقعت عليه القرعة فليخرج إليه ويتأخر الآخر إلى أن تجيء النوبة إليه قال فلما سمع العجم من الحجاب ذلك الكلام تأخروا إلى ورائهم وساروا موكبا واحدا ثم أنهم أقرعوا فوقعت القرعة على مرزبان فخرج كأنه شيطان من الجان وكان ديلميا شديد البأس صعب المراس مبليل الشعر كبير الرأس يقال له سرجان فلما أن صار فى الميدان أنقض على البطريق إنقضاض العقاب ولما أن قاربه ضربه ضربة بحربة كانت فى يده فخرجت كأنها حجر المنجنيق فسحبها البطريق على طارقته وقد أخرج رجله من الركاب وصبر إلى أن عبر المرزبان والجواد من تحته فى شدة الجولان ورفسه فقلبه على الصحصحان ولما نظرت الفرسان إلى ذلك ذهلت مما رأت وحارت مما جرى على الديلمى لما رأوه انقلب على ظهر الجواد والرومى واقف ما طعنه ولا ضربه بحسام فتعجبوا من ذلك ثم أنهم أفترقوا وتقارعوا فوقعت القرعة على رجل جبار من جبابرة العجم وكان حاجبا مقداما وقد قاتل بسائر السلاح وله صبر عظيم إذا اشتد الحرب والكفاح وخرج من يده عمود من الحديد وهو يهمهم همهمة الاسد الجليد وما زال إلى أن قرب من البطريق وقاربه وفتح باعه ليضربه فوكزه البطريق بعقب القنطارية تحت أضلاعه

فقلبه لأنه كان فى يده قنطارية كأنها صارى مركب لو وكز بها فيلا لانقلب وكان قد شرط على نفسه قدام الملك كسرى شيئا وما سبقه به أحد غيره أشهد عليه القسوس والرهبان لدى كسرى أن دمه لهم حلال ودمهم عليه حرام فى ساحة الميدان إلا من تحامق عليه فلا بد أن يقتله ويعجل من الدنيا مرتحله ومازالت الفرسان تخرج إليه باختلاف أجناسها وعددها وهو يصرعها على الأرض إلى أن قهر مائة فارس وقد قاربت على الغروب شمس النهار والملك كسرى من أفعاله قد حار فعند ذلك أستدعى به الملك وخلع عليه ثم أنه رجع بعد ذلك من الميدان وهو على عساكره وحجابه وعادت جيوشه وفى قلوبها النيران وعاد البطريق وهو فرحان وحوله القسوس ويعوذونه بالإنجيل ثم أنهم باتوا تلك الليلة فى العز والأفراح إلى الصباح ولما أقبل الصباح برز البطريق إلى الميدان فرمى فى عرضاته مائة فارس فزاد بكسرى الغضب والكمد وماجعل باله من أحد وما بقى الملكه عنده يساوى حبة خردل واشتد عليه الغضب والغم وعلا عليه السخط والغضب وصارت نار وجهه تلتهب وقد دام الأمر على ذلك الحال إلى تمام خمسة عشر يوما ياأخوان وقوة البطريق كل يوم فى زيادة وفرسان العجم فى نقصان وكسرى يبيت ويصبح وهو حزين حيران وخائف أن يرجع البطريق بالمال وهو فرحان ويحدث الملك قيصر ملك الروم بما فعل فينحط قدر المملكة الكسروية عند عباد الصلبان وتحدثهم نفوسهم بشىء لم يكن لهم على بال وقد خشى من عاقبة هذه الأمور قال فلما سمع الموبذان كلام كسرى وطن قلبه على الأجر وتوجه إلى الأمير عمرو بن نفيلة وقص عليه ما عند كسرى من أمر البطريق وما جرى قال الراوى فلما سمع الوزير من الموبذان هذا الكلام تعجب الوزير عمرو بن نفيلة الغدى من تقلبات الأيام وقال للموبذان أعلم يامولاى أنه قد سهل الأمر وهان وسيتضح لك الحال ثم أنه حدثه بحديث عنتر وما جرى له مع الملك المنذر وكيف أنه أغار على النوق العصافيرية وكم أهلك من بنى شيبان وانزل بهم الذل وما وقع له من الأسر وقتل خسروان وكسر عساكره بعد ما كان حاصر الملك المنذر فى البلد حتى لم يبق له به طاقة ولا جلد وكيف أنه قتل الأسد وهو مقيد قال الراوى فلما سمع الموبذان من عمرو بن نفيلة ذلك الكلام دخل على قلبه السرور والفرح وعلم أن الأمر قد انصلح فقال وحق النار ذات اللهب أن هذا الحديث يجب أن يؤرخ ويكتب فى أحاديث العجم والعرب وأنا أقول أن هذا الفارس يزيل عن قلب الملك كسرى ما به من تعب ويكون

لاصلاح الشان أقوى سبب ثم أنه نهض من ساعته وقام وقعد وأيقن بزوال الكربه وقال لعمرو بن نفيلة لا تبرح من هذا المكان إلى أن أعود إليك وأقص ما يجرى عليك ثم أنه صار إلى أن دخل على كسرى فترحب به وكل من كان حاضرا فقال له الملك أيها الأب الكبير إنى أردت أن أرسل خلفك هذه الساعة ولك أستشير فى هذا الأمر الذى تعسر وأسألك عن حال هذا البطريق وما فعل بفرسان العجم وقد تحير وخفض سحاف دولتنا وانزل بنا الآلام وعدانا يمنعنا من أذيته وانا نريد أن نكتب الى خراسان ونأمر نيابنا أن أتونا بكل فارس شجاع وإلا طمعت فينا عبدة الصلبان فقال الموبذان أيها الملك الأمر أقرب من ذلك والخطب سهل ومن يكون هذا الكلب حتى نكاتب من أجله أهل خسروان وتعظم شأنه ولكن تكتب إلى نائبك على العرب كننا بالآن جميع العرب تحت طاعته والفرسان تنقاد إلى كلمته وتأمره أن يرسل إليك أقل ما عنده من العبيد فتبلغ به من هذا الشيطان كل ما تريد لأن فرسان العرب ماهرون فى المبارزة خصوصا فرسان الحجاز فإنها تبلغ ما تريد وتختار فى المهمات والبراز فقال له الملك كسرى وكيف وملك العرب علينا غضبان لما جرى بينه وبين الحاجب خسروان وقد سار إليه فى عسكر مثل البحر إذا زخر وإلى الآن ما وصل لنا منه خبر فقال له الموبذان أيها الملك تبقى لنا أنت ما يقر الزمان فى سرور وأمان وينزل على أعدائك الذل والهوان أعلم يا ملك أن خسروان قد شرب كاس الحمام ووصل جيشه منهزم من منذ خمسة أيام وقد أبهمت عنك هذا الأمر والشان خوفا عليك فما رأيت أوفق من الكتمان لا أحملك مالا تطيق من لهيب النيران والآن دعت الحاجة إلى اطلاعك على هذا الأمر وأنا أسأل النار أن تبلغك من الأعداء الآمال وتصلح الحال قال فلما سمع كسرى ذلك الكلام والمقال زاد به الاشتغال وقال يا أباناو من هو الذى قتل خسروان فارس العصر والأوان فقال له الموبذان قتله فارس من الشجعان من بنى عبس وعدنان ثم أعلمه بما سمع من عمرو بن نفيلة وزير الملك المنذر وما سمع عن عنتر من القوة والشجاعة والفروسية والبراعة فقال الملك كسرى فإذا كان الأمر كذلك فبأى وجه ترسل إلى الملك المنذر حتى أنه يرسل إلينا هذا الفارس المذكور بعدما قتل بطلا من خيار أبطالنا وأكابر دولتنا وقد كسر فرقة من حماتنا وأرسلنا إليه وطلبنا منه المجىء فلا أظن أنه يجىء لأنه لا يامن على نفسه من سخطنا وغضبنا ولو أعلم أنه يأتى أو يرسل هذا الفارس لأرسلت إليه وسألته أن ينفذه إلينا

وأنا أعفو عما تقدم من ذلك لأننا على كل حال قد تعدينا بظلمنا عليه بما صنعناه معه وما أوصلنا إليه من الأذية فقال له الموبذان يا ملك الزمان أنا أعلم أن الحاجة فى هذا الوقت داعية إليه ولا بد لك من إرسال كتاب المنذر ليسرع التفتيش عليه ويطلبه من زهير ملك بنى عبس وما أظن أن يوجد فى الأرض من يرد له عنان ويروع له جنان ثم أنه حدثه بحقيقة الخبر وما كان منه وكيف أن الملك المنذر قد انكسر ودخل البلد هاربا وانحصر وأن عنترا كان عنده يومئذ فى الأسر وهو مقيد بالقيود فأطلقه وبلغ به المقصود وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها وكيف أتى وساق المنذر وحده وقتل عسكره وجنده ولولا أركبه الجواد لما قدر المنذر عليه وأعلم أيها الملك أن الصواب أن ترسل إلى الملك المنذر الخلع والتشاريف وتأمره أن يحضر عندنا وصحبته عنتر فارس بنى عبس وتنظر كيف يلتقى هذا البطريق العنيف فمن قتل منهما صاحبه كانت له السعادة والتوفيق فقال الملك كسرى وإن كان الملك المنذر لا يطيع أمرنا ولا يعتنى بجوابنا ومكاتبتنا ويداخله فينا الطمع ويقوم فى نفسه الفزع بالفرس قد وقع فكيف بعدها نصنع فقال الموبذان اعلم أيها الملك أنى ما تكلمت بهذا الكلام حتى ثبت عندى أن الملك المنذر من غضبك خائف وجلان وبذنبه معترف وحيران لأنه علم أنه قد أخطأ وعلى ما فعل ندمان فقال له كسرى إن كان كذلك أيها الأب فافعل ما تريد ودبر ما هو برأيك سديد فأنت الوزير قال الراوى فلما سمع الموبذان من الملك كسرى ذلك الكلام قام من عنده وأتى إلى الوزير عمر بن نفيلة وأعلمه بما جرى من الملك كسرى ففرح بذلك وكتب من وقته وساعته كتابا للملك المنذر حرضه فيه على المسير والاستعجال من غير امهال وأعلمه فى الكتاب بما وقع لعساكر كسرى مع فارس الروم وأن الأمر الذى يتم به الصلح بينكم وبين كسرى أن تحضروا بصحبتكم أبو الفوارس عنتر حامى بنى عبس الأسد الغضنفر وإنى قد ضمنت له أن عنتر يمزق هذا البطريق تمزيقا ويوقع بقلب الملك قيصر من أجله حريقا وأن ينزل به العدم ويزيل عن قلب الملك كسرى ما نزل به من الهم وقال له فى آخر الكتاب ولا يمكن لك جواب إلا وضع رجلك فى الركاب والمجىء بعنتر بن شداد صاحب الصولة على الأساد ثم أنه علق الكتاب على جناح الطير وأقام فى الإنتظار للاخبار وأما ما كان من البطريق البدرموط الجبار فانه باكر إلى الميدان فى ذلك

النهار وبارز رجال كسرى الأقيال وأخذ معهم فى المجال وسطا عليهم فى القتال وقد عيب المرازبة الكبار وعاد وقد نال الشرف والافتخار وفى الغد برز إليه مقدم من مقدمى الديلم يقال له بهرام بن بهرمان وكان رجلا رقيقاً رشيقاً يقاتل بسائر الأسلحة والمزاريق والسيوف والعمد كل وثيق وهو عمدة الملك كسرى فى كل شدة وضيق ولأجل هذا الحال منعه الملك هذه الأيام عن القتال وقد منعه شفقة عليه من الهوان ولما بلغ الأمر ذلك ورأى ذلك البطريق قد عيب الفرسان خرج من غير استئذان وتقدم إلى البطريق وجال معه فى الميدان وقد كان راكباً جواد عتيق عليه درع وثيق وبيده رمح رشيق ولما صار فى الميدان التقى بذلك البطريق وصار وهو وإياه فى مقام الجولان وقد فتحا لبعضهما أبواباً من الحرب حسان وأخذا فى الضرب والطعان حتى حارت منهما الفرسان وذهلت من قتالهما الشجعان ولا يزالا على ذلك العيار إلى آخر النهار وقد كلا من الجولان وكان البطريق الرومى قد استحقر أمر العجم فى القتال لأن العجم قد ملوا فى عينيه لأجل ما تقدم إلى أن لاقى ذلك المقدم ورآه ساعة فى زيادة ورجحان مليح الاحتراز خبير بملاقاة الشجعان يوم البراز نخاف أن ينقضى النهار فلا يبلغ من خصمه ما يختار وخاف أن تنقص منزلته بعد الإفتخار فكان يقاتل خصمه بالقنطارية بغير سنان إلى أن كان منه ما كان ومن رأى أن العجمى كثير الاحتراز مليح فى البراز فاخرج سنانه من قربوس سرجه وركبه على قنطاريته وحمل على الديلمى وقد أراد بذلك أن يوهمه ويصل بالسنان إلى صدره فلما رأى الديلمى الطعنة واصلة إليه فلم يجزع ولا خاف ولا انجزع فرمى الرمح من يده وسل حسامه من غمده وضرب قنطارية خصمه فبراها كما يبرى الكاتب القلم فعلم الرومى أنها صارت لا تنفع فرماها من يده وسل حسامه من غمده وزاد غيظه ونبه عزيمته وأظهر فى قتاله ما عنده من تجالد مع خصمه بالحسام حتى حارت من فعالهما الصفوف وحامت عليهما عقبان الحتوف ففرحت العجم بقتال صاحبها وأملت أنه ينتصر على فارس الروم وانجلى ما كان على قلب الملك كسرى من الهموم ودام الأمر على هذا الحال حتى تضاحى النهار وعاد الفرسان من تحت الغبار وهما سالمان من البوار وقد صاحت العجم فرحاً بمقدمها واستدعى به كسرى إليه وقربه منه وشكره على فعاله فسأله عن خصمه وقتاله فقال أيها الملك وحق ذات الذوائب وما فى هذه البنية من الكواكب أنه فارس ما مثله فى العجم والعرب وسوف تنظر هذا الفارس الذى أنفذت وراءه وهو ذلك العبد العنيد وسوف يصير قدامه مثل العبيد لأنى أقول أن هذا الفارس يلتقى بنى عبس كلها فارسها وراجلها ويذلها بقوة جنانه وشدة حربه وطعانه

ويردها تتعثر فى أذيالها ولو لم يكن أوحد زمانه وفارس عصره وأوانه ما كان وقف قدامى ولا ثبت لحربى وصدامى وعلى أن قتالى معه فى ذلك اليوم ما كان إلا مدافعة وعلى سبيل الاختبار حتى يظهر له من أين تنزل عليه الأقدار وتحيط به الأخطار ولكن فى غدة غد أرميه بإحدى المزاريق واتركه فى دمه وأحمله من البلاء ما لا يطيق وأشعله لنار الحريق فقال كسرى باركت فيك النار يا فارس الأقطار ثم أنه عاد إلى الميدان وهو فرحان بما ظهر من أعوانه وعجائبه وكان البطريق الآخر عاد إلى أصحابه وقال لهم لولا أن فى أجله تأخير ما كان ثبت قدامى ولا نجا من حربى وطعانى على أنى لو أردت قتله كنت قتلته قبل أن يتعالى النهار إلا أنى شرطت على نفسى قبل هذا إنى لا أسفك لهم دما قدام الملك العادل كسرى أنوشروان ومن قدر على منهم فدمى له حلال فقالت القسوس والرهبان وحق المسيح والصلبان أن هذا شرط ما فعله قبلك إنسان إلا أنت ياسيف المسيح والصلبان ونحن نبيت تلك الليلة نتلو حولك الإنجيل المعظم ونسأل المسيح عيسى بن مريم أن ينصرك على فرسان العرب والعجم والفرس والديلم ثم أنهم باتوا على ذلك حتى انشق ذيل الدجا فطلع الصباح متبلجا وأقبل الملك كسرى إلى الميدان وانتشرت كتائبه ومواكبه فى الوديان واصطفت الصفوف وترتبت المياه والألوف فهنالك تقابل البطلان وتجادلا فى الميدان وكان البطريق قد جعل ذلك اليوم تحت ركابه حربتين وعول على قتل خصمه إن تعسر عليه أمره أو أنه يجتهد فى أسره فمنذ هاطاعنا حتى مضى أكثر النهار وتراشقا بالحراب إلى أن مالت الشمس إلى الاصفرار فذهلت منه العقول وحارت الأبصار وقد رأوا من شدة قتالهم الهول المهول وهم يتقاتلون بالنصول حتى انفرطت قلوبهم من شدة الضيق وفى اليوم الثالث تبارزوا وحمل كل واحد على صاحبه وقاسى كل منهم الهول العظيم وظن أن الآخر عديم وقد قتل كل واحد جواد الآخر من شدة الجولان والركض وساروا مشاة على وجه الأرض وتقابضا بالكف والزند حتى تفتقت منهما الكبد ولما جن عليهم الليل افترقوا عن بعضهم البعض وقد ضجر الملك كسرى من تردده إلى الميدان وقل ملكه فى عينه وهان وعلم أن صاحبه إن غلب بعد هذه الفعال انقطعت ظهور أصحابه الأقيال وخاف من رجوع البطريق إلى قيصر بهذه الأموال وعلم أنه لا بد أن يعلمه بما جرى له مع فرسان العجم فى المجال فيأخذه الطمع ويقطع الخراج الذى ينفذه إليه كل عام من شدة ما جرى عليه من القلق أرسل إلى بيوت النار والمعبد الأكبر بأنها تسعر ولا تغلق وأوصى مشايخ النار أن يقربوا

لها قربان وأن يرموا فيها البخور ويسألونها النصر على عبدة الصلبان وكذلك فعلت جالبطريق القسوس والرهبان وأتوا وهم من حوله يتلون عليه الإنجيل بالاحترام مع مزامير داود عليه السلام وصارت البطارقة يبخرونه ويصلون عليه صلاة الأموات إلى أن ذهب الليل وفات قال ولما طلع الضوء وبان وكاد أن يتحدا مع بعضهما فى القتال وإذا قد أشرف الملك المنذر ومعه الفارس القسور والبطل الغضنفر أبو الفوارس عنتر وهم مقبلون مثل القسور والغبار عليهم يثور وما زالوا مجدين إلى أن أقبلوا إلى الميدان ورمقتهم بالأعين الفريقان وكان أول من عرفهم عمرو بن نفيلة والموبذان وقد خرجوا للقائهم فى جماعة من الفرسان والتفتت إليهم المواكب بالنظر ووقف العسكران عن الطعان وما كانت إلا ساعة حتى عاد الموبذان والملك المنذر بأحد جانبيه وعنتر بن شداد بجانبه الآخر وقد أثقلت جثته الجواد ومن خلفه أبطال العرب الجياد والوزير يحدثه بما وقع لهم من فارس الروم وما حصل لهم من فعله المذموم فقال عنتر وقد عرف سائر المرام يا مولاى أنت ضمنت عندى الملك العادل كسرى بأنى ألقى فارس الروم وقد أجبت إلى ذلك بإذن الحى القيوم وألقى أيضا زيادة فارس من العجم ولو كان معه ألف فارس من عباد المسيح بن مريم قال فلما سمع الوزير من عنتر هذا الكلام المعتبر حصل له بذلك الفرح والسرور وتوفرت عنده أنواع الحبور ثم قال له عنتر يا مولاى إذا لم أوف بهذا الضمان وأقتله فى حومة الميدان أستحق أن أسحب من رجلى وأرمى فى بيوت النيران وأجعل لها قربان وأن تهملوا جميع العبسيين الذين أنا منهم بكل محفل ومكان فتبسم من كلامه الوزير الموبذان ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الميدان وقد اصطفت مع العجم المواكب والجيوش والكتائب وأشهروا العدد من كل جانب وأشرقت العدد وصارت فى شعاع الشمس تتوقد وكان أول من تلقاهم موكب المديحة وهم بثياب الديباج الموهجة وبسبائك اللؤلؤ المنتظمة الموهجة وبعدها ساروا إلى موكب الأساورة وهم أصحاب الأساور المذهبة المطعمة بالجواهر واليواقيت العجيبة البواهر وبعدها ساروا إلى موكب المتوجة وهم أصحاب التيجان والأكاليل والسيوف المجلاة البواتر ومن هنا ترجل الملك المنذر ومن معه من الفرسان وترجل عنتر موافقة للملك المنذر ومن معه من الفرسان ومشى إلى أن صار قدام الملك كسرى وامتثل وخدم ودعا وسلم وكذلك فعلت فرسان العرب ولزم عنتر الأدب وانحنى إلى الأرض راكعا ورفع صوته بالدعاء وكان كسرى ذلك اليوم راكبا وقد أحدقت به الوزراء والحجاب والأمراء والنواب فحار عقل عنتر لما شاهد هذه

الأحوال وأبصر فرفع صوته جهر وقال أعز الله دولتك بالدوام والبقا ولا زلت فى العار والارتقا مادام الصباح مشرقاً والليل مغلقاً والشجر مورقاً والغيث متدفقاً ياملك العرب والعجم وبحر العطا والكرم وأهل الجود والنعم ثم أنه أشار يقول:

كفاك الله نائبة الزمان وعشت من الحوادث فى أمان
ولا زالت نجومك مزهرات بسعد ثابت أعلى مكان
ودمت مبادياً فى كل عز وحكمك نافذ أقصى ودانى
أياملكا لقد حاز العطايا وبذل الجود ثم علو شأن

(قال الراوى) هذا وجعل الملك كسرى ينظر إليه ويتميز طوله وعرض كتفيه ويصغى لكلامه ويسأل الموبذان عليه ليزيدفى إكرامه فقال الموبذان أيها الملك هذا الفارس العبسى الذى قتل صاحبك خسروان وكسر جيشه وكان عشرين ألف عيان وقد أتيت به ليصرم عمر هذا البطريق ومن معه من عبدة الصلبان فقال كسرى إذا فعل ذلك ساعدناه من الخطأ لأن بحر عدلنا يغرق فيه جاهله من غير أن يبين لطالب ساحله وبعد ذلك فالرأى فى هذا الأمر موكول إليك ومعول فيه عليك ثم أمره أن يعرض عليه الراحة إلى غد وأمر بانزاله مع الملك المنذر وأصحابه وقال أكثر لهم الطعام والمدام وعدهم منا بالخير والإكرام ثم أنه استدعى بالملك المنذر وطيب خاطره وأحسن إليه وقال له ياشاه تازيان الخطأ منافى الاول والحسد مركب فى الانسان والذى كان ملاقى عليك هلك على يديك فسر قلب الملك المنذر بهذا الكلام فقبل الأرض قدامه ودعا له بالعز والدوام وأمر الموبذان أن ينصب لهم الخيام فقال عنتر لا وحق من أنزل القطر من الغمام لا أكلت عندكم طعاماً ولا شربت مداما ولا طلبت راحة ولا مناما إلا بعد أن أقتل هذا البطريق ابن اللئام وأسقيه كؤس الحمام لأنه قد أزعج قلب هذا الهمام والأسد الضرغام ثم أنه عاد إلى ظهر الجواد واعتمد إلى الحرب والجلاد فاعلم الموبذان أن الملك كسرى بما قال فقال كسرى ياللنار تخاف أن يكون تعبا فدعه حتى يستريح عندنا يوماً من الزمان فقال الموبذان دعه يامولاى لأنه قد أهلك حاجبنا الخسروان فإن أهلكه الرومى فنكون قد أخذنا حقنا منه الثأر وأن هو قتل البطريق الخؤون نال السعد والأمان فعندها تقدم الملك كسرى فى موكبه الخاص لينظر ما يجرى بين هذين الفارسين فى الميدان فاستدعى تلك الساعة الموبذان بالبطريق البدرموط ابن اللئام وقال له أعلم أنما أتعبناك فى هذه الأيام وأنه قد أرسل الملك العادل إلى الأرض خراسان لما ضجر من الوقوف فى الميدان وأمر أن يأتيك بفارس يقهرك فى

الميدان لأن هؤلاء الذين خرجوا إليك ماهم فرسان بل كلهم مرازبة وحجاب ونواب وليس منهم من يذكر بشجاعة ولا إقدام إلا الذى له فى قتالك هذه الثلاثة أيام وقد رآه الملك معك فى نقصان فأراد أن يخرق ناموسه بين الشجعان لأنه صاحب أقاليم وبلدان ولم يرد هلاكك معه لأنه حملك على بساط عدله وأعطاك الأمان وقد سبق إليك فضله والاحسان ولو أنك أعدمته لحملت على بساط طائفة الديلم واصلوا إليك البؤس والنقم ولكن قد أتى إليك نائبه على العرب ومعه فارس يزعم أنه يلقاك ويضيق عليك وعلى عشرة من الفرسان الذين معك وقال أنه لا يدع الشمس تزول إلا وقد القاكم تحت أرجل الخيول فشد عزمك والقه فى المجال ودمه لك حلال فإذا قهرته فخذ أموالك وصحبتك وارجع إلى صاحبك ملك الروم وأنت مبجل مكروم (قال الراوى) فلما سمع البطريق هذا الكلام قال يا مولاى وحق المسيح أن هذا الكلام الذى قلته مليح ولا يشتغل لى بال ولا يضيق لى صدر ولا حال ولا أنا ممن يكترث بالشجعان فى حومة الميدان وأنا لو كنت أخاف من أبطال الزمان ما كنت أتيت بهذه الأموال والجواهر الحسان واسأت الأدب فى حضرة الملك كسرى أنوشروان وما أتيت إلا ومرادى أن ألقى أهل خراسان وأبذل المجهود فى طاعة مارى المعمدان وأكشف الضيم عن ملة النصرانية وعبدة الصلبان وأنا لو أردت قتل مقدم الديلم من أول يوم كنت قتلته ولكن علمت أن ذلك يصعب على الملك العادل فتركته وما دام أن الأمر بلغ منتهاه فأنا اليوم أخجله بين الفرسان الوقاح فقال له الموبذان فإن كان الأمر على مثل هذا الحال فاشهد عليك أهل ملتك عند برازك لهذا الفارس الهمام حتى أنه إذا تم عليك أمر لا يكون على الملك فى ذلك عتب ولا ملام فعندها استدعى البطريق بالقسوس والرهبان وأشهدهم على نفسه عند الموبذان أنه إذا قتل فى الميدان يكون دمه حلال غير حرام وإن قتل خصمه فلا يطالب به والسلام «قال» وبعد ما أشهد أصحابه على نفسه نزل إلى ساحة الميدان وأراد أن يجول ويصول وإذا هو بزعقة أخبلت العقول وكانت تلك الزعقة زعقة عنتر بن شداد وكان خرج تلك الساعة من بين أصحاب الملك المنذر يريد الحرب والجلاد ثم أنه لعب برمحه على ظهر الجواد حتى حير عقول أولى الألباب وبعد ذلك رمى الرمح وجرد الحسام ولعب به أبوابا من الحرب بين الرجال وهجم على البطريق وجال قدامه وصال فى أربعة أركان المجال وأنشد وقال :

اليوم أنصر للمليك المنذر ليعلم كسرى قوتى وتجبرى
وأهد ركن الروم جمعاً فى الوغى وأجز رأس البدن موط بأبتر

وأبيد ساقته واقطع رأسه ليسر ذا قلب المليك المنذر
يا أيها النذل الذى رام الوغا مستهزئا متكبرا متجبر
هاك الق حربى واصطبر لعزيمتى تلق أمرأ بطلا شبيه غضنفر
أو ما علمت بأن قدرى قد علا فوق السماك يفوق حد المشترى
وأنا الذى أدعى بحامية الوغى يوم النزال أبو الفوارس عنتر
إن كنت أنت البدرموط فاننى من آل عبس غاب ليث قسور
والئن قهرت جيوش كسرى فى الوغا فلسوف أقهر فى المجال القيصرى
ولئن تكن قد فقت أبطال العجم فأنا أفوق لتبع مع الحمير
فاسمع نظاما من شجاع ماجد ذى همه ونجانه ومفاخر
مردى الفوارس والغبار مخيم والنقع مظلم ذو عجاج أكدر
والخيل فى وسط القتام عوابس والرمح يعمل مع حسام أبتر
وأنا الذى شهدت له يوم الوغا كل الفوارس من زبيد وحمير
سيفى أنيسى فى الظلام وذابلى والمهر مع رمح سديد أسمر
والليل لونى والصباح فعائلى والشمس اقبالى بغير تنكر
لا تنتقص لونى أخى لدى الورى ويقول إنى كالظلام المعكر
فالمسك يغلو بالسواد مزية وكذلك العود الذكى مع عنبر
وفعائلى تزرى بانوار الضيا وسميت فى يوم القراع بعنتر
فابرز لتلق سرح ماقد قلته واعلم بانى واحد فى الأعصر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه فما عرف البطريق ماقال من كلامه إلا أنه يطلب الحرب والقتال والطعن والنزال فمال عليه البطريق كانه شعلة نار الحريق ثم حمل كل واحد على صاحبه وأظهر ماعنده من عجائب واصطدما وافترقا وكان ذلك الرامى طويلا وعريضا وكان أشقر الوجه أزرق العينين وأما عنتر فكان اسمر أغبر كانه الأسد القسور فجالا مع بعضهما وكان عنتر على خصمه ثقيل العيار ويرجع عنه الدرهم بقنطار وأما البطريق فصار يرجع شيئا فشيئا إلى النقصان فعرف عنتر ذلك معرفة الرجل الخبير لما بان له من خصمه التقصير فجد معه فى الطعان وقال هذا وقت المجاهدة وثبات الجنان ثم صاح فى البطريق وهجم عليه وأراد القتال فى وسيع المجال فعندها صاح به البطريق وزعق عليه وطعنه طعنة فصبر عنتر للطعنة حتى قاربته فمال عنها وسحبها على درقته بحسن معرفته وصناعته وأمهله حتى قرب منه فاذاه وضربه بعقب الرمح بين كتفيه فادهشه وزعق

فيه فارعشه ومن قلة اكترائه به لم يتبعه بل صبر عليه حتى عاد إليه جنانه وصحا على نفسه فى ميدانه وقد قل نشاطه وجولانه فتعجبت الجيوش من فعاله وعفوه بعد المقدرة عليه فى مجاله وقد صار لهم معه شهراً كاملا وقد كانوا بين يده مثل الغنم ووجودهم لديه كالعدم وعلموا أن عنتر لو أراد قتله لقتله ورأى ذلك منه كسرى فتبسم وقرب عنتر إليه وأقسم بالنار وما أظهر لها من الشرر أن هذه الفروسية التى تشكر ثم أنه تقدم فى موكبه الخاص إلى عرصة المجال لينظر ما يجرى بين هذين الفارسين من العجائب والأهوال ولما رأى هذه الفعال مقدم الديلم بهرام حسد عنترا على ما بان من الشجاعة وظهر وقد حقد عليه لكونه رده عن مجاله وبعد هذا كله رآه قد تقرب من قلب كسرى بهذه الفعال فاشكلت عليه الأمور وغضب من فعاله حتى أنه صار لا يسمع وعول على قتل عنتر حتى يكون له الذكر بالفروسية ومن شدة دهاه ومكره صبر حتى عاد الفرسان إلى القتال والحرب والنزال وكان الرومى قد كل ومل ووهى عزمه واضمحل وأخذ حذره من عنتر لما رآه بخلاف من بارزه من فرسان العجم وأبطال الفرس والديلم وعلم أنه لحل ذكر ومن الطعان لا يمل ولا يضجر وما زال عنتر يحاوره إلى أن أتعبه وهو يطاوله ولا يطعنه ولا يضربه حتى قارب الزوال وقد قاسى البطريق من حرب عنتر الأهوال ولما توسط النهار وقلقت المواكب من الانتظار جد عنتر مع خصمه فى القتال وضاق على الاثنين الميدان وغابا عن العيان وأبصر الديلمى هذا الحال فنبه عزيمته عند إشتغال عنتر بخصمه فى المجال فانقض على عنتر إنقضاض النسر على صيده وصاح فيه وأتى له معارضا وهز الحربة فى يمينه وصوبها إليه وقال خذها يا ابن الأمة البدوية من كف بهرام فارس النار الحمية وكان عنتر مع ما هو من اشتغاله بخصمه يقاتل وعيناه إلى سائر الجيوش والجحافل وذلك حذرا منه على نفسه لأنهم من غير أبناء جنسه ولما علم عنتر أن الديلمى حمل عليه عرف مراده وأخذ حذرا منه ولما قرب العجمى منه وصوب الحربة إليه وسمعه وهو يقول خذها يا ابن الأمة البدوية فعندها رفع عنتر حربته واستقبل حربة العجمى ولقفها فصارت وبقيت فى يده وكان البطريق لما سمع أن بهرام قد حمل على عنتر وجرى له معه ما جرى ورآه قد أشتغل به عنه نبه عزيمته وأراد أن يضربه ويعجل منيته فعندها أستقبله عنتر بالحربة التى فى كفه وزعق عليه فأوقفه وضربه بها فى صدره فأنفذها من ظهره فمال بها صريعا يعج

حلقها ونجيعاً وعاد بعدها يطلب بهرام وقد صار الضيا في وجهه كالظلام هذا وقد ضجت موكب العجم وقالوا وحق النار ولهيبها إذا اضرم أن هذا ما فعله أحد من الأمم (قال



الراوى) ولما رأى الملك كسرى عنتر وقد قتل البطريق وحمله من البلاء ما لا يطيق ومزق قلبه أشد تمزيق قال أحسنت يا شاه تازيان يعنى يا ملك العربان ورآه بعد قتل البطريق عاد إلى بهرام فضرب يدا على يد وتحسر خوفا على أبى الفوارس عنتر من يقتله على حين غفلة وخاف على حاجبه بهرام عندما رأى عنتر قد قتل البطريق وأسقاه كاس العدم أن يلحقه به على الأثر فصاح على حجابه وقال ردوا بهراما قبل أن يقتل ويسقى كاس الضرر فتسارعت الحجاب من كل مكان وردوه عن اعتدائه فى حومة الميدان وردوا عنتر أيضا من قبل أن يصل أحدهما للآخر بأذية وتلطفوا بأبى الفوارس وأخذوه بينهم وساروا به إلى الملك كسرى وقدموه بين يديه فانحنى عنتر وخدم ودعا بدوام العز والنعم وأشار وجعل يقول:

أدام الله عزك بالسرور ... وعشت مؤيدا طول الدهور
أيا ملكا له فى كل البرايا ... عبيد فى السنين وفى الشهور
لأنك فيهمو حصن منيع ... وتجرى العدل فى كل الأمور
تركت البدرمرط اليوم ملقى ... على البيداء مأكلة النسور
بضربة فيصل أضحى صريعا ... وعاد نجيعه رزق الطيور
وخليت الدما تجرى عليه ... كمثل السيل فى اليوم المطير
فان عاداك قيصر يامليك ... وسار إليك بالجيش الكثير

سألحقه بصاحبه وأفنى جيوش الروم بالسيف البتير
ومن عاداك يامالك البرايا يعود كمودة النذل الحقير
سأبذل مهجتى حتى أخلى عنيدى للسباع لدى الهجير
أنا البطل الغشمشم ذو إقتدار عظيم الجاه ذو القدر الخطير
فأنت اليوم لى كهف منيع وذخر ثم عونى فى أمورى
أيا ملكا حوى رتب المعالى ومن أمست عداه فى ثبورى
لقد زاد إشتياقى وإضطرابى إلى الأوطان فاسمح بالمسير
لقد زاد إشتياقى واهتمامى لوجه عبيلة القمر المنير
أدام الله قدرك فى إرتفاع بطول الدهر مع حظ كثير

(قال) فلما فرغ عنتر من كلامه طرب الملك كسرى من نظامه وقربه وأدناه وخلع عليه خلعة كسروية من ملابسه وكانت بالذهب مطلية وقال للموبذان سلم لعنتر ما كان مع البطريق من الأموال والجوارى الروميات والخيل الصافنات وأنزله عندى فى الإيوان وأكرمه غاية الإكرام حتى يحضر غدامنا على الطعام ونجعله لنا عادة على سائر الليالى والأيام ونغمره بالإحسان والأنعام وبعدها التفت إلى البطارقة أصحاب البطريق وقال لهم إن كان فيكم من يقاتل ليبرز إلى الميدان فقالوا وحق المسيح ومارى حنة المعمدان لا نريد حربا ولا طعان ونحن ما أتينا لهذا الحال بل أتينا مع صاحبنا نشاهد الأفعال ونكون شهداء على ما يجرى من أمر القتال وقد رأينا منك أيها الملك المفضال العدل والإنصاف إلى أن أتى هذا الفارس وأسقى صاحبنا كؤس التلاف وفى هذه الساعة نطلب الإذن والإنصراف ثم إنهم ساروا يقطعون الفلاة وهم لا يصدقون بالنجاة وعاد كسرى إلى الأيوان وتولى أمر عنتر الوزير الموبذان وأنزله فى أعز مكان وكذلك المنذر ومن معه من العربان وكان المنذر قد امتلأ قلبه بالفرح واتسع صدره وانشرح لما رأى من عنتر ما رأى وظهر وبان فروسيته فى حومه الميدان ثم أن كسرى فتح صناديق الأموال وعرضها على عنتر وكانت هذه أموال البطريق التى أتى بها من عند الملك قيصر فوجد عنتر أموالا لا تعد ولا تحصى ورأى من المعادن والجواهر واليواقيت شيئا يبهر الجنان ومن الأقمشة والثياب المنقوشة بالذهب المطعمة بالجواهر على الصدور واللبب ومن الحلل القيصرات عن وصفها ألسن فصحاء العرب فقام عنتر وقبل يدى الموبذان وشكره وقال يامولاى ما أعد هذه النعم إلا من فضل الرب الكبير ثم أنه أشار وجعل يقول :

أوليتني نعما عجزت بشكرها وكفيتني كل المرور بأثرها
فلاشكرنك ما حييت وإن أمت فلتمدحنك اعظمي في قبرها

(قال) فلما سمع الموبذان كلام عنتر فرح وأستبشر وقام عنتر من فرحه بتلك الأموال التي لا تأكلها النيران يشكر الموبذان على إحسانه ويمدحه بهذه الأبيات فانشد يقول

سرت لنا منك يامولاى أسرارى بين الضلوع لهـــا حكم وأقدار
أسكنتها في سويد القلب فهي إذا يشيع منها على الناسوت أنوار
زاد إنبساطي والأيام قد نشدت من السعادة أن لا تبعد الدار

(قال) فلما سمع الموبذان ذلك القول تبسم وقال لعنتر أيها البطل الأمجد نحن ما نرضى لك بهذا العطاء القليل على ما فعلته من الجميل لأن هذه الأموال ماهي من أموالنا وسوف تنظر عطاءنا ونوالنا وأما هذه فهي أموال قيصر التي أتت مع البطريق عابد الصلبان وقال هي لمن يقهرني الميدان فها أنت قتلته وصار المال لك وبسبب ضربك ونصالك حزته سوف تنظر ما يصل إليك من الأنعام إذا حضرت في غد مع الملك كسرى على الطعام ثم أنه أمر الخدم أن يبسطوا الدار بالفرش الملونات والنمارق المزركشات ويضعوا فيها الأواني والأباريق ويملؤها من الخمر العتيق ويقدموا أواني الطعام قدام عنتر والملك المنذر وأصحابه الكرام فنظر عنتر إلى الطعام فرآه مختلف الألوان فقال يكون بعافية الأبدان كانت كلها من لحوم الضان وهي ممزوجة بالزعفران وحلويات منوعة حسان ومن داخلها القرنفل والحبهان فحار عنتر مما شاهد وأبصر ولما خلا المكان سأل عنتر الملك المنذر عن الطعام وقال يامولاى أهذا طعام الأعجام على ممر الأيام أو يطبخ إلا في المواسم والأعياد العظام وإني ما أرى فيها لحوم الجمال وهذا طعام لا يليق إلا بالأطفال فعندها تبسم الملك المنذر من هذا المقال وقال له لأي شيء هذا الكلام يافارس البدو والحضر دع عنك ما كنت فيه من سكنة البر الأقفر وشرب ابن النياق صباحا واغتباطا وتخلق بأخلاق أهل المدن سلاطين القرى والبلدان لأنك أنت اليوم في جوار هذا الملك الجليل المقدار العالي الافتخار (قال) فلما سمع عنتر هذا الكلام استحى وأكل للطعام حتى أكتفى وشرب من المدام حتى أرتوى وقد دار عليهم الكاسات والطاسات واغتنموا أوقات المسرات وكان الساقي لهم المدام بعض الجواري الحسان والبعض يضربون على الآلات والأوتار وقد علمن أنهن ملك عنتر وفي قبضة يديه فصرن يتقربن بالخدمة إليه وكلما قام أو قعد يدرن من حواليه وهو يلتفت إليهن

على التفصيل والجملة لأنه لم يكن فى قلبه غير هوى بنت عمه عبلة وقد شق الهوى فى قلبه تبلة فقال له الملك المنذر ياأباالفوارس لم لا تفرح وتطرب وتلتذ وتلعب مع جواريك وهل رأيت فى زمانك أحسن من هذه الليلة البديعة فدع عنك الأفكار وذكر الأحبة والديار وخل عنك الفكر والارتياب قال فلما سمع عنتر هذا المقال زاد به البلبال وشكا من قلب مقروح وتناثرت على خدوده العبرات وتذكر دياره والربوات والتفت إلى الملك المنذر وقال لعمرك ياملك الزمان أن الأوطان لها فى القلب مكان خصوصا إذا كان الأنسان بها حبيب ويصير بعيدا عنه غير قريب وهو ينتظر خياله ربما يزوره فى رقاده أو يهب عليه نسيم من ناحية بلاده ثم أنه زاد بعنتر البكاء والاشتكا فأنشأ وجعل يقول

يرد نسيم الحجاز فى السحر إذا أتانى بريحه العطر
ألذ عندى مما حوته يدى من اللآلىء والمال والبدر
وملك كسرى لا أشتهيه إذا ما غاب وجه الحبيب عن نظرى
شق الخيام التى نشأن على شربة الأنس وابل المطر
منازل تطلع البدور بها مبرقعات بظلمة الشعر
بيض وسمر تحمى مضاربها آساد غاب بالبيض والسمر
صادت فؤادى منهن جارية مكحولة المقلتين بالحور
تريك من ثغرها إذا ابتسمت كاس مدام قد حف بالدرر
أعارة الظبى سحر مقلتها وبات ليث الشرى على حذر
خود رداح هيفاء فاتنة تخل بالحسن بهجة القمر
ياعبلة نار الغرام فى كبدى يرمى فؤادى بأسهم الشرر
ياعبلة ولا الخيال يطرقنى قضيت ليلى بالنوح والسهر
ياعبلة كم فتنة بليت بها وخضتها بالمهند الذكر
والخيل سود الوجوه كالحة تخوض بحر الهلاك والخطر
أدافع الحادثات فيك ولا أطيق دفع القضاء والقدر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره تعجب الملك المنذر من نظمه ونثره وفصاحته وسعة صدره وعلم أن حبه لبنت عمه شديد وسلطان الهوى عنيد فقال ياعبسى خف بنا فى غير هذا المقال ثم أنه جعل يحدثه بما يصل إليه من المال والهدايا والأنعام والنوال ويبشره

بقرب العود إلى الديار والأوطان والأحبة والأخوان ولم يزالوا كذلك حتى مضى الظلام وأقبل النهار بالابتسام واستشاروا فى الركوب إلى الميدان وإذا قد أتاهم الموبذان وحوله جمع من المرازبة والحجاب والنواب والغلمان فسلم عليهم وسألهم عن ليلتهم فقالوا هى من أبرك الليالى وبلوغ الأمانى فعندها أمرهم بالركوب للسلام على الملك العادل كسرى فقال عنتر سمعاً وطاعة ثم أنه قام من وقته وساعته وركب هو والملك المنذر والموبذان فأذن لهم فدخلوا إلى بستان عظيم الشأن وفى ذلك البستان من كل فاكهة ألوان ومن شقائق النعمان وكان فى ذلك البستان قصر عالى البنيان وهو فى الهواء شاهق قد أمن من البوائق وتحيرت فى وصفه الخلائق طوله تسعون ذراعاً وعرضه سبعون قد بنى بحجارة المرمر ورصع بالدر والزمرد الأخضر وللقصر أربعة عشر بابا من النحاس الأصفر لها لمعان يأخذ بالبصر وسقوف القصر تبرق من لمعان الفضة والذهب وهو أعجب كل عجب كما قال فيه الشاعر المنتخب حيث يقول بعد الصلاة على طه الرسول :

قصر عليه تحية وسلام ... نشرت عليه جمالها الأيام
قصر سقوف المزن فوق سقوفه ... فيه لإعلام الهدى أعلام
قد زينت حيطانه وتزخرفت ... وكأنه سبقت له الانعام
فيه العجايب من صنوف غرايب ... قد حيرت فى نظمها الأفهام
يحوى مليك الأرض كسرى ذا الذى ... ساد الورى وسماويه الإكرام
والتاج تاج الملك صيغ بجوهر ... من أنفر اليواقيت ليس يرام
وازداد فخرا حين حل برأس من ... قد عمنا من فضله الانعام
فاق الملوك ببذله وبعدله ... ويفوقهم مادامت الأعوام

(قال الراوى) ثم أنهم بسطوا فيه البسط كما أمر الملك كسرى وصفوا فيه الكراسى من الأبنوس والعاج وقد دخل الملك كسرى وحجابه وكل خواصه وجلسوا فيه وأرسل الموبذان خلف عنتر والملك المنذر فلما أتوا أذن لهم بالدخول فدخلا على كسرى وقبلوا الأرض بين يديه وسلما عليه ووقفا فأمر كسرى للملك المنذر بالجلوس فجلس وكذلك عنتر بعد ما خدم ثم أخذه الملك بجانبه وصار يترحب به ويحادثه وعنتر يشكر كسرى على ما أولاه من النعم وبعد ذلك أحضروا موائد الطعام وقعد الملك كسرى يأكل مع الجماعة وهو يلقم عنترا مما جعل قدامه من ذلك الطعام الفاخر ومازال يلقمه إلى أن اكتفى فقام عنتر وخدم وأشار إلى الملك كسرى بمدحه هذه الأبيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات

يا أيها الملك الذى راحاته ... قامت مقام الغيث فى هطلانه

يا قبلة القصاد يا تاج العـــلا يا نور هذا العصر فى سلطانه
يا مخجلا نور السماء بجوده يا منقذ المحزون من أحزانه
يا ساكنين ديار عبس أننى لاقيت من كسرى ومن إحسانه
ملك حوى رتب المعانى كلها بسمو مجد حل فى إيوانه
مولى به شرف الزمان وأهله والدهر نال الفخر من تيجانه
وإذا سطى خاف الأنام جميعهم من بأسه والليث عند عيانه
المظهر الإنصاف فى أيامه بخصاله والعدل فى بلدانه
أمسيت فى ربع خصيب عنده متنزها فيه وفى بستانه
ونظرت بركته تفيض وماؤها يحكى مواهبه وجود بيانه
فى مربع جمع الربيع بروعه من كل فن لاح فى أفنانه
وطيوره من كل نوع أنشدت جهرا بأن الدهر طول عنانه
ملك إذا ماجال فى يوم اللقا وقف العدو محيرا فى شأنه
والنصر من جلسائه دون الورى والسعد والإقبال من أعوانه
فلأشكرن صنيعه بين الملا وأطاعن الفرسان فى ميدانه

(قال الراوى) فلما انتهى عنتر من شعره وسمعه كسرى طرب غاية الطرب ولما جاء آخر النهار وانقضت تلك الأوقات انصرف الملك المنذر وعنتر إلى منازلهم بعد أخذ عطايا الملك كسرى وإنعامه عليه وكيف جعله نديما وصار يسليه والملك المنذر يقول له يا عنتر لقد نلت مقاما ما ناله أحد غيرك فلما سمع عنتر من الملك المنذر ذلك الكلام جرت دموعه على خديه سجام وقال يا مولاى هذه النعمة وإن كانت جزيلة لكنها عندى لا تساوى حبة خردل من حى لمن فى تلك الديار وأنت أعلم بالحال ولا سيما الوطن الذى يكون للانسان فيه حبيب ويمسى عنه بعيدا غير قريب ويصير متلبسا بالطرد والتعذيب وينتظر خيال الحبيب أن يزوره أو ريحا تهب عليه ناحية بلاده ولو ريح الأذيب ثم أنه هاج العشق والغرام وبما كان فى ضميره من الوجد والهيام فانشد يقول صلوا على طه الرسول:

سقى الخيام التى نصبن على شربة الإنس وابل المطر
منازل تطلع البدور بها مبرقعات بظلمة الشعر
بيض وسمر تحمى مضاربها آساد غاب بالبيض والسمر
صادت فؤادى منهن جارية مكحولة المقلتين بالحور

تريق من ثغرها إذا ابتسمت ... كاس مدام قد حف بالدرر
أعارت الظبي بسحر مقلتها ... وبات ليث الشرى على حذر
خود رادح هيفاء فاتنة ... تخجل بالحسن بهجة القمر
ياعبلة نار الغرام فى كبدى ... ترى فؤادى بالسهم الشرر
والخيل سود الوجوه كالجنة ... تخوض بحر الهلاك والخطر
أدفع الحادثات فيك ولا ... أطيق دفع القضاء والقدر

(قال الراوى) فلما سمع المنذر من عنتر ذلك الشعر والنظام تعجب من فصاحته ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الظلام فعندها انطرحوا لطلب الراحة والمنام إلى أن أقبل الصباح فبينماهم على ذلك المنوال عدة أيام إذ دخل عليهم الموبذان وقال أعلموا أن الملك كسرى مراده أن يركب فى هذا اليوم لطلب الصيد والقنص وقد أمر أن يصنعوا له الطعام إلى حين يرجع ونحضر جميعاً فى الايوان ونأكل من ذلك الطعام فقال له المنذر ياعنتر قم بنا إلى ملك الزمان لتنظر ما يأتيك من الانعام والإحسان فلما سمع عنتر من الملك المنذر ذلك الأمر والشأن قال له يامولاى أن فى قلبى حرقة لا يزيلها إلا العود إلى الأوطان وما مقامى لأجل المال والأحسان ومالى حاجة لشىء من ذلك النوق والعصافير أريد أن تكون بصحبتى لتكون سبب الاجتماع بابنة عمى حبيبتى قال فضحك المنذر من كلامه وقال له أما النوق فقد تحصلت ومعها أمثالها من النياق والجمال وهى موفورة بالأرزاق محملة من مال العراق بطول لقاء الملك العادل وهذا الوزير الفاضل وأما العود إلى الأوطان فهو قريب كما تريد وتختار بعد أن يعطيك هذا الملك شيئاً تفتخر به على سائر العباد فى جميع الأقطار ثم انهم ركبوا وساروا جميعاً إلى الملك كسرى أنوشروان فوجدوه خارجاً من باب الايوان وبين يديه المرازبة والحجاب والخدام والغلمان ومعه آلة الصيد على التمام من فهود وصقور وكلاب سلوقية (قال الراوى) فلما وقع نظر الملك كسرى عليهم ترجل الملك المنذر والموبذان وسلما عليه وحياه تحية الملوك وأراد عنتر أن يترجل ويفعل مثلهما فمنعه الملك كسرى من ذلك وأقسم عليه وأعطاه يديه فقبلها وأمر الغلمان فقدموا له فرساً من نجائبه بركاب ذهب ولما ركب أخذ كسرى إلى جانبه وسار معه وهو يحدثه ويلاعبه ويسأله عن مبيته وراحته وما وجد من الشوق إلى أهله وباسطه فى الكلام وصار عنتر يدعوا للدولة الكسروية بالدوام إلى أن وصلوا إلى مكان الصيد والقنص وكان ذلك المكان لا يدخله إلا الملك كسرى صاحب الايوان وعليه مرازبة يحمونه من الناس وقد امتلأ بالوحوش

من سائر الأصناف والأجناس وروائحه كالمسك قال ولما أشرفوا عليه وقربوا منه ورأتهم الوحوش والغزلان تنافروا من كل جانب ومكان ووقع الصياح ووثبت الفهود على الغزلان وانقض الفرسان على الوحوش انقضاض القضاء وتجارت على ظهور السوابق من الخيل وصاروا فى انتشارهم مثل السيل وسعوا فى الأرض بالطول وبالعرض وعلا الضجيج حتى أزعج البر والملك كسرى واقف يتفرج وهو فى نفر قليل من أصحابه والصيد يأتى إليه ويحيط من خلفه وبين يديه وهم متقربون بذلك إليه وكان عنتر قد تبع شرذمة من الوحش وساقها بين يديه (قال) فبينما هو كذلك وإذا بفارس قد انقض عليه وصاح به صيحة تصدع الحجر الجلمد وما كلمه ولا عاتبه حتى صار فى جانبه وضربه باللت الحديد بساعد شديد فوقع اللت بين كتفيه حتى كاد أن يقضى عليه وصاح فى أثرها يا كلب الحجاز وإذا كان فيك رمق فدونك والبراز ولو كان فيك مروءة الشجعان فلا بد من قتلك كما قتلت أنت الخسروان ابن عمى وقتلت بطريق عبدة الصلبان واحتويت على المال والجوارى الحسان وأنت أقل العبيد والفرسان وهذا الفارس هو بهرام الديلمى لما ذكرنا عاد دخل فى قلبه من الحسد لعنتر بن شداد ولما نهاه كسرى عن معاندته رجع وقال لأصحابه إن راح هذا العبد بهذه الأموال إلى البلاد وسلم من الانكاد لم يبق لنا عند أحد قيمة ولا مقدار وانهدمت أركان الافتخار ثم أنه ترك عليه العيون والأرصاد وصار مقهوراً مسلوب الفؤاد حتى خلا به فى ذلك اليوم وهو يصطاد فقال هذا وقت انتهاز الفرص وإزالة الغصص فسار إليه وفعل ما فعل وظن أنه لعنتر قد قتل فسل حسامه وطلبه وكان عنتر قد داخ من عظم تلك الضربة ولما هدأ روعه فرأى خصمه قدامه وقد أشهر فى يده حسامه فرآه راجعاً إليه صاح به وحمل عليه فاستقبله وهو يهمهم ويدمدم دمدمة الأسد من شدة ما ناله من الغيظ وقال له لقد خاب أملك يا عابد النار أتريد أن تقتلنى بالغدار أبشر بالويل والخبال ثم أنه استقبله وصاح فيه وقلب السنان إلى خلفه وطعنه بعقب الرمح فقلبه عن جواده وكركبه ولولا ما عليه من الزرد والثياب لكان قد خسف صدره هذا وأن الديلم لما رأت فعال عنتر حملت عليه من سائر الجهات وسلوا السيوف القاطعات وطلبوا قتاله وعولوا على نزاله فعندها صاح فيهم وحمل عليهم حملة الأسد وصار يدافع عن نفسه من كل أحد ويتجنب سفك الدما وينشد ويقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

ريب المنون رماك الضرغام ... حتى بقيت مطوقاً بحمام
يا نسل عباد الشعاع ومن هو ... مستعبدون لشدة الاضرام

سافتك أسباب المنية فى يدى ... حتى تصير مسربلا بكلام
وترى بأنى فارس ما هاله ... ضرب العمود وصرخة القمقام
كلا ولا أخشى الحتوف ولو أرى ... حولى كماة كالأسود تحامى
ما أنتمو إلا فراش قد رأى ... نارا فألقى روحه بضرام
فأثبت لطعنة من أنيت لحربه ... وغدرته جهلا بحد حسام
من كم من سجدت له أسد الفلا ... وتعوذت منه ذوو الأقدام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل على الديلم حملة الأسد وطاب له القتال والحرب والنزال ولم يزل يقاتل حتى أشرف على الهلاك والوبال وهو يطرحهم على الرمال وأراد أن يقتل خصمه ويسكنه عاجلا رمسه حتى يلقى الهيبة فى قلوب الرجال وإذا بالملك كسرى قد أقبل فى حجابه ونوابه وهم يصيحون على الديالم وكان قد وصل إليه الخبر بما فعل عنتر ببهرام فركب كسرى الحصان وسار بجانبه الموبذان إلى أن أشرف على ذلك المكان فلما رأته الديالم هرعت إليه وقالت أيها الملك أقتل هذا العبد وإلا قتلناه بأيدينا قبل أن تصلوا إليه ثم قالوا أيها الملك السعيد أيقتل هذا العبد صاحبنا ويريد هلاكنا وفناءنا فقال الموبذان وحق الجمر تكذبون يا أنذال الديلم وقد تكلمتم بالمحال وما قصدكم إلا قتل هذا الرجل الغريب الذى يجب أن يكرم بكل أمر عجيب لأنه فعل فى حقنا فعلا ما فعله أحد من الأمم ولولاه لارتفعت حرمة قيصر على الديلم وانثنت شوكتنا لما عجزتم عن البطريق وفى ذلك الوقت طلبتم الأقالة من حربه يا أنذال العجم ثم أنه استدعى بعنتر إليه بصفاء السريرة والنية وقدمه بين يدى الملك كسرى فسأله عن القضية فأمره الموبذان أن يخبره بما جرى فحدثه بالحديث الذى طرا وذكر له رمى اللت الذى ضرب به مقدم الديلم بين يدى الملك فصدقه وأمر الحجاب والمرازبة أن يقدموا الديلم عشرة بعد عشرة لتضرب رقابهم فعند ذلك ترجل عنتر إليه وقبل الأرض بين يديه وقبل أسافل قدميه وسأله فيهم وتشفع لهم وعاد إلى ورائه وقال له يا مولاى لا تفعل فإن العفو عنهم منك أجمل وهو بملتك أوفق وأمثل وأعلم يا ملك الزمان أنى فى هذه الأيام قد عزمت على الرحيل من هذه الديار فلا أشتهى أن يذكرنى أحد بالقبيح بعد فعل الجميل للكبار والصغار بل أكون كما قال بعضهم هذه الأبيات ونحن وأنتم نصلى سيد السيادات :

وكنت إذا نزلت بدار قوم ... رحلت بخيرهم وتركت عارا
ولا أنسى لحسنهم جميلا ... وأكره أن أقيل لهم عثارا

وأحتمل اللئام لأجل فضلى لمولاهم تقدم لى جهارا

(قال الراوى) فتعجب كسرى من أدبه وكان قد غضب فزال غضبه وأطلقهم لطيب مقاله وحملوا بهراماً وهو يشكو من شدة الطعنة وأما كسرى فانه عاد راجعا إلى الايوان وعطف على البستان وكان ذلك البستان قد حوى من كل فاكهة ألوان وأخذ معه عنترا وصحبته الموبذان فلما رأى عنتر ذلك البستان زال عن قلبه ما كان به من الأحزان كيف وقد رآه نزهة الأعيان وفيه من كل فاكهة زوجان فانشد عنتر وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

بستان كسرى ذو الشذى المعطار — تشدوا عليه طرائف الأطيار
من كل قمرى ترنم منشدا — فيهيج الأشواق الأفكار
وترى الهزار مع الفواخت ناطقاً — تلهين عن ضرب من الأوتار
وتمايل الطاووس فى جنباته — يحكى عروسا فى ثياب نضار
تتعجب النظار من ألوانه — لما بدا يزهو على الأشجار
وأتت لنا ريح الشمال فعوضت — بصفيرها عن نغمة الأوتار
وتمايلت فيه الغصون كأنها — قوم سكارى من كؤس عقار
وشذا لما ورد تضوع ريحه — عن مسك جاو أو عود قمار
ما بين نسرين وورد مزهر — والياسمين بياضه كنهار
وبنفسج مع نرجس يتلوهما — لينوفر وشقائق الأزهار
والبان فيه للنديم فكاهة — بالشم إذ يسرى شذا الاسحار
والماء من كل الجوانب دافق — يسقى الزهور بجانب الأشجار
ياعبلة قد قرب الحمام فهل إلى — وصلى سبيل قرة الإبصار
ياعبلة قد شط المزار متى اللقا — حتى أفوز بثغرك المعطار
ياعبلة أن الحب علمنى اللقا — فقهرت كل غضنفر كرار
وعلمت أن الموت أمر واجب — ويحل عند نهاية الأعمار
وعلمت أن الدهر يغدر أهله — وينغص الأوقات بالاضرار
وعلمت أن الموت يأتى بغتة — فغدوت ملتزما رضا الأقدار

(قال الراوى) وكان فى البستان قصر عالى الأركان مشيد البنيان قد أمن صاحبه من حوادث الأزمان مرصع بالذهب الأحمر وفى صدره قبة مثمنة مكتوبة فيها عقود

خالص الجوهر وله أربعة وعشرون بابا من النحاس الأصفر يخيل للناظر أنها ذهب أحمر لها لمعان يأخذ بالبصر وحلقها من الذهب والفضة البيضاء وقد مثلت عليها صفات الطيور وفى وسط هذا المكان سبع برك مرصعات بالدر الجوهر ولها أنابيب من الفضة والذهب وقدام الإيوان بركة كبيرة وفى وسطها طاووس رأسه من الزمرد الأخضر وعيناه من الياقوت الأحمر ومنقاره من العقيق الأصفر يرمى فى منقاره على كسرى ومن معه فتات المسك الأذفر وماء الورد المكوفى وسقف القصر تشرق بالفضة الاحمر وهو



قصر من أعجب العجب (قال الراوى) ثم إنهم بسطوا فيه كما أمر كسرى عند ركوبه وكانوا قد وضعوا طعامات ونصبوا لكسرى فى الصدر سريرا ألواحه من الذهب الأحمر وتاجه من الزمرد الأخضر وقوائمه من الفضة البيضاء وكان إذا وضع فى الليل أضاء كالشمس والقمر ونصبوا حوله كراسى من العاج والفضة والذهب فدخل كسرى وحجابه وأمر الملك كسرى للملك المنذر بالجلوس فجلس إلى جانبه على كرسى عال قدام الايوان بجانب السرير وكان ذلك الكرسى من الذهب الأحمر وكذلك فعل بعنتر ووقف قدامه حجابه وغلمانه وأخذ كل منهم مكانه وبدأ الملك كسرى يأكل الطعام مع الجماعة وصار يقدم لعنتر من الطعام الذى بين يديه ويشاغله بالكلام ويميل إليه ويلاعبه فيضحك عليه وقد برك عنتر للأكل على ركبتيه وصار يكبش بالخمسة ويدفع بالراحة

ولا يحرك فكيه ولا يلعب بشفتيه ويجمع ويقطع ويلعب وزوره يفرقع كالمدفع وهو يأكل أكل العرب الجياع وينهب الطعام مثل السباع أو مثل الأسد إذا جاع وكسرى يقدم له صدور الدجاج ولحوم الخرفان الرضع وهو يبوس يديه ويأخذ ويبلع وروائح الطيب من الطعام تطلع وكسرى يلقمه بيده من طعامه ويتفرج على أكله دون الجلاس ويكبر له اللقمة ويحدثه من دون الأمم وكسرى فى وجهه يبتسم وعنتر يأكل من تلك الأطعمة المختلفة الألوان التى هى ألذمن العافية فى الأبدان لأنه طعام يشفى العليل وكلما أكل لوناً من تلك الألوان يسأل كسرى عنه وهو يجيبه ويسمى له ألواناً مختلفات ويلقمه لقيمات هائلات أقل لقمة منها تشبع رجلا وبها يقتات وصار عنتر يأكل وكسرى يتعجب من أكله وأكابر العجم قد شبعوا وعنتر لم يشبع ولم يزل جاثيا على ركبتيه وإلى سائر الأطعمة يحملق بعينيه حتى فرغ الطعام وشبع واكتفى وتأخر وحمد وخدم ودعا لكسرى بدوام العز والنعم ثم انهم بعد أن رفعوا أيديهم من الطعام دخلت عليهم أولاد السبارجة ببواطى المدام بطشوت من الذهب والفضة والأباريق الملاح والكاسات ملآنة من الخمر العتيق الذى صفا وراق وصار يحكى دموع العشاق وقد أصلحته القسوس لأجل إصلاح النفوس حتى صفا وراق فى الكؤس كأنه اللهيب يحكى جنة الحبيب وهو أرق من النسيم وقد أقبلت الملاهى من سائر الجهات فغنوا بألحان مطربات ودارت أقداح المدام بالطاسات إلى أن غيبت عقول السادات وصاروا فى أفراح إلا عنتر فإن ذلك النعيم كان عنده كأنه أتراح لأن جسده حاضر وقلبه فى غير هذه الديار فهو كثير الاعتكار وشوقه إلى عبلة قد طال والملك كسرى يمازحه ويسأله عن بلاده وعنتر يحكى له ماجرى من حب عبلة ويصف له حسنها وجمالها الذى شاع عنها بين أصحابها وشكا إليه شدة شوقه إليها فعلم كسرى أنوشروان إن شوقه إليها شديد وعشقه لها ما عليه من مزيد فقال له يا عبسى وحق النيران إنى لفى عجب من بعادك وبقائك ومن توجعك وشكواك فقال عنتر يا مولاى وحق أنعامك الذى لا يحصيه الثناء ما أنا إلا ميت فى صفة الأحياء ولولا خيال إبنة عمى عبلة يطرقنى لكادت نيران الأشواق أن تحرقنى فعند ذلك تعجب الملك كسرى من مقاله ورق له ورثى لحاله فقال له الملك المنذر ويحك يا عنتر أرح قلبك وخل عنك هذا الحديث وجهل جاهلية العرب واستعمل الأدب فى مقام هذا الملك الكريم المنتخب وأنشدنا شيئاً من أشعارك مما تزيد به الملك فرحاً وطرباً واغتنم أوقات النعيم واشكر الرب القديم الذى رفعك إلى هذا المكان العظيم واسمع

صوت هذه الغانية فإن صوتها يشفي العليل لما فيه من الترخيم واصغ لقول الشاعر حيث قال هذا البيت المفرد القويم :

لا تؤخر لذة إذ أمكنت إنما الدهر سريع العطب

(قال الراوي) فقال عنتر للملك المنذر ما أحسن ما تقول لو أن للفؤاد محصولا أو وصولا ثم أن عنتر تحسر وتنهد وأن وتضجر والتهبت ناره واشتعلت أسراره وتذكر بعاده عن محبوبته وأوطانه واشتغاله عنها بحوادث زمانه فأنشد وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

فؤادي ما يسليه المدام وجسمي لا يفارقه السقام
وأجفاني تبيت مقرحات تفيض الدمع إذا جن الظلام
وغانية شجت قلبي بصوت يردده النوى والمستهام
شغلت بذكر عبلة عن غناها وقلت لصاحبي هذا منام
وفي أرض الحجاز لنا خيام حلال الوصول عند هو حرام
وبين خباب ذاك الحي خود رداح لا يحل لها لثام
لها من تحت برقعها عيون مرام حشو جفنيها سقام
وبين شفاهها مسك زكي وكافور يمازجه مدام
فما لليل إذ طلعت ظلام ولا للصبح إذ بدت ابتسام
يلذ غرامها والوجد يحلو ومن يعشق يلذ له الغرام
ألا يا عبل قد شمت الأعادي بأبعادي وقد أمنوا وناموا
وقد لاقيت في سفري أمورا تشيب من له بالمهد عام
وبعد العسر قد لاقيت يسرا وملكا لا يحيط به الكلام
وسلطانا له كل البرايا عبيد والزمان له غلام
يفيض ندى العطا من راحتيه فما ندري بحار أم غمام
وقد خلعت عليه الشمس تاجا فلا يغشى جوانبه الظلام
وكل الناس جسم وهو روح بها تحيا المفاصل والعظام
بنو نعش لمجلسه سرير على والسموات والخيام
فدم يا أوحد الخلفاء وأبق مدا الأيام ما ناح الحمام

(قال الراوي) لهذا الحديث وكان عنتر ينشد هذه الأبيات ويرددها وكسرى يميل من الطرب لأنه كان فصيحا عارفا بلغة العرب ولما فرغت تلك الأبيات قال وحق النار

ياعبسي ولو أعطيتك ملكي لكان أقل قليل فى مقابلة فعلك الجيل فإن عطاءنا ينفد. ومديحك لنا يبق فتأن واطلب ما يكفيك فلملنا على بعض فعالك نكافئك فقال عنتر يامولاى وحق ذمة العرب أنى بك قد بلغت آمالى واكتفيت من طلبي وسؤالى وحصل لى فوق امالى ورقيت بك درج المعالى وأغنانى إحسانك عن كل ملك كبير وسيد أمير بعدما كنت طريدا فقيرا أسيرا ومثلك ياأوحد الزمان فى العدل والكرم ينطلق لسان العبيد بالمدائح والأطراء له ويتكلم ويطلب منه ما يغنيه عن سائر الأمم وأنا قد وقعت فى بحر ماله طول ولا عرض ولا أعود إلا بما افتخر به على أهل الأرض لأنى أعلم أنى إذا عدت إلى أهلى غمرتهم بفيض نعمتك وأخذت إبنة عمى بعلو همتك وسعادتك ولا بد لى أن الشام والهند والعراق وقد اشتهيت أن يكون مثل هذا التاج على رأس إبنة عمى يزين مفرقها ليلة زفافها وما طلبت يامولاى منك هذا الطلب إلا لعلمى بغزارة عدلك وكرمك. وإن كنت قد أسأت الأدب فإن بحر حلمك تهرع إليه الخلائق من كل حدب (قال الراوى) ياسادة فتبسم كسرى من هذا الكلام وقال وحق النار المحرقة ذات اللهب لقد قنعت يا عبسي بالسير بلا تعب ولا نصب ثم أنه كلم بعض خدامه بلغة الديلم فمضوا وعادوا يحملون قبة من الديباج مغشاة بالذهب الوهاج وتلك القبة من الفضة البيضاء وعلى رأسها باز من الذهب الأحمر وعيناه من الياقوت الأصفر ورجلاه من الزمرد الأخضر وذيل القبة مكلل بالدر والجوهر واللؤلؤ الخالص المدور والقبة تساوى ملك قيصر وقال كسرى تزف فيه عليك وتفتخر به على سائر النسوان ثم أنه رفع إليه العمارية الفضة بالتاج وقال بالله ياأخا العرب ويا كاشفا عن الكرب أسألك أن تتمنى وإن كان بقى فى خاطرك شيء آخر فقل لنا عليه وأعذرنا فى التقصير فإن الطارق علينا كثير فقبل عنتر الأرض مرارا ودعا للدولة الكسروية بالدوام والاستمرار وقال يامولاى أنا قصير اللسان عن شكر هذا الإحسان ثم أن عنتر أنشد يقول هذه الأبيات. صلوا على سيد السادات :

أصبحت يا ملك الدنيا بأجمعها	أثنى عليك بما أوليت من نعم
خولتنى منك فضلا لا أقوم به	إذ أنت أكرم من يمشى على قدم
فقت الملوك ملوك الأرض قاطبة	وجود كفيك مثل الغيث منسجم
أنت الذى خضعت كل الملوك له	يوم النزال وكل العرب والعجم
فرحت عبدك بالتاج المنيف وقد	أصبحت ياذا الفلا فى الناس كالم

والعبد أصبح فى وجده يكابده ... من الصبابة والتبريح والسقم
أضحى بعيد عن الأوطان حلف ... جرى شوقاً إلى عبلة سهران لم ينم
ياعبلة وقد حزت ملكا من يدى ملك ... كفاه تحكى لموج البحر ملتطم
فاق الملوك ببذل المال مندهشا ... معطى النوال طليق الوجه مبتسم
مولاى فامنن على الآن يا ملك ... بعودة نحو أرض كامل النعم
فإن قلبى مشوق نحو أرضهم ... لعلى أنظر ذاك الحى من اضم

(قال الراوى) ثم أنه قال يا مولاى تم الفضل والأحسان بالسماح بالعودة للأوطان وسيره إلى أهله ولا تتركه يعود حتى تفتح له خزائن الأموال ويأخذ منها ما يختار ثم رده اوفى مزيد وجهزه بعد ثلاثة أيام وعاهده أن يعود إلينا فى كل عام فأجابه الموبذان بالسمع والطاعة وأمر غلمانه أن يرفعوا التاج والعمارية إلى الدار التى جعلت برسمه ففعلوا ذلك فوثب منهم رجل يقال له رستم وثبة الأسد من شدة ما وجد كأنه البعير إذا شرد من شدة الغيظ والحرد وسار إلى البستان وحوله جماعة من أصحابه والغلمان ودخل على كسرى من غير استئذان فقبل الأرض وخدم ودعا بدوام الملك والنعم فقال له كسرى أهلا وسهلا يا أوحد الزمان وخيار الأقوياء والشجعان ثم أنه تبسم فى وجهه فقال رستم يامولاى لوكنت عندك بهذه المنزلة العالية ما كنت فعلت هذه الفعال مع عبد من عبيد البادية وجعلته نديماً من جملة الجلاس ثم قال له أيها الملك ما الذى فعل هذا الأسود من كسرى ما طلبت فلما سمع كسرى ذلك من رستم علم أنه من شدة الحسد فزاد ضحكا من ذلك وقال لرستم أقعد يا رستم واقض معنا أوقات السرور بقية يومك وهون على نفسك أمرك وكل الذى تحبه وتريده يكون فإن هذا الرجل ما هو مثل من تعرف لأنه أوحد زمانه فى الشدة والقتال وقد رفع عنا الهم بقتل البطريق وأزال ما كنا فيه من شدة الضيق ونريد أن نجعله لنا فى كل شدة صاحباً ورفيق وكنتم بالأمس مع البطريق فى الميدان ونحن نستغيث فلا نغاث فما خرج منكم أحد وفرج همنا وكربنا وقتل البطريق وفصل حربنا وكان وحق دينى أراد أن يخذلنا ويرجع بالأموال والقماش والجوارى والجواهر فقال رستم وحق النار ونورها إذا أشرق وشعاعها إذا أحرق وتفرق ما أرجع آكل لك طعاماً حتى أقايض هذا العبد فى الاتساع وأجاوله فى الباع والذراع وتنظر ما يسر الفؤاد والذى أعانه جماعة من العدى والاضداد والحساد فاغتاظ بذلك الملك كسرى وهو جالس

وزادت به الوساوس والتفت إلى عنتر وقال له أتدرى ياحامية عبس ما نحن فيه من المقال فقال لا وحق ذمة العرب لكننى أرى رجلا جسيما مثل الليث الغادر أو البيت العامر وكأنه يطلب قتال إنسان فقال كسرى صدقت فيما قلت وما أتى هذا الإنسان إلى هذا المكان إلا ومراده أن يجرب نفسه معك فقال عنتر يامولاى أهو من أصحابك فقال عنتر ياملك الزمان فأنا ما أشتهى أن أؤذيه وكيف تطاوعنى روحى أن أدنو منه أو أرديه وهذا أمر لا أقدر أن أفعله وهذا الذى أقوله ماهو خوفا منه ولا عجزا عنه ولكن خوفا من أن تتحدث عنى القبائل فى كل شعب وواد وينسبونى إلى الغدر والعناد ويقولون حضر عبد عند الملك العادل كسرى وأكل طعامه وبعد ذلك قتل رجلا من أعوانه ويذكرنى الناس يامولاى بالغدر والفساد فقال له كسرى ياعبسى كأنك إذا صارعته تقتله قال نعم يامولاى لأن الصراع نوع من أنواع الحرب والقراع وإذا بصر الرجل اللبيب حال الغلب من خصمه تأخر وأما إذا كان أحمق وكابر وحمل نفسه مالا يطيق فيغاظ خصمه منه فيعدمه التوفيق ويقطع عليه الطريق (قال الراوى) فلما سمع كسرى ذلك التفت إلى رستم وقال له اسمع منى لا تصارع هذا الرجل فانه قد قال لى كذا وكذا فلا تعارضه فانى أخاف عليك منه أن يغضب فيقتلك فقال رستم يامولاى إن قتلنى فدمى له حلال وأنا وحق النار لابد لى من مصارعته وإن لم يفعل ذلك أسأت الأدب فى مجلسك وتقدمت إليه ولطمته فقتلته وبعد ذلك أنت الملك المحكم فيه فقال كسرى من شدة ماغاظه وما ناله اخلع ثيابك وأنا أدعه يصارعك فعند ذلك فرح رستم وهمهم ودمدم وخلع ثيابه عن كتفيه هما أصلب من الحجر وصدر كأنه مرمر . هذا والملك كسرى قد أقبل على عنتر وقال له ياعبسى أقبل منى هذه المسألة وصارع هذا الرجل الذى قد دنا أجله وعجب بنفسه وجودة عمله وأن تحامق عليك فعجل عليه وإن أساء إليك فاقتله وأنت برىء من دمه لأنه وحق النار إن قدر عليك قتلك فخذ حذرك منه فعند ذلك قام عنتر وهو يقول والله يامولاى أنه يشق على هذا الحال ولكننى لا أخالف أمرك وتقدم إلى رستم وفى يده عود من الريحان وهو يتمايل غير مكترث بهذا الأمر كأنه من الخمر نشوان وقد لعبت بأعطافه نشوة الخمر وعيناه تتوقدان مثل الجمر وكان رستم قد تحزم وتشمر ولما نظر عنتر إليه رمى عود الريحان من يده وصاح فى رستم يانسل الأوغاد دونك والصراع

والجلاد حتى ترى فعال عنتر بن شداد (قال الراوى) وكان رستم قد انحنى إلى الأرض كأنه القنطرة وهو غير مكترث بصراع عنتر لما يعرف من نفسه وما فيه من القوة والشدة وقد تقارب الأثنان فى الصراع واعتركا فى ذلك الاتساع ومن شدة طمع رستم فى عنتر هجم عليه وظن أن عنتراً مثل غيره من الرجال ولما هجم عليه أراد أن يقلعه ويتحتعه ليهزه فوجده شجرة جوز لا يحول ولا يزول فعاد رستم يريد الخلاص منه وقد ندم على فعله ولم يوافقه تدبير أعماله وكيف فعل بنفسه فى مبارزته لعنتر وما أوقع نفسه فيه من الضرر

مصارعة عنتر لرستم فارس الديلم بين يدى كسرى



ثم أقبل عليه وعاوده ثانيا ودخل فيه بكل المعانى فأسرع عنتر الهجوم عليه من غير توانى فعند ذلك تاخر رستم عنه وهو لا يصدق بالخلاص ثم أنه هم أن يعود إليه دورا ثالثا وإذا بثلاثة قد برزوا إليه من تلك الطوائف وقد خافوا عليه من عنتر أن يبطش به فهجموا عليه فلم يأخذه منهم دهش ولا رعش بل بادر إلى واحد منهم واطمه على وجهه

فمال على قفاه ثم إلى الثانى ولكمه فرماه وعاد إلى الثالث ودخل فيه ورفعه على رأسه وجلد به الأرض فرض عظامه رضا وأى رض وأدخل طوله فى العرض وخلط أضلاعه بعضها البعض فلما نظر الملك كسرى إلى ذلك تعجب من عنتر وعظم لديه وأقبل بكليته إليه وقال أحسنت يا أخا العرب وفارس بنى عبس المنتخب يا شير شاه لديه الحق هذا الكلب بأبناء عمه ثم التفت إلى الطائفة التى خرج منها تلك الثلاثة وتوعدهم فماتوا من الخوف والفزع ثم أن عنتر قام إلى رستم كأنه الأسد الغشمشم وقاربه وهاجه ولازمه ومسكه من منطقته وزعق فيه فأدهشه وأذله وخبله ورفعه حتى بان بياض إبطه وصار معلقا فى الهواء على يده وأراد أن يحمله إلى الملك كسرى ويضعه سالما بين يديه فتخبط رستم وأراد الخلاص من يده ولطم عنتر لطمة على صماخ أذنيه فكاد أن يخلع رقبته ومن شدة ما جرى على عنتر من لطمته فضرب به الأرض فرض عظامه أقوى رض فلم يدع له طولا يعرف من عرض ففاتت لوقته وساعته فلما نظر أصحابه إلى ذلك الأمر سلوا الخناجر وطلبوا عنتر ليقتلوه فصاح فيهم الموبذان وجميع الغلمان وأخرجوهم من البستان فخرجوا وهم يحملون رستم وقد عاد عنتر إلى مكانه وقبل الأرض قدام كسرى وقال له يا مولاى لقد أسأت الأدب يا ملك الزمان فى مثل هذا المكان ولكن أسمع ما قاله عنتر بن شداد فصيح اللسان بعد الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان :

قضت المنية أن يموت قتيلا	ويعود مقهورا معى مذلولا
تبت يداك فقد علمت جهالة	وبها سلكت إلى الفناء سبيلا
هل شاهدت عيناك فعلى فى الورى	والرمح يقرع فى أكف نصولا
والخيل قد نفرت وماج صهيلها	والفارس الصنديد راح مهولا
ولهول صرخاتى ووقع مضاربى	وعروض قرعى للجبان قتيلا
يا أيها الملك الذى هو عادل	والمجد شيمته استمع لى قليلا
طلب الزيادة كى يعز بفعله	فتركته من بعد ذاك ذليلا
لو كان ذا أصل وطيبة مولد	تبع الصواب ولا عصى لك قتيلا
لكنه قد حان وقت مماته	وأتت به الأقدار نحوى ميلا
حكم الإله بفعله فى موته	وقضى بذاك فصار بعد قتيلا
فاسلم ودم فى نعمة محروسة	طول الزمان ممجدا مقبولا

(قال الراوى) ففرح كسرى بذلك وقال له يا عبسى إن خصمك كان عليك باغيا فنعم

مافعلت به فقال يامولاى لو أردت قتله قبل رفعه من الأرض لفعلت ذلك ولكن أردت أن أحمله وأضعه بين يديك سالما فأساء الأدب فى الفعال والخطاب فما كان له عندى سوى القتل من جواب فقال كسرى وحق النار لقد صدقت ياعبسى لأنى قد زجرته فما انزجر لأنه كان أجله قد حضر ثم عادوا إلى ما كانوا فيه من الفرح والسرور وشرب كاسات الخمر حتى جن عليهم الظلام وحكم عليهم سلطان السكرى والمنام وتفرقت أكثر الناس فغمز الملك المنذر عنتر فقام ودعا للملك كسرى بالعز والدوام وقد انصرف وبين يديه الغلمان والخدام حتى أتى إلى الدار التى جعلت برسمه فلما دخل تلقته الجوارى الروميات ومشين بين يديه إلى أن جلس وجعل يكبسن رجليه وبين جميع حواليه ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أتاه الموبذان إلى باب الدار ووقف حتى ركب عنتر وخرج إليه وخدمه وقبل ركابه فشكره الوزير على فعاله وكلامه وسأله عن مبيته ومقامه هذا وقد ركب الملك المنذر وساروا جميعا وجعل عنتر يقول للموبذان بالله يامولاى أدخلنى إلى بيوت النيران حتى أبصر وأقيدها وأتحدث فى ديارى بما شاهدت فقال ما يمكننى أن أدخل بك بيوت النيران وأنت تستهزىء بها إلا أن كنت تشير بالسجود فقال عنتر أنى لم ادخل للنيران إلا على نية زيارتها بقلب سليم لأننى أعلم أنها آية من آيات الرب القديم رب زمزم والحطيم وما أنا جاهل بهذا الأمر قال فلما سمع الموبذان ذلك الكلام من عنتر عجب منه وتحير وسار به إلى أن أدخله إلى المعبد فرأى رجالا قياما وهم عراة الأجسام وفى أيديهم مقامع من حديد يقلبون بها النيران ويزمزمون بكلام طريقة المجوس ويتلون ما يقولونه بأنغام تطرب النفوس وتسلب العقل المعكوس وفى صدر المكان كبير خدام النيران وهو رجل كبير جالس على طرجة من جلد وهو يومىء ويقول بنود بنود كبود كبود ويتردد ويشير ويومىء بالسجود من دون رب البرية الخالق الموجود وأنا وأنتم نقول لا إله إلا الله الملك الحق المعبود فلما رأى الموبذان بدأه بالسلام والتحية والإكرام فرد عليه السلام وكشف الموبذان رأسه وسجد للنار ودار بها سبع مرات فرأى ذلك عنتر ففعل مثل مافعل وقد حار عقله واندهل ففرح الموبذان وقال أفلحت ياعبسى ونجحت الآن وقد زاد قدرك علوا وما بقى ينصر عليك عدوا أبدا ولا يلم بجسمك سوء لأجل سجودك لهذه الأنوار المكونة المكرمة فداوم على تعظيمها كذلك فى كل مكان تأمن من غير الزمان وطوارق الحدثان وعثرات اللسان ويرتفع قدرك والشان فقال عنتر يامولاى ومن أين لنا نار مثل هذه أنتم تضرمونها بقرامى العود الرطيب القارى وحطب العسجد والطيب فيظهر لها النور

العجيب ويفوح منها هذا النسيم الرطيب الذي يشفي العليل ونحن نضرم نارنا ببعر الجمال وقرامي حطب الغيلان ورؤس الأشجار فيتعكر لها دخان يدوخ الدماغ وتعمى به العينان فضحك الموبذان من هذا الكلام وعلم أن العرب لا يعبدون إلا الأصنام ثم عادوا بعد مادار عنتر حول النار سبع مرات وقد جاش الشعر في خاطره فباح بما في ضمائره فأنشد وجعل يقول :

قرامي العود توقد باشتعال وهج لهيبها في الجو عالى
وطيب نسيمها أحيا فؤادى إذا هبت بها ريح الشمال
ونور ضيائها بالنور يحكى لوعة عبلة ذات الدلال
وما طاب النسيم بها وأنى لعبلة ما أقول من المقال
ألا يا نار عبلة لا تشبي فقلبي من لهيب النار صالى
وشوق زائد مما ألاقى ودمعى قد سرى يحكى اللآلى
ونومي زال عن عيني فمن لى برؤيا الطيف في ظلم الليالى
وذكر عبيلة في وسط قلبي يهيج نار شوقى بالاشتعال
يطيب لى المقام بأرض قومى فقير اليد لا أحوى عقالى
ولا أحوى الغنى في دار بعد ولو أن البلاد جميعها لى
ودخان العروق الخضر عندى إذا ما فاح من بعر الجمال
ألذ شذى من العود القمار وأضوأ في العيون من اللآلى
وما حب العلالى شاق قلبي ولكن حب من سكن العلالى
أيا مولاى قد زاد إشتياقى إلى الأهلين جدلى بارتحالى
وخذوا دستورا من ملك البرايا مليك غالى بالمجـــد عالى
فمالى في الأنام سواك عون على قصدى لجد لى بالسؤال
وأعش وأبق سليما رب ملك يخلد ليس يفجع بالزوال

قال فلما أنشد عنتر هذه الأبيات ومدح فيها الموبذان إلى أن مال طربا واهتز عجبا قال له يا أبا الفوارس لقد جملك الله أعجوبة الزمان وجوهرة هذا الوقت والأوان وقد حويت حسن الكلام وجودة الضرب بالحسام والصولة في الحرب والصدام ثم خلع ما كان عليه ووهبه لعنتر ثم خرجوا من المعبد الأكبر وعادوا إلى الدار التي أعدت لعنتر ودخل عنتر والملك المنذر ومضى الموبذان إلى بين يدى الملك كسرى وشرح له عبادة عنتر للنيران وكيف أنه سجد لها وكيف مدحه بتلك الأبيات الحسان التي

لا يمكن شاعر أن يعمل مثلها فى هذا الزمان وقد ذكر فى المظم شدة شوقه إلى الأهل والأوطان وطلب المودة إلى دياره حتى يبل شوقه من ابنة عمه عبلة ويقر بها قراره وتنطفى ناره فقال الملك كسرى أيها الوزير لا تلمه على ذلك فإن المحبة تدب فى الأجساد مثل البياض فى السواد فإن دبيبها يدب فى القلوب وقد قيل فى الزمان الأول فى المعنى :

وقائلة ماذا وقوفك ههنا ... بعرصة دار قد يروعك ذيبها

فقلت لها قلى الملامة وأقصرى ... هوى كل نفس أين حل حبيبها

(قال الراوى) ثم قال الملك كسرى أنا قد رسمت له بجميع ما يحتاج إليه ولا أمن به عليه ومقاله وقد وهبت له جميع ما جاء به البطريق من عند قيصر صاحب بيت المال باحضار المال وصاحب بيت الكساوى باعداد الكسوة وما يتعلق به من السيوف والحراب والرماح والدروع والزرد السابغات والجواشن والكازغندات والخود الدمشقيات والخيول والخدم والحشم والغلمان والفحول المحصيات وجميع الحوائج والمهمات وآلة الحرب على أتم الحالات وقد كتبت بها أوامر إلى جميع الخزان والنواب بتسليم هذا كله إليه وما بقى العتب على وقد صار العتب فى هذه الساعة عليك (قال الراوى) فلما سمع الموبذان من الملك العادل كسرى ما شرحه من جزيل النعم ووسيع العطاء والكرم قبل الأرض ولثم ودعا بدوام الملك والنعم خرج من ساعته واستدعى بصاحب خزانة الأموال وسأله عما أعطى الملك كسرى لعنتر من المال فقال صاحب خزانة الأموال والله يا مولاى قد تقدم أمر الملك العادل بتسليم مائة ألف دينار كسروية ذهب باسم الملك العادل ومثلها باسم قيصر ومثلها من الفضة وألف ثوب من الديباج ومن سائر عبلة ومن سائر الحلى والحلل والأصناف كذلك وعشر سرادقات كبار وما يحتاج إليه من بسط وفرش وغير ذلك بصناديقها وبغالها ومائة عبد وخمسين مملوكا بملبوسها ولامتها وسلاحها وسيوفها ورماحها وجميع آلة حربها وكفاحها ولقد أعطى الملك كسرى لعنتر ما لم يعطه أحد الملوك من قبله ولا من بعده ففرح الموبذان بذلك ثم أمر من ساعته وأخذ فى الوداع ثم خرج وركب الغلمان خلفه وكان مقدم العبيد عبدا هماما يقال له أبو الموت وهو عبد طويل عريض شجاع وركب الخمسون مملوكا وسار الكل فى ركابه وفى موكب إلى أن أتى إلى خزاين الملك كسرى فقال له الموبذان يا عبسى قد أمر الملك أن تعرض عليك خزاين الأموال فمهما صلح لك فامدد يدك وخذه ولا تستحى فقال والله

يامولاى ما أرانى إلا قد نلت المراد وقد سر فؤادى بعطايا هذا الملك العادل الذى ليس له بين الملوك مماثل فقال له الموبذان أن تأخذ شيئا لأجل خاطر الملك فعند ذلك مد يده وأخذ لابنة عمه بدلة جوهر مفصلة بالياقوت الأحمر واللؤلؤ الكبار المدور وقال هذا لنور عينى عبلة ولم يعلم بما أعطاه له الملك العادل كسرى من الأموال والثياب المزركشة بالذهب والقلائد ثم قال عنتر للموبذان أنا يامولاى قد طلبت من النار حاجة ولم أعلم هل تقضيها إلى أم لا فقال له الموبذان وما هى الحاجة يا أبا الفوارس فقال ياسيدى قد طلبت منها العودة إلى الديار لأهلى عن قريب من غير بطء ولا تغريب فقال له الموبذان ياعنتر ما النار إلا قد قبلت دعاءك وغداة غد تسير إلى أوطانك ونحن لا نلومك إذا طلبنا قربك وأنت تطلب البعاد لأنك مسلوب الفؤاد قليل الرقاد كثير السهاد فقال والله يامولاى بلادكم أحسن ثم أن عنتر أن وبكى واشتكى وأنشد وجعل يقول :

هاج الغرام أدر كؤس مدامى   فعسى تغيب النفس عن آلامى
ودع العواذل يطنبوا فى عذلهم   فلقد هويت اللوم من لوامى
يدنو الحبيب فإن تناءت داره   عنى فلا أصغى إلى الأحلام
فكأن من قد غاب جاء مواصلى   وكأننى أرمى له بسلامى
زاد البعاد وأطنب الدهر الذى   مازال ينحنى بفرط سقامى
ولقد لقيت شدائداً وأوابدا   حتى إلتقيت بها وعز مقامى
وقهرت أبطال الوغا حتى غدوا   جرحى وقتلى من فعال حسامى
وأنا الذى سجدت له جن الملا   وخلقت موتا والقضاء أمامى
ماراعنى إلا الفراق وجوره   والدهر والأيام من خدامى
فلأصبرن على الحبيب ولو نأى   عنى وزاد مدى الزمان غرامى

(قال الراوى) فرق له قلب الموبذان وعلم أنه شديد الهيمان فأخذه ودخل به على كسرى وكان قد جلس ذلك اليوم فى الإيوان فلما صار عنتر بين يديه خضع وخدم وباس الأرض وسلم فرحب به كسرى وأدناه وقربه وحياه وضحك فى وجهه عند ملتقاه وسأله عن حاله وأحضر الخمر وسقاه إلى أن أقبل الليل باعتكاره ولم يتركه كسرى يخرج من عنده تلك الليلة إلى الصباح ولما أشرق الفجر ولاح حدث الملك بما ذكرناه من شوقه إلى الأوطان فأذن له بالعودة وخلع عليه وعاد المماليك والغلمان والخدم بين يديه ولما أن

وصل إلى مكانه ودخل إلى الدار التى هى فى ذلك الوقت له قرار فتبادرت إليه الجوارى وهنوه بما قد نال عند الملك كسرى من السعد والإقبال ولكن هو فى بحر الهوى غارق فتذكر الأهل والأوطان والأصدقاء والخلان فأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

جالت خيول ودادى بعد مرامى والشوق بين ضلوعى والحشاء نامى
لامت أناس على عشقى وما علموا بأن منزلى عشقى فى الهوى سامى
وعدت من فرط مابى تايها قلقا من الصبابة خلفى صار قدامى
يا عبلة هل نظرة تطفى بها كبدى من الغرام وتشفى كل أسقامى
ياعبلة هل تدرين ما أنا واجد من دمعه تنهل فرط غرامى
وتزايد الشوق المبرح فى الحشا وتغير الصبر الجميل النامى
رقى لصب مغرم أحشاؤه صارت جذاذا من عظيم هيامى
إنى ليحيينى الوداد على اللقا وأصد عن عذلى وعظم ملامى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات إلا وقد وصلت إليه تلك البغال محملات بالأموال التى رسم بها الملك كسرى مع المماليك الجوارى فقال عنتر للموبذان يامولاى لمن هذه الأموال والبغال فقال لك ياعنتر ياأبا الفوارس وأعطاك إياها الملك العادل كسرى وأنت عن ذاك غافل وبعد هذا تقدمت العبيد والغلمان إلى ما بين يديه وبرزت الأحمال والأموال وشدوها على البغال وقوضوا الآلات وخيام الإرتحال وحملت جميع الصناديق التى فيها الخلع والأموال والملابس الغوال (قال الراوى) وكان للملك كسرى مرزبان يقال له مهران وكان أخا الخسروان الذى قتله عنتر وهزم جيشه حين كان فى أسر الملك المنذر فلما أن رأى عنتر وقد أخذ الأموال وقوض خيام الإرتحال تقدم إلى بين يدى كسرى وقال أيها الملك العظيم الشأن الرفيع الذكر والمكان ما الذى تقول عنك ملوك الزمان إذ أنت أطلقت المال لعبد أسود حجام ليس له قدر ولا شأن ولا له ذكر بين العربان وقد قتل حاجبك الخسروان وكسر جيشه وكانوا عشرين ألف عنان من الأعاجم عباد النيران فما تقول عنك الملوك إلا أنك خفت من سيفه والسنان وربما يطمع فيك قيصر ملك عبدة الصلبان وقد قتل عبدك بطريقة فى وسط الميدان وصار له عليك ثار فتنجز إليك عسا كره وهى تحاكى قطر الأمطار والرأى عندى أنك تأخذ من عنتر ما أعطيته له من الأموال وتذيقه أنواع العذاب والنكال فلما سمع الملك كسرى أنوشروان هذه المقال قال ويلك يامهران وما الذى تقوله

على ملوك الزمان إذا قالوا كسرى أنوشروان أعطى فارس من الفرسان جزيل الأموال وأتحفه بالعطاء والأفضال ورجع فيما أعطاه من الأموال وجعله عنده فى الأسر والاعتقال فقال مهران يا ملك الزمان إذا كان قولك هذا المقال ولم تفعل ذلك صحيح فقال له يا عبسى إنى أشتهى أن أتفرج على قتله للأسد حتى يشهد لك بذلك كل أحد وأحضر له الأسد الذى ربيته وسميته خميس فإنه أسد عبوس وليث شروس ولا يستطيع أحدا من جيشك أن يقابله ولا يقف قدامه ولا يقاتله فإن هو قتله يكون قد استحق منك هذه الأموال ويكون من الشجعان الأبطال وما يكون له فى هذا الزمان مثال وأن كان الأسد يعجل عليه ويقتله فتكون أنت قد حزت أموالك وأرجعت إليك رجالك وتعذرك الملوك بهذا السبب ولا يصير عليك فى ذلك لوم ولا عتب (قال الراوى) فلما سمع الملك كسرى من المرزبان هذا الكلام بقى متفكراً فرأى كلام المرزبان من الحسد فأمر الموبذان أن يردعنترا وأمره بالسهالة فى الرحيل وأمره بالحضور إلى بين يدى الملك لأجل أمر قد عرض عليه فعندها أتى الموبذان إلى عنتر وأمره بالمهمة فى الرحيل وأن يحضر قدام الملك كسرى فقال سمعاً وطاعة ثم أمر العبيد بحط الرحال عن الجمال والبغال وسار مع الموبذان حتى أنه حضر بين يديه فى الإيوان ولما حضر بين يديه خضع وخدم بعد ما سلم فأجلسه كسرى فى مكانه الأول ولم يغير عليه شيئاً مما فعله وقال له يا أبا الفوارس أعلم أنى قد سمعت من الملك المنذر بأنك قد قتلت قدامه أسداً وأنت مقيد الرجلين مطلوق اليدين وأنا أشتهى أن أراك تبارز قدامى أسداً قد ربيته صغيراً وهو الآن قد صار أسداً كبيراً وما أحد من الفرسان يقابله ولا يقف قدامه من شدة فعائله فقال له عنتر يا مولاى وأنت لأجل الأسد أرجعتنى وإلى قتل كلب من كلاب البر غيبتنى وحق ذمة العرب ما ظننت أنك دعوتنى إلا لأمر عظيم أو خطب جسيم أو جيش كبير أو جحفل غزير وبعد هذا فدونك أيها وما طلبت فانى به ملى وبقتاله وفى قال فعند ذلك أمر الملك كسرى باحضار الأسد فمضت الغلمان وغابوا ساعة وعادوا وأقبل عشرة وهم ماسكون بجنزير ذلك الأسد كل خمسة من جانب وهم سائرون إلى أن وصلوا إلى الأيوان قدام الملك كسرى صاحب التخت والأيوان الكثير العطايا والأحسان وهم يجرون أسداً كأنه الثور طويل قد جلله الوبر وهو يمشى ويتمختر ويطير من عينيه الشرر وله أنياب أحد من النوايب ومخاليب أشد من الليل إذا أظلم وأعتم كأنه القضاء المبرم بشدق كأنه القليب وأنياب كأنها الكلاليب

وهو كما قال فيه الشاعر اللبيب :

وليث عبوس تصدع القلب وثبته ... وترتعد الأبطال من عظم صرخته
شدوق تراه كالقلب وعينه ... كشعلة نار فى الدجا حين نظرته
وأنيابه مثل الكلاليب إن بدت ... تروع قلوب الناظرين لرؤيته
إذا ما رأته الخيل ولت شواردا ... إلى القاع تهوى من تعاظم سطوته

(قال الأصمعى) ولما أقبلت به الغلمان وقفوا به قدام الإيوان وهو يهمز ويكفر وصوته كأنه الرعد القاصف فلما رآه كسرى أشار إلى عنتر وقال له يا شاه تازيان أريد منك أن تبارز إلى هذا الأسد الغضبان ولا تخالف قولى يا سيد الفرسان فقال سمعا وطاعة يا ملك الزمان ثم أنه أدار أذياله فى درر منطقه وأخذ فى يده اليسرى حجفته وبيده اليمنى سيفه الظامى وقد دارت فى رأسه نخوته وتذكر إبنة عمه عبلة فأنشد يقول :

يا ليث فاحذر أن تكون فزوعا ... وأحمل على فلست منك مروعا
وأهجم على فإننى لا أنثنى ... عن قتل مثلك لا أكون هلوعا
إن كنت تزعم أن وجهك عابس ... وأنا العبوس ولا أكون شنيعا
واليوم تضحى فى الفلاة مجندلا ... وتخر فى هذا المكان صريعا
أنا عنتر العبسى والبطل الذى ... ذكرى غدا فوق السماك رفيعا
فلأضربنك ضربة تبقى بها ... فوق التراب مبعضا تبضيعا

(قال الراوى) وهو الأصمعى المؤلف لهذا الكلام فلما نظر الملك كسرى إلى عنتر وقد قال هذه الأبيات علم أنه فارس لا يخاف السباع ولا يخشى صولة الشجاع فأمر الغلمان أن يطلقوا الأسد من السلاسل (قال الراوى) فلما رأى عنتر أنهم أطلقوه زعق فيه وزجر فلما عاينه الأسد قد أقبل إليه وصمصم بسيفه الظامى حتى صار كشلشيه وامتد حتى صار كشلبيه وزمجر على عنتر فعندها تلقاه عنتر وفى يده حسامه الظامى الأبتر وجاوله مجاولة الأسد الليث الغضنفر فمع وثبة الأسد ضربه عنتر بالظامى الأبتر بين عينيه فطلع الحسام بين فخديه فوقع على الأرض قطعتين وسقط فى وسط ذلك الإيوان جزءين وصار بين الحاضرين طريحا ممددو ما فى بطنه قد تبدد وصاح عند ذلك عنتر يا للعرب العرباء السادات النجباء أهل الكرم والرتب وعاد عنه فصاح كسرى من عجبه أحسنت يا فارس الاقطار أنت حقيق شاه تازيان وشير شاه يعنى ملك العرب وسبع أسود وحق النار والنور ثم أنه دعاه إلى بين يديه فأقبل عنتر إليه وقبل الأرض قدامه فشكره كسرى وأثنى عليه وخلع

كل ما كان لابسه على جسده من الملبوس وفرغه عليه ثم إنه أقسم بشعاع الشمس أنه لا بد من قتل المرزبان مهروان ولا بد من أخذ جميع ماله من الأموال والنوق والجوارى الحسان والغلمان والمال والملابس الغوال فعند ذلك ضربت رقبة المرزبان وسلبت نعمته وأمواله وخيله وجماله وعبيده وغلمانه وأخدانه فلقى سوء أعماله ومضت لياله وأيامه فتبدد سائر أحواله (قال الراوى) ثم أن كسرى قال لعنتر يا فارس بنى عبس أعلم أن هذا المرزبان قد أشار علينا أن نقتلك ونأخذ جميع ما أعطيناك من الأموال وأشار علينا بسوء الحال وشؤم الفعال ونحن قد عرفنا بالعدل والإحسان فى سائر البلدان فاشتهيت أن أجازيه ببغيه والآن قد رجع بغيه عليه وعاد سوء تدبيره إليه فكان رزقه نعمة أنعمت بها النار عليك فخذ الآن جميع ماله وأرحل إلى ديارك ولا تقطع عنا زيارتك ولا مراسلة أخبارك (قال الراوى) فعندها نهض عنتر فباس الأرض قدامه ثم أن كسرى أمر أجناده بالركوب لأجل وداع عنتر وسار الملك المنذر وقد فرح بما وصل لعنتر من أموال قيصر ملك الروم وبما أعطاه الملك كسرى بأخذ أموال المرزبان مهروان ويعلو العرب على العجم بما وصل إلى عنتر من جزيل النعم فخرج المويذان وكسرى لوداع عنتر ومن فى المدائن من الأجناد والحجاب فساروا معه إلى أن بعدوا عن الديار فعند ذلك ترجل عنتر بن شداد عن ظهر الجواد وقد نظر إليه عنده ذلك الخلائق فتقدم فقبل رجل كسرى فى الركاب ففوح بفعاله جميع من معه من الأصحاب وأنشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

أنت المليك الذى ما مثله ملك ... وجوده شاع بين السهل والجبل
أغنيتنى منه بالمال يا سيدى ... ومن عطاك غيوث الوابل الهطل
أنت الرجا لجميع القاصدين إذا ... قد عم عسر مع الأقتار والمحل
أوليتنى نعما لم أحص عدتها من ... بعد ما كنت بين الخوف والوجل
وجدت بالمال والأنعام فى سعة ... من جود كفيك يا سؤلى ويا أملى
وأنت الذى خضعت كل الملوك له ... مع الجبابرة العظماء والأول
يا من غدا فى ذرى العليا منتصبا ... يعلو على قلة الجوزاء والحمل
فانعم ودم فى سرور دائما أبدا ... ما غردت أيكة فى دوحها الخطل

(قال الراوى) لهذه السيرة فلما سمع كسرى من عنتر هذه الأبيات وهذا المقال والنظام زال عنه الأتراح وحلت بقلبه الأفراح وتوفرت له المسرات وزالت همومه والحسرات ثم انحنى إليه وأومأ عليه وأدناه إليه وقال وحق من غرب الغروب وشرق الشروق أن عطاءنا ينفد ومدحك لنا باق فعند ذلك قبل عنتر يده وأسافل رجليه وشكره وأثنى عليه ثم ودعه

كسرى وسأله أن يعود إليه كل سنة ويزوره ولا ينقطع عن بلاده كل عام ولا يغفل عن انفاذ كتبه السلام عليه ثم رجع كسرى وسار عنتر طالباً الوصول إلى بلاده وأحبابه وقد دارت به العبيد والخدام وفى أوائل العبيد عبد همام فناداه عنتر وقال له ما اسمك فقال يا مولاى اسمى أبو الموت وكنيتى جالب الآفات فقال له كن مقدماً على العبيد وأ. ريالك من بغالك ورحالك فقبل يد عنتر ومضى وكانت المماليك بالسلاح الكامل الخيول العربية وهم سائرون يقطعون الربا والآكام ليالى وأيام وعنتر يشاغل نفسه بالأشعار ويتذكر الطلول والديار وهو ينشد ويقول هذه الأبيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات :

من معينى على زمان عادى ... ما يرى لى فى الدهر من إسعاد
عبث الدهر بى إلى أن عاد بى ... كل سقم ألم فى أجسادى
وسلكت القفار فرداً وحيداً ... بين غيلانها بقفر المهاد
ذاك من حر لوعة فؤادى ... أججت فى الحشا غليلا صادى
وإقتراب الحياة منى تدانى ... مذ ألح الزمان فى أبعادى
يا نسيم الحجاز بلغ سلامى ... لغريب ببطن ذاك الوادى
وتلطف فى ذكر وصف هيام ... وغـــرام ما إن له من نفاد
واشتياق ولوعـــة وزفير ... وعيون لم تكتحل برقاد
وانتزاح عن الحبيب ووجـد ... ووداد أكرم به من وداد

(قال الراوى) هذا والملك المنذر يشاغله بالحديث والأشعار ويحكى له على غرائب الأخبار حتى وصلوا إلى الحيرة فخرج أولاد الملك المنذر إلى لقائهم وخرج معهم الخاص والعام ودخل الملك المنذر المدينة فى يوم مشهود لا يعد من أعمار العرب وقد حازت من الأموال التى لا تعد ولا توصف ونظروا إلى العمارية الفضة والخدم والعبيد والإماء والبغال والجوارى والمماليك المتدرعين بزرد من بولاد القائدين الجنائب العربيات بجلالات أريسمية كسرويات وأبو الموت مقدم العبيد كأنه النمر الأذعر أو الأسد الغضنفر فانبهر الناس مما رأوا ورجعوا من الخيام مع الملك المنذر إلى ان دخل القصر وجلس فى دار مملكته ومحل عزه وقد أخلى لعنتر داراً واسعة رحبة وأمره بالدخول فيها فأبى وقال يا ملك العرب وحياتك ما بقيت أقدر على المقام أكثر من ثلاثة أيام (قال الراوى) ثم أمر عنتر غلمانه أن ينصبوا له الخيام فنصبوها وركزوا الأعلام ونصبوا له السرادق الأحمر الكبير فخرج كل من فى مدينة الحيرة وأرض النجف يتفرجون على خيام عنتر وسرادقاته ثم أن الملك المنذر اصطنع وليمة عظيمة حسنة جسيمة واستدعى بعنتر إليها فمضى إليه فرآه قد نحر

الفضلان النوق السمان وذبائح الضأن وروق المدام فأخذ الناس فى اللهو والطرب والفرح ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلب عنتر الرحيل فأجابه الملك المنذر إلى ذلك وقد علم بما فى قلبه وأمر له بألف ناقة من النوق العصافير محملة من هدايا العراق وطرائف الآفاق ووهب له خمسين جنيباً من جنائب الملك من أخر الخيول العتاق ومائة عبد ومائة جمل محملة صناديق ومائة جارية ومائة عبد أجلاد معودين بالجلاد فصار مع الأمير بدر الدولة عنتر بن شداد مائتا عبد صناديد أسود من كل فحل أجد معودين بالحرب والطعن والضرب والمماليك على خيولهم برماحهم وسيوفهم وهم بالسلاح الكامل (قال الراوى) ولما أراد عنتر الرحيل قال له الملك المنذر ياأبا الفوارس خذ معك رجالا من عسكرى ولو مائة فارس يسيرون معك مثلى لا يحتاج إلى غفير ولو مالت على الجبال فى صور الرجال ثم أنه شكره وخدمه وودعه ولم يدعه يسير من الحيرة كما سار كسرى معه بل قال يامولاى ما أعد هذا الانعام الذى وصل إلى إلا منك ومن نعمتك وما أنا إلا من بعض خدمك لأنك أطلقت لما أسرت وعفوت لما قدرت وجدت بالأموال وتكرمت فلازالت سيوفك مسلولة وأموالك للقاصدين مبذولة ثم أنه قبل الأرض وأخذ يشير إليه ويمدحه ويقول صلوا صلى طه الرسول :

يا أيها الملك العظيم المنكر ... أبشر فما أحد بفخرك يفخر
الجود يجمعه تناولك والندا ... كيف يفيض به وكيف يخبر
هذا وكم من فرجة فرجتها ... زالت عجاجها ووجهك مسفر
حسن القراع سيوفه مسلولة ... كالبرق تلمع فى ظلام يعكر
لاقاصر عما يريد من العلا ... والناس فيها قاصر ومقصر
جود العطا من كفه متواصل ... والسحب من بعض الأماكن تمطر
أعطيت من مولاك كل فضيلة ... وقهرت كل غضنفر يتحدر
قصرت مساعى الناس دون محله ... والمجد حشو بنانه والخنصر
حاز المناقب والفضائل والعلا ... والباس والجود المليك المنذر

(قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر كلامه قال واعجبا من هذا الرجل كلما قلنا إننا جازيناه بمدحه ونثره ونظامه وملئت جميع الأقطار بطيب كلامه ثم أن الملك المنذر ترجل عن جواده وسلمه إليه وخلع أثوابه وأفرغها عليه وودعه وعاد الملك المنذر إلى الحيرة وسار عنتر والعبيد بين يديه يسوقون الأموال والنوق والجمال والخيل والبغال وهو فرحان

ببلوغ الآمال مع اقتداره على الأعداء الانذال إلا أنه قد أسقمه إلى عبلة الاشتياق واستقبل أرض الحجاز من أرض العراق وقد استنشق أرياح العلم السعدى وأرض الشربة وتلك النواحى فبكى وأن اشتكى وحن ثم إنه ناح وبسره باح فجرت دموعه غدران فتمنى أن ينظر إلى الأحياء والأخدان ثم لما هبت عليه الرياح من تلك النواحى الفساح باح بما فى قلبه بعد أن فاض وساح وجرت دموعه على خديه فأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

نسيم ربا أرض الشربة أحيانى ... وأحبة فؤادى أم نسيم من البان
وهاتيك نار أوقدت لعبيلة ... أم البرق من أطلال هاتيك يغشانى
فتا دارها لازال ربعك آنسا ... باترابها مع كل أهل وجيران
ترى سهرت عيناك ياعبلة ليلة ... كما سهرت من أجل بعدك أجفانى
وأشجاك فى الأسحار نوح حمائم ... تحن بأصوات وترجع أشجان
ترحلت عن مغناك من غير ما قلى ... ولكن بغى عمى على وأقصانى
رمانى إلى بحر المنايا فخضته ... بابيض ماض فى الحروب يمانى
ضربت به عنق الزمان فارجفت ... صروف الليالى طارق الحدثان
ضربت به عنقا لحاجبهم ضحى ... ولم أختش من صاحب الأيوان
ولاقيت فى أرض العراق فوارسا ... تقد إذا اشتد اللقا لطعان
واجلسنى سعدى مكانا من العلى ... تقاصر عنه كل بدو وعربان
وعدت بمال الكسروى وقيصر ... ونوق وأصناف الخيول وغلمان
وعند وصول الحى تبكى حواسدى ... كما ضحكت يوما وشيبوب يدعانى
هموا طلبوا بالغدر قتلى وبادروا ... فان المنايا فى ذباب سنانى

(قال الراوى) وقد جد عنتر المسير يقطع الروابى والمناهل والقفار ويطلب المنازل والديار إلى أن وصل إلى أرض يقال لها ذات المناهل وكانت أرضا كثيرة العيون وفيها الوحوش كثيرة وكان عنتر إذا قرب من منزله يوصى العبيد بحفظ الأموال ويتقدم هو بنفسه إلى المنزل يكشف الأحياء فلربما يكون أحداً مكمنا والعبد أبو الموت يعرف الطرقات وهو شيطان مارق ثم يقف فى المفارق حتى تصل تصل إليه الأموال وكان يفعل هذا مخافة من العدو حتى تصل إلى ذلك المكان الذى يقال له ذات المناهل كما ذكرنا فسار عنتر حكم ما جرت به العادة ليكشف المكان حتى إنه ينزل فيه الأموال وإذا هو بخمسة من العبيد الذين للعرب وهم نزل فى هذا المكان ومعهم هودج على رأسه هلال من الذهب

الآخر ومن داخله شخص يبكي ويتحسر وينادي من قلب جريح واويلاه وإذلاه بعدك يا عنتر واقلة ناصري ووحدتي في هذا البر الأقفر قد غابت أسود الغاب فتحكمت فينا الكلاب فلا عاشت بعدك ذوي الأحساب كمثل عمارة النذل الذي سمى الوهاب ياذل الحريم بعدك يا ابن العم قد قدر علينا الغريم وحل بأبي وأخي البلاء والتدمير ببغيهم على وعلى الحسين القتيل الذاهب ذهاب أبناء السبيل ثم أنشدت تقول :

أين عيناك فارس الثقلان كي تراني في ذلة الخزلان
مع أناس لا يحفظون ذماما لا ولا يرجون الرحمن
أنت ما كنت للزمان خؤنا غادرا فيه لم تذق لهوان
موت مثلي خير له من حياة بين قوم أسافل خوان
طول الله مدتي بعد فحل كان يحمي الديار مع نسوان
فسقى الله قبره صوب غيث هاطلا سائلا مدى الأزمان
فلقد كان فارسا يقهر الأسد ويفني الأبطال في الميدان

(قال الراوي) فقال لها العبيد ويحك يا خناء لو كان فارسك الذي تزعمنا حيا لكان يهلكه طارق الليالي وآفة الزمان وكنت ترين ما يصنع من به الأهوال فاسكتي وقري وإلا هلكت (قال) فلما سمع عنتر هذا الشعر قلق قلبه وهام وتقدم للعبيد يا ويلكم لمن هذه الخيام ومن هذا الذي يريد النزول في هذا المقام من العرب الكرام ومن هذه الجارية التي تبكي وتنادي باسم عنتر فقال له بعض العبيد ولم يرفع اليه رأسه أغد يا وجه العرب ودع عنك هذا الفضول ولا تسأل عن شيء لا يعنيك وإلا أصبحت مقتولا فسر وأوسع في هذه القيعان قبل أن يأتيك طارقة الزمان ويشرف عليك ويأسرك ويضيفك إلى من هو مأسور معه من الفرسان الذين هم سادات عبس وعدنان فخفق فؤاد عنتر من هذا الخبر وبقي في هم ونكد وفكر وقهر شديد وهم أن يجرد حسامه ويهوى به على العهد وإذا بسجاف الهودج قد انفك وارتفع وظهر من تحته جارية تخجل الشمس والقمر إذا طلع وهي تنادي يا ابن العم أأنت على قيد الحياة وفي عداد الأحياء وأنا في أيدي الأعداء وأقاسي الهم والبلاء ثم رمت روحها من الهودج إلى الأرض وهمت أن تقوم وتتعلق بركابه فلم تقدر وأغمي عليها من شدة نيران الجوى فتأملها عنتر فإذا هي إبنة عمه عبلة فصاح بها من أعظم ما به وما أصابه من النوائب وقال واويلاه يا ابنة العم ما هذه المصائب ومن الذي أتى بك إلى هذه البيداء ومن أين وصل إليك هؤلاء العبيد أبناء الإماء وأولاد اللئام ثم هم أن يترجل إليها وإذا بالعبيد الذين كانوا معها عادوا إلى ظهور الخيل وصاحوا عليه فلما رآهم همهم ودمدم فلحقه العبيد ومدوا

إليه رماحهم فدعنتر إليه سنان رمحه واستقبل الأول منها بطعنة فى صدره فخرجت تلمع من ظهره واعتمد الآخر بطعنة فى جانبه فقلبه والتفت إلى الباقى ولما رأى الثلاثة العبيد الأخر إلى هذا الطعن المنكر عادوا على أعقابهم وطلبوا رؤس الروابى والشعاب وهم لا يلوون على طريق ولا يصدقون بالنجاة فرجع عنهم عنتر ولم يتبعهم وهو كأنه الأسد القسور لأن قلبه متعلق بابنة عمه عبلة ويريد أن يسمع كلامها ويعرف ما الذى أوقعها فى هذه البرارى والقيعان وما السبب فى وصولها إلى هذا المكان * وكان لسبب هذا الأمر حديث عجيب وأمر مطرب غريب تحب أن نسوقه على الترتيب ونسمع من على الحبيب * وذلك أن شيبوبا لما رجع سالماً من بنى شيبان وجزم بأن أخاه عنتر قد سكن رمسه من بين الشجعان والفرسان وكان قد كبا به الجواد ونجا هو بنفسه فى كل شعب وزاد فسار وهو يندب الليل والنهار حتى وصل إلى ديار بنى عبس ونعى أخاه فى الأحياء وقد كشف رأسه وشق ثيابه فارتفع البكاء وتبادر إليه الرجال النساء وسألوه عما تم وجرى فاخبرهم كيف أنه ترك أخاه مرمياً فى أقطار الأرض والفلا بعد ما كان قد بلغ مناه وأخذ النوق العصافير وفاز بذلك الملك الكبير وتبعته الخيل فى عدد لا يحصى له مدد وكبا به الجواد كما ذكرنا فلما سمعوا بذلك وشاع فى بنى عبس الخبر شق شداد ثيابه وبكى ورمى مضاربه وقبابه وكذلك فعلت إخوته وزخمة الجواد وكذلك فعل أحباب عنتر ومنهم مالك بن زهير والحارث أخوه واجتمع الكل عند شداد ومزقوا الثياب ورموا عمائمهم وتباكوا وتناحبوا وصاحوا وقالوا واذل بنى عبس بعدك يا فارس الزمان والعصر والأوان وأقام شداد يرثى ولده عنتر الفارس الغضنفر وهو عليه يبكى ويتحسر ثم أنه أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

حل المصاب بنا وزاد عكوسا	لرزية قدمت تثير البوسا
فقد السباع القيل عنتر يالها	من نكبة وفجيعة وعكوسا
هاقد مضى فلكم أسال مدامعاً	حزناً عليه وكم أذاب نفوسا
ياسفرة فى ساعة مذمومة	ما كان أشئمها عليه عروسا
أسفى على من غاب منا فى الثرى	وغدا رهين جنادل مرسوسا
بكت السماء لفقده وغيابه	دما وأصبح غيثها محبوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه	والأفق أظلم وانكسفن شموسا
والبدر منخسف غدا فى لجة	حزناً عليه حين لاقى البوسا
خلت المواكب والمجالس من فتى	عبس وفارق ربعه المانوسا

يا آل عبس قد فقدتم فارسا كم قد فنى جمعا وفك حبوسا
يردى الفوارس عند مشتبك القنا قد كان فى حد المصاب عبوسا
قد كان ليثا فى الحروب غضنفرا حامى العشيرة فارساً عروساً
ويل لعبس سوف تلقى بعده ذلا وتنهبها الليوث الشروسا
قد طال ما صان الحريم من العدا من بعد ما ترك الديار هموسا
أرداهموا بسنانه وحسامه وسقاهم بالسمهرى كؤسا
فلأبكين عليه ما هب الصبا بمدامع تجرى وتروى العيسا

(قال الأصمعى) فلما سمع ذلك الأمير مالك بن الملك زهير جرى على قلبه مالم يجر على قلب أحد من البشر وفاض دمعه وانحدر وكذلك الحارث بن الملك زهير وكل منهما رثاه بقصيدة. ثم أن الأمير مالك بن الملك زهير طلب مضارب أبيه ونعى إليه عنتر بن شداد فدق بيده على يده وأنفذ خلف شيبوب واستعاد الحديث فأعاده له فقال لقد كانت عبلة ميشومة على عنتر وعلى بنى عبس الآخر ولقد عمهم شر الأدنى والأقصى ثم قال وأين مالك أبو عبلة وأراد أن يقابله على ما فعل مع عنتر فقالوا له يا مالك هو وولده غائبان عن الأحياء وما فى بيوتهم غير النساء وقد جرى عليهم من الهم والحزن والكمد مالم يجر على قلب أحد وكان الذى أخبر مالكا بذلك صادقا لأن عبلة لما خلا لها المكان هتكت ستر الإحتشام ونشرت ذوائبها على أكتافها كأنها الظلام ولطمت بين أترابها وعجب من فعلها جميع الحضار وصار الناس منها فى عجب وكان أبوها وأخوها قد كثر عليهما الكلام فى الحى وصار المحبون لعنتر إذا رأوهم يلومونهم ويقولون لهم إنكم قصرتم فى حق عنتر حامى العشيرة ورميتموه فى بحر الهلاك والهوان وتركتم قبائل العرب تأكلنا وتتخطفنا من كل جانب ومكان وحق اللات والعزى لئن قتل وتمكنت منه العدا فلا تبقى من أعدائه فى الحى أحداً أبداً وكان شداد قد أسمع أخاه مالكا غليظ الكلام أيضاً وهجره وأبعده ولم يعد يسلم عليه ولا يسأله من حين غاب ولده عنتر وقال له يا مالك أنه كان لنا والك يد نصول بها على حوادث الزمان فقطعتها وعدمت منها البنان ولكن سوف تعلم إذا اشتبكت القنا من يخلص إبنتك ومن يمنع عنها الشر القادم ويدفع فلما رأى مالك ذلك أراد أن يقطع الزمان فى القفار والقيعان ولا يعود إلى الحلة ويقيم فى الذل والهوان فخرج هو وولده وهما بسلاحهما وقد أخذ معهما جماعة من الحى نحو خمسة عشر فارساً وساروا لأجل أن يكسبوا لهم شيئاً من بعض أحياء العرب وكان الزمان هجيراً وحره شديداً فساروا يقطعون البر والفلا حتى وصلوا إلى أراضى بنى كنانة وأبلوا بيوم لا يقدر أن يلقى الصاحب

فيه صاحبه من شدة الهجير والحر والزفير وهبت عليهم نسائم السماء من سائر الجنبات وتلهبت الأحجار وأعوزهم الماء واشتد بهم الظمأ وزاد بهم العطش واعتراهم الدهش والقت الشمس حرها على الآكام وازرقت وجوههم والشفاه وأيقنوا بالتلاف والوفاة فعند ذلك قال مالك لولده عمرو يا ولدى قد أضر بنا الظمأ وقد اعترانا العطش وحل بنا الدهش فحرك جوادك لأنه كريم ومافى خيلنا أجود منه وما فيها أصبر منه وانزل إلى هذا الوادى الذى عن يمينك فعساك أن تقع لنا فيه بمنهل وتعود إلينا وإلا هلكنا فحرك عمرو جواده ونزل به إلى ذلك الوادى إلى أن توسطه وإذا بأرض متسعة ومرج حاو من كل الأزهار وطيوره ناطقات وعيونه نابعات وفيه من سائر الألوان أزهار وأشجار وقد تجاوبت على أغصان الأشجار سائر أطيار من شحرور وبلبل كما قال فيه الشاعر :

أنظر إلى حسن لون زاهر بهج ... وصوت نغمة ذاك الطائر الغنج
ما بين زهر ونوار وبينهما ... فواكه فتحت فى منظر بهج
والعين والقلب يرتاحان من نظر ... به يعود إنقباض النفس للفرج
والطير يظهر من أصواتها نغم ... وكل نوع من الأشجان فى وهج
ومن هزار وشحرور وفاختة ... تلهيك شجوا عن الأتراب والدعج
والأرض قد كسيت زخرف نضر ... كأنها حلل من سندس بهج
فاطرب وانزه بذا عينيك فى نظر ... تريح نفسك من هم ومن حرج
وخذ نصيبا فما الأوقات دائمة ... ولا الزمان بباق غير منزعج
وكن لطيفا كريما لينا فطنا ... تحظى بعيش رخيص النوم مبتهج

(قال الراوى) ورأى عمرو بجانب النهر بيتا من شعر مضروبا ورواقا منصوبا ورمحا على باب المضرب وفرسا معدوا ملجوما فلما رأى عمرو ذلك خاف أن ينزل إلى الماء فوقف ينظر إلى الماء والخباء وإذا فى باب الخباء امرأة عجوز تامة الطول بوجه واسع وشعر أبيض فصاحت بعمرو وقالت له يا ويلك ما الذى أتى بك إلى هذا المكان وأوقفك على مسكن الأسد الغضبان يا قرنان وابن ألف قرنان فقال عمرو إعلمى يا أم الفرسان أنى قادنى الظمأ وطلبت هذا الماء وشم الهواء فمن أى الناس أنتم وكيف اتخذتم هذا المكان مسكنا وجعلتموه لكم وطنا فقالت العجوز يا غلام أما نسيتنا فنحن من بنى كنانة أهل الصدق والأمانة وأما مقامنا فى هذا الموضع فإن الأسود لا تسكن إلا فى الدحال ونحن كذلك على هذا الحال مقيمون بين الشعاب والأوغال فبينما هى تتكلم مع عمرو وتخاطبه وإذ قد خرج من داخل

الخباء غلام طويل فى تقاطيع الفيل كبير الرأس شديد البأس عظيم الهيكل تلوح الشجاعة من بين عينيه وتشهد له الفروسية لا عليه وكان هذا الفارس يقال له واقد بن مسعدة الكنانى وكان غضبان على قومه وبنى عمه وقد نزل فى هذا المكان وأمه بصحبته ولما أن خرج وأبصر عمرو او هو واقف مع أمه يخاطبها وتخاطبه غضب وقدح من عينيه الشرر وزعق عليه بصوت مزعج يصدع الحجر وقال له ويلك من أى الناس تكون أنت يا من هو كانه مجنون أخبرنى وعجل واقتصر فى الكلام قبل أن أعدمك حسك وأسكنك رمسك فعندها قال له عمرو وقد صارت عيناه مثل الجمر يافتى تأدب فى المقال ولا تحتقر بالأبطال ولا تستهون بالرجال فأنا من بنى عبس الكرام الفرسان الذين تسميهم العرب أبطال المنايا والحرب والطعان (قال الراوى) فلما سمع واقد ذلك الكلام زاد به غيظه وحمقه ونادى أسكت يا ابن ألف قرنان ويا ابن الاماء ويا ولد الزنا وحق اللات والعزى لقد انتسبت إلى قوم غير كرام فانهم قد أدخلوا العبيد فى أحسابهم فأى فخر لكم يذكر انزل وسلم سلاحك ونفسك قبل أن يحل بك الهوان فقال عمرو حقيق أنه عاب نسبنا بذكر عنتر لما وصل ابن عمى أن هذا الرجل قد صدق ولكن لا بد أن أمحو عن نفسى ذلك الحسام ثم رأى واقد اقد ركب جواده بعد ذلك شدته العجوز بالكتاف وقوت منه السواعد والأطراف فابطأ عن أبيه وساء ظنه فيه وركض فى طلبه وبنو عبس خلفه تطرد الخيل إلى أن أشرفوا على المرج المقدم ذكره فرأوا الشاب واقفا على جواده وعمرو يئن فى شداده فصاح مالك وأولاده ثم حمل على واقد من شدة مادهاه وواقد انقلبت فى أم رأسه عيناه واشتد حنقه وبلاه واستقبل مالكا استقبال الأرض العطشانة أوائل المطر وصرخ فيه صرخة تقلق الحجر وطعنه بعقب الرمح فى صدره فقلبه على ظهره وغاص بعد ذلك فى الخيل فانزل بركابها الويل وما أتى آخر النهار حتى قتل خمسة وطرح على الأرض سبعة مجروحين وبقى ثلاثة فسلموا نفوسهم اليه لما رأوا الموت الأحمر بين يديه فشدهم كلهم بالكتاف حتى أشرفوا على التلاف وعاد وهو مسرور الفؤاد بفعاله فتحركت عنده النخوة العربية فانشد يقول هذه الأبيات :

إذا ذل فى يوم الوغا كل سيد — حميت حريمى بالحسام المهند
فعال غلام يلتقى كل نكبة — ويعلم أن المرء غير مخلد
سلى عبس عنى يا أميمى واعلمى — فعالى بهم وأنى على طيب مولدى
سقيتهمو لما أتونا من الظما — بكاس مرير الذوق غير مبرد

وعادت سراة القوم تدمى جراحهم ... وبعضهم فى البر يبحث باليد
فمن يرد الماء الذى قد وردته ... بواد تروح الجن فيه وتغتدى
أنا الليث إلا أننى غير عابس ... أنا البحر إلا أنى غير مزبد
كنانة قومى باب كل فضيلة ... وأهل المعانى والفخار المشيد
ولى همة ما نالها قط فارس ... علوت بأعلى النيرين وفرقد
أتانى بنو عبس يريدون قتلتى ... وقد سقتهم سوق الأسير المقيد
ولو شئت أفنيت الفوارس كلها ... وأسقيتهم كأس المنية من يدى

(قال الراوى) فلما انتهى من شعره إلى خبائه ولما كان من الغد أراد أن يحضر بنى عبس ويطالبهم بالفداء وإذ قد أتاه عشرون فارسا من وجوه بنى كنانة حتى أنهم مأسورين ازداد عندهم قدره وأجاب بنى عمه ورحل معهم وبنو عبس يساقون بين يديه فى غاية الذل والإنكسار فلما وصل بهم إلى الحى وقعت البشائر والتقاه قومه بالأفراح وقد تباشرت العشائر لما أن رأوا معه بنى عبس وافتخروا به وضرب خيامه ومن الغد أحضر مالك ابن قراد وولده عمرو وعياض بن ناشب وسائر الفرسان وطالبهم بالفداء والمال والنوق والجمال أكثر لهم من المقال فقال عياض ابن ناشب يا وجه العرب لا تطلب منا إلا على قدر حالنا فإننا من صعاليك العرب وأكبر من فينا ما يملك إلا فرسه وسيفه والسنان واعلم أنا خرجنا من بيوتنا فى هذه النوبة إلا من الفقر والفاقة وما فينا من يملك جملا ولا ناقة فقال له يا عبس ما أنت إلا حاذق فى المقال وكل فرسان العرب يجحدون أن ليس لهم نوق ولا جمال إذ هى رأت الأسر والاعتقال وأنا لا بد لى من ضربكم بالسياط حتى تقطعوا على أرواحكم المال وإلا أدعكم كذا سنة فى العقال (قال) فبينما هم كذلك وإذا بامرأة عجوزة دخلت عليه ودنت منه وسلمت عليه ثم قالت يا ولدى يا أوقد أنت ترى الشيخ العبسى قال نعم قالت له يا ولدى له بنت وحياتك لم يولد مثلها فى أحياء العرب وليس لها مثيل فى الزمان والرأى عندى أنك تطلبها منه وتطلقه من العقال وتحظى بوجه الهلال وبقوامها الغصن الميال وإن لم تكن أوفى من هذا المقال فلمنى فى البكرة وعند الزوال (قال الراوى) فلما سمع واقد من العجوز هذا المقال والكلام هاج فؤاده وهام واشتعلت بفؤاده نار الاضطرام ولهيب الغرام لأنه كان يعرف صدق العجوز لأنها صديقة أمه من سنين وأعوام فتركها حتى صرفت واستدعى بمالك أبى عبلة بين يديه وقال سمعت قول أصحابكم والآن قد سمعت من هذه العجوز مقالا وهو سبب إطلاقكم من

الأسر والوثاق فقال مالك وقد فرج غاية الفرح وكف طرفه ودمع وما الذى سمعت ياوجه العرب فقال له أريد أن تزوجنى بنتك عبلة فقد وصفتها إلى هذه العجوز وإنها عندى لصادقة فى المقال فقال مالك وقد فرح بخلاص نفسه بعد اليأس أعلم يامولاى أنك بهذا الأمر أحق وأوجب ولكن ياولدى حديثى عجب وحديث إبنتى غريب ثم أن مالكا ابتدأ وحدثه بحديثه من الأول إلى الآخر وقال له ولا بقى يمكننى إلا الحيلة وما أرى أوفق من رحيلنا إلى أرضكم بالكلية وأكون تحت ظلك بكرة وعشية لأنى أعلم أن الملك زهير وأولاده بعد عنتر ما يجاورونا ولا يطيب لنا معهم عيش ومقامنا هنا أصلح أرى بنتك عندى ومنك يدى وإلا ضربت رقابكم وسرت إلى بلادكم وآخذها غصبا واملا أرضكم خوفا ورعبا وأملكها صلبا ونهبا ثم أنشد يقول :

دع عنك ذكر محال الزور والكذب   يا أنذال الناس فى الأعجام والعرب
تظن ويحك أن الزور يخدعنى   لكى تنال الذى ترجوه من أرب
لأضربن رقاب القوم أجمعهم   وأجعل الخيل تشكو سرعة التعب
بطل أشوس وضرغام إذا انبسطت   يداى فى الحرب كالأطيار فى الطلب
وأشبع القوم حربا ثم أملك من   حلت بقلبى ولبى ثم فى عصبى

(قال الراوى) فلما سمع ذلك مالك قال له ها أنا أحلف لك بالرب القديم وأعاهدك إنى ما قلت باطلا ولا حدثتك إلا بما أنا فاعل وها أنا سائرنا وولدى وما أبطىء عليك أكثر من ثلاثة أيام أو سبعة أيام وأعود إليك لغاية المقصود وإن أنا أخلفت قولى معك فاضرب رقاب بنى عمى ودعنى أنا المطالب بدماؤهم وتأدية دياتهم إلى أهلهم فقال له عياض بن ناشب وكان من جملة المأسورين يا مالك ما كان أشأم من هذه السفرة التى كان أولها أسرا وآخرها ضرب رقبة فقال له مالك يا ابن ناشب لا تلمنى على ما أنا قائل وأعرف قدر هذا العمل لأنى قد سمحت بابنتى وطاب على قلبى تركك أولادعمى وأخوتى على انى ما أترك أحدا منكم ينطلق حتى تؤتونى موثقا على يد هذا الماجد أنكم تكتمون حالى ولا تحدثون بنى عبس على فعالى (قال الراوى) فقال عياض ياوجه العرب من هو القرنان الذى يقول أو يخبر هذا الشأن كيف تقول وقع بنا فارس واحد قادنا قود البغال وشددنا فى القيود والأغلال وحق ذمة العرب أن نحن خلصنا هذه النوبة من سوء الحال وعدنا إلى أهلنا والعيال ورجعنا نطلب الأهل والديار فلا نعود نطلب مكسبا ولا جمال وما زالوا فى كلام وجدال حتى انفصل الحال بأن مالكا أبا عبلة يسير إلى بنى عبس هو وولده عمرو ويدبرون ما يتم به

الأمر ويسير واقد بعده بثلاثة أيام فى جماعة من بنى عمه ويكمن فى الشعاب والآكام من أرض الشربة والعلم السعدى حتى يخرج إليه بابنته ويسلمها له فيأخذها ويعود إلى قومه وقد عاده على ذلك وصالحوا انا كحة وسار من يومه يطلب ديار قومه وعياض يقول له عليك بسرعة العودة فى الحال ثم ساروا يجدون المسير حتى وصلوا إلى ديار بنى عبس وعدنان وهما لا يصدقان بالنجاة فابصروا إلى الديار منقلبة بالنواح وهم يبكون على عنتر فقال مالك لولده ماهذه إلا بئس الفعال ثم قصدوا أبياتهم ونزلوا عن خيولهم ودخلوا بجانب البيت فرأوا قبرا مبنيا وابنته عبلة بجانبه تبكى وتكثر النواح والتعداد وهى لابسة السواد ودموعها على خديها منسجمة وقد قطعت خدودها وهى تنشد وتقول هذه الأبيات

يا قبر قد أوردت اتراك دموعى ومنعت أجفانى لذيذ هجوعى
يا قبر فيك ثوى بن عمى عنترا أم لحده قد حل بين ضلوعى
لهفى عليك مجندلا فوق الثرى تبدى أنين الواله المفجوع
قتلوه ظالما واشتفت أعداؤه لما رأوا ذلى لهم وخضوعى
والله لاملكت روحى غيره يوما ولو جاؤا بألف شفيع
لاكان مالك قد أراد بعاده عنى ولم يرثى لسيول دموعى
ولقد سعى لفراقنا بخداعه لهفى بعنتر ساعة التوديع

(قال الراوى) فلما رأى مالك من ابنته هذا الحال وسمع ذلك المقال علم أن ابنته صح عندها قتله فأظهر الرياء والمحال والبكاء والاعوال وقال لزوجته ويلك ماهذه المصائب وعلى من هذه المآتم والنوائب فقامت إليه زوجته وحولها جماعة من الاماء وهن مسلوبات الذوائب مشققة الثياب من الجوانب فقالت ويلك أن ابن أخيك عنتر قد صح موته وما بقى هنا أحد إلا عدولك ويدعو عليك فعندها زاد به البكاء ومزق ثيابه وقال وحق ذمة العرب أن الرب لدعائهم قد استجاب ونفذ فينا وجرى علينا ما لم يكن فى حساب وبعضنا قد قتل وبعضنا قد أسروا انسبونا إلى الزور والمحال وما بقى لنا مقام فى هذه الديار ثم عاد إلى ابنته وقبل رأسها وعينيها ولم ينكر عليها وقال لها ترفقى بحالك يا بنية ولا تفعلى هذه الفعال فقد قيلت نفسك دون بنات عمك فأقلى من البكاء والأعوال فقد حملت نفسك من الهم والغم أشد الأحمال لا تطيقها الجبال ولم يزل يترفق بها فى الكلام والمقال ويزخرف لها حتى ردها عن البكاء وبعد ذلك قصد أبيات أخيه شداد فرآه قد سوى الأهوال فلما رآه كذلك عزاه قال له يا أخى قد حكم الرب القديم بهذا وأنت يا أخى اليوم سيفنا القاطع

ودرعنا المانع وقد نفذ فينا حكم القضاء ودارت علينا الأيام ويحق لنا أن نقرح الجفون لهذه المصيبة العظمى التي عمت الأقصى والأدنى والرجال والنساء ثم دنا منه ليقبل رأسه ويعزيه فالتفت شداد بوجهه عنه وقال يا مالك دع عنك هذا النفاق والله ما قتل ولدي إلا أنت بإنفاذك له إلى أرض العراق بمكرك ليأتيك بالمهر والصداق من الجمال والنياق وحق ذمة العرب لولا ما بيننا من الأخوة والنسب لكنت أخذت ولدك في ولدي ولو كان ما يسوى قلامة ظفره وكنت أحرق عليه كبدك كما أحرقت كبدي ولكن أيضا هو له من يأخذ منك ثاره ويقابلك بما فعلت حتى تعلم فيمن فرطت فلما سمع مالك من أخيه شداد هذا الكلام عرف أنه لم يبق له في بني عبس مقام وصارت له حجة يرحل بها من الديار ويسير بأهله ليلا ونهارا فرجع إلى بيته وأخبر زوجته بما لاقى في سفرته وقد أعلمها بأن زوج ابنته وابن بني عمه في الأسر والاعتقال وكيف أنه ضمنهم من القتل وأوصاها بالكمال فقالت له زوجته وحق اللات والعزى يا مالك لو علم بنو عبس بهذا الحديث ما أبقوا علينا ولا تركوا منا أحدا لأننا قد قل شاكرنا وكثر شاكينا وقاموا يتأهبون للرحيل وقد أخفى مالك أمره من أجل الرجال الذين تركهم في الأسر والاعتقال وخاف أن يعلم به عمارة فلا يمكنه من الرحيل لأنه أيضا طمعان في عبلة (قال) وكان عمارة غائبا عن الحي لأنه سمع بنعي عنتر فما وسعته الدنيا ونادى ما أسعده من يوم وزاد ضحكا وابتسام وأنشد يقول هذا الكلام :

اليوم يوم مسرة وسداد   قد نلت فيه مطالب الأسعاد
وأنا الفتى السامي الفخار علت   بمناقبي الآباء مع أجداد

(قال الراوي) ثم أن عمارة لما بلغه نعي عنتر قال في نفسه هذه عبلة بقيت لي وأريد أن أسير وأكشف الحال وما أعود حتى يفرغ عزاء بني قراد ويهدأ الحي ويعود مالك وولده عمرو واجعل أخي يتوسط في هذا الأمر وأتزوج عبلة ثم أن عمارة من شدة فرحه أخذ عروة بن الورد وعشر فوارس أخر وغزوا بلاد اليمن واعلم أبو عبلة بذلك فخف عنه بعض ما كان يجده من الغم وأقام ثلاثة أيام وهو ينتظر واقد بن مسعدة الكناني الذي زوجه بعبلة حتى يأتي إليه ويسير معه فبينما هو كذلك وإذا هو بعبده قد دخل عليه وقال له يا مولاي قد وصل سيدي واقد وهو الآن مكمن في وادي الظباء ومعه ستون فارسا من شجعان قومه فانظر أنت الآن ما عندك من المقال فقال يا ولدي عد إليه وأخبره بأننا راحلون إليه بالظعن والعيال رحيل من لا يرجع إلى الأوطان فعد العبد إليه وأخبره

وصبر مالك إلى أن انسدل الظلام وهدم خيامه وحمل مضاربه على ظهور الجمال واركب عبلة عزم على الارتحال فقالت عبلة يا أماه ما هذا الخبر وما هذا المحال فقالت لها يا بنية أنه ما عاد لنا فى هذا الأرض مقام لأن الاحجام ضجت منا لأجل فقد عنتر وقالوا ما قتله إلا أبوك هو وحياتك ما أنفذه إلا ليأتى بالنوق العصافير لأجل علو منزلتك عند العرب حتى لا يقولون زوجها لعبد جبان قليل القيمة بين الفرسان والآن قد جرى ما جرى وصار أهلنا أعداءنا ونريد أن نبعد من بينهم مدة من الزمن فإذا أنطفأت النار رجعنا إلى الديار والآن أن قدم عمارة يعاونه أخوه ويأخذك منا غصباً ونحن ما بقى لنا من محام ولا نصير ولا حجة نحتج بها وقد عرفت أنك ما تشتهيه وأنا ما أرضى أن أغصبك على الزواج ولا أريد إلا ما تريد به فقالت والله لم يطاوعنى قلبى أن آخذ أحدا من بنى زياد ولا غيرهم من سائر العباد ولا يحب قلبى غير عنتر ابن شداد الذى نال الفخر على جميع العباد ولا أزال عليه أتحسر إلى أن أعدم السمع والبصر ثم أنها بكت واشتكت وأنشدت تقول :

يا قلب صبرا على شوق أكابده وكيف يهدأ السبع ماله راق
وكيف ترقا دموع طال ما سمحت لفقد أروع ماضى العزم غيداق
وكان فى الفضل والأمجاد مرتقيا عالى الدعائم فى عز العلا راق
وكيف يصبر ذو واحد وذو حرق مقلب القلب فى وجد وأشواق

(قال الراوى) كل هذا ولم ينكر عليها أبوها بل أنه سار من أول الليل ولم يلتفت إليها وصارت أرضهم بلاقع وربوعهم خالية فقال بنو عبس إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم ومن جملة القائلين الملك زهير لقد أفجعنا فى الفارس الأروع والقيل الصميدع لا حياه الله ولا بقاه ما أكثر غدره وما أعظم حيلته وحق ذمة العرب لولا ما بيننا من النسب لكنت قابلته على فعله قبل أن يرحل (قال) وسار مالك بأهله حتى أشرف على وادى الظباء وإذا بصهره قد لاقاه ومعهم أسارى بنى عبس وهم مكشفون الرؤس حفاة فقال عياض بن ناشب كثر الله خيرك هكذا يكون عرسك فبينما هم فى الكلام وإذا بعبلة قد أقبلت وخلفها الظعن فقال مالك تسلم زمام زوجتك وطيب قلبها فلعلها تألفك وأعلم أننا سرنا بجميع ما نملكه من مال ونوال وعيال وما بقى لنا معول إلا عليك من دون الأبطال (قال الراوى لهذا الكلام) فقالت عبلة يا ويلكم من هؤلاء الأقوام ومن يقال لهذا الغلام فقال لها أخوها هذا معتق رقبتى ورقبة أبيك لأننا أسرنا وأطلقنا رغبة فيك وقد زوجناك به ونريد من هذا اليوم أن نجعل أرضه لنا سكنا ووطنا صاحب المقال الصادق والأمانة وهو سيد بنى كنانة (قال) فلما سمعت عبلة ذلك الكلام صارت دموعها على خديها فى انسجام

وقد علمت أن أباها احتال عليها ومكر بها فخرقت ثيابها وعظم مصابها ونادت واذلاه واقلة ناصراه وابن عماه واعنتراه وامصيبتاه من هؤلاء العتاه الظالمين ويلك يا عمرو وما الذى الجاكم لهذه الفعال ومن هو الذى طلب منكم الزواج حتى أنكم تزوجوه ومن فعل هذا الفعل من العرب حتى أنكم فعلتموه فقال لها عمرو يا عبلة أعلمى أنه قد جرى السهم بما فيه فارضى أبيك ولا تخالفيه فإنه فارس لا يلتقى مثله من الفرسان وليس له منافس إذا جالت الفتيان والأقران ثم أنه هم أن يلوى جواده فرمت نفسها إلى الأرض وحثت التراب على وجهها وصارت تنادى والهفاه عليك يا عنتر فالى بعدك قاتل الله من قتلك ومن إلى طرق المهالك أرسلك أما من مجير أما من نصير أما فى البر من غيور أو رجل مذكور يخلصنى من هؤلاء الظلمة ويجعلنى له أمة ثم أنشدت تقول :

دمع سفوح أثار السقم فى جسدى ... والنار تضرم فى الأحشاء والكبد
هل من مجير يفادينى من النكد ... ومن بلاء فقدا وهى الضنى جلدى
هذا كتابى من الأشواق والهفى ... قد خاننى الدهر فى ليث الوغا الأسد
معلق الهام والأضلاع والزرد ... وهازم كل جيش فاق فى العدد
جودى عليه جفونى بالبكا ترحا ... حتى أرى الدمع يروى منه كل صدى
وأنت يا وحش فى البيداء كن جزعا ... وأنت يارمق لا تنقضى وزرد
ما كان هتكى فى الفيعان من صفتى ... صبرا فإنى لا أشكو إلى أحد

(قال) وكانت عبلة تقول هذه الأبيات وواقد ينظر إليها وإلى ما قد أعطيت من الجمال والقد والإعتدال وقد رشقته من لحاظها بنبال وكان أبوها وأخوها قد سبقاها وعلم بما جرى عليها وسار وتركاها فلما فعلت بنفسها تلك الفعال نزل إليها أخوها عمرو وعول على أن يضربها ويردها إلى هودجها وصار يتعطف بها ويقول لها لا تفعلى يانور العين ومن هى الروح التى بين الجنبين ولا تقتلى نفسك بغير سبب وأنت سيدة بنات العرب وصاحب الحسب والنسب فاصبرى حتى أوصلك إلى الديار وأنا أجعل فى خدمتك الإماء والأحرار وأتحفك بالملابس الفاخرة والنعم العامرة يا ابنة السادات الأخيار فأنا واقد ابن مسعرة الكنانى صاحب النسب العدنانى وكل العرب تعرف شأنى وترفع قدرى ومكانى وتخضع فرسانها لى إذا أنزلت ميدانى وما فى الزمان لى مقارب ولا مدانى (قال الراوى) ثم أقسم عليها وقال لها بحياتى عليك إرجعى إلى هودجك وأنت مكرمة ودعى عنك ذلك العبد ولد الزنا ثم دنا منها وأراد أن يقبلها بين عينيها ويردها إلى هودجها وإذا هى قد دفعته فى

صدره فألقته على ظهره وصاحت اخسأ وتأخر يا أخس العرب ويا أرذل من دق فى البيداء أو طنب فلما سمع أبوها كلامها أقام هو وقد علاهم الخجل فدنوا منها وقماها بالسوط على أكتافها وقالا يا الخناء أبلغ من قدرك أن تخاطبي بملك بهذا الخطاب وهو سيد جميع الأعراب ثم جرد حسامه وضربها به صفحاً فقالت له يا ويلك يا أخي شلت أنا ملك وقطعت مفاصلك يا أنذال العرب وأقل الرجال وأوحش الأوباش ماهذا الحال وماهذه الأحوال والفعال وأنت تدعي وتقول أنك من الأبطال يا ويلك اضربني بالحسام ودعني طريحة فى الآكام وإلا أنتم بقيتم معيرة بين الأبطال لأنكم أسقتم سوق البغال وفديتم أنفسكم من الأسر والاعتقال بجارية غربتموها عن أهلها فقابلكم الله على هذه الفعال وسلط عليكم غلبات الرجال فعند ذلك داخل عمرو الغضب وجلدها بالسوط حتى أسال دمها ورفعها إلى هودجها غصباً عنها وقال لو اقدها أيها السيد لا تسمع مقالها فما عليك معول لأنها إن صارت فى أوطانهم وسار بالقوم وعبلة قد أقلقت البر بالصياح وقد أقلق واقداً صياحها وآلمه بكاؤها وتمكن من قلبه عشقها وزادمنها بالمنى وينال مايهواه وهى سائرة لا تنشف لها دمعة ولا تخمد لها لوعة بل تنادى باسم عنتر وتلتفت إلى كل ناحية فى ذلك البر الأقفر وتبكي وتتحسر وتذكر ماقد نزل بها من النوائب وتتألم من هذه المصايب وتنشد وتقول هذه الأبيات:

ونار حزني أطفي تلهبها ... بدمع عيني والأشواق تشعلها
يا ظهر عبس فتى تجلدها ... ولا حياة لها بالصبر تشغلها
وكيف تخفى عليك بلوتها ... حتى ترق لها وتعدلها
سائرة والسياط فى يدهم ... يضربنها والدموع منهلها
يا عز عبس فلو بقيت لها ... كان على النيران منزلها
ومالها مسعد يساعدها ... على بلاها إلا تذللها
ويلاه من نكبة بليت بها ... صبرى ضعيف عنها وحملها
ليت المنايا إلى سائرة ... بكأس حتف من قبل أسألها
قد رشقت قلبي بأسهما ... كما رمتني بالكل أنصلها
والهف قلبي عليك فارسها ... قد ذابت الروح من تململها
لو نظرتني عيناك يا أملى ... كشف عنى الخطوب أهولها
منى عليك الا لام ما هتفت ... حمائم الدوح فى تمللها

أو لمع البرق فى الدجا سحراً أو هبت الريح فى تصللها

قال الراوى وجد القوم فى المسير حتى أمشى عليهم المساء ونزلوا على الماء وقدموا عبلة العشاء فلم تستطعم بطعام وقد أخبروا عنها قعدت ثلاثة أيام لم تذق الطعام فلما كان فى اليوم الرابع وقد هتفت من الجوع وتغيرت من السفر وهى تدعو على أبيها مالك وأخيها عمرو وهى سائرة فى البيداء وتقول يارب سلط عليهم الأعداء ولاتقيهم من نوائب الدهر ولم تزل كذلك حتى تضاحى النهار وإذا بغبار قد ثار وارتفع فى أقل من لمح البصر أدركهم وبان لهم من تحته ثلاثون عبداً فى لون الظلام مقبلين أقبال الظلام وهم بالدروع والزرد وكانوا قد أبصروا الهودج والنياق فأطلقوا الأعنة وقدموا نحوهم الأسنة وهم ينادون وافرحتاه وفيهم عبد الطويل كالفيل وهو ينادى يقول أنا حادثة الليالى وطارقة الزمان وكان هذا العبد من زوايا اليمن من قبيلة يقال لها بنو الريان وكان قد اهتم باقتناص بنات العرب وسكن القفار والفلوات وكان لا يعرف لا حلالا ولا حراما ولا يخاف ممن يطعن بسنان ولا ممن يضرب بحسام وما كان يقيم قط فى مكان أكثر من ثلاث أيام لما عليه من الدماء والمصائب ولأجل ماقد سبى من البنات الكواعب وكان هذا العبد إذا ظفر ببنات العرب يأخذها ويبعد بها فى البر ويتمتع بها ثلاثة أيام وبعد ذلك يسلمها للعبيد الذين معه فإذا شبعوا منها يأخذون مايكون معها ثم يذبحوها ويشوها ويأكلونها ويرحلون من الأرض وكانوا كلهم قد تغولوا واعتادوا على سفك الدماء وهتك المخدرات وفسخ الذمام وارتكاب الفجور وفعل الحرام وصيد السباع من الدحال وشرب دماء الأبطال وقد تبعوه ورافقوه من جميع القيعان والقفار وكان من شره وفعله فى البنات والنسوان سموه طارقة الزمان ولما اتفق وقوعه بعبلة فى ذلك المكان ورأى معها فرسان بنى كنانة ميل عليهم وأتبعته العبيد ولما رأى واقد الكنانى هذا الأمر صارت عيناه كالجمر وقال لمالك كن مع بنتك وولدك مع هودج زوجتك وقل لبنتك تنظر فعالى من فعال ابن عمها عنتر الذى هى دائماً تندبه وعليه تتحسر واعلم أن هذا العبد الذى التقيناه هو فارس اليمن وغفير صنعاء وعدن وأنى وحق الملك العلام ماقلت إلا الصدق فى الكلام لأنه أشد ممن يضرب بحسام ولى أسمع به ثلاثة أعوام وأتمنى أن ألقاه وأكفى العرب شره وها أنا اليوم قد وقعت به على سبيل الاتفاق ثم أنه طلب لجواده العنان وقوم إليه السنان وعلى عليهما الغبار فتلقاه العبد وهو يقول خاب والله مسعاك ياولد الزنا وأوقع بك من يسقيك كاس الفنا ثم صالا والتحما واصطدما والتقت فرسان بنى كنانة والعبيد فى

ذلك القفر وتلك البيد وعمل الصارم الذكر وأبصر واقدمن طارقة الليالى ما أذهله وأضعف منه الجنان وخاف أن يراه مالك بن النقصان وطلب أن يتقرب إلى قلب عبلة وطلب العلا والافتخار وقد طعنه طعنة وأمل أن أجله قد انقضى فخاب رجاه وانقطع واطلع العبد رمحه فطيره أربع قطع وطعن العبد واقدفى صدره فاطلع السنان من ظهره فصار يضطرب فى دمه فلما رأى أبو عبلة هذه المصائب التفت إلى ابنته وقال لها ما أيشم وجهك على أبيك لا باركت اللات والعزى فيك ثم حمل هو وولده وأراد أن يمنعا عن الحريم والولدان فرأيا من هذا العبد الهول العظيم وصاح فيهم صيحة منكرة وقلب الرمح إلى وراه وطعنه بعقب الرمح فألقاه على ظهره فأشرف على فناه وطلب ولده عمرو فمن شدة هيبته وعظم صرخته سلم روحه له فأدار كتافه لما رأى الموت أتاه فجأة فذل بين يديه ثم ناداه يافتى بحق رأسك ترفق بأسر الك وتسلم الحريم والأموال فعندها شده العبد بالكتاف ونزل إلى أبيه وفعل به كذلك ورجع إلى جواده يطالب معونة أصحابه وقد أمر على عبلة وعلم أنها له هذا وعبلة قد شمتت بأبيها وأخيها عمرو وقد بقيت عبلة حائرة ما تصنع فقالت لها أمها ويلك يا عبلة أنزلى بنا حتى نحل أباك وأخاك ونسير فى هذه البيداء والبر ونخلى السودان يبقوا يقتتلون هم وبنى كنانة كيف ما أرادوا فقالت عبلة ويلك يا أماه ما هذا الكلام أين نمضى فى هذا البر الأقفر كم جهدما تسير الجمال قدام الخيل فى هذا البر الأقفر فاصبرى حتى نرى من ينصر ومن يخسر فنكون له أنا وأبى وأخى عبيد ولا نموت هكذا فى القفر والبيداء ونسلم من هؤلاء الأشرار قال وكان قصد عبلة أن تذيق أباها وأخاها العذاب كما أذاقوها التشتت والتعب قال فبينما هى مع أمها تتحدث وإذا بأبيها مالك ينادى زوجته ويلك يا خناء انزلى إلينا وحلينا من الاعتقال حتى نركب من هذه الخيول الشاردة ويأخذ كل منا واحدة وراءه ونقطع بكم البر والفلاة لعل أن نجد لنا خلاص من هذا العنا قال فلما سمعت منه زوجته ذلك الكلام نزلت وفعلت ما أمرها به وكذلك عبلة نزلت حياء من أبيها وحلت أخاها وتعلق كل واحد منهم بجواد وركبه وأردف خلفه واحدة من النسوان وساروا يقطعون عرض البر الأقفر وجدوا فى مسيرهم وإذا هم بعشرة فرسان ومعهم قطعة من النوق وهم سائرون فلما رآهم مالك أقبل عليهم يطلب منهم الانصار وكان هؤلاء الفرسان الأمير شرف الدين عمارة الوهاب وعروة بن الورد والباقى من بنى عبس الأجواد وقد عادوا من سفرتهم من أرض اليمن فرحين مسرورين وهو لا يصدق أن يصل إلى الأحياء حتى ينال من عبلة الذى هو طالبه وإنه لما سمع صياح مالك عرفه وقد رأى الخيل تطلبه فلما قارب بعضهم بعضا فمن شدة الخوف والفزع ما عرف بعضهم البعض وأبصر عمارة عبلة وأمها وهم على ذلك الحال فأنكر ذلك الحال وقال لهم ويلكم ما شأنكم أخبرونى فانى فى عجب من هذا

الاتفاق فقال له مالك بالله عليك ياعمارة جد بنا فى المسير واطلب بنا أهلك من قبل أن تقع فيهلك فانا لا أحدثك حديثى حتى ننجو مما قد نالنا فقال عمارة ما أخوفك وهل أعداؤك كثير حتى أنك نافر هذا النفار فقال له مالك ياعمارة أسكت فقد رأيت لهم فارساً لاعنتر ولاغيره من سائر البشر وهو يلتى عشرة مثل عنتر ثم حدثهم بقصته وما جرى له فى نوبته وما لاقى فى سفرته وكيف زوجه بنته وكل ما جرى له وجعل يصف طارقة الزمان وشدته وعمارة وعروة يسبونه ويشتمونه فبينماهم فى الكلام إذا بان خلفهم غبار قدسد الأقطار والصياح قد ثار والعبيد قد لحقوهم والعبد المقدم ذكره فى أوائلهم ينادى ويقول يا كلاب إلى أين تمضوا وخلفكم مثل طارقة الليالى وحادثة الزمان وكان طارقة الليالى لماشد مالك أبو عبلة وولده عمرو خاض الغبار خوفاً على رجاله فسطا على بنى كنانة وأباد منهم الرجال ونزل فيهم بسيفه وسنانه وأهلك الأقران بطعانه وكانوا كما ذكرنا ستين فارساً فما تنصف النهار حتى قتل منهم هو وأصحابه خمسة وأربعين وهرب الباقون وهم مجروحون وتجر السرعة خيلهم وعاد يطلب الهوادج فرآها خالية من الأسارى لأنهم هربوا فسار خلفهم وصاح وقال للعبيد ويلكم إن فاتتنى هذه الجارية طلعت روحى فيها فأسرعوا فإنى قد رأيت وجها أحسن من الشمس والقمر ولولا شغل قلبى بكم ما كنت أمهلتها حتى كنت قضيت منها الوطر ثم ركض بالجواد على الأثر وهو ينشد ويقول :

كيف يفوت الغريم مع طلب	يا أنذل الناس من عجم ومن عرب
فأين من كان يحميكموا ومعى	خير رجال كالأنجم والشهب
لا يرهبون للسيوف إن لمعت	ويشتهون الحمام كالطرب
وسيوف أرديكموا على عجل	وانال المنى مع الأرب
ثم أحظى لنا بمن وصفت	وأقتنيها بسرعة الطلب

(قال الراوى) ولم يزالوا يركضون على أثر مالك والعبيد خلفه من كل شيطان مارد حتى أدركوهم ولما رآهم مالك تغير لونه وانقلب كونه وزاد بلباله وقال يا بنى العم هاقد لحقنا الخيل ومقدمتهم الذى وصفت لكم وصفه فعودوا بنا إلى لقائهم لنموت كراما فعندها صاحت عبلة لعمارة وقالت يا ابن العم أنت تعلم أن الذى كان يحامى عنا قد قتل ولو كان حيا كان يعز عليه أن يرانى هكذا والساعة ما بقى لى فى العالمين سواك فأرنى اليوم شجاعتك التى تفتخر بها فلما سمع عمارة ذلك رمى روحه على الحمام وطفح على قلبه كاس العشق والغرام ونادى أى وعينيك يا ابنة العم اليوم يظهر لك يا منية القلب فروسيتى

وتعلمى أن كل ماقيل عنى كان صدقا ثم تشعر وقال ياعبلة يانور العين سوف أريك من القتال ما يرضيك ثم أطلق جواده حتى صار قدام أصحابه وعروة بجانبه وهو يقول ياابن زياد لمثل هذا اليوم تدخر الأبطال الشداد فقال عمارة ويلك ياعروة ماهو شغلك خلى عنك اليوم ترى من الأمير عمارة مايسرك فاتم كلامه حتى حذفه واحد من العبيد بزانة فى صدره فقلبه على ظهره فانقض عليه العبد وأخذه أسير وزعق حتى طلع الزبد على شدقه وحمل على عروة بن الورد فالتقاه وجرى بينهما حرب شديد ثم أنه قبض على درع عروة ولم يتركه يتمكن من طعنه وجذبه فقلعه من سرجه وباقى العبيد ملكوا فرسان بنى عبس واحتوى طارقة الزمان على مالك وولده عمرو وأوثقوهم كتاف وبات فى ذلك المكان لاماء معه وهو ظمآن فنزل بالعبيد رفقاً بهم لأجل الراحة وكان قد أعوزه الماء ورق النسيم وبرد الهواء وقد ردت العبيد عبلة إلى هودجها وقالوا لها ياهذه من مثلك وأنت عشيقة طارقة الزمان فاردت عليهم جواباً ودموعها تنسكب انسكاباً حتى أصبح الله بالصباح والرجال معه مشدودون على خيولهم بالعرض قدامه وكان قد طيب قلوبهم وقال لهم أبشروا فأنا لاأريد منكم نوقاً ولاجمالا لأن أموال العرب كلها لى ولا أريد منكم إلا أن تأتونى ببناتكم وأمهاتكم وأخواتكم بكل من كان له بنت مليحة وأخت صبيحة يأتى بها كى أتلذذ بها ثلاثة أيام وبعد ذلك يأخذها ومن لم يجيبنى منكم قطعت ظهره بالسياط فقال عمارة لعروة هل رأيت عمرك أو سمعت بهذا العبد المشؤم فقال عروة ياعمارة ما كانت عبلة إلا ميشومة عليك كما كانت على من قبلك لأن كل من سمى عليها فى العشاء ضربت رقبته فى الصباح ومن سمى عليها فى الصباح ضربت رقبته فى العشاء وقد رأيت كيف كان ونحن سائرون فقد كسبنا هذه النوق والجمال والأنعام فحلت بنا هذه المصائب ونابتنا هذه النوائب لما نظرنا إلى وجهها ومن قبل كنا رابحين فلما نظرناها صار لنا ماصار فى الحين فهذا ما جرى لعروة وعمارة ثم أن طارقة الليالى قد أرسل قدامه خمسة عبيد وأعطاهم عبلة وقال لهم اسبقونى بها إلى ذات المناهل واضربوا إلى هناك خيمة فإنى أريد أن أتمتع بهذه الجارية المليحة وأنظر ما أعمل بهؤلاء القوم اللئام قال فسارت العبيد فى يديه كما ذكرنا والتقاهم أبو الفوارس عنتر كما أشرنا وقتل منهم عبدين وهرب الباقون واشتغل عنتر عنهم بابنة عمه عبلة وسألها عن حالها وقد غير الشقاء والفزع لونها وغشى عليها ولما أن رأت وجه ابن عمها حين أفاقت قالت يا ابن العم نحن فى اليقظة أم فى المنام ثم أنشدت تقول :

ذهب عنى الأسى وزال شقائى   لما التقينا بعد طول عناء

وغدا الزمان مبشرا بوجود من أضحى فريدا . قاصم الأعداء
غفلت عيون الدهر عا ساعة ورجعت من موتى إلى الأحياء
يافارس الثقلين ياكنز الورى ياسابق الأبطال للعلياء
سعدت عيونى عند ما نظرت إلى مافيك من كرم وحسن ولاء
فابق وعش فى ظل خير دائم مادامت الافلاك فوق سماء



(قال الراوى) ثم إنها ابتدأت وحدثته وقصت عليه القصة وما لقيت فى طريقها من الشقاء والتعذيب فلما سمع عنتر ذلك هطلت دموعه على عينيه وضمها إلى صدره وحدثها هو أيضا بما جرى له عند الملك كسرى والمنذر وقتله حاجب كسرى خسروان وماتم له فى غيبته أيضا مع الملك كسرى وما وقع له مع الفرس والأعاجم وعباد النار وإنه عاد سالما من صروف الزمان ثم حدثها بما أتى به من الأموال والعبيد والغلمان والمماليك الحسان وإنهم راكبون على الخيول العربيات بأحسن الملابس والجوارى الروميات والبخاتى والجنائب القيصريات والعمارة المنقشة بالجواهر المثمنات والتاج الذى تحير فيه الصفات فلما عاينت الأميرة عبلة ذلك المال وحسن الحال قالت له هذا كله لك أو لأحد نازل معك فى هذا المكان من الملوك الكبار وهؤلاء المماليك الذين هم على الخيول لمن يكونون فقال لها الأمير عنتر كل هذه الأموال والجوارى والمماليك والغلمان لك وأنت الحاكمة عليهم وهم ملك يدك قد أتاك بهم عبدك (قال الراوى) فعند ذلك رجعت روحها

بعد الممات وانكشفت عنها الشدائد والكربات فقالت لعنتر يا ابن العم بحياتي عليك خذها وارجع بي إلى ديار القوم الذين أعطوك هذا الملك وهذا الخير الوافر وخل أبي وأمي مع هؤلاء العبيد ولا تعود ترجع إلى بني عبس لأنه لم يكن في عشيرتهم خير من الأمس فتبسم عنتر من مقالها وقال لها ابشري بما يسرك لا بد لي أن أرغم أنف الجميع وتكوني الحاكمة فيهم على الرفيع والوضيع ثم أنه أمر أصحابه بالنزول وأشار إلى بعض العبيد الذي يعتمد عليه وقال له ويلك احتفظ بهذه فهي بنت عمي فأكرم مثواها فهي صاحبة هذه الأموال أدناها وأقصاها وقد وقعت بها مسبية مع هؤلاء العبيد ثم سلمها إليه وتقدم وكان طارقة الزمان سائر على أثر أصحابه الذين أنفذهم ليضربوا له الخيام وهو سائر فرحان وحب عبلة قد تمكن منه وإذا بعبيده الثلاثة منهزمين فلما صاروا بين يديه قال لهم ما لكم وأين الجارية وباقي أصحابكم فقالوا له أن أصحابنا صاروا نهباً للعقبان والجارية قد ملكها عبد أسود لا كالسودان وما نظن إلا عامر ذلك المكان لأن صورته تذهل عقل الإنسان وصرخاته تترك المعافى معلول ثم أنهم حدثوه بما جرى فنفخ كما ينفخ الأفعى وهمهم وزمجر وطغى وتجبر وقال يا ابن الزواني مثلي يخاف من قاص أو دان أو يخاف من جن أو شيطان وأنا أسمى طارقة الزمان ثم أطلق لجواده العنان وقوم السنان وركض وإذا بعنتر قد التقاه فصاح فيه وقال له أنت قتلت أصحابي بني حام وأخذت الجارية مليحة القوام فقال له عنتر ويلك يا ابن



اللئام متى صارت عبلة لك أمة يا ابن الاعايب وقد شابت مني في هواها الذوائب فيا نذل العرب لو لا غيرتي في طلب المهر والصداق لما رآها أنت ولا غيرك من الرفاق فضلا عن أن يرى جمالها

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس ﴾

وتلك الاخلاق فدع عنك مارأيت يابن اللئام فانها أضغاث أحلام ودونك وضرب الحسام فلما سمع من عنتر ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال له من تكون من العرب وإلى أى القبائل تنسب فعندذلك قال له ويلك أنا ابن عم هذه الجارية المسمى بعنتر بن شداد ثم أنشد يقول :

تقدم يالئيم إلى المجال ... وخل كما تقول من المحال
فقد وافاك ليث قسورى ... صبور فى المهمات الثقال
عبوس ضيغم بطل جرىء ... رئيث أشرس حاز المعالى
له شرف على كل البرايا ... يطعن الرمح فى يوم النزال
فدونك والقتال وكن جريئا ... كما سميت طارقة الليالى
فسوف تصير فوق التراب ملقى ... وتعبث باليمين وبالشمال
وسوف أريح منك العرب جمعا ... مع النسوان ربات الحجال
أنا البطل الذى ساد البرايا ... بضرب السيف والسمر العوالى
تخر لى الفوارس يوم حربى ... وتخضع لى جحاجحة الرجال
ولى مجد علا فى كل ناد ... وقلب ثابت والسعد عالى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره حمل على طارقة الليالى حملة الأسد الضرغام وزعق فيه فجاوبه طارقة الليالى بالكلام وانعقد عليهم الغبار وكان لهم ساعة تشيب لها النظار وقد أقبلت العبيد وتتابعت كأنهم عفاريت فرأت ما أذهلها وقد ناداهم يالئام والذى خلق الضياء والظلام لأحلقن رؤسكم بهذا الحسام ولأتركنكم حديثا بين الأنام ثم جعل يلقاهم ويبددهم على وجه الصعيد وقد رأى واحد منهم شيئا ما كان على باله وأقبلت أيضا جماعة من عبيد عنتر وأتوا على الصياح فلما رأوا عنتر فى القتال حملت معه والتحم القتال وفى دون ساعة أفنوهم عن آخرهم والتقى أبو الفوارس بالعبد المقدم ذكره فصرخ فيه فأرعبه وطعنه بالرمح فى فؤاده نقلبه وجمع العبيد والأسلاب ونزلوا للراحة فى تلك المهاد

وصار عنتر يأخذ بخاطر عبلة وهى تبتسم فى وجهه ثم حلوا مالكا وولده عمرو والأمير عمارة وعروة بن الورد ومن كان معهم ثم باتوا فى ذلك الوادى وقد ذابت قلوبهم والأكباد بما رأوا مع عنتر من الأموال ثم سلم على عمه مالك وقال له البشرى بالخلاص من أعداك واعلم أن الذى لاقيته جزاء بما قدمت يداك لأنك زوجتنى ابنتك ورجعت غيرت نيتك وأرسلتنى إلى أرض العراق فى طلب المهر والصداق وزوجتها بفارس بنى كنانة وضيعت العهد والأمانة فلقاك الله عاقبة البغى والخيانة فلما سمع مالك من عنتر ذلك الكلام تنهد وتحسر وقال يا ولدى لا تعتب على لأن عذرى واضح وأن عرفته كنت له مسامح لأنه يا ابن الأخ أتى أخيك شيبوب وأخبرنا أنك شربت كاس الحمام وقطع رجاءنا منك والسلام فلما سمعنا منه هذا المقال سرت أنا وولدى وجماعة من الفرسان فى طلب المكسب والمال فجرت علينا هذه الشدائد والأهوال والحمد لله الواحد الأحد على هذا الحال فقال عمارة يا أبا الفوارس لا تندم لأن الحق عاد إلى أصحابه والحمد لله الذى جعل خلاصنا على يدك ونحمد الرب القديم الذى أعادك الينا سالما ومعك هذه الأموال العظام ورزقك النصر على أعدائك اللئام والويل لمن يكون لك معاند أو مخاصما أو مضاد فتبسم أبو الفوارس عنتر من كلامه وشكره على فعاله مع علمه بمكره ومحاله وبعد ذلك أخذهم وسار بهم إلى عبيده ومماليكه وغلمانه وخيله وبغاله ونوقه وجماله وهو يترنم بالأشعار ويقول :

يا عم لا زلت فى عز وفى خول	ترقى لعز العلا فى القول والعمل
ولا برحت مدا الأيام فى سعة	وفى أمان وفى رزق وفى أمل
فاسمع حديثى وما لاقيت من سفرى	وما جرى لى من الأخطار والهول
أنى لاقيت من الأهوال أصعبها	شيئا يجل عن الأوصاف والمثل
قاسيت فى سفرتى هذى عنى وضنى	ومررت بالأرض فى سهل وفى جبل
حتى أتيت مليكا لا مثيل له	ولا شبيه له فى القول والعمل
المنذر الملك المولى الذى شرفت	به القبائل فى سهل وفى جبل
أولى إلى جميلا لست أنكره	فضلا وتوجنى بالحلى والحلل
لما أتى بى إلى كسرى وقدمنى	أمامه خاف من فعلى ومن عملى
وكان قد جاء بطريق اليه وقد	سطا على جيشه كالجحفل الخطل
تركته وهو ملقى فى المجال وقد	أراد يدنى جهارا غاية الأجل
تبت يداه لقد وافى فتى شرسا	وعاد منى طعنتى ملقى على وجل

وكان عند مليك الفرس سبع وغى ضرغام لا يلتقى فى السهل والجبل
جاءوا به حين ظن الفرس يقتلنى تركته بحسامى جزء منفصل
وحيث كسرى رأى فعلى ومقدرتى أسدى إلى بانعام مع الخول
أعطانى النوق مهرا للذى سلبت منى الفؤاد وهذا غاية الأمل
فسرت أقطع فى أرض الفلاة وقد لقيتها وختمت القول بالعمل

(قال الراوى) فلما سمع عمه مالك وأصحابه هذا الكلام تعجبوا من ذلك الشعر والنظام واستمروا سائرين معه إلى أن أشرفوا على الخيام فرأوا ذلك الملك الباهر فحارت منهم النواظر فقال عمه مالك يا ابن الأخ لمن هذه الأموال والنعم وهذه السودان والخيم وهذه الجنائب التى عليها جلالات الابريسم فلا شك أن هنا ملكا من ملوك الأقاليم فقال عنتر يا عماه هذه أموال عبدك وخادمك عنتر التى جلبها لابنتك من أرض العراق لأنك طلبت منى ألف ناقة من النوق العصافير فأتيت بها محملة من خزائن صاحبها ومعها هذا الخير الكثير وفعلت فعلا يعجز عنه سائر الآفاق ثم نزل بهم فى تلك الخيام وأمر عبيده بذبح الأغنام والنوق وترويج الطعام وأخذ يقص على عمه مالك ما جرى له مع الملك المنذر والملك كسرى وما ناله من المنزلة الرفيعة وكيف أخذ المال الذى أتى به من قيصر ملك النصرانية بعد ما قتل الفارس الذى أتى مع المال وكيف أخذ أموال الثلاث ملوك بعد الأسر والقيود وعمارة يسمع وقد حلت به الكروب ونظر إلى عبلة وقد صارت فى تلك المنزلة فصار متحيرا ولما فرغ عنتر من المحادثة والكلام حتى راج الطعام وقد أتت بها الخدم وكلما تقدم خادم يخدم عنتر يمنعه من ذلك ويقول اخدم أنت هؤلاء السادات الأماجيد لأنهم الموالى ونحن العبيد * هذا وقد خرست الألسن وصاروا لا يدرون ما يقولون وكأنهم ألجموا بلجام أو كأنهم فى منام مما رأوا من كثرة الأموال العظام (قال الراوى) فلما أقبل الظلام دخل عنتر على عبلة يتفقدها ويتوجع لها مما جرى عليها فقبلها بين عينيها فترامت هى أيضا عليه وصارت تقبله فى وجهه وعارضيه ويقول لها ابشرى يا بنت العم بزوال الهم والغم وبهذه الأموال التى تعجز عنها العرب بما فيها من الجواهر والملابس العجب وكل شىء مفتخر وهذا التاج الذى ما فرح بمثله الأوائل والأواخر وهذه الجوارى التى كانهن الأقمار وهذه العمارية الفضة المرصعة بالجواهر الكبار فتحكى فيهم ليلا مع نهار لأنها نعمة قد ساقها لك الملك الجبار فقالت عبلة والله يا ابن العم إن سلامتك عندى أحب إلى مما ذكرت وما أرى العز إلا أن حضرت فتبسم عنتر من كلامها وانشرح صدره لمقالها وشكرها على صفاء ودادها وخرج من عندها وركب إلى حفظها من طوارق الأزمان وكان مالك قد استحيا

منه وقام إليه ومعه ولده عمرو وعروة بن الورد وأرادوا أن يتولوا الحرس عنه فأقسم عليهم أنهم لا يفعلوا ذلك وقال لهم إعلموا أن الموالى لا تخدم العبيد (قال الراوى) كل هذا يجرى من عنتر فى حقهم وهو ماله عندهم قيمة لأن بغضه مؤسس فى قلوبهم وكانوا يتمنون أنهم قتلوا على يد طارقة الليالى وسيوف الأعداء ولا كان خلاصهم على يديه من الردى وقد زاد فى قلوبهم بغضته لما أنهم نظروا أوقيته وعمارة زادت حسرته وكاد أن تنفطر مرارته إلى أن أقبل الليل بظلامته فباتوا فى تلك الليلة يتحدثون فى قصته ويتعجبون من مروءته ويحسدونه على ما أتى به فقال عمرو أخو عبلة يا أبتاه أعلمك من اليوم أنه ما بقى لى إقامة فى بنى عبس ولا بد لى أن أسلب بلاد اليمن وأقيم فيها باقى العمر والزمن إلى أن يدركنى الحمام لأنه لم يبق لى عين تنظر إلى هذا العبد الحجام ولا أراه يملك أختى عبلة بدر التمام وأنا فى حياة الدنيا الآن ذلك بد الى أن أشرب شراب الردى فلما سمع منه أبوه ذلك الكلام قال له كيف يفعل الإنسان ليعادا الحاكم الديان فيا ولدى كلما احتلت عليه بحيلة وأنفذته اليها يسلم منها ويأتى سالما ولا سيما فى هذه النوبة فانه رجع بهذه الأموال والغنائم التى لا يقدر عليها أحد من الملوك العظام وأنا أعلم إذا وصلنا إلى الأحياء يصيرون له أصدقاء ولنا أعداء لأنك قد رأيت ما فعلوه فى حقنا لما سمعوا أنه قتل وشرب شراب الردى فعند ذلك بكى وأن واشتكى فقال عروة بن الورد وذمة العرب يا عمرو إن وصل عنتر إلى بنى عبس ومعه هذه الأموال وفرقها على الفرسان والأبطال ملكها وملك عقولها وإن عزل للملك زهير منها شيئا قبله ولا أحد منهم يبغضه لأن هذا ليس بمال قليل ولا يقدر عليه إلا كل ملك جليل ولا تقدر عليه سادات العرب ولا كل من ضرب فى البيداء وتدأ ومد وطنب قال الراوى فلما سمع عمارة ذلك الكلام بكى مما حل به من الحسد والسقام وصاح وامصيبتاه واحسرتاه يا بنى الأعمام والله لقد انفطرت مرارتى وسأموت بحسرتى من هذا الأسود الحجام الذى قد أسعده رب الأنام بعد ما كان راعى الجمال والأغنام وحق الآلهة والأصنام إن أخذ عبلة وأنا فى الحى حاضر زادت بليتى ومت بحسرتى لوقتى وساعتى فياليت طارقة الزمان كان ذبحنى ذبح الأغنام ولا كنت أبصرت هذا العبد ولد الزنا عاد سالم ومعه هذه الأموال والغنائم ثم أنه بكى وأن واشتكى وانشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا ليتنى لم أناد بالولد ولا أرى الدهر عضنى بيدى
حتى متى الدهر ذا يعاندنى وقد رمانى بالحزن والكمد
قد جاء حساب ما كنت أعهده وقد أتانى بما ليس فى خلدى

وما أرى ناصراً يساعدنى ولا غيوراً يطفى لظى كيدى
مالى سوى الموت راحة ولمد عز اصطبارى وخاننى جلدى
هل خطير بين الورى شرس ذو همة مثل همة الأسد
يزيل ما بى من أسود عبس قبيح فعل نذل وذى نكد

(قال الراوى) وما زالوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الصباح وما فيهم من نام من شدة الحسد ولا استراح وبعد ذلك أتاهم عنتر وسأل عمه فى الرحيل فقال له يا ابن الأخ أنت وشأنك فعند ذلك صاح عنتر فى العبيد وأمرهم بالرحيل من هذه البيداء وكانوا ثلثمائة من مماليك وغلمان وكان يقدمهم أبو الموت الأسد الهمام ثم إن عنتر أخرج الحلى والحلل وألبس عبلة سبع حلل عظام ما لبس مثلها بنات العرب الكرام وألبسها على رأسها العصابة الجوهر والتاج الذى يبهر البصر وأخرج لها الجوهر وحزمها به على ذلك اللبس المفتخر وأخرج لها ثلاث عقود من اللؤلؤ المدثر وفصوص الياقوت الأحمر والأصفر ومن خاص نفائس الجوهر فأشرق المكان من ذلك اللمعان فى شعاع الشمس على الجبين الأزهر فتحير كل من نظر هذا وأن عمارة لما رأى ذلك حس أن روحه قد خرجت من جنبيه وكاد أن يغشى عليه وبعد ذلك شد عنتر لعبلة العمارية مطعمة بأصناف الجوهر ثم أنه أركب عبلة العمارية الفضة البيضاء على بغلين شديدين وكانت تلك العمارية مطعمة بأصناف الجوهر ثم أركب عبلة عليها وأمر العبيد تجرى حواليه وهو لا ينظر ما بين يديه من عظم ما جرى عليه وعنتر قد سلم عبلة إلى أبيها وقال له تسلم يا عماه بنتك وهذه الأموال التى سلمها الله على يدى وافعل معى ما أنت أهله فدعا له عمه وشكره وأظهر له خلاف ما أضمره وقال له يا ابن أخى اليوم عبلة أمتك ونحن عبيدك وخدمك قال وكان هذا الكلام من مالك مكراً وخديعة إلا أن عنتر لما سمع من عمه هذا الكلام تقدم وقبل أقدامه وودعه ببلوغ مرامه وقد زاد له فى الإكرام والتبجيل ورفع المقام ثم أنهم ساروا إلى المساء ونزلوا على غدير سلمى فباتوا ليلتهم وعنتر والظلام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره الوضاح رحلوا من تلك المنزلة وقطعوا البرارى والقفار والسهول والأوعار فلما بقى بينهم وبين أرضهم ليلة واحدة طلبوا عمارة فما وجدوه فسألوا بعض العبيد عنه فما أحد منهم أعطى عنه خبراً ولا أعلموا متى فارقهم فى البر الأقفر فقال مالك أبو عبلة للأمير عنتر ما أقول إلا أن عمارة سبق إلى أهلنا يبشرهم بقدومنا ويعلمهم بسلامتك وبما وصل معك من الأموال والغنائم والجوارى والغلمان والمماليك والخدم وهذه الخيل والبغال فقال عنتر يا عماه أنا مالى عنده هذه المنزلة حتى يريد أن يفعلها وأنه

كان الأمر كما ذكر الملك زهير وأولاده خرجوا إلى لقائنا ونظر ما معنا من الأموال فقال الملك يا ابن الأخ أنا أمضى من ساعتى هذه إلى الأطلال وانشرح بسلامتك الرجال وأصلح حالى مع أبيك شداد لأن قلبه قد قسا على لأجل ذلك الخبر الشنيع الذى أخبر به أخوك شيبوب وما أقدر أن أصلح قلبه إلا بتلك البشارة والخبر بسلامتك لأنى إذا عدت من ساعتى هذه أكون عندهم عند طلوع الشمس وأشرف على العساكر والعشائر وأبقى فى الحى البشائر وتكون أنت رحلت من هنا وقت السحر أو نصف الليل وتلتقى كلما ضحى النهار ويزول عنا العناء والأضرار وينظرك حسادك ومعك هذه الأموال وهذا الخير الكثير وما قد نلت من النوال (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عمه ذلك قال يا عماه الأمر أمرك والعبد عبدك وذمامى فى يدك أفعل ما بدا لك فلا أعدمنى الله طلعتك وإن شئت فخذ معك عبلة إبنتك حتى أنى أسير تابعا لك فقال مالك يا أبا الفوارس أنا أقول أنها إذا كانت فى صحبتك ويكون أحفظ لها وأنت أشفق عليها ما بقى فيها حكم حيث أنك أتيت بمهرها ثم أنه غير جواد بجواد من جنائب عنتر وسار هو وولده عمرو وعروة بن الورد وأم عبلة وقد ركبوا من خيول عنتر الجياد واستمروا سائرين على حالهم وأما عنتر فانه قد نزل فى مكانه وأقام إلى نصف الليل ومالك ومن معه سائرون يتكلمون فى شأنه بالشوق وقد فعل معهم شيئا ما فعله أحد من جميل الفعائل هذا كله والحسد قطع قلوبهم وشق صدورهم وصاروا وهم حائرون فى أمورهم لا يدرون ما يفعلون فى حق عنتر ولا كيف يدرون على هلاكه وعمرو وأخو عبلة يقول ما هذا إلا كيد عظيم من هذا العبد الزنيم لأن عمارة ما هج على وجهه إلا منه ومن أجله فلعن الله بطنا حمله فما أشام طلعته وسوء رؤيته فيا ليتنى أنا الآخر كنت هجيت على وجهى مع صهرى وصاحبت الوحوش باقى عمرى فان ذلك كان أحب إلى من أن أنظر هذا العبد يكون صهرى وأن هذا الأمر كلما افتكرت فيه أحس أن مرارتى تنفطر فيا ليتنى أموت وأتقبر ويا ليتنى كنت لا أسمع ولا أبصر ثم أنه زادت به الآلام والنكد فانشد يقول :

الدهر يرمينى بكل مصائب ... من لوعة وصبابة وعتاب
فمن ابتلى يصبر على ما نابه ... وبلاده من ذل وعظم مصاب
إن لم يكن لى من زمانى ملجأ ... من هول أمر غاب فيه صوابى
كل الأمور لها احتيال فى الورى ... إلا الشتات وذلة الأصحاب
الموت شىء واحد فى ذوقه ... والحكم فيه مخالف الأسباب

(قال الراوى) فلما انتهى عمرو من شعره ونظمه قال له أبوه يا ولدى لا يضيق صدرك

ولا يطول فكرك لأنى إذا عجزت عن أمره خنقت أختك فى الليل وراحت نفسى من هذا العناء والويل الذى قد هدمنى القوى والحيل لأن العرب فعلت هذه الفعال وقد قتلوا بناتهم وارتاحوا من الأغلال ومازالوا فى جد المسير حتى أصبحوا فى ديار بنى عبس عند طلوع الشمس وقصدوا أبيات بنى قراد ودخل مالك على أخيه شداد وقال قم يا أخى ولاق ولدك الذى عاديتنى عليه ومن أجله وقلت أنا الذى كنت السبب فى قتله فها هو قد وصل اليك ولدك وهو سالم ومعه أموال وغنائم ومن كثرتها قد سدت الصحراء من أموال الملك المنذر والملك كسرى فقال له شداد أحق ما تقول يا مالك فقال أى وحق مالك الممالك المنجى من المهالك فعند ذلك نهض شداد وركب على ظهر الجواد وهو يقول وا فرحتاه من بعد ترحتاه هذا وقد علا الضجيج والصياح فى الأبيات من النساء والبنات ولم يبق فى الخيام من الحلة لا أمة ولا حرة إلا وقد خرجت إلى بره وأعلنوا بالفرح والمسرات ودفعت بالدفوف الإماء والمولدات وعلى الصياح إلى أن وصل إلى أبيات الملك زهير فقال للعبيد يا ويلكم أنظروا ما حال الناس من بنى قراد فقالوا يا ملكنا لك البشارة بوصول عنتر بن شداد لأنه قد عاد وهو سالم ومعه الأموال والغنائم قد سدت الفضا وملأت الصحراء من أموال الملك قيصر والملك كسرى فقال الملك زهير أن هذا غاية ما يكون من العجب وهذا حديث يؤرخ ويكتب بماء الذهب وحق اللات والعزى لأخرجن إلى لقائه حتى أرغم أنف أعدائه وأسر قلوب أصدقائه ثم أنه نهض من ساعته وركب فى فرسان قبيلته هو ومن يعز عليه من أهله وعشيرته وتبعه أولاده وأبطاله وأجناده وكان أفرحهم بذلك اليوم ولده مالك وأخوه الحارث لأنهما من خواص أصدقائه وأغتم من ذلك جميع أعدائه (قال الراوى) هذا وقد تركوا الأبيات خالية ما فيها إلا شيخ ضعيف عن القيام أو صبى صغير لا يعى حوادث الأيام قال وكان عنتر قبل رحيله قد أقام على الغدير إلى نصف الليل وقام وشد لعبلة العمارية الفضة على بازل من البغال وأركب إبنة عمه ورحل على أثر القوم وهو يحادث إبنة عمه ويتلذذ معها بالحديث وبالنظر إلى وجهها الأزهر لأن أعظم ما يكون من اللذة مشاهدة الحبيب المحبوب فعند ذلك قال لها يا بنت العم أنا أعلم أن أباك الساعة وصل إلى الأحياء وأعلم أهلنا بقدومنا ولا بد أن الملك زهير يخرج إلى لقائنا هو وسائر أولاده وفرسانه وأجناده ولا أقدر أن أكلفهم التعب فى المسير من أجلى وأنا أقل عبيدهم والخدم ومن الراى أن أتقدم إلى قدام والتقى بهم قريباً من الديار وأخلوا بالملك زهير وأحدثه بحديثه وما وقع لى فى سفرى وتقدموا أنتم علينا لأنى قد آمنت عليكم من حوادث الزمان وهذه أرضنا ومنازل بنى عدنان ثم أنه أوصى الخدم والعبيد بالحفظ والرفق على عبلة فى المسير خوفاً عليها من

غبار الخيل وزعقات الإبل فهو الليل ثم سار والأرض لم تسعه من شدة فرحه إلى أن تضاحى عليه النهار وإذا هو بغبار قد علا وثار وسد الأقطار وقد ظهرت من تحته فرسان بنى عبس وعلى أكتافهم القنا وبين أيديهم العبيد والإماء وهن يضربن بالمزاهر وقد ابهرن بحسنهن النواظر والملك زهير بين يدى الجميع كأنه أسد الغابة وعلى رأسه راية العقاب وأولاده من حوله وفرسانه الأنجاب فلما رآه عنتر ترجل من على جواده وأنساه ذكر عبلة حلاوة اللقاء ونسى ما قاسى من التعب والشقاء ولما تقاربت بنو عبس منه صاحوا بأصواتهم الملاح وضجوا بالأفراح وأظهروا الاستبشار وحركت المولدات المزاهر وأزعجت الأقطار كل هذا يجرى وعنتر يقبل الملك زهير وأقدامه فى الركاب ويدعو له بطول الدوام والبقاء وطيب الأيام ثم بعد ذلك أنشد يقول :

كشف الزمان لثامه عن ماهر ... متكاسل الأضوا بنور زاهر
وأتى النسيم به وبرح مايرى ... وسرى إلى العليا بنور عاطر
بالنصر معقود اللواء مؤيد ... مرادى عداه بكل أسمر بائر
ياواحداً فى دهره مترفعاً ... فى سده الباهى الرفيع الباهر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه تقدمت أكابر بنى عبس وسلمت عليه صغيرهم وكبيرهم لاسيما صديقه مالك والحارث أولاد الملك زهير وفرح الجميع بلقائه وسلامته من أعدائه وصار الملك زهير يسأله عن طريقه وما كان سبب تعويقه وأخوته جرير وشيبوب يضجان بالبكاء من حلاوة اللقاء بعد الحزن والشقاء إلا أن عنتر ما فرغ من حديثه مع الملك زهير حتى أقبلت عبيده تسوق النوق والأموال والصناديق فوق البغال والمماليك راكبين الخيل الغوال وبأيديهم السيوف الصقال وقد تزينوا بافخر الملابس الحسان وشدوا أوساطهم بالمناطق الذهب والحياصات العرمرم وتلفحوا فوق رؤسهم بالأقبية الكسروية من الديباج الملون ومن ورائهم الروميات والحبشيات والتركيات وأزعجوا الأرض فى الطول والعرض وقد امتلأت النواحى بأصوات الأفراح والمسرات وأقبلت بعدهم العمارية الفضة وقدامهم الجنايب القيصريات والخيل الكسرويات وعليها السروج المذهبات وعلى متونها الجنايب الحسان ومن فوقها المماليك والغلمان كأنهم خرجوا من الجنان فسبحان الكريم الديان الذى من بهذه النعم على هذا الفارس العرمرم وجلب هذه الأرزاق الحسان على رغم أنف أعدائه اللئام وقهر ساير الشجعان (قال الراوى) لما تقارب الجميع من عنتر وقد اشهروا فى أيديهم السيوف الصقال ردار وابه يميناً وشمالا ترجل عنتر على متن جواده الأبجر وشد وسطه بمنديل مذهب كان للملك

فيه مرمز كرشة أطرافه بالذهب الأحمر وصاح فى عبيده فوقفوا وأجابوا مقاله ولم يخالفوا أمره فأمرهم أن يجوز بالجمال والبغال ثم أنه قاد من الجنايب عشرة مالها مثال بحلالاتها ومراكبها وخمس بغال بصناديقها وأموالها الغوال وقدم الجميع للملك زهير وباس الأرض قدامه وسأله فى قبولها فقبلها على كل حال وكان بين كل صندوقين جارية رومية وحبشية أو عجمية مالها مثال وبعدها فرق على بنى عبس الأموال التى ذكرنا أن الملك كسرى كان أعطاها له برسم بنى عمه بخلاف الأموال التى خصه بها وحده وبعدها فتح صناديق الأموال وفرق منها على فقراء الحى والأرامل والأيتام والعبيد والخدم ولم يترك أحد فى الحلة إلا وأعطاه من الأموال واسترضاه (قال الراوى) كل هذا يجرى والملك زهير يتعجب من كثرة الخيرات والأنعام يعطيه غيره من النوق والجمال لأجل أعانته على الولايم والعرس وبلوغ الآمال فأجابوا جميعا بالسمع والطاعة وقد تهيئوا لهذا الأمر من تلك الساعة وأما عنتر فإنه مازال يفرق الأموال على بنى عبس الأقيال حتى أفنى ما معه من الخيل والنوق والجمال والصناديق والبغال ولم يبق عنده إلا النوق العصافيرية ومن الأموال شىء يسير وهو سائر بجانب الملك زهير يحادثه بجميع ما جرى له من مدة سفره إلى حين حضر والملك زهير يتعجب من ذلك وهو يعلمه بما جرى على قلبه من الأحزان لما أتاه أخو شيبوب ونماه فى الأوطان وجعل عنتر يقبل يديه ويثنى عليه (قال الراوى) وبعده رجع كل واحد إلى أبياته وتفرقت بنو عبس إلى منازلهم وأقبل عمرو أخو عبلة وهو قايدين أمامه البغال التى عليها العامرية التى فيها أخته عبلة والأموال مع العبيد قدامه جملة (قال الراوى) ولما وصل إلى فريق بنى قراد الكرام كانت العبيد ضربت لهم الخيام ومدوا الأطناب وركزوا الأعلام فعند ذلك تقدم عمرو وكشف سجاف العمارية وصاح بأخته وقال لها قومى أنزلى يا عبلة وأفرحى بهذه الأموال والخيرات والأرزاق التى أقبلت عليك بالعرض لأن الرب الكريم فتح لك كنوز الأرض وأزال عنك الفقر والفاقة وضيق الخناق ووسع لك فى الأرزاق فلم يجبه من العمارية أحد لا أبيض ولا أسود فظن أنها نائمة من كثرة السهر وما قاست فى البر الأقفر من التعب والضجر فصاح بأعلى صوته وقال لها قومى يا عبلة وأنزلى ما هذا وقت منام فلم يجبه أحد فهز العمارية بقوته وأدخل رأسه فيها فلم ير فيها أحدا أبيض ولا أسود فصاح وجلبت من شدة ما وقع له من النكد وعاد على عقبه وهو ينادى بعدم أخته عبلة وهو حاير ومازال إلى أن وصل إلى عنتر وأعلمه بفقد عبلة وكيف أنه ما رآها وما وجدها فى العمارية ثم سأله عنها فقال عنتر ما رأيتها من ليلة أمس لما تركتها مع خدامها وأتيت لأجل

بالسلام على بنى عبس ولكن يا ابن العم أين ذهبت فقال له لا أدرى ولا أعلم ما وقع لها من الهم والغم فعند ذلك قامت على عنتر القيامة وحس بأن روحه تنسل من بين جنبيه وما بقى يدرى ما بين يديه ثم أنه جمع الإماء والعبيد وسألهم عنها فما أحد أعطاه خبر فاغتم لذلك وتحير واشتد به كربه واحترق فؤاده وكبده وصار يدق بيد على يد من شدة الغيظ والكمد ثم أنه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول :

حتى متى أعيا بأسباب الجوى وأعالج الأشواق من ألم النوى
حتى عدمت تجلدى وتصبرى والسمع منى ضاع وانبرت القوى
فلأصبرن على النوايب كلها ولو أن جسمى بالبلايا قد ثوى
ولقد حملت الهم من دون الورى ما ليس تحمله الشدائد ذو والقوى

(قال الراوى) كل هذا يجرى من عنتر على عبلة ومالك أبوها قد ظهر الحزن فى الظاهر بالأحزان الشدايد وشمت بعنتر الأعداء والحساد وكان أكثر الشماتة من بنى زياد وأما الملك زهير فإنه لحقه من الغم شيء كثير ثم أنه أرسل بعض عبيده يتجسس أخبارها ويقتفى آثارها فسارت جماعة من العبيد وطلبوا البرارى والقفار فما وجدوا لها خبر ولا وقعوا لها على أثر فقال الملك زهير لعنتر يا أبا الفوارس طيب قلبك ولا يضيق صدرك فوحق البيت الحرام وزمزم والمقام والركن والحجر ومن طاف به من ربيعة ومضر لأقتفين آثارها وآتيك بأخبارها ولو أنها خلف سد اسكندر فقال عنتر يا مولاى أن الخطأ منى فى الأول لأنى تركتها فى العمارية عند من لا يعرف قدرها وسرت أنا إليك وطلبت العجلة خوفا على قلبك من العناء والتعب حتى لا يعتريك نصب (قال الراوى) وبعد ذلك عاد عنتر إلى أبياته وقد طلب أمه زبيبة وهو يمشى بغير اختياره لأنه يعلم أنها قاعدة فى إنتظاره وفى قلبه من أجله نار لا تطفأ ولهيب لا يخفى وهى لا تصدق أن تنظر إليه وتتمتع به بعد هذه الغيبة الطويلة فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من عروة بن الورد وأخوله فإنه إجتمع الربيع بن زياد وحدثه بحديث أخيه عمارة القواد وما فعل من الأمور والعناد وأخبره كيف خلصه عنتر من أسر طارقة الليالى وكيف فقدهم فى الظلام ولم يعلموا أين يمضى ويعرفوا أين سار فقال الربيع عند ما سمع من عروة ذلك الكلام وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ومن طاف به من جميع البشر ما قتل أخى عمارة إلا هذا العبد الأغبر وإنى لا أطلب ثارى إلا من الملك زهير وأرميهم بسببه فى العناء والضير وإن هو سلم لنا هذا العبد نفعل به ما نريد

والارحنا من جواره وأخذنا ثار أخينا بأيدينا من هذا العبد العنيد ولما أصبح الصباح قام الربيع وإخوته وصحبته وهو فى جماعة كثيرة من أقاربه وعشيرته وسار بهم إلى أن دخل على الملك زهير فى الخيام ثم أنه صاح وبكى وناح وقال واأميراه واأخاه ثم أنه أخبر الملك زهير بما صدر من الكلام فتعجب الملك زهير من تلك الأحكام فعند ذلك قال لهم يا بنى زياد ماهذه الأحوال والعناد اتركوا الرجل من أيديكم واعلموا أن عنده شاغلا من دون الأنام وبعد هذا إن أقمتم عليه البينة أنه هو الذى قتل أخاكم فوحق الرب القديم أسلمه إليكم فقال له الربيع ياملك وإذا أقمنا عليه البينة أنه هو الذى قتل أخانا وأهرق دمه ما تقول أنقتله بايدينا ويكون ياملك الزمان عبد شداد ابن الأمة عديل أخينا الأمير عمارة ابن الحرة المكرمة ثم أن الربيع أنشد يقول :

يا أيها الملك العظيم الشـــأن أعطف على ذل وفرط هوانى
أيقاس أندال العبيد بسيد بطل كمى من بنى عدنان
أيكون عبد ماله حسب ولا نسب ولا قدر مدى الأزمان
كفؤ الحر ماجـــد ويزول مافى قلبنا من لوعة النيران
كلا ورب البيت مانرضى بذا فى قتله ألفا من السودان

(قال الراوى) ثم إن الربيع خرج من عند الملك زهير حردان وقد علم الملك زهير ومن عنده من العربان أنهم ظالمون لعنتر وأنه برىء مما قالوه من الكلام ودام أهل الحى يتحدثون فى أمر عبلة وكل واحد يتكلم بمافى نفسه من الكلام (قال الراوى) وكان السبب فى فقد عبلة هو حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أن عنتر لما فارق عبلة بالليل وأوصى الخدم والعبيد وسار لملاقاة الملك زهير وبنى عبس أخذ عبلة النوم لكثرة العناء لأن عنتر كان أسهرها ولما فارقها نامت بجانب العمارية والعبيد سائرة بالأموال والنياق بجانب العمارية يمينا وشمالا فغلب النعاس بعين الأمة القائدة لزمام البغال فقصرت البغال عن المسير والحق الخدم التعب والتقصير ومازالوا سائرين إلى أن طلع الفجر وشبعت عبلة من المنام ولما انتبهت من منامها لم تر العبيد ولا سمعت للظعن حسا فرفعت سجاف الهودج وكان الصبح بالنور قد أبلج فرأت فساح البر وهى وحدها والاماء نيام عندها فزعقت عليهم فأيقظتهم من غشوة الكرى وقالت لهم ياويلكم أين الظعن وباقى أصحابكم فقالوا يامولاتنا لقد غلب علينا النوم وها نحن بين يديك نطلب أن ترفعى عنا العتب واللوم واعلمى أن الظعن لم يكن عنا بعيد بل هو قدامنا قريب (قال الراوى) فلما سمعت عبلة منهم هذا الكلام طاب قلبها

من الآلام وقالت لهم يا ويلكم قفوا على قليلا حتى أنزل أتمشى ساعة لأجل تليين العصب الموجب وجع الركب من القعود الطويل ونزلت عبلة إلى الأرض وصارت تنظر فيها طولا وعرضا إلى أن لانت أعصابها وارتاحت من التعب التى اعتراها ثم قالت للخدام سيروا أنتم قليلا قدامى وها أنا سائرة خلفكم فساق الخدام الأموال قدام عبلة وقد الها قضاء حاجة فتمشت على غير الطريق لتزيل الضرورة فبعد أن أزالتها أرادت أن تقوم فتتبع القوم فاذا بفارس انقض عليها فرأى عليها الحلل والتاج فلما صار عندها عرفها فنادى وافرحتاه بالذى كنت أتمناه واختطفها من الأرض وركض بها فى الفلا وهذا الفارس هو عمارة القواد وذلك أنه لما خلصه عنتر من أسر طارقة الليالى وعاد إلى قرب ديار بنى عبس وشاهد تلك الأموال كادت روحه تزهق من جسده فمات كمدا وعلم أنه ما بقى يقدر على المقام من شدة الوجد والإهتمام ففى تلك الليلة ما ذاق طعم المنام بل خرج فى الليل من الخيام وصار يلطم على وجهه وقد أقلقه الهوى وهو حيران فصار تارة يسير يمينا وتارة شمالا وتارة يقتفى المرة نوقهم والجمال فعندها باح بما فى قلبه وأنشد يقول :

أسير وقلبى فى الديار أسير ... وأرجو يسير الواصل وهو عسير
وأبكى على ذل قد كنت سيدا ... إلى صناديد الرجال تشير
ولولا صروف الدهر ما زاد ناقص ... ونال العـــلا عبد وذل أمير
أهيم وأشكو فى الفلاة بحرقة ... وبين ضلوعى للفراق زفير
وتجذبنى الأشواق يا إبنة مالك ... إليك ومنقاد الغرام أسير

(قال الراوى) ولم يزل سائرا على هذه الوصيلة طول تلك الليلة حتى أصبح الصباح فاخذ يتبع أثر القوم فيتنهد ويتحسر فبالقضاء والقدر وقع بعبلة كما ذكرنا وهى ماشية تتمخطر فانقض عليها واختطفها وركض فى ذلك البر الأقفر فحين عرفته قالت له ويلك أما تستحى وأنت تسبى بنت عمك فقال لها لا بد أن أسبيك ولا أموت قتيل هواك فوحق ذمة العرب ما بقيت أدع عنترا يراك (قال الراوى) فلما حققت عبلة منه ذلك زادبها الأنين وقالت والله لا نلت منى ما تريد فإن لم اقدر على منعك قتلت روحى بيدى فقال ما هذا وقت خطاب وعتاب ثم أن عمارة القواد سار وهى خلفه طالبا أرض اليمن وديار بنى قحطان ومراده أن يستجير بالملك ملجم ابن حنظلة ملك بنى طيء ولم يزل على ذلك إلى أن أمسى عليه المساء ونزل على بعض المياه وبات تلك الليلة إلى أن أصبح الله بالصباح وعبلة فى بكاء ونواح فركب عمارة جواده وأراد أن يردفها وراءه وإذا بغبار قد علا وثار وسد الأقطار وبان من تحته فرسان

في شجعان وهم ثلثمائة فارس ليوث عوابس ويقدمهم فارس كأنه عامود أو قطعة من جلمود قال وكانت هذه الفرسان من بني طيء والمقدم عليها يقال له مفرج بن همام الطائي وكان فارس عصره فلما أن قارب عمارة ونظر عبلة واقفة تبكي وعليها تلك الحلل الفاخرة قال لقومه أبشروا بهذه الغنيمة التي أقبلت علينا في هذا النهار فلا شك أن هذه الجارية من بنات الملوك الكبار وقد وقع بها هذا الرجل فدونكم وإياه وإن مانع عنها فاقتلوه واعدموه الحياة * قال فعند ذلك دارت الفرسان وطلبته من كل مكان فلما نظر عمارة إلى ذلك حار في أمره ولحقه الانبهار وقال لعبلة يا بنت العم انزلي حتى أدافع عنك العدا وأردعنك هؤلاء القوم لأنهم يريدون أن يأخذوك مني لأجل أن تنظري كري وفري ولكن يا بنت العم بالله عليك إذا رأيتهم ملكوني أو قتلوني فلا تتزوجي بهذا العبد بعدي (قال الراوي) فما أتم عمارة كلامه وإبرامه حتى دارت به الفرسان وطعنه فارس منهم بعقب الرمح فقلبه عن جواده وأخذه أسيراً وقاده ذليلاً وحملوه وهو وعبلة وساروا بهم إلى ما بين أيادي سيدهم مفرج بن همام (قال الراوي) فلما نظر مفرج بن همام إلى عبلة وحسنها خفق فؤاده والتهب بناره فأمر بحملها وعرض عمارة على جواده وشده واعتقاله وسار مع فرسانه إلى أن وصل إلى أرضه وبلاده وسار يتلطف بعبلة في السؤال وهي ما تزداد إلا بكاء حتى وصلت معه إلى الديار ولما قر قرار مفرج بن همام في أرضه أحضره وعمارة وسأله من أي القبائل فقال أنا عمارة بن زياد من بني عبس وأخي الربيع أمير من أمراء الشداد فقال له وهذه الجارية ما تكون منك يا ابن الأوغاد فقال هذه عبلة ابنة مالك بن قراد وابن عمها عنتر ثم أخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وكيف أن مالكاً أنفذه إلى أرض العراق في طلب المهر والصداق وكيف أن شيبوب أتى ونعاه في الأحياء وكيف أن مالكاً وقع مع واقد بن مسعدة الكناني وذكر له قصة طارقة الليالي وكيف قابلهم عنتر في الطريق وخلصهم من البلاء والتعويق وبالقصة من أولها إلى آخرها (قال الراوي) فلما أن سمع مفرج من عمارة ذلك الكلام صار الضيا في وجهه كالظلام وقال له يا ابن اللئام هذا جزاء عنتر بن شداد بعد خلاصك من العبيد نسل الحرام ثم أنه أمر عبيده في الوقت والحال أن يشبحوا عمارة في أربع شكك من حديد ويضربوه الضرب الشديد ففعلوا ذلك به وداموا عليه بالضرب والعذاب فجعل عمارة يستغيث فلا يغاث فقال له مفرج أفد نفسك يا ابن الأوغاد فقال له عمارة أطلب مني أيها الفارس الجواد ما شئت وما تريد فقال له أطلب منك خمسمائة ناقة وخمسة رؤس من الخيل بعددها ولا ماتها فقال له يا سيدي على كل ما طلبت على أنك تنفذ عبداً من عبيدك يسير إلى بني عبس ويجتمع بأخوتي

ويعلمهم بما أنا فيه من التعس والنكس وهم يرسلون اليك الفداء وكل ما طلبت وأخبرك أنه أردت أن تفدى هذه الجارية بما يسرك مما تريد فاهلها يرسلون اليك أو فى مزيد فقال له مفرج ياابن الاوغاد فالجارية ما بقيت تبرح من يدى لأنها ملكت فؤادى وكبدى وأريد أن أحظى بها وأسلمها جميع ما عندى فى الحال أرسل عبدا من عبيده العظام وقال له سر إلى بنى عبس بهذه الرسالة وأخبرهم بهذا المقال فقال عمارة للعبد أوصيك يا عبد الخير إنك لا تدخل عليهم إلا أن يكون ذلك بالليل وأن تعلم أخى الربيع بما أنا فيه من الذل والهوان وقل له لا تتوانوا عن عمارة لأنه فى القيود يقاسى الاهانة فعند ذلك صار العبد يجد المسير إلى أن وصل إلى بنى عبس فوافق دخوله مع غروب الشمس وسأل عن فريق ابن زياد فعند ما أرشده اليها العباد فسار حتى دخل على الربيع بن زياد وأخبره بما جرى على أخيه عمارة القوادو عرض عليه ذلك وكان فى جواب كتبه وهو فى أعز المهالك فأخذه وقرأه وفهم رموزه ومعناه فعند ذلك أرسل خلف إخوته وأعلمهم بذلك الأمر واستشارهم فيما يفعل فقالوا له افعل ما بدا لك فكلنا تابعون لرأيك فقال لهم نكون نحن بنى زياد الأمراء الأجواد ونخلص أخانا بمال لا كان ذلك أبدا ولو سقينا شراب الردى فان ذلك ذل وعار فقال اخوته ما يكون الرأى عندك فقال لهم الرأى أننا نقبض على هذا العبد ابن الأوغاد ونسير ونحن نخلص أخانا بالرماح المداد من هؤلاء القوم الأوغاد فقالوا له هذا هو الصواب فعند ذلك قبضوا على ذلك العبد وربطوه فى الخيام ونادى الربيع وقال خذوا أهبتكم يا بنى الاعمام لاجل أن نخلص أخانا من الأسر والهوان لأن الذى فعله عار وإن علم بذلك الملك زهير يقول لنا أن الحاكم سبى ابنة عم الرجل ولجها فى القفار وأنتم أتيتم واتهمتوه أنه قتله وأنزل به الدمار هذا والله فى حقنا ذل وعار ويلومنا على ذلك الصغار والكبار وبعد ذلك باتوا يصلحون أمرهم ويهيئون أشغالهم إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح فساروا فى مائتين فارس من كل بطل مداعس وليث وكان معهم عروة بن الورد البطل الهمام فساروا يطلبون نخلة مفرج بن همام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مفرج بن همام فانه صار يتلافى قلب عبلة ويطيب خاطرها حتى تألفه فلم ترد عليه إلا قسوة وعنادا فراودها عن نفسها فأبت وأغلظت عليه فى الكلام وقالت له يا ابن اللئام لن تنال منى ما تريد وإنك إلى وصال أمك أقرب قاب مدعنى وحيد لأن هذا أقبح ما يكون عند بنات العرب يا جبان يا بليد وإن كنت تغصبنى على نفسى فانى أقتل روحى بيدى وتبقى أنت تطالب بدمى فعند ذلك اشتد به الغضب والآلام فضربها بالسوط على أكتافها وجنبيها حتى ابتلاها بالسقام وجلب لها الهلاك والأعدام فعند ذلك علا صراخها وصياحها وقالت

يا ابن اللئام لو نظر ك ابن عمى تفعل ذلك لطير منك الهام ثم قالت وا بن عماه فلما سمع ذلك زاد عليها بالضرب فزاد بكاؤها ونواحها فسمعت أمه ذلك النواح فأتت اليه وقالت له ما لهذه الجارية فى البكاء والنواح فأخبرها بأمره وأمرها وكيف أنه راودها عن نفسها فغلظت عليه فى الكلام وهددته بابن عمها ابن اللئام فلما سمعت منه أمه ذلك الكلام قالت له يا ولدى اتركها واكسر نفسها بالخدمة وقلعها الذى عليها ولبسها الصوف وذلها بالشقاء لأنه يا ولدى كثير من النساء لا يجىء إلا بالاهانة والمذلة والتهديد وبعد ذلك تصير لك أطوع من العبيد وتأتيك بكل ما تحب وتريد فعند ذلك استصوب رأيها وأجاب سؤالها ومقالها وخلع كل ما كان عليها من الحلى والحلل وألبسها الصوف على ذلك البدن وأظهر لها الجفاء بعد المحبة والوفاء وصارت أمه تستخدمها فى مخيض اللبن وجمع الجلة والحطب ونقل الحاجات والخشب فكانت عبلة تقطع النهار فى الخدمة والليل بالبكاء والدعاء على عمارة المحتال ويسمع ذلك وهو فى القيود والأغلال فيزيد على نفسه بكاء واعوال فهذا ما جرى لهؤلاء من الذل والانكاد (وأما ما كان) من عنتر بن شداد فانه مازال يبكى ويتحصر وفيما جرى عليه يتفكر فازدادت به الحسرات فانشد يقول هذه الأبيات :

دموعى ليس يعد مثيل رغينى نومها أبداً قليل
وقلبى لا يقر له قرار ولا يسلوا لما ذكر العذول
وكم أبلى العباد القلب دهرا وشاقتنى المنازل والطول
طلبت من الزمان صفاء عيش وحبك ماله يعطى البخيل

(قال الراوى) وكان عنتر لما فقد عبلة أرسل أخاه شيبوبا يدور عليها فى الحال ويسأل كل من رآه فى سهل وجبل فلما كان فى يوم من بعض الأيام قدم عليه أخوه شيبوب فوجده حزينا وهو كأنه فى بلوى أيوب وضر يعقوب فلما نظره عنتر قال له يا أخى طولت على غيبتك هات ما عندك يا شيبوب إن كنت وقعت لعبلة على خبر أو اقتفيت لها أثر فاخبرنى بالعجل يا ابن الكرام ولا تطول على الكلام فقال شيبوب هاهى مرمية عند مفرج بن همام فى بنى طىء وأمه تستخدمها فى الجلة والحطب وتغلظ عليها فى الكلام وقلة الأدب فقال وما سبب وصولها إلى تلك البلاد يا ابن الاوغاد فقال له أخذها عمارة بن زياد فقال وكيف عرفت ذلك يا ابن الحرام فقال شيبوب فقدتك أمك وأبوك وجميع قومك ولا كنت ولا كانت عبلة يا ابن اللئام لأى شىء هذا الاستعجال فى الكلام فقال عنتر يا أخى لا تلمنى لأن عقلى ضائع ثم أنه أخذ بخاطره ومسح أطرافه وسكن غيظه وقال له أخبرنى يا أخى كيف عرفت ذلك فقال له يا ابن الأم أنى درت فى بلاد اليمن وصنعاء وعدن وأتيت

جبال بنى سلمى وبث فى كل فريق الليلة والليلتين ولما كان فى آخر ليلة بث فى حلة مفرج ابن همام عند عبد يقال له سلام فأضافنى وأكرمنى بعدما سألنى عن عربى وحسبى ونسبى فقلت له يا ابن الخالة أنا من بنى جهينة فقال لى أكرمت يا مولد العرب فلما نامت الناس كلهم وهدأت الحركات وهجمت الكلاب بين المضارب ووقع فى أذنى صوت عبلة وهى تنادى فى الليل الهادى وتندب كأنها حمامة الوادى وتقول واشوقاه إلى العلم السعدى وأرض الشربة واحسرتاه من بعد الوطن وفراق الأحبة يا حامية عبس من أين أناجيك ومن أى الجهات أناديك وكيف السبيل فيمن يوصل خبرى إليك فما يخلصنى من هذا العذاب غيرك يا ابن العم لقد شمتت أعداؤك ونامت عيون حسادك وسهرت عيون أصدقائك ولقد آلمنى العذاب وقرح جفنى عينى الدمع والاكتئاب يا أبا الفوارس أين كانت أيام التلاق حتى دهمتنا أيام الفراق وحكم علينا بذلك الملك الخلاق ومتى كان قدومك من أرض العراق حتى تشتتنا فى الآفاق وأنا أقاسى الهم والعذاب والبكاء والانتحاب وقيل أنها تموت قبل الصباح فقلت العبد الذى أنا فى ضيافته يا ابن الخالة ما لهذه الجارية من دون نساء الحلة ما نامت وهى على هذه الحالة وهذا الليل قد انقضى والصبح قد أضاء فقال العبد يا فتى إعلم أن هذه الجارية يقال لها عبلة إبنة مالك بن قراد العبسى ثم أنه يا أخى أعاد على حديثها وكيف وقع مفرج بن همام برجل يقال له عمارة بن زياد وكيف أسره وحكى له على ما جرى لك معه وعلى ما أتيت به معك من بلاد العراق وكيف خلصته من العبيد اللئام وكيف أنا ملكت عبلة بعد ما كانت فى يد الأخصام فلأجل ذلك هج على وجهه واقتفى منها الآثار ولأجل القضاء والقدر لقيها فى الطريق وأخذها وراءه على الجواد ثم أخذها منه مفرج بن همام بعد ما صار له ما صار وطلب منها ما تطلب الرجال من النساء وهددته بك يا فارس الفرسان الذى رفع قدر العبيد على الأبطال الصناديد وترك لهم ذكر يذكر فى محافل الشجعان الأماجيد فلما سمع مفرج بن همام منها هذا الكلام كبرت نفسه عنده فنزع ما كان عليها من الثياب والجواهر والأموال وضربها بالسياط الثقال وفعل بعمارة أقبح الفعال وأوثقه بالقيود والأغلال حتى أنه يفدى نفسه بالنوق والجمال وقد أنفذ لإخوته يعلمهم بما هو فيه من سوء الأحوال ويطلب الخلاص منهم من كثرة العذاب وشدة الاعتقال وها نحن منتظرون قدوم المال حتى ننظر على أى شىء ينفصل الحال ثم أننى يا ابن الأم لما سمعت هذا الكلام وأقبل الصباح بالإبتسام طار من عينى لذيذ المنام وما صدقت أن صبح الصباح يصبح حتى أننى طلعت من عندهم لأجل أن أعرفك ما جرى لهم لأننى أعلم أنك من اجل غيبتى تقاسى الهم والغم وأنت على لظى الجمر وأنى عند عودتى يا أخى رأيته

بنى زياد سائرين إلى ديار القوم يطلبون خلاص أخيهم عمارة وكنت لما رأيتهم تجنبت عن الطريق حتى لا يرانى عدو ولا صديق وهذا جملة ما عندى والسلام فلما سمع ذلك المقال زاد به الهم والخبال وغاب عن الوجود وبقى حاضراً فى صفة مفقود من شدة شوقه إلى عبلة لأنه كان كثير المحبة فآلم قلبه ما سمع فقال لا بد لى أن أكافىء بنى زياد ولأحرمنهم لذيذ الرقاد وأحسرهم على النساء والأولاد وإلا فما أكون عنتر بن شداد ثم أن عنتر أنفذ إلى أبيها وأخيها فلما أحضرا أطلعهما على ذلك الحال العجيب فأخذا فى البكاء والنحيب وقد شاع الخبر فى أبيات بنى قراد وعلا الصياح وزاد وسار عنتر إلى مضرب الملك زهير فرأى ولده مالكا فأعلمه بالحال وأن عبلة قد تحقق فقدها فسار معه مالك إلى أبيه ودخلا عليه وأعلماه بالخبر ثم أن عنتر قال أيها الملك أعلم أنهم اتهمونى بفقد أخيهم عمارة وانظر ما فعلوا معى بعد ما خلصت أخاهم من الأسر والهوان وجدت عليه بالفكاك من سوء الارتباك فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام ورأى تلك الفعال حقد على الربيع واضمر لبنى زياد وقال أنهم فعلوا كل أمر شنيع لأن أخاهم سبى عبلة مع أنها إبنة عمه ولحمه ودمه وأخذها وهرب بها فى كل واد وكساها عارا لا يمحى طول المدى إلى يوم التناد وقد أتوا يطالبون بثأرهم منا وأن هذا ظلم زائد ثم أنه قال يا أبا الفوارس دعهم فى بغيهم وغدرهم يفعلون ما يريدون وانظر ما يجرى عليهم فقد ساقهم الله إلى آجالهم بارجلهم كما لا يشتهون وأنا أعلم أنه لا يرجع منهم إلى الحى من يخبر بخبرها ونحن هاهنا مقيمون حتى نسمع أخبارهم وآخذك وأسير بك على آثارهم ونشفى فؤادنا منهم ولا نعود إلا بخلاص عبلة ونقتل مفرج بن همام وننهب سائر ماله من الأنعام فلما سمع عنتر من الملك زهير استحى وعاد من حضرته وقد زاد به الغرام وكان مالك قد عاد معه فقال له عنتر إعلم يا مولاى أنا ما بقيت أقدر على المقام من بعد ما سمعت بخبر إبنة عمى ولا بد لى من طلبها فى هذه الليلة تحت ستور الظلام وأصطلى هذه النوبة وحدى ولا أتعب الملك زهير ولا أكلفه المسير إلى هذا الأمر اليسير لأنه شىء قبيح وأريد كتمان هذا الأمر ولا أحد به يبيح فقال له ما أنا ما أخليك تسير وحدك ولا تخرج من هنا إلا وأكون معك مع من اعتمد عليه من الفرسان من بنى عبس وعدنان ونبذل نفوسنا فى خلاص عبلة ولو تكون فى آخر مطلع الشمس وآخر العمر اصبر على يومين لعل أبى يخرج إلى الصيد والقنص ويخلو لنا الحى ونغتنم الفرص حتى لا يعيقنا أحد عن المسير

وتزول من قلوبنا نار السعير وتبلغ المرام ولا تخالف لا بى كلام فقبل عنتر مقاله ولا قدر أن يخالف سؤاله ثم أن عنتر بات تلك الليلة باكى العيون ولم تغمض له جفون إلى أن طلع الصباح فقال عنتر أسير أنا إلى مالك أبى عبلة وأبى شداد وأشاورهما فيما أفعل من الإقامة كما أمرنى مالك أو أرحل مع السلامة وإذا بمالك بن الملك زهير قد دخل عليه وقال له يا أبا الفوارس هيء نفسك إلى المسير والسفر واعلم أن أمرك قد تجهز وتيسر وأريد أن أخالف أبى ولا بقيت أفارقك حتى تبلغ قصدك ومناك فاعلم فرسان بنى عبس وخذ معك عمك مالكا وولده عمرو وأباك شداد وعمك خمة الجواد فقال عنتر لمالك يا مولاى كيف نرحل ونخالف أباك وقد أمرنى بالمقام حتى يرى ما فيه الصواب فقال مالك إعلم أن أبى ما أمرك بذلك إلا شفقة منه عليك فارحل بنا فى هذا اليوم فقال عنتر أنا يا مولاى زائد القلق والهيام ولا ذقت لذيذ المنام ثم أن عنتر أنفذ أخاه شيبوب إلى أبيات بنى قراد ليعلم أباه ومالكا أبى عبلة ويخبرهم بذلك الأمر والشأن لأنهم أصحاب رأى واجتهاد فسار شيبوب وأعلمهم بما عول عليه أخوه عنتر فلما سمع مالك وولده عمرو فعند ذلك أخذ أهبتهما إلى المسير وأتى مالك بن زهير إلى عنتر وسأله فيما يفعل فأعاد عليه الحديث الذى جرى من أوله إلى آخره فعند ذلك عاد مالك إلى أبياته وأمر عبيده فاعلموا فرسانه وحماته وما ظهر النهار وتضاحى حتى خرجت الفرسان إلى ظاهر الحى وكانوا مائتى فارس للحديد لوابس شجعان فى الصدام عوابس وعليهم الزرد كاملين العدد تلتقى ورود المنايا بأرواحها وتنهب الأجسام بشفار صفاحها وعنتر بين أيديهم على ظهر جواده الأبجر كأنه الأسد القسور وقدامه أخوه شيبوب يسير بهم فى ذلك البر الأقفر وإلى جانبه مالك بن زهير صاحب الوجه الأقمر وكان عنتر كلما يتخايل له أن عبلة تنادى باسمه ليلا ونهارا ينادى ويقول من شدة شوقه إليها لبيك لبيك يا بنت العم ها أنا قد سمعت نداك وسرت إلى هلاك أعداك ثم أن عنتر قال لمالك يوما من الأيام بعد أن قطعوا مسافة بعيدة يا مولاى أن سفرتنا أمرها عجيب وزين لاحتوائها على أمرين تخليص حبيبتى من الذل وإنفاذ عدو شين فقال مالك وما معنى هذا الكلام يا أبا الفوارس فقال لأنى سائر إلى أعدائى أتسبب فى خلاصهم وأنا أعلم أنهم لو ظفروا بى ما ابقوا على ولكن لأجل عين تكرم ألف عين ولأجل عبلة أتحمل الضيم ثم أنه بكى بكاء شديد وأنشد يقول :

أحمل الضيم من بنى العم جهدى ثم أخفى عنهم غرامى ووجدى

وإذا ما أردت قلت أحلونى   فأنا ظالم كثير التعدى

(قال الراوى) فلما سمع مالك ابن الملك زهير هذا النظام تعجب من عظم مروءته وقال له يا أبا الفوارس لا يأخذك على ذلك الأمر ندم فوحق الركن والحجر أنت الظافر بأعدائك وهم إليك فى كل الأمور محتاجون ولسعادتك تابعون ولقولك سامعون وسوف ترى ماجرى لبنى زياد مع مفرج بن همام وتعلم أن الظلم له أسباب لا تنام ثم إنهم ساروا يقطعون البلاد ويطوون الأرض على ظهور الخيل والجياد آناء الليل وأطراف النهار فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر عبلة وعمارة ومفرج بن همام الذى هم فى قبضته فانه لما أنفذ العبيد فى طلب الفداء أقام ينتظر ما يكون من أمره وتحدث به الرجال والنساء فى كل حى فسمعت بذلك أم ناقد بن الجلاح الذى قتل عنتر ولدها كانت بعد موته لبست عليه السواد فصارت لا تهدأ من البكاء والتعديد فلما سمعت بأسر عمارة بن زياد ركبت وسارت مع عبدها المفرج بن همام وبكت فى وجهه وطالبته بأخذ الثار وكشف العار فقال لها يا خالتاه أنا ثارك فلا أنساه وأنى ما أقنع فى ثار ولدك بهؤلاء الرعاع ولا أرجع عنهم حتى أفنيهم وأترك ديارهم حرابا وأذبح ساداتهم والشباب على قبر ولدك الفارس المهاب وأقود إليك أسودهم عنتر قود الحمير والبقر هذا عمارة بن زياد ما طلبت منه الفداء والمال إلا خديعة ومحال لعل بعض اخوته يأتى بالفداء ويكون معه جماعة من ساداتهم فاقبض على الجميع وأدعك تحكمين فيهم الرفيع والوضيع حتى يسمع عنتر ويأتى يطلب خلاصهم فأسره وسلمه إليك وترى ما تقر به عينيك ونكون قد أخذنا منهم المال وبلغنا الآمال قال فلما سمعت أم ناقد ذلك المقال طاب قلبها بذلك السؤال وقالت إن كان ولا بد فاعطنى هذا الأسير حتى أعذبه العذاب الكبير وأطحنه طحن الحنظلة والشعير فقال لها أفعلى ما بدا لك نجح الله أعمالك فعند ذلك وثبت أم ناقد مثل اللبوة إذا فقدت أشبالها وأخذت السوط ودخلت على عمارة البليد وهو مشبوح فى أربع سكك من حديد وهو يقاسى العذاب الشديد فلما دخلت عليه قالت ويلك يا ابن الأنذال من تكون أنت من الرجال فقال لها يا ستاه أنا عمارة بن زياد أخو الربيع شيخ بنى عبس الأجواد فقالت له اليوم آخذ ثار ولدى منك يا ابن الأوغاد ثم إنها جعلت تضربه ضرب الحقود وتأكله بأسنانها مثل القرود فقال لها عمارة وهو لا يعرفها يا أم الرجال الأبطال لأى شىء تفعلين معى هذه الفعال وأنا إشتريت نفسى بالنوق والجمال والمال الكثير والنوال وقد مضى الرسول يأتى به فى عاجل الحال فقالت له أنت تظن أن تفدى نفسك يا ابن الأنذال فوحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والأصنام لو أتيت بجميع

مالك من الانعام ما خلصت من هذه الآلام ولا بد لى أن أذبحك مثل الأغنام وأشرب من دمك مثل المدام فقال لها عمارة ولم ذلك يا ستاه فقالت أما تعلم من أنا يا ابن اللئام فقال لها لا وحق الملك العلام قال فعرفته العجوز بنفسها وأعلمته بحسبها ونسبها وقالت له أعلم أيضا أن العبد الذى أنفذه مفرج بن همام يأتى بالمال والانعام كله زور ومحال حتى يأتى قومك ويأخذهم ويقبض على الرجال قال فلما سمع عمارة منها ذلك الكلام أيقن بالهلاك وعلم وقال فى نفسه هذا شىء ما كان لى فى الحساب ولا ظننت بأن تجرى هذه الأمور والأسباب فوالله ما بقيت التذ بطعام ولا بشرب مدام إذا لم يأت هذا الأسود الحجام فى طلب عبلة بدر التمام ويخلصنا من هذا الانتقام وأنا وحق اللات والعزى ما برحت مما أنا فيه عن ذلك هؤلاء اللئام وأموت وأنا من دون جميع الأنام (قال الراوى) فهذا ما جرى من هؤلاء وما حصل لهم من الأحكام وأما ما كان من أمر الربيع القرنان فانه صار فى قطع البر والآكام ومعه أخوته وتمام المائتين فارس كما ذكرنا فى الكلام ومازال يطوى الأرض طى إلى أن بقى فى ديار طى فقال لمن معه أعلموا يا بنى الأعمام أننا حصلنا فى ديار القوم وأتينا نخلص أخانا ونبرى أمر العتب واللوم وما بقى فى الامر إلا حسن التدبير من قبل أو يعلموا بنا ويأتينا الصغير والكبير فقال له أخوته لا تترك شيئا من التدبير وأفعل ما بدا لك ونحن الجميع نتبع أفعالك حتى لا يقال عنا عند سائر الرجال أن بنى زياد حصلوا أخاهم بالنوق والجمال وتصير معيرة فى سائر الأطلال فقال سيروا وطيبوا نفوسكم أزال الله عنكم تعريفكم فوالله ما وصلت إلى هذا المكان حتى أحكمت التدبير وفعلت فعلة يعجز عنها كل فارس خطير لأجل أن نخلص أخانا من ذلك العذاب النكير ونعود كلنا سالمين فى سعادة وتمكين فقالت جميع الرجال وكيف ذلك المقال فقال لهم ننزل الليلة على غدير الجرعة ونحن على ذلك الا يضاح إلى أن يصبح الله علينا بالصباح ونتمكن فى تلك الآكام ونرسل إحدانا إلى مفرج بن همام يقول له أيها الأمير والفارس الخطير أعلم أننا نحن من بنى عبس الأبطال ونحن عشرة رجال وقد أتيناك بما طلبت من أخينا وهى النوق والجمال كما اتفق بينك وبينه من المقال فلقينا رجال من الأعداء الأنذال فأخذوا جميع ما معنا من الأموال والخيل والجمال وما رضينا من أجل ذلك أن نقاتلهم خوفاً من سفح الدماء وأنت تعلم أننا فى أرضك والحمى فقم خلص مالك لأنه ما أتى الا على إسمك وقد نهب فى أرضك وإلا عايرك الناس إلى الأبد ما أقام قائم أو قعد وأنا أعلم أنه إذا سمع ذلك المقال يركب فى نفر قليل من الرجال ولا يعلم من نفسه من الشجاعة والقوة والبراعة ونكمن له فى ثلاث مكامن حتى أنه يبقى فى أوساطنا هو

ومن معهم فتهجم عليهم ونقبضهم قبضاً بالأكف وتسوقهم أسارى وهم أذلاء حيارى ونسير إلى ديارنا وحمانا حتى نفادى بهم إخواننا قال فلما سمع أخوته ومن معه هذا التدبير فرحوا واستبشروا بعد التكدير وكان بينهم رجل ذو هيبة ووقار وسطوة ومدار يسمى أنس الجواد وهو أخو الربيع بن الزياد فقال له الربيع سر يا أخى إلى مفرج بن همام وأخبره بذلك الكلام وزخرف له الأمور والأحكام قال فسار أنس من وقته وساعته وهو يجدو يتأمل فى فكرته إلى أن وصل إلى مفرج بن همام فى رحلته وبدأه بالسلام فرد عليه السلام وقال له من أنت من العرب الكرام أخبرنى بحالك وأوجز فى السؤال وأصدقنى فى المقال فأعاد عليه أنس ما دبره الربيع وقد ثارت رأسه نخوة الرجال الكرام وقال وحق الملك العلام رب زمزم والبيت الحرام لا سرت فى هذا الأمر إلا وحدى ولا يتبعنى أحد من جندى وهب فإن يكون ما كان ولا صاحبت أحداً من الاخوان ولا أخذت معى مصاحب ولو أن الأعداء بعدد الكواكب أيكون مالى أنى على اسمى وتنهبه الأعادى وهو فى أرضى وبلادى لا كان ذلك أبداً ولو أننى شربت كأس الردى ثم أن مفرجا أراد أن يسير فى تلك الفدا فدفا عترضته العجوز سلمى أم ناقد بن الجلاح وقالت له ويلك يا بن العم ما هذا الأمر الذى اعتراك وأى شىء الذى حل بك ودهاك أخبرنى بما جرى من الكلام لأنى رأيتك أصغيت إلى الكلام من هذا الرجل ابن اللئام فأعاد عليها مفرج ما سمعه من أنس وعيناه تشتعل فى رأسه مثل القبس حتى صارت تحاكى النار التى فى الغلس قال فلما سمعت من مفرج هذا الكلام صار الضيا فى وجهها كالظلام وعبست وهمهمت وقالت وحق الكعبة الحرام وما عليها من الآلهة والأصنام أن جميع ما سمعته زور ومحال ولا ينطلى على هذا المقال وإن سرت وقعت فى الأسر والإعتقال وخلص العبسى من غير نوق ولا جمال والدليل على ذلك الايراد أن العبد الذى أرسلته إليهم ما عاد فقال لها مفرج صدقت يا خالتاه فى ذلك المقال وكيف التدبير فى الأمر العسير فأخبرنى بما عندك من المقال لأنه ما فيه شك ولا محال فقالت له أقبض على ذلك الرجل المخذول الذى أتاك فى صفة رسول وأجعله مع ابن عمه حتى يعلم عاقبة فعله وبعد ذلك فاركب أنت فى أبطالك الأمجاد وسر إلى هؤلاء الأوغاد واحملوا عليهم حملة الآساد وأسروا من تأسروه والذى يمانع عن نفسه فاقتلوه وقد بلغتم الآمال وبان لكم الصدق من المحال لأنك أنت معول على قبض الرجال الذين يأتوك بالفدا والمال وهاهم فعلوا تلك الفعال ويتم عزك عند جميع ملوك العربان قال فلما سمع مفرج من العجوز تلك

الكلام رأى فيه الصواب فرجل أنسا أولت جواده وأمر العبيد أن يوثقوا اشداده وقال لهم سوقوا هذا الكلب إلى المضرب الذى فيه ابن عمه واتركوه عنده فى همه وغمه إلى أن تأتى أولاد عمه وننزل بهم الشدائد ونضرب رقابهم فى يوم واحد ونأخذ الثأر ونزيل العار ونسير بعد ذلك إلى ديارهم ونجعلها خراباً يزعق فيها والغراب هذا وقد فعلت العبيد بأنس تلك الفعال وأنزلوا به الذل والوبال ثم صاح بعد ذلك مفرج بن همام فى أبطاله ورجاله وانتخب منهم مائتى فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس كلهم أقيال شجعان عرفوا الفروسية فى حومة الميدان فأخذهم وسار يقطع البر والفدفد وقد طلع على أشداقه الزبد قال وكانت العبيد لما أخذوا أنس بن زياد أدخلوه على أخيه عمارة القواد فلما رآه وصار عنده كادت روحه أن تخرج من جسده وقال له يا أخى ما الذى أوقعك فى هذا المكان وأنت فى ذلك الهوان والله لقد قطعت ظهرى وحيرتنى فى أمرى قال فلما سمع منه أنس هذا المقال قال له كل هذا من أجلك يا مذلول السبال لأجل ما فعلت من الأعمال ثم أعاد عليه جميع ما جرى وكيف أنها عرفته بالقصة وكيف قبض على من غير إمهال فقال عمارة وقد بكى من هذه النوبة المشومة والفعلة المذمومة التى انقطع فيها أثرنى زياد وقد شمتت بنا جميع الحساد وما بلغت من عبلة مرادو لا طفيت لهيب نار الفؤاد فقال أنس والله يا عمارة هذا كله من فعلك ولا وقعنا فى ذلك البلاء إلا بسبب عملك لأننا نهيناك عن عبلة مراراً وأنت ما تنتهى وما فعلت إلا ما تشتهى ولا سيما إن قتلنا مفرج بن همام وقتل أيضاً جميع أخوتك الأجواد فإنه يشمت بنا ذلك العبد ولد الزناعنتر بن شداد لأنك أكبر أعدائه أنت وأخوك الربيع ويكن مشوم رأيك الشنيع فقال عمارة لقد صدقت يا أخى فى هذا المقال ولكن ما صفا إلى الزمان بعبلة ولا حظيت بعبلة ست البنات والنسوان ولو كان شهراً واحداً أو أقل من ذلك فقال له أخوه أنس سلط الله عليك وعليها غلبان الزمان يا ويلك أنت مجنون أو مصاب إبتلاك الله يا قرنان بأشد العذاب قال فهذا ما كان من هؤلاء وما حل بهم من الأمر الشنيع وأما ما كان من الأمير الربيع فإنه لما أرسل أخاه بذلك الخطاب تفرغ بعد ذلك لما يدبر من الأسباب وقسم من معه ثلاثة أقسام وقال لهم إذا رأيتم مفرجاً قد قبل مع أخى أنس فنادوا به وأنتم مبادرون وقولوا له أيها السيد المفضال نحن الذين أتيناك بالمال والنوق والجمال وأردنا أن نخلص ابن عمنا من الاعتقال فبينما نحن سايرون فى تلك القفـــار وإذا قد لاح لنا غبار

وانكشف عن خمسمائة فارس جبار وأخذوا منا النوق والجمال وها نحن قد جئنا أعلمناك حتى تخلص أموالك من أعدائك ثم سيروا بين يديه فى هذه التلال والرمال حتى نخرج من المكامن عليه فى ساعة الحال ونأخذه قبضاً بالكف من غير ضرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال فقالوا سمعاً وطاعة ثم إنهم فعلوا ما أمرهم به الربيع فى تلك الساعة ووقفوا فى البر والآكام وإذا قد أقبل عليهم مفرج بن همام ومعه من ذكرنا من الأقوام فلما أن رآه هؤلاء الرجال تبادروا إليه فى عاجل الحال وأرادوا أن يعلموه بما قدمنا من المقال فلم يمهلهم ولا سمع منهم خطاباً ولا كلاماً ولا جوابا بل إنه أرسل عليهم من حسامه أنواع العذاب وأسقاهم كاس الشراب وفى دون ساعة جرح منهم سبعة وانهزمت الثلاثة وقد فروا فى الصحراء وساروا إلى المكان وأخبروهم بما قد جرى فعند ذلك خرجت الكمنة وهم منذهلون هذا ومفرج كان تبع المنهزمين ليكشف صحة هذا الأمر فبينما هو وقواله على ذلك الحال وإذا بالكمنة خرجوا عليهم من اليمين والشمال وظهرت جميع الفرسان من كل جانب ومكان وقد تصايحت يا آل عبس يا آل عدنان فعند ذلك ظهر الحق وبان الكتمان وعاد مثل الأسد الغضبان وصار يطعن الفرسان ويجندل الأبطال والشجعان قد أبلاهم الذل والهوان قال هذا والربيع ينادى لبنى زياد ويحرضهم للحرب والجلاد ويقول والله ما كانت الحيلة إلا محكمة ماتخطر على بال احد من العباد ولكن ما سعدنا الزمان ولا حوادث الأيام ولا توهمنا أن هذا الشيطان ينفر علينا بهذه الفرسان ويعلم ما دبرنا من هذه الأسباب وفى هذه الساعة ما بقى ينجينا إلا الضرب بالسيوف والصبر على شرب كاسات الحتوف وإلا شمتت بنا الأعداء والحساد ولاسيما عنتر بن شداد لأنه لنا من جملة الأضداد ثم إنه حمل واقتحم الغبار وتبعته فرسانه الأخيار واعتمدوا على الضرب بالحسام البتار حتى ظهر من حوافر الخيل شرار النار وتقطعت الأوداج وقصرت الأعمار وفارت الدماء حتى صارت تجرى كماء الأنهار وعلى الجميع الغبار حتى خفى وأعمى الأبصار هذا وقد بكت الأرواح لما خرجت من الأجساد وطارت الجماجم من وقع السيوف الحداد وطلعت الأرواح على أسنة الرماح الصفاد وكثر الحرب والجلاد وزادت بين الطائفتين الأحقاد وكثر بينهم العناد وتقدمت الرجال الأجواد وصبرت للحرب والجلاد وقد خسرت بنو زياد من ذلك الحرب والقتال والتجأت إلى سقائف الجبال وقد قتل منهم خمسون فارساً ريبال وجرح أكثر من ذلك المقدار وقد هبرهم مفرج هبراً ونثرهم

خمسة وعشراً وماز الوا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالانسبال وقد ذهب النهار وافترقت الطائفتان عن الحرب والقتال وبات مفرج وهو يقول وحق اللات والعزى لقد كان الرأى مع العجوز أم ناقد سلمى ولولا مشورتها كنا خسرنا وكانت اشتفت الاعداء منا والساعة بلغنا المنى ونلنا المسرة والهنا وفى غداة غدا أخرج البراز وأنجز أمرهم غاية الانجاز ونحمل عليهم أجمعين ونتركهم فى أمرهم متحيرين ولا نترك منهم من يخبر بخبر وإن أتى عبدهم عنتر كان الحظ الأوفر لأنى أريد ان أحمله إلى أم ناقد وأهبه لها حتى تأخذ منه بثأر ولدها وأصير افتخر بذلك فى جميع القبائل وأذكر بهذه الفعلة عند ساير الابطال والجحافل قال ثم أن مفرجاً قام ينتظر الصباح حتى يروى من دمائهم البطاح وأما الربيع فإنه بات بليلة طويلة وقد ندم لكونه ما حمل المال ليأخذ أخاه عمارة وقد أيقن بالذل والخسارة وما رأى على نفسه أنه يهرب لأنه خاف من معيرة العرب فاقام ينتظر العرضيات والأمور المخفيات وقد أظهر لقومه الصبر والجلد وأخفى عنهم الهم والكمد وماز الوا على ذلك الايضاح إلى أن طلعت غرة الصباح فبرزت الطائفتان يطلبان الحرب والكفاح وقد ركبوا على الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح هذا وقد برز مفرج إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب الحرب والطعن والنزال وقد أيقن بانالة الظفر وزال عنه الغم والكدر وصال وجال ونادى وقال ياويلكم يابنى زياد نحن قلنا أنكم تاتونا بالمال والنوق والجمال وتفدوا أخاكم من الأسر والاعتقال فجئتم أنتم بالرجال والأبطال وقدمتم إلى الحرب والقتال واحكمتم التدبير فى رأى البال وظننتم أنكم تبلغون منا الآمال فابشروا بالذل والخبال والوبال والنكال هيا ابرزوا إلى المجال ومحل الطعن بالعوال وأعلموا أن رسولكم قد قبضناه ومع رفقته قرناه وانتم إلى هذا الأمر مصيركم ولا بدلى عن ذبح كبيركم وصغيركم ثم أنشد وجعل يقول

قراع الخيل بالأسل والدقاق ... وضرب الهام بالبيض الرقاق
أحب إلى من قرع الملاهى ... على كأس وأبريق وساقى
ظننتم يابنى عبس بأنى ... أموت وعبدكم فى الأرض باقى
لقد حدثتموا عنا نفاقا ... وهذا بعض عاقبة النفاق
وقد أقسمت أيمانا بأنى ... أشتت شملكم عند التلاقى
واسقى من دم الأعداء رمحى ... إذا جالت على قدم وساق

(قال) فما تم مفرج من شعره حتى قفز إليه أخو الربيع وكان يسمى قيس الجواد وحمل

عليه وأخذ الاثنان فى الطراد والجلاد والطعن بالرماح حتى عاد بياض النهار سوادا وطلع القتام وزاد وتقربت الرجال الى المعمعة ومدت أعناقها وصارت متطلعة تنظر ان يكون النصر وإذا بزعقة مفرج بن همام وقد علت من وسط القتام وقد أخذ قيساً أسيراً وقاده ذليلا وسلمه إلى عبيده فأوثقوه بالحبال وعاد مفرج يطلب الحرب فخرج إليه طالب الدراك فحل بنى زياد فصدمه مفرج بن همام صدمة الأسد وفى يده رمح معتدل القوام ومتقلد بسيف مليح الهندام جيد الاعتقال يبرى الجسم والهام وعلى رأسه بيضة عادية مشرفة بهيجة ثم حمل على مفرج بن همام حملة الليث الضرغام فالتقاه الآخر كأنه الصقر إذا حام والتقى الاثنان فى وسط الميدان وأخذا مع بعضهم فى الضرب والطعان وقد أوسعا لهما فى الأرض ميدان وقد تحيرت منهما جميع الفرسان وإذا بمفرج صدم طالباً الدراك صدمة العدم والهلاك وطعنه بالرمح فرماه على وجه الأرض فكادان يرض عظامه رض وساقه إلى قومه أسيراً وقاده ذليلا حقيراً ثم أن مفرجاً عاد إلى الميدان ومحل الضرب والنزال وطلب براز الشجعان فخرج إليه عروة بن الورد وهو على جواد أصيل الجد أسيل الخد شديد القوى والحيل رابى الكفل سايل الذيل وفى يده رمح طويل سنانه يضىء كأنه قنديل وعلى رأسه بيضة عادية ملمومة مجلية ثم أنه صال وجال وأنشد وقال :

دع الفخر فالأيام تبنى وتهدم ... وتنصف من غير اقتصاد وتظلم
وانرفع من قد عاش فى الذل عمره ... وتضحك مهموماً وتعطى وتحرم
ومن كان غرا بالزمان حلت له ... مشاربه عند الصفا وهى علقم
عدمت عنان الخيل إذا لم اخض بها ... بحار المنايا والغبار مخيم
واضرب بالهندى حتى يملنى ... ويرجع بعد القطع وهو مسلم
وأبذل دون القوم نفسا عزيزة ... بسمر القنا حتى تعز وتكرم

قال فلما فرغ عروة من شعره ونظامه زعق وهجم على خصمه فتلقاه مفرج كأنه النمر والتقى الاثنان فى الميدان وأخذا فى المهاجة والجولان حتى كلت منهما الأرواح فى الأبدان ودام الأمر بينهما حتى طلع الغبار إلى العنان وجرى بينهما عجائب تذهل قوى الجنان هذا ومفرج قد سطا على عروة واستطال وهجم عليه هجمة الأسد الريبال إذا فقد أولاد الأشبال وقبض عليه وأخذه أسيراً وقاده ذليلا حقيراً فعند ذلك علت على بنى عبس الضجات وطلبتهم بنو طى ومن سائر الجهات فحمل الربيع بن زياد وتبعه ورفقته الأجواد واشتد بينهم القتال والجلاد قال وكان خبر هذه الواقعة شاع فى جميع الرجال والأبطال

حتى حشروهم بين الجبال والجئوهم برمى النبال فقالت العقلاء للربيع بن زياد والله لقد هلكنا بين العباد وكثر علينا الشر والعناد وقد حل بنا الردى وما بقى فينا من بقى إلى غدا فقال الربيع ما الذى نفعل فى ذلك الأمر النكير وقد وقعنا فى بحار المقادير والله ما فعل بنا تلك الفعال وأوقعنا فى الخسارة إلا الصقيع الرقيع أخى عمارة وما فعل بأحد مثل ما فعل وقد شمت بنا عنتر ولدالزنا وما بقى فى الأمر مثل المرام إلا أننى أجىء غدا إلى مفرج بن همام وأطلب منه لأرواحنا الزمام ونقيم عنده فى الأسر والاعتقال إلى أن نشترى لأرواحنا منه بالمال والنوق والجمال ثم أنهم أقاموا ينتظرون الصباح حتى طلع ولاح وهم قد حل بهم الظماء وصاروا يتمنون فى شربة من بارد الماء قال فلما أضاء النهار وبانت الانوار أرسل الربيع رسولا إلى مفرج بن همام يقول أيها البطل الدرغام والسيد الهمام أعلم أن العرب الكرام لا يفتخرون على الأعجام إلا بحفظ الذمام وإطعام الطعام والصدق فى الكلام والمسامحة عند الخطا والبذل فى الأكرام والعطا ونحن قد اعترفنا بذنوبنا ونريد منك الذمام على أرواحنا حتى أننا نسلم إليك نفوسنا ونعطيك ما تقر به مقل عينيك ولا تطلقنا حتى يصير الفداء بين يديك لأننا قد قل من القوى والحيل وصار النهار فى وجوهنا مثل الليل وذلك بما حل من الظمأ لأننا كما نعلم ما عندنا شىء من الماء وإن كنت لا تفعل تلك الفعال من الأبطال الذين يخشون العار والذل والشنار حتى أننا نبذل بين يديك المجهود ونموت تحت الرايات والبنود فقال عند ذلك سار الرسول باهتمام إلى أن وصل إلى مفرج ابن همام وشرح له ما قدمنا من الكلام فعند ذلك زاد به الضحك والإبتسام وقال له يا ويلكم يا بنى زياد اللئام الأوغاد أنتم ما بقى لكم عندى ذمام بعد ما كذبتم فى الكلام ولا سيما وقد لحقتم بأسيادكم العبيد اللئام فوحق مسبب الاسباب ما بقى لكم خلاص من ضرب الرقاب إلا أن كنتم ترجون عددكم وتترجلون خيولكم وتأتون إلى عندى حتى أجز نواصيكم وأقطع آذانكم فقال العبسى وكان إسمه جميل تأن يا مولاى على قليل ولا تطلل على فى القال والقيل فها أنا قد وصلت اليك وسرت بين يديك فخذ هذه فرسى وعدتى وأقطش أذنى ولحيتى ودعنى أبل من الماء كبدى اسقى غلتى قال فلما سمع مفرج هذا الكلام أبدى الضحك والإبتسام فأعطاه الذمام ومكنه من ورود الماء فشرب حتى روى من الظمأ وقال له أنت فى زمامى دون أصحابك ولا كنت أول مقتول وأما قومك فلا بد لى من أهلاكهم وأن أجمع بهم نساهم أن لم يرحلوا المكان محبة لهم من الفرسان وإلا نزلت بهم الأوابد وأصابهم يوم واحد ويشفى

بذلك قلوب أصحاب الدماء من كل من أكل الخبز وشرب الماء قال فعند ذلك عاد جميل إلى الربيع بن زياد وأخبره بما كان بينه وبين مفرج من ذلك الإيراد وذلك بعد ما تركه شرب حتى اكتفى وقد أمن على نفسه من الجور والجفا قال فلما سمعت بنو زياد ذلك المقال خافوا فقال الربيع موتوا كراما ولا تعيشوا لئام فعند ذلك قال جميل والله أن سلامة الرجل هى ربحه طول الزمان وإذا سلمت مهجته فدعه يعيش بغير ناصية ثم أنه لوى عنانه وصار طالباً الأوطان وأما الربيع ومن معه من الرجال أخذوا أهبتهم إلى الحرب والقتال وقد أيقنوا بالهلاك والوبال فبينما هم على ذلك الحال وإذا بمفرج ومن معه هجموا عليهم من اليمين والشمال وقصدوهم بالرماح الطوال فما كان غير ساعة حتى أخذوا الجميع فى الحبال وصاروا فى الذل والاعتقال بعد ما هلكت أكثرهم وصاروا ممدين على الرمال وفى الجملة ربيع بن زياد وقرنوا الجميع فى الاصفاد وعاد مفرج إلى حلته وفرح بما ناله بين أهله وعشيرته وقد وقعت فى الحلة البشائر وخرجت إلى ملتقاهم الاماء وفى أيديهم الدفوف والمزاهر وهنوه بالسلامة والنصر وقالوا له لازلت مؤيدا طول الزمان والدهر قال وكان أعظم الناس مسرة وزيادة وأفراح العجوز سلمى أم ناقد بن الجلاح وقد صارت تلطم وجوه المأسورين وتعذبهم العذاب الأليم وتقول وحق اللات والعزى لابد من شرب دمائكم مثل ابن النوق وأعذبكم عذاباً ما عذب به قط مخلوق ولا أقنع بسائر بنى عبس فى دم ولدى ناقد بن الجلاح ولأعذبكم فى الغدو والرواح والمساء وعند الصباح وأنا أسأل رب البيت الحرام أن يبقى لى حياة مفرج بن همام هذا وقد جعلوا الأسارى فى الخيمة التى فيها الأمير عمارة وقد حل بهم الذل والخسارة وأيقن كل واحد منهم أنه هالك وقد حكم عليهم بذلك مالك الممالك قال الراوى ثم أن مفرجا أرسل جماعة من عبيده إلى جميع أمراء القبائل يأمرهم بالحضور الفارس منهم والراجل ليشاهدوا صلب بنى زياد وما يحصل لهم من الويل والانكاد وقد أرسل إلى مجلم بن حنظلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدماء يبشرهم بما فعل وبما أنعم الله عليه من ذلك العمل قال ومن شدة ما حصل له من الفرح والاهتمام أمر بذبح النوق والأغنام وأن يروجوا الطعام ويروقوا المدام وأخذوا فى اللهو والطرب والحديث والكلام هذا ما كان وماجرى لهم من الايراد وأما ما كان من أمر بنى زياد وما حل بهم من الويل والانكاد فأنهم لم يزالوا يبكون على ما حل بهم من الخسارة وهم الجميع يلومون ويعنفون أخاهم عمارة على ما فعل من تلك الإشارة وهو من شدة ماجرى عليه وما دهاه وينادى واحسرتاه

وامصيبتاه وقد صار جاري الدمعة وكثر عليه الهم من تلك الفجعة وصار لا يرى خطابه ولا يبدي جوابا هذا وعبلة قد حصل لها الفرح لما رأت بني زياد في الأسر وقد خف عنها ما حل بها وبقيت منتظر الفرج بقدوم ابن عمها فهذا ما كان وما حصل وأما ما كان من مفرج ومن عنده من بني الأعمام فإنه صار يشرب معهم المدام وقد أكثروا من الحديث حتى سكروا وانتشوا وانعجموا عن الكلام فأخذه مفرج الوسواس بذكر عبلة وقد صار من أجل حبه في ذلة فدخل إلى بيته وهو يميل من الخمر وقال لأمه وحق ذمة العرب الأخيار وما بقيت أنام الليلة ولا يقر لي قرار حتى أبلغ من جارتي العبسية ما أختار وإلا قتلتها وأنزلت بها البوار بعد ما أذبح بين يديها من بني عمها خمسين فارساً أخيار وأشفي قلبي منها سريع وأول ما أبدأ بهذا الذي يقال له عمارة وبأخيه الربيع وأضربهما بعد ذلك الضرب الوجيع قال الراوي فعند ذلك خرجت أم مفرج إلى المضرب الذي فيه الإماء والمولدات ونادت بعبلة فأتت إلى حضرتها في أسرع الأوقات فقالت لها أعلمي أن مولاك في هذه الليلة طافح سكران وقد حلف وشدد الأقسام والإيمان أنه سوف لا يرقد الليلة ولا ينام إلا وأنت حضينته في المنام وإلا ذبح من بني عمك خمسين غلام فاقبلي مني هذا الكلام وأجيبيه إلى ما أراد من المدام وقد نلت ما تشتهين من الأمر والشأن فلعلك أن تنزلي في قلبه وتشفعي في بني عمك مما نزل بهم من الآلام فعند ذلك قالت لها عبلة اسمعي يا عجوز ما أقول من الكلام فوحق من رفع هذه السماء وأجرى بقدرته الماء وعلم آدم الأسماء لو أن ابنك يقطعني قطعاً قطعاً ويبضعني بضعاً بضعاً وذبح جميع بني عبس وكل من طلعت عليه الشمس ما يراني له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة وإن رأيته جد في قتلي فأنا أقتل روحي بيدي ولا أدعه يتحكم في مهجتي قال فلما سمعت أم مفرج منها ذلك الكلام وما أقسمت بها من تلك الأقسام زادها الغيظ والغرام فلطمتها على وجهها وقالت للإماء خذوها إلى عند سيدهم يفعل بها ما يريد كما تفعل السادة بالعبيد فعند ذلك دارت بها الإماء وصرن يجذبنها وهي تضج بالبكاء وتكثر من الأنين والاشتكاء وتقول يا آل عبس يا آل عدنان ما من أحد يخلصني من قبضة هذا الشيطان ولم تزل تملن بذلك التناد حتى سمعها أسارى بني زياد فقالوا للموكلين بهم يا وجوه العرب الأجواد أي شيء جاء لبنت عمنا في هذا الليل الهاذل وهي تولول كأنها حمامة الوادي فخدثهم بعض الرجال بما جرى وأخبرهم بما تم وما طرا وأن مفرجا حلف بالكعبة الغراء وأبي قبيس وحراء إن لم تطعه عبلة على ما يريد وإلا أهرق دماكم على وجه الصعيد فقال عروة بن

الورد هذا عمل جيد مافيه احتجاج وأنا أسأل إله السماء أن تزيد عليه عبلة فى اللجاج وتغلظ عليه فى الخطاب حتى يضرب بنا الرقاب ويريحنا مما نحن فيه من العذاب فوالله لو قبل منى ما تعرض لها لأنها مشومة على كل من طلبها فما فرغ عروة بن الورد من ذلك المقال حتى سمع صياحاً قد علا وقعقع فى الجبال وصراخاً قد أذهل جميع الرجال وجميع من فى الحى قد جفل والسيف يعمل فى جنباته أوفى عمل فقال عروة هاقد جاء العمل وقد طلع من ناحية الجبل فوحق من مصيرنا كلنا إليه ليعرفن مفرج شؤم طلعة عبلة عليه ويحل به القتل والخبل ولو أنه فارس السهل والجبل ثم أنه جعل يستمع إلى تلك الأصوات التى أقلقت تلك الوديان وإذا هم يصيحون يا لعبس يا لعدنان وقد تصاعد نداء عنتر وعلا وقعقع فى جنبات الفلا وصار السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل وتغلى كغليان المرجل وصارت الرجال تتنافر من بين الاطناب ويصدم بعضها بعضاً هى طالبة الهرب والذهاب مما حصل لها من الخوف والارتياب (قال) وكان السبب فى وصول عنتر إلى هذا المكان أنه لما سار كما ذكرنا من الأوطان وجرى ما قدمنا من الأمر والشأن لم يزل سائراً وقد انكوى قلبه بالنار أقوى كى حتى أنه قارب بنى طىء وقد أراد أن يرسل أخاه شيبوباً يكشف له أخبار من فى الحى ويعلم ماجرى للربيع وأخوته مع مفرج بن همام وإذا هم بفارس قد أقبل عليهم من تلك الآكام فعندها تبينه عنتر وهو فى الصحراء وإذا به جميل العبسى الذى جرى له مع مفرج ما جرى فقال له عنتر يهنئك سلامة النفس فقال له الشيخ جميل جزاك الله خيراً يا حمية بنى عبس ثم أنه رمى روحه إلى الأرض وقد اختبط فى بعضه البعض وانهد منه أساسه وحثى التراب على رأسه وصار ينادى أهله وناسه فتقدم إليه شداد أبو عنتر وقد صعب عليه ما حصل له من ذلك الضرر فأخذ بيده بعدما حصل له من الضير وقدمه إلى مالك بن زهير فسأله عن حاله وعن الأمر الذى جرى له وناله فقال له أى شىء أقول لك من المقال أما تنظر إلى ما حل بى من سوء الحال لقد أسرت بنى زياد وفقدت الرجال الأجواد ما بقى منهم إلا نفر قليل وقد حل بهم الامر الوبيل فلو رأيت إليهم ورماح الاعداء تنهبهم من كل جانب وقد هلك الجميع وحلت بهم المصائب ثم أنه علمهم بجميع ما حصل لهم فقال عنتر لقوا بغيهم وأوقعهم الله فى شر أعمالهم ثم أنه قال لمالك وجميع من معه أى شىء عندكم من الرأى الذى نريد أن نضعه فقال مالك بن زهير الرأى عندى يا أبا الفوارس إننا نجد المسير لعلنا أن نخلص الربيع ومن معه من ذلك الامر النكير حتى يعلم أنه عتيق سيفك وأمين خوفك ولا صار يشوى لك سوء أبداً ما عشت بطول المدا فقال عنتر يا مولاى وحق مالك على الأيادى الجميلة والنعم

الجزيلة أنا أعلم أن بغضتي ما تتغير من قلب الربيع بن زياد وكذلك أخوه عمارة القواد ولو جعلت منزلتهما فوق ظهر الغمام ما دعلوا معي إلا القبيح طول المدا والأيام وأما قولك أننا نلحقهم وهم في القتال فما هم من الرجال الذين يصبرون على الأهوال وأنا أقول أنهم الساعة في القيود والأغلال وذلك أن جميلا ذكر أنه ما بقي فيهم رمق لقلة الماء وكثرة الفرسان الذين ملؤا البيداء وأنا عولت على أني أنا كر القوم في جنح الظلام وأدوس بخيلي في وسط الخيام وأبدل الأفراح بأتراح وأخلف في ديارهم البكاء والنواح وأخلص عبلة قبل أن يصبح الصباح (قال) ثم أنه طوى الأرض طي حتى أنه أشرف على ديار بني طي فرأى نيرانهم خامدة الوقيد وقد نامت السادات والعبيد فقال عنتر لصديقه مالك خذ أنت الميسرة واتركني أنا للميمنة ونهجم عليهم وفي رقبتهم وأنظر ما فعل بهم عند غفلتهم ثم أنه أخذ معه خمسين فارس ليوثا عوابس وهجم بهم بين المضارب والخيام وترك الأمور والأسباب قال وكان مفرج في انتظار عبلة حتى يأتي إليه إلى أن أصبح الصباح فذهب السكر من رأسه وضاقت الدنيا عليه فخرج من باب المضرب وصاح في عبيده ويلكم قدموا إلى الجواد وأتوني بعدة الحرب والجلاد حتى أكشف هذه الأمور والأسباب فأمل القضاء والقدر ساق أسود بني عبس إلى هذه الديار وزين له الشيطان تلك الأخطار فوحق ذمة العرب الكرام والبيت الحرام أنهم ما أتوا إلا لفراغ آجالهم وقصر أعمارهم وهلاكهم ودمارهم قال وكانت عبلة قد سمعت صوت عنتر مثل الرعد القاصف فسكن قلبها بعد ما كان راجف ونسيت ما كانت من العذاب وزال عنها الحزن والارتياب ونادت وفاتك ما كنت ترجوه من الوصال بقدوم قاطع الأوصال وانقض عليك عقاب بني عبس وخلص غزالة الوادي من بين يديك وفي هذه الليلة تنوح أمك عليك فلما سمعت أم مفرج من عبلة ذلك المقال لطمتها على رأسها فجرحتها وقالت لها اسكتي يا بنت العواهر لا عشت ولا بقيت أتظنين أن يبقى لك ناصراً أو معين يخلصك من هذا العذاب المهين يا ويلك يا بنت اللئام تدعي علينا وأنت أسيرتنا والساعة تزين رأس هذا الأسود الذي ترومين منه الخلاص والفرج وهو مرقد قدامك مدحرج ثم أنها وثبت إلى ولدها فرأته قد ركب جواده وهو يميل عليه لأن الخمر غيب منه رشاده فخافت عليه من نوائب الزمان ومنعته عن ذلك الأمر والشأن هذا وقد صار السيف يعمل في سائر الجنبات والصياح قد زعزع جميع الفلوات وشيبوب يرمي النار من جميع الجنبات حتى حرق المضارب والخيام وصارت الدنيا مثل النهار بعد الظلام وقد شردت البنات والجمال من شدة ما حصل لها

من الحريق وتلك الأهوال وداست أعناق النساء والرجال وقد صعدت فى رؤس الجبال وما زال الأمر على ذلك الحال حتى قرب الصباح بالابتهال وقد تخلت رجال الحى عن نسائهم والخيام وذلك خوفاً من النار وضرب الحسام هذا وشيبوب قد وصل إلى الأسارى الذين هم بنو زياد وهم أيقنوا بالهلاك من ذلك العذاب والانكاد وكانت الرجال الموكلون بهم غافلون وكانوا من ذلك الأمر فائقين وجلين والأسرى هلك منهم عشرة رجال من كثرة ما داستهم الخيل والجمال وكانت العجوز سلمى قد نظرت بعينها ما نزل بهم من البلاء والويل وأبصرت ذلك أم مفرج فردت ولدها وصارت فرسان الحى تركب من جياد الخيل وهم كلهم شاردون إلى الجبال وذلك خوفاً من الهلاك وولى مفرج أيضاً وكان أول هارب يطلب لنفسه النجاة من تلك المصائب فلما أن شاهدت أم ناقد هذه الأمور العظام ركبت جواداً من الخيول الشاردة وجردت فى يمينها حسام وقالت وحق الملك العلام الذى خلق الضيا والظلام لاخرجت من هذه الخيام حتى أبلغ من الأسارى مرادى واشفى منهم غليل فؤادى ثم أنها دعست بالجواد وخرجت جماعة من بنى زياد فصاح فيها شيبوب فأدهشها وخبلها وأرعشها وفى عاجل الحال دنا من الربيع وقطع كتافه وكذلك أخوته ومن معه الجميع فصاحوا يا لعبس يا لعدنان فهربت أم ناقد وخافت على نفسها من الهلاك والطعان وما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح إلا وما بقى فى الحى قتيل ولا أسير إلا وأمرهم يصير وكان شيبوب دائراً على عبلة ليحفظها من غائلة الحرب ويداريها من الطعن والضرب فرآها تخوض فى بطون القتلى وتبكى مثل المرأة الثكلى وهى تنشد هذه الأبيات :

يا بنى عبس تلافوا كبدى وخذوا نحوى ابن عمى عمدى
جسدى يضنى بأرياح الصبا كيف يقوى للعذاب السرمدى
وأخبروه أننى فى حيرة وأنا من لوعتى لا أهتدى
ورد وجناتى الذى تعده نشفته أدمع كالبرد
لو لقى بعض الذى لاقيته جلمد لانقض صم الجلمد
غربة دائمة لا تنقضى وبعاد وافتراق أبدى

قال فلما سمع شيبوب نظمها وما قالته من شعرها ونداتها آلم قلبه شكواها وعرفها بنفسه وأعلن بذلك وجهر وأخذها وأوصلها إلى أخيه عنتر وسيفه وسنانه يقطران دما وهو يتمنى أن يرى عبلة مثل ما يشتهى الظمآن شربة من ماء بارد فما أن نظر إلى عبلة

ثم رجل إليها وضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وصار يقول لها أقل يامنية القلب بكاك فلا عاش من يشناك فوالله يا بنت العم يعز على أن يلقى هذا الملتقى أو تنالى بؤساً وأنا فى حياة الدنيا ولكن هذه غدرات الزمان لأنه دائماً غدار وخوان ثم أنه قال لشيبوب أدخل بعبلة بيت مفرج بن همام وكلها فى كل ماله من الحطام ولا تزل مقيما بها فى حفظ حتى أسير أنا إلى مالك بن زهير وأنظر إلى مابه وأشاهد أحواله وما الذى تم عليه من الأعداء قال فدخل شيبوب بعبلة إلى بيت مفرج وطاف فى سائر نواحيه فوجد جميع ما كان على عبلة من الحلل موضوعة فيه ففرح واستبشر وسلم الجميع إلى عبلة فهذا ما كان من شيبوب وأما ما كان أمر أبى الفوارس عنتر فإنه لم يزل سائراً يجد المسير وهو كما قدمنا طالب مالك بن زهير قال وكان مالك ورجاله قد عملوا تلك الليلة عمل السادات الكرام وأبادوا الصدى تحت ستور الظلام فالتقاهم عنتر وهم يركضون بين المضارب والخيام ويهزون فى أيديهم القنا والقواضب وقد شردوا الأعداء فى البر ومالك بن زهير فى أوائلهم كانه العقاب وهو يهمهم مثل الأسد إذا خرج من الغاب وهو يقول:

شكا صارمى فى غمده شدة الظما فقلت له أصبر كى أرويك بالدما
وجردته فى الكف أبيض عابساً فما عاد إلا أحمرا قد تبسما
فمال فتى يلقى المذلة عمره ولا يذكر الفحشاء إلا توهما

قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه أعجبه شعره ونظامه فقال له يامولاى والله ما أنت إلا صادق فى مقالك وهو أقل فعالك ثم أنه هنأه بالسلامة واستخبره عما جرى له فى ليلته فقال والله يا ابن العم ما كانت إلا ليلة تعد بليال ثم انهم افتقدوا من معهم من الرجال فوجدوا أنه فقد ثلاثة عشرة من الأبطال وأما أرض القوم فإنها أصبحت عبرة من كثرة القتلى والدماء قد صبغت الغبراء فعند ذلك قال عنتر لمالك اسمع ما أقول من المقال وأعلم أنه ما بقى لنا مقام فى هذه الاطلال بعد ما قضينا الأشغال وبلغنا الآمال فبينما هم يتشاورون فى أمر الرحيل من هذه البلاد وإذا قد أقبل عليهم الربيع بن زياد ومن معه من آل زياد الأوغاد وأكثرهم رجاله وهم فى أشأم حالة وكان قد بقى منهم مائة وعشرون وهلك الباقون ولما رأى الربيع عنترة الريبال تقدم إلى بين يديه وبكى زوراً ومحال وخديعة فى المقال وقال له والله ما فينا من له وجه يلقاك لأجل فعلنا القبيح الذميم ولأجل مالك علينا من الفضل والتكريم ولكن يا ابن العم الخطأ مركب فى الإنسان وكل واحد يحب لنفسه الزيادة ويكره النقصان والآن قد بين الله فضلك وجمع على بنت عمك شملك وها نحن

بين يديك مثل العبيد فافعل بنا ما تريد لانا بهمتك نجينا من التلاف وبسعادتك فرج الله عنا ما كنا فيه من تلك الاوصاف (قال) فلما سمع عنتر ذلك الخطاب تناثرت دموعه مثل السحاب وعشق الربيع المرتاب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا أخلاى أعدلوا أن شئتموا وأحكموا فى عبدكم حكم الموالى
واعدلوا عنى وخونوا واغدروا وانظروا عند الملمات فعالى
أنتموا سيفى الذى أسطو به وعليكم فى مدى الدهر أتكالى

(قال الراوى) ثم أنه عاد إلى عمارة بن زياد وهنأه بالسلامة مما كان فيه من الانكاد وزال من قلب عنتر الاحقاد وبقيت فى قلوبهم البغضاء وعادوا إلى المضارب للراحة ويداوى كل أحد جراحه وعنتر يقول والله يا بنى عمى لولا الخلف الذى يجرى بيننا ما ذل عبسى أبدا والآن قد رزقهم النصر وهذه ديار بنى قحطان وكل من فيها يتمنون انا القلعان من كثرة ما لهم علينا من الدماء فدونكم أكل الزاد والرحيل من هذه البلاد فقالوا هذا هو الصواب . ثم ذبحوا الاغنام فأكلوا وشربوا فهذا ما جرى لهم من الامر والشأن (وأما ما كان) من مفرج الكتمان فإنه صار يعض على كتفيه من هذا الامر الذى جرى عليه وكاد أن يغشى عليه وبعد ذلك أفاق لنفسه عند أقبال النهار فرأى بنى عبس نازلين فى الخيام وبنى عمه ممددين مثل النيام . قال وكان بنو عبس أخذوا الراحة وأكلوا الطعام وخرجوا بعد ذلك من الخيام وعزموا على المسير باهتمام وفى تلك الساعة أقبلت بنو جديلة الاوشاس وهم فى خمسمائة فارس وهم طالبون الفرجة على طلاب بنى زياد فرأوا ديار مفرج شماتة للحساد فحصل لهم بذلك الافراح فبينما هم على ذلك الإيضاح وإذا قد التقاهم مفرج وهمام وهو فى بكاء ونواح وعلموا بما حل بهم الافتضاح فبينما هو مهموم فى ذلك الامر والشأن إذ أقبلت عليهم بنو نبهان يتقدمهم المهلهل بن فياض الحارثة الطارقة والمصيبة الماحقة فاشتد ظهر مفرج بن همام بهذه الامور والاحكام وانجلت عنه جميع الاحزان وقد أرسل على فرسان بنى نبهان بجميع ما جرى من الاحوال فنالهم أشد منال وصعب عليهم من قتل الرجال وقالوا فى كم كان عنتر حتى فعل بكم هذه الفعال فقال لهم والله يا بنى الاعمام فما كان إلا دون المائتين فارس ولكن هجم علينا فى الظلام ونحن سكارى ما نعقل كلام فبلغ ما اختاره وقتل العبيد والاحرار ورحل من هنا يطلب منازله والديار وخلص بنى زياد وكانوا مائة وعشرين فارسا أمجاد فقال له جابر أبو الاسد الرهيض واذل بنى طىء بين العربان واحراه من هذا العبد الكشحان فوحق

مكون الأكوان الذى خلق الإنس والجان لا نزلت عن ظهر الجواد ولا خلعت عدة الحرب والجلاد حتى أقتل عنتر بن شداد وأبلغ منه ما أختار وأكشف عن بنى طيء ما نزل بهم من العار ثم أنه استمر على حاله واتبعه بنو عمه وسائر رجاله وقد اجتمع بعضهم على البعض وساروا مع مفرج بن همام وهم ألفا فارس تمام غاطسون فى الحديد مسربلون بازرد النضيد لا يخافون الفوت ولا يخشون الموت فدقوا الأرض ضبيا وتقربوا حتى أدركوا عنترا ومن معه عند المغيب وكانوا قد عولوا على الراحة والنزول فى تلك الأرض والطلول . قال فعند ذلك قال مفرج لجابر أى شيء تقول يا ابن العم فى الهجمة عليهم ونضرب فيهم بالصفاح ونهدأ من شرهم ونرتاح فقال جابر ما هذا صواب لأنهم عصابة يسيرة ونحن فرساننا كثيرة وإن اختلطوا بنا ضاعوا فينا فى جنبات الأرض ويلعب السيف فينا طولا وعرض ويقتل بعضنا البعض ونكون طلبنا الزيادة فنقع فى النقصان ونعود بالذل والحرمان والرأى عندى أنك تأخذ أنت ألف فارس وتطلب بها المقدمة ونمسك عليهم طريق ديارهم وأبق أنا فى ألف فارس أخرى على آثارهم وإذا أصبح الصباح انطبقنا عليهم من الجانبين ونبذل فيهم سيوفنا ونمحقهم محقاً فقال مفرج هذا هو الصواب قال وجابر هذا هو الأسد الرهيص الذى يقتل عنتر بعد ما يجرى له معه وقائع تذكر وتكون عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تفكر ولكن ما نذكر كل شيء إلا فى مكانه بعون الله وسلطانه (قال) هذا وقد أخذ مفرج الألف فارس وصار يطلب المقدمة وكانت بنو عبس قد سمعت الصياح وأبصرت لمعان أسنة الرماح وبريق الصفاح فقالوا لعنتر أى شيء عندك من الرأى أدركتنا الأعداء وملوا علينا البيداء وأنت تعلم ما فى قلوبهم من النيران وما نظن إلا أنهم نظروا إلى قلتنا فاحتقرونا ولا خطرنا لهم على بال ونراهم ما حملوا ولا حصل عندهم إهتمام ونظن أنهم يقاتلونا فى الظلام ويهجموا علينا ونحن نيام نخذوا الأهبة للقاهم حتى نقطع أقصاهم وأدناهم فقال لهم عنتر يا بنى عمى هذا الأمر ما نخاف منه ولا قط نحمل همه لأنهم إذا فعلوا ذلك الأمر خسروا وربحنا وانفسد حالهم وانصلحنا لأن العصابة اليسيرة يسترها الظلام لاسيما إذا اختلطت فى وسط القيام وهذا لا يفعلونه إن كان فيهم فارس مشدد ويكون فى زمانه شجاعاً أوحد فقال مالك بن زهير أراهم انقسموا قسمين وافترق الجمع فرقتين الفرقة الاولى تقدمت والأخرى تأخرت قال عنتر نعم خافوا أن نهرب فى الليل وظلام الاعتكار ونطلب أطلالنا والديار وأنا وحق الذى أنار الهلال وأرسى بقدرته الجبال ويعلم عدد الحصا والرمال ما أترك الصباح يصبح إلا وقد انفصل الحال فقل

لأصحابك يأخذوا القتال ولا ينزلوا عن ظهور الخيل حتى أريك ما أفعل بهم فى ظلام الليل فقال الربيع على ماذا عولت يا ابن العم أعلمنا بما خطر فى بالك لأن الرأى بيننا مشترك فقال له عنتر عولت أن تراك القوم حتى ينزلوا عن ظهور الخيول وأريكم كيف أفعل بهم فى ظلام الليل وتحمل على هذه الفرقة التى بين أيدينا ونخوضها بشدة عزمنا وعوافينا وأنا أعلم الصياح يقع من خلفنا ومن بين أيدينا فيقع عند ذلك الضرب خطأ وصواب وتقطع الغلاصم والرقاب وأنا أقول كلاما ليس فيه شىء يعاب وهو أنكم تتفرقوا وقت الحملة واشتد عليهم الكرب وابذلوا مجهودكم فى ساعة الحرب وقووا الطعن والضرب وأطلقوا المقدمة وانفسحوا فى جنبات الأرض وقد قتل بعضهم البعض ويعمل فيهم السيف طولا وعرض أول الحملة نادوا بأنسابكم وإذا اختلطوا بكم فاقلوا اخطابكم ولا تذكروا عبسا ولا عدنان ولا يمنيا ولا قحطان حتى لا تعرف الأعداء من الأصدقاء ولا يعتقل الرفيق الرفقاء قال فلما سمع الربيع هذا الخطاب رآه عين الصواب فوصى جميع رجاله وأصحابه وأعلمهم بما قال عنتر من خطابه قال الأمير عمارة بن الورد والله يا ابن العم ما هذا إلا ليل مهول ولا ينجو منه إلا كل ضامر مهول وأحسن ما يكون فيه قتل هذا الأسود المهول الذى وجهه مثل وجه الغول وما له الأمر يرصده حملته ويطعنه على غفلة منه ويعدمه مهجته فكان يهلك بين هذه الجحافل ولا يدرى به لا فارس ولا راجل ويقال أنه قتله بنو قحطان ويروح كأنه ما كان فقال له عروة انتهى جاءك لهو خفى لأى شىء هذا الرأى الفاسد فوحق الذى خلق الخلق والبشر وأضاء بقدرته الشمس والقمر إن قتل عنتر فى هذه الليلة ما رجع منا بشر ولا من يخبر بخبر وأى شىء الفائدة أن يقتل الإنسان عدوه فى وسط هذه القوم الذين ما يشتهون أن يعيش من الدهر ولا يوم فبالله عليك دعنا من هذا السؤال البارد وأبطل هذا المقال الفاسد حتى أننا نرجع إلى ديارنا والأطلال قال ثم أنهم أخذوا أهبتهم للحرب والقتال والطعن والنزال هذا والأمير عنتر صبر حتى نزلت الطوائف وأمن منهم كل خائف ونام منهم الأكثر وأقبل الظلام واعتكر فقال عنتر لشيبوب لكن يا أخى أنت لحفظ عبلة ومداراتها وقت الحملة ولا تبرح بها من أثرى حتى أريها فعلى وكرى وفرى قال ثم أنه ركبها جوادا أجرد وألبسها ثوبا من الزرد خوفا عليها من غائلة الحرب وأبطاله هذا وحمل عنتر بهم ويدمدم دمدمة الأسد الكاسر وقد جمع الميامن على المياسر وقد اجتمع بعضهم على بعض وصاحوا صيحة واحدة تدكدكت لها جنبات الأرض وهزوا الرماح وأشهروا البيض الصفاح وانطبقوا على طائفة مفرج بن همام مثل انطباق الغمام وبذلوا فيهم الرمح والحسام تحت غسق الظلام وداسوا بحوافر خيلهم فى بطون

النيام وكثر الصياح والانزعاج وزاد سواد الليل الوهاج وصار القتام كالبحر إذا هاج إذا ضربته الرياح وكثرت فيه الأمواج قال وكان جابر يسمع صياح الأقران وقد اندهش من كثرة ما رأى من الضرب والطعان فصاح عند ذلك فى أبطاله والشجعان وقال المهلهل وحق ذمة العرب لقد أجادت طائفة بنى عبس وعدنان وفعلت فعل الرجال وما هى إلا خبيرة بأمور الحرب والقتال عارفة بشدائد الأهوال وإن نحن حملنا لمعونة أصحابنا كنا خاسرين وأن تركناهم أفنوهم أجمعين وخرجوا من ديارنا سالمين فقال المهلهل لأى شىء هذا الحديث يا جابر وكيف يخفى العبسى العدنان من اليمن القحطانى أحمل أنت بالناس ودع عنك التوانى ثم أنه حمل وقصد الصياح ورجاله من ورائه وقد هزوا الرماح واختلطوا جميعا تحت غيهب الظلام وعمل عند ذلك الرمح والحسام وطارت الجماجم والقمم وقام الحرب على ساق وقد شابت المفارق واللمم والسيف عند ذلك حكم حكمه وظلم ووقعت المضارب وصار الشجاع متعجبا ودمدمت سباع الحرب غضبا وقال وقاتل عنتر تلك الليلة قتال من كره الحياة ورمى نفسه على موته وفناه لما علم أن عبلة وراه وقد فرق المواكب والكتاب وأظهر فى هذه الليلة العجايب وأنسل بعد ذلك بأصحابه من قدام الأعداء وأوسع بهم فى وسيع البيداء قال وكان خلاصهم من الحرب فى وقت السحر وقد أحلوا بأعدائهم الويل والعبر هذا والحرب فى بنى قحطان يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل الى أن ظهر ضوء الصباح والفجر قد انفجر وعرف الخصم خصمه بحقيقة النظر وقد فقد بنى قحطان خمسمائة فارس أو أكثر وكان غالبهم هلك على يد عنتر وقد قتل من بنى عبس ثلاثون فارس وانطمست آثارهم وعادو دوارس وقد خرج عمارة الفناك وأشرف من جراحه على الهلاك وقد حل به سوء الإرتباك قال ولما أنفصل الناس من بعضهم البعض وعولوا أن ينزلوا إلى الأرض خرجت العجوز سلمى أم ناقد بن الجلاح إلى مقام الحرب والكفاح وأكثرت من البكاء والنواح ووقفت بين الفريقين وهى فى مقام الجلاد وعلى جسدها ثياب السواد وقد أكثرت العويل والتعديد ونادت واذل بنى طى إلى آخر الأبد من جور ذلك العبد الذى طغى وتمرد بالعرب أما فيكم من له شجاعة وحمية يأخذ لنا بالثار من هذه الطائفة الدنية ويطعمنى من لحم عنتر قطعة ويسقينى من جرعه ثم أنها قالت وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والأصنام لئن وقع عنتر فى يدى لأذبحنه وأشرب من دمه لأنه أنحل جسمى وأوهى جلدى ثم بكت حتى أبكت العيون وأثارت الشجون ورجعت بعد ذلك إلى النفس الأبية والنخوة العربية وأنشدت وجعلت تقول :

يالقومى ملك لبس السواد من زمان الصبا ولبس الحداد

كان لى فارس إذا أحضر الحرب ... تطاطت له رؤس العباد
كان عزمى وعمدتى فى الرزايا ... وعليه فى الدهر كان إعتمادى
فدهانى به زنيم ذميم ... لجرت أدمعى وهاج فؤادى
آه واحسرتاه مال عليه ... فتردى من فوق ظهر الجواد
يتلوه تحت الغبار ويشكو ... مادهاه من السيوف الحداد
فأعينوا ضعفى على الثأر وارعوا ... حرمتى واحفظوا جميع ودادى

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها همت أن ترمى إلى بنى عبس نفسها فقفز مفرج بن همام بقوة عزم وإهتمام وقد غير الجواد ولبس عدة الحرب والجلاد وصار فى مقام الطراد وقال لها ارجعى يا أم الفرسان الأجواد وأقلى من البكاء والتعداد وأنا أبلغك المراد وأقود إليك عنتر بن شداد وأفنى بنى عبس وآل قراد وأجعلهم مثلا بين العباد لأن ثأرنا أعظم من ثأرك وعارنا أكثر من عارك ثم أنه ردها من الميدان وجال وصال حتى هدأ مرج الحصان وطلب البراز والطعان وقال ياويلكم يا بنى عبس الأوغاد قد جرى لنا منكم فى هذين الليلتين شيء ما جرى مثله من أحد من العباد وخلصتم من قبضتنا بنى زياد بالمكر والعناد ودبرتم وما قصرتم لأنكم طائفة قليلة ولكنكم فرسان جليلة ولاسيما وأنكم فى بلاد بعيدة الآن قد ظهر ضوء النهار وبانت الأقطار وفى هذه الساعة تبين منازل العلو والافتخار وماسنة العرب إلا الانصاف وهو من شيم السادات الإشراف وها نحن قد أنصفناكم وما ظلمناكم فابرزوا إلى مقام القراع ومحل الارتفاع فارس لفارس وشجاع لشجاع ولكن لا يبرز لى إلا من له نسب كنسبى وحسب كحسبى وأم مثل أمى وأب مثل أبى حتى أخذ ثأرى من السادات الأماجيد وأعود بعد ذلك إلى قتال العبيد ثم أنه أنشد يقول :

إذا لم أقتض حقى ودينى ... بضرب السيف والرمح الردينى
فلا حصنت حادثة الليالى ... ولا زار الرقاد جفون عينى
فعلم يا ابن الأنذال فعلا ... أثار الحرب بينكمو وبينى
وإنى قد برزت وفى يمينى ... صقيل المتن ماضى الشفرتين
أبيد به فوارسكم جميعا ... إذا عض الجبان على اليدين
وأسقى عبدكم كاس المنايا ... بطعن الرمح بين العسكرين

(قال الراوى) فلما فرغ مفرج من ذلك الشعر والنظام وما قاله من ذلك الكلام الذى لا يبلغ به صاحبه مراما جال وصال وطلب البراز والنزال فلما سمع عنتر حسن كلامه ومه

أبداه من شعره ونظامه قفز بالجواد حتى صار فى أمامه وكان عنتر فى تلك الساعة عند بنت عمه وهو يسليها ويمنع عنها الخوف فسمع صياح مفرج بن همام وما قاله من الشعر والنظام فلما سمع هذا المقال قفز إليه وهو كالأسد الريبال وصال وجال فى حومة المجال وقال له ياديوث العرب وابن الرجال الأرذال ثكلتك أمك وعدمك أهلك وقومك من أنت يا ويلك حتى تطلب براز السادات وتعد نفسك من الشجعان والقادات فها أنا أقل عبيد هؤلاء القوم الكرام وها أنا برزت إلى هذا المقام حتى أتحمل عنهم التعب والملام وقد برزت إليك حتى أعجل دمارك وأخرب ديارك يا ويلك يا قرنان يا ابن ألف قرنان أتظن أنى نسيت ما فعلت بابنة عمى عبلة سيدة النسوان وما أنزلت بها من الذل والهوان أو كأنى قنعت بما قتلت لكم من الفرسان أو بما أهلكت من الشجعان فوحق الدائم بلا زوال القديم المتعال الذى ليس له شبيه ولا مثال وقدر الأرزاق والآجال وسلخ الليل من النهار وخص الشمس بالأنوار وسخر الفلك الدوار وهو الواحد القهار ما بقيت أخرج من هذه الديار حتى ما أدع ديار ولا نافخ نار ثم أنه أجابه وأنشد وجعل يقول :

إذا خصمى تقاضانى بدينى ... قضيت الدين بالرمح الردينى
وحد السيف يرضينا جميعاً ... ويحكم بينكم حقا وبينى
مهلتم يا ابن الأنذال قدرى ... وقد عرفوه أهل الخافقين
فكم من فارس ابقيه ملقى ... عفير الخد مخضوب اليدين
تحوم عليه أطيار المنايا ... وتعرج فوقه غربان بين

(قال الراوى) ثم أنهما انطبقا على بعضهما بعد ذلك المقال ومالاقى فى حومة المجال وجرى بينهما عجائب وأهوال تحير منها صناديد الرجال وكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود مما جرى بينهما فى ذلك اليوم المشهود وما زالا فى كر وفر وانفساح ومستقر وهزل وجد وقرب وبعد ثم أنهما التصقا وافترقا وهمهما وزعقا حتى ضاق بينهما الميدان وامتدت اليهما أعين الشجعان لينظروا ما جرى بينهما من الأمر والشان وفرقوا الفرق كما بين المدن والقرى أو بين الثعالب وأسد الشرى قال وكان مفرج كل ومل وبطل قواه واضمحل فأراد أن يسير إلى قومه بالحمل وناداهم أجمعين وهو يطلب منهم ناصراً ومعين فلم يجد من خصمه احتيالا ولا انهزام بل أن عنتر انطبق عليه مثل انطباق الغمام وصرخ فيه صرخة الأسد الدرغام وضربه على رأسه بالحسام وكانت الضربة مشبعة بالتمام فوقعت على هامة شقته إلى حد الحزام فوقع على الأرض صريعاً يعج علقما ونجيعا وقد صار يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه قال ثم أن عنترا صال وجال وطلب الحرب والقتال فهمت أن

تبرز إليه الفرسان فاعاقهم جابر فارس بنى نبهان وقال لهم إن حملتم خسرتم مع هذا الشيطان الذى قد تصور لنا فى صورة أنسان لأنه قد زاد له فيكم الطمع وكذلك أنتم وقع فى قلوبكم منه الخوف والفزع لأنى أنا تأملت إلى قتاله فعرفت جميع أحواله فاصبروا على قليل وأنا أكفيكم شره وأصرم عمره الطويل وآخذ بنت عمه عبلة وأتركها مع الإماء والجوار قال ثم أن جابرا بعد كلامه لبنى نبهان وما ضمن لهم من ذلك الضمان قفز بجواده إلى حومة الميدان وهو على جواده كانه السرحان من جياد الخيل شديد القوى والخيل لونه مثل سواد الليل مليح التحجيل بين عينيه غرة كأنها قنديل قد سقى بلبن اللقاح إذا جرى يسبق هبوب الرياح وعليه ثوب من الزرد لها عين كانها عيون الجراد لا يعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد متقلد بسيف مصقول لا يعتريه من الضرب ملول ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم أنه لما نزل إلى حومة المجال صال وجال وطلب الحرب والقتال والطعن والنزال وأنشد يقول :

دونك للحرب واله عن طرب ... وقم لمثلى وهيا للهرب
وخل عنك الحروب قائمة ... يا لمن الحقوك بالنسب

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه زاد غيظه وغرامه وأجابه يقول :

إن كنت عبدا عاب فى النسب ... فالسيف مأوى الفخار والحسب
غضبا إذا ما استبان يوم وغا ... ذلت لمرعاه سادات العرب

(قال الراوى) فلما انتهى عنتر من شعره حمل عليه بشدة حيله فالتقاه جابر مثل الأسد الكاسر وانطبقا على بعضهم البعض وجالا طولا وعرض حتى تدكدكت من خيلهم الأرض ثم أنهما بعد ذلك التصقا وافترقا وللسيفين امتشقا وزادا غيظا وابتلت الخيل عرقا وعلا غبارهما وصار مسردقا وعاد النهار فى أعينهما غسقا وكان جابر محتقرا لعنتر قبل برازه وحربه إلى أن أذاق طعنه وضربه فرآه فارسا لا يصطلى وجبلا كلما تقرب منه شمخ وعلا فاظهر الصبر والجلد وأخفى الغيظ والحرد ولكن أبو الفوارس أصبر منه وأجلد. قال ومازالوا على هذا الأمر والشان إلى أن حصل منهم ضربتان وكان السابق بالضربة عنتر فارس عبس وعدنان فوقع السيف لجابر على صدره فخرج يلمع من سلسلة ظهره فوقع على الأرض قتيل وهو فى دمائه معفر جديل قال فلما نظرت بنو نبهان إلى ذلك الشأن صاح فيهم المهلهل فحملوا من كل جانب وصاحت جميع الأقران وتزاعجت الشجعان وتبادرت إلى حومة الميدان وهجموا على عنتر مثل العقبان فلما أبصر مالك بن زهير إلى

ذلك الأمر والشأن حمل قيس معه من بنى عبس وغدنان والتقى بهم ذلك الجمع وطاب العطاء والمنع وكثر صياح الفرسان والتقت عند ذلك الطائفتان فتزلزلت الأقطار وتزوبع الغبار وقدحت الصوارم نار وقصرت الأعمار وتهتكت الأسرار وماجت الفرسان مثل موج البحار واندهش الجبان وحار وأيست الطائفتان من عودتهم إلى الديار ومساواة العبيد والأحرار هذا وعنتر قصد إلى قبيلة بنى نبهان فقد أهلك منهم الفرسان وأباد الأبطال وفرق جمعهم بتواتر الطعان ومازال على ذلك الإهتمام إلى أن بقى فى وسط الاعلام فضرب فيهم بالحسام وشتت الجمع بعد الإلتئام قال فلما رأى المهلهل إلى تلك المصائب وأبصر إلى تفريق الكتائب خاف على نفسه من شرب كاس النائبات فولى هاربا وأخذ فى الانهزام وقد تنكست عند ذلك الأعلام وأيقن الجميع بشرب كاس الحمام فتفرقوا فى البرارى والآكام وقد صاروا فى انهزام وعنتر وراءهم كالعقبان وهم ينادون ياالعبس ياالعدنان ومازالوا على ذلك الحال إلى أن أقبل الليل وولى النهار فعند ذلك رجعت بنو عبس بعد ما جمعت الخيل والعدد وقد فرحوا بذلك الأمر والشان وعنتر بين أيديهم وهو كأنه شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو مسرور على الأعداء الأنذال وقربت عليه عبلة لما رأته فعل تلك الفعال وفرحت بسلامته وثبتت فى قلبها محبته هذا وقد تقدم عنتر إليها وضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وصار ينشد ويقول :

إن كان ياعبل ظل القسطل الحالك ... أخفى فعالى عليك يوم معتركى
فسائلى السيف عنى هل ضربت به ... يوم الكريهة إلى هامة الملك
وسائلى أبجرى هل كنت أقحمه ... إلا على موكب كالليل محتبك
ثم اسألى الرمح عنى هل طعنت به ... إلا المدرع بين النحر والحنك
كم ضربة لى بحد السيف قاطعة ... وطعنة شكت القربوس فى الورك
ولولا الذى أمسك الأفلاك قدرته ... جعلت ظهر جوادى قبة الفلك

(قال الراوى) فعند ذلك زاد فرح عبلة وقالت له لافض الله فاك ولا كان من يشناك هذا وقد هنته عبس بالسلامة وفرح بذلك صديقه مالك وأبوه شداد ثم بعد ذلك استشاروا عنترا أن ينزلوا فى هذه الساعة ليأخذوا لهم راحة قال نعم ماذكرتم من الخطاب ثم أنهم نزلوا فى المكان وأراد عنتر أن يحرسهم خوفا من نائبات الزمان فقال عمه مالك وعروة ابن الورد والربيع بن زياد وأخوه عمارة الفواد والله ياأبا الفوارس مايتولى الحرس إلا نحن فى هذا الليل الغالس فقال لهم عنتر يابنى عمى إنى أقسم بحق الله أنه ما أحد غيرى

يتولاه فخذوا الكم راحة إلى نصف الليل وكذلك تر تاح الخيل ودعونا نخرج من هذه الأرض التي ما لنا فيها صديق فقال مالك بن زهير والله يا أبا الفوارس ما أدعك تتكفل بهذا الأمر وحدك لأنك في تلك الوقعة أتعبت نفسك وقد لقيت ما كفاك وفعلت ما لم يفعله أحد سواك وتريد أن تحرسنا فنحن بهذا الأمر أحق منك فقال عنتر لا كان ذلك أبدا ولو شربت كاس الردا فقال له مالك إذا كان الأمر كذلك فأنا أكون في ركابك ثم إنهم قاموا إلى الحرس حتى يذهب الليل وسواده الطلس هذا ما كان لهم من الأمر والشأن وأما ما كان من مالك أبي عبلة القرنان والربيع بن زياد وأخيه عمارة الكشحان فانهم الجميع كانوا يتمنون هلاك عنتر أبي الفرسان وكان أشدهم عصبية وقد ضربه عمارة بن الأفرنجية وقد ذاب به جسده وانفطر ونحل جسمه ودمعه تحدر وهو لا يدري ما يفعل به ولا كيف يدبر في أمره وأمر عنتر وكانوا إذا اختفوا بأنفسهم يشتمونه ويتمنون أن يد المنية تصل إليه فقال له مالك أبو عبلة هذا أمر ما يشفي الغليل ولا ينفع هذا المقال والقيل وأنا قد حرت في أمري وخانني جلدي وصبري في هذا العبد ولد الزنا وقد أخذني من فعله المغاص وكل ما أدبر تدبيرا عاد وبالا وتدميرا ولا يصيبني منه إلا التعيير ويزيد في الشجاعة والقوة والفصاحة فقال الأمير عمارة أما شجاعته فهي عند الناس بينة وأما فصاحته فما هي عندي إلا هينة ويلذني ما يقوله من الكلام ولا سمعت له قافية مستقيمة تمام فقال عروة بن الورد كذبت في هذا المقال أنت وجميع من وافقك في هذا السؤال وكل ما ذكرته زور ومحال ولا يوافقك أحد من الرجال وأنا أقسم بحق مكون الأكوان الذي خلق الإنس والجان ما في جميع قبائل العربان من قحطان وعدنان أفصح منه لسان على أن هذا الكلام ما هو محبة فيه ولا رغبة لأجل دفع مسبة ولكن الحق أحق أن يعطى وعين الشمس ما تتغطى أيا عمارة الكلب ألا ما سمعت ما ذكره وهو عائد من مقام الحرب حيث يقول :

لولا الذي تمسك الأفلاك قدرته   جعلت ظهر جوادي قبة الفلك

(قال الراوي) فقال لهم عروة بن الورد هذا مقال لو أراد أحدنا أن يقول مثله فمن أين له أن يقوله أو يحوم حوله فلعن الله ذيوثا من ظهره رماه وبطنا وعاه ما أفصح لسانه وأقوى في الحرب قواه (قال الأصمعي وأبو عبيدة) لهذا الكلام وقد قال مالك أبو عبلة يا ابن عمي ما بقي لي عين تراه وليس لي أن أعيش في مأواه وفي مرادي ومنيتي أن أمشي أنا وولدي وبنتي وأعيش عزيزا في بلاد الغرباء ولا أكون ذليلا بين الأصحاب والأحبا . فعند ذلك قال له الربيع بن زياد والله ما نوافقك على هذا الإيراد وأنا

أشير عليك برأى تبلغ به المراد ولا تبالى بعنتر ولا بأحد من العباد وذلك أنه لما اتصل إلى الأطلال وتحل لدى الأمير شاس المفضال أعلمه بذلك الأمر والحال وسلمها بنتك وقد بلغت قصدك ومنيتك وقل له أيها السيد الهمام والبطل الضرغام هذه بنتى أمتك فزوجها لمن أريد ولا يأخذها ذلك الأسود العنيد لأن شاسا أبغض الناس عليه عنتر بن شداد من يوم كبر وانتشا وركب الخيل الجياد وإذا صارت بنتك فى حماه أمنت عليها من جميع من سكن الفلاة ولا تبالى بجميع المخلوقات وتنتظر لهذا العبد العرضيات ولا تزل حتى تهلكه فى بعض الجهات (قال) ومازال القوم على هذا الحال حتى لاح الفجر بنوره المتلالى فرحلوا يطلبون الديار والاطلال ومازالوا سائرين فى القفار إلى تضاحى النهار وإذا هم والوحش قد هج فى سائر الأقطار رأوا على البعد منهم ثوران غبار وقد انعقد وملا جنبات الفلا والخيل وصار أسود من الليل فقالوا تلك خيول بنى طى وقد أتوا إلينا من كل قبيلة وحى فدونكم وأخذ الأهبة للقاء الأعداء الذين ملأوا علينا البيداء وقاتلوا قتال من كره الحياة واختار الموت والفناء فقال عنتر الأسد الضرغام لا تخافوا يابنى الأعمام من كثرة هؤلاء القوم اللئام واعلموا أن صاحب الأجل المديد ما تعمل فيه الصوارم الحديد ثم أن عنتر عاد إلى ورائه بالجواد وتبعه مالك بن زهير وأبوه شداد وتبعهم عشرة من بنى قراد وأسرعوا فى المسير إلى كشف الأخبار وإذا به قد انكشف وانجلى وبان للأبصار وإذا هو جيش جرار ملا الروابى والقفار وقد انتشر فى البطاح وسد الفلا بأسنة الرماح ومن تحته زعيق وصياح وهمهمة رجال أو قاح ونشرت راياته وبنوده وتراجعت أشباله وأسوده وصهلت عند ذلك خيوله وتدفقت الشجعان من عرضه وطوله. وكان هذا الجيش القابل من بنى طى والمقدمون عليه ملوك ذلك الحى وهم سادات بنى قحطان العظماء الملك ملجم بن حنظلة وأخوه يزيد الملقب بشارب الدماء وكان السبب فى مجيئهم إلى تلك الآكام الرسل الذين أرسلهم مفرج بن همام فاخبروهم بأمر بنى زياد ففرحوا بذلك الايراد وردوا الرسل بالخلع العظام وقالوا لهم قولوا لمفرج بن همام أن بنى عبس مالهم عندنا عهد ولا ذمام فما كان إلا أيام قلائل حتى وصلت إليهم الأخبار بالكبسه التى جرت فى الديار وكيف خلص عنتر الأسارى من الاعتقال وكيف أهلك الرجال والأبطال فلما سمعوا هذا المقال انفذوا العبيد إلى جميع الأطلال فتسارعت وأعلمت الرجال فركبت عند ذلك الأقيال وقد كملت عدتهم ستة آلاف وساروا فى ذلك الآكام حتى وصلوا إلى حلة مفرج بن همام فابصروا القتلى على الأرض أكوام فزاد بهم الغضب وكثرت بهم الكرب فاستمروا فى

سيرهم مجدين إلى ثانى يوم حتى التقوا بالمنهزمين الذين انهزموا من الواقعة الثانية الكثيرة الأخطار وهم طالبون الديار منقطعون فى البرارى والقفار فلما رآهم شارب الدماء سألهم عن حالهم فحدثوه بما حل بهم من الويل والعمى وأخبرهم المهلهل بما جرى ثم إنهم نزلوا بالناس حتى وصل آخر المنهزمين وكانوا دون الألف فارس مقاتل وهم الكل بالسيوف النواصل والرماح العوامل وساروا من أول الليل وهم راكبين على الخيل وما زالوا على ذلك الحالة حتى لحقوا بنى عبس كما ذكرنا نصف النهار وكانوا قد ولوا إلى مفترق الطرق ومرج الفصلان وهى آخر ديار بنى قحطان . قال فلما رأوهم صاحوا من كل ناحية ومكان وتفرقوا كراديس ومواكب وانتشروا حتى ملأوا السباسب وأبصرت بنو عبس كثرة العدد وزيادة المدد ولمعان البيض والزرد فحاروا فى أمورهم وتقطعت ظهورهم وأيقنوا بهلاكهم ودمارهم فعند ذلك قال عمارة بن زياد لمالك أبى عبلة جاءك ما كنت تؤمله يا ابن قراد واليوم يقتل عنتر ابن شداد قد فرغ أجله فى هذا البر وهذه الوهاد فقال عروة يا عمارة لا تفرح بقتل عنتر فوحق من أنار الشمس وأضاء القمر لئن قتل عنتر ما سلم منا بشر ولا من يخبر بخبر فقال لهما مالك أبو عبلة ما فى الرأى إلا أننا نردرؤس الخيل ونطلب الهرب فمن نجا بجواده سلم ومن وقع شرب كاس العطب فقال عروة بن الورد لأى شيء تسبي بنتك فى البيداء وتذل وتهان وتملكها الأعداء فقال مالك دعهم يملكوها ويحل بها العنا ولا يأخذها هذا العبد ولد الزنا فقال الربيع بن زياد يا ابن عمى لولا أن مالك تقدم يكشف الخبر كنا فعلنا ذلك ونجونا فى البر الأقفر قبل أن يحل بنا الهلاك والعبر ولكن نخاف من عتب الملك زهير الغضنفر أن يقول لنا تركتم ولدى فى وسط الأعداء من بغضكم لعنتر وأنا الرأى عندى أننا نصبر على الشدائد والنوائب ونقاتل إلى أن تدور بنا الأعداء من كل جانب ونصيح بالعبس الهرب الهرب وإلا حل بكم الويل والعطب وندير رؤس خيلنا ونطلب النجاة ونخلى هذا العبد يموت موت العتاة ومن تبعه فله أسوة بنا ومن وقف يحل به الهلاك والفنا ونكون قد بذلنا المجهود مع هؤلاء القوم وقد برئنا من العتب واللوم وأنا أعلم أن عنترا لا يهرب ويخلى عبلة بل يقف حتى تضرب رقبته ونستريح نحن من هذا الدبلة (قال) ثم أنهم بنوا أمرهم على ذلك المقال ووقفوا حتى على الغبار فوق رؤس الرجال ونظروا إلى عنتر فإذا به قد حمل وارتمى على الأعداء كأنه الجبل وتبعه أبوه شداد وصديقه مالك وكل واحد منهم مثل الأسد الفاتك وصار الضرب والطعن بينهم

هتدارك وثار الغبار فوقهم مثل الليل الحالك وصارت الدماء كالسيل فى جميع المسالك وبكى السيف بعد ما كان ضاحك لحمل الربيع وأصحابه بنيات ذميمة لأنهم كانوا منا معولون على الهرب وتبعهم من كان عارفاً بهذه الأمور والأسباب فوقف عنتر ومن معه من الأصحاب وبذلوا مجهودهم فى القتال وصاروا يطعنون بأسنة الرماح الطوال ويضربون بالسيوف الصقال وبقيت عبلة حائرة فى أمرها وهى ترتعد من شدة خوفها ودمعها منهمل على خدها وهى تنادى لعنتر بأعلى صوتها المعهود وهو فى قتاله كأنه أسد من الأسود وكان الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وعروة بن الورد وبنو زياد نجوا من المعمعة فى خمسين من الأوغاد وأخذ جميعهم فى الهرب والباقى شكتهم رماح العرب إلا أنهم ما وسعوا من المجال وحصلوا فى وسيع القفار حتى ظهر من بين أيديهم غبار وهو يدل على إتيان جيش جرار وهو مقبل على عجل والوحش منه نفر ووجل فقال عروة بن الورد هذا من جملة جيوش الأعداء وما أظنهم إلا أن ملكوا علينا جميع البيداء والصواب أننا نرجع عن هذا الطريق وإلا عدمنا السعادة والتوفيق ثم أنهم ألووا رؤوس خيلهم وطلبوا الميمنة وهم لا يصدقون بالنجاة وإذا هم بغبار آخر طالع من وسط الفلا فقال عروة بن الورد ما هذا إلا منكر فوالله ما يسلم منا ولا بشر ولا من يوصل إلى ديارنا الخبر ولا بد أن سد فى وجوهنا جميع المسالك ويصير كل منا فى هذا البر هالك من أجل عداوتنا لعنتر صاحب الوجه الأغر ثم أنهم وقفوا حتى انكشف ذلك الغبار وانجلى وبان لجميع النظار وإذا تحته خيل مثل الغزلان وعلى ظهورهم رجال مثل العقبان وهى تنادى يا لعبس يا لعدنان والجميع قد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وانتشروا فى المحاجر وطلبوا ذلك الغبار الثائر وسوق ذلك الحرب الدائر . قال فلما نظر إلى ذلك مالك بن قراد والربيع ابن زياد والفرسان الهاربة من القتال والجلاد تقلقلت باذيال المطامع أرواحها وأيقنت بعد فسادها بصلاحها وأجابت بنداء قومها وحلت عند ذلك عمائمها وطلب كل جماعة جيش من المقبلين وأعلموهم بما جرى لهم من ذلك الخبر المبين وقالوا لهم أدركوا مالك ابن زهير الغضنفر ومن معه وابن شداد عنتر فما هذا وقت إعلامكم بالخبر (قال) فعند ذلك حملت الشجعان وتسابقت إلى ناحية الحرب والطعان واقتحم جميعهم الغبار وقد تزاعقوا كأنهم أسود القفار وأوصلوا الطعن فى صدور الفرسان وكشفوا بنى طى من بنى عدنان قال وكان عنتر فى تلك الساعة قد أشرف على الهلاك وأيقن بسوء الارتباك وعلم أنه ما بقى له من الموت فكاك لأنه قد أثخن بالجراح وذلك من كثرة الضرب بالصفاح

والطعن بأسنة الرماح قال الراوى ولقد أخبرت أن عنتر فى ذلك اليوم خلص عبلة من السبى ثلاث مرات وكشف الخيل عن مالك وأصحابه خمس مرات حتى أثخن بالجراح وسكر مثل شارب الراح وقد بذل المجهود فى مجاله وكان يحمل تارة عن يمينه وتارة عن شماله والأبطال تترامى عليه مثل الرمال وهو يظهر هنالك الأهوال وينثر الأبطال حتى أشرف على الهلاك والوبال وجعل يهيج فى المعمعة مثل ما يهيج فحول الجمال ويحمى من معه مثل ما يحمى الأسد صقور الأشبال قال وكان تلك الساعة أشرفت عليه بنو عبس الأقيال وفرجت عنه تلك الأهوال قال وكان الواصل من هذه النجدة أولاد الملك زهير لأننا ذكرنا فيم قدمنا أن عنترا ومالكا لما سارا من الحى كان الملك زهير غائباً ولما علم بذلك خاف على ولده مالك وعنتر من الهلاك فقال لشاس يا ولدى إنى أخاف أنه قد سار مع عنتر إلى ديار بنى طى وأنا أخاف أيضاً على حامى القبيلة عنتر وعلى الربيع ومن معه من بنى زياد والجميع منا وإلينا وما منهم أحد إلا وهو ركن من الأركان وإن فقد أحد منهم قطع ظهرنا فخذ أنت وأخوك قيس ألفين فارس فى الحديد غواطس والحقوا من لنا الجميع وانظروا ما جرى لهم من الأمر والشأن ففعل شاس ما أمره به أبوه من الأمر والشأن وانتخب هو وأخوه ألفين فارس من الشجعان وساروا من يومهم هذا على ذلك الحال ومعهم رجال من الأبطال وهم لابسون الدروع الثقال متقلدون بالسيوف الصقال معلقون بالرماح الطوال قال ولما قاربوا ديار بنى طى قال قيس لأخيه شاس اعلم يا أخى أن قدامنا بنى عمنا فرقتين وهما الربيع وبنو زياد وعنتر وآل قراد ونخاف إن سرنا على الطريق الواحدة أن يكونوا هم فى الطريق الآخر فنتخالف فى الطريق ونعدم السعادة والتوفيق والصواب أن تسير أنت بألف فارس عن يمين وأسير أنا بألف فارس عن شمالى بقين ونقطع ما قدامنا من المهامة والجبال ونسير على هذا الحال والأمر ويكون ملتقانا مفرق الطرق ومرج الفصلان لأنه أول ديار بنى قحطان وآخر ديار بنى عدنان ومن هناك يتبين لنا الحال ونسمع ما جرى لهم من الأحوال فقال شاس أفعل ما بدا لك نجح الله تعالى أحوالك قال ثم أنهم انقسموا قسمين وساروا فرقتين حتى أشرفوا كما ذكرنا على الربيع بن زياد ومن معهم من الرجال الأجواد وحملوا كما وصفنا وخاضوا غبار الحرب والجلاد وكشفوا الشدة عن عنتر بن شداد وقد عملت بينهم السيوف الحداد وعاد بياض النهار من كثرة غبار الحرب يغطى إلى سواد وصار الإصلاح إلى فساد وامتلأت الأرض أبراقا وأرغاد ونفذت الدروع من الأجساد واتسع

الجبال على عنتر بن شداد ونظر ما بين يديه وعرف الاصلاح من الفساد فعند ذلك نزل عن جواده لأنه كان من كثرة الجراح التى أصابته قصر من تحت عنتر فسلمه إلى أخيه وركب غيره ورجع يكر على الخيل قال وكانت الملوك واقفين تحت الاعلام فى موكب وما فيهم من قاتل ولا ناضل إلا أن أبصروا الطرائف قد تضعضعت وبنو عبس فيها قد طمعت فحل فى ذلك الوقت شارب الدماء وأعاد عند ذلك وجود القوم عدما وهو كأنه صاعقة نزلت من السماء وزادت نيران الحرب تضرما وصارت النعم نقما وملأ عنتر الأرض بجماته واخلى السروج من الرجال وكحل الأعين بمراودالعما حتى التقى شارب الدماء وكان ذلك فى آخر النهار فصاح به صيحة دوت لها الأقطار وقال له ويلك هو أنت الذى تقدم على الفرسان أما كفاك مافعلت معى من سابق الزمان ثم طعنه طعنة فجاءت قصيرة لكونه تعبان ولكن اهرق دمه وأشرف على هلاكه وعدمه فعاد راجعاً إلى ورائه وطلب لنفسه النجاة وخلى أخاه ملجام شرفا على موته وفناه ولما أن رآه بنو طى هرب تبعه أخوه فى الطلب فتنكست عند ذلك الأعلام والرايات وهرب جميعهم فى وسيع الفلوات ونفرت خيلهم كفحول النعام الشاردات ومازالت بنو عبس الكرام تطعن فى بنى طى اللئام حتى أقبل الظلام ونشر أجنحته على الروابى والآكام وعادت بنو عبس من خلف أعدائها بعدما نالت مناها وبعد ذلك هنا بعضهم بالسلامة وقد حصل لهم الخير والكرامة وافتقد عنتر صديقه مالكا فوجده مجروحا فصعب ذلك عليه وكبر وشجمه وسلاه وقبله بين عينيه ورجع بعد ذلك إلى قيس وشاس أخيه وقبل أيديهما وشكرهما على فعالها ودعا لهما ولأبيهم بالدوام مابقيت الليالى والأيام فتبسم قيس من كلامه وشكره على حسن اهتمامه وأما شاسا فانه قال أهلا وسهلا يا ابن زبيبة وذلك من تكبره وتجبره وأموره الغريبة قال ثم إنهم نزلوا لاكل الطعام وشرب المدام وقد دار بينهم الكلام بما جرى من تلك الأمور والأحكام وسأل الربيع شاسا عن سبب قدومه وكيف كانت هذه الاشارة فخبره بما جرى على قلت أبيه لما رجع من بنى فزارة وكيف أنقذه هو وأخاه قيسا بهذه العبارة فقال الربيع والله يامولاى ما كل هذا العبد الأسود فى هذه النوبة وقد جعل فعالا صعبة وقد أخذنا بنفسه من شر الأعداء وأنجدنا من الهلاك والفناء فقال شاس والله يا ربيع أنه مافعل هذا لأجلنا وإنما لاجل محبوبته عبلة حتى خلصها بما كانت فيه من هذه الدبلة وهى التى ترميه فى كل مصيبة وتحمله كل نوبة شديدة وأنا ما أتيت فى هذه الديار والمسالك إلا من أجل أخى مالك ولأجل سعادة عنتر كان

أخي في هذه النوبة معه وإلا كان شرب كاس الحمام وما كان خلص من هذه الديار وكان حل به الفناء والدمار وأنا أعلم بأن أخي مالك لا يزال يتعصب له ويرمي روحه في الردى حتى يقع في مصيبة ما يخلص منها فقال الربيع لقد صدقت يا مولاي في هذا المقال ولولا قد ومكم في هذا الجيش الجرار ما كان تخلص منا أحد من هذه الديار. فلما بلغ الحديث عنتر بن شداد وكان عند صديقه مالك فما أبدى ولا أعاد لأنه يعلم أن شاسا له من جملة المبغضين ولا يشتهي أن ينظره بنظر العين وما زالوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصباح فرحل شاسا في المقدمة ومعه بنو زياد وعمر ومالك بن قراد ورحل عنتر بعد ذلك الايراد هو ومالك بن زهير وأبوه شداد وما بقي من بني قراد وساروا يجدوا المسير طالبين الشربة والعلم السعدي ولم يزالوا سائرين ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع وصلوا إلى ديارهم وتلك الآكام فنزلوا للمبيت وأخذوا الراحة في تلك الأرض الفياحة فسار مالك أبي عبلة إلى خيمة شاس فدخل وسلم عليه وقبل بعد ذلك يديه وقال له يا مولاي قد أوليتني من الجميل والإحسان ما يقصر عن وصفه اللسان لأنك قد خاطرت بنفسك من أجلنا وخلصتنا من وسط أعدائنا وأريد تمام الإحسان والانعام أن تعطيني الذمام وترجع عن ابنتي عنترا ولد الحرام ولما اتصل حلتنا والأبيات تهتم لي في هذه الحاجات ولا تدعني أفتضح في ابنتي وتشيع بين الورى قصتي فإن هذا العبد ولد الزنا ما فعل تلك الفعال إلا من يوم ألحقناه بأنسابنا العوال وقد عظم شأنه وكثرت أصدقاؤه وأعوانه وشد قلبه أبوه شداد وصار يدعوه كما تدعى الأولاد ويجعله عديل ولدي عمرو وأنا والله يا مولاي ما أشتهي هذا الأمر وأنا قد عجزت عن مداراته ومل قلبي من مراعاته وغابت منه باطناً وظاهراً ولا بقي لي معيناً ولا ناصراً وقد طمعه إلى أن أزوجه ابنتي وتشمت الأعداء بفضيحتي يا مولاي أي حال أشام من حالي إذا زوجت ابنتي لراعي جمالي وها أنا قد رميت روحي عليك وفوضت أمري إلى الله وإليك فإن كنت قادراً على نصرتي فاعلمني واستر ابنتي وإن كنت ما تقدر على هذا السبب فاعلمني حتى أرحل إلى بعض أحياء العرب الذين من أصحاب الحسب والنسب وآخذ منه الذمام وأعيش عندهم عيشة الكرام بعيداً عن الديار وانفي عنهم الهم والعار فقال شاسا يا مالك طب نفساً وقر عيناً فهذا شيء ما أتركه يتم عليك أبداً ولو كانت أعداءك مثل رمل البيداء وأنا والله ما بقيت أقر ولا أهدأ حتى أقتل هذا العبد ابن الأمة السوداء حتى لا تكون أولادِ الملك زهير بن جذيمة وتنسب إلينا العبيد القليل القدر والقيمة فلعن الله شدادا وعبده وحزبه وجنده ولا بد لي من قتل هذا العبد وأسقيه كأس فناه

وأرغم أنفه وأنف من والاه * ثم أن شاساً طيب قلب مالك وصرفه من عنده بجميل وقد حمده مالك وشكره على هذا المقال. ولما قر بشاس القرار أرسل خلف عنتر المغوار بحضر في ذلك النهار فأتى في عاجل الحال بين يديه وقد حياه وسلم عليه فرد شاس سلامه وجاوبه بعد ذلك بأغلظ كلامه وقال له اعلم يا ابن زبيبة أن البغي له مصرع ومن طلب ما ليس له بحق فقد ظلم وتعدى والساعة قد كان عمك مالك عندي وشكا حاله إلى من جورك عليه وأنا أعطيته ذمامي وقد صار هو وابنه وبنته من جملة الزامي وأوصيك من هذا اليوم ما بقيت تعبر له دار ولا تذكر ابنته في شعرك والنثار وإلا أكون أنا خصمك والسلام لأنك أنت ابن شداد من سفاح وحرام ومن يوم ألحقك شداد بالنسب تبرأ الرجل منكم ورجع عن قرابتكم بكل سبب فكن أنت ومولاك شداد في فريق والرجل وابنه وبنته في فريق وأنت تعلم أننا أولاد الملك زهير سيد بني عبس وعدنان ولولا أنك مع جلالة قدرنا تخطب ابنة أضعف ما في الحلة ويقول لنا ما أزوج ابنتي لأحد فما يكون من القدرة أن تلزمه بما لا يريد وهذا الرجل قد قال أنه لا يريدك ولا يشتهي أن ينظر إلى صورتك وأنت عنده بمنزلة العبيد وقد رعيت جماله في القفر والبيد فما يمكنه أن تكون لابنته بعلا وتكون هي لك أهلا فدعه يمضي إلى حال سبيله ويفعل بابنته ما يريد لأنك قلت ألف مرة أن نفسك أبية ونخوتك عربية لا تتحمل حسرة ولا تصبر على مضرة وتزعم أنها نفس كريمة حرة فلا تذلها لأجل شهوة دنية ولا ترغب فيمن زهدك بالكلية فلما سمع عنتر من شاس ذلك الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام ودمعت منه عيناه وتقطعت منه أحشاه وقال يا مولاي أما قولك أني لا أذل لشهوة دنية فحاشا وكلا وإنما العشق والهيام يزيدان الإنسان جوى وغرام وهذا الرجل هو الذي أطمعني في ابنته حتى أنني من الهلاك مراراً خلصته وقد رماني في الهلاك كذا وكذا مرة وقد أراد لي ألف مضرة يا شاس أين كنت نوبة بني طي والجرش وكندة وقد أبلوكم بالويل والشدة وقد سبوا نسوانكم وقتلوا رجالكم وانتم بين أطراف الجبال حائرين وهاربين ومثل فحول الجمال شاردين وعمي مالك يقول لي هو وأخوه شداد قاتل وأنت منسب حر فاضل وعمي مالك يقول لي يا ابن أخي خلص ابنتي وهي لك زوجة فخلصتها مع حريم بني عبس من غير من عليكم ولا كلام وفي هذا اليوم أنا الأسود الحجام ولكن سوف تعرفون عاقبة هذا الملام وبعد ذلك طالبني بالنوق العصافير فأتيت بها وهي محملة بمال كثير وفعلت فعالا تعجز عنها الفرسان المغاوير وبلغته كل ما يريد من الآمال وأتيته أموال الثلاث ملوك محملة

على الجمال وأنت شاهد لى بتلك الفعال وإلى الآن أخاطر بروحى مع ابنته ولاسيا فى هذه النوبة فانه شاهد جميع ما فعلت بمقلته وأظهرت فى الحرب فعالى وهذه جراحاتى تصدق لمقالى وأنا أعلم أنه ما فعل ذلك الإيراد وأكاد ذلك الكياد إلا من تدبير الربيع بن زياد حتى يأخذ عبلة لأخيه عمارة القواد لأنه يرغب فى ملاحته ويزهد نى لسواد جلدى وسماحتى وأنا وحق العرب الكرام وزمزم والمقام لئن تزوجها عمارة أو ذكرها بكلام فلابد أنى أقتله ثم أنه قام وسار ولم يزل سائرا وهو فى هم وضير حتى أنه دخل على مالك ابن زهير وأخبره بما حصل له من أخيه شاس من الهم والضير واعلمه أنه سبه عندما اراد القيام وقال أنه كان يريد أن يجذب الحسام وسبنى بين الخاص والعام رجعلنى بن شداد من حرام قال فصعب على مالك ذلك الكلام وقال يا أبا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تغم نفسك ولا يغيرك اهتمام فأنا عالم بذلك الكلام ولكن إذا وصلنا إلى ديارنا والطلال فأنا أريك ما العمل والله لأرغمن أنف الجميع وأصنع بهم أشنع صنيع وأدبر على هلاك عمارة وأخيه الربيع ثم أن اسكته من بكاه وطيب قلبه وتلقاه فعند ذلك دعا له الأمير عنتر وأثنى عليه وحمده وله شكر وقد صبر على هذا الغيظ والنكد إلى أن جن عليه الليل بظلامه الأسود فعند ذلك أيقظ من النوم أخاه شيبوب الغضنفر وقال له قم سير جوادى الأبجر مادام أنه من التعب استراح لعل يخف عنه ألم الجراح ففعل شيبوب تلك الفعال وطلب بالأبجر فى البر والرمال وإذا قد أقبل من ورائه عنترة الرئبال وهو راكب على نجيب من نجائب مالك بن زهير المفضال وقد خرج عنتر يحرسهم على جرى الرجال حتى لحق بأخيه شيبوب الهمام وقال له يا ابن الأم أبعد بنا عن هؤلاء القوم اللئام واقصد بنا إلى ناحية بيت الله الحرام فما بقى لى عندهم مقام فقال له شيبوب وكيف تطيب عن قلبك لك الفعال فقال عنتر أنا أعلم يا أخى ما يصير من المقال وإننا إن وصلنا إلى الحى يلج شاس فى معاندتى وأخوه مالك ما يصبر عن مساعدتى وأكون أنا سببا لإثارة الفتن وتشتت بنو عبس عن الوطن وأنا ما أريد أن أتحمل من قبل أحد منن بل أداوى مرضى بيدى فى الشدة والضيق وأقيم فى بيت الله الحرام متجنبا العدو والصديق وأشكو احالى إلى الملك العلام وأنتظر المرضيات من الليالى والأيام ولا أزال هناك حتى يدركنى الحمام وتساعدنى الأقدار من عند من خلق الضياء والظلام وأبلغ ما أريد على رغم أعدائى اللئام فقال له شيبوب ويلك يا ابن الأم وقلبك يطاوعك على بعد عبلة ولك تجلد على هذه الفعلة والأحكام المقضية

فقال له عنتر نعم أتجلد على ذلك العمل مادمت سمع أنها فى بيت أمها مخبلة وإذا علمت أن أباها زوجها إلى أحد من العباد أهلكت جميع بنى عبس وزياد وبنى قراد الأوغاد ولو تعرض لهم كسرى أنوشروان تزلزلت على رأسه الايوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان أهلكت جميع بطارقه ورهبان قال ثم أنهم بعد ذلك الكلام جدوا المسير فى البر والآكام وهم طالبون بيت الله الحرام هذا وقد جعل شيبوب يعدو كانه ذكر النعام والأمير عنتر قد اشتد به الغرام فجعل ينشد من الشعر ويقول :

إذا كنت فى الأحزان يادمع فاغتذى ... واسعد عسى يطفأ لهيب توقدى
ويا قلب إن لم تصطبر يوم بينهم ... فمت كمدا موت الغريب المشرد
إلى كم أرد الحادثات واتقى ... صروف الدهر بالحسام المهند
وأخدم أقواما تكون قلوبهم ... خلاف الذى يبدونه من توددى
أنا عندهم فى الحرب سيد قومهم ... وفى السلم لا أسوى قلامة أسود
عدمت هوى العشاق كيف أذلنى ... وهد قوى حيلى وأوهى تجلدى
سأطلب بيت الله أشكو ظلامتى ... إلى حكم فى حكمه غير معتدى
وأصبر حتى لا أخل لعشاق ... به الصبر لا يرى لذا الهائم الصدى
وأبكى دما إن كان دمعى يخوننى ... وأسعد ثكلات الحمام المفرد
عليك سلام الله يا بنت مالك ... سلام محب موجع القلب مجهد
رحلت وقلبى فى هواك مقيد ... فاسأل رفقنا بالأسير المقيد
هناك يبين الفخر يا ابنة عمه ... حقيقا إذا عض الجبان على اليد

قال الراوى فلما انتهى عنتر من ذلك الشعر والنظام سار يجد السير فى البر والآكام حتى دخل عليه اليوم الثامن ولم يقع فى البرية بأحد حتى كان الأرض خلت من سكانها ونفر منها إنسها وجنها فقال له أخوه شيبوب فى آخر تلك الليالى وهم سائرون فى تلك الجبال الخوالى ما أعجب قصتنا يا أخى بين الأنام ولانا مسافرون فى هذه الأيام وما قابلنا شيخ ولا غلام فقال عنتر ما نريد أن يلقانا أحد فى طريقنا ولا من نعيقه ولا من يعيقنا حتى يكون ذلك أهدا وأريح إلى قلوبنا لأننا لا نلتقى إلا بمن نطرح شرنا عليه أو يطرح شره علينا وأنا والله قد ضجرت من ملاقاة الحرب ومقاساة الأهوال والضرب وقد ملىء قلبى من مقاساة الأضرار وأنا لا يقر لى قرار لا فى الليل ولا فى النهار ثم إنه تمثل بهذه الأبيات نحن وأنتم نصلى على الرسول :

عليك نفسك واستأنس بوحدتها تلق الرشاد إذا ما كنت منفردا
ليت السباع لنا كانت مجاورة وليتنا ما نرى ممن نرى أحدا
إن السباع لتهدا فى دخائلها والناس ليس بهاد شرهم أبدا

(قال الراوى) فعندذلك تعجب شيبوب من مقاله وكيف يصبر على ناره وبلباله وعلم أن ذلك من شدة العشق والغرام والجوى والهيام فقال له ياأخى لم لا سرت إلى أرض العراق فى تلك الآفاق وأقمت عند كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان وتشكو إليه حالك فكان يبلغك آمالك فقال عنتر ويلك ياابن السوداء المنتنة الابطين الرطبة الاستين وهل أنا لا أبلغ آمالى بيدى وأهلك جميع أعدائى بشجاعتى وتجلدى ولكنى أخاف على قلب بنت عمى عبلة أن يصيبها من ذلك دبلة لأنى لو قتلت أباها أو عمرو أخاها تكدرت مدتها بمد صفاها وكذلك لو قتلت أحدا من بنى زياد ما يهون على الملك زهير ومن له من الأولاد وكان يتفرق شمل العشيرة فى سائر الأقطار ولا كانت العرب تبقى منهم ديارا ولا نافخ نار ثم قال والله لا فعلت ذلك أبدا ولو شربت كاس الردى وأما مسيرى إلى من ذكرت من الملوك فكيف أتيت من عندهم مثل ملك كبير وأرجع اليهم فى حنادس الظلام وهو يقول للعرب الكرام ياهل ترى فى هذا البر من يسمع نداءنا ويخلصنا مما حل بنا واعترانا ويخلص تلك البنات الأبكار من قبضة هؤلاء الأشرار واذلاه وقلة ناصراه وأسوأ حالاه واعدام رجالاه فعندذلك خنس شيبوب وعنتر الرئبال إلى ذلك المنادى الذى يقول ذلك المقال وإذا بها امرأة ذات أعوال وقد زادها الهم والبلبال وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول :

ياعين جودى واسبلى بدمعك المنهمل على بنات ومالهم
لا ناصر ولا ولى مهتكات فى الفلا فوق الجبال والبدل
يبكين من فرط الأسا على ربوع المنزل والشيخ من جراسه
فى غاية التململ وقد غدا أولاده نهب الرماح الذبل
والبنت من أحزانها أنفاسها كشعل ومن لهيب نارها
تطلب قرب الأجل ياسائرين فى الدجا تحت الظلام المسبل
لعل فيكم بطلا لما جرى يرق لى مجرب يوم اللقا
عند غبار القسطل يسعدنى على العدا قبل فوات الأمل
مفرج الهم إذا خاب رجا ذل الأمل

ويزرع الشر من الرب القديم الأزلى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك المقال زاد به البلبال وكثر قلقه وأوقدت فى قلبه نار الاشتعال فقال لأخيه شيبوب هذه امرأة مظلومة وقد قتل الأعداء أولادها وسبوا بناتها وتركوها تتلهب بحسراتها وأنا أريد من اليوم أن أعين كل ما رأيته مظلوم لعل أن ينتقم ممن ظلمنى خالق هذه النجوم فهو الله الواحد الحى القيوم ثم أنه حرك جواده وسار إلى تلك الصائحة ونادى ما حالك أيتها النائحة ومن هى بأحزان قلبها بائحة أخبرينى أن كان الزمان عليك قد اعتدى وأنا أكون لك عليه مساعدا فقالت المرأة وقد زاد بكاها فرحا بمن أجاب نداها والله يا مولاى اعتدى على الزمان ورمانى بسهام الأحزان وتمكنت منى الأعادى وأفقدونى أولادى وسبيت بناتى وقتلت حماتى وقل معينى وجرح شيخى ولا أجابنى أحد بجواب إلا أنت أيها الفتى المهاب ولا أزال أحمدك (قال الراوى) فقال لما سمع كلامها مع ما هى فيه من الشدة من أى الناس أنت يا حرة العرب فقالت له يا مولاى من بنى كندة وقد أقحطت علينا أرضنا فى ذلك العام ونفذ جميع ما لنا من الحطام فرحل بنا ذلك الشيخ الذى لنا وارث وهو طالب ديار بنى الحارث لأن لنا هناك بنتا متزوجة وقلنا نقيم عندها ونقضى هذا العام فى جوارها فعرضنا فى طريقنا شيطان من العرب يقال له الصدام بن المهب ومعه عشرة فوارس وهم غارقون فى الحديد والزرد النضيد فقتلوا لنا ثلاثة أولاد وجرحوا شيخى الاسعد بن عباد وسبوا البنات وهن ثلاث عواتق ورمونا بتلك الآفات والبوائق وهم سائرون إلى جبال بنى طى يفرقونا فى كل قبيلة وحى فلما سمع عنتر من العجوز ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام من شدة غيره على البنات وما فعل بهن الصدام فقال لأخيه شيبوب خذ أنت هؤلاء القوم وانزلهم عن الجبال حتى أسير أنا وأبصر ما فعل هؤلاء الأنذال ثم أنه حرك جواده الأبحر وتبطن فى البر الأقفر وكان الفجر قد انفجر فغاب فى عاجل الحال عن أخيه وغاص فى البر وهو يجد فى تلك الفلاة ويتعجب من هذه الأحكام فبينما هو كذلك وإذا بالفرسان مقبلة وقدامهم الصدام وهو مثل قطعة غمام غائص فى الحديد مسربل بالزرد النضيد وعلى عاتقه رمح مديد له سنان كأنه نار الوقيد يشعل مثل النار وتحته جواد قليل العثار صبور على قطع البرارى والقفار وهو سائر قدام رفقته يترنم بهذه الأشعار ويقول صلوا على طه الرسول :

أنا الصدام صدام الرجال ولى قلب أشد من الجبال

سباع البر من خوفى وشرى تنحت بين غابات الدجال
ولو أن الزمان يقوم شخصا خضبت يمينه بدم الشمال

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك المقال وأبصر إلى هذه الأحوال وأطلق الجواد العنان وقرم بين آذانه السنان ونادى وقال أين تأخذون يا أوغاد غير أنجاد وتبادرون للخنا والفساد وخلفكم عنتر بن شداد والله لقد خابت جميع آمالكم ولقيتم سوء أعمالكم ثم أنه صرخ فيهم وقفز قدامهم وأنشد يقول :

أيا صدام ذا قول المحال وحق الله ربى ذى الجلال
وفى ذا اليوم تأتيك الرزايا أمامك مع يمينك والشمال
وتضحى تحت طير البر رزقا على الغبراء من حد النصال
أنا عنتر واسمى شاع جهرا أبو الفرسان من حاز المعالى

(قال الراوى) فلما فرغ من مقاله وسمع الصدام جميع أقواله جلبت وصاح وقال لقومه ما أبركه من صباح وحق اللات والعزى أن هذا رزق هنىء قد ساقه الينا الواحد القهار وأنفذه الينا أول النهار هيا واحد منكم يخرج ويسأله عن حسبه ونسبه ويقتله ويأتينا بسلبه وإن رمى سلاحه ونزل عن جواده فانه يهبه لنفسه فما تم الصدام ذلك الكلام حتى برز إلى عنتر فارس كأنه الأسد الضرغام يقال له الهجام وهو راكب على جواده يحاكى الليل فى السواد وبيده رمح الهدام معتدل القوام فلما قارب عنتر قال له ويلك يا وجه العرب انتسب لعل ينجيك النسب وإلا سلم جوادك والسلب قبل أن يحل بك العطب فوالله ما تم كلامه إلا وعنتر ضربه بالحسام فطير منه الهام نحو عشرة أذرع تمام فلما نظروا القوم هذا والصدام صار ينظر إليهم لأجل أن يحضروا عنتر بين يديه لأنه احتقره وكره نفسه أن يحمل عليه فوقف ينظر أصحابه حتى يأتوا به أسيرا ويتركوه على الثرى قتيلا هذا وقد طال بينهم الحرب والقتال والطعن والنزال وانعقد عليهم الغبار وتسردق النقع والوان وغابوا جميعهم عن الأبصار وعنتر جعل يجول فيهم طول وعرض فما كان غير ساعة حتى بقى الجميع مجندلين على وجه الأرض لأنه قد صار يلتقطهم واحدا واحدا فى القفار وإذا هم كلهم ممددون قبل ما يتعالى النهار وأدميتهم تسيل على التراب كأنما نزل عليهم صاعقة من صواعق العذاب أو رمى كل واحد بشهاب قال فلما نظر الصدام إلى أصحابه على الرمال صعب عليه ذلك الحال وخاف أن ترك ثأرهم عايرته الرجال فهجم على عنتر هجمة الأسد الأغلب وقال له من أنت يا وجه العرب انتسب إن كان ينجيك النسب وأخبرنى من تكون من

الفرسان ومن أى قبائل العربان فإنى وذمة العرب قد أعجبنى قتالك وحربك ونزالك واشتهيت أن أصاحبك لأجل فعالك وننهب من أموال العرب نأخذ خيلهم والجمال ونسبي النساء ربات الحجال اللاتى من ذوات الحسن الجمال ونتمتع بالبنات البكار ونحمل إلينا القفار من سائر الأقطار وأقاسمك فى هذه الغنيمة التى هى سائرة فى ساحة القفار لأن فيها ثلاث جوار نهدا أبكار كأنهن الأقمار يخجلن بحسنهن شموس النهار لأن الذين كانوا شركاء فيهن أهلكتهم على يدك الأقدار ولا بقى من يشاركنى فيهم فى تلك القفار (قال) فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام المشار وقال له ويلك يا ابن الأنذال أبطل هذا القول المحال ودونك والحرب والقتال والطعن برؤس العوال وإن كان ما يحجبنى النسب أنجانى هذا الحسام اعلم أننى أنا الفارس الجواد الطويل النجاد الضارب بالسيوف والحداد الطاعن بالرماح المداد والضرب والطعان وأقطع طمعك من الغنيمة والنسوان فقد أرسلنى إليهم الرحيم الرحمن حتى أخلصهم من أضرار وآخذهم بالثار وأكشف عنهم العار ثم إن عنتر بعد ذلك حمل عليه حملة الليث الكرار قال فلما رأى الصدام إلى فعاله علم أن لابد له من قتاله وحربه ونزاله فتلقاه فى حومة الميدان وأخذ فى الضرب والطعان فنظر عنتر إلى خصمه فرآه منيع الجوانب خبيرا بحوادث المصائب صبورا فى ميدان الحرب على النوايب فأخذ عنتر معه فى الجولان إلى أن أتعبه وضايقه وكربه وهجم عليه هجمة الليث القسور وطعنه فى جانبه الأيمن فنفذ الرمح من الجانب الأيسر ووقع على الأرض معفر فتركه عنتر وأراد أن يسير إلى أخيه شيبوب وإذا به قد أقبل مثل ريح الهبوب بعد ما حل النساء وبشرهن بإزالة الهم والأسا ورجع على عقبه فى البر الأقفر ومازال سائر حتى أنه التقى كما ذكرنا بأخيه عنتر ورأى ما فعل من ذلك الأمر والخبر فهناه بسلامته ومن الأعداء وفرح بما حصل لأخيه من النصر والظفر قال وبعد ذلك جمعوا أسلاب القتلى ولموا الخيل الشاردة فى الفلاة ورجعوا إلى ناحية النسوان وعنتر بذلك الأمر فرحان فلما نظرت البنات إليه وثبن فى عاجل الحال وصرن يقبلن يديه وهن فرحات بالنظر إليه وكل واحدة منهن كالبدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشر وأمهن تبكى من شدة الفرح والسرور وتتعجب من تقلبات الايام والدهور وبقيت حائرة بماذا تجازى عنترا على أفعاله وبأى شيء تكافئه على ما صنع معهم من أعماله فلم تجد غير جوهرة اللسان ليكون ذلك مكافأة على ما فعل معهن من الإحسان فاشارت تمدح عنتر بهذه الابيات :

أعطاك رب ماترجوه من أمل — وجاز أرضك صوب العرض الهاطل
يافارس الخيل يامن لاشبيه له — عند اختلاف القنا والطعن بالاسل
أعداك كل صباح منك راجفة — تخاف أرواحها من سرعة الأجل
لو أنصف الناس أو صدقوا — ماكان غيرك يدعى الفارس البطل
وقد تفردت فى الدنيا بلا مثل — وصرت منفردا فى السهل والجبل

(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من شعرها والنظام زاد بعنتر الفرح واتسع صدره وانشرح وتعجب من فصاحتها كل العجب وحصل له الطرب ثم أمرهم بالإستتار وأن يغطوا تلك الوجوه التى مثل الأقمار فصرن يدعون له ويقبلن يديه ويشكرنه ويثنين عليه قال ولما استقر بعنتر المقام أتت العجوز بشىء من الطعام ووضعته بين يديه وصارت وهى وبناتها يخدمن عليه وكان الشيخ قد أفاق على نفسه بعد أن كان أيقن بشرب كاس الحمام وجعل يأكل مع عنتر ويحادثه فى الكلام وكان عنتر من حين فارق عبلة ماشبع بطعام ولا مثلت أجفانه بمنام فأكل ذلك النهار حياء من الشيخ والعجوز وفرح بفعل الجميل وخف غرامه شيئا قليل قال ولما فرغوا من أكل الطعام قال لهم عنتر إلى أين قصدكم وإلى أى الاماكن تطلبون حتى أسير معكم إلى حيث تؤمنون فقال له الشيخ يامولاى إننا قاصدون بنى الحارث لأن هناك ابنة مزوجة فقصدنا أننا نقيم عندها وجميع ماجرى لنا بسببها فقال له عنتر ياشيخ أما من هلك بقى لى فيه حيلة ومابقى إلى رجائه وسيلة وما أنتم فما بقى عليكم خوف ولا بأس ولكم الأمان من جميع الناس وأنا أسير معكم إلى قرب دياركم لأجل ما أكلت من زادكم ولقلة ناصركم ومعينكم ثم أنه أمرهم بالعود إلى ظهور خيلهم ومطيهم وأمر شيبوبا بالرفق بهم وكان معهم ثلاثة عبيد يتولون خدمتهم وصار الشيخ يسأل عنترا عن حاله ومن أى العرب هو وهو يحدثهم بما جرى له وبما لقى من الشدائد وما لقى من أجلها وأنه طامع من حلته حردان ويريد أن يجعل مقامه فى البيت الحرام ولا يجاور بعدها أحد من الانام فقال الشيخ والله يامولاى أن قصتك قد أحرقت قلبى وأكثرت همى وكربى وقد انستنى ماجرى فقد أولادى ولقد فعلت معى ومع أولادى من الجميل مالا يفعله الخل من الخليل وأعلم يا مولاى أنى ليس لى شيئا أجازيك به غير هؤلاء البنات الأبكار اللاتى خلصتهن من السبى فى ذلك النهار فان أردت أن تقنع باحداهن ويكون مقامك عندنا فافعل ما تحب وتختار ونكون ذلك عبيدا وخداما ما دام الليل والنهار قال فقال عنتر ياشيخ وكيف لى بذلك الشأن وأنا

والله أشتهي أن يساعدني الزمان وتطاوعني يد الحدثان ولكن قيدي برجلي ثقيل وسلطان الهوى وقد تركني عليل وبحره زاخر عظيم التيار وليس له حد ولا قرار ثم أنه بكى بدموع غزار وأنشد يقول :

لوكان قلبي معى ما اخترت غيركو ولا أردت سواكم فى الهوى بدلا
لكنه فى راغب فيمن يعذبه وليس يقبل لى قولا ولا عملا
أشكوا إلى الله من جور بليت به من اللئام الأولى قد أحكموا الزللا
مالى سواه معين أبتغى عوضا لأنه عادلا ما يبتغى بدلا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تعجب الشيخ من فصاحته وهام ثم أنهم لم يزالوا سائرين يقطعون الأرض والآكام حتى أنهم قاربوا ديار بنى الحارث وأمنوا على أنفسهم من كل شىء حادث فعند ذلك ودعهم الأمير عنتر بن شداد وطيب خاطرهم وأحسن معهم الوداد وعاد إلى البيت الحرام والعجوز تقول يا مولاى خذ تلك الخيول والاسلاب التى ملكتها بحسامك القرضاب فقال عنتر لا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لا فعلت ذلك أبداً ولا آخذ على فعل الجميل جزاء وأنتم أحق بها تعينكم على فرقكم ولا سيما وقد أخذ الزمان أولادكم وأفنى أبطالكم وقتل فرسانكم فى ميدان العشق والغرام زائد القلق قليل المنام ويكون له معنا كلام إذا وصلنا اليه نحدثكم عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه هذا وأما ما كان من أولاد الملك زهير وما جرى لهم من الكلام فانه لما فارقهم عنتر بعد ذلك الخصام وكذلك بنو زياد اللئام فانهم عند الصباح افتقدوا عنتر فما لقوا له خبر ولا جلية أثر فجرى على قلب مالك بن زهير ما لا يجرى على قلب بشر وكذلك شداد بن قراد الآخر وأما مالك أبو عبلة والربيع ابن زياد وأخوه عمارة القواد فانهم فرحوا فرحا شديداً ما عليه من مزيد وقال شاس لعمارة بل أنك تتزوج بها وتبلغ المقصود وتنفطر من بنى قراد المرائر والكبود والرأى عندى أنك تحمل إلى مالك مهرها وتدخل فى هذا الشهر بها ويكون فى ليلة جميلة وتنفصل هذه الدوبة الطويلة قال ثم إن شاسا دعا بمالك أبى عبلة فحضر فى عاجل الحال إلى بين يديه فأعاد ما قدمنا من الكلام عليه وقال له أعط عمارة بنتك وأخلص فى مصاهرته نيتك واشهدنا على ذلك بين الاعراب حتى تنقطع عنها جميع الخطاب والطلاب فعند ذلك قال له مالك بن قراد والله يا مولاى ما أريد أن تكون بنتى عـلة إلا أمة فى بنى زياد ويكون معها منه عشرة أولاد ثم أنه مد يده إلى عمارة القواد وصافحه وناكحه وتم الايراد وقد اتفقوا على ذلك

وصفا منهم الوداد وهدأت منهم الأسرار وسار وبعد ذلك طالبين الديار وعروة بن الورد يقول لعمارة القواد مبارك يا أمير عمارة يا وهاب ولكن أرجو من الله أن تكون العاقبة إلى خير وسلامة ولا يحدث فى عاقبتنا ندامة فقال الربيع ما بقى يحصل لنا أبداً بأس مادام يتولى هذا الأمر مولانا شاس فقال عروة والله ما رأيت هذه الجارية إلا وقد عم شرها جميع الناس وكل من أراد أن يتزوج بها أصبح بدنا بلا راس هذا وقد بلغ الخبر إلى مالك بن زهير فحصل عنده هم وضير وقال وحق الملك العلام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ما تركت عمارة يتهنا ولا يوما من الأيام إلا إذا عدمت أنا من الدنيا ولا بقى لى فيها مقام وبعد هذا يا أمير شداد إذا وصلنا إلى أطلالنا والبلاد فخذ من أخيك مال ولدك عنتر ولا تركه يتم له هذا الأمر إذا وجدته جد فى زواج ابنته وأراد أن يعطيها لعمارة بمكيدته وأنقض أنت جميع بنيانه وأنا أساعدك على ذلك الأمر وأخلى أبى يأخذ مال كسرى منه وأموال قيصر وكذلك مال الملك المنذر ونأخذ منه النوق العصافير ونعلف منهم الكبير فقال شداد فوحق ذمة العرب وشهر رجب سوف يظهر ما جرى لهم قدام أبيك قال ثم أنهم جدوا فى المسير والتكيد والتشمير إلى أن أشرفوا على أرضهم وقاربوا ديارهم وأتوا على ما يقال له غدير الظبا ورمال كثيرة وكان الأمير شاس كما ذكرنا فى أول الناس وكان يقضى نهاره فى الصيد والقنص وانتهاز الفرص لأنه كان أحب إخوته إلى أبيه وأبوه موصى له بالملك عند موته فلما أشرفوا على تلك الربوات ورأوها مخضرة الجنبات مملوءة بالزهر والنبات وهى كاملة المعانى والصفات طيورها ناطقة وغصونها باسقة والوحوش فى جنباتها رائمة وآمنة من الهم والشقاء تسبح من له العز والدوام والبقاء (قال) فلما نظر شاس إلى تلك الأرض وحسنها ورأى إلى كثرة غزلانها فقال لأخيه قيس سر أنت بالناس واعلم أنه ما بقى علينا من خوف ولا باس وأنا أريد أن أصطاد فى هذه الأرض إلى المساء وأعود إلى الأحياء ثم أنه أخذ له عشرة فوارس من خواصه وعدل إلى ذلك الورى فرأى الوحش فيه ساكنا وهادى لجملة الفرسان الذين هم فى صحبته يوردون عليه الوحوش والغزلان فى حضرته ومازال على ذلك الأمر والشان إلى أن غاب أخوه قيس عن الأعيان ووصل إلى ديار والأوطان هذا وشاس قد تعب هو ومن معه من الفرسان من كثرة ما لقوا فى تلك الوديان لأنهم اصطادوا شيئاً كثيراً من الأرانب والغزلان ثم هموا أن يعودوا إلى الديار وإذا هم بغبار قد ثار وكان أقباله من ناحية ديار بنى فزارة وهؤلاء الفرسان المقبلون على خيولهم مثل الطيور الطيارة وهم يزيدون عن مائة فارس ومن معه من الفرسان هجموا عليهم كأنهم

العقبان وانتشروا عليهم كالغمام فقال شاس يا بنى عمى موتوا كراماً ولا تعيشوا لئاماً وما بقى ينجينا غير قوائم سيوفنا وأسنة رماحنا والرأى عندى أننا ننقسم فرقتين كل خمسة منا فرقة واحدة واحملوا حملة بنية صادقة وهمة موافقة وإياكم أن تميلوا إلى الهرب فتصيروا بذلك معيرة عند جميع العرب من بعد منا ومن اقترب قال فما أتم شاس سياق كلامه إلا والخيل قد صارت من خلفه ومن قدامه وما كانت إلا ساعة واحدة حتى أنهم قتلوا العشرة الفرسان وأسروا شاسا ثم أن القوم ساروا طالبين أرضهم وديارهم وهم لا يعرفون من هذا الأسير قال وكان الذى أسر شاسا ابن الملك زهير رجل يقال له ميسور وكان السبب فى ذلك أنه كان فى هذه النوبة التى نحن فى ذكرها أتى من ديار بنى قحطان ودخل إلى أرض بنى عدنان فى طلب المعاش والمكسب من بعض أحياء العرب فما وقع له شيء من الحطام وكان له فى أرض بنى فزارة ثلاثة أيام يريد مالا ينهبه فما وقع له ما يريده فسار إلى ديار بنى عبس وعدنان فوقع بشاس ابن زهير فى هذا المكان وجرى ما جرى من ذلك الأمر والشأن فلما سار به فى البر والسبسب أستخبره ذلك الفارس عن حسبه ونسبه لأنه رآه حسن الأثواب نقى الأثواب ولاسيما أنه ابن ملك مهاب فقال له ميسور من أنت ومن أى الناس تكون يا قرنان ويا ابن القرنان وتنسب إلى من العربان فقال شاس اعلم يافتى انى ما أنا من أوباش العرب ولا دنىء فى النسب أنا شاس بن زهير سيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وأنا قتلت جماعة من بنى عمك وأكثرت عليهم همك وغمك وقتلت أيضاً أخاك وها أنا وقعت فى يداك فافعل بى ما تريده واحكم فى حكم الموالى على العبيد وإلا فاقتلنى وتخلص أنت من العار والذل والشنار إن كنت من الرجال الذين يخافون مندمة العرب الأخيار وإن أردت المال فعلى ما تحب وتختار من النوق والجمال إذا أردت القتل فافعل ما بدا لك من الأحوال فقال ميسور والله يا ميشوم الناصية ما بقيت تنظر إلى أهلك أبداً ولو أنك أتيت بكل من فى الأرض عدداً ولا بد أن أجرعك كأس الردى جزاء ما أعدمتنى أخى شيبان وأهلكت العشرة الذين من بنى عمى وأكثرت عليهم همى وغمى ثم أنه بعد ذلك المقال صار يطلب دياره والأطلال وشاس بن زهير يتجرع غصص العذاب وأيقن بالفناء والذهاب فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأمر والشأن وأما ما كان من بنى عبس وقيس بن زهير فانهم ساروا إلى أن وصلوا إلى الأطلال ونزلوا الأحمال من على الجمال وقد حملوا على وجه الأرض وصارت قلوبهم تغلى بالأحقاد وكان أعظم حرقة وأشدهم مشقة مالك بن الملك زهير

وذلك لفقد عنتر بن شداد وما جرى له ذلك الإيراد هذا وقد ساروا بعد ذلك إلى الملك زهير وسلموا عليه وبما جرى لهم في ديار بني طي أعلموه فقال لهم وأين هو عنتر بن شداد وماله ما حضر بجملة من حضر من الرجال فأخبروه بالقصة التي جرت في سفرته وأعلموه بما جرى بين شاس وبينه بجليته وأخبروه أن شاسا انفرد عنهم بعشرة فوارس وطلب الصيد والقنص من دون الناس وقال إنه يرجع عند المسا وهذا الذي جرى وكان ولا نعلم كيف ما حصل من الاسا (قال) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام صار الضياء في وجهه كالظلام وعلم أنهم تعدوا على عنتر وظلموه وأنه ما فارقهم إلا من الكلام وصار الذي قالوه ثم إن الملك نظر إلى ولده مالك فوجده مجروح وقد بقي بدنا بلا روح وهو يريد أن يتكلم فلا يقدر من الغيظ الذي نزل عليه والدموع تنحدر من عينيه فقال له يا ولدي أما تدري ما حل بي من أجلكم وما الذي أصابني من بعدكم وإني أخشى عليكم من غدرات الزمان وحوادث الأيام أن تبتليني بفقدكم وقد أشغلت قلبي بغيبة أخيك وشقيقك وفقد حامية القبيلة عنتر صديقك الذي دائما يحمي حريمنا والأولاد ويتحمل عنا جميع المصائب التي تأتي من العباد فأبدأ ما في قلبك ولا تخفيه وأخبرني به حتى أعلم معانيه وأكافيء من ظلم على أعماله وأضع كل شيء في مكانه بعونه وسلطانه فقال مالك أي شيء أقول من المقال فلعن الله الظلم ومن يتبعه من الرجال ثم حدثه بما فعل عنتر مع بني زياد وكيف أنه بذل نفسه في حقهم حتى خلصهم من القيود والأغلال (قال) فلما علم تلك العبارة التفت من وقته وساعته إلى المخنث عمارة وقد صعب عليه ما جرى لفقد حامية العشيرة من كل غارة وقال له كل هذا من نيتك يا ميشوم الناصية يا من بلاه الله بألف علة وداهية وهذا من قبيح أفعالك التي فعلتها في الأيام الماضية فقال عمارة وأنا يا ملك أي شيء لي من الذنب فوحق اللات والعزى والهبل الأعلى لقد جرى علي في هذه الكرة ما لم يجر على ابن أمة ولا حرة وقد سلمت من القتل غير مرة وأيقنت بالموت الف كرة فقال الملك زهير يا ليتها كانت القاضية وليت المنايا إليك متدانية يا ويلك يا مذلول السبا ويا بقية الرجال الأنذال هل سمعت بأن أحدسبي ابنة عمه التي هي من لحمه ودمه وعارها من عاره فيسبيها ويبعدها عن ديارها وأمصاره يا ويلك هل هذا جزاء عنتر في نظير مروءته وهو قد خلصك من الأسر عند عودته وبذله دونك نفسه وعزيز مهجته وبعد ذلك تفعل معه هذه الفعال يا وغد يا ديوث الرجال فلعن الله سبالك ومن المصائب لا أقالك ثم إنه أمر أربعة من العبيد أن يشبحوه بين أربع شعاب

من حديد ففعلوا ما أمروا به فى الحال وبطحوه على الأرض وانزلوا به الوبال فقال الملك للعبيد اضربوه الضرب النكير هذا والربيع لم يقدر أن يتكلم ولا يسأل فيه الملك زهير لانه علم بما فى قلبه عليه من الاحقاد لاجل فقد عنتر بن شداد وقد زاد به على عمارة الأمر المنكر وقد تعجب من ذلك جميع من حضر قال وكان الأمير عروة بن الورد واقفاً ينظر إلى هذه الأمور الشداد وهو يقول فى نفسه هذه أول بركات عبلة بنت مالك بن قراد فوالله لو قبل منى لما تعرضت لها لانى والله جربت شئوم طلعتها على كل من خطبها هذا ولم تزل العبيد تضرب عمارة بن زياد حتى غشى عليه وأشرف على الهلاك والنفاد ومن كثرة ما قاسى من العذاب لوث بنفسه ونزع ما عليه من الثياب فلما رأى الملك زهير إلى تلك الامور القباح سد أنفه بيده لماشم رائحة الغائط الذى قد فاح وأمر بابطال الضرب عنه لما رأى ما حصل له من التلاف فعند ذلك شددت العبيد على كتافه ورفعوا من قدام الملك زهير ورموه فى بعض المطامير فصار يئن من شدة الآلام وقد فاضت دموعه على خدوده سجام وصار يتحسر مما نزل به من التلف وأبدى اللوعة واللهف واجتمعت على صراخه جميع الأمراء والخدم ولا أحد منهم رق لحاله ورحمه ولا حامى عنه (قال) وبعد ذلك تقدم الأمير شداد إلى الملك زهير وقال له أيها السيد المفضال أريد من أخى مالك أن يرد علينا جميع ما أخذ من ولدى عنتر من الاموال ولاسيما وقد غدر به وزوج ابنته لغيره من الرجال وهو الأمير شرف الدين عمارة وقعت أنا وولدى فى تلك الخسارة هذا وعمارة يستمع وكبده من شدة الغيظ يتطلع فقال العاقبة لك ياشداد أن تتزوج مثلى هذا الزواج الذى يعقبه ذلك العذاب واللجاج فعند ذلك تبسم الملك زهير المفضال لما سمع من عمارة ذلك المقال وكذلك ولده مالك وجميع من حضر من الرجال وبعد ذلك التفت الملك زهير إلى مالك أبى عبلة وقال له وأنت ياشيخ النحس والضلال كيف أنك تستحسن تلك الفعال ياكلب ياديوث ياشيخ المحال فلعن الله هذا الغزل ونتف ذلك السبال وكيف أنك تغير نيتك وتأخذ مال ابن أخيك وتغدر به وتزوج لعمارة ابنتك وقد رميته فى المهالك وألقيته فى أضيق المسالك لما أرسلته فى طلب النوق العصافير وعلم بذلك الكبير والصغير وجازاك على قبيح فعالك بالجميل وعمل معك الخير الجزيل ولو كنت أنت وابنتك معاً أوباش الرجال وأنتم مشتتون فى القفر والجبال فقال له مالك يامولاى وحق نعمتك التى لاتحصى وآلائك التى لاتستقصى أنى ما غدرت به ولا يحسن لمثلى الغدر وإنما غلب رأيى على بصيرتى وعقلى وسلمت إبنتى لمولاى

شاس وفوضت أمرى له دون الناس وقلت أنت ملكنا وابن ملكنا وتعرف فسادنا وصلاحنا وهذه ابنتى قد راج زواجها وأنا سلمت اليك أمرها فزوجها إلى من تحب وتريد ولو كان عبد من العبيد لأنى قد مل قلبى من البعد والشتات وضجرت مما حل بى من النائبات فقال مولاى شاس حاشا أن يكون بنات السادات الأماجيد يزوجن بالعبيد ولا نزوجها إلا لرجل من الأبطال الصناديد وهو الأمير عمارة بن زياد لأنه هو وأخوته مشايخ الحلة الأمجاد ثم أنه أمرنى أن أزوجه بها وقد انصلح ما أنتم فيه من الفساد فقلت له يا مولاى كيف أنى أفعل ذلك وابن أخى قد حمل إلى مهرها والتى نفسه من أجلها فى المهالك وملكنا الملك زهير شاهد علينا بذلك وكذلك أخوك الأمير مالك فقال لى شاس لا تتحدث بذلك الأمر الشنيع فأنا أكفيك مؤنة الجميع الرفيع منهم والوضيع كرامة لعمارة وأخيه الربيع يا مولاى فى عاجل الحال أمر باحضار ابن أخى عنتر إلى بين يديه فحضر فنهاه عن ذكر بنتى عبلة بين العباد ونهاه أن يذكرها فى اشعاره والأنشاد وكلمه كلاما شنيعا فجرد من ذلك الايراد وغضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد ولما سرنا فى وسيع الفضا فارقنا بالليل ومضى وأنا وحق اللات والعزى من أجله أتقلى على جمر الغضا لأنه كما علمت عضو من الأعضاء وسيفى الذى أجول به على الأعداء وادخل لشدتى ورخاتى ولكن ماقدرت أن أرد كلام مولاى شاس ولا كان يوافقنى على ذلك أحد من الناس وبعد ذلك يا مولاى فابنتى عندى وهى فى خدرها ولا فرطت أبداً فى أمرها فتولها أنت أيها السيد الحميد وزوجها لمن تحب وتريد واحسب أنها من بعض امائك وأنا وأخوها لك من العبيد (قال) فلما سمع الملك ذلك الكلام الذى تقرر على فعاله وأحضر جميع عياله ثم انهم لم يزالوا فى قال وقيل إلى أن ادبر النهار وقارب دخول الليل فانصرف كل منهم إلى منزله بغير جميل وبقى الملك زهير زائد القلق وفؤاده على ولده شاس كاد أن يحرق لأنه أمسى عليه المساء ولم يرجع لذلك الناس أجمع ولده فقل لذلك صبره وجلده فاستدعى بجماعة من الفرسان وفرقهم فى سائر النواحى والوديان فتفرقوا جميعهم فى الجبال وعادوا عند المساء وما نالوا منال ولا بلغوا آمال وقالوا ماوقعنا على خبر ولا جلية أثر وماشاهدنا فى تلك الفلوات بشر فزاد الملك زهير الهم والغم فى أمره تحير لأن شاسا أكبر أولاده وهو الموصى بالملك من بعده (قال) فلما أيس منه قال هلك والله ولدى وتفتت عليه كبدى وانقطع خبره واندثر وأهلكه بغيه على ابن عمه عنتر وحق اللات والعزى أن هلك ولدى لاضرب رقبة عمارة بن زياد واجعله معيرة

بين العباد أنه أنفذ العبيد والجواسيس إلى أحياء العرب وأقام ينتظر ما يجرى من ذلك السبب وقد تكدر عليه عيشه وزاد همه وطيشه ونقص فى عينيه وملكه وكذلك زوجته صارت تبكى الليل والنهار وكذلك أخوته ملوا من كثرة الإنتظار وفارقوا المسرات من أجل غيبته وتعجبوا جميعهم من أمر هؤلاء وصار لهم من الأخبار (وأما ما كان) من أمر شاس وما به من الحوادث فانهم ساروا به إلى ديار بنى الحارث وقد جرعوه فى الطريق الغصص وما بقى له منها خلاص وصاروا يضربونه الضرب الوجيع وتوعدوه بالقتل والفعل الشنيع ولما وصلوا إلى ديارهم وقراهم قال المقدم عليهم يا بنى عمى أنتم تعلمون أن هذا العبد العبسى قتل أخى وأركبنى العار والذل والشنار وأنا لا بد لى من قتله وأنزل به الدمار حتى لا يبقى عند العرب عار وأما أنتم فخذوا جواده وجميع سلبه وآلة حربه وعدته ويكون ذلك حتى أتبعكم سكك من حديد وشبحه فيها مثل العبيد وقال له وحق الواحد المجيد لا بقيت أطلقك حتى أعذبك العذاب الشديد ولا بقى لك من يدى خلاص ولا ذهاب ولا تزال مربوط مثل الكلاب وأجعلك وعظة لمن حضر وغاب وصار إن دخل لطمه وإن خرج صدمه وإن أكل لم يطعمه وقد شدد فى عذابه وهو كل يوم يضربونه على يديه وعلى رجليه وعلى جنابه قال وكان حديثه قد شاع فى كل مكان وأقبلت تتفرج عليه البنات والنسوان وهرعن إليه وصرن يدخلن له فى كل أوان وقد رقوا له من شدة ما هو فيه من العذاب والهوان وبعد ذلك بلغ العلم أى شىء هذا الذى فعلته بأسيرك وما أبديته من أمورك فان الذى فعلته ما هو صواب ولا سيما هو ابن ملك مهاب وأنا ما أمكنك من قتله ولا تنزل به الحرمان حتى أنك تمضى إلى الملك عبد المدان الذى هو حاكم على هذه الديار والأوطان وتشاوره فى ذلك الأمر والشأن ولا تفعل من غير علمه فيحصل لك التعب ولا ينفعك بعد ذلك أحد من العرب لأن قوم هذا الرجل ما يغفلون عنه ولا عن كشف خبره ولا بد لأبيه أن يقتفى أثره وأن يسمع أنه قتل فى هذا المكان يأتينا ببنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وجميع أجناده والفرسان ويقلعون الحى ويتركون كل من فيه صرعا وإن أنفذنا إلى ملكنا عبد المدان وطلبنا منه معونة على بنى عبس وعدنان يغضب علينا ويحرد ويقول أنتم قتلتم ابن الرجل ولا شاورتمونى فى شىء من ذلك الأمر والشأن فافعلوا ما تريدون ودبروا بأنفسكم الاحسان وتشاوروا الملك عبد المدان وإلا انفتح علينا باب لا يسد بمعاداتنا لهذه العربان قال

فلما سمع ميسور هذا الكلام عظم عليه وكبر همه وزاد به البلبال بعد ما كان أيقن ببلوغ الآمال وقضاء الأشغال إلا أنه احتاج أن يفعل ما أمره به سيد القبيلة خوفا من الوبال وعزم على ذلك الحال ثم أنه دخل على شاس وأطلقه من رباطه وأوصى عليه عبيده وزوجته وركب إلى ما عزم عليه وسار إلى الملك عبد المدان هو ومن معه من الفرسان وقد منع من شاس ما هو فيه من العذاب والهوان فلما حلا شاس نفسه قال لزوجة ميسور وقد زاد عليه الحرج يا هل ترى يكون لى من ذلك الضيق مخرج فقالت له لا والله يا وجه العرب إلا أن كان فى الأجل تأخير ويحدث لك أمر قد جرت به المقادير أو ترزق يدا عالية ما تكون على بال تخلصك مما أنت فيه من العذاب أو تفدى نفسك بما تقدر عليه من المال لأنه يا وجه العرب المال للعقول ميال ويستميل قلوب النساء والرجال وتقضى به جميع الحوائج والأشغال كما قال من رتب هذا المقال :

أشتر النفس بما يفنى فليس العز غالى والفتى من جعل الأموال أثمان الرجال

(قال الراوى) فلما فرغت زوجة ميسور من شعرها قال لها شاس والله يا حرة العرب أنا لى من المال اليد الباسطة والإيسار ولكن من يوصل خبرى لأهلى على بعد الديار فقالت له لك رب لا ينساك وهو كريم ستار (قال) فلما فرغ شاس من كلامه مع زوجة ميسور وأتم المقال إلا وقد دخل عليه جماعة من النساء الأحرار وهن يسحبن أذيال الجمال ويتمايلن كتمايل الأغصان إذا لعبت ريح الشمال إلا أنهن لابسات السواد وهن أزهى من أهلة الأعيا كما قيل فيهن :

سود العيون كما الغزلان تنظرهم كأنهم من جنان الخلد قد خرجوا

وبين أيديهم امرأة كبيرة كأنها ناقة فعند ذلك سلمت على زوجة ميسور وقالت لها يا بنت العم من هذا الأسير الذى سمعنا بخبره فقالت لها بعد أن سلمت عليها هذا ابن الملك زهير ملك بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان فلما سمعت المرأة ذلك الكلام أقبلت على شاس كأنها البدر التمام وقالت له أصحيح أنت ابن الملك زهير فقال نعم يا خالتاه فقالت وأنتم عشرة أخوة ذكور قال نعم يا حرة العرب قالت له لله در أمك ما أنجبها وأى الأولاد يا فتى فقال لها أنا الأكبر فقالت له وكيف وصل إليك هؤلاء القوم وقد رأوا الشجاعة لائحة بين عينيك فقال يا حرة العرب أتونى وأنا تعبان من الصيد والقنص ومعى عشرة من الرجال وقد حل بهم ما قد حل بى فقتلوهم وأخذونى كما ترين بعد ما قتلت منهم عشرة من رجالهم الأبطال فقالت العجوز الله يسهل لك الفرج ويجعل لك من هذا الضيق مخرج لأنك

قوم موصوفون بالشجاعة وفصاحة اللسان ولكن ما فيكم أحد فى الفصاحة مثل ما فى بنى قحطان فقال لها شاس وقد شق عليه كلامها ومن فى بنى قحطان فصيح اللسان حتى أنك تمايزنى به بنو عبس وعدنان فقالت فينا أمرؤ القيس بن حجر الكندى الذى قصيدته معلقة على بيت الحرام وقد سجدله كل فارس وهمام وكل من يدعى النثر والنظام وله أيضا أيها الغلام وما هو أفصح من المعلقة فى الكلام وأبلغ معانى عند ذوى الاحتشام ولاسيما قصيدته التى من جملتها هذه الأبيات :

خليلى مرادى مع أم جندب لتقضى لبانات الفؤاد المعذب
ألا ترى بأنى كلما جئت دارها وجدت بها طيبا إذا لم تطيب

فقال شاس لما سمع هذا الكلام نحن لنا عبد نجيب لا يرام وقد أدخلناه فى أنسابنا وكان ذلك عزيز علينا ولو أننا نعرف قدره وساعده على علو الشان لكان افتخر على سائر العربان فى فصاحة اللسان فقالت له العجوز وقد أظهرت التعجب من مقاله أما حفظت شيئا من كلامه ومقاله قال بلى يا ستاه فقالت هيا أنشدنى إياه حتى أقيسه على ما سواه فعندها أنشد شاس بعض قصائد عنتر التى بها هذه الأبيات :

سقام الفتى كيما تعاد وما لها سوى فترة العينين سقما لعائد
منعمة الأطراف خودا كأنها هلال على غصن من البان مائد
من البيض ما تلقاك إلا مصابة وتمشى هوينا بين تلك الولائد
كلون الثريا حين لاحت عشية على نحرها منظومة بالقلائد
حوى كل شىء فى الملاحة حسنها وليس ترى منها عيونا الحاسد

(قال الراوى) فلما انتهى شاس من ذلك الشعر والنظام تمايلت الجوارى طربا فقالت العجوز لا يكون هذا إلا شعر عنتر الذى يحب عبلة بنت مالك فقال لها هو إياه وأراك عارفة به يا ستاه فقالت له هو الذى يزيل عنك ما زال بك من الشدة لانى سمعت بحديثه وهل ترى هو إلى الآن ما تزوج بعبلة ولا زالت عنه تلك الدبلة فقال شاس لا والله يا حرة العرب وأنا كنت السبب وأنا الذى منعته عن بلوغ الأرب ولاجل ذلك وقعت فى العطب وأنا عاهدت الله إذا سلمت من هذه النوبة أكون له عبدا طول المدا ولا أفارق صحبته أبدا فقالت العجوز قاتل الله الباغى فما أسرع مجازاته ولكن يا أمير ما دمت على هذه النية فلا تيأس من الفرج ولو كنت فى بحر من اللجج ثم إن العجوز خرجت من عنده وقد طيبت نفسه وأطفأت نيران كبده وأقام يملل نفسه بملل إلى أن ولى النهار وأمسى المساء وقد أخذ فى

البكاء والتعداد وأيقن فى نفسه بالهلاك وظن أنه قد انقطعت عنه حبال الرجاء وكانت هذه العجوز التى جرى لها مع شاس ماجرى هى المرأة الكندية الذى خلصها عنتر هى وبناتها من الأسر والاعتقال والجوارى اللاتى أتوا معها بناتها وهم على ذلك الحال من لبس السواد وكيف خلصهم عنتر وكيف قتل الرجال الذين أسروهم وذكرنا أخبارهم التى جرت لهم حتى أنه أوصلهم من ديارهم إلى هؤلاء القوم الذى نحن فى ذكرهم ولما علمت العجوز بحديث شاس وحققت معرفتها عادت من عنده وفى قلبها النار التى لا تطفأ لأنها سمعت من شاس كل ما حدثها به عنتر فى الطريق وحققت ذلك فدخلت إلى مضربها ودعت بزوجها من وقته فلما أتى عندها وحضر أعلمته بذلك الخبر وقالت له قد وجدنا جميلا نكافىء به عنتر لأن هذا الرجل إذا تخلص على أيدينا أعان عنتر على زواجه بعبلة وكشف عنه ذلك الهم الغم فقال لها ويلك يا بنت العم وكيف التدبير فى ذلك الأمر الخطير فقالت له الرأى أنك تركب ناقتك وتسير من وقتك وساعتك وتطلب مكة المشرفة وتعلم بذلك عنتر بن شداد وهو يدبر بفعله ما أراد فقال لها الأشعث لقد أصبت بذلك الرأى الذى أشرت به ثم إنه ركب على ناقته وتوجه إلى مكة من وقته وساعته وصارت العجوز خائفة أن يعود ميسور وهو فرحان من عند الملك عبد المدان ومعه الأذن فى قتل شاس بن



سيد بنى عبس وعدنان فما كانت إلا أيام قلائل حتى عاد ميسور إلى الأوطان ومعه عشر

فرسان من خواص الملك عبد المدار لأنه لما وصل إليه فى قتل شاس شاوره فقال له ارجع إلى ديارك واقتله وخذ منه ثارك واكشف عنا عارك وإذا قدمت بين الأشرار فارسل من عندك رسولا يعلمنى بما أنتم من الأخبار حتى أنى آتى إليك ولا أخلى منهم ديار ولا نافخ نار وأسير إلى ديارهم وأسبى نساءهم وأقتل أولادهم وأنهب أموالهم وإماءهم فعاد عند ذلك ميسور وقد حصل له الفرج والسرور ومعه هذه العشرة فرسان يريدون الفرجة على قتل شاس بن سيد بنى عبس وعدنان لأنه ما فيهم أحد إلا له عليه دم وثار من قديم الزمان ثم أن ميسور لما نزل فى أبياته واستقر به القرار أمر بذبح النوق والأغنام وترويج الطعام فأكلوا وشربوا هو وجميع أهله وناسه ومن اجتمع عنده من جلاسه ومن شدة فرحه دعا بماهوب سيد العشيرة بن يزيد وقد شرب معه بعد ماشبع السادات والعبيد وغمر منهم القريب والبعيد وقدم شاسا بين يديه وصار يشرب ويقلب فضلة الكاس عليه ويهدده بالقتل وإيصال الأذية إليه هذا وشاسا يبكى ويتنهد من شدة الهوان وكلما رآه ميسور على تلك الحالة يقول له فوحق اللات والعزى ما بقيت تجد لك مما أنت فيه مخرجا لأنك ما كنت رحمت أخى شيبان لما ضربته بحد السنان لكن وحق علام الغيوب لا تركته الصباح يصبح عليك إلا وأنت مصلوب والأموات تصير لهم مجاور حتى يعتبر بك كل بادى وحاضر وكانت فى تلك الساعة المرأة الكندية حاضرة ولذلك معاينة وناظرة فلما علمت بذلك الحال أيقنت بذلك بدنو الآجال وكانت تسمع وقلبها يتقطع ولكن ما بيدها شىء تدفع وكاد قلبها يتحسر وهى تقول آه على حضور أبى الفوارس عنتر حتى أنه يظهر فى هؤلاء القوم العبر وقد دام على ذلك المزام إلى أن أقبل الليل بالظلام وعملت فى رؤسهم نشوة المدام وتفرق أكثرهم بين المضارب والخيام وظهر موهوب سيد القبيلة يريد المنام وكذلك ميسور بعد ما امتلأ من المدام وانقلب هو ومن معه من الأنام وقد نام جميع ما فى الحلة وكذلك العبيد وبقى شاسا فريدا وحيدا وقد قاسى فى تلك الليلة شيئا ما عليه من مزيد وتجرع غصص العذاب الشديد وزاد فى النوح والتعديد لأنه أيقن عند الصباح بشرب كاس التلاف وأنه انجز أمره ولا بقى فيه خلاف فظل يرقب النجوم السائرة ودموعه على خدوده منحدرة ثم أنه تحسر حسرات زائدات وجعل يتسلى بهذه الأبيات :

ترى نجوم الليل هل من يخبر غريبا على أوطانه يتحسر

وعند ضياء الصبح تنهبه العدا ... ببيض حداد بل يقاد وينحر
فيا نسمات الريح بالله عرجى ... على العلم السعدى عسى من يخبر
بخبر قيساً والربيع ومالكا ... بحالى فلى عهد مع القوم يذكر
أملى أرى منهم معيناً وناصراً ... يخلصنى إن كان قتلى يؤخر
ظلمت بحالى لابن عمى فقادنى ... إلى الظلم جبار على الظلم أقدر
فإن كان لى عمر غسلت بأدمعى ... أسافل رجليه ولا أتكبر
ترى يا بنى الأعمام أسمع فى الدجا ... مناد ينادى أو بشيرا يخبر
بأن غبار القوم قد ثار نقعه ... عجاجا ومن تحت العجاجة عنتر
وتصبح أرض القوم ترجف خيفة ... بهيبته والجو اغتم أغبر
علالة قلبى لا تصح وإنما ... أعلل قلبى بالمحال وأصبر

ثم أن شاسا لما فرغ من ذلك الشعر والنظام وقد تبدل عليه الظلام وهو ينتظر الفرج من العرضيات وتلك الأمور المقضيات وإذا بشخص قد أقبل إليه وهو يحبو على يديه ورجليه وهو فى مشيه على اليدين والرجلين كأنه أبو الحصين ولم يزل إلى أن وصل عند شاس وعليه لباس السواد وهو يقول ابشر ياشاس بالخلاص من ضيق الأنفاس ولا بقى عليك فزع ولا تخاف مادمت مضمرا فى تلك الأوصاف ثم أنه دنا إليه وحل القيد من رجليه وخلص الكتاف من يديه وصار قدامه وقال اتبعنى ياعبسى إلى ذلك البيت فقد سلمت من القتل ونجوت (قال) وكان شاس غائبا من الدنيا وهو يظن أنه فى منام ولكنه شد نفسه وقام ومشى على الأقدام وصار يتبع ذلك الشخص الذى خلصه وقد ستره غيهب الظلام وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى أطراف الخيام فدخلوا إلى بيت واسع الفضاء وقد أدخلته العجوز فيه وأجلسته فى صدر الخيام * قال ولما أن قر قراره وخمدت ناره تأمل إلى من فعل هذه الفعال وإذا بها المرأة الكندية أم البنات الأبكار التى دخلت عليه فى اليوم الماضى وناشدته الأشعار فقال لها ياحرة العرب جوزيت من الخير ولا أصابك هم ولا ضير فوحق الملك المجيد لقد فعلت فعل السادات الأماجيد وتقصر عن مثله الأحرار والعبيد وما كنت أريد إلا العودة إلى أهلى قريبا لأجازيك على فعالك وما عملت من أعمالك ولو عملت معك ما عملت ما أقدر أكافئك على تلك الفعال لأن الروح أفضل من المال فقالت العجوز ياشاس ما بقى عليك من أحد باس وقد زال عنك الخوف والوسواس والجميل الذى تممله معى أعمله مع ابن عمك عنتر بن شداد وساعده على بلوغ المراد واجتهد معه على زواج عبلة بنت مالك حتى يزول عنه ذلك العناد هذا عهد الله منى إليك إذا حصل لك ما تقربه مقلى

عينيك وخلصت مما أنت فيه ووصلت إليه تقبل عنى صدره ويديه وتحمل منى السلام إليه وتجازيه من الجميل كل ما تقدر عليه لأننا نحن فى إنعامه وعتقاء سيفه وسنانه وله علينا جميل يعجز عن وصفه اللسان قال ثم إنها أعلمته بما فعل معهم عنتر وأخبرته بما جرى لهم من العبر وكيف نجاهم من الهلاك وخلصهم من الأسر والإرتباك وكيف أنه صان الحريم وهن البنات الأبكار من الانتهاك وأيضا أن زوجها سار إلى مكة المشرفة فى طلب عنتر بن شداد يعلمه لك الإيراد ويأمره بالحضور حتى يخلصك مما أنت فيه ولما رأيت هذا الشيطان عادمن عند الملك عبد المدان وقد عول على قتلك بين الفرسان فعلت تلك الفعال وخلصتك من الاعتقال وحشرت نفسى على ذلك السبب وقلت لعلى أبلغ من خلاصك الأرب والذى أعلمك به من الأمر والشأن أن هذا ميسور وأخوه شيبان الذى قتلته وأنزلت به الهوان أولاد عمى من بنى الحارث وأولاد خالى من بنى كنده وها أنا قد اخترتك عليهم وخلصتك مما كنت فيه . قال هذا كله يجرى وشاس يسمع وعينه من الفرح تدمع وقلبه مما فعل فى حق عنتر يتقطع ويقول فى نفسه هذه فعال عنتر معى ومع سائر الناس وهو ابن الأمة فكيف تفعل أنت بضده يا شاس وأنت ابن حرة مكرمة فوحق من أمر الغيث فانهل وسكب وعن عيون خلقه قد احتجب أننى كأنى ولدتنى أمى ولادة جديدة وعنتر لها سبب قال ومن بعد ما فرغ شاس من كلامه قدمت له العجوز شيئاً من الطعام وطيبت قلبه بحسن الكلام حتى أنه شبع من الزاد وصارت العجوز تحسن معه الوداد وبعد ذلك ألبسته من ثياب النساء الكبار وأجلسته مع بناتها الأبكار لئلا ينظر إليه أحد فى ضوء النهار ومازال كذلك حتى انشق ذيل الدجا وطلع الصباح متبلجا وانتبه ميسور من شرب المدام وأيقظ ندمائه من المنام ودعا بالمولدات والإماء وأمرهم بدق الدفوف والمزاهر فأقبلت جميع الأكابر وجلسوا جميعهم فى ذلك المكان وأخذوا فى الفرح والسرور وصارت الكاسات عليهم تدور ورقصت الاماء والمولدات وصفت لهم الأوقات فتذكر ميسور اشاس فأمر باحضاره بين جميع الناس فعند ذلك انتبهت العبيد الموكلون بشاس وطلبوه فلم يجدوه فصاحوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ودخلوا فى عاجل الحال على سيدهم ميسور وقالوا له أيها السيد المنصور هرب من بيننا العبسى المأسور ولم نجد له أخبار ولا علمنا أين هو سار . قال فلما سمع ميسور بذلك الأخبار ثارت من رأسه نشوة الخمر وأظلمت الدنيا عليه وتقلبت فى وجهه مقل عينيه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه وقال وحق اللات والعزى لئن

كان هرب ونجا فى البيدا لا بد أن أرجعكم كاسات الردى ثم أنه ركب فى عاجل الحال وأمر أن تركب جميع الأبطال والرجال وأمرهم أن يتفرقوا فى سائر الأطلال بعد ماأعلمهم بسائر الأحوال فغابوا يفتشون بطول ذلك النهار وعادوا الجميع بغير أخبار وقالوا ماوجدنا له خبر ولا وقعنا له على أثر فلطم ميسور على رأسه حتى تملخت جميع أضراسه وخافت منه جميع جلاسه وقد كثر همه ووسواسه وقال والله راح دم أخى هدر وندم على حصول ذلك الأمر المنكر وقد بقى عاره علينا طول الدهر فعندذلك قال له رجل من جملة الفرسان والذين أتوا معه من عند الملك عبدالمدان وكان شيطانا فى صورة إنسان خبيرا بتصاريف الزمان وكان يقال له الشريد بن هاما قال له أعلم أيها الملك أن غريمك ماخرج من الحى ولا برح من البيوت وهو إلى الآن فى بعض المضارب وإن لم تسمع منى فات الامر من يدك والصواب أنك تستأذن الموهوب سيد العشيرة وتفتش المضارب والخيام لعلك أن تنال المرام ويكون معك نساء يدخلن الأبيات ويكشفن براقع النساء والبنات وقد نلت ماتختار وتذكرنى بهذا الفعل فى سائر الأقطار (قال) فلما سمع ميسور ذلك الكلام واستحسن هذا الرأى واستصوبه وأرسل أستأذن موهوبا على ماعزم أن يفعله وقد رموا أن يفعلوا هذا الإيضاح إلى أن طلعت الشمس وعمت إلى البطاح وأضاء الكريم بنوره ولاح فوق الخيام التفتيش بعلم سيد القبيلة وقد درات الرجال بأطراف الحلة وملكوا جميع الخيام وفعلوا ذلك بالقعود والقيام وقال الشريد لميسور فتش أنت جميع الأبيات ودع النساء يفتشن النساء والبنات وكذلك العبيد والاماء وأنا آخذ أصحابى وفتشوه من القعود والقيام وكذلك النساء والأماء والعبيد والمولدات وأما الشريد فإنه أمسك أطراف الحلة لمن يخرج من الأبيات وقال لاتدعوا أحداً إلا وفتشوه ولا تتركوا حرة ولا أمة ولا كريمة ولا محترمة حتى نبقى لنا هذه والمكرمة لأنى أخاف أن القوم الذين هو عندهم هذه الفعال فيخرجونه من بين الرجال ويمضون به بين التلال والرمال ويفوت مقصودنا ونبلغ الآمال فقال ميسور للشريد افعل ما بدالك وتمم أعمالك لعلك أن تبلغ آمالك ثم أنهم صاروا يفتشو فى سائر الأبيات وقدظهر بذلك اشاعات فهذا ما كان من أمر هؤلاء وماوفعلوا من الايرادات (وأما ما كان) من العجوز أم البنات الكنديات فإنها لما رأت تلك الاسارات التهب قلبها بالنيران الموقدات وكثر همها وهاجت عليها الخاطرت فخافت عندذلك من خيبة الآمال ودخلت على شاس وأعلمته بذلك الحال وبما قد فعلوه من تلك الأحوال (قال الراوى) فلما سمع شاس منها ذلك المقال جفت أعضاؤه وأيقن بموته وفناه وقال لها ياحرة العرب كيف يكون التدبير فى

هذا الأمر الخطير فقالت له طب قلبا ياوجه العرب ولا تخف ذلك السبب وطمن خاطرك وأنظر منى العجب وأنا أبذل فى خلاصك المجهود ولو أن طلبك قوم عاد وثمود ولكن لا يكن اتكالك إلا على الملك المعبود فهو الذى يبلغك المقصود قال ثم أنها صورت فى نفسها العمل وقامت مسرعة وقدمت بين أيديها مرجل من المراجل الكبار وملأته من الماء ووضعته على النار وألقت فيه حشائش لا يعرفها إلا الحكماء الكبار وأوقدت تحته مقدار ساعة من النهار ثم أنها أقبلت على شاس وأخذته وأتت به عند المرجل وأجلسته بين يديها وهو مطيع لها فى كل ما تفعل ولا يسألها عن ذلك العمل ثم أن العجوز جردته من ثيابه وجعلت تصب عليه من ذلك الدواء الذى فى المرجل ثم أنها قلبته عليه من فوق رأسه إلى أسفل وهى تقول له املك نفسك يافتى ومر به على سائر جسدك ففعل شاس مثل ما أمرته وصبرت عليه قليلا ورجعت صبت على جثته ما بقى فى المرجل وأمرته أن يدلك به نفسه مثل الأول فسار كأنه عبد ابن أمة زنجية أسود اللون كليلة حالكية وصبرت عليه قليلا حتى نشف فى الهواء ثم أنها دهنته بدهان فصار جلده يلمع مثل الأبنوس غالى الأثمان وألبسته ثياب العبيد الرعيان وناولته العصا فى يده وأوصت عبيدها عليه وأمرتهم أن يسوقوا أموالها إلى المراعى فساقوها وشاس من جملتهم يسعى وصار لا يعرفه إنسان وهو سائر يسوق مع العبيد النبوق والفصلان وصارت العجوز توصيه على المواشى والأموال ومازالت معهم على تلك الحال حتى صاروا فى الفضاء فلما رأتهم عدلوا إلى نحوها فى القيعان ابتدرتهم بالكلام وقالت لله درك أيها السيد الهمام والبطل الضرغام فوحق زمزم والمقام والمشاعر العظام لقد فعلت فعالا ما سبقك بمثلها أحد من الأيام وأنا أرجو من الهبل الأعلى أن ينولنى ما فى نفسى ويوقع فى يدى هذا الرجل العبسى حتى أشفى منه غليل صدرى وأبرد نار قلبى لأنه ما أفقدنى أولادى إلا العبسيون ولاسيما هذا القرنان الذى أفجعنى فى ابن عمى شيبان وأحل بنا النوائب والأحزان (قال) ثم أنها لما فرغت من هذا الهذيان استمرت سائرة خلف العبيد والغلمان ولا يعرض لها أحد من تلك الفرسان بل أن الشريد نال لها سيظهر الغريم ويبان وتركها وعاد وصارت فى أمان ومازالت سايرة مع العبيد إلى أن وصلت إلى المراعى وهى تحفظ شاساوله ترعى وقد أبعدت به عن الحلة ثم أنها قالت له يا أمير إن مكان الخطر قد فتناه ومحل الأمان دخلناه فسر فى البر والآكام واقصد بيت الله الحرام وتوكل على الملك العلام إذا اجتمعت بعنتر فاقرئه منى السلام وقل له أن المرأة الكندية لك شاكرة أيها البطل الهمام فلما سمع منها ذلك الكلام ودعها وسار فى البر والآكام مدة ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع لحقه التعب

والعناء والنصب فسار إلى أن أمسى عليه المسا وقد هانت عليه نفسه بما قاسى من المسا لأنه ماجرى له بذلك عادة لاسيما وهو ملك وابن ملك من ملوك الزمان وما هو معتاد على المشى والشقاء من الزمان فعند ذلك جلس على الأرض من شدة التعب وقد أيقن فى نفسه أنه فصلت منه الركب وافتكر فى حدثه وما هو فيه من حالته من بعد ما كان فيه من التقدم على الليل هجمة ويسير فوضع رأسه على الأرض ونام كانه قتيل ومازال نائما إلى أن مضى أكثر الظلام فقام من المنام ساعيا على الأقدام وسار يجد المسير فى الآكام حتى ورمت منه الأقدام مما لحقه من التعب والآلام وظن فى نفسه أنه خلص من المصائب ونجا من جميع النوائب فبينما هو على تلك الأحوال وإذا بعشر فرسان قد اعترضوه فى الطريق ومسكوا عليه رأس المضيق وقد خرج إليه منهم فارس طويل القامة عظيم الهامة فلما أن قرب منه نظر إلى وجهه بعد ما وضع سنان الرمح على نحره ونادى وقال يا للعرب بلغت والله الأرب يا بنى الأعمام هذا العبد السلال الذى كل ليلة يدور حول أبياتنا ويدرج بين الخيام وهو الذى أتى البارحة وسرق فرسى وأحرمنى عليها المنام (قال الراوى) وكان هؤلاء من بنى الريان ولهم مقدم يقال له حسان وكان سبب ملتقاهم بشاس فى هذا المكان يفتشهم على ذلك العبد السلال الذى قد إعتاد على سرقة خيلهم وهو شيطان من شياطين العربان وكان يسيل فى خيلهم الحسان وكان قبل هذه الليلة سل فرس هذا الفارس المقدم ذكره وكان له حبايب وأصحاب واحدهما هؤلاء التسعة وطلع بهم فى تلك الجبال لعله أن يقع بالسلال إلى أن رأوا شاسا وهو بتلك الصفة فظنوا أنه هو لانهم ما كان لهم معرفة بالسلال لجرى ما ذكرنا من المقال قال ثم أن ذلك الفارس تقدم إلى شاس وجعل يسحبه ويجره وهو يقول له ويلك يا عبد السوء والله لاعذبنك العذاب الأليم ويلك يا عبد يا زنيم أما قنعت بما أخذت البارحة حتى أنك راجع إلى حينا تريد أن تأخذ شيئا آخر فوالله لاذبحنك كما تنحر الإبل وإلا إن أردت السلامة من المهالك فقل لى أين ذهبت بفرسى البيضاء التى أخذتها فى الظلام الحالك وجئتنى بها على بالدين وجئت أنت أخذتها وأحرمتنى منها (قال) فلما سمع شاسا ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه كالظلام وقد كره الحياة وأيقن بالوفاة وقال والله يا وجه العرب ما أنا سلال ولا حرامى ولا محتال فلا تقتلنى تندم ويفوتك الخير والنعم واعلم أننى شاسا ابن الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وقد حصل لى هذا

الذل والهوان ولاقيت من الشدائد مالم يلقه قط إنسان وهذا الذى أنا فيه كان سبب خلاصى مما كنت فيه من الهوان ثم أنه حدثهم بقصته وأخبرهم بما جرى له من أوله إلى آخره وقال فى آخر الكلام وها أنا صرت معكم فى هذه البيداء وما بقى ينجينى منكم إلا الفداء وأبذل لكم ماتريدون من الأموال وتخلص من هذه الأحوال قال الراوى فما تم شاس من مقاله من ذلك الكلام حتى تقدم إليه منهم غلام معتدل الطول والقوام وسل فى يده الحسام وقال ياالعرب الكرام قد بلغت المرام ثم أنه ضرب شاس بالسيف صفحا فكاد أن يقضى عليه وزوده بين كتفيه ومازال يضربه حتى غشى عليه فقال بنو عمه أخبرنا لأى شىء فعلت هذه الفعال فقال لهم يابنى عمى هذا الذى ابوه قتل أبى وتركنى ربيت يتيما والآن سهل الله لى أخذ الثأر وكشف العار وها أنا قريب من ديارى فخذوا جميع ماتملكه يدى ودعونى أشفى منه غليل صدرى ويكون لكم المنة على يابنى عمى قال فبينما هم على ذلك المرام وشاس بينهم وقد أيقن بشرب كأس الحمام وإذا بالوحوش من صدر البر قد جفلت ومن خلفها رجل راكض على قدميه مقبل كأنه القضاء إذا انفلت وبعد ساعة ظهر من ورائه فارس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو قضاء الله إذا نزل وهو بالحديد مسربل وتحت جواد أدهم صهل وهمهم كاد أن يتكلم وهو يتدفق من تحت الفارس كأنه الشهاب القابس وإلى جانب الفارس رجل آخر راكب على مطية تسبق الرياح العربية. قال فلما نظر القوم هذا الرجل وهو مقبل مثل أقبال الغمام ونظر رجليه لاتكاد أن تصل إلى الأرض وهى تضرب شحمة أذنيه فصار جميعهم ينظرون إليه متحيرين فى أمره وقالوا ما هذا من البشر وما هو إلا من عفاريت بنى منقر لأنه يسبق ريح الهبوب فتأمله شاس وإذا به شيبوب الفارس الذى وراءه الأمير عنتر أسد الحروب فلما عرفهما صاح صيحة منكرة وكاد قلبه أن يشق من الفرح واتسع صدره وانشرح ونادى وقال شيبوب أدركنى وأنجدنى أنا شاس ابن زهير وقد تناهى بى الأمر إلى هذا الحد النكير ولو أنى لم أراكم لانفطرت مرارتى ومت بحسرتى من هؤلاء الأنذال أوباش الرجال. فلما سمع شيبوب ذلك النداء والمقال صاح فى القوم ورماهم بالنبال وقال لهم ويلكم يابنى اللئام الأرجاس خلوا عن مولاى الأمير شاس من قبل أن يدور عليكم ملك الموت باعظم كاس ويقطع منكم الأنفاس ولايبقى منكم ذنبا ولاراس ثم أن شيبوب نادى فى عاجل الحال أخاه عنتر الفارس الرئبال وقال له ياابن الأم الحقنى فقد فزت بالظفر وقرب الله عليك الطريق وأراحك من العنا والتعويق

قال وكان السبب فى مجىء عنتر إلى هذا المكان الشيخ أبو البنات الذى أنقذته العجوز كما قدمنا فى العبارات فانه قد سار على ناقته وجد المسير من وقته ساعته وما زال سائر يجد المسير إلى أن وصل إلى مكة المشرفة والبيت الحرام وقطع هذه المسافة فيه ستة أيام ولما صار فى مكة أخذ أخبار عنتر من بعض الأقوام فأرشده إليه لأن عنتر كان يعرفه سائر الانام ثم لما وصل إلى ذلك المقام صار يتسلى بأخيه شيبوب فى الضيا والظلام وبالصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص ولا زال منتظرا الغرضيات حتى ستوفى فى هذه الأمور المقضيات إلى أن وصل ذلك الشيخ إليه وصار بين يديه وأعلمه بقصة شاس وما تم عليه أن قد أتى وتركه فى حالة العدم وقال له أن لم تدركه شرب كاس النقم فقال شيبوب . إلى حيث القت رحلها أم قشعم . وقال لأنه لم يكن لأخى عدو غيره ولاضد سواه فلا فرج الله عنه ما هو فيه وبما فعل يجازيه فقال عنتر لا تقل هذا المقال ياشيبوب وكن قريب المرجوع حتى تصير عند الناس محبوبه واعلم أنه لا ينال العلا إلا من ليس عنده حقد ولا ظلم ولا اعتدا فإن الظلم يا أخى عاقبته الندم ولا تؤمن عواقبه بين الأمم فدعنى أتحمل عن قومى المصائب ولا أشمت بهم الأعداء ولا الحبائب عسى أن يفرج الله عنى الطالب ثم أنه أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

لاتحمل الحقد ياشيبوب واتركه ... فلا ينال العلا فى الناس من حقدا
والبغى شؤم فلا تأمن عواقبه ... واعلم بأن لايفادى يومه بغدا
دعنى أحمل نفسى كل نائبة ... فإن سلمت وإلا مت مجتهدا
ألقى جميع العدا فى كل معركة ... أموت موت كريم لقى رشدا
أعفو عن الأهل لا أبغى لهم بدلا ... وأخدم القوم حتى أعدم الجلدا

(قال الراوى) ثم أن عنتر لما انتهى من ذلك الشعر والنظام أكرم الشيخ غاية الإكرام وشكره على ما فعل من ذلك الاهتمام وأقام باقى يومه وليلته حتى أن ذلك الشيخ إستراح وقام عنتر وركب معه عند الصباح بعد ما لبس آلة الحرب والكفاح وقال للشيخ قم يا كريم النسب ودعنا نسير إلى خلاص الأمير شاس المنتسب من قبل أن يتم عليه الويل والنسب فقال الشيخ أن هذا الأمر وجب ولحقه من حسن مروءته العجب وسار يجدون المسير فى المهامة والقفار ويصلون الليل بسير النهار إلى أن لحقوا

شاسا وهو على ذلك الحال وقد أشرف على الهلاك والوبال وقد وقع من بنى الريان ذلك المكان فلما أن رآهم شيبوب رماهم بالنبال فمالوا عليه بالرماح الغوال والسيوف الصقال وقصدوه اليمين والشمال فصاح فى أخيه عنتر الفارس الرئبال فهمز عند ذلك الحصان وقوم بين أذنيه السنان وحمل عليهم حملة الأسد الضيغم بعدما همهم ودمدم وبربر وصرخ بصوت الجهر وهجم عليهم كأنه الأسد القسور ولما رأوا ما حل بهم من الضرر فعل شيبوب وأخيه عنتر قتل منهم ستة وأسرع فيهم النكال ولم يسلم من تلك العشرة غير فارس واحد لأنه كان تحته حجرة سبق من ريح الشمال وطلب أهله وسلم من القتل والهوان وقد اشتغل عنتر عنه بشاس لما رآه فى ذلك الخذلان وقد حل يديه من كتافه وفك ذلك الحبل من أطرافه وفى عاجل الحال انكب عليه وصار يقبل صدره ويديه ويهنيه بالسلامة بما هو وشاس من حيائه مطأطىء الرأس عادم الحواس من شدة حيائه من عنتر الأسد الرئبال ولم يدر أهو فى أرض أم فى سماء فقال له عنتر يا مولاى أى شىء هذا الحال وما لك هذا مشغول السر والبال ما خلقت الرجال إلا لملاقاة الأهوال ولا لأحد حيلة فيما قضاه وقدره الملك المتعال قال فلما سمع شاس من عنتر تلك الأقوال قال له والله يا أبا الفوارس ما أنا حامل هم هذه الأهوال وما أنا متفكر إلا فيما صنعت أنت معى من الجميل وكيف تفضلت على غاية التفضيل وأنا أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام أن قتلى أهون من وقوفى بين يديك فى هذا المقام وأنا أقسم بمن له البقاء والدوام وهو ذو الجلال والاكرام إن لم تمكنى مما أريد لأقتلن نفسى وأشرب كاس الحمام فقال له عنتر وما إرادتك قل لى حتى أننى أتبع أقوالك وأبلغ المرام فقال له شاس أعلم يا أبا الفوارس أنى أريد أن أقبل يديك وأقدامك حتى أوفى بعهدى الذى عاهدت عليه الملك العلام ثم أن شاسا انكب على أقدام عنتر وجعل يقبلها وعنتر يقسم عليه بمن خلق الضيا والظلام وينهاه على تلك الأعمال العظام هذا وشاس يقول أنى لم أجد لمجازاتك مكافأة ولم يزل يقبل أقدمه ويديه إلى أن أشفى غليل قلبه وجواه وقرب بذلك مقل عينيه وبعد ذلك رفع رأسه وقد اطمأنت بذلك أنفاسه هذا وشيبوب يقول له يا مولاى نحن ما نريد تقبل يديه ولا تبوس قدميه بل نريد ساعة وصولنا إلى الحلة أن تسعى فى زفاف عبلة بنت عمه عليه حتى تقر بذلك عيناه فقال شاس لا كلام فى ذلك إذا وصلت الحى وأنا سالم كان لنا تدبيراً آخر يشتهر بين العالم قال ثم أنه ابتدأ يحدثهم بما فعلت معه العجوز

الكندية أم البنات زوجة الشيخ الذى سار إلى عنتر وأعلمه بشاس وأخبره كيف أنها أحسنت معه الوداد وهذا كله يقوله شاس وعنتر يتعجب من تلك الفعال وكيف أنها حصلت له هذه الأهوال ثم إنه بعد ذلك عدل به إلى الغدير وبادر إلى نفسه بالتشهير وقلعه ثيابه وأزال ما عليه من ذلك السواد وجعل يحميه ويعرك بدنه ويقلبه ويضمه إلى صدره قال وبعد فرغ من ذلك الشان أخرج له بدلة أخرى وأفرغها عليه وأتى له شيبوب بجواد من الخيول الشاردة فى ذلك المكان الذى قتل عنتر فرسانها وأنزل بهم الهوان وأتاه بعد ذلك بعدة كاملة وآلة حرب شاملة وأقبل عنتر على الأشعث بن عياد الذى كان أخبره بخبر شاس إلى أهلك وعشيرتك فجزاك الله عنا كل خير ولا لقيت همًا ولا ضيرًا فشكره الأشعث على ذلك وأثنى عليه ثم إنه من وقته وساعته سار طالبًا لبلاده ودياره وحلته وقد بلغ أمنيته وزالت من قلبه حسرته وكملت مسرته هذا وعنتر وشاس طالبين بنى عبس وعدنان وهما فرحانين بما حصل لهما من ذلك الأمر والشان وقد صار عنتر يحدث شاسًا بما جرى له وشيبوب بين أيديهم كأنه الثعبان الأرقط أو الذئب الأمعط وهو ينسف الأرض نسفًا ويسحها عسفًا ويهمز همزات الغزلان كأنه النمر الحردان قال ولم يزل السائرين يقطعان الأرض والوديان قدر ساعتين من الزمان وإذا هما بغبار قد ثار وسد جميع الأقطار ٭ قال وكان ذلك الغبار غبار بنى الريان وقد تبعوهم منه خلفهم مع مقدمهم حسان وكان السبب فى وصولهم إلى ذلك المكان الفارس الذى سلم من العشرة فرسان لأنه لما نجا على حجرته سار إلى أن وصل إلى عشيرته وأعلمهم بما جرى على أصحابه من الأمر والشان فصاح عند ذلك المقدم حسان وسار كأنه النمر الحردان أو الأسد الغضبان ونادى الخيل يا أرباب الخيل فأتاه بنو عمه كأنهم السيل وقالوا له ما الذى حل بك من الذل والويل فأخبرهم بما حل ببنى عمهم من الأضرار وكيف أنهم هلكوا فى القفار فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفاح وركبوا على الجرد الملاح وساروا يجدون السير فى الصحصحان إلى أن لحقوا عنتر فى ذلك المكان وكانوا ألفى وماتى عنان فعند ذلك صاح حسان وقال يا بنى عمى دونكم وهذا القرنان فتسابقت عند ذلك اليه الشجعان وتصايحت الفرسان فرحا بإدراك الطلب وتلاحقوا بعنتر وشاس وحاربوهما من كل حدب وضاق عليهما البر والسبسب قال كم أهرب والموت لى فى الطلب وكم أحذر فلم ينفعنى الحذر ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر ثم أن شاسًا تنهد وتحسر فتبسم عنتر من ذلك

الفعل المنكر وقال له يا مولاى لأى شىء هذا الحال وكيف تخاف من هؤلاء الأنذال أبشر بالسلامة وأترك ما أنت فيه من الندامة واعلم يا مولاى أن كل من لحقنا من الناس لا يكونون أكثر من ألف ومائتى فارس أرجاس وحق من يعلم الأنفاس لا بدلى من ضرب رقابهم وأعجل لهم الانتقام ولا أدعهم يرجع منهم شيخ ولا غلام إلا من كان فى أجله تأخير ويوسع فى البر والآكام ثم أنه أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أمولاى لا تستشعر الخوف والرعبا ... فدونك عبدا أسودا جانب الحربا
وحقك لو كانوا ألوفا لقيتهم ... وبددتهم شرقا وفرقتهم غربا
أنا صورة الموت التى من تصورت ... له فارق الأموال والأم والأبا
أنا صورة العبسى فارس قومه ... إذا برز الفرسان يوم الوغى حربا
تطيع سيوف الهند كفى لأننى ... إذا اشتد يوم الروع أشبعتهم ضربا
وسمر القنا عند العدا تشتكى الظما ... وعندى تروى حين أغشى الورى شربا
وعما أقوم السيف يثقل عاتقى ... إذا كنت قد حاولت مرتكبا صعبا
الا يا بنى عبس أنا اليوم منكموا ... ونخرى منسوب إلى ذلك الأبا
سأحميكموا حتى أموت ومن يمت ... كريما فلا لوم عليه ولا عتبا

والا فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام ووصف فروسيته على الحقائق استقبل الخيل بطعن أشد من الصواعق وجواده تندفق من تحته مثل السيل وانصب على الفرسان انصباب الويل هذا والفرسان كلما رأته تشرد فى جنبات الأرض وعنتر يبدده طولا وعرض وشيبوب يرمى خلفه بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال. هذا وقد علا عليهم الغبار حتى غشى منهم الأبصار وعقد مثل الدخان وصارت الموالى بين يديه كالغلمان وذهلت العقول ورأوا الهوال المهول ووقع عنتر بالمقدم حسان بن صفوان سيد بنى الريان وهو يصيح فى الفرسان والشجعان ويقول لهم باويلكم ماهذه المحنة التى طرقتكم والأمور التى دهمتكم والمصائب التى قدعمتكم من فارس واحد وهوقد أهلككم وبددكم ياويلكم أقصدوه بالرماح من كل جانب واحلوه على رؤس الأسنة والقواضب والاصرتم معيرة عند جميع الأعارب ياويلكم ما أنتم فرسان ولا قلوبكم قلوب شجعان أذلكم الله بين العربان وندبتكم النوادب رأتكم المصائب ياويلكم خابت منكم المقاصد وخرجت من رؤسكم نخوة الأقران وأرى فارسا واحداً قد أفنا كم أقصاكم وأدناكم وكانى به وقد خرج من أرضكم سالما وتلبسون العار عند كل قاعد وقائم دائما فبينما هو يقول

ذلك المقال وإذا هو عنتر وقد طبق عليه مثل الأسد الرئبال وكان عرف أنه مقدم تلك الفرسان فزعق عليه زعقة رتجت له القيعان وجميع الفلوات والجبال فلحقه من تلك الزعقة الخبال والانذهال ثم أن عنتر مال عليه مثل الأسد وضايقه مضايقة الغيظ والحرد وطعنه بين شدقيه فأخرج نصف الرمح من بين كتفيه وجذب الرمح منه فوقع إلى الأرض ويوافق البرق فى اللحاق فقال لأخيه شيبوب أمسك هذا الجواد إلى مولاى شاس ابن الأجواد وسلمه إليه وبشره بالسلامة والنصر ليقلل الخوف والغيظ ويتمثل بالفخر وكان جواد شاس قتل وفرغت مدته لأن فارسا من فرسان بنى الريان كان قد ضرب شاس حين وقع إلى الأرض والصحصحان فضربه عنتر بحسامه فقسمه هو وجواده نصفين وأخرج شاس بعيدا عن المعمعة إلى أن قتل عنتر سيد بنى الريان فامره كما ذكرنا أن يسلم لشاس الحصان فاخذه شيبوب وخرج من المعمعة وانطبقت على عنتر الفرسان وقصدوه من كل جانب ومكان ودارت به عن اليمين والشمال وتطابقت عليه فى حومة المجال هذا وعنتر قد زعق فيهم وصاح بسيفه عوامل الرماح وجواد الضرب بالبيض الصفاح إلى أن أجرى دماءهم على الربا والبطاح واشتد الصياح هذا كله يجرى وشاس ينظر إلى فعاله ويعجب من أعماله ومازال كذلك حتى وصل اليه شيبوب بذلك الجواد المفتخر وقال له يامولاى نهيتك بالنصر والظفر ثم أنه سلم اليه الجواد وآلة الحرب والجلاد فهدأت منه الحواس وقال لشيبوب لاعدمتك من دون الناس (قال) ولما رأى نفسه راكبا على ظهر الجواد والقتال حمل حملة الأسد الأغلب وقد قوى قلبه بذلك الجواد المنتسب واقتحم الغبار والقسطل وبرى بحسامه القلل وأوقعها إلى الأرض مثل الحنظل وأما عنتر فانه يضرب بشجاعته المثل وتبطل عند قروسيته جميع الحيل فاقام على ساق وقدم وأعاد وجود القوم إلى عدم وحكم عليهم بذلك مشى بجميع الأمم ومازالوا على ذلك المرام حتى أقبل الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام وعاد عنتر من الميدان بعد ما قتل سيد بنى الريان وأجرى دماء فرسانه كالغدران ومن كان فى أجله تأخير تشتت فى السهل والجبل وخاب رجاؤهم والأمل والبلاء عليهم قد نزل فساروا وهم يقولون ما أشد قوتك وما أنفذ طعنتك وما أقوى ضربتك وهذا وقد التقى عنتر بشاس فحمده وأثنى عليه وقبل صدره ويديه وقال له يامولاى والله ما كان هذا أمر يحتاج إلى تعبك وعنائك فعبدك الكفاية لمن عاداك ولكل من يطالب إذاك فلو طال عليهم النهار ما تركت منهم ديار ولا نافخ نار ولا من يوصل إلى

قومهم الأخيار فشكره شاس على فعاله وزاد تبسمه من مقاله ثم إنهم عولوا على النزول في تلك الأرض والطول حتى يأخذوا لهم راحة من الخيول بما حصل لهم من ذلك التعب وما جرى عليهم من الويل والنصب يسيرون في غداة غد ويأمنوا من الويل والعطب فقال لهم شيبوب أسمعوا مني يا بني الأجواد ولا تنزلوا في الأرض والمهاد فأنا أخبر بها من جميع العباد وما فيها منهل ولا ماء إلا وأنا أعرفه وأصفه وأعلموا أن أمامنا شعباً مضيقاً ونخاف من فرسان بني الريان الذين انهزموا منا إذا طلبوا ديارهم والأوطان أن يجمعوا رأس المضيق فيحصل لنا جهتهم النكال والتعويق فالرأى عندى أن تتبعوني وتجدون المسير حتى أقطع بكم بلاد اليمن وأعدل بكم إلى زبيد وعدن وأكمنكم في جبالها ونقطع الليل في شعابها ونسير بعد ذلك حتى نخرج من أرض الديامة وبني غيلم ومن هناك نركب على الطريق الأعظم ونسير بعد ذلك في جبال خشاخش والتناصب وتلك الوديان ومن هناك أرض بني عبس وعدنان ونكون قد أرحنا نفوسنا من التعب واللوم ولا تهلك أرواحنا بقتال هؤلاء القوم (قال) فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب ذلك الخطاب رآه عين الصواب فقال له يا ابن الأم أفعل ما بدا لك نجح الله أفعالك فسر أمامنا ونحن نسير خلفك بما جرى لها وما زالا على تلك الحال وهم سائرون في البر والأطلال مدة خمسة أيام وفي اليوم السادس جازوا بني الريان ولاح لهم وجه الأمان وما زال شيبوب يقطع بهم البر على غير الطريق حتى نزلوا على ديار قضاعة ورأس المضيق وكان ذلك في سابع يوم من مدة المسير حتى أركبهم الطريق الكبير وعنتر يتعجب من شيبوب ومن معرفته بتلك البلاد وخبرته بتلك الأرض والوهاد وسيره كأنه ذكر النعام يشق الأرض والآكام وهم سائرون خلفه على الآثار يقطعون البراري والقفار فلما كان الليلة الثامنة نزلوا على مياه بني غيلم وتلك الديار فأقاموا فيها للراحة حتى قر بهم القرار وقدموا بين أيديهم شيئاً يأكلون من الزاد والطعام فلما اكتفوا طلبت العين حظها من المنام وكانوا في الليالي التي مضت كثيرين السهر والسهاد خوفاً من أمر يأتي من الرجال الأوغاد فعند ذلك نام الأمير عنتر إلى وقت السحر فلحقه عند ذلك الضجر وزادت به الفكر فاستوى جالساً وقد انذعر وفاض دمعه على خده وتنهد وتحسر لأنه رأى عبلة في المنام فزاد به الوجد والهيام وقد طار من عينيه النعاس فتجاذب الشعر في خاطره فباح بما أسكن في ضمائره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

زار الخيال وخيال عبلة فى الكرى لمتيم نشوان من ألم السرى
فنهضت أشكو ما لقيت من الهوى والدمع من عينى قد بل الثرى
فضممتها حتى أقبل ثغرها فتبسمت مسكا يخالط عنبرا
وكشفت برقعها فأشرق وجهها حتى أعاد الليل صبحا مسفرا
ثم انثنت فعجبت كيف تبسمت فبدا محيا فاق بدرا مقمرا
عربية يهتز لين قوامها فتخاله العشاق رمحا أسمرا
أعجوبة بصوارم وذوابل بيض ودون خبائها أسد شرى
يا عبلة حبك فى عظامى مع دمى لما جرت روحى بجثمانى جرى
والشوق أضمر فى الفؤاد وفى الحشا وأنا المعنى فيك من دون الورى
يا رب سلم من غرام قاتلى دوما يزيد به غراما آخرا
يا شاس لولا أن سلطان الهوى ماضى العزيمة ما تملك عنترا

(قال الراوى) وكان شاس ذلك الوقت كانه قد استيقظ من المنام فتألم قلبه ذلك الكلام وجرح فؤاده من شكواه وتعجب مما أنشده وأبداه فقام إليه وسأله عن حاله فأعلمه عنتر بما رآه فوعده شاس بما يريده وقال له طب نفسا فما بقى هناك ضير فوحق الكعبة الغراء وموجد الأشياء بلا امتراء لآخذن لك عبلة إن لم يرض أبوها قهرا ثم إنه جعل يسليه ويخفف همه وكربه * وقال وما زالا على ذلك الكلام حتى ولى الظلام وطلعت الشمس على رؤس الروابى والآكام وصارا يسعفان فى البر العشرة أيام وبعد ذلك وقعا فى أرض يقال لها ذات الأعلام وكان وصولهم عند ما ولى الظلام فبينما هم سائرون وإذ قد ظهر بين أيديهم ستة هوادج على ستة جمال وعلى رأس كل هودج هلال وعلى الهودج ثياب من الديباج مصفحة بالذهب الوهاج وعليها شراريف من الحرير الأبريسم الأصفر والأحمر محبوكة أطرافه بالقصب المفتخر يأخذ ضياءه بالبصر وحولهم العبيد الأجواد وكل واحد منهم كأنه طود من الأطواد وكلهم بالدرق والحراب النافذات ومتقلدون بالسيوف المشرفيات وقد ملأوا الوادى بالصياح والضجات وهم يلعبون فى الفلوات وخلفهم جملة من الجوارى والمولدات وعليهن حلل ملونات وقد داروا بتلك الهوادج السائرات وتقدم على الجميع فارس فى الحديد غاطس وهو طويل من الرجال عريض الأكتاف والأوصال مضيق اللثام كثير الإحتشام مليح القوام سلب العظام له وجه كأنه البدر التمام إذا ظهر من تحت الغمام وعلى جسده درع عليه مسجد وفوقه ثوب ديباج معربد وعلى رأسه بيضة

عادية لامعة تتوقد متقلد بسيف عريض مهند محلى بالذهب المنضد وعلى كتفه رمح طويل مكعب وعلى رأسه سنان يتلهب كأنه حمة عقرب أو قبس على مرقب أو النار ذات اللهب يعمل فى الصحيح والمريض كما تعمل النار فى الحطب وتحته جواد كأنه سلهب كثير الخبب طويل الذنب قليل التعب يدرك إذا طلب ينجى صاحبه من العطب إذا أراد الهرب تربية ملوك العرب أصحاب الحسب والنسب أهل المعالى والرتب وعليه سرج مذهب وذلك الفارس سائر قدام الهوادج والجمال غير مكترث بلقاء الأبطال فقال شاس لعنتر وقد أعجبته تلك الهوادج والأحمال وذلك الفارس الموصوف بالجمال أن هذا الفارس لا يخلو من إحدى الحالتين فاما ان يكون إلى النسب او مقدما من مقدمى العرب حتى أنه سائر وحده فى هذا البر والسبسب وما ذلك منه إلا احتقارا بالفرسان أو ثقة من نفسه بملاقاة الرجال والصواب أن يتقدم أخوك شيبوب اليه ويسأله عن أحواله ويأمره بترك ظعائنه وأمواله ويسمع ما يبديه من مقاله فلما سمع عنتر ذلك الكلام وما تكلم به فى حق ذلك الغلام قال له يامولاى أبشر بما يسرك وادفع ما يهمك ويضرك ولو أنه من أبطال البيداء أو من بنى معد بن عدنان لابد أن أذله بين يديك فى هذا المكان ثم قال لأخيه شيبوب ويلك يا ابن الأم تقدم إلى هذا الغلام وأنذره وحذره من شرب كاس الحمام وقل له أن ينجى بنفسه قبل أن يحل به الانتقام فعند ذلك أطلق شيبوب قدميه للريح وطلب البر الفسيح فهذا ما كان من شيبوب وكلامه (وما ما كان) من الغلام فانه لما نظر إلى شاس وعنتر أنكر سيرهم فى البر الأقفر ورأى شيبوبا قد أنفرد من دونهما فى طلبه وعلم أنه قد أتى فى سببه قال لبعض عبيده انطلق إلى هذا الرجل القادم علينا واعلمه من أنا وخوفه لعل أن يحل به العنا ولا تتركه يدنوا إلى الهلاك والفنا واستخبره ان كانت أصحابه من فقراء العرب فدعهم يدنو حتى أنعم عليهم وأخلع عليهم بعض الملبوس وأزيل عنهم الفقر والبؤس وإن كانوا من أهل الشر فردهم وإلا حل بهم سوء المصرع وقل لهم يعودون ولا يتعرضون للهلاك وقطع الأجل والموت المعجل (قال) فلما سمع العبد من مولاه ذلك الكلام أجابه إلى ماطلب من المرام وانطلق مثل الهبوب وغدا على قدميه حتى أنه التقى مع شيبوب وصاح به إلى أين أيها الساعى إلى حتفه برجليه الطامع فيما لا يصل اليه فقال شيبوب ما أتيت إلا لآخذ ما حوته يد صاحبك من الأموال والنوق والجمال فارجع معه وقل له يسلم ما فى يديه من قبل أن يتمكن الحسام من وريديه وترى سهام المنية واصلة اليه وغربان الملاحا ئمة عليه فلما سمع العبد من شيبوب ما أبداه .

﴿ تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس ﴾

(الجزء السادس)

من سيرة عنتر بن شداد

اليه انقلب فى أم رأسه مقل عينيه وقال يا عبد الحرام وابن الأمة وحق البيت الحرام لقد أسأت الأدب فى الكلام أتدرى من هو هذا الفارس المقبل عليك هذا الذى تضرب به الأمثال وترتعد من ذكره صناديد الرجال هذا صاحب الجود فقال له شيبوب وقد تعجب من ذلك الكلام ويلك يا ولد الحرام لمن ينسب هذا الغلام ومن يقال له من الفرسان وإلى أين أنتم سائرون بهذه الأموال فأخبرنى بالصحيح ودع عنك الزور والتوبيخ فقال له العبد أما نسب صاحبي فانه رفيع وجنابه منيع وجماله بديع واسمه روضة بن منيع وسيرنا إلى بنى عبس الأجواد لنخطب بنت مالك وننظر إن كانت كما قيل فيها من الجمال يأخذها من أبيها على أي حال وكان هذا الفارس المقدم ذكره من قبيلة بنو سعد وقد حوى الشجاعة والكرم والحسن والجمال واشتمل على أكمل الخصال ومات أبوه وترك من الأموال شيئاً كثيرا فربى فيه إلى أن بلغ مبلغ الرجال وضيع أكثر أمواله على الرجال والأبطال حتى أنهم علموه خدائع الحرب والقتال واشتد قواه بملاقاة الأبطال وكان إذا غزا مع بنى عمه الأحياء والحلل يقاتل كل فارس وبطل ويرجع بالمال ويريد بنو عمه إعطاءه شطر المال فيقول لهم يا بنى عمى لا آخذ لنفسى منها عقال فأنا غنى عن هذه الأموال ور بما يزيدهم من ماله وكان لا يبخل على من قصده ولا يرد من أتى له ولا زال معهم على تلك الحال حتى احتوى على عقولهم بالاحسان والنوال ومن شدة محبتهم له ورغبتهم فيه أرادوا أن يجعلوه مقدما عليهم ويعطوه الامارة عليهم مثل ما كان أبوه مقدما على العشيرة لما رأوا فيه من الصلاح والبصيرة لأنه لما مات أبوه تركه كما ذكرنا فأخذ عمه الامارة ولما كبر روضة وبلغ مبلغ الرجال وصار يعد من الابطال الثقال تحدث معه بنو عمه فى منصب أبيه وذكروا له ما كان عليه من الحال فقال لهم يا بنى عمى أن الامارة لها شروط تؤدى إلى حمل الأثقال وأنا قصدى مصادمة الرجال فى حومة المجال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أنى أشتهى أن أقع بمن يقهرنى فى حومة الميدان وأنا أنفق عليه مالى وأصحابه طول الزمان قال الراوى لهذا

الإيقاع أنه كان لروضة ابن عم يقال له السبوع بن دراع وكان فارساً شجاعاً وقرماً مناعاً وكان يبغض روضة وكان إذا حضر على الطعام والشراب لا تسمع روضة إلا الطعان فيقول له يا روضة لم تطلب شيئاً ما له نهاية أرأيت أحداً بلغ فى زمانه النهاية ثم أنه صار يحدثه بحديث فرسان العرب أصحاب الحسب والنسب ويكثر له من ذلك الإيراد حتى وصل إلى حديث عنتر بن شداد وكيف أنه حضر قدام الملك كسرى أنوشروان وكيف قتل بطريق قيصر ملك عبدة الصلبان وكيف عاد من عنده بكثير من الأموال الحسان والمماليك والجوارى والغلمان وأخبره بما قاله فى حق عبلة من الشعر والنظام ما وصف فيها من الحسن والجمال الفتان هذا وروضة يسمع ذلك المقال وقلبه كاد أن ينقطع وقد علم مراده وعرف وتحقق أنه يريد بذلك أبعاده لأجل أن يقتل ويبلغ هو رشاده وما زال الأمر كذلك حتى تواترت الأخبار وتناهشت فرسان بنى سعد بما قاله عنتر فى حق عبلة من الأشعار وتحدثوا فيما ظهر من عنتر من قوة الجنان وثباته فى موقف الضرب والطعان وفصاحة اللسان وما عطى من الشجاعة فى حومة الميدان فقال روضة فى نفسه هذا هو أوحد العصر والأوان والذى يبارزه ويقهره تذل له الفرسان وتحمل إليه الحفاوة من جميع العربان ولا شك أن بنت عمه عبلة بديعة فى الحسن والجمال ولما شاع لها هذا الإسم على ألسنة النساء والرجال وقد أعطانى الله الشجاعة والفصاحة وكثير من المال وأريد أن أجتهد فى بلوغ الآمال ولا أدع أحداً من العرب يذكر بفضله إلا أنا وأنال العز وبلوغ المنائم أنه حدثته نفسه أن يسير إلى بنى عبس وعدنان ويبارز جميع الشجعان وبعد ذلك يخطب عبلة من أبيها ويملك جمالها ويحتويها ويقول لابن عمه هذا غاية الشرف الذى كنت تعايرنى به بين الفرسان وقال ولما وجد ذلك فى نفسه دخل فى عاجل الحال إلى أمه وشاورها وقال لها يا أماه ادعى لى لعلى أبلغ بدعائك الأموال فقالت له أمه أفعل ما بدا لك نجح الله أعمالك ولا تترك أحداً يضاهى فعالك لأن نسبك رفيع وجمالك بديع ورأيك موفق سديد وحلمك ما عليه من مزيد فلما سمع روضة كلام أمه قوى على ذلك قلبه واطمأن فى عزمه وأخذ معه هدايا وأموال وعول على الإرتحال قال وكان له خمسة أخوات وبنات مخدرات مخبئات وهى كالنجوم الزاهرات والظباء النافرات فأخذهن معه حتى إذا تزوج بعبلة وعاد إلى حلته تكون بينهن فأظهر لقومه أنه سائر إلى أخواله بنى أصحاب الوفاء والأمانة وقد أكثر من الأموال وأمر العبيد أن يشدوا الهوادج فوق الجمال ورفع أمه

وأخوته إليهم فى عاجل الحال وسار يطلب ديار بنى عبس وعدنان وبين أياديه الإماء والغلمان ومازال سائراً إلى أن التقى بشاس وعنتر وشيبوب فى ذلك المكان وجرى شيبوب كما ذكرنا مع عبده فى بداية الكلام ماجرى فتعجب شيبوب من ذلك الحال وعاد إلى أخيه عنتر وهو مبتسم وأعلمه بذلك المقال فقال عنتر ومايقال لهذا الفارس بين الفرسان وإلى أين سائر بهذه الخيرات فاخبره شيبوب بالخبر فقال عنتر يا للعرب وحق الكعبة الغراء أن هذه قصة لابد أن تكتب وتكون عبرة للورى فقال شاس أن لكل منية سببا وسبب منية هذا الغلام الطمع وهو الذى قاده إلى الهلاك وسوء المصرع فوالله إنى مارأيت أحسن من ركبته ولا أزين من طلعته فقال عنتر عجبه بنفسه هو الذى ساقه إلى منيته ورمسه وأتى إلى حتى أعدمه حسه ثم أنه أفتقد جواده الابجر بعدما أعتقل برمحه الأسمر وتقلد بسيفه الظامى الأبتر ونزل إلى حومة الميدان ونادى دونك ياغلام فلما سمع الغلام من الأمير عنتر ذلك الكلام تبسم وسار إليه وفى عاجل الحال تقدم بين يديه وكان تقدمه تقدم المعجب بنفسه المحتقر بأبناء جنسه الذى لايخاف ولا يكترث بمن يسكنه فى رمسه وللصار قدام عنتر وهو لايخاف ولايذعر أقدم إليه وبقى بين يديه فرأى الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه هذا وروضة قال لعنتر أيها الفارس والقرم المداعس من تكون من فرسان عدنان وإلى من تعرف فى حومة الميدان فأنى أرى الشجاعة لائحة عليك والنجابة تشهد لك لا عليك فقال له عنتر لما سمع كلامه ياويلك ما أعمى بصيرتك بين الفرسان وما أقل خبرتك بمعرفة الشجعان وأعلم أننى أنا الطويل النجاد أنا صاحب الثبات والاقدام أنا صاحب الحرب يوم الطراد أنا حية بطن الواد أنا حامية عبس الأجواد أنا عنتر بن شداد أنا ابن عم تلك العروس التى جئت من أرضك فى طلبها وتريد أنك تخطبها أنا بعل العبسية التى أنت تعشقها قال فلما سمع الغلام من عنتر الكلام تبسم تبسم العجب ونادى وقال ياللعرب من هذا الأمر الذى يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب ثم أنه عاد من قدام عنتر إلى نحو الهودج والذى فيه والدته ونادى ياأماه أعلمى أننى بدعائك قد بلغت الارب وتسر على يدى المسالك ونلت "طلب وأعلمى أن هذا الفارس الذى ترينه هو عنتر ابن شداد فارس الحرب والجلاد وقد بلغت من مقابلته المراد وهو الذى كان يصفه لى ابن عمى الأسبوع ومن أجله هجرت الأطلال أين عيناه حتى ينظر ما يجرى من النصر والظفر وما ألقى من الحظ فى هذا البر الاقفر فإن هذا ياأماه ما نلته إلا ببركة دعاك حتى تنظرى ما تقر به عيناك قال فما أتم الكلام وما أبداه من المرام

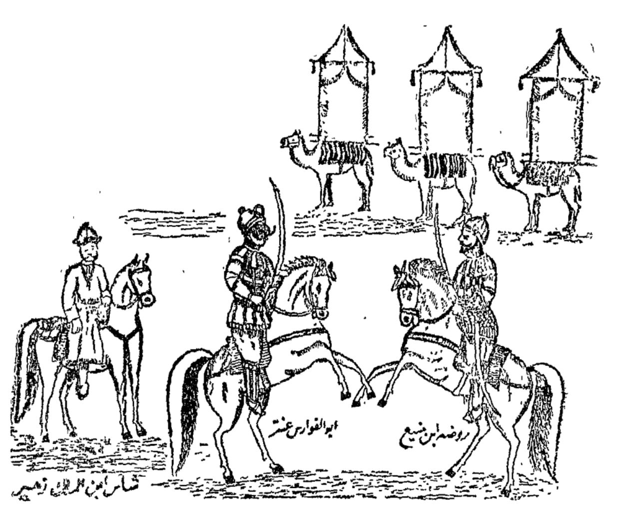
حتى ارتفع سجف الهودج وأشرفت أمه برأسها وبدت له حواسها وكان له وجه مدور وعيون كعيون الغزال الأحور وقالت له ياولدى بارك الله فيك وبلغك جميع أمانيك فإذا كان هذا عنتر فلأى شيء عدت من قدامه بلا فائدة ولا مقصود حتى أشمت بعودتك الحسود أما أنت له طالب وفى زواج بنت عمه راغب فمد اليه وسر بين يديه وافعل كما فعل أبوك من تشييد المناصب والمناقب فلأى شيء أتيت تبشرنى إرجع إلى خصمك فى عاجل الحال ولا تعد من قدامه إلا بالانفصال وبلوغ الآمال قال فلما سمع روضة من أمه ذلك الكلام ثارت فى رأسه النخوة العربية والحمية الجاهلية ورجع إلى عنتر بغير المزيمة الأولية وأطلق لجواده العنان وقوم بين آذانه السنان وقد جرد السيف فى يده وأظهر من الفروسية ماعنده وأوسع قدام عنتر فى الميدان وصال وجال حتى هدأ أشعث الحصان وفعل كما فعل الشجعان إذا التقت مع الأقران وأنشد

لما درى بى زمانى لان جانبه ... وذلت وانصرف عنى نوائبه
ومن يعاندنى عيت مفارقه ... برهف الحد لاتنبو مضاربه
أنا الذى سجدت سمر الرماح له ... وسابقتنى إلى جيش أحاربه
أنا الهمام الذى عاشت فعاله ... كم جحفل فرقت منى مواكبه
وكم قتيل تركت الطير عاكفة ... على دماه ووحش البر طالبه
ياعبلة مجدك عال فابشرى بفتى ... يفنى الزمان ولا تفنى مناقبه
ياعبلة عبدك قد حانت منيته ... على يدى وقد قامت نوادبه
فليهن قلب أبيك اليوم ياأملى ... ويرقد الليل ما سارت كواكبه
ياطامعا فى هلاكى عد بلا طمع ... ولاترد كأس حتف أنت شاربه

قال الراوى فلما سمع عنتر مقاله وخطابه ونظر دلاله وأعجابه قال له قاتلك الله وقتلك ما أجملك وما أشد أملك فلعن الله بطنا حملك وكلبا نسلك ثم أنه صار ينظر اليه وقد قامت فى رأسه مقل عينيه وصار فى هذه العجائب وما لاقى من أجل عبلة يتفكر من المصائب فأشار إلى روضة وأجابه على شعره يقول :

كم يبعد الحظ من أرجو أقاربه ... ويبعث الدهر شيطانا أحاربه
فياله من زمان كلما انصرفت ... صروفه فتكت فينا نوائبه
جربته وأنا غر فهذبنى ... من بعد ما شيبت رأسى تجاربه
وكيف أخشى من الأيام نائبة ... والدهر أهون ما عندى نوائبه

كم ليلة بت فى البيداء منفردا   والليل للغرب قد مالت كواكبه
سيفى أنيسى ورمحى كلما نهمت   أسد الدحال له قد مال جانبه
وكم غدير تركت الماء فيه دما   عند الصباح وراح الوحش طالبه
يا طامعا فى هلاكى عد بلا طمع   لا تدنُ من كاس حتف أنت شاربه



(قال الراوى) ثم أن عنتر بعدما انتهى من ذلك الكلام والشعر والنظام حتى صدمه الغلام وطلبه مثل الأسد الهجام فاستقبله عنتر أحسن استقبال فعند ذلك وقع بينهما الضرب وزاد بينهما الكرب فذاق عنتر من الغلام طعنا أمر من الصبر وضربا أشد من حرارات الجمر فاحترز عنتر لنفسه لانه رآه يلعب برمحه كما يلعب الكاتب بقلمه فقال عنتر فى نفسه هذه نائبة من جملة النوائب وقد كمل هذا الغلام فى الفصاحة والشجاعة ثم أنه أخذ معه فى الجولان تحت الغبار ثم وقف وأظهر الكسل فلما رأى روضة ذلك ظن إنه اختبل فقوم سنان رمحه إلى صدره وعليه حمل وقال له أنزل يا عبد السوء عن ظهر الجواد وترجل من قبل أن تشرب الاجل فقد وقف عنتر حتى قاربه وسل سيفه من غمده وضرب رمح روضة وأمهله حتى

صار الحصان مع الحصان وصاح فيه صيحة الأسد الغضبان ولطمه على صدره بيده فرماه على وجه الأرض وكاد أن يرض عظامه رض فالحق أن يثور إذا بشيبوب عليه قد انقض وجلس على صدره وكتفه وجعل فى رقبته حبل طويل وساقه إلى أخيه حقير ذليل فاوقفه على سوء فعاله وهم أن يضرب عنقه ويأخذ جميع ما معه وإذا بأمه وأخواته قد رموا أنفسهم من الهوادج إلى الأرض وصرن يمرغن خدودهن على الحصى والرمال وكشفن الرؤوس ورمين البراقع عن وجوه مثل البدر وأقبلن على عنتر وأجرين الدموع وصاحوا يا فارس الزمان إرحم بكاءنا وقلة رجالنا إن أردت أن تقتل أخانا فاقتلنا قبله ولا ترنا فقده ثم أن الأخت الواحدة تقدمت إلى عنتر وجعلت تقبل قدميه وأنشدت تقول هذه الأبيات:

يا فارس الخيل حقا ماذكروا ساع ففى قلبنا النيران تستعر
هذا الغلام الذى فى الأسر فهو أخى من بعده ليس لى روح فتنفطر
أطلقه وسامح واكتسب كرما منا فانا إليك اليوم نعتبر
أنت الهمام وكل القوم خاضعة إلى علاك ونار الحرب تستعر
فارحمه وأطلقه يامولاى مكرمة فهو الرجا لنا والسمع والبصر

فعند ذلك تعجب عنتر من فصاحتها وإذا تقدمت أختها إليه وقبلت يديه وقدميه وأشارت تمدحه بهذه الأبيات:

يا فارس الخيل دمعى فاض من بصرى فارحم لضعفى فانى قل مصطبرى
أطلق فديتك هذا الطفل وأرث لنا فنحن نفديه بالأموال والدرر
إن كان لونك هذا أسودا لحا فإن فعلك يحكى بهجة القمر
جد على نسوة قد قل ناصرهم وليس أرجو سوى الرحمن منتصر
الله يعطيك ما ترجوه من أمل بحرمة البيت والأركان والحجر

ثم تقدمت الأخت الثالثة وقد زادت بها الحسرات وأشارت إلى عنتر تمدحه بهذه الأبيات:

يا فارس الخيل والأبطال فى السبق والخيل تصهر والفرسان فى قلق
قد فقت فى المجد كل الخلق قاطبة شذا ثناءك مثل العنبر العبق
خذ مديحى وجازينى بمكرمة وارحم بنات حيارى صرن فى حرق
أطلق فديتك هذا الطفل وارث لنا فانه السمع وهو النور للحدق

ثم تقدمت الأخت الرابعة وهى كأنها الشمس الطالعة وتعلقت بركاب عنتر

وأشارت إليه تقول :

ليس لى صبر ولا جلد وبرانى الشوق والكمد
والجوى والشوق فى كبدى فارحمونى قد وهى الكبد
لست أنسى يوم بان ولا نار قلبي حين تتقد
يا أخلائى خذوا بيدى أننى قد خاننى الجلد
فاكحلوا طرفى رؤيته فعسى أن يذهب الرمد
تلفت روحى لقد همو ومضى ذا العيش والرغد
أيها الليث الذى خضعت عنده الأبطال والخود
أنت ذو فضل وذو كرم وبهذا الناس قد شهدوا

(قال) ثم تقدمت الأخت الخامسة وكانت أصغرهن سنا وأوفرهن عقلا وأجملهن وجها وأشارت إلى عنتر تقول :

يافارس الخيل سامح وارحم الغربا ورد عنا أمورا توجب الحربا
هذا الغلام الذى فى الأسر هو أخى فارحم صباه ولا تشمت به العربا
إن كان قد جاء مغرورا ومعتديا فان حلمك يطفى الحقد والغضبا
أنت الهمام الذى جلت مناقبه وتملأ الأرض من خيراتها ذهبا
إن كان لونك هذا أسودا فلقد حزت الشجاعة والإحسان والأدبا
ولو تفاخرت أهل الأرض كلهموا كانوا جميعا لك الأبناء وكنت أبا

(قال) ثم تقدمت العجوز أم البنات ودموعها جاريات إلى أن وصلت إلى عنتر وأشارت تنشد الأشعار وتقول :

يافارس الخيل يوم الطعن بالسمر فاق الهمام بالهندية البتر
يامن إذا قلت فيه القول تشهد لى كل البرية من عرب ومن حضر
إن كنت تطلب يامولاى قتلته فارحم لقلى فانى زاد بى كبرى
حاشاك مفجعة فى فارس فخرت به البرية من سعد إلى مضر
ومالنا ناصر نرجوه يرحمنا لأننا حرم نابن من الضرر
وقد تفطر قلبي خيفة وغدا دمعى ليسيل على خدى كالمطر
أطلق فديتك شخصا قل ناصره عند المضيق أيا سمعى ويابصرى

لازال سيفك من أعداك مغمدة ونور سعدك فوق الشمس والقمر

قال ولما فرغت العجوز من شعرها وسمع كلامها وماقالته البنات من ذلك الشعر والفصاحات وكيف أنهم مدحوه بهذه الأبيات استحى منهن وكان شديد الغيرة على النساء فقال لأخيه شيبوب ويلك أطلقه فقد أكرمته لأجل أمه وأخوته ثم إنه أمر البنات بالاستتار وأن يرجعن إلى الهوادج والجمال فعند ذلك رجعن إلى وراثهن وقد فرحن بخلاص أخيهن . هذا وشيبوب قد فعل ماأمره به أخوه وأطلق روضة من أسره وبلاه فحمد النساء مسعاه وأما شاس فإنه كان ينظر ذلك ويقول هذا لا يفعله أحد من سائر الورى وقد استحسن مروءة عنتر فحمده أيضاً وشكره وقال لقد وضع الصنيعة في مكانها وأودعها عند من يعرف قدرها ، هذا وروضة قد تقدم إلى عنتر وقبل يديه وشكره وأثنى عليه وأنا كنت من جهلي سائراً أخطب بنت عمك قبل معرفتي بك والآن قد اتضح البرهان وبان الصبح لمن له عينان وقد عرفت أنني كنت جاهلا بالفرسان وقد عولت على أني أعود إلى الأوطان وأبث مكارمك في كل مكان وأريد أن أعرض عليك أمراً من الأمور وأرجو أن لاتردني فيما أقول وأن تبلغني المأمول فقال عنتر وما الذي تريد فقال له يا أبا الفوارس اشتهى أن تقبل مني الهدية التي كنت أتيت بها على اسم عبلة فأنت أحق بها وأولى على فمن على بقبولها ثم أنه عمد إلى بعض الجمال وأخرج من الحقيبة ثلاثة ثياب ملونات في كل ثوب عقد من الجوهر يساوي ثلاث بدور وسلم الجميع إلى عنتر وباس الأرض واعتذر فقال عنتر يا روضة وذمة العرب لقد صار لك على الفضل والإحسان وما بقيت أقدر أن أجازيك طول الزمان ثم أنه قبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه ودعه لعبلة من الأخبار وقد شاعت في ساير النواحي والأقطار وماقاسيت من أجلها من الشدائد والأخطار وما بلغت منها الغرض ولا شفيت منها المرض فقال له شاس أبشر يا أبا الفوارس بذهاب الأوجاع وقرب الإجتماع ونيل المراد وقلة العناد لأنه قد ذهب عنك العناد وحصل لك المنا فلا تعرف إجتماعك بعبلة إلا مني أنا فقبل عنتر يديه وشكره حتى عند طلوع الشمس فقال شاس لعنتر يا أبا الفوارس الصواب إننا نرسل أخاك شيبوباً يعلم قومنا بقدومنا ويخبرهم حتى يركب أبي إلى لقائنا في سائر أخواتي وجميع أهلي وعشيرتي وربما نثروا عليك من الأموال إذا علموا أن خلاصي على يديك يازين الرجال وتقر بذلك عيناك وبعلو قدرك على حسادك وأعداك فقال له عنتر يامولاي أفعل ما تشتهي لأنك

أنت المولى ونحن العبيد فلازال طالعك سعيد ونجمك فى علوه يزيد ثم أمر أخاه شيبوبا أن يسير إلى الديار ويبشرهم بتلك الأخبار فسار شيبوب وألقى ساقيه للرياح يطلب البر الفسيح فما كانت إلا ساعة حتى أشرف على الديار ونظرته العبيد والأحرار فوقع فى الناس الهرج والمرج وانقلب الحى لقدومه وارتج وأقبلوا إلى شيبوب من كل ناحية وفج وهو لا يقبل عليهم ولا يلتفت إليهم بل يقول دعونى حتى أصل إلى الملك زهير وأبشره بخلاص ولده شاس من الأسر والضير (قال) وكان الملك زهير قد لحقه على فقد ولده الهم العظيم وحرم على نفسه فعادوا كلهم بلاخير فانذهل الملك زهير لذلك وتحير وامتزج صفو عيشه بالكدر وأقام حزيناً عليه وعلى عنتر وقد جرى عليه وعلى قلب ولده مالك مالم يجر على قلب بشر وكان إذا خلا يبكى على أخيه وعلى عنتر وقال وكان الربيع بن زياد سأل الملك فى أخيه عمارة القواد وتودد إليه مراراً حتى أنه خلصه مما هو فيه من الأضرار هذا وعمارة يقول لولا فقد شاس وإلا كنت بلغت من عبلة الغرض وزال عنى الوسواس وما بقيت أقدر أن أتكلم فى حقها ولا أطلبها مادام قلب الملك غير مستريح ومازال الأمر كذلك على هذا الحال الذى تدبر حتى قدم شيبوب يبشرهم بقدوم شاس وعنتر ثم أنه جعل يغدوا بين الناس ويقول ياقوم ذهب العناء والباس فقد وصل أخى عنتر ومولاى شاس (قال) فلما سمع الملك زهير بوصول شيبوب استدعى به إليه وأحضره بين يديه وسأله عن حاله وهل هو صادق فى مقاله وقال له أحق هذا ياشيبوب قال نعم وحق علام الغيوب لقد وصل ولدك سالما بعد ما أشرف على موته وفناه فسيروا أنتم الجميع إلى لقاه واشكروا الرب القديم على بقاه ثم أنه أعاد عليه جميع ماجرى له ولعنتر وأعلمه بجملة الخبر نطار قلبه من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح وركب من وقته وساعته وقد زال عنه كدره وجميع حسرته وأنعم على شيبوب بجبته وعمامته وسار وهو يقول وحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء كل من خرج من غير تنار قابلته بما لا يختار وكسفته بين العبيد والأحرار وأدبت به الكبار والصغار ياويلكم قد عاد ملك بنى عبس جديداً وزال الهم والنكيد وقرت قلوب السادات والعبيد وكذلك عاد عنتر ابن شداد الذى صان حريمنا والأولاد وبنى لنا من المجـد بيتاً رفيع العماد ولولا أنى أخشى ملاقاة هذه الرجال بلاعناد قال هذا وقد وقع الخبر فى الخيام والمضارب وانقلب الحى من كل جانب وخرجت البنات المخدرات والنساء المحجبات وضجت أبيات بنى قراد وأبو عبلة وأخوه الأمير شداد وكذا زخمة الجواد وأما عمارة القواد فقد زادت به البلايا

والأمراض وقال لامرحباً بالقادمين ولا أهلا ولا سهلا بالواردين وقد عاد العبد الزنيم وهو سالم فلا سلمه الله من العظائم ولا كان يوم اسمع فيه خبره ولا أحد من القبيلة يذكره وما قنع الملك زهير بعودته إلى الديار حتى يأمر أننا ننثر عليه النثار وامصيبتاه وادهوتاه ثم أنه ركب بعد ذلك مع أخوته وقد زادت بقدوم عنتر نيران حسرته واشتدت عليه بليات مصيبته وجرت دموعه من مقلته وخاف من الملك زهير أن يعاقبه على خلاف ما به أشار وخرجت المولدات وأزعجن بصياحهن الأقطار وما بعد القوم على خلاف أقبل شاس وعنتر القمار وصح الخبر واتضح البرهان وفرح جميعهم بذلك الأمر الشان وكان أول من تقدم اليهما مالك بن زهير وقد أيقن بالفرح بعد الصبر ثم أنه جعل يصيح من قلب قريح والدمع من كثرة فرحه على خده يسيح ويقول ياقوم هنؤني بهذا اليوم الذى زال فيه تعويقى وحسن توفيقى ورد فيه أخى وصديقى ثم أنه اعتنق أخاه شاسا وفرح به واستبشر ثم تركه وعاد إلى عنتر وهو يقول لا أعاداللهيا أبا الفوارس على بنى عبس ذلك ازدحمت الناس على شاسا ونثرت عليه الدراهم من الاكياس ووقع الفرح والاستبشار بين العبيد والأحرار وفرحت بقدوم عنتر الكبار والصغار واشتعل فى قلوب بنى زياد لهيب النار وحلت بهم الحيرة والانذهال وكان عمارة كما ذكرنا ركب ومن معه كيس من الذهب وقلبه ملآن من الهم والترح ولما قارب عنتر أظهر السرور والفرح وامتثل أمر الملك زهير وفى قلبه أعظم الهم والضير وأوصى العبيد أن يكونوا بين يديه ويحملوا بالهم اليه وقال لهم إذا رأيتمونى نثرت المال فاستبقوا أنتم اليه وخذوه واحتفظوا عليه فامتثلوا أمره وقبل صدره ويديه ثم أنه بعد ذلك أقبل على عنتر وقد زادت به الوسواس والفكر وقال له هنيت يا أبا الفوارس بالسلامة وحرسك الله من الندامة ثم أنه نثر ما فى كمه من الذهب على راس شاس وعنتر بالسواء فتلقى ذلك القم شيبوب كله من الهواء وثب كأنه النمر إذا اتذعر ونثر حجره فنزل فيه الجميع مثل المطر وما نزل منها إلى الأرض درهم لا أصغر ولا كبير وحار أصحاب عمارة وقد زادت به الحرارة فقال جزيت ياشيبوب كل خير وكفيت كل هم وضير أنتما للذان تستحقان الاموال والأرواح لانكما جددتما علينا بقدومكما الأفراح وتركتم فى قلوب الأعادى الاتراح وقد بنى أخوك لهذه القبيلة حصنا رفيعا ومجدا منيعا ولا سيما هذه المرة التى كان فيها اخلاص مولاى شاس من المضرة وقد زال عنه ما كان فيه من الباس والفكر وكان عمارة يقول ذلك نفاقا وبغضة لعنتر لا يطاق له جمرة وجعل يقول فى نفسه مهما

فعلناه مع هؤلاء العبيد فنحن به خاسرون وهم الرابحون ثم بعد ذلك تقدم مالك أبو عبلة إلى شاس وعانقه وهناه بسلامته وباس صدره ويده فحول شاس وجهه عن مالك وقال له دع عنك هذا المحال ياشيخ السوق والضلال فإن كنت فرحاً بخلاصي كما ذكرت في المقال فزف ابنتك عبلة على ابن أخيك عنترة في هذه الأيام فعند ذلك تبسم مالك تبسم الخجل وخفق فؤاده من شدة الوجل وقال لشاس يامولاي لا تفعل ولا تدخل في قلبك أدنى الخلل أيها الأمير لم يبق لعنتر في قلبي البغضاء قليل ولا كثير وما يحتمل وانقلبت تلك البغضة والعناء بمحبة ووداد ومنذ فارقناه وما تلذذنا بزاد ولا تهنينا برقاد ولا أحد رفع لنا عماد ولا حسبنا ناساً بين الصعاليك والامجاد إلا بقدوم ابن أخي الأمير عنتر بن شداد واعلم أيها الملك أن ابنتي له أمة وأناله من بعض العبيد وأنت على بذلك شهيد وأنا إن أراد زفافها في هذه الليلة زففتها عليه وأنا وابنتي بين يديه ومن تكون هذه الفعال فعاله وهذه الأعمال أعماله كيف أني ما زادني في محبته إلا لما علمت أن كل من في القبيلة يتمنى أن يكون زوج ابنته بما ظهر من شجاعته لأن بني عبس يامولاي لها ركنان يحميانها من طوارق الحدثان فالركن الواحد أبوك الملك زهير دامت سعادته وحفظ من جميع أعدائه هو وذريته وعشيرته وأما الركن الآخر فهو ابن أخي عنتر الذي هو حامينا من كل بؤس وضر ومن كل إنسان ومن كل شيطان ثم لما فرغ من كلامه سعى نحو أبي الفوارس عنتر وقبل قدمه وشكره وأثنى عليه وكان ذلك من خبثه ومحاله ومكره وضلاله فلما نظر الأمير عنتر إلى فعاله انطلى عليه خبثه ومحاله فنزل عن ظهر جواده إليه وقبل وجهه وعارضيه وقال ياعماه لا تحملني مالا أطيق فأنا عبدك وراعي غنمك وأنا صديق فورب السماء الذي سير السحاب وأجرى الماء وعلم آدم الأسماء لو قطعتني إربا ماازددت فيك إلا حبا فقال مالك أنت صادق ياأبا الفوارس ويازين المجالس وأنت سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل مافعلت معك هذه الفعال إلا لتنال المنازل العوال وتبلغ هذه الرتبة والاجلال ولتنال هذه المنزلة الفاخرة وصفة القلوب من الأحقاد وبقي في قلوب الحساد نارا لا يقادهذا والأمير شداد لم تسعه الدنيا وزبيبة أم عنتر حصل لها الاستبشار والفرح الأكبر وهي تغدو بين يدي عنتر الأسد الريبال وتزغرت وتقول ياولدي أتمنى لو تكون معي ترعى النوق الجمال لكان أحسن لي من الحال وهذه السعادة والاقبال ولا نقاسي هذه الأهوال الثقال هذا وعنتر يتبسم من قولها ويضحك على فعلها ولما صار الجميع في الخيام أمر الملك زهير بنحر النوق

والأغنام والتعجيل فى ترويق الطعام وترويق المدام وعمل وليمة عظيمة لها عند الناس قدر وقيمة ما عمل مثلها فى جميع الأنام على مدى السنين وفرح الملك زهير وولده شاس بعد الفراق وفرح بسلامة عنتر أبو شداد ولم يبق فى بنى عبس كبير ولا صغير إلا وعزمه الملك زهير ليأكل من ذلك الخير ودامت الناس على هذه الأحوال ثلاثة أيام وليال والقدور تفور والكاسات تدور وهم فى غاية الغبطة والحبور وما فيها ليلة تمضى وينصرف عنتر من حضرة الملك إلا بالخيل والخلع والخير الكثير والإماء والعبيد وشىء ما من مزيد وكل ذلك يسوقه إلى بيت عمه مالك وهو يطلب بذلك رضاه من دون كل العباد فلما كان فى الليلة الرابعة كانت الدعوة عند شاس فقام عند انصراف الناس وحط يده فى يد عنتر وقال اعلموا يامن فى هذه الوليمة قد حضر أننا فى غداة غد نريد أن نسرع ونهتم لأنه فى هذه القبيلة إلا من حمى حريمه وصان عياله وقتل غريمه ولا تقولوا يا بنى العم إن شاساً من تكلم بهذا الكلام إلا من غلبة شراب المدام فأنا أقسم بمن ركب الأرواح فى الأجسام وتعالى عن الأغراض والأوهام أننى أنا عتيق سيفه ورمحه وأنه قد أرغمنى بالإحسان والإكرام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أترك شيئاً مخبأ ولا مدخور إلا وأقدمه بين يديه فوراً أولا أمن به عليه بل هو له المنة على وقد أوصل إحسانه إلى وأريد أن أبذل روحى فى هواه ولا أتخذ لى من الدنيا خلا سواه (قال الراوى) فلما سمع إخوته بمقاله وتقدم وقال يا موالى إن هذا شىء لا يسرنى واعلموا أن هذا يضرنى وعار على أن تكون أموال العرب كلها فى قبضتى وأتلف أموال سادتى وعشيرتى وأضيعها فى وليمتى ولكن الصواب أن تصبر على عشرة أيام حتى أسير إلى بنى قحطان وأسوق جميع نوقها والنصلان الرفيع والوضيع وتفرح جميع الرجال والنساء والخلان ليكون يوما ما عمل مثله فى سائر الأزمان فقال مالك بن زهير والله يا أبا الفوارس ما بقينا ندعك تفرط فى نفسك وتتبع يومك بأمسك حتى تعمل الولائم وينقضى عمل عرسك وتدخل على زوجتك وتتم فرحتك وأين ما سرت بعد ذلك نكون فى صحبتك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لأننا نعلم أنك تخلف علينا أضعاف ما نخسر وتسوق إلينا قدر أموالنا وأكثر إذا رجعنا إلى الإنصاف كانت أموال بنى عبس لك من غير خلاف لأنك خلصتها من الأعداء بسيفك والسنان ورددت عنا شياطين العربان قال فلما سمع عنتر ذلك المقال لم يبق فى قلبه منه أثر وحصل له الحياء ولا أمكنه أن يخالف من حضر ودعا أولاد الملك زهير وشرب المدام

حتى انقضت الوليمة وعاد بعد ذلك مع أبيه وقد خلع عليه شاس وتفرقت الناس إلى المضارب وكل منهم قدمان عليه بذل ما في يده من الطعام وينفقه على عنتر قال وأما عمارة وأخوه الربيع بن زياد فانهم قد ذابت منهم الأكباد واضرمت في قلوبهم نار الاقياد ومن شدة ماحل بالأمير عمارة من الذل والخسارة وانطرح على أرض المهاد وصار يهدس بعبلة الليل والنهار ولا يأخذه هدوء ولا قرار وكان إذا دخل أخوه الربيع ليفتقده يشكو اليه ماعنده من حب عبلة وما يجده ويسأله في معاونته وإلا خرجت روحه من جثته وتلفت من أجل هواها مهجته فيقول الربيع والله يارفيع مالي قدرة على عنتر وأنصاره ولا أقدر أفعل به شيئاً نكير ولكن لك على أني لا أتخلى عنه وأجتهد في هلاكه بشيء لا بد منه وأحرص في انقضاء أجله ولا أدعه يبلغ ما يريد قال ولما كان عند الصباح ركب الملك زهير في جميع أولاده كما جرت به العادة وأوسعوا البطاح لأنه كان كل يوم يركب في بني عبس وعدنان ويشرف بهم على المناهل والغدران ويفتقد الأموال والعبيد والغلمان قال ولما صار الملك زهير ومن معه خارج الخيام وانسعوا في الفلاة والآكام هو ومن معه من الفرسان الشجعان افتقدوا الأمير عنتر فلم يجدوه فقالوا ربما أن يكون أسرف في شرب العقار فاعقبه من ذلك تكاسل وخمار قال ثم أنهم ساروا إلى أن حمي عليهم الحر وأوهج ذلك الغبار فعاد زهير إلى المضارب والخيام وتفرقت الناس لأجل الراحة وأكل الطعام وفي قلب شاس وأخيه مالك على غياب عنتر نار تضرم فانفذوا بعض العبيد لينظر الأخبار فغاب العبد ساعة وأعاد مسرعا على الآثار وقال يا مولاي ماله في القبيلة من أثر وأني قد سألت عمه مالك أبي عبلة فذكر لي أنه لما عاد من الوليمة دخل على أمه ومن تلك الساعة ما ظهر له خبر ولأجل ذلك لم يركب هو وأبوه قال العبد ثم أني سألت من أمه زبيبة فقالت أنه أتى عندي ولكنه ما غمضت له أجفان بل أنه صبر حتى نام كل من في الحي وخمدت النيران فركب جواده وسار في البر والوديان ومعه أخوه شيبوب المصان فقلت له إلى أين أنت سائر فلم يخبرني بشيء من ذلك الأمر والشأن ولا علمت أين يرسي والسلام فلما سمع شاس من عبده ذلك الكلام صار الضيا في عينيه ظلام وقال قاتل الله مالك بن قراد من دون الأنام ومن المصائب لا أقاله ما أكثر مكره وحيله فلا بلغه الله ما يريد من أعماله هذا وقد قال له أخوه مالك ما تقول أنت يا أخي في ذلك فقال شاس وما الذي أقول في ذلك الأمر المنكر فربما أن مالكا ظهر لنا خلاف ما أضمر وقد مكر بابن أخيه عنتر وأركبه

مراكب الخطر وأنفذه إلى بعض الأقطار وطلب بذلك بعد عن الديار فقال مالك ما أظن الأمر كذلك وما مضى إلا ليأتي بما يتقوى به على الوليمة لأني رأيته أن نفسه قد صارت عظيمة وأنه لا يحتاج إلى أحد غيره وإذا أتى بشيء يضعه في عرسه لأنه ذكر لنا مرارا وذلك بحضرة جميع الأمراء وقال أن أموال العرب جميعها في حكمه إن شاء أخذها وإن شاء عفا عنها برسمه فقال شاس أما أنا فالذي أعرفه أن عمه لا يخفى على محاله ومكره واحتياله والصواب أننا نعلم أبانا بقصته ونطلعه على حاله وقضيته حتى أنه يدبر هذا الأمر بمعرفته قال الاصمعي عفا الله عنه وجميع المسلمين هذا وذلك قد شاع ذلك الخبر في الحلة وتحدث به الناس جملة وقد سمعت به ساير المحبين والمبغضين والحساد واشفت بذلك قلوب بني زياد وقد قام عمارة من مرضه وسأل أخاه الربيع عن ذلك الايراد فقال له أعلم يا أمير عمارة اني أنا السبب في هذه العبارة وقد القيت عنتر ابتدبيري في المهالك وأنه قد صار يا أخي هالك وعمرك ما بقيت تنظره ولا تراه إلا أن كان رب السماء يحفظه ويرعاه قال وكان السبب فيما جرى وتدبر من ذلك الأمر المنكر أن أبا عبلة من يوم رأى عنتر وقد قدم مع شاس يميلون اليه ويبجلونه فما أمكنه أن يخالف أمر الملك زهير وأولاده وقد التزم بأمر عنتر وأحسن معه ودادا وقد أظهره الفرح والسرور حتى أنه صار بعد المذمة مشكورا وقال لابنته عبلة خذي من بعض الحلل وتزيني بالتفاصل التي قد أتى بها ابن عمك عنتر وتقلدي بهذه القلائد والعقود الجوهر ولا بقيت من هذا اليوم تعصى له أمر لأننا عزمنا أننا نزفك عليه في هذا الشهر وننجز أمرك في هذه الأيام وقد أبرمت الأمور والأحكام وأن الأمر المطيع ولم لا تعص له أمر لأن في قلبها لابن عمها المكان الرفيع فعند ذلك زينت وتبهرجت كتبهرج الأراضي في أيام الربيع وكانت في نفسها مستغنية عن البخانق والعقود لأنها كانت ولدت في طالع مسعود ونظر اليها عند ولادتها كواكب السعود وألبسها خالقها من الجمال خلعة البهاء والكمال فهي غنية بحسن صورتها عن الملبوس الفاخر والحلل والجواهر وهي بارعة في الحسن والجمال والقد والاعتدال ويعطف الورد من خدودها بأكف الحياء والخجل وتريد أن تقوم فيقعدها ما أعطاها الله تعالى من ثقل الكفل ولها كلام أحلى من العسل وشعرها مثل الليل إذا انسدل قال فصارت كلما دخل عليها ابن عمها عنتر تقوم اليه وتبتسم في وجهه كلما حضر وتلاعبه بنية صادقة لأنها تحبه وامقة وفي زواجه بها واثقة وكانت تفعل ذلك وقلبها صاف من القدر لأنه ما في قلبها مثل ما في قلب أبيها من الشر والضرر وكانت كلما فعلت معه تلك الفعال الملاح تزيده من حديثها وغنج عيونها أفراح

فما يرجع من عندها إلا وهو يتمايل سكراً يشكو اقلقا وفكرا إلى أن كانت ليلة من بعض الليالي وهي الليلة التي عاد من عندها شاس ابن الكرام وقد سمع منه أخيه مالك ذلك الكلام الذي قالوه بحضرة بني الأعمام فبقي في قلبه أثر ما لحقه من الوجد والغرام وقد عاد مع أبيه وأعمامه ودخل إلى مضرب عبلة وقد زاد عشقه وغرامه فقامت إليه واستقبلته ورحبت به غاية الترحيب وأثنت في وجهه مثل ما يفعل المحبوب مع الحبيب قال ولما أن قربه القرار أمر مالك ابنته أن تأتيهم بالخمر وتمدها بين أيديهم يمينا ويسار وتصب لهم في الطاسات وتدربها عليهم من الأباريق والكاسات فأحضرت عبلة جميع ما أمرها به أبوها وكان ذلك بحضرة أعمامها وعمرو أخيها ثم أنها تقدمت وسقتهم من رائق مدامها وقد سكر الجميع مما نظروا من بديع جمالها وما زالوا على الحال إلى أن أخذت الخمرة مأخذها فعند ذلك انصرف أعمامها ولم يبق إلا عنتر وأبوها وأمها وعمرو وشقيقتها فعند ذلك شرعوا يتحدثون في أمر عرسها ومتى يكون على عنتر زفافها فقال مالك أبو عبلة يا أبا الفوارس ويا زين المجالس قد بلغت بك المنزلة العالية ولا بقيت أكتم عنك سراً ولا علانية وصار دمي بدمك ممزوج وما بقي حاجز يمنعك عن الدخول والخروج لكن يا ابن أخي وحق من يعلم عدد الأنفاس لقد حصل بي غيظ من كلام الأمير شاس وقوله يعمل وليمة من أموالنا ولا نريد منهم معينا ولا نصير في مثل هذا الأمر الخطير وإن احتجنا شيئا أخذناه من الفصلان والنوق المصافير ولا نترك لأحد علينا ملام ولا أحد يتكلم في عرضنا بكلام مع أني أعلم أنهم إن فعلوا شيئا من ذلك أنك تجازيهم بأعظم منه على فعالهم ولكن تسمع العرب أنك عملت عرسك شحاتة من أموالهم ولولاهم ما قدرت على شيء من ذلك وهذا شيء لا أريده في حقك وحق ابنتي. قال فلما سمع عنتر من عمه هذا الكلام التفت إليه وقال له يا عماه أتظن أن كلام أولاد الملك زهير دخل في آذاني أو خطر على بالي لا وحق الملك المتعال الذي أرسى شوامخ الجبال ويعلم وزنها كم مثقال وحياة عينيك العزيزة لا تيتك بأموال تعجز عنها صناديد الرجال لأن أموال العربان كلها في قبضة يدي وتحت حكمي آخذ منها ما أريد وأترك ما عنه أحيد ولكن قلبي يحدثني بأنك ما تدوم على قولك بما سبق منك من المكر والغدر قبل الآن وأنا من ذلك الأمر حيران ولكن عند الصباح ندبر ذلك الشأن وترى ما يسرك بمعونة الملك الديان. قال ولما دار بينهم ذلك الكلام قالت عبلة لما كانت جالسة إلى جانب أبيها ومن الناحية الأخرى عمرو أخوها يا ابن العم وذمة العرب الكرام لا دخلت عليك حتى تقضي لي حاجتي وتبلغني منك إرادتي فقال عنتر وما الذي تريدين يا بنت العم أعلميني به حتى

وأفرج عن قلبك كل هم وغم فقالت له عبلة أعلم أريد منك شيئاً هو عليك يسير وأنا أعلم أنه أمر غير يسير وإلا لو علمت أنه يشق عليك ما كنت أخبرتك به وحق بارىء النسيم فأريد منك أن تفعل معى كما فعل خالد بن محارب الأسد الكاسر مع ابنة عمه الجيدة ابنة زاهر فقال لها أبوها بمكره ودهاه ما هذا الهذيان يا ابنة الشيطان ومن أوصل إليك حديث العربان ومن أخبرك بفعال الأبطال والشجعان فقالت له أنى سمعت هذا الحديث من النسوان لما أتونى يهنونى بقدوم ابن عمى عنترة الفرسان فقال عنتر وقد تبسم وما الذى سمعت يا قرة العين والروح التى هى بين الجانبين فعند ذلك قالت له عبلة ما هو إلا أنه لما حضرت النسوان عندى للهنا وبلوغ المناجرى بينهن ذكر الولائم والأعراس وما يجتمع فيها من الناس فقالت إحداهن ما أحد عمل وليمة وافتخر بها على الأباعد والأقارب إلا فارس بن زبيد خالد بن محارب فإنه لما زفت عليه بنت عمه الجيدة ابنة زاهر نحر هافى عرسها لما زفت عليه ألف ناقة وجمل وعشرين سبعا ولبؤة وقد اصطاد بيده من الآجام ودعا فى الوليمة فرسان بنى زبيد وبنى خثعم ومراد وأقامت الوليمة سبعة أيام وغمرها بالطعام والمدام وما فيهم أحد قدامه شىء من لحم الجزور إلا وقدامه هبر من لحم السباع أما مشوى وأما مصلوق وجميع الذى نحر فى الوليمة من الجمال والنوق كلها من أموال خثعم بن مالك (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عبلة ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه كالظلام وصعب عليه ذلك الكلام وقال هذا الأمر الذى ترونه صعب المرام وحق الملك العلام الذى خلق جميع الأنام لأجعل القائد بزمام ناقتك ليلة عرسك إذا كان جملك دائر إلا الجيداء ابنة زاهر بكمال عقلها ورأس خالد ابن عمها معلق فى حلقها حتى لا يلقيك أحد يضاهيك ولا يفتخر عليك فقال أبوها بمكره بالله يا أبا الفوارس لا تطاوعها على مقالها ولا تحركنا بحال من الأحوال حتى يريد الله بها وينجزك أمرك ويتم عرسك وينشرح صدرك ويرضى خاطرك لأنى كما تعلم ما بقى لى طاقة بالملك زهير ولا بأولاده وإذا غبت أنت ساعة من الزمان يطالبونى بك لأن كلا منهم يزعم أنه يستحسن معك وداده قال ثم أن مالكا من خبثه ومكره حط عنتر بالمدام وأسقاه فوق طاقته حتى انقضى أكثر الظلام ورقد كل من فى الحى ونام وماز الوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الصباح فقام عنتر وعزم على الرواح ومضى إلى بيت أمه زبيبة فما قرله قرار ولا حصل له اصطبار لأن كلام بنت عمه أطلق فى فؤاده لهيب النار فعند ذلك أيقظ أخاه شيبوبا الغضنفر وأمره أن يشد له على جواده الأبجر ويقدمه بين يديه ففعل شيبوب كما أمره أخوه عنتر وما خالفه فيما به أمره وهو لا يعلم ما قصده ولا إلى أين هو سائر فعندها ركب الأمير عنتر على ظهر جواده

الا بحر وساروا وتبطنا فى ذلك البر الاقفر والمهمة الاغبر قال ولما تمادى بهم المسير وصاروا بعيدا من الخيام وطار من رأس عنتر المدام فقال لأخيه شيبوب يا أبا رياح أنا ما أقصدك إلا فى المهمات الملاح أقصد بنا جبال طويلع ومنازل بنى زبيد وتلك الاماكن والبيد ولا تطلب إلا أقرب الطرقات ولو أنها تكون أصعب الفلوات فقال شيبوب يا ابن الأم فما الذى تجدد من الأحوال والمشكلات حتى خرجت من الحى فى مثل هذه الاوقات وفعلت هذه الفعال أخبرنى بتلك الاحوال حتى أعرف ما الذى خطر لك فى البال فقال أتعرف خالد بن محارب وزوجته الجيداء ابنة زاهر قال شيبوب وما الذى تريده منهم ولاى شىء أنت إليهم سائر فوالله يا أخى أنك بروحك فى هذا الامر مخاطر أعلم أن الجيداء امرأة ذات بأس شديد وأمر عنيد وشجاعة ابن عمها وفروسيته ما عليها مزيد وعجزت عنهم جميع الابطال وخافتهم جميع الاقيال ولا أحد نال منهم منال وقد ضربت بشجاعتهم الامثال أما تعلم يا أخى أن خالد بن محارب هو الاسد الواثب وهو الذى أذل الفرسان وأخذ الغفارة من سائر الوديان فما الذى أنت تريد اخبرنى بهذا الامر والشأن فعند ذلك حدثه عنتر بالقصة من أولها إلى آخرها وقال له أن ابنة عمى عبلة طلبت منى الجيداء ابنة زاهر تقود بزمامها ليلة زفافها وتحدثوا معها ما جرى من القصة ما قد جرى وأنا ضمنت لها ذلك الضمان وها أنا سائر إلى قضاء حاجتها وأريد أهجم على حى بنى زبيد وآخذ الجيداء لتفعل بها ما تريد فانى وعدتها أن لا يكون القائد لزمام ناقتها إلى حى بين الاماء والعبيد فقال له شيبوب يا أخى وهل تأتى بها وهى طائعة وتأخذها غصبا مسلبا فقال له عنتر بل مسبية وأسوقها بين يدى غصبا وانهبها نهبا فقال شيبوب أنك تريد أن يكون هذا الامر الذميم على خطر عظيم وأن صاحب الخطر لا يأمن القضاء والقدر لانك تريد أن تأخذ الجيداء التى أذلت جميع الفرسان وخافتها جميع الاقران ودخل تحت طاعتها جميع الشجعان وهى لبوة الاسد الرئبال الذى قهر الابطال فى حومة المجال وأن من دونها رجالا وأى رجال وهم ليوث الغاب غلاظ الرقاب يذلون الرتب الابطال الانجاب بكل حسام قرضاب وتخافهم جميع ملوك العرب والسادات من ذوى وفيهم يقول الشاعر المنتخب :

قوم تعالوا من الاجداد والاصل   من دونهم ضرب حد البيض والاسل
أسود غاب تحامى دون اجمتها   ويبذلون العطاء للضيف والنزل

(قال) ثم أن شيبوبا قال يا ابن الام أتريد أن تسير إليهم فما هذا إلا طمع عظيم وجنون جسيم فبالله يا أخى ارجع عن هذا الحال واسمع منى ولا تعلل نفسك بالمحال فقال عنتر إنك

يا ابن الأم أن تكثر الهذيان وترد نى عن أغراضى يا ذليل يا جبان فقال شيبوب والله ينتقم من عمك القرنان فإنه والله يريد قتلك ويرميك فى المهالك وإلا فن أين لعبلة معرفة بذلك وما دبرها على تلك الأحوال إلا عمك مالك المحتال وقد زخرف لها هذه الأمور حتى أنه يرميك فى المحذور ويبتليك بالطرد والبعاد ويزوجها لمن أراد من العباد وربما يكون هذا تدبير الربيع ابن زياد حتى أنه يزوجها لأخيه عمارة القواد وأنا ما أقول هذا المقال إلا شفقة عليك منى وحق ذمة الجلال لأنى عارف بما أنت قادم عليه (قال الراوى) لهذا المقال فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك المقال قال له لا تطل الفضول فى ذلك يا ابن الأنذال ولا تكثر القيل والقال فأنا لا بدلى من المسير وأتوكل على اللطيف الخبير فوالله لا تأخرت عن هذا الأمر أبدا ولو شربت كاس الردى ولا أخلى محبوبة قلبى عبلة تنظرنى بعين النقص على طول المدا ولا أكون عندها قليل الجهد عند ملاقاة العدا قال ثم أن عنترا بعد ذلك سار وهو وأخوه شيبوب وسلما أمرهما إلى علام الغيوب وقطعوا فيافى الفلا وتسيروا بأذيال الدجا قال وكانت هذه الحيلة من مالك بن قراد والربيع بن زياد وقد دبرها على هلاك عنتر بن شداد ومالك هو الذى علم ابنته عبلة أن تقول لابن عمها هذا المقال وقد أظهر لها أن ذلك شرف لقدره بمكره والمحال فأخذته عبلة من أبيها بقبول وجرى ما جرى من ذلك الأمر المهول وقد أبعد عنتر عن الديار والطلول ولما أن تمادى به المسير أنشد وجعل يقول صلوا على سيدنا النبى محمد الرسول :

أجوب هذا الفلا والليل معتكر ... واقطع البيدا والرمضاء تستعر
وليس لى مؤنس غير الحسام وإن ... صال الأعادى غداة الروع يبتدر
اليكموا يا سباع البر عن رجل ... إذا مضى سيفه لا ينفع الحذر
أو رفيقنى ترى قتلاى مطرحة ... والطير عاكفة تغدوا وتبتكر
ما خالد بعد ما قد سرت أطلبه ... بخالد ولا الجيداء تفتخر
ولا ديارهموا بالأهل آنسة ... إلا القليل ويأوى سوحها النمر
يا من رمت مهجتى من لحظ مقلتها ... بأسهم قاتلات رميها عسر
نعيم وصلك جنات مزخرفة ... ونار هجرك لا تبقى ولا تذر
سقاك يا علم السعدى غادية ... من السحاب ويروى ربعك المطر
كم من ليال قضيناها مؤانسة ... مضيئة بالصفا ما شأنها كدر
مع فتية تنقل الأقداح بينهموا ... مدامة مزجت أوراقها عطر
إن عشت فهى التى مادمت أشكرها ... أو مت فهى ليال كلها العمر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام فبطن فى البرارى والآكام فما أصبح الصباح إلا وهو فى بلاد بعيدة وهو طالب أن يأتى بالجيداء بنت زاهر فهذا ما كان من أمر عنتر وأما ما كان من أمر خالد بن محارب فإن تفسير ذكره ومنشئه هو وابنة عمه الجيداء وما كان سبب حديثهم الذى شاع شرقا وغربا هو ما قاله الأصمعى لقد سألت من مشايخ العرب عن خالد وابنة عمه الجيداء وما كان لهم من الشأن وكيف نشئوا بين العربان وبماذا نالوا هذه المنزلة العليا فأردت أن أعرف مبتدأ أمرهم وكيف كان بدء حديثهم من صغرهم لكى يتعجب منه كل عاقل لبيب فعندها حققت ذلك وأردت كشف هذا الأمر حتى تنشرح من سماعه الصدور ويعرف السامع مبتدأ هذه الأمور وذلك أن خالد بن محارب لم يكن له فى هذا الزمان مقايس لا فى الشجاعة ولا فى البراعة ولا سائر الأمور النفائس وكان من أكبر بيت فى بنى زبيد وكان أبوه محارب بن جيشان يقرب إلى معديكرب فارس بنى زبيد أبى سيدنا عمرو صاحب رسول الله ﷺ وكان معديكرب هذا فارس الحرب وكانت تنعقد عليه العشائر وكان يغزو الأمصار والبلاد وصار يوصف بين الجحافل ويذكر فى سائر البلدان وكان إلى شجاعته الغاية وإلى براعته النهاية وكانت خلقته عظيمة هائلة جسيمة كأنه طود من الأطواد أو من بقايا قوم عاد وكان إذا جلس ساوى فى جلوسه الإنسان القائم وكان مع هذا كله يشهد لخالد بن محارب بالفروسية ويقول أنا ما تعلمت هذه الفروسية إلا من ابن عمى خالد بن محارب وكان ولده عمرو رضى الله تعالى عنه بعد إسلامه إذا جلس فى مجلس رسول الله ﷺ يقولون له الصحابة يا عمرو من علمك هذه الفروسية فيقول هذه ورثناها من ابن عمنا خالد . وكان لخالد عم اسمه زاهر بن جياش وكان كالأسد الهواش وكأنه همام بطاش لا يهاب الرجال ولا يكترث بالأبطال وكان حديث هؤلاء الأخوين حديثا عجيبا ينبغى أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب حتى يتعجب منه كل من له عقل وأدب لأن محاربا وزاهرا كانا فارسين بطلين ومما وقع من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الأوراق أن اليوم الذى ولد فيه خالد ولدت من الجيداء ابنة زاهر وكان أبوها لم يرزق غيرها وكان قال لامها من قبل أن تضعها أن جاءنا ولد ذكر فأهلا وسهلا وإن جاءت ابنة فقولى أننا رزقنا ولدا ذكرا حتى لا يقول أخى أنتم رزقتم بنتا ويشمت بنا فجرى ذلك وأتقن ما ذكرناه وأشاعوا بذلك الخبر جهرا وقد أظهر بعدها الفرح والسرور وركزوا على باب بيته علما وأوقف إلى جانبه حصانا وعلق فيه سيفا وعمل وليمة عظيمة أعظم من الوليمة التى عملها أخوه وجمع فيها سائر خلفائه فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وقال جميع الناس يا أمير

زاهر أن أخاك محارباً قد سمى ولده خالداً فما الذى سميت به ولدك فقال لهم سميته جودر فقالوا له اسم حسن وهو بين الأسماء موقر (قال الراوى) هذا وقد رزقها الله تعالى من أمها وأبيها من المحبة الحظ الأوفر وما علم أحد أنها بنت بل أنها ذكر (قال الأصمعى) وإنى سمعت عن هؤلاء الآخوين أنهما كانا من الجبابرة العتاة الذين هم من بقايا بنى حمير وكان فى بنى زبيد بطن يقال لهم بنو منبه بن سعد وهم بطن من زبيد الكبرى وكان بنو زبيد بطنين زبيد الكبرى وزبيد الصغرى وكان زاهر وأخوه محارب من زبيد الكبرى وكانوا من أكبر بيت فى القبيلتين وكان بين زاهر وأخيه محارب بغضة عظيمة وعداوة قديمة وهما أخوان من أم واحدة وأب واحد بحيث أن الواحد منهما لا يشتهى أن يرى الآخر وكانا يتظاهران بين الناس بالمحبة وفى الباطن بينهما العداوة والبغضة (قال الأصمعى) ولما كان فى بعض الأيام خرج محارب على أخيه زاهر بالكلام وتجبر عليه واستخف به وكان محارب هو الكبير وهو شيخ الحلة ولما استخف محارب بأخيه زاهر تغلب عليه وقهره وأراد قتله فرده الناس عنه وقالوا له أيها الأمير ما هذا البغى والغضب على أخيك وهو عضو من أعضائك وأنه من أمك وأبيك أترجو أن يعود جياش حيا من المقابر ويأتى من أمك بأخ آخر فقال لهم تعساً ونكساً لهذا الدميم والشيطان الرجيم . هذا وقد فصلوا بينهم بعد المباغضة ولما انفصلوا دخل زاهر على زوجته وأعاد عليها ما قد جرى بينهم فقالت زوجته ولم ترض لنفسك بالذل والهوان وأنت سيد من سادات العربان فقال لها زاهر وكيف الأمر وأى شىء أعمل وقد أذلنى من لا أقدر عليه ولا أمد يدى بسوء إليه لأنه ضجيعى فى الإحشاء ورضيعى فى دار الدنيا فقالت له زوجته ارحل من حوله وجواره وأبعد فى البر عن دياره وكن كما كان من يقدم من العرب وقالت هذه الأبيات :

ونفسك فر بها إن صاب ضيم وخل الدار تنعى من بناها
فإنك واجد أرض بأرض ونفسك لم تجد نفسا سواها
وما غلظت رقاب الأسد حتى بأنفسها تولت ماعناها
ولا ترسل رسولك فى مهم فما للنفس ناصحة سواها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها
وإن جارت عليك الأهل فارحل فأرض الله واسعة فلاها

(قال الراوى) ثم إن زاهر رحل من جوار أخيه وسار من قبيلته إلى أن نزل على قوم يقال لهم بنو سعد ومن هذه القبيلة عبد الله وعن عبد بن أنس * ولما صار عند القوم فرحوا به وأكرموا

وعن حاله سألوه فعند ذلك حدثهم زاهر بحديث أخيه محارب وما حصل بينهم من الأهوال والعجايب فقالوا له لا يضيق صدرك فالدار دارك ونحن فيها من جملة جوارك قال الراوى فعند ذلك قام زاهر عند هؤلاء القوم جملة أيام وقد طاب له عندهم المقام وتمادت بالشهور والأيام إلى أن كبرت البنت والغلام وكان زاهر سمى إبنته الجيداء فى الباطن وجودر فى الظاهر وصار يركب هو وإياها ويعلمها الفروسية والكر والفر فى النهار والليل ويذكر للناس أنها ذكر هذا وقد علمها الطعن والضرب بالبيض الثقال ولما أن تفرست ورآها أبوها ماهرة فى ذلك الحال ونفسها تطالبها بالإشتغال أحضر إليها رجلا عارفا من مشايخ العرب فعلمها الخط والشعر والأدب وقد نطقت وناظرت فأسكتت وقهرت وصارت فريدة أهل زمانها فى الخطاب وسرعة الجواب فلما أن صار لها من العمر خمس عشرة سنة نظر إليها أبوها فرآها عظيمة الخبر مليحة المنظر كأنها فلقة قمر فصار ينفرد بها فى الصحراء ولما أن رآها شديدة البأس فى كل ما ترى وصار يركبها الخيل ويخوض بها البر والقفار بالليل والنهار فداومت على ركوبها الشجاعة والبراعة وصار تحت يدها من يذعن لها بالسمع والطاعة لأنها صارت تحضر فى الميدان ومقامات الفرسان ولا ينادونها إلا بالأمير جودر لأنها كانت لا تظهر شعرها بل تخفيه فيقول الرجال هنيئا لمن له هذا الهمام الذكر فوالله ما ولدت النسوة مثله آخر ولا له فى الملك مناظر قال الراوى لهذا الخبر بعد الصلاة والسلام على فخر ربيعة ومضر هذا وإن الأمر والشأن إلى أن كان فى بعض الأيام مرض أبوها زاهر امرضا شديدا أشرف منه على الهلاك فلما علم بحلول أجله أيس من نفسه وعلم أنه قرب من الدنيا مرتحله أحضر أم الجيداء إليه فلما أتت وجلست بين يديه قال لها يا بنت العم بالله عليك لا تتزوجى بأحد بعدى لتقع الفرقة بينك وبين ابنتك الجيداء واكتمى أمرها ولا تكشفى لأحد سرها وإن تغير عليكم أهل هذا الحى فعودا إلى حى محارب فربما يكون لكم بخلاف ما كان يفعل معى من الواجب واحفظى ما فى أيديكم من المال فإنه يزين النساء والرجال واعلمى أن قيمة الرجل ما حاز من المال الكثير والرجل الفقير بين الناس حقير وأكرموا الناس بكرمكم وقد عرفتم كيف عشت فيكم قال الراوى ثم أنه بعد الوصية أقام أياما قليلة وهو مريض ولكن فتح الله عليه بالعافية وعافاه ومما كان فيه قد شفاه وصارت ابنته الجيداء تشن الغارات وتغالب الأقران بالفروسية فى كل مكان هذا وقد أظهر اسمها وعظم رسمها وكان إذا أراد أحد أن يغير على القوم الذين هى عندهم يقولون له الحذر ثم الحذر أن تقرب قبيلة جودر قال الراوى فهذا ما كان من أمر الجيداء ومنشئها وأما ما كان من خالد ابن عمها وقصته التى قدمناها فإن أباه كما ذكرنا

كانت له خيول وجنائب وأبيات ومضارب يأوى فيها الضيفان * هذا وخالد نشأ بينهم إلى ان كبر فى السن والمقام وصار له من العمر خمس عشرة سنة تمام صارت شجاعته فى كل يوم تزيد حتى أقرت له الفرسان الصناديد والتأبيد (قال الراوى) هذا وقد سمع خالد بحديث إبنة عمه الجيداء المسمى بجودرو مافيها من الشجاعة والبراعة وذكرها الذى قد ظهر واشتهر فاشتهى أن يمضى إليها وينظر إلى فعالها فى الميدان ويجرب طعانها وضرابها فى الجولان مع الفرسان فلم يقدر على ذلك الشأن لأجل خاطر أبيه لما يعلم من العداوة التى كانت واقعة بينهم مع اختلاف الزمان ومازال كذلك إلى أن مات أبوه ملك مكانه واحتوى على أمواله وأخذ سلطانه وصار يفعل فعال أبيه فى كل أحواله ويعمل فى قومه مثل أعماله يقرى الضيفان ويؤمن الخائف والفزعان ويكسوا العريان ويركب فى الأبطال إلى الميدان يحكم بين الفرسان بالزيادة والنقصان وصارت هذه آدابه بين الفرسان (قال الراوى) فلما أن قوى عزمه وصارت القبيلة له وتحت أمره ونهيه هابته الفرسان وخافته جميع الشجعان فعند ذلك عزل عن أمواله وذخائره هدية سنية وجوادا من خيار الخيول العربية ثم أنه أخذ فى صحبته أمه وصار من حلته قاصد زيارة عمه ولم يزل يجد المسير فى الفيافى والقفار ويقطع الصحارى والأوعار حتى قدم على عمه فى تلك الديار ففرح به فرحة عظيمة وكذلك جميع من فى الحلة من الكبار والصغار وأنزله فى منزلة من الديار لأنه كان يسمع بأخباره المتواترة من السفار الواردة عليه والخطار (قال المؤلف رحمه الله) ثم أن عمه أكرمه وعظمه ورفع قدره هذا وقد أبصر خالدا ابنة عمه المسمى بجودر فاعتنقها وباسها وضمها إلى صدره وهو يظن أنها غلام ذكر لما قد بان له منها وظهر لأنه رأى خلقة بهية بهجة مرضية وهى مضيقة اللثام فقدم لها ما صحبه من الهدية والأنعام فأخذته منه وقد أكرمته غاية الإكرام . هذا وقد قام خالد عند القوم عشرة أيام وهو فى كل يوم يخرج إلى الميدان ويطاعن الفرسان والشجعان ويعلم من لهم من الأقران (قال الراوى) لهذا الديوان فلما أن رأت ابنة عمه منه ذلك الحال وعاينت ما أعطاه الله من الحسن والجمال وغلو قدره على الفرسان والأبطال تعلق قلبها به وبمحبته قد هامت وبقيت ليالى من غرامها ما نامت بل أنها هجرت المنام وصارت تكثر عنده من القعود والقيام كل ذلك مما حصل فى قلبها من نيران الهوى والغرام وقد ملك حبه قلبها ولبها واستولى سلطان الهوى فى فؤادها فلما قل صبرها شكت إلى أمها حالها وقد استحيت من ذلك الكلام ولكن حكم عليها بذلك الهوى والعشق والهيام وقالت لأمها إن عادا بن عمى إلى دياره وحق الواحد الأحد وما أنا فى صحبته

مت من الكمد ويشمت بما حل بى كل أحد فرق قلب أمها وما عاتبتها على فعلها ولامتها على ما بدا من قولها بل أنها تبسمت من قولها لأنها علمت أن العذل لا ينفع فيها وقالت لها يا ابنتى لا تضيق صدرك ولا تشغلى سرك ولا تكابدى صبرك لأنك ما فعلت أمر قبيح ولا عملت شيئا إلا المليح ولا أحببت إلا ابن عمك لأنه من لحمك ودمك وهو وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أحسن شىء يحب بين الأنام وأنه مليح الوجه حسن القوام والكلام وهو لا يصلح إلا لك ولا تصلحين إلا إليه والسلام لأنك تضاهينه فى حسنه وجماله وبهائه وكماله فاصبرى فإذا كان فى غداة غد وأتت أمه لى زيارتها أطلعناها على حالتنا وقصتنا وزجناك به ورجعنا كلنا إلى قومنا وحلتنا قال نجد بن هشام فصبرت إلى أن كان من الغد وأتى الوقت الذى تأتى فيه أم خالد إلى زيارتها فدعت بابنتها وقدمتها إلى بين يديها وكشفت رأسها وخلعته قال الراوى لهذا الديوان فبينما هم على ذلك الأمر والشان وإذا بأم خالد قد دخلت عليهم من باب الدرب فرأت ما هم فيه فلما أن نظرت إلى ذلك انبهرت واندهشت من ذلك الجمال جودر فقالت لها لا بل هى ابنتى الجيداء وقت القمر ثم أنها حدثتها بجلية الخبر وقد قصت عليها ما كان من ذلك الأمر المنكر وما جرى لها من بعلها حيث أتهربها وكتم أمرها خوفا من عاقبتها فلما أن سمعت أم خالد ذلك تعجبت كل العجب وقالت والله ما فى بنات العرب أجمل من هذه الصورة ولا أغرب فما اسمها يا بنت العم سلمها الله تعالى من الردى فقالت لها يا بنت العم اسمها الجيداء وإنى ما فعلت بها هذه الفعال إلا لأجل أنه أعرض عليك ما كساها الله من الحسن والقد والإعتدال وأورد تلك المحاسن عليك لتنظرى حالها مع ولدك فى الزواج وترجعى إلى ديارنا وأوطاننا من غير احتجاج فقالت لها أم خالد السمع والطاعة وإن أراد الله يكون الأمر فى هذه الساعة وقد سمعه المصونة قال الراوى ثم أن أم خالد قامت فى عاجل الحال وسارت من عند أم الجيداء حتى بقيت عند ابنها خالد بن محارب وأعلمته بما أبصرت وربما عاهدت وعاينت وقد تحسرت وتنهدت وقالت لولدها وحق من يعلم السر والعلانية لم يكن أحسن منها فى حاضرة ولا بادية فبادر ياولدى إلى أبيها واخطبها منه لعله أن ينعم لك بها ويجمع بين جمالك وجمالها فإنها ما تصلح إلا لك ولا تصلح إلا لها قال المؤلف فلما أن سمع خالد بن محارب من أمه هذا الخبر أطرق إلى الأرض رأسه ساعة وفى نفسه تفكر كيف أمه قابلته بذلك القول عن ابن عمه جودر فقال لها يا أماه وحق الركن والحجر وذمة العرب من ربيعة ومضر ما كان فى نيتى

أرجع وأفارقها ولو كانت قد زعموا أنها ذكر والآن ما بقى لى فى محبتها من حاجة بعد ما ظهر لى أنها امرأة فلا تكثرى على الحاجة لأنها ذات ضلع أعوج ولسان متلجلج وجنان أهوج وأنها إلى غيرى فى ذلك أحوج لأننى ما أشتغل بملاقاة الأبطال واقتصاص الأقيال وكسب الثناء وبذل المال وطلب المنازل العوال فهو عندى أفضل من مضجاعة النساء ذات الحجال وبعد ما بالمعنى عنها هذا الكلام ما بقيت أقيم عند هؤلاء القوم ولا أسمع لهم كلام عذلته فيما ذكر من ذلك الكلام والملام فتركها وقام من عندها ثم أنه قام وركب من وقته وساعته على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وودع عمه وعول على المسير وسرعة الجد والتشمير فقال له عمه زاهر يابنى ما هذه العجلة والارتحال ولم تقم عندنا برهة من الزمان حتى أننا نشبع منك بالنظر ونقضى من معاشرتك الوطر فقال له خالد ياعماه ما أقدر أن أقيم أكثر من هذه الأيام لأن بيوتنا خالية ومافيها أحد من الرجال الكرام والطارق علينا كثير والوافد الينا غزير قال الراوى ثم أن خالدا ودع عمه بعد ذلك وقد ودعت أمه أم الجيداء وقرأتها السلام وأخبرتها بما حصل بينها وبين إبنها من الكلام وأعلمتها بما نطق به ابنها من الملام ثم إنها ركبت ناقتها وسارت مع ولدها طالبة أهلها وعشيرتها قال الأصمعى فلما أن رأت الجيداء إلى تلك الفعال من ابن عمها وأنه ما قبلها ولا التفت اليها ولاحن عليها هانت نفسها عندها وقد تلهبت نيران وجدها وهجرت رقادها وزاد تنهيدها وقل زادها حيث أنها لم تبلغ مرادها وبحيث من ذلك حائرة فى أمرها وقد نشتغل سرها ولم تزل على ذلك الحال إلى أن كان فى يوم من بعض الأيام وقد طلب أبوها الكسب والغارة فى البرارى والآكام وقد سار هو ومن يلوذ به وأوسع فى البر وكان له بالعادة أن يأخذها معه كما ذكرنا قبل هذا الكلام فنظر اليها عند مسيره فرآها قليلة النشاط والاقتدار فما عرض عليها المسير بل أنه سار وتركها عند أمها فى الديار وقد ظن أنها تشكو من وجع فى جسمها فتركها لأجل ذلك صار ثم أنه لما ابعد عنها فى سفرته وأمنت هى على نفسها من غيبته وقد رأت أنها لزوجها مالكة وأحوالها متداركة ولم تر أنها تصبر على ذلك قالت لأمها ياأماه أموت وهذا ابن عمى ابن الزانية فى دار الدنيا لا كان ذلك أبدا ولا تشمت بى الأعداء قال الراوى ثم أنها بعد ذلك ركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها وأظهرت لأمها أنها طالبة الصيد والقنص حتى أنها تشتغل عما هى فيه من تجرع كاسات الغصص وسارت وقد أضمرت فى قلبها خلاف ما أظهرته لأمها ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى حلة ابن عمها ثم أنها تنكرت ونزلت فى أبيات ضيافته

وأرادت المقام وهى فى زى أهل الحجاز متعممة مضيقة اللثام نخدمها الخدام وأكرمها عبيده غاية الإكرام فلما كان من الغد حضرت إلى الميدان فبلبلت عقول الشجعان ممن كان حاضرا فى ذلك المكان وسمحوا لأنفسهم بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الثقال وتم تزلزل الميدان وتعبت الخيل فى المجال هذا وقد أبصر منها ابن عمها الأهوال من غير معرفة له بها وهى على ذلك الحال وكان قد برز إليها ابن عمها فرأى منها فروسية ماعليها غبار فعادوا بعد ذلك من الميدان وقد تحيرت من فعالها الفرسان وليس فيهما من يرجع من صاحبه ولاقدر عليه فى طعنه ومضاربه هذا وقد افترقوا عن بعضهما البعض وقد عظمت الجيداء فى أعين الناس وحيرت جميع الفرسان الأتراس وقد أسكنت فى قلوبهم الرعب والوسواس وكان ذلك مما يعرفون عن شجاعة خالد وما كان تبين لهم من براعته طول الأبد (قال الراوى) هذا وقد أوصى خالد بها العبيد وقال لهم اكرموا هذا البطل الصنديد وزيدوا فى إكرامه كل المزيد لأنه فارس شديد وبطل عنيد ثم أن خالد عاد إلى أبياته وفى قلبه منها ألم كبير وحر أشد من نيران السعير هذا وقد أقامت الجيداء فى ضيافة خالد ابن عمها ثلاثة أيام وهو فى كل يوم يأمر بالزيادة فى اكرامها بما يقدر عليه من الأنعام وهى فى كل يوم تخرج إلى الميدان ثم أنها تطاعنه ويطاعنها بين الفرسان ولم يزالوا على ذلك الحال فى كل يوم إلى آخر النهار حين تولى الشمس بالاصفرار وتعود الجيداء وهى زائدة النشاط كثيرة الانبساط وهى مع ذلك لا تعرفه بنفسها وهو أيضاً يكرمها ولا يعرفها وما تسمه نفسه أن يسألها عن حالها هذا ولم يزالوا كذلك على ماهم عليه إلى أن كان فى اليوم الرابع فركب على ماجرت به العادة هو ومن معه من أكابر القوم وعبر على أبيات ضيافته فرأى الجيداء قد ركبت وطلبت الميدان فسلم عليها فردت عليه السلام وحيته بأحسن التحية والاكرام فقال لها خالد ياأخا العرب أعلم أنى أريد أن أسألك عن حالك وأسى معك الأدب بحق من ألبسك ثياب الجمال ورزقك الصبر والجلد عند لقاء الفرسان أخبرنى من تكون أنت من الأبطال وإلى من تنسب من أصحاب المنازل الهوال لأنك قد شغلت خاطرى وبلبلت سرائرى وحيرتنى فى امرى (قال الراوى) فلما أن سمعت الجيداء من خالد ذلك المقال ونظرت إلى ما صار فيه من ذلك الحال تبسمت عن ثغر ملآن باللؤلؤ المنظوم وقد كشفت عن وجه كأنه القمر بين النجوم وقالت له يا خالد أعلم أنى أنا من جملة البنات ربات الحجال ومالنا من الفرسان ولا من الأقران بل أنا بنت عمك الجيداء التى أعرضت روحها عليك بعد أن طال المدا فلت

عنها ولا أردتها وقد فوضت أمرها إليك فقلت أنا عند ملاقاة الأبطال ومعالجة الأقبال أحب إلى من معانقة النسوان ربات الحجال وإنى إلى هاهنا قد جئت لأعرفك قدر الجمال وأجرعك كؤس الوبال وأعرفك أن كل ما جئت فيه زور ومحال (قال نجد) ثم إنها ردت على وجهها اللثام بعدما فرغت من ذلك الكلام فحركت عنان جوادها ورجعت إلى ناحية بلادها وقومت بين أذان حصانها سنانها وقد بلغت بذلك ما أملته شأنها . هذا وقد سار ابن عمها فى أمر ذو خلل وقد سارت فتركته حيران فى أمره لا يدرى ما يفعل ولا يطيق دفع ما به نزل ونسى ما كان عليه من الفروسية ملاقاة الشجعان . هذا وقد انقلبت بغضة النسوان بمحبة وعشق وهيام وأخذه الزمع والرجفان وقد جرت دموعه على خديه وحس بأن الدنيا قد انطبقت عليه فصار لا يعرف ما بين يديه (قال الأصمعى) فلما أن أفاق من غشيته ورأى نفسه أنه قد تغير نظام حاله عاد راجعا إلى حلته ودخل إلى بيته وأعلم والدته وقد جرت دمعته وأخبرها بما تم عليه من نوبته فقالت أمه لما سمعت ذلك المقال يا ولدى أنك تستحق أكثر من ذلك الحال ويجب لها أن تفعل فى حقك أكثر من تلك الفعال لأنه قد قيل فى الأمثال من لم يسمع لمن هو أكبر منه خصوصا أمه كثر همه وغمه فقال لها يا أماه أنا أخطأت بما بدا من المقال وأريد منك إصلاح الحال والإمت من الشوق والبلبال فطيبت أمه قلبه ثم أنها تجهزت من وقتها فركبت على ظهر ناقتها وسارت تقطع القيعان وخلفت ولدها على جمر الغضى (قال الراوى) وكانت الجيداء وصلت إلى الأحياء فاخبرت أمها بما جرى بينها وبين خالد ابن عمها فاستعظمت أعمالها وبعد يومين وصلت أم خالد ودخلت على أم الجيداء بعد أن قطعت الفدفد وأخبرتها بما حل بولدها وطلبت من أم الجيداء الإتصال ببنتها ورقت لها وكان الأمير زاهر أبو الجيداء طالت غيبته فعند ذلك أحضرت أم الجيداء إبنتها وأخبرتها بخبر ابن عمها وقالت لبنتها يا بنتى بلغته منك المنا فقالت الجيداء لا وحق من واسع البيدا لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردا ولا كان ابنك لى بعلا ولا كنت له أهلا وأنا ما فعلت تلك الفعال إلا لأجل أنى شفيت غليلى وأطفأت نار قلبى وهان على المطلوب وانفرجت عنى الكروب وأنا فى الأصل ما تعديت عليه ولا أوصلت شرى إليه بل أنا رغبت فيه وطلبت زواجه وقربه فما رضى بذلك فخليته يقاسى الهم وحده وما بقى لى حاجة بقربه قال الراوى فلما أن سمعت أم الأمير خالد من الجيداء هذا المقال ارتجعت فى الحال خائبة بما أملته ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى حيها فدخلت على إبنها خالد وأخبرته بما سمعت من الجيداء فتجددت أحزانه وتحدر دمعه ورأته أمه وهو

على نيران الحريق كثيرا الوجد والقلق فقالت له ياولدى ما بقى لك من همك فرج ولا من الضيق مخرج إلا أن كنت تجمع فرسان العرب وكل من يريدك وبينك وبينه صداقة أو نسب وترصد عمك حتى يرجع من غارته ويقدم من سفرته وسر أنت ومن معك إليه وأخطب منه ابنته جيداء وإن أنكرها منك وأخفاها عنك فاطلعه على أمرها وأعرفه بما جرى لك ولها بين الفرسان والأبطال وما فعلت معك فى الميدان بين الفرسان والشجعان وقد اتضح الحال وانقضت جميع الأشغال فقبل خالد ماقالته أمه وخمدت نيرانه وحرقته لما سمع ذلك المقال الذى قالته والتدبير الذى دبرته وصبر الأمير خالد حتى بلغه الخبر أن عمه الأمير زاهر قد رجع من سفرته وعاد إلى أرضه وحلته فعند ذلك جمع الأمير خالد أكابر عربها الأمجاد ومشايخ القبيلة الأجواد وهم من بنى خثعم وزبيد ومراد وهذه الثلاث قبائل كلها فى أرض واحدة ولكنهم على المناهل مبددة وهم أولاد عم لبعضهم البعض وكلهم نازلون فى تلك الأرض (قال الراوى) ولما اجتمعوا إليه وحضروا بين يديه أخبرهم الأمير خالد بقصته وسألهم فى معونته فتعجبوا مما جرى له فى نوبته فقال معد يكرب الزبيدى وهو قد تعجب كل العجب وكان من جملة رجال خالد فى الحرب ويشاكله فى الطعن والضرب قال والله ياخالد أن هذا الحديث أعجب من كل العجب ولا سمع بمثله فى العجم ولا فى العرب لاننا كنا نسمع أن لعمك ولدا ذكرا اسمه جودر والآن قد انكشف الامر وبان المكتوم واشتهر وأنت أحق بابنة عمك من سائر البشر ومن الصواب إننا نسير إليه ونرده إلى عشيرته ولا نتركه يغرب إبنته ويضيع حرمته ثم إنهم ساروا إليه وكانوا ما ئة فارس أكابر ومعهم عشرة من مشايخ العشائر الذين هم من أقران الأمير زاهر أبى الجيداء ومحارب أبو خالد ممن تربى معهم فى زمن الصبا وكان الأمير خالد أخذ معه هدية سنية مليحة بهية أحسن من الهدية الأولية ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البر والفدفد حتى قدموا على الأمير زاهر عم الأمير خالد فتعجب عمه زاهر من سرعة عودته ورأى مشايخ العشيرة فى صحبته فحار الأمير زاهر فى قصته لانه ما كان يعلم بحال ابنته وظن القوم أتوا يترضونه وإلى عشيرته يردونه فتلقاهم أحسن ملتقى بالتعظيم والإكرام ونحر لهم النوق والأغنام وقدم لهم المدام وأقاموا فى ضيافته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع نهض الأمير خالد على قدميه وقد شكر عمه وأثنى عليه وخطب منه ابنته الجيداء وطلب منه العودة إلى أرضه فأنكره عمه الأمير زاهر وقال إنى ليس لى إبنة أبدا إلا أن كان ولدى جودر وقد عرف بكل من غاب وحضر (قال الراوى) فلما سمع الأمير خالد من عمه ذلك الكلام شرع يحكى له أمر قصته وما جرى له من ابنته فطرق رأسه فى الأرض متحير وصار متفكرا فى أمره متغيرا

وبعد ذلك رفع رأسه وقال يا بني الأعمام وحق البيت الحرام والركن والمقام ما ظننت أن هذا الكلام يظهر ولا يعرفه أحد من البشر ولكن ما بقي إلا زواجها لابن عمها لأنه من جميع الناس أحق بها إن شاءت أو أبت ثم أعطاه يده على ذلك وزوجه بها وشهدت عليهم بذلك الفرسان وقد قطع المهر خمسمائة ناقة حمر الوبر وخمسمائة جمل محملة من طرائف اليمن واستقر المهر على هذا الأمر هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بني سعد الدين كان نازلا عندهم الأمير زاهر فصاروا يتعجبون من ذلك الأمر لأنهم ما كانوا يظنون أن الأمر زاهر إلا ولدا ذكرا كما أنبأهم سابقا بالخبر فعند ذلك حاروا ولما بان أمرها واشتهر شرها وأما الأمير زاهر فقد استأذن ابنته فاستحيت أن ترد كلمته وعلمت أن أباها ما بقي يتركها بلا زواج بعد أن قالت يا أبتاه أنا ما أدخل على ابن عمي حتى ينحر ألف جمل ليلة عرسي وألف ناقة فواتك وتكون كلها من اموال وملاعب الاسنة غشيم ابن مالك فخرج الأمير زاهر وأعلم ابن أخيه بذلك الخطاب فسمع وأجاب ورضي بتلك الأسباب وما زال المشايخ بالأمير زاهر حتى رحل معهم بأموالهم وجميع متاعهم (قال الراوي) ولما حلوا في الأوطان تجهز الأمير خالد إلى الغزو وأخذ معه ألف فارس مثل الأسد العوابس وقصد إلى ديار بني عامر ولما وصل إليهم قتل أبطالهم وجرح أقيالهم وعاد وهو منصور على الأعداء مؤيدا بعدما التقى بملاعب الأسنة وسطا عليه سطوة الجبابرة الذين لا يبالون بالعواقب وجرحه في ثلاثة مواضع وعاد بأمواله ونوقه راجع وأخذ أكثر مما طلبت الجيداء منه وقد طال ما به من هم وغم ولما وصلوا إلى الحي خرج إلى ملتقاه الكبار والصغار وما قر له قرار حتى طالب عمه بالزفاف فأعلم ابنته فجاءت إلى خالد وقالت له يا ابن العم إن أردتني لك أهلا وأنت تكون لي بعلا فأنا أريد منك حرة من حرائر العرب ممن لهم حسب ونسب وتكون مكرمة من أعلى الرتب ذات عقل وأدب ويكون أبوها من الفرسان المشهورة أصحاب الغارات المذكورة حتى تقود بزمام جملي ليلة زفافي وجلوتي لأفتخر بذلك على بنات عشيرتي ويكون بذلك فخر على بنات العرب الأحرار (قال الراوي) فعند ذلك أجابها بالسمع والطاعة وذلك من غير شناعة ثم أنه تجهز من يومه وأخذ ألف فارس من قومه ولم يزل يقطع الأودية والجبال حتى نزل على حلة معاوية بن النزال سيد هذه الأطلال فغار على حلته وقتل الأبطال وسبي أميمة ابنته ورجع عاجلا إلى حلته واستقر في المنازل وافتخر على أهل سائر القبائل (قال) ولما حل في الأحياء وهب إلى الأيتام والأرامل وأقام الفرح الكامل ودعا كل من كان له من الأصدقاء والعشائر وجمع في عرسه الثلاث قبائل الخاص والعام واصطفت المولدات بالدفوف والمزاهر ووقعت

الدسائر فى الحلل والعشائر والأقارب الأمير خالد القرار دعا له من الأهل والخلان والمعارف من جميع الآفاق وكل من له من الرفاق ونحر لهم الجمال والنياق وشاور عمه فى الزفاف فقال له ما بقى فى الأمر خلاف فأعلم الأمير زاهر بذلك زوجته وأمرها أن تجهز ابنته فأرسلت الجيداء إلى ابن عمها تقول يا ابن العم أريد منك أن تصيد لى عشرين سبعا ولبوة من الجبال الدحال وتذبحهم وتصنعهم من جملة الطعام ليكون لك بهذا افتخار على الخاص والعام وأفتخر بك على سائر بنات العربان فلما سمع الأمير خالد هذا الكلام أجاب بالسمع والطاعة فنهض من وقته وترك القوم مشتغلين بأكل الطعام وشرب المدام فسار يهجم على الدحال والآجام فيأخذ الأسود أقتنا صافيعود بها إلى الخيام ويجلبها فى مكان حتى صار خمسة عشر سبعا ولبوة وبقى عليه خمسة فعلمت ابنة عمه بذلك فغيرت زيها وخرجت للبر والآكام وركبت جوادا يسبق طير النعام وكان قد بقى لزفافها ثلاثة أيام ثم إنها كمنت لخالد فى بعض الدحال التى يتصيد منها السباع والأشبال فلم تزل فى الانتظار حتى أتى خالد بتلك القفار فعند ذلك خرجت الجيداء عليه وصوبت سنان رمحها إليه وغيرت صوتها وصاحت عليه وقالت انزل يا ابن اللخناء عن جوادك وإلا وضعت هذا الرمح فى فؤادك وأسقيك كاس العطب وجعلتك مثلا بين العرب فعند ذلك حمل عليها خالد فتلقفته الجيداء وهجموا على بعضهم وهم على الخيول العتاق وتطاعنوا وتضاربوا بالسيوف الرقاق وجرى بينهم فى الحرب ما يحير عقول الحذاق فرأى خالد أنه غنم وليته أنعاق فقال له ويلك من شيطان وأسد غضبان ما أشد بأسك وما أقوى رأسك قطع الله عقبك ودق صلبك ويلك أخبرنى من أنت لا كنت يا شيطان يا ابن ألف شيطان فلا عمرت بك أوطان قال الراوى فلما سمعت الجيداء كلام ابن عمها كشفت عن وجهها اللثام وقالت يا خالد من يكون مثلك يهجم على السباع فى الآجام ويتكلم بمثل هذا الكلام ويقوم مع طفلة هذا المقام هذه صفة فارس همام فقال خالد وقد استحيا من بنت عمه لما سمع هذا الكلام وصار من الحياء كأنه ألجم بلجام وقال والله يا ابنة العم ما قدر أحد أن يثبت قدامى فى الميدان إلا أنت يا سيدة النسوان ومع ذلك فأى شىء أخرجك من خدرك هل أردت أن تعرفى قدرى وتعايرينى بذلك عند الخلوة والاجتماع فقالت الجيداء لا وحق ذمة العرب ما خرجت إلا لأعينك على صيد السباع فتعجب خالد من ذلك الإيقاع وتبسم من كلامها وتعجب من شدة بأسها ثم إنهم دخلوا إلى غابة كثيرة السباع فاصطادت الجيداء سبعا ولبوتين وفعلت ما يعجز عنه أهل المشرقين والمغربين ورجعت سلمتهم لخالد فهنأها بالسلامة وبلوغ المقاصد وقد زادت محبتهم لبعضهم بعض وسادوا على أهل الأرض فى طولها والعرض

(قال الراوى) ولما سلمت الجيداء لخالد السباع قالت أيها البطل الشجاع والقرم المناع لا بعد هذا اليوم تخرج من الحى إلا بعد زفافى عليك فأجابها بالسمع والطاعة ثم أنها فارقته من الساعة ودخلت إلى بيت أمها وخدرها ولا أحد يعلم بحالها قال ولما أتى خالد ونظرت الفرسان إلى فعاله زادت هيبته وعلت على جميع العربان كلمته ولما كان من الغد عمل خالد الولائم وذبح ألف ناقة وجمل وعشرين سبعاً ولبوة وافتخر بهم فى السهل والجبل وعزم العزائم وحركت المولدات الدفوف والمزاهر واجتمعت القبائل والعشائر وخرجت البنات الأبكار ورقصت جميع الجوارى وظهر الاستبشار فلم يزالوا إلى أن أمسى المساء وأظلم الليل بالاعتكار وزفت الجيداء على الأمير خالد وكملت جميع المحامد فنال الفخر بين الرجال وضربت بهم الأمثال ومامضى عليهم غير ذلك العام حتى مات أبو الجيداء وشرب كاس الحمام وارتفع قدر الأمير خالد والجيداء بين الأنام وعلا ذكرهم فى سائر البقاع وخافتهم الملوك وارتفع كل فارس شجاع وصارت تحمل إليهم الهدايا فزع من هيبتهم كل جبار وارتاع وأمنت بهم البقاع وتحدث بحديثهم كل أحد وشاع ذكرهم فى البر والفدفد وقصدتهم الشعراء والقصاد من كل مقصد فهذا ما كان من خالد والجيداء

(قال الراوى) وأما ما كان من عنتر بن شداد فإنه كما قدمنا سار قاصداً أرض بنى زبيد وشيبوب بين يديه يقطع القفار وعنتر يسلى نفسه بنشيد الأشعار ومازال سائرا يجد المدى إلى أن قطع البيدا وكمن فى بعض الأودية وأرسل أخاه شيبوبا عند المساء حتى يأتيه بالأخبار فسار شيبوب يكشف الأخبار فمضى إلى الأطلال والرياح وتحدث مع العبيد والأحرار فصبر إلى وقت الصباح وعاد إلى أخيه مثل هبوب الرياح ومازال يقطع البطاح حتى صار قدام عنتر وصار يقول ابشر يا ابن الأم فسعادتك غلبت على كل شىء فقال عنتر وكيف ذلك يا أخى فقال شيبوب أن خالد بن محارب عن الأوطان غائب فى جميع فرسانه ومافى الحى غير خمسمائة فارس مع الجيداء ابنة زاهر فقال عنتر ويلك يا شيبوب فبهذا أنال المطلوب ومع ذلك سألت أين سار خالد بن محارب فقال شيبوب نعم يا ابن الأم سألت عنه بعض العبيد فقال لى أنه سار بعشرة آلاف فارس فطلب بهم إلى حى بنى عامر ومعه معديكرب الزبيدى وقيس بن المكشوح المرادى وقد ترك خالد بنت عمه الجيداء فى الحى مع مائة فارس لحماية الحريم والأولاد والجيداء يا أخى من كثرة شوقها إلى خالد ابن عمها لا تنام الليل بل أنها تركب كل ليلة فى عشرين فارس من الأبطال الأشاوس وتفتقد المذاهب والطرقات وتعسف فى البر والفلوات وما تعود إلا عند الصباح فأمنها على الحلة والنسوان

أن يطرقهم بعض شيطان العربان أو تخونهم نوائب الزمان (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب انجلت عن قلبه الهموم والكروب وقال عنتر وحق علام الغيوب يا ابن أمى قد بلغت المطلوب وفى هذه الليلة آخذ الجيداء وتصير فى يدى صيداً ولكن أريد منك يا ابن الأم إذا وقعت بها ورأيتنى حملت عليها فسر أنت وأمسك رأس الطريق على من معها من الفرسان حتى لا تهرب ويهرب معها إنسان ويعود إلى الحى ويقيم علينا الصياح فإذا أجارك منهم فارس فبادر بضربه بنبلة فى فؤاده فاقتله أو افعل ما ذكر بجواده وإن فاتك أحد من تلك الأبطال ومضى إلى الحى ونفر علينا الرجال قطعت يمينك بعد الشمال لأنك أنت يا أخى لى مساعد ومعين فقال شيبوب أى وأبيك سوف ترى ما يقر به مقل عينيك ثم إنهم لم يزالوا فى ذلك الكمين والى جهة ديار بنى زبيد ناظرين حتى مضى النهار بالأنوار وأقبل الليل بالاعتكار فإذا بركض خيل الجماعة قد طلب الشرق والغرب ملأ الأرض السفلى والجيداء قدامهم كالحمامة السوداء وهى كأنها قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهى تمدح نفسها وتنشد وتقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

غبار الخيل فى البيدا صفتى ... وطعن صدرها فى الحرب شغلى
وصيد الأسد فى الغابات فخرى ... وتعظيم لغيرى لا لمثلى
لأنى كل يوم فى فلاها ... أروع ليوثها بفراق شبل
فمن يسطو علـى إذا رآنى ... أخوض الليل فى وعر وسهل
وقد شهدت رماح الخط إنى ... أزيد أنا على من كان قبلى
حويت الفخر دون الناس وحدى ... بأقدامى وأقوالى وفعلى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر شعرها ونظمها وفهم كلامها قال لأخيه شيبوب هذا وقتك يا ابن السوداء خذ أنت على القوم جانب البيداء حتى أهجم أنا على الجيداء وآخذها وتصير فى يدى صيدا فعند ذلك أطلق شيبوب قدميه وسعى على الأرض برجليه فجاز الفرسان كلهم من جانب أرضهم وأمسك عليهم الطريق فى مكان مضيق هذا وعنتر قد أطلق العنان وقوم السنان حتى قارب الفرسان وزعق زعقة الأسد الغضبان وحمل على الجيداء ومد إلى نحوها السنان وكانت لما سمعت صوته ونظرت صورته صارت إليه على حسن زعقته فطلبها عنتر ودهمها وفاجأها ثم إنه طعن جوادها فقتله فوقعت من أعلاه فتركها عنتر مشغولة بنفسها فى تلك الفلاة وقد سل سيفه المضىء فى سواد الليل وأنزل بقومها الذل والويل ومال عليهم كل الميل وفى دون ساعة أنزل بهم الوساوس وقتل منهم اثنى عشر

فارس وعولت الثانية الأخرى على الحرب فتلقاهم شيبوب بنبال العطب وناداهم إلى أين يا أنذال العرب ثم أنه ضرب الأول فشك النبلة فى فؤاده وضرب الثانى فشكها فى فخذه مع جنب جواده والثالث أعدمه أهله وأولاده والرابع قطع عنه مراده وحرك عنتر على الأربعة الآخر فقتلهم مثل لمح البصر وترك رؤوسهم تتطاير ما انقلب من القوم ونفر (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء وما تم عليهم من الردا وأما كان من الجيداء فانها لما وقعت إلى الأرض غشى عليها ساعة زمانية فلما أفاقت نظرت يمينا وشمالا فما رأت حولها أحدا من الرجال فعند ذلك جردت حسامها وهرولت طالبة الحرب وهى من هول الواقعة مدهية ولا تعرف من فعل بها هذه القضية قال فما بعدت فى البر حتى نظرت خيل أصحابها وهى خالية من ركابها فعلمت بأنه حصل لقومها سبب من الأسباب فمضت وركبت بعض الخيل وأطلقت العنان تطلب الحى فى سواد الليل ولم تزل سائرة فى الليل المعتكر حتى أنها وقعت ثانى مرة بعنتر لأنه كما ذكرنا كان عنتر وشيبوب قد أمسكا الطريق وكان عنتر فى ذلك الوقت يحدث أخاه شيبوب بسبب الجيداء ويقول له أدركها قبل أن تهرب وتوسع فى البيداء وتركب من بعض الخيول الشاردة وتعود معها فى القتال والمعاندة قال الراوى وكانت الجيداء سمعت من عنتر هذا الكلام فحققت أنه هو الذى فعل معها هذه الفعال وأهلك من معها من الأبطال فعند ذلك زعقت عليه وقالت له هيهات والندم على ما فات يا كاب العرب والبادية وأخس الرجال الطاغية قد خاب والله أملك من الجيداء وقد عادت إليك تسقيك كاس الردا وتجعلك فى هذا البر عمدا ولولا هجمتك على حين غفلة يا نسل الأوغاد وطعنتك للجواد كان طال عليك أن ترانى ممددة على المهاد ولكن هذا كله بقضاء رب العباد ثم إنها أظهرت له العزم وقوة الجلد وصرخت الأسد وقد هجمت على عنتر فى الظلام وطلبته بالحسام وتصادما أشد صدام وقد اشتد وزاد بينهما القتال وتزلزلت الأرض بالزلازل وقد تحللت منهما الوصال وخذلت المناكب والأكتال وأيقن كل واحد بالتلاف هذا كله يجرى وشيبوب يرقب الفلاه وهو حافظ أخاه ومن ناحية الحلة يرعاه ويدور حوله من كل جانب ويرقب فى البر ظلمة الغياهب خوفا عليه أن تدركه الخيل على حين غفلة وتأتى إليه الفرسان من الحلة هذا والجيداء قد كلت من الكفاح وقد خففت من الصياح وثخنت بالجراح مما كان حل بها من تلك الوقعة وهى بحالة الفجعة ولكنها صارت تظهر الصبر والجلد وتخفى العجز والكمد وتريد أن تقتل ولا تسلم نفسها من شدة عزيمتها وقوة همتها إلى أن أشرق ضوء الصباح وكان عنتر يريد أسرها وذلها وقهرها وبعد ذلك هجم عليها هجمة الأسود الكواسر حتى حك الركاب بالركاب وقبض على أطواق



درعها وعصره بيده على خناقها فكادت أن تطلع أحداقها ثم أنه رجلها عن ظهر الجواد ونال منها المراد ثم أنه ضربها بالسيف صفحا على رأسها فكادت تخمد أنفاسها وأيقنت بالتلاف وقد أدار يديها للاكتاف وشد منها الأطراف وما فرغ الحرب والكفاح حتى انفجر ضوء الصباح فعندذاك قال له أخوه شيبوب أعزم بنا يا ابن الأم على المسير قبل أن يتعالى النهار ودعنا نبعد فى البر والقفار فقال عنتر وكيف هذا العمل نرجع وما معنا ناقة ولا جمل ونترك أموال هذه الحلة ونجعل لنا سفرة ثانية لعرس عبلة ولكن اصبر حتى تسرح الأموال ونأخذ منها حاجتنا ونعود ونكون قد بلغنا المقصود ثم أنه صبر حتى انبسطت الشمس فى الصحراء وخرجت المواشى تسعى طالبة المرعى فدخل فيها عنتر بعد أن بعدت عن الأحياء وساق منها ثلاثة آلاف ناقة وجمل براعتها وترك الضرب فى أقفية العبيد حماتها وأمر أخاه شيبوب أن يسوقها ويرعاها ووقف عنتر حامية لها يرد من يتبع أثرها وقد انهزم باقى العبيد وعادوا إلى الحى والقوا فيه الصياح ونادوا بالويل والأتراح وقالوا الأموال لكم ساقها فارس وراجل فعندذلك ركبت الفرسان الخيل الصواهل وقالوا للعبيد اين الجيداء لبوة البيداء فقالوا أما الجيداء فقد ساقها فارس ربما كان قتل الجيداء وتركها طريحة فى البيداء فقال لهم فارس بنى زبيد الا كابر وكان يقال له جابر يا ولد الزنا وأى شىء هذا المقال ومن

بقدر يقاوم الجيداء فوحق ذمة العرب الأماجد لو وقعت الجيداء بجيش متزايد لما تركت أن يصل إلينا منهم واحد وما هي إلا وقد أوسعت في البرية تطلب الصيد والقنص وتريد أن تنهب الفرص ولكن من الصواب أننا نركب ونكفيها هذا الأمر ونطفي هذا الشر ثم إنهم أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة متتابعين لبعضهم البعض وساروا في فلك الأرض طولا وعرض وهم طالبون لعنتر أسد العرين وما زالوا سائرين حتى أشرفوا عليه في البر متقطعين من عشرة وعشرين فرأوا عنتر وهو واقف بجواده مشتملا بآلة حربه وجلاده متكئا على رمحه يحدق إليهم بالنظر ويشتاق لحربهم كاشتياق الأرض إلى أوائل المطر ولما وصلوا إليه صاحوا عليه من أنت أيها الساعي إلى هلاكه برجليه فلم يرد عليهم جواب ولا أبدى لهم خطاب بل قلع رمحه من التراب وتلقى به صدورهم وأجرى الدماء من نحورهم وكان الكل كما ذكرنا ثمانين فارسا صناديدوهم طائفة من العبيد ولكن أين الثريا من الثرى وأين الثعالب من أسد السرى لأن عنتر الأسد الرئبال كان وحده يلقى ألوفا وصفوف ويسقيهم كاس الحتوف ولا يبالي بهم في القتال فكيف يثبت بين يديه ثمانون فارس قشعم وما لهم رئيس ولا مقدم فمال عليهم أبو الفوارس عنتر في ذلك المهمة فما تعالى النهار حتى مددأ كثرهم على الرمال وأنزل بهم الويل والبوار وولى الباقون من هيبته وطلبوا الفرار فتركهم وعاد على أثر أخيه شيبوب خوفا عليه والدما تسيل من منكبيه فبينما هو كذلك وإذا بغبار قد ثار وسد جميع الأقطار وعلا كأنه البحر العجاج وارتفع في الجو وماج وكثرت فيه الأمواج فقال عنتر في نفسه جاءت عساكر القوم واليوم يطل العتب واللوم (قال الراوي) ثم إن عنتر أطلق العنان وقوم السنان حتى يكشف الخبر وإذا بأخيه شيبوب راجع على الأثر حتى بقي بين يدي عنتر فلما رآه زعق عليه وقال له ويلك يا شيبوب ما هذا الحال وما لك تركت الجيداء والمال وأتيت إلى نحوي هاربا يا ابن الانذال فقال شيبوب يا ابن الأم أشغلني عنهم هذا الغبار الذي من أمامنا قد ثار وأعلم أن الرعيان الذين كانوا معي لما رأوا هذا الغبار طلبوني وحملوا علي وأرادوا أن يقتلوني وصاروا يقولون أين تذهب يا نسل الكواذب وقد أتتكم فرساننا الأناجب ومعهم الأمير خالد ودارت بنى العبيد من كل جانب وتقدموا إلى وأرادوا القبض علي فتباعدت عنهم وصرت بالنبال أرميهم حتى قتلت منهم ثلاثة ولكن خفت أن أشتغل بالباقين فهلك أجمعين لأن هذا الغبار يدل على عسكر جرار وأنت في هذه البلاد فارس واحد فقال عنتر ويلك يا ابن الملعونة أتيت من فزعك من الحرب والقتال وتركت الجيداء والأموال وهربت إلى نحوي يا ابن الانذال فوحق رب البشر

لأرينك اليوم حرباً يحير الفكر قال الراوى ثم إن عنتر أطلق عنان جواده وقوم فى يده الردنى الأسمر حتى أشرف على المال وعاين النوق والجمال فنظر العبيد قد حلوا أميرتهم الجيداء فقال هذا والجيداء على ظهر الجواد وقد عظم عليها الأمر وهى لا تأمر ولا تنهى فلما نظر عنتر إليها وإلى ذلك الخبر صاح على العبيد وقال لهم يا أولاد اللئام ما لكم أتتم بكثرة الكلام اتركوا الفضول وسوقوا هذه الجمال وإلا تركت كلا منكم مقتول ثم طعن أحدهم فأطلع أمعاه وزعق فيهم وطعن ثانياً فأعدمه الحياة والثالث على الأرض رماه والرابع ألحقه برفقاه والخامس غرقه فى دماه والسادس أورثه الفناء فلما رأى العبيد إلى ذلك الحال أجفلوا وساقوا المال وهم ينادون الأمان الأمان يا سيد الفرسان من سيفك والسنان وأما الجيداء فإنها لما رأت تلك الفعال هربت وساقت الجواد إلى نحو هذا الغبار تطلب منه معونة وانصار فتبعها عنتر الأسد الكرار والبطل الفرار وعول أن يخوض الغبار والعسكر الجرار الذى هو مثل البحر العباب وهو كأنه عقاب هذا والجيداء قد قربت من ذلك الغبار ودنت منهم يا أخيار وإذا بذلك العسكر فرسان وأى فرسان وهم ينادون بفصاحة اللسان يا آل عبس وعدنان دونك يا أبا الفوارس خصمك فمن أجل إعانتك أتينا إلى هذا المكان قال الراوى وكان هذا الجيش والفرسان من بنى عبس وعدنان وكان المقدم عليهم الملك زهير وأولاده وفرسانه وأجناده وكان السبب فى مجيئهم الأمير شاس وأخاه مالك لأنهم افتقدوا عنتر فما وجدوه كما ذكرنا فى مبدأ الكلام تنغص عيشهم لفقد عنتر وتنكدر وتكدر وسألوا أبا عبلة مالكا فما أعطاهم خبر فضاقت صدورهم غاية الضيق ووجدوا فى قلوبهم لفراق عنتر نار الحريق فدخلوا على أبيهم الملك زهير وأخبروه بما جرى فضاق صدر الملك زهير لذلك غاية الضيق واحترق على عنتر وغيابه بتحقيق قال الراوى ثم إن الملك زهير طلب شداد أبا عنتر وسأل عنه فما أنبأه بخبر بل إنه قال له يا مولاى أعلم أن ولدى عنتر ما عاد يطلعنى على خبر ولا جلية أثر وإنما تملكه أخى مالك دونى لأجل محبته إلى عبلة ابنته وأنا أعلم أنه لا يزال يحتال عليه حتى يهلكه وقد تحيرت فى أمرى وسلبت ولدى فقال الملك زهير وحق ذمة العرب لئن قتل عنتر أو تم عليه من الأمور لأصلبن مالكاً وولده عمرو وأشويهم فوق الجمر ولكن يا أمير شداد مرادى منك أن تكشف عن خبر ولدك أنت بنفسك حتى تعلم أين سار ونسير كلنا خلفه ونقتفى منه الآثار ونجده بالعساكر والأبطال ولا يشتفى فيه أبو عبلة والربيع أبناء الأنذال فعند ذلك أجاب الأمير شداد بالسمع والطاعة وارتجع من عند الملك زهير ورصد أخاه مالكاً حتى خلت منه الديار

فعند ذلك أنفذ زبيبة أم عنتر إلى عبلة تكشف لهم الخبر فسارت زبيبة وسألت عبلة عن ولدها عنتر فاعادت عبلة عليها الخبر وأخبرتها كيف سار فى طلب الجيداء والنوق لأجل الوليمة قال وما كانت عبلة تكتم شيئاً عن زبيبة من الأسرار ولا جلية الأخبار فلما سمعت زبيبة من عبلة ذلك الكلام السداد رجعت إلى مولاها الأمير شداد وأعلمته بما جرى من الحديث والإيراد فقام من وقته وساعته ودخل على الملك زهير وقد أنبأه بالأمر ثم قال قد أعلمتنا عبلة أنه قد سار فى طلب الجيداء فإن عبلة قد طلبت منه أن الجيداء تقود بزمام ناقتها ليلة زفافها وجلوتها وقد حلف لها عنتر أنه يأتى بالجيداء بتمام خلقتها ورأس خالد بن محارب معلقة فى رأس ناقتها وينهب بنى خثعم وزبيد ومراد ويأتى بأموالهم ويجعله فى عرسها وأنا أقسم بحق الكعبة وحق شهر رجب أنا أعلم وأتحقق أن كل ذلك من تدبير الربيع بن زياد ومكر أخى مالك بن قراد فقال الملك زهير قاتل الله أخاك لأن قد رمى عنتر فى هذه المهالك لما كشف عنا النوائب والتنكيد فقال شاس ابن زهير وحق ذمة العرب لا فضل لهذا الأمر غيرى ولا بد أن أسير فى طلب عنتر وإسعاده بكل ما عليه أقدر وآخذ معى رجالا لا يفوتها الفوت ولا تخاف من الموت وإن رأيته قتل فى مقام الحرب وجندل أخذت ثاره وكشفت عنه عاره وقتلت قاتله وأنزلت به ذله ومحنه وأجازى عمه بما يستحقه وأصلب ابنته عمر إلى جانبه وإن كان عنتر سالما من الأذى كنت له الفدا فقال الملك زهير أتسير وحدك يا ولدى فقال شاس نعم أسير فى بعض رجالى الذين هم أهل الهمة ودولتى وأبطالى فقال الملك زهير وأنا أسير معك بكل من هنا من عسكرى وجندى ونسير كلنا فى طلب عنتر الذى يصبر من أجلنا على الشدائد والضرر قال الراوى ثم أن الملك زهير أمر عبيده أن تعلم بالركوب الفرسان وأن يأخذوا أهبتهم بالمسير إلى ديار بنى زبيد الشجعان ففعلت العبيد ما قال وأعلموا الفرسان والأبطال فتجهزوا وهيئوا ما لهم من الأشغال ولما كان من الغد ركب الملك زهير وركبت أولاده واعتدت فرسانه وأجناده ونشرت على رأسه راية الحرب وملأ بنو عبس الشرق والغرب وتأهبوا للطعن والضرب وهم غائصون فى الحديد والزرد النضيد (قال الراوى) وهو الأصمعى وكان بنو عبس أربعة آلاف فارس ما بين مدرع ولابس فأخذ الملك زهير منهم فى الركبة ثلاثة آلاف من الأقيال وترك فى الحى ألف فارس من الأبطال لحفظ المال والعيال وترك عندهم ورقة وقواه بمن بقى معه قال ولما هم زهير الملك بالمسير تقدم إليه مالك أبو عبلة وقال أيها الملك ما هذا الانزعاج وهذه الهمة وإلى أين عزمت هذه

العزمة فقال له الملك زهير إنى سائر إلى هذه العقدة التى عقدتها حتى نحلها ونكرم حرمتك نجلها وهذا كله من أجلك يا كاب يا شيخ الضلال يا مشئوم الناصية والخصال إلى كم تكذب فى المقال وتشهد على نفسك بنفسك بالشوور والمحال وتحمل عنترا من النوائب أحوال ثم أنه أخبره بالحال فقال مالك أيها السيد المفضال هذا الأمر ما كان منى ولا سمعت به فقال الأمير شاس وحق ذمة العرب الكرام لقد كذبت يا مالك وأن ابنتك عبلة لا تهتدى إلى ذلك المرام وأنا أقسم بالله وزمزم لولا هيبة والدى وخاطر عنتر لضربت رقبتك بهذا الحسام الذكر ولكن وحق البيت العتيق والركن الوثيق لئن تبعتنا فى طريق لأذيقنك كؤوس الحمام لأنك عدو وما أنت صديق ثم أن الأمير شاس رفع يده وصفح مالكا بالسوط على أكتافه حتى ألهب قلبه وأشرف على إتلافه وكذلك الملك زهير رد الربيع بن زياد وما ترك معه منهم بشر لعلمه أنهم يبغضون عنتر وقال الملك زهير لبنى زياد أقيموا أنتم عند والدى ورقة فى الحى من أجل حفظ المال والحريم والأولاد لأننا لا نأمن على الحلة من الأعداء والحساد قال الراوى وبعد ذلك سار الملك زهير بمن معه يقطعون الأرض والبيد طالبين ديار بنى زبيد وارتجع الربيع وأخوه عمارة ومالك أبو عبلة ابن قراد وعادوا إلى الأحياء وتلك البلاد وفى قلوبهم الحرارة والأحقاد ولكن أكثرهم أبو عبلة مالك بن قراد فانه رجع وهو ضيق الأنفاس لأجل ما جرى عليه وما قاسى من الأمير شاس وكيف بهدله وهتك حرمته بين الناس فصار مالك أبو عبلة يقول للربيع بن زياد والله يا ابن العم ما بقى لى فى هذه الديار قعود ولا بد لى من الرحيل إلى بلاد الشام وأعبد الأصنام مع الأزلام ولا أكون عند أقوام أهان عندهم وأضام وكل هذا الذى جرى من العناد والخناء من أجل هذا العبد عنتر بن الزنا فقال عمارة ابن الأنذال وحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء أن صنعنا بجلود الجمال عند أقل الرجال أحسن من تلك الفعال فقال الربيع والله يا أخى أن الملك زهير ما فعل معنا تلك الفعال إلا لأجل عنتر بن شداد ولكن نحن نرحل عنه وعن حيه ونبعد فى البر الأقفر ونترك أرض الشربة وتلك البلدان ونكن لأجل الملك زهير وعنتر فى بعض الوديان وننظر كيف يندم الملك زهير وعنتر إذا زلت به القدم وأصبح غارقا فى بحر العدم قال جهينة اليمن ثم أن الربيع وعمارة وطائفة من بنى زياد وعمرو أخا عبلة وأباه مالك جمعوا رأيهم على الرحيل من أرض الشربة والعناد وأن يسيروا وينزلوا فى بعض البلاد ثم أنهم فى الوقت والحال هدوا خيامهم وقوى على الرحيل إهتمامهم وأمروا عبيدهم أن يشدوا

الرجال ويسوقوا الجمال فاركبوا الحريم والعيال على الهوادج والعوال وساقت العبيد بين أيديهم الاموال قال الراوى وما أمسى المساء إلا والقوم على ظاهر الخيام وقد رحل معهم سبعمائة بيت من الحلة بأموالهم وحريمهم وعيالهم لأن الربيع كانت كلمته مسموعة وهو شيخ من مشايخ بنى عبس وأخوته سبعة من الأمراء يقارنون الملك زهير فى النسب لافى الفعل والأدب وكان لهم الشوق فى العرب وقد رحل مالك بن قراد بعيلة ابنته وأمواله ونعمته وكل من يلوذ به وفى صحبته ورحل معهم الأمير عروة بن الورد برجاله المائة فارس ثم أن الكل تبعوا رأى الربيع بن زياد وهو قد سار ذلك اليوم وقد تبعه الأجناد قال الراوى فلما ساروا فى البر الاقفر والمهمة الأغبر أخذ الربيع فى المشورة هو وكل من عنده بخبره فقال مالك أبو عيلة مالنا أطيب من ديار بنى عامر وننزل على الأمير خالد بن جعفر وغشم بن مالك الملقب بملاعب الأسنة ورداد الأعنة ونكون فى جوارهم لأن القوم كثيرون فى العدد زائدون فى المدد مثل موج البحر إذا ازبد ونقيم عندهم فى عز إلى الأبد فقال الربيع المرتاب هذا الرأى ماهو صواب ولاهو إلاصعاب عند جميع الأعرابه والرأى الصواب إننا ماننزل أحد من العشائر لابنى كلاب ولا عامر ولاغيرهم من الاكابر لأ اننا سبعمائة بيت يخرج منهم سبعمائة فارس من الأبطال القناعس وهيبتنا عظيمة وسطوتنا جسيمة فالمراد أننا ننزل على بعض الأحياء والمناهل ونقيم فى تلك الأرض والقلاة حتى نسمع خبر عنتر وما يتم له مع الجيداء من العبر وما يكون له مع الأمير خالد بن محارب وتعلم إن كان سالماً أم عاطب فإن يسلم ويعود إلى أرض بنى عبس ويقدم فقبائل العرب بين أيدينا كثيرة فعند ذلك نرحل لأى قبيلة أردنا ونقيم عندهم ونكون قد بلغنا المنا وإن كان عنتر قد قتل وشرب كؤس المصاب وصار لروحه ذاهب فأنا أعلم أن الملك زهير لابد أن يركب بقومه ويجىء إلينا ويصالحنا بعد أن يقبل أيادينا ورجلينا حتى نعود إلى أوطاننا وحمانا ويبقى دائماً يتلقانا ويطلب رضانا لأجل نعاوته ونحفظ مراعيه وموضعه وأكثر ظنى أن عنترا مابقى يسلم بل أنه يقتل ويعدم فقال عمارة الصقيع بشرات بالخير ياأخى الربيع فوحق ذمة العرب إن أصابت عنترا مصيبة أو بلى ببليته لادفعن نصف مالى إلى الكعبة وكل من بشرنى بموته وهبته ناقة رباعية قال الراوى فما سمع القوم ذلك الكلام جمعوا رأيهم على ماقال الربيع من الرأى السديد والتدبير الحميد ثم انهم ساروا مجدين حتى انهم وصلوا إلى منزلة بين جبلين تسميها العرب ذات الخليلين وكان واديا مليح ومكانا طيبا فسيح فنزلوا

هنالك ونزل الربيع ومن معه فيه وسرحوا جمالهم وخيولهم فى نواحيه وأقاموا على ذلك الحال وقد أمنوا من غدرات الزمان والأيام وقربهم القرار وفرحوا ببعدهم عن الديار قال فهذا ما جرى لهؤلاء من الأمور وأما ما كان من الملك زهير ومن معه من الرجال فانه لم يزل سائر بمن معه من الرجال والأبطال فى ذلك الجيش حتى أشرف على عنتر هو والجيداء وشيبوب وهو فى تلك البيداء القفار والجيداء كما ذكرناها قد هربت قدامه وطلبت الغبار فلما رأت المسكر فعند ذلك سلمت روحها إليه وأوثق كتافها وبعد ذلك سعى إلى خدمة الملك زهير وأولاده وقد سر بقدومهم قلبه وفؤاده وقبل الأرض قدامهم وبادر إلى إكرامهم وقال له أيها الملك السعيد ماسبب تعبك وانزعاجك فلا أعدمنى الله همتك وبارك الرب القديم فيك ورعى مروءتك وسلمت أنت وذريتك فقال الملك زهير سبب قدومنا يا هذا الفارس الغضنفر والبطل الممارس القسور مسيرك إلى هذه الديار وحدك وما معك أحد من جندك وأيضا مثلك لا يفرط فيه ولا يضيع حقه إنك ولو كنت قبل مسيرك أعلمتنا وعلى هذه الأحوال اطلعتنا ما كنا أحوجناك إلى هذا الحال ولولا تركناك تفعل هذه الفعال وكنا أبطلنا على عمك حليته وتدبيره وعملنا نحن برأى غيره وأوصلنا المسرة إليك وزففنا بنت عمك عليك وكان من الواجب يا أبا الفوارس أن تشاورنا على أحوالك وفعالك تطلعنا ولا تشغل بغيبتك خاطرنا فقال عنتر أيها الملك وحق نعمتك التى ما أجدلها مكافأة ولا أقدر لها على مجازاة أننى ما القى روحى للامور الثقال إلا لأجل أن لا أترك لعمى على ملاما ولا مقال لأن قيدى فى رجلى ثقيل شديد ولا أقدر أن أفعل إلا ما يريد وكل أحد يلتى بغيته قريبا كان أو بعيد فان ابنته طلبت منى امرأة هينا ما فيه تنكيد وها أنا قد قضيته بهمتى ونلت ما أريد وأخذت الجيداء على رغم الأعداء والحساد وشفيت الغليل والفؤاد ثم إنه عاد إلى شاس ومالك وخدمهما وشكرهما على ذلك ثم عاد إلى ابيه شداد وقبل يد عمه زخمة الجواد فعند ذلك هنوه بالسلامة وحدثوه بحديث عمه مالك وكيف أعقبه ذلك الفعل ندامة وبعد ذلك سألوه عن حاله وما لاقى فى أرض بنى زبيد وما جرى له فى ذلك القفر والبيد فقال لهم يا مولاى ما كانت إلا سفرة محمودة العاقبة بسعادتكما وسعادة الملك زهير والأصل انى لما أتيت إلى هذه الديار ورأيتها خالية من الفرسان والأجناد فعلت ما فعلت وبلغت المراد وملكت الجيداء التى هى غاية الآمال ولو كان معى خمسين فارسا كنت سقت أموال الثلاث قبائل والآن قد تيسر الأمر بقدومكم وما ضاع تعبكم وسوف تجازون خيراً فى يومكم

فانزلوا حتى نستريح ويستريح مولاى الملك زهير جزاه الرب القديم كل خير ونسير ونحن إلى هذه القبائل ونسوق سائر أموالهم ونأتى بنوقهم وجمالهم لأن مقدمهم خالد بن محارب سار هو وفرسانه إلى بنى عامر واتكل بعد مسيرة على الجيداء إبنة زاهر وما علم أنها تقع فى مخالب الأسد الكاسر الذى له كل يوم فى الحرب رحبات دوائر تتلاطم بشفار السيوف البواتر قال الراوى فعند ذلك نزل الملك زهير وقد ضربت له الخيام وأركزت لها الأعلام وسارت خيله وأجناده وغابوا تلك الليلة وعادوا ومعهم أموال ونياق قد سدت الآفاق وعبيد قد ملأت الصحراء لاتكاد أن تساق وكان الملك زهير أوصاهم أن لا يسبوا الحريم ولا البنات وأن لا يسوقوا العبيد ولا ينبشوا الأموات كما أمره عنتر صاحب العدمات فلما رأى الملك زهير أن ذلك المال وكثرة الأينار لحقه من ذلك الفرح والاستبشار وقال والله ماعنتر إلا رجل مسعود وما يقاومه أحد إلا مات وهو مكمود قال الراوى ثم إنهم أقاموا فى ذلك المكان ثلاثة أيام وهم ينحرون النحور والأغنام وفى اليوم الرابع رحلوا يطلبون الديار وإلى جانب الملك زهير عنتر يحادثه ويناشده الأشعار هذا والجيداء معهم فى الهودج على بعض الجمال وزمام البعير فى يد عنتر وأولاد الملك زهير مستبشرون بتلك الفعال ومازالوا سائرين على هذا الحال حتى بقى بينهم وبين أرضهم مقدار يومين أو ثلاثة ليال فاشرفوا على مرج واسع وقفر شاسع وهو كثير الغدران والمنابع يصلح للحرب والقتال والطعن والنزال فقال الملك زهير هذا المكان يصلح للأكل والشرب فى جانبه مع الندماء والخلان فقال عنتر لا والله ياملك الزمان مايصلح لأكل ولا الشرب ولا الصيد غزلان هذا مايصلح إلا للحرب والطعان وملاقاة الفرسان لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ولا يعشق إلا إياه لأنه قدهان عندى هذا الحال وبقى عندى مثل شرب الماء الزلال ثم أنشد وقال هذه الأبيات :

أسمعانى تحمحم الصافنات	فجمالى بموقف السادات
وبخورى من العجاج وطيبى	بحدوق الدروع والمرهفات
إنما بغيتى حسامى ورمحى	ثم خوض العجاج بالمهات
وأكيد الشجاع من غير ضرب	أى ولا أثنى عن المعضلات
فوحق الحطيم والبيت جمعا	وضجيج الحجاج فى عرفات
وبحق الذى أمات وأحيا	خالق الخلق غافر الزلات

لست أنبو من موقف الحرب حتى ... يغزلوا لى الأكفان قبل الممات
وأبيدن كل ليث كمى ... عند خوض العجاج فى الحملات
ثم أفرى لكل ندل بطام ... مرهف الحد كامل فى الصفات
وهناك الفخار يابنت عمى ... فدعينى من عزل كل الوشاة
ما فخار الفتى بكاسات خمر ... دائرات فى مجلس السادات
إنما الفخر بالثبات لحرب ... يوم جذاب الصوارم المرهفات
ذاك يوم إذا افتخرت لقومى ... كل فعلى موافقاً اصفاتى
كل من قال إن جدى فلان ... وأبى سيد من السادات
ذاك بين الأنام شخص ذليل ... وجبان لا يلتقى المعضلات
أنا رمحى أبى وجدى حسامى ... وخليلى مهرى وعزمى ثباتى
أننى عنتر وقومى عبس ... وأبى الشهم صاحب الوقعات
لاولا أترك الحروب دواما ... واعتمادى على مفيض الهبات

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من عنتر هذه الأبيات اندهل من كلامه ونثره ونظمه وقال لله درك يافارس الخيل وشديد العزم والحيل ثم أنهم نزلوا فى ذلك المكان ساعة من ساعات الزمان وبعد ذلك ركبوا وساروا يقطعون الأرض والقفار فبينما هم كذلك وإذا هم بغبار قد ثار وعلا حتى سد الأقطار والأرض قد تدكدكت وتكدرت أنوارها وتعلقت وبانت أسنة رماح ولمعات سلاح وإذا تحت الغبار نداء وصياح وبكاء ونواح قد أقلق الأرض والبطاح فقال الملك زهير ياأبا الفوارس ماهذا الأمر فقد أتى الحرب كما طلبت من الرب ولاشك أن هذا جيش خالد بن محارب والسبى الذى معهم لاشك أنه من بنى عامر وما بقى لنا غير الصبر والضرب بالسيوف البواتر والهجوم على هذه الأسود الكواسر التى قد أهلكت فرسان بنى عامر وبنى كلاب وبنى مراد وفيهم ملاعب الأسنة غشم بن مالك والأحواص بن جعفر والربيع عقيل ومن لهم من الفرسان الأجواد وما بقى لنا غير أننا نشد منازل الافتخار ماتوالى الليل والنهار (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام تبسم وقال أيها الملك الهام والبطل الضرغام لايضيق صدرك ولا يهتم فكرك فكأنك بالفرسان بين يديك تساق وهم فى الذل والوثاق فقال له أولاد الملك زهير ومن حوله من الأبطال ونحن مافينا من يتأخر عن القتال ولو مالت علينا الجبال فى صور من تلك الديار ووكلوا بهم عشرة من الرجال الأخيار حتى لا يشغلوا قلوبهم وقت الحرب

والقتال ثم أنهم صفوا الرجال يميناً وشمالا وقد تقدم عنتر بين الفرسان لينتظر الضرب والطعان وقد تأهب سائر الشجعان (قال مجد) وكان هذا الجيش الذى أقبل من بنى زبيد والمقدم عليهم خالد بن محارب الأسد الواثب وهو فى خلق كثير وجمع غزير والسبب فى ذلك أنه كان طلب ديار بنى عامر وهو فى خمسة آلاف فارس من بنى مراد وخثعم وزبيد وكلهم أبطال صناديد مسربلون بالحديد متقمصون بالزرد النضيد يقدمهم خالد بن محارب الزبيدى وقيس بن مكشوح المرادى ومعد يكرب فارس الخيل وخائض الليل ثم أنهم لما سمعوا بأخبارهم وقدومهم عليهم فتحصنوا فى الشعاب وكل هذا من تدبير ملاعب الأسنة غشيم بن مالك لأنه كان قد وقع فى قلبه أمر متدارك من خالد بن محارب وذلك من النوبة التى كان جرحه فيها خالد وأخذ من أمواله فجعل ملاعب الأسنة عليه العيون والارصاد من بعض رجاله وكان أيضاً يرسل العبيد جواسيس إلى أرضه وبلاده يقتفوا ما كان لهم من الأخبار وجعل يحذر منهم الليل والنهار فلما أن طرق خالد فى هذه النوبة من تلك الجحافل بل أنه استشار فيما يفعل رجلا شيخاً من الكبار وكان كثير المعرفة ورأيه كله مسدد يقال له الليث بن معد فقال له خالد إن أردت أنك تبطل هذا الهذيان وتطلب الخيرات الحسان فعليك ببنى عدنان فانك إن قصدتها فقد أغنيته قومك مدا الزمان لأنهم أكثر العرب مالا وأحسنهم حالا قال الراوى فلما سمع خالد منه ذلك الكلام رجع من تلك الأرض التى بها ملاعب الأسنة حتى وصل إلى ذات الخلجين وهو الموضع الذى فيه الربيع وزياد وعمارة القواد وعروة بن الورد ورجاله الأجواد فلما قاربوا ذلك المكان تعجب خالد من ذلك الأمر والشأن وقال لمعديكرب يا ابن العم الموضع عرف من سكنه الآن من السكان ومن الذين هم نازلون فى هذا المكان من فرسان الأنام (قال مجد) فبينما خالد ومعديكرب فى الكلام وإذا ببنو اعبس قد ركبت والخيل طلبت وهى تريد القتال والحرب والنزال وهم ينادون ياعبس ياعدنان وفى أوائلهم الربيع بن زياد ومالك بن قراد وعمارة القواد وعروة بن الورد ومن معه من الرجال الأجواد قال الراوى فلما سمع خالد بن محارب ذلك النداء زعق على الفرسان الشجعان فحملت على بنى عبس وعدنان فتلاقى كل من الطائفتين ووقع بينهم الضرب والطعان والنزال ووقع بينهم طعن الآجال إلى أن المدد عليهم كثير والجمع غزير وماز الوا على ذلك الحال إلى أن ولى

النهار بالارتحال ودخل الليل الغالس حتى هلك من بنى عبس مائة فارس وقد أخذوا الباقى فى الأسر والاعتقال ونهبوا الأموال وسبوا العيال وقد علا منهم البكاء والأنين والاشتكاء وقد كثر منهم النحيب والتناد خصوصاً نعدد عبلة ابنة مالك ابن قراد لأنها قد بان لها فى ذلك الوقت والحال أن جميع مافعله أبوها كله محال ومافعل تلك الفعال إلا ومراده هلاك عنتر وإيقاعه فى الوبال وقد وقعت فى شرك النكال (قال الراوى) ومن حين نزل القوم فى ذلك المكان ماشبعت عبلة بطعام ولا التذت بمنام وذلك أنها لما سمعت أن أباها أراد أن يزوجها بعمارة الأوغاد صارت تكثر من البكا والتعداد فلما حصلت هذه الواقعة عظيمة مدة كونهم سائرين فى البر الأقفر وجعلت لا تذكر أحد من أهلها طول السفر فازداد غيظهم عليها وكان خالد قد نظر إليها فلما أركبوها على الجمل وقد قلعوا الخيام والمضارب فرآها أعظم النساء حرقة وأكثرهن مشقة فسأل خالد بعض الرجال المأسورين عن أحوالها وقال لهم من تكون هذه النائحة فأخبره عن ذلك بعض المأسورين وكان ذلك الرجل لعنتر من المبغضين فأخبر خالداً عن حاله وان عنتر قد سار فى طلب الجيداء ليأتيها بها تخدمها ليلة عرسها ثم أن الرجل قال من أجلها وقعنا فى هذه المصايب وكان السبب يا مولاى فى تلك النوائب أن الملك زهير جرد علينا وعلى أبيها مالك وسار على أثر ابن عمها عنتر فزعا عليه من بأسك أنت وفرسانك فاختلف العشيرة لأجل ذلك وسار بنا هذا الرجل الربيع إلى فوقعت أنت بنا وهذا ماجرى ثم أنه أخبره بالقصة من أولها إلى آخرها حتى كأنه كان حاضرها وناظرها قال الراوى فلما سمع خالد من الرجل العبسى ذلك الكلام قامت عيناه فى أم رأسه ولم يكد يعرف مابين يديه فقال لذلك الرجل سائبة فى الديار وما فيها غير ورقة مالك زهير فى ثلثمائة لاغير والجميع من الشباب (قال الراوى) فلما سمع خالد من ذلك الكلام تعجب ونادى ياللعرب وحق من فى علم غيبته قد احتجب ان هذا الحديث يجب أن يؤرخ ويكتب لما فيه من العجب ثم أنه تقرب لها والله ماتركتك إلا خادمة لبنت عمى كما تركت غيرك وأفرج بذلك غمى وهمى فلما سمعت عبلة ذلك القول ورأت نفسها قد أهينت قالت واويلاه هكذا أتفعل بالحرائر ياخالد والله ياولد الزنا لو عنتر رآك لقطع يمينك وأطال تعذيبك ولكن ستعلم إذا جمعتك المقادير أنت وإياه فى الميدان ففى ذلك الوقت ترى مايحل بك من الهوان وأما قولك أنك تجعلنى خادمة لبنت عمك فسوف ترى من تخدم صاحبتها وترى ذلك رؤية عيان (قال) ولما

رات نفسها فى الاهانة صارت تبكى وتنتحب وتعدد كما جرت عادة النساء بالشعر والندب وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول :

الدهر للشخص دولاب يدور به | وما نجا فيه إنسان من الوصب
والدهر فيه حلاوات نسر بها | وبعد ذاك مرارات من العطب
وما صفى لامرىء يوما بمشربه | إلا وجرعه الأحزان للحرب
فليت شعرى ترى أحبابنا علموا | بما دهانا من الكربات والنوب
ياليت عنترة الفرسان ينظرنى | وما أقاسيه من هم ومن وصب
فكان يكشف مابى ثم ينجدنى | بصارم كصرام النار ذى لهب
حتى ترى عبلة للخيل شاردة | يردى فوارسها بالسمر والقضب
لابد من ساعة ترجى فوائدها | والصبر عند البلاء من غير مكتسب

(قال الراوى) ولما فرغت عبلة من شعرها وسمع خالد مانطقت به من نظمها قال لها يا الخناء أن جمعنى الله أنا واياه بلغت المنا من هذا العبد واقطعن رأسه واخمدن أنفاسه وأعلقها فى رقبة بعيرك وأزيد فى همك وتعييرك وأما أنت فقد وقعت فى يدى فآخذك وأجعلك من قسمى وتكونين خادمة للجيداء إبنة عمى ولا بد أن تنظرى ذلك بالعيان إذا حل بك همك وغمك فقالت له عبلة ياخالد أعلم أن ابن عمى مامضى إلا فى هذه الحاجة التى قلتها وستبصر منا من تكون خادمة للأخرى وأى رأس تعلق فى بعيرها فلما سمع خالد مقالها أعرض عنها ثم أنه أقبل على ابن عمه معد يكرب وقال له يا ابن العم إعلم أن الملك زهير قد سار إلى ديارنا ومافى حلته إلا ولده ورقة فى نفر قليل والجميع لا يدفعون عن أنفسهم فسر أنت إليهم ببعض هذا الجيش إلى ديار بنى عبس واسب كل من فيها ولا تدع أحدا من السادات ولا من العبيد والحقنى حين أسير أنا إلى الملك زهير وافصل هذه النوبة وأقوده هو ومن معه قود البعير وأتركه فى أبياتى يطحن الحنطة والشعير وإن قاتلنى قطعت رأسه بهذا الحسام فقبل معد يكرب مقاله وأخذ معه ألف فارس همام وسار يقطع الفيافى ويجد السير ولا يأخذه هدو ولا قرار بما فى قلبه لأجل ماسمع من تلك الأخبار وقد جد فى سيره الليل والنهار (قال الراوى) فهذا ما كان من معد يكرب وأما ما كان من أمر خالد ابن محارب وخبره فإنه بعد سفر معد يكرب سار طالباً الملك زهير وكلما تذكر قول مالك لابن أخيه عنتر ما أزف ابنتى عليك إلا والجيداء قائدة بزمامها يتقدم إلى مالك ويصفعه بالسوط على أكتافه وأجنابه وكذلك ولده عمرو وهما موثقان بأكتافهما وعمارة يرى ذلك الأمر المذموم ويحسب كل أمر مشئوم وكان الربيع قد جرح ثلاث جراحات

فى ظهره وهو مشغول بنفسه عن غيره لأنه قاتل قتالا عظيما حتى أنه يقوم بناصره من تبعه ويكون أمره معهم مستقر وما سلم نفسه حتى أنه أشرف على التلاف وكذلك عروة بن الورد تخضب بدمائه وقد نوى فى نفسه أنه فى بقية عمره ما بقى يتبع بنى زياد وكان كلما سمع صياح مالك بن قراد وخالد بن محارب يزيد عليه الضرب والتهديد ويقول هذا جزاء من يزوج ابنته كل يوم بزوج جديد فيكفه ما حل به من العذاب الشديد ولم يزل خالد يضرب مالكا أبا عبلة حتى أنزل جلده وشفى غله وبعد ذلك سار يطلب أرضه ودياره خوفاً على بنت عمه الجيداء لئلا يعتبرها عنتر ويذيقها أسباب الردا وسار يقطع عرض البيدا كلما طال عليه المدا يتسلى بانشاد الأشعار وهو سائر فى البرارى والقفار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

جلبت الخيل شعثا كالسعالى ... علينا المطوعون من الرجال
عليها كل جبار عنيد ... شديد البطش فى يوم القتال
فدست بها بلادى بنى كلاب ... وعامر ثم أرض بنى هلال
فولوا عند قبالى وفروا ... فرار الزحف من أثر الدحال
وباتوا فى الظلام يرون شخصى ... ويستخفون منى فى الجبال
وعبس قد أتيناهم نهارا ... رددناهم بأطراف العوالى
فكم من كاعب خود أراحت ... تسيل الدمع من غير الغزال
تنادى من جواها يالعبس ... أجيرونى وعبس فى خيال
وقد أخبرت أن زهير أسرى ... إلينا فى العبيد وفى الموالى
فإن كان الذى أخبرت حقاً ... فقد باع الحقيقة بالمحال
وسوف يبين فى يوم التلاقى ... من المغبون فى كسب المعالى
يكفى تضحك البيض المواضى ... وتبكى بالدما سمر العوالى
ملأت مسامع الأبطال خوفاً ... فضل الناس فى قيل وقال
وبات الخصم عند سماع ذكرى ... يرى فى النوم طيفا من خيالى
ولولا الخوف والعدوان حقا ... من الله المهيمن ذى الجلال
لقد أنا بان الأرض جمعاً ... تقلبها يمينى أو شمالى

(قال الراوى) فلما فرغ خالد من هذا النظام سار يقطع البرارى والآكام وما زال يجد

السير حتى التقى بفرسان بنى عبس كما ذكرنا وضجت الطائفتان عند الملتقى حتى اهتزت الجبال قلقاً وهربت الوحوش من الخوف فرقاً وكان أشدهم صياحاً وأعظمهم نواحاً طائفة بنى عبس المسبية لأنها كانت أشرفت على الهلاك والافتضاح فسمعت أبطال بنى عبس ذلك فعلا منهم الصياح وقالوا والله أن هذه الأصوات أصوات عبسية ما هى عامرية فقال عنتر صدقتم يا بنى الأعمام فهذا صوت عبلة وسبايا العبسيات وضجيج البنات والمولدات فقال الملك زهير لعنتر أنفذ لنا شيبوباً يكشف الخبر فقال عنتر تقدم يا أبا رياح إلى هؤلاء القوم واسألهم عن أحوالهم ومن أين يكون هذا السبى الذى وصل اليهم فعند ذلك انطلق شيبوب فأبصر خالد منفرداً عن قومه فقال لبنى عمه أن الملك زهيراً أنفذ رجلا من أصحابه يطلب منى الذمام والأمان ويسألنى فى ترك الحريم والنسوان وأنا وحق ذمة العرب ما أسمع منه كلاماً ولا أجيبه إلى ما يريد ولا بد لى من قلع أثر القبيلة قريباً أو بعيد وكل من أسرته منهم جعلته لى من جملة العبيد ولكن قلبى مشغول على الجيداء لأنى ما سمعت لها خبراً ولا أدرى كيف تمكن عنتر من الأموال والأولاد وهى حاضرة فى الأطلال وما أقول إلا أنها كانت مشغولة بصيد السباع فى الدحال ثم قال لبعض فرسانه تقدم إلى هذا الرجل واسمع منه ما يقول فانى أرى الشر بين عينيه كأنه الذئب المجروح واسأله عن الجيداء فانى خايف عليها من غدرات الزمان وأخشى أن تكون أسيرة أو قتيلة لأن هؤلاء ما أخذوا هذه الأموال إلا والجيداء فى حال العدم واحرص على نفسك لا يعدمنك هذا العبسى روحك ويرمى رأسك وتبقى أسيراً وتصير عندهم رهيناً وأنا أعلمك أيضاً هذا بالذى خطر ببالى وهو أنى سأضرب رقاب الأسارى وبعد ذلك التقى بنى عبس وأبليهم بالتعس والنكس وأقرضهم أشد قرض واتركهم مطروحين على وجه الأرض (قال الراوى) فلما سمع الرجل الزبيدى ذلك الكلام خرج وسار أن التقى مع شيبوب فى نصف الطريق وقد بدأه بالكلام وقال له من أين أنت أيها الساعى إلى الهلاك بنفسه الطالب لفراق إلفه القايد بزمام عدم التوفيق حتى قطع الطريق قل ما بدا لك وأخبرنى بحالك قبل أن أقطع أوصالك فقال شيبوب انزل عن حصانك والزم عنانك وامسك لسانك وإلا عدمت أهلك وخلانك وتأدب فى كلامك يا وجه بنى زبيد ما لك حاجة بهذا التهديد لأن هذا الفعل لا بد لنا منه وهو بين أيدينا ولا بد أن نصل اليكم وتصلوا الينا اوضح لى من أنتم من الناس ومن أين هذا السبى الذى معكم ومن هو المقدم عليكم بأفصح خطاب وأسرع برد الجواب فقال الفارس الزبيدى يا نسل الأنذال اعلم أننا بنو زبيد الأبطال والمقدم علينا الفارس الغالس والبطل الضارب المشهور بالأمير خالد

ابن محارب فقال شيبوب الصنديد أهلا وسهلا يا أبي زبيد لكم والله معي أعظم البشارات. وما أتيت إليكم إلا مبشرا ومحذرا ومستخبرا فقال الزبيدي ياولد الزنا بما أتيت تبشرنا ومن أي شيء تحذرنا وعن ماذا تستخبرنا فقال شيبوب والله يا ابن الأنذال أن كم تحسن المقال وتكن مؤدبا في السؤال وإلا سقيتك كؤس الوبال بفرد نبلة من هذه النبال ويلك أسمع أما بشارتي فبأننا غزونا حللكم وأطلالكم وخربنا دياركم ونهبنا عبيدكم وأموالكم ولكن عفونا عن نسائكم وعيالكم وصغاركم وأطفالكم وأما تحذيري فمن هؤلاء الأبطال العبسية والفرسان العدنانية الذين رماحهم أنفذ من رسل المنية والحمام وسيوفهم أقطع من حوادث الليالي والأيام وأما استخباري عن هذا الصبي والحريم الذين معكم من أين وصل إليكم وقد كنتم في ديار بني عامر وكلاب وما أنا قد أوضحت لك الخطاب وأسألك عن رد الجواب فقال الزبيدي أما إستخبارك عن السبي الذي أتانا بلا تعب فهو إنصاف من الزمان لسيدنا خالد بن محارب مالك رقاب العربان وسيد سادات بن قحطان وواحد العصر والأوان ثم أنه حدثه بما أتفق لهم من الأحوال وكيف تحصنت بنو عامر في الجبال وكيف أشار عليهم ذلك الرجل القرنان بأن يغيروا على ديار بني عبس وكيف وقع الإتفاق بين الربيع بن زياد ومالك بن قراد وهم نازلون بأرض ذات الخليجين وكيف أسروهم وسبوا النسوان وعيلة معهم وكيف أن خالد أنفذ مع معديكرب الزبيدي إلى دياركم ومعه ألف فارس وحلف أنه ما عاد يبقى على وجه الأرض عبسيا تطلع عليه الشمس وبعد ذلك أريد أن أسأل عن الجيداء ابنة زاهر هل هي معكم في هذه العساكر قال شيبوب أعلم بأنها معنا أسيرة وفي يديها جراحات كثيرة فقال الزبيدي ويلك من أسرها في المجال قال شيبوب أسرها الأسد الرئبال الذي لا يبالي بلقاء الفرسان والأبطال ولا يخاف من الشجعان وهو الحامي لنا في كل مكان ومن تخضع له في الحرب الأبطال الفرسان وهو الذي يكشف عنا الشدائد ويضرم نار الحرب الأوابد فارس الجلاد ومبيد الأبطال الشداد وحية بطن الواد الأمير عنتر بن شداد وما طرق دياركم إلا وحده ومعه أخوه شيبوب يخدمه حتى أنه يجعل الجيداء خادمة لبنت عمه ثم أن شيبوبا أعلمه بما جرى من الأخبار في تلك الأرض والديار قال الراوي فلما سمع الرجل الزبيدي من شيبوب هذا الكلام حلت به القساء ورجع طالبا أصحابه وقد ساق جواده وارتجع شيبوب إلى

بنى عبس يخبرهم وقد زاد ارتيابه وعاد كل منهم طالبا قومه وأصحابه يحكى لهم بما تم على قومه من ذلك الكرب فكان السابق شيبوبا وهو باكى العين حزين القلب حتى بقى قدام بنى عبس وهو بحالة التعس والنكس وهو يصيح العجل العجل البدار البدار لأخذ الثأر وكشف العار فقد دهيتم يابنى عبس الأجواد فى الحريم والنساء والأولاد فاطلبوا الحرب والجلاد ثم أنه تقدم بين أيادى الملك زهير وأولاده وعنتر وأجداده وأنشد وقال صلوا على من ضمن الغزال :

دهيتم يا بنى عبس فثوروا ... فإن ربوعكم أضحت خلاء
تجر العاصفات بها ذيولا ... فلا تلقى بها إلا ثراء
وفيها الغول يعوى ثم يسرى ... بترحال وإبرام ضياء
وما نخشى بها من سهم رام ... وقد تركوا بلاقعها خلاء
وساقوا المال والأولاد جمعا ... وأبلوا من عتوهم النساء
أباحوا أهلكم قتلا ونهبا ... وقد هتكوا بجورهم الإماء
زبيد قد دهوكم فى رجال ... كأسد الغاب لا تخشى اللقاء
وقد نهبوا الديار وقد أتوكم ... وبعد الأهل قد طلبت فناء
بأرماح مقومة عوالى ... وأشطال تسوق لها البلاء
فلو عاينتم النسوان حقاً ... أسيرات يكابدن العناء
وها هم فى الفلاة لهم ضجيج ... وقد أكثرن للذل البكاء
فدونكموا لأخذ الثأر منهم ... أزيل عنكموا هذا البلاء
عنتر لو رأيت عبيلة تبكى ... وتعلن من مصيبتها النداء
وقد دار النساء بها حيارى ... وأكثرن البكاء والإشتكاء
فلو عاينتها والدمع يجرى ... يبل الثوب منها والرداء
وعبلة بينهم كالشمس تجلى ... محاسنها كبدر قد أضاء
فدونكم القتال وكالحوهم ... وعانوهم صباحا أو مساء
دها كم ذا العدو كما فعلتم ... فواحدة بواحدة جزاء

(قال الراوى) ثم إن شيبوبا أعاد عليهم جميع ما وصل إليهم فلما سمع بنو عبس وعدنان ما أخبرهم به شيبوب صاحوا وبكوا وأنوا واشتكوا ودقوا على صدورهم وندبوا عظيم أمورهم أما عنتر فإنه كاد أن يقع من على ظهر جواده الأبجر ولكنه فرح بما قد يتم على بنى

زيادة عمه مالك بن قراد وعلم أن بغيهم هو الذى رماهم وأن الزمان بسهم المصائب قد أرداهم وفاجأهم إلا أنه صعب عليه سبى عبلة وحقق أنها من أجلها كانت هذه الغلة وقد غدر به عمه ومكر فحل به القضاء والقدر ولكن لأجل عبلة يكون المصطبر وحمل الضيم لو كان به الخطر قال الأصمعى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الفارس الزبيدى فإنه لما وصل إلى أهله وناسه شق أثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور قال ولما وصل إلى قدام الأمير خالد بن محارب وأبطال بنى زبيد سألوه عن حاله وما سمع من الفارس الذى كان أمامه فجعل يخبرهم بما جرى على قومه بالشعر وهو يقول

الا يا آل مذحج قد دهيتم وعبس قد أوكم بالعوالى
على خيل مضمرة كرام تطير بهم وتحمل كالشمالى
وساقوا المال جمعاً لم يخلوا برسم الدار إلا كل بالى
وليس بها سوى الارياح تسعى وآثار الطول مع الرمال
وأهلوا بنادروا أهل مجير لمن أرمى بطارقة الليالى
سبوا أهليكموا يا قوم جمعا وقد تركوا النساء بسوء حال
فهل من راحم يرثى لقوم أصيبوا فى النساء وفى الرجال
فثوروا آل مذحج واستديروا فإنى صادق فى ذا المقال
فهل عيش يطيب وهل رقاد وقد أضحت منازلكم خوالى
أخالد لو رأت عيناك جيدا وأدمعها تجار كالسلالى
تنادى يا ابن عمى ما ترانى أقاد مع الأعادى فى الجبال
فبادر أيها الضرغام واسق جدود البيض منهم والنصال
فإن الموت أطيب من حليفة تنال بها المذمة فى الرجال

(قال الراوى) فلما سمع خالد وبنى زبيد تلك الأبيات زادت بهم البليات وثارت فى رؤسهم النخوات وعاد خالد وهو غائب عن الموجودات وخرجت من مناخيره الدما وحل به الويل والعمى لما سمع من الرجل هذا المقال بما حل بقومه وبنت عمه من تلك الفعال فأمر بنى زبيد بالتأهب للحرب والقتال فعند ذلك ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول واعتقلوا بالرماح الذيول وقد هدروا كما تهدر السباع فى الآجام وسلت السيوف فى أيديهم وتقدم كل فارس همام وتأخر الجبان وعول على الانهزام هذا ونساء بنى عبس

صائحات وزعقت الإماء والمولدات وتصارخت الصبيان والبنات هذا وقد فعلت بنو عبس مثله فملوا وعولوا على خلاص الأموال والنوق والجمال والاماء والعبيد والعيال ثم أنهم طلبوا الكفاح ولم يتركوا اما لهم وعيالهم للعرب تباح وطلعت القساطل وهربت الوحوش من عظم الزلزال فعند ذلك التقت الطائفتان وتقابلت الفئتان فالتفت الملك زهير لعنتر وقال له يا أبا الفوارس ما هذا إلا يوم عبوس أغبر بما يصير فيه من الهم والفكر فقال له عنتر وعز حياتك يا مولاى أن الآجال لا تنقص ولا تزيد وأنا لمثل هذا كنت أشتهى وأريد وإذا كان أجل الإنسان مديدما تقطع فيه السيوف الحديد وياسيدى ما انفع سيف أقلد به عاتقى ولا أضرب به عدوى أورمح أطعن به ولا أقتل به الرجال أو حصان أركبه ولا أحمل به على الأبطال وهؤلاء القوم يامولاى أخذوا أموالنا وسبوا عيالنا وأنا أعلم أنها عارية عندهم وسترد لنا ولابد من أن استردها منهم بضرب السيف وطعن السنان ولو أن معهم كسرى أنوشروان أوقيصر ملك عبدة الصلبان وما خليت أحداً منهم ينفذ من هذا المكان ثم أنه أنشد وجعل يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

إذا قنع الفتى بلذيذ عيش ... وكان له سجاف كالبنات
ولم يهجم على الأسد الضوارى ... ولم يطعن صدور الصافنات
ولم يقر الضيوف إذا أتوه ... ويحمى قومه بالمرهفات
ولم يكسب بضرب السيف مجداً ... ولم يك صائلا فى النائبات
ويحمى حومة الجيران جهدا ... ويروى الرمح من دم كل عاتى
فقل للناعيات إذا نعوه ... ألا أقصرن ياذا الناعيات
ولا تندبن إلا ليث غاب ... هماماً فى الحروب الثائرات
لعمرى ما الغنى فى كسب مال ... ولا يدعى الغنى من السراة
بلى من كان يقرى الضيف يوماً ... ويطعن بالرماح الذابلات
ويهجم فى الحروب ولا يبالى ... ويضرب بالسيوف القاطعات
فهذا الذكر باق ليس يفنى ... مدى الأيام من ماض وآتى
ويذكر فى المجامع كل وقت ... على طول الحياة إلى الممات
وإنى سوف أحمى اليوم جهدى ... لقومى من خطوب هائلات
واطلق مالنا منهم بعزم ... يهد قوى الجبال الراسيات
ولم أترك عبيلة فى حماهم ... تنادى عنتراً فانظر صفاتى

واطلق سبيلنا منهم بسيف يقد البيض من فوق الكماة
وأنا عنتر قد شاع ذكرى بضرب السيف ثم المكرمات
وصلى الله ربى كل وقت على طه المشفع فى العصاة

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من عنتر ذلك الكلام قال له لافض فوك ولا عاش من يجفوك فهذا ما كان من بنى عبس وأحوالهم وأما ما كان من بنى زبيد وما جرى لهم فان خالد الما نظر إلى بنى عبس وقد غاصوا فى الحديد وتدرعوا بالزرد النضيد هناك صرخ فى بنى زبيد وقال لهم دونكم يا بنى عمى والقتال والطعن والنزال وكونوا ثابتين ولا تمطوا الإهمال وأى شخص منكم وقع بعبسى فانه يقتله وكل من كسب شيء فهو له ثم انه أكب رأسه فى قربوس سرجه وحمل وفعلت بنو زبيد مثل ما فعل فهناك تلقتهم بنو عبس وقد غاصوا فى القتال حجابا واختلطت المواكب اختلاط البحر إذا كان عبابا وعلا الضجيج حتى صمت الأسماع وما بقى أحد يرتجوا بابا وهاجت الوحوش فى الأقطار وملأت الأرض والقفار ووقعت ضربات السيوف خطأ وصوابا وقطعت جماجهم ورقابا ونهبت الأرواح وسلبت النفوس استلابا وأمطرت السماء عليهم عجائب وعذابا وعجلت لهم مصائب الأيام عقابا وشابت الرجال بعدما كانت شبابا وسقاهم كاس الموت من المنايا شرابا وحكم عليهم القضاء والقدر فما أخطأ بل أصابهم قال الراوى ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى حرب وقتال وطعن ونزال تهتز له الراسيات العوال وترعد من زلازلته تلك الأرض والجبال وبقى الجميع فى أسوأ حال وأقبح بال وتراكم أهوال هذا والشباب شابت والخيل فى الدماء خاضت والرقاب طارت والسيوف جارت والرماح فى الأجساد غارت والدنيا أظلمت والغبار خيم والقيامة قامت والرجال إلى الحرب هامت وأجساد القتلى فى الدماء عامت هذا وعنتر هائج فى المعمعة وكل من لقيه ضعضعه حتى خافت منه جميع الأبطال وتجنبته الرجال وهو هائج كما يهيج الجمال ولم يزالوا على ذلك الحال إلى أن أعول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وما أمسى المساء حتى قتل عنتر منهم ثلاثمائة فارس من فرسان بنى زبيد ومرادوم مددهم على الأرض والمهاد وكان قتاله فى ذلك اليوم فى الناحية التى فيها عبلة لأجل ما فى قلبه من الدبلة وقد ظن بذلك أنه يصل إلى خلاصها فما وصل ولا قدر فى ذلك اليوم على ذلك العمل لأن من دونها رجالا وأى رجال برماح طوال وسيوف صقال فما نال من خلاصها منال ولا شفى غليل الفؤاد ولا بلغ المراد وأما خالد بن محارب فانه كان أشد وأقوى مضارب أدهش بفعاله النواظر وحير الخواطر وكان قتال خالد كما كان قتال

عنتر ناحية السبي ليخلص إبنة عمه الجيداء من أسر الأعداء وكان يقوم في نفسه إنه إذا حمل لا يقدر أن يقف قدامه بطل ويظن أن أهل الأرض كلهم في قبضته والجبال تهتز من هيبته فرأى فرسان بني عبس خلاف ما كان في نفسه وما كان يقتل فارساً من بني عبس حتى كان يتعب معه ويرى منه ما يروعه وعند المساء وقع خالد في الموكب الكبير الذي فيه الملك زهير ففرقه ومزقه وسطا عليه وأحرقه وجرح الأمير شاس بن الملك زهير وأخاه مالك فعند ذلك حمل الملك زهير على خالد بن محارب حملة مثل النار وطلبه تحت الغبار لأن الملك زهير كان بطلا مغواراً وكان فارساً جباراً لا يصلى له بنار وما زال معه حتى تصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار وهجمت على غياهب الدجا جيوش الاعتكار فعند ذلك عاد الجيشان عن القتال وافترقت يميناً وشمالا والدم قد جرى وسال وقد امتلأت بالقتلى عرصات المجال (قال الراوى) ولما استقر القرار حدث الملك زهير لعنتر بما شاهد ونظر من الأخبار وأخبره بخبر خالد بن محارب وما كان له معه من الأحوال والعجائب وكيف جرح الأمير شاسا ومالكا أخاه فصعب على عنتر ذلك الحال فقال وحق مالك الممالك لا بد أن أسقي خالداً كؤوس المهالك وما أشغلني عنه إلا طلبي لخلاص عبلة إبنة مالك لأني قد اشتغل قلبي بها عن القتال وإلا فما كان طال عليه المطال ولا أمكنه أن يفعل تلك الفعال وفي غداة غد أول ما أبرز إلى القتال أدعوه إلى المجال واجعله يوم الانفصال وإذا قتلته أو أسرته قدام الأبطال تفرق جيشه ووقع فيه الانخذال وخلصنا جميع الأسارى من الذل والاعتقال وبلغنا غاية الآمال على إنهم كانوا يقولون ما ثبت قدامهم ساعة واحدة إذا راموا الحرب والمعاندة لاسيما خالد بن محارب الذي بانت لنا الأهوال والعجائب فقال الملك زهير أنا ما خوفي يا أبا الفوارس من ذلك السبب لأني أعلم أننا لا بد أن أكسرهم وننزل بهم العطب ونبددهم لو كانوا أضعافهم في العدد ولكن قلبي خائف من معد يكرب الزبيدي وسيره إلى حلتنا بما معه من العرب وما فيها سوى ولدي ورقة وهو في نفر قليل من الفرسان فربما تسبي النساء والعيال وإن لم ننتصر غدا في الحرب والقتال وإلا حل بنا الوبال (قال الراوى) ثم أنهم بعد ذلك أكلوا الطعام وأخذوا الراحة حتى اعتكر الظلام وبعد ذلك ركب عنتر بعض الجنائب وخرج يحرس قومه من النوائب وبعد ذلك شق عليه كلام الملك زهير وخوفه على الحلة وهو يعلم أن كل ذلك من أجله وما بلغ مراده فشكا حاله إلى أخيه شيبوب وقد أوسعوا في الصحراء وقد حكى له كل ما جرى وقال له والله يا شيبوب أنا ما أسير إلا وحدي في قضاء حوائجي وأرمي روحي في البلاء حتى لا يكون لأحد علي منة وبعد ذلك فلا

أسلم من هذه الأشياء فوالله لقد فعلت اليوم من الأفعال ما تعجز عنه صناديد الرجال ولا بلغت به آمال ولا خلصت عبلة من الأسر والاعتقال وأنا أعلم أنها في غاية الذل والوبال لأجل الأسر وبعد الوطن ومما على قلبها من أجل أبيها من الحزن لأن هذه الأمور ما كانت تريدها ولا تشتهيها وقد أهمني والله ما هي فيه وما جرى عليها فقال شيبوب والله لقد صدقت يا أخي لأني اليوم لما رأيتها ما عرفتها لأجل ما هي فيه وما جرى عليها من الشقاء والأضرار وهي تنادي باسمك الليل والنهار فقال عنتر ويلك يا شيبوب وهل رأيتها في هذا اليوم فقال شيبوب نعم وحق بارى النسيم فقال عنتر وكيف قدرت عليها حتى وصلت إليها فقال شيبوب لما رأيت الحرب بينكما قد اتصل والقتال قد عمل وكل أحد بنفسه اشتغل أوسعت أنا في البر والبيداء وأتيت من جانب الجيش الذى لبنى زبيد فرأيت الربيع بن زياد وأخوته وهم في القيود والأغلال وعمك مالك وولده عمرو وعروة بن الورد ورجاله وهم في الضنك والإذلال والبنات صارخات باكيات وعبلة بينهم تسيل على خدودها سواكب العبرات وتشير إلى نحوك بالبنان وهي تنادي يا العبس يا العدنان أما فيكم من يسمع صراخي ويبلغ ابن عمي ما أنا فيه من السبي والشكوى لعله يعجل بخلاصي من هذا البلا ورأيت من حولهم مائة فارس موكلين بهم من بني خثعم وهم كلما انتشروا في البر والآكم يجمعونهم مثل الغنم ووالله يا ابن الأم لما رأيت ذلك زاد غمي ولعنت عمك مالك فإنه أصل تلك المهالك وأدرت من حولهم يمينا وشمالا وأنا أرمي الموكلين بالنبال غير ما جرحت من الخيل وكانوا كلما طلبوني أوسعت قدامهم مثل ريح الشمال وكلما غادوا إلى الحريم والمال أعود إليهم مثل الغزال وأناوشهم في القتال وأرميهم بالنبال حتى انفصل القتال هذا ما كان من عنتر وأخيه وأما ما كان من العساكر فإنها باتت في هموم وأتراح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك همت العسكر أن يطلبون الحرب والكفاح وحضر الجد وذهب المزاح وقد اصطفت الصفوف وتعدات الألوف وبنو عبس في مقابلة عسكر خالد بن محارب فانتظر الملك زهير لعنتر أن يخرج إلى الميدان فما رأى له خبر ولا جلية أثر فقلق لذلك وتحير وشاع ذلك الخبر في جميع العسكر فقل عزم الفرسان وانكسر وقالوا اليوم يفتك فينا خالد بن محارب ويشتت المواكب ويفرق الكتائب وتظهر العجائب فيا ترى ابن عنتر عنا غائب هذا وقد عول الملك زهير على أن يبرز إلى الميدان ومقام الحرب والطعان ويلتقي بنفسه الكرب ويباشر الطعن والضرب وإذا بغبار قد ثار وطار وسد الأقطار وتزداد علوا وارتفاع حتى ملأ جميع البقاع ولم يكن إلا ساعة على ذلك العمل حتى انكشف الغبار وظهر كالشمس

بالنار وانجلى وضربته الرياح فبان بعدما ارتفع عن خيل سائرة على عجل ومعها رجال أسرع من الأجل فأحدقت إليها الطائفتان بالنظر والمقل وإذا هم ألف بطل وهم مقبلون كالغيث إذا هطل وما فيهم إلا من هو بالحديد مسربل وللحرب احتفل وفى أوائلهم فارس مثل الجبل أو كالقضاء إذا نزل ورجلاه تخط الأرض من عزم الطول والعرض (قال الراوى) وكان ذلك الفارس الذى هو عظيم الخلقة وجميل الصورة والهيئة معديكرب الذى أرسله خالد بن محارب من أرض ذات الخليجين فى هذه الألف فارس الشجعان العوابس وأمره ينهب بنى عبس وعدنان فوجدها خالية من الفرسان وما فيها سوى الأمير ورقة بن الملك زهير وعنده ثلاثمائة بطل من الأبطال فقال معد يكرب لأصحابه يا بنى عمى لا تسوقوا سوى الخيل والمال واقتلوا من قدرتم عليه من الرجال وقلوا من سوق الجمال وسبى النساء والعيال ليكونوا حظاً لنا وأعجل لبلوغ الآمال وسيروا بنا من هذه الأرض والأطلال لأننا فى قلة من الرجال وهذه ديار بنى عبس وعدنان ولا نأمن أن يكون أحد كمن لنا فى هذا المكان وربما يصل الخبر إلى بنى فزارة فيأتوا إلينا لأنهم أصحاب نخوة وشطارة فنقع بعد الربح فى الخسارة وتأتينا الخيل من كل جانب ومكان ويكون طلبنا الزيادة فنقع فى النقصان ثم أنه بعد ذلك الكلام هجم على الحى عند إقبال النهار وساق الخيل والأمهار وأخذوا ما قدروا عليه من المال مع البنات الأبكار وأخذوا قطعة من النوق المصافير التى إذا جرت كادت أن تطير وساق الجميع بنو زبيد وساروا يقطعون الأرض والبيداء . هذا وقد وقع صوت فى بنى عبس الأبطال بأن الأعداء نهبوا الخيل والجمال فركب الأمير ورقة فيمن عنده من الفرسان والأقيال وتبع القوم على الأثر فأدركوهم فى البر الأقفر وقد بان الضوء وظهر وطلع الصباح وأسفر (قال الراوى) فلما نظر معديكرب إليهم رجع طالباً بنى عبس بمن معه وهم نحوه بتسعمائة فارس من الأبطال كرار وقد أسر الأمير ورقة وجرح خمسين وقتل ثلاثين وانهزم من بقى وقد ولوا هاربين وللنجاة طالبين وقد حل بهم الأسى والغبون وتيقنوا بشرب كاس المنون وأما معديكرب فإنه لما قتل من قتل وأسر من أسر أخذ الأسارى وعاد على أثره حتى وصل إلى الغنيمة التى تركها مع بنى عمه ثم أنه ضم المال للمال وساق الخيل وشد الرحال وسار ظلام الليل ولم يزل سائراً وهو لا يقر ولا يهدأ وهو يقطع الفيافى والبيداء حتى أشرف على قومه فى ذلك الوقت كما ذكرنا والجمعان قد اصطفا كما قدمنا ونظر الملك زهير إلى ذلك فضاقت

عليه المسالك وقال هذا الذى كنت منه خائف وقلبى عليه راجف ولا بق إلا الموت بشفار الصفاح والطعن بأسنة الرماح . هذا ومعد يكرب قد وصل إلى بنى زبيد وهو عزم شديد ففرحوا بقدومه من سفرته وهنوه بالسلامة فطلب خالداً فما رآه فى عشيرته فسألهم عن سبب غيبته فقالوا أما عندنا منه خبر من حين انفصل الحرب لأننا لما رجعنا من القتال أقسم أنه لا ينزل عن جواده ولا رضى أن يستطعم بطعام من غيظه على الأعداء وشغل قلبه على إبنة عمه الجيداء خاف أنه لا ينام على وساد ولا يأكل شيئاً من الزاد حتى يقتل عنتر بن شداد ويطفىء بقتلة نار الفؤاد ويبدد سائر عشيرته ويخلص الأسارى وإبنة عمه من قبضته لأنه سمع أنها اثخنت بالجراح والعقد منها قد راح ثم أنها يامولاى غير جواده وركب سواه وأخذ معه عبده دامس أبا السلال وخرج من الخيام على عادته وإلى الآن ما عاد ولا بان له خبر ولا ظهر له أثر فقال معد يكرب والله ما سار فى الليل إلا لأجل أن يمسك على بنى عبس الطريق حتى لا ينقلب منهم أحد وفى هذه الساعة ترونه وقد ظهر من وراء الأعداء لأنى أعرف همته وشجاعته فاحملوا أنتم حملة واحدة وقد بلغتم المراد وأهلكتم الأعداء والحساد وربما قتلتم عنتر بن شداد فى حملتكم بعزائمكم الشداد فقالوا له أيها السيد هذا ما كنا عليه عولين ولكن صرنا خائفين من عنتر بن الأوغاد لأنه بالأمس فتك فينا وقتل الأبطال وفرق المواكب يميناً وشمالاً وكان سيدنا خالد أراد أن يحمله ويكفينا شره فأصبح وقد فقدناه وما طلع له خبر ولا عثرنا له على أثر فقال معد يكرب فها أنا أقوم مقامه وأكون مكانه وأكفيكم شر عنتر وأسقيه كأس حمامه وأجعل هذا اليوم آخر أيامه ثم أنه صاح فى الرجال الذين وصلوا معه وحمل وحملت بعده الصفوف وتتابعت الألوف وعلا منها الصياح وهزت فى سواعدها الرماح وقد هانت عليهم الأمور ونزل عليهم البلاء والمقدور وكرهوا الحياة عند نزول النوائب وعظم المصايب وطاب لهم الموت عند الحبائب وقد زلزلت الأرض بالزلزال وجد هازل وبان الكسلان البازل وعثرت بالجماجم حوافر الخيل الصواهر وما ارتفع النهار حتى تضعضعت بنو عبس وعمل فيهم الحسام الفاصل وصار الملك يدافع عن نفسه ويقاتل وحوله أولاده وطائفة من الشجعان والقبايل وبان لهم الموت أمارات ودلايل وصارت الأولاد يتامى والنساء أرامل وترك بنو عبس الأموال التى كانت فى أيديهم من شدة الهول الهايل أواتسعوا فى القفار وصار الملك زهير ينادى ولا يسمعون ويصيح

فلا يرجعون لأن طعم الموت مر لا يصبر عليه عبد ولا حر على الحقيقة بانت المهالك وضاقت المسالك ودارت بهم المواكب وعمل السيف من كل جانب وانسدت فى وجوههم المذاهب وعول الملك زهير فى ذلك اليوم على أن يترجل إلى الأرض ويقاتل عن نفسه إلى أن يقبض فبينما هو كذلك وإذا بالصياح من خلف الأعداء قد بان ولاح وظهر كوكب كبير أوفى من الف فارس كل بطل مداعس ورجال صناديد أحرار وعبيد والكل ينادون بطلاقة لسان يا لعبس يا لعدنان وعنتر فيهم كأنه الأسد إذا عدم أكله أو ليث غاب شبله وشيبوب فى جوانبه يصيح ياويلكم يا بنى زبيد جاءكم البلاء من كل جانب فاقطعوا الآمال الكواذب واطلبوا الهرب من أقرب الطرقات والمذاهب من قبل أن تمطر عليكم سحائب المصائب وتصبح أرواحكم ذواهب وتنزل بكم المعاطب وإن كنتم تسمعون من نصح الناصح وخطب الخاطب فهذه رأس سيدكم خالد بن محارب (قال الراوى) ثم أن شيبوبا رفع يده برمح طويل وهزه فى يده هزا جميل وعلى رأس السنان رأس كأنها رأس شيطان وبعد ذلك حمل عنتر على الفرسان وأول إلى بنى زبيد الضرب والطعان وطلع من بعده موكب كبير كله نسوان وخدم وغلمان وأماء ومولدات قد رفعوا كلهم الأصوات هذا وقد جعل عنتر يطعن طعنات نافذات وينثر بنى زبيد من على ظهور الصافنات وقد عاشت والصبر على الشدائد النازلات فابشروا بالنصر والجمع بعد الشتات واعلموا بأن هذا فارسكم عنتر وقد وصل والخالد بن محارب قد قتل ورأسه إليكم قد حمل (قال الراوى) وأعجب ما جرى وما سمعنا من الكلام العجيب والقصة والحديث الغريب أننا ذكرنا أن عنترا تولى حرس القوم كما وصفنا وجرى بينه وبين أخيه شيبوب حديث عبلة كما قدمنا وسمع عنتر أنها ليلا ونهار تنادى به وباسمه وتذكره فى أشعارها ولا يغيب عن إحساسها فغاب رشد عنتر وقال لأخيه شيبوب ويلك يا ابن الأم أومع وجد بنا فى البر الأقفر فى هذا الليل المعتكر واقصد بنا مكان لها خبر ولا أطلعت لها أثر (قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك فعل ما أمره به عنتر وسار بين يديه وولج فى البر الأقفر حتى أبعدوا عن المعسكر وطلب شيبوب جيش بنى زبيد وهو كأنه الثعبان الأغبر وقد ذكرنا على خالد بن محارب لما سمع حديث الجيداء وقد أخبرنا أنه عند انفصال الحرب غير جواده وتولى حرس بنى عمه ولم يأخذ غير عبده دامس أبا السلاسل وكان هذا العبد دامس من أعز الناس اليه وأحظاهم لديه لأنه يقوم بأمثاله فى القبائل وحامه من النوازل لأنه محتال لص سلال وإذا جرى يسبق الغزال وإذا ركب جواد الخيل عقول

الأبطال وإذا سار فى زى جاسوس تكلم بكل لسان فهو كامل المعانى فى هذا الميدان وكان فى اليوم غير زيه وسار إلى بنى عبس واختلط بهم وأتى للجيداء وتحدث معها فشكت إليه حالها وأخبرته أنها كانت حاملا من خالد وقد رمت ما فى بطنها وقد قاست مصائب وشدائد ونظر العبد دامس إلى جراحها وهى بالغة فأراد أن يدبر على خلاصها فى النهار فعاد العبد دامس وفى قلبه لهيب النار فصبر حتى انفصل القتال وعاد خالد من المجال فعند ذلك أخبر دامس بهذا الحديث وقال له يا مولاى انى لا أقدر الليلة أن أخلصها إلا إذا كنت أنت خلفى ومعى لترعانى فلما سمع منه الكلام خرج وتبعه وكان حديث الجيداء قد قطع قلبه وسلب خاطره ولبه فلما خرجا إلى البر وقد انسلا تحت الدجا وعرجا نحو قوم بنى عبس وخالد يقول لعبده ويلك يا دامس ما كنت أريد الليلة إلا أن أوقع بعنتر بن شداد حتى أشرب من دمه كما أشرب الماء القراح لأجل ما فعل بابنة عمى الجيداء من الفعال القباح ولكنه لى ردىء الحسب والنسب وما هو ولد حلال فلاجل ذلك فعل معها تلك الفعال فما أتم خالد هذا المقال حتى ظهر من بين يديه شبح وخيال وهو مقبل إليه وكان هذا الشبح لخالد قد ظهر فى هذا الليل المعتكر هو أبو الفوارس عنتر وقال له ويلك من أنت يا نذل الرجال ومن أى العرب وإلى أين أنت سائر فى هدوء الليل العاكر قال نجد فلما سمع العبد دامس كلام عنتر أقبل على سيده خالد وقال له يا مولاى ها قد قضى الرب القديم حاجتك وبلغك ما تريد من أملك وإرادتك لأنه ساق عنتر إليك وحيداً فريداً فدونك وإياه فعند ذلك صاح خالد فى عنتر وقال له يا ولد الزنا أنا سائر إليك أفنى عمرك وأعرفك قدرك وآخذ روحك من بين جنبيك وإن كنت مالك قدر ولا شأن ولكن هذا حكم الزمان ثم أنه انحط على عنتر بضرب كأنه الحمام فاستقبل شيبوب العبد دامس التقى كل واحد بصاحبه وأقبل عليه يخادعه ويحاربه فكانوا إذا تحاربوا وتقاربوا يتضاربون بالخناجر تحت غسق الظلام وهم على الحس والكلام هذا ولم يزل عنتر وخالد فى العراك والصدام وطعن يسبق رسل الحمام وقتال تتعوذ منه الجن تحت التخوم وتنبهت له فى الفلك النجوم ولهم همهمة ودمدمة وضجة مؤلمة وكانت ليلة مظلمة معتمة تجرى لهذين الفارسين كل عجب عجيب وظهر لهم كل أمر غريب حتى ارتفعت أذيال الدجا وبدأ ضوء الصباح وتقصفت فى أيديهم الرماح وملوا من الحرب والكفاح وسلوا بواتر الصفاح وطلب الاثنان نهب الأرواح ورأى عنتر من خالد شجاعة وبراعة ونظر منه صناعة وأى صناعة ونظر

مقتل فارس المشارق والمغارب خالد ابن محارب



من عنتر أعظم مما رأى لأنه رأى من عنتر شيئاً ما كان له فى حساب فعند ذلك زادت نيرانه وقوى التهابه وجد خالد مع عنتر فى الضراب وبان له الخطأ من الصواب وكذلك شيبوب والعبد دامس قد كلا وملا وتعبا واضمحلا وتعبت سيقانهم من الوثبات وقد فرغت نبال الاثنين من الكنان وعادوا إلى القتال بالخناجر وتباعدا وتقاربا وتلاصقا وافترقا ورفع كل واحد منهما يده بخنجره وعول أن يضرب صاحبه وإذا بصرخة هائلة وقائل يقول يا العبس يا العدنان لا شفيتم أبدا أنا متيم عبلة وحبيبها على طول المدا قال الراوى وكان الصائح الأمير عنتر بن شداد لأنه رأى خصمه قد كل منه التقصير فعرف منه ذلك معرفة الخبير فعند ذلك هجم عليه عنتر هجمة الليث القسور وضربه بالسيف الظامى الأبتر فطير رأسه مع زرد المغفر فنظر العبيد إلى ذلك فانذعر وعول على الهزيمة والهرب فأدركه شيبوب مثل السهلب وضربه عاجلا بخنجره بين صدره أخرجه يلمع من بين كتفيه وبعد ذلك رفعه وجلد به الأرض ورض عظامه رد واختلط طوله فى العرض وجلس على صدره ونحره من أذنه إلى أذنه وعاد إلى أخيه عنتر وهناه بالسلامة وسأله عن حاله وما جرى له فقال عنتر ويلك يا شيبوب لماذا لم تحضر قتالى مع هذا الشيطان الذى كأنه من مردة الجان فقال شيبوب فالذى فعلته أنت من الأمر الزائد وما أنت إلا قتلت واحد وأنا قتلت واحد فقال عنتر وحياة عيون عبلة انى ما لقيت أفرس من خالد بن محارب ولا أصبر معه على الشدائد (قال الراوى) ثم أن عنترا ركب

جوادخالد بن محارب لأن الجوادالذى كان تحته قصر عن المآرب وأما أخوه شيبوب فإنه أخذرأس خالدوعاد إلى خلاص عبلة طالب فارأى حولهم أكثر من مائة فارس انذال فحمل عنتر عليهم وفرقهم يميناًوشمالا وصاح شيبوب على العبيد فحملت مواليها وانطلقت جميع النساءوالرجال وركبوا على الخيول العوال ورجعوا يطلبون الحرب والقتال بعد ماشكروا عنترعلى هذا الحال فوجدوا بنى عبس قد انكسرت وبنى زبيد قد انتصرت قال الراوى فلما نظر عنتر إلى هذا الحال زعق على الأبطال وفرقهم يميناً وشمالا فسمع الملك زهير صوت عنتر بن شداد فانصلحت أحوالهم بعد الفساد وصار شيبوب يجرى بين تلك الخيول الجياد وهو يصيح ويقول يابنى زبيد عمن تقاتلون وهذه رأس فارسكم خالد بن محارب وقد قتله الأسد الواثب وفارس الطراد الأمير عنتر بن شداد نسل الأطايب الاجواد ثم أن شيبوب صار يغدو بين الخيل يميناوشمالا ورأس خالد بن محارب على رأس السنان وهو يلمع به إلى قومه وعشيرته الخذلان (قال الراوى) فلما نظر بنو زبيد إلى رأس خالد وهى على السنان علموا أنه شرب كاس الهوان فعند ذلك رموا ما كانوا أخذوه من الغنائم وأخذوا فى الهزيمة والهرب والندائم فتبعهم بنو عبس إلى آخر النهار ورجعوا عنهم وهم فى غاية ونهاية من الاستبشار بعدما أمروا عبيدهم أن يجمعوا جميع الأسلاب والنهاب هذا وقد رجع عنتر يطلب الملك زهيرا وهو تحت راية العقاب فترجل عن جواده وسعى إليه وقبل رجله والركاب وأنشد يقول :

لقد وجدنا زبيدا غير صابرة ... يوم القتال وخيل الموت تستبق
إذا دبروا عملنا فى ظهورهموا ... ما تعمل النار فى الحلفا فتحترق
وخالد فوقه الأطيار عاكفة ... على ثراه وما فى جسمه رمق
للحرب نحن خلقنا والفخار لنا ... على الأولى فيما مضوا خلقوا
والتقى الطعن تحت النقع مبتسما ... والخيل عابسة قد بلها العرق
ولى جواد لدى الهيجاء ذو ثقة ... لو سابق الطير يوما ليس يلتحق
ولى حسام إذا ماسل فى ملل ... يفرى لهام لعدى فريا ويمتشق
أنا الهزبر إذا خيل العدى اختلف ... يوم الهياج وظل الدم يندفق
ما خفت فى وقعة الهيجاء وجه فتى ... إلا وكنت لهام منه اخترق

قال الراوى فلما فرغ الأمير من شعره شكره الملك زهير على مقاله وفعاله وجميل أعماله فحدثه عنتر بما جرى له مع خالد بن محارب من القتال والعجائب وكيف كان شيبوب مع عبده دامس فى الظلام العابس فتعجب الملك زهير من ذلك وقال والله ياابن العم ما كنا

إلا أشرفنا على الهلاك وهذا كله من عمك مالك ولكن من أجلك تتحمل ذلك فدعا له عنتر بطول البقاء وقال والله يا ملك هذا تفضلا منك على عبدك الذى ما يساوى تراب أقدامك ولا يقدر على بعض أنعامك قال الراوى وكان فرسه الأبجر قد استراح ونزلت الناس للرواح وأمسى المساء فعند ذلك أمر عنتر بإحضار الجيداء فما رأى لها خبر ولا أحد وقع لها على أثر وسأل عن عمه مالك وولده عمرو فقالوا والله ما عندنا منهم خبر فقلق عنتر لذلك وتحير وحس أن ظهره قد انقطع وكف طرفه ودمع وأخبر الملك زهير بذلك الخبر فجرى على قلبه ما لم يجر على قلب بشر وقال والله لقد تركنا هذا الرجل مثلا يضرب فى قبائل العرب ويتعجب منه كل امرىء مستغرب ثم سال عمن كان بقى فى المنزل وقت الحملة الكبرى ممن لا حمل ولا قاتل ولا جرى فقالوا والله يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان ما تخلف عن القتال إلا الربيع وأخوه عمارة وعروة بن الورد وما أحد منهم لساحة الحرب ورد لأنهم كانوا مثخنين بالجراح وما فيهم من يقدر على النهوض والرواح بل حولهم النساء يعددون عليهم فى المساء والصباح ومعهم جماعة كثيرون من الصغار والكبار وهم يبكون جميعاً إبراراً وجهاراً وقال الراوى فلما سمع الملك زهير هذا الكلام أنفذ فى الوقت والحال خلف الربيع بن زياد فحضر وحوله جماعة من العبيد وهم يسندونه لأنه موثق بالجراح فلما صار قدام الملك زهير قال له لم قصرت يا ربيع فيما به أوصيناك لا جرم أن الله على ذلك جزاك لأنا تركناك تحفظ الأحياء والحلل فرحلت عنها وتركتها نهباً للعدو والملل وتبعت غرض أخيك عمارة وأوقعت بنا الخسارة فقال الربيع وقد ظهر الأنين وتماوت أيها الملك أن لمتنى فإنك تكون قد ظلمتنى وإن عتبت على فما تكون قد أنصفتنى لأنك عند رحيلك من الديار أرديتنى ووضعت قدرى وأهنتنى وفى قصة عنتر وعمه مالك أشركتنى وأنا لا أعاتبك على ذلك لأنك ما علمت حقيقة الأمر والحال ولا علمت الصدق من المحال وبعد رحيلك قد عول أبو عبلة على الرحيل إلى بلاد الشام وأن يسير من عندنا لتلك الأرض والآكام وقال أنه يريد أن يقيم هناك ويعبد الصلبان ويترك الأوثان والأصنام فخفت أنا عليك يا ملك الزمان ومن سيره لأجل ما سمعت من الأقسام لأقامه الله بعد ذلك الكلام فرحلت معه ونزلت فى أرض ذات الخليجين وطيبت قلبه بالكلام وقلت له يا ابن العم ما ادعك تبعد أكثر من ذلك فاقم هاهنا حتى يعود الملك زهير من سفرته ويعود ابن أخيك عنتر إليك ويكون قد مضى جميع حاجته ويرسل خلفك الملك زهير أحد من أولاده وتعود إلى أرضك ولا تأخذ على خاطرك من شاش أقمنا فى ذلك المنزل يومين وفى الثالث طلعت علينا بنو زبيد وجرعنا العذاب الشديد وساقونا سوق العبيد حتى خلصنا على يد حامينا الفارس الشديد فقال الملك زهير

والله أن قولك كله زور ومحال ولكن عندى عن رد الجواب اشتغال وهذا ماهو وقت قيل ولا قال ولكن أخبرنا مالك بن قراد وما كان من حالته وأى مكان طلب هو وابنته فقال الربيع وحق اللات والعزى ياملك ما عندى منه خبر ولم أعلم جلية له ولا أثر من وقت أن حلتنا من العبيد الكتاف لأنى كنت أشرفت على التلاف وكنت مطروحاً على وجه الأرض ولا أعرف الطول والعرض وبعد ذلك ياملك وحق مالك الممالك لا أعرف له مكانا لأنى هالك فقال الملك زهير لا بد أن أقابل مالكا على ذلك الفعال المتدارك وأريه من يكون إلى شر سالك فقال عروة بن الورد لما سمع هذا الكلام ياملك ما فى العرب من له بنت وقال إنى لا أزوجها إلا عبلة حتى يلحقه كل هذا الهم والمذلة فقال شاس أسكت أنت ياعروة ولا تتكلم بهذا الحديث الباطل فإنك تتكلم بكلام ماله برهان ولا دلائل وكثير من العرب قد فعل مثل هذه الفعال وقطع الاياس من الأعمال إلا مالكا هذا القرنان الذى كل يوم يزوج إبنته شيطان ويسوق إلينا النكد والخسران والحرب والطعان وأنت تعلم أنه زوج ابن أخيه عنتر وقبض المهر غير مرة وهو مال كثير ومن جملتها النوق العصافير وكم رمى ابنته فى كل بلية وفى الآخر فعل تلك الفعال الردية (قال الراوى) ثم أنهم أقاموا فى ذلك المنزل إلى الصباح وقد خف عن كل واحد التعب واستراح إلا عنتر بن شداد بطول تلك الليلة ما نام ولا ذاق شرابا ولا طعاما بل بات عند الملك زهير وأولاده مالك وشاس وهو يتضجر ويتقلقل مما حل به من الوسواس وقد اشتد به الشوق والغرام وأخذه الوجد والهيام وما فيهم من يسليه ويشاغله بالكلام ويقول له شاس ومالك بحياتنا عليك ياأبا الفوارس ولا تشمت بنا الأعداء والحساد ولا سيما بنو زياد والرأى عندى أن تصبر الرجال الأجواد حتى تسمع خبر عمك نزل على أى عرب من الأوغاد ونسير إليه ونأخذ روحه من بين جنبيه قال وكان عنتر إذا خلا إلى نفسه بكى وزادت به الأشواق ويأخذه الوجد والاحتراق فيئن من نار الفراق ثم ينشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

إذا كان دمعى شاهدا كيف أجحد ونار اشتياقى فى الحشا يتوقد
ومن أين يخفى ما أقاسى من الهوى وثوب سقامى كل يوم يجدد
أقابل أشواقى بصبر تجلد وشوقى شديد واصطبارى مبدد
خليلى أمسى حب عبلة قاتلى وبأسى شديد والحسام مجرد
حرام على النوم يا ابنة مالك ومن فرشه جمر الغضا كيف يرقد
سأندب حتى يعلم الطير أننى حزين ويرثى لى الحمام المغرد
وألثم أرضاً كنت فيها مقيمة لعل لهيبى من جوى النار يبرد

رحلت يا ابنة العم وقلبي تائه على أثر الأظعان للركب ينشد
فرق لضعفي أن ودك دائم وعهدك باق مثل ما كنت أعهد
بنا تشمت الأعداء يا بنت مالك وجسمي تفاني والرقاد مشرد

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات قام على سماع صوته أولاد الملك بذكر ما تحدث به الليالى والأيام وأى شيء يكون ويحصل فى الأنام قال الراوى هذا ما كان من عنتر وأولاد الملك زهير ليس لهم كلام وأما ما كان من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد فإنه كان هذا الأمر عندهم عيداً من الأعياد لأجل حسدهم وشماتتهم بعنتر بن شداد وأعدم عبلة بنت مالك بن قراد هذا ولم يزالوا لما نزلوا على الأرض والكثبان وجلسوا فى المضارب والخيام بالعيان أجلس الملك زهير الأمير عنتر على اليمين لما سبق له من شدة الفرس والتمكين وأخيه الملك لما رأى ما بان منه فى الحرب والطعان ولما أتى بأموال الملك كسرى أنوشروان رأى اقتداره على الفرسان فقربه إليه وصار جليسه على اليمين عوضاً عن بنى زياد لأنهم كانوا فى سابق الأزمان لا يجلسون إلا عن يمين الملك زهير إلى أن ظهر عنتر وبانت نجابته فأخر الملك زهير بنى زياد وقدم عنتر بن شداد فلما كان هذا النهار الذى نحن فى ذكره نزلوا فى موضع ومكان وجلس الملك زهير على عادته فى هذا المكان فتفرض عمارة لعنتر عند النزول لما رآه فى حالة العدم وقال له وقد أظهر الشماتة وتبسم ما حالك يا أسود الجلد أراك قد بان عليك ظلام الغرام والهم والسقام وركن صبرك قد انهزم وركن جلدك قد تهدم وما زالت بلجاجك حتى أحرمتنى وأحرمت نفسك فلما سمع عنتر هذا الكلام من عمارة القواد ازدادت همومه والأحزان وعظمت عليه المشقة والأشجان وزادته نيرانه اشتعال والتفت إلى عمارة بن زياد وقال ويلك ما لك تواجهنى بهذا الكلام يا ابن زياد أنت ما تتكلم إلا من همك والانكاد وإن كنت تعايرنى بالسواد الظاهر الذى خلقه رب السرائر القادر فإن كان لونى على أسود حائل فان مرادك أن تكون كل أنثى فى بيتك وبيت أخوتك منى حامل لأن العرب تشهد لى فى جميع القبائل بأنى أبذل لقاصدى العطاء وأجلى غياهب الظلماء وأخوض السراء والضراء وأما قولك أنى حرمت الاجتماع بابنة عمى فوحق ذمة العرب لآخذن بها رغماً عن أنفك وأنف الأعداء ولو كانت فى آخر السند الأقصى أو صعدت إلى السماء وإن كنت تعارضنى فى محبوبتى عبلة ذات الدلال فدونك وحومة الحرب والجدال أنت وأخوتك وجميع من لك من الأبطال وأنا ألقاكم وحياة الملك المفضال إلا بالعصا التى كنت بها أرعى الجمال فى البرارى والتلال وكل من قهر منا صاحبه

كانت له ذات الدلال ثم أنشد وقال :

يهددنى عمارة وهو دونى ضعيف لايقر له قرار
وسيفى صارم عضب صقيل إذا ما اهتز طار له شرار
وأسمر من رماح الخط لدن يحاكى سنة فى الليل نار
واضرب ضرب ذى كبد قريح إذا ولى الضيا وأتى الغبار
سيظهر من إلى الاذلال يدنوا ومن يغدوا تعفره القفار

(قال الراوى) ثم أنه هم أن يركب جواده يبرز إلى الميدان فعند ذلك زادت بالملك زهير الهموم والأحزان فالتفت إلى عمارة القرنان وناداه ويلك ياعمارة يا ابن زياد أما كفاك مافيه عنتر بن شداد حتى تزيده هما على الذى هو فيه وأنت لا تقدر عليه ولا تصل يدك إليه وأيضاً هو قد تفضل عليك وخلصك من القتل شفقة عليك وما أنت من رجاله حتى أنك بهذا الكلام تخاطبه (قال الراوى) ثم تكلم شاس ومالك وكل المحبين لعنتر وأعانوا الملك زهير على عمارة بن زياد (قال الراوى) كل هذا يجرى بين الملك زهير وعمارة وعنتر يهمهم ويدمدم وأراد أن يشهر حسامه المخدم وإذا بالربيع قام على الأقدام لما رأى النوبة مشكلة وقال له ويلك يامذلون السبال هذا جزاء ابن عمنا الذى فدانا بنفسه وخلصنا مما كنا فيه مع بنى زبيد ولولاه ما تخلصنا من هذه الأرض والبيدا ثم أنه بعد كلامه التفت إلى عنتر بن شداد ومسح أطرافه بلين الكلام وقال له العفو منك اليق يافارس الزمان ولا عليك من كلام أخى عمارة المرقوع فنحن عتقاء سيفك وأمناء خوفك ولا يصعب ذلك عليك (قال الراوى) فعند ذلك لأن جنب عنتر لما سمع ذلك الكلام لأنه مع كونه أسود كان صافى النية قال فعندها أصلح بينهم الملك زهير وصار يقول لهم يابنى الأعمام لا تجعلونا مثلا بين قبائل العربان ونحن فى أرض ما لنا فيها صاحب ولا اخوان والرأى أنكم تأخذون الراحة فى المنام حتى يرحل الظلام ونطلب ديارنا والأوطان قال ثم بعد هذا الكلام باتوا على أحسن حال حتى أقبل النهار بالابتهال وقاموا وشدوا على الأصايل من الخيل وصاروا قاصدين أرضهم وتلك التلال هذا وأولاد الملك زهير يسلون عنترا بطيب الكلام وحسن الخطاب حتى أنهم وصلوا إلى أرضهم وتلك الهضاب والتقوا مع المقيمين وفرحوا بلقاء القادمين هذا وقد سار كل واحد إلى منزله المعهود مقامه وضرب مضاربه وخيامه (قال الراوى) وأما عنتر بن شداد فإنه لما استقر فى منازله التى منازل عبلة خالية فزادت بلابله وجرت دموعه على وجنته وتنهد وزادت نيران بلوته فعندها أشار ينعى منازلها وتلك الكثبان وجعل يخاطبها

بهذه الأوزان وهى أول قصيدته الميمية التى أنشأها فى البيت الحرام وأنشد وقال :

هل غادر الشعراء من متردم ... فى حسن عبلة واصفا متكلم
قل لى فديتك هل مررت بخدرها ... أم هل عرفت الدار بعد توهم
أعياك رسم الدار جزت ربوعها ... حتى يكلمك الأصم الأعجمى
يا دار عبلة بالجوداء تكلمى ... وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى
دار منعمة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيذة المتنسم
أوقفت فيها ناقتى فكأنها ... فدن لأقضى حاجة المتلوم
وأقول لما أن عرفت ديارها ... والعين تذرف بالدموع السجم
حييت من طلل تقادم عهدها ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
وتحل عبلة بالجواء وأهلها ... فى الحزن والظمآن كالمتبسم
حلت بأرض الزائرين فأصبحت ... عسراً على طلابها ابنة مخرم
كيف المزار وقد تربع أهلها ... بعنيزتين وأهلنا بالضيلم
ولقد نزلت فلا تظنى غيره ... منى بمنزلة المحب المكرم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات أمر عبيده بنصب المضارب والخيام وأن يسرحوا الأموال فى البر والآكام ففعلت العبيد ما أمرهم به وأما عنتر فإنه بقى قاعد حزين وإذا بأولاد الملك زهير عليه مقبلين وقد عجبوا من مقالته لأنهم قد بلغهم ما أنشده من النثر فعلموا أن هذا من شدة الغرام فأتوا يسلونه بالكلام فلما جاءوا عنده قالوا والله يا أبا الفوارس ما أحد سبقك بهذا المقال وأنت وحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء فصيح بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومن يكون هذا المقال مقاله كيف يذل للهوى ويخضع للصبابة والجوى فأزل هذا الهم عن قلبك فإن عمك هو الخاسر فى تدبيره وأين ما مضى فإليك غاية مصيره فقال عنتر والله ما دخل الهوى قلبى باختيارى ولا بإرادتى حتى أزيله بقوتى ثم أن واشتكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا عاذلى كف العنا ... قد زاد شوقى والكمد
لم يبق لى صبر على ... حث الركاب ولا جلد
ودلال عبلة قد برى ... عظمى وأوهى الجسد
وما جفانى ذا الضنا ... والهم عندى والنكد
يادار يكفيك الذى ... بى تفعلين من الكمد
ورميتنى فى حبها ... أحرقت قلبى والكبد

أبعدت عبلة بالجفا ... منى وهجران وصد
فالله يجمع شملنا ... من فضله فهو الصمد

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت أولاد الملك زهير ومن حوله من السادات وشكروه على هذه المقالات هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان من الملك زهير فانه لما قربه القرار واصطنع وليمة عظيمة شكرا على عودة أولاده سالمين ثم أرسل خلف عنتر يحضر عنده ليسليه من همه وغمه فأتى هو ومن كان عنده وجلس فى مجلسه فعند ذلك أخبروا أباهم بما قال عنتر وما أنشد وما نثر (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام التفت إلى أخيه أسيد وقال له أريدك يا أخى أن تتفرغ لنا وتكتب جميع ما يقوله أبا الفوارس عنتر من المقال وما يفعل من الفعال حتى نباهى كل القبايل ونفتخر به على جميع الشعراء وبعد ذلك تأخذوا فى أكل الطعام وشرب المدام وكانت الإماء عندهم تضرب بالدفوف والمزاهر فبينما هم فى أهنأ ما يكون وإذا بحذيفة بن بدر قد يهنى الملك زهير بالعودة والسلامة فتلقاه القوم بالاحترام وأجلسوه بين الكرام ثم قدموا قدامه هو وأصحابه الطعام وأسقوهم صافى المدام ثم جعلوا يتحادثون بما جرى لهم فى ديار خالد بن محارب وما جرى من الأمور والعجائب وكيف أن عنترا أسكنه اللحايد وصار ملقى على الأرض والفدافد فشكر الجميع لعنتر بن شداد لأجل ما فعله من السداد (قال الراوى) وقد جعل حذيفة يقول للملك زهير لا تعتب على فيما جرى من أمر معدى يكرب الزبيدى ولا تلمنى فيما حصل لأنى كنت موهنا من الجوع المتقدم ذكره وما أنا فى هذا الكلام بكاذب وحق رب المشارق والمغارب قال الراوى فشكروا الملك زهير على ذلك الاهتمام وقال له ما كان إلا خير يا ابن الكرام (قال الراوى) ولم يزالا على ذلك الحال إلا أن انقضى النهار وأرادوا الانصراف فالتفت حذيفة إلى الملك زهير وقال غدا تحضر عندنا أنت وابن عمنا عنتر حتى نتهنى برؤيته إلى أن نسمع بخبر عمه مالك وعبلة ابنته ونسير إليه نخلصها من بين يديه فشكره القوم على ذلك ووعدوه بمسيرهم إليه غداة غد بالنهار قال الراوى ثم ودعهم وأما ما كان من الملك زهير وعنتر ابن شداد فإنهم باتوا على ما هم عليه حتى أصبح الصباح فعندها ركبوا الخيل الجراد وتقلدوا بالسلاح وسار الملك زهير وعنتر طالبين فزارة ولم يزالوا سائرين حتى قاموا على المضارب فطلع إلى لقائهم الأمراء والسادات ودخلوا بهم إلى المضارب والخيام فوجدوا الأوانى والجفان قد صفت وفيها الطعام من كل لون فاخر وصنف باهر فجلسوا وأكلوا إلى أن شبعوا ورفعت الزبادى وغسلوا الايادى وقدموا آنية المدام نهلوا وطربوا

هذا والاماء تضرب بالدفوف والمزاهر وهم فى قصور وغرف وفى أهنا ما يكون من الحالات والطرب (قال الراوي) هذا كله يجرى بينهم من الهناء وعنتر بن شداد غائب فى دنيا أخرى بل هو مشغول بحب عبلة (قال الراوى) فعندها التفت الأمير حذيفة اليه فوجده ساهيا عما هو فيه لا يبدى لأحد كلام ولا يشرب بينهم شراب إلا وهو غائب عن منادمة الأصحاب فقال يا أبا الفوارس أى شيء هذه الحالات المهمات ألا تصرف عنك هذه الأوهام وتقلل من ذكر عبلة والهيام حتى تقل عنك هذا الوجد والغرام فبالله عليك يا ابن العم تشرب هذا القدح الشراب وأزح عنك الهموم والأوصاب واسمعنا شيئا من أشعارك الحسان لعل أن تصرف هنا آفات الزمان وكل هنا ينشرح منه الخاطر وتقر منه العينان ولعل الزمان ينصرنا على عمك القرنان ونريك ما يسر به الجنان قال الراوى فعند ذلك تنهد وتحسر وأن واشتكى وقال :

فؤادى لا يسليه مدامى ... وعينى دمعها فى الخد دمى
على زمن تقضى فى مصاب ... وعين الدهر ليست فى منام
بكل خريدة خود أراحت ... كأن جبينها بدر التمام
بقد كالقضيب وحسن طرف ... وألحاظ أحد من الحسام
وألفاظ كأن الشهد فيها ... وقد مزجت حقيقا بالمدام
وقلبى ذو جوى والدهر صافى ... لنا والعيش فى خصب واغتنام
وأيام التشبب والتصابى ... لذيذات براحة الخدام
ألا يا عبلة لو أبصرت ما قد ... جرى لى كنت تبكى بالسجام
وأجريت المدامع مثل بحر ... وسالت مثل سيل من غمام
فصبرا للقضاء وحكم رب ... له بطش شديد فى الأنام
عليك أيا عبلة طول دهر ... سلام فى سلام فى سلام

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طرب لها السادات وقالوا لا فض الله فاك ولا كان من يشناك هذا ولم يزالوا على شرب الراح حتى أسقوا عنتر شيئا من المدام وبعد ذلك التفت عنتر إلى شيبوب وقال ما وقوفك يا ابن الأوغاد سر وأكشف خبر محبوبة قلبى والفؤاد فأنا مالى غيرك يا ليث الطراد وأكشف خبر إبنة عمى وائتنى بما يسر قلبى فقال شيبوب حبا وكرامة ها أنا سائر ولا آتيك إلا بما يشفيك من الأعراض والأمراض قال الراوى ثم أنه تحزم وتشمر وألقى رجليه للريح وطلب البر الفسيح أما عنتر

فإنه قام على أقدامه وسار وتمشى إلى ناحية الغدير ليريق الماء وأراد بذلك أن يفرج مابه مما جرى عليه فبينما هو كذلك وإذا هو بسرب حمام قد تساقط عن يمينه وشماله ونزلوا على أغصان اشجار الباسقات وصاروا يغردون بأصوات حسان فلما رآهم عنتر زاد به العشق والغرام فأنشد يقول :

ياطائر البان قد هيجت أشجانى ... وزدتنى حزنا ياطائر البان
إن كنت تندب إلفاً قد فجعت به ... فقد شجاك الذى ياطير أشجانى
زدنى من النوح والتعديد من حرق ... حتى ترى عجبا من فيض أجفانى
وأبكى على فقد الف قد فجعت به ... واحذر على الروح من تنفاس نيرانى
ولا تفارق لذا حتى أموت جوى ... قتيل شوق وابعاد وهجران
وطر لعلك فى أرض الحجاز ترى ... ركبا على عالج من سفح نعمان
يسرى بحادية تنهل أدمعها ... شوقا إلى وطن يأوى وجيران
ياذا الغراب الذى نادى بفرقتنا ... دهاك رب السما فى فلكه الدانى
وباس ينظر فرخا حين تخطفه ... كواسر من شواهين وعقبان
مازال ينعق حتى سار ركبهموا ... مشتتا فى الفيافى سير عجلان
ناشدتك الله ياطير الاراك إذا ... رأيت حقا حمول القوم فانعانى
ويسأل الريح من أى الجهات أتت ... عنكم سليب العقل حيران

(قال الراوى) ومازال على ذلك الحال حتى يردما بقلبه من النيران والاشتعال وإذا بأولاد الملك زهير قد أتوا على حسن ترنمه فأرادوا أن يدخلوه معهم فقال يا موالى وحق ذمة العرب ماأسير من ههنا إلا إلى العلم السعدى فرجعوا وأخبروا أباهم بذلك فاستأذن أولاده بالعودة وعادوا طالبين الديار والأوطان وأمر الملك زهير عمه أسيد أن يكتب القصايد التى قالها عنتر فى بنى فزارة ثم أن الملك زهير عمل وليمة ودعا عنترا إليها فقال له ياموالى حضور الولايم حرام مادامت عبلة غائبة فلا أتهنا بطعام قال الراوى فبينما الملك زهير مع عنتر فى الخطاب إذ قدم عليهم نجاب ومعه كتاب من الملك النعمان فأخذ الملك زهير الكتاب فإذا به يخبر بموت الملك المنذر وكان الملك المنذر توفى وبلغ خبره إلى الملك كسرى أنوشروان فأرسل إلى ولده النعمان كتابا وخلفه وولاه موضع أبيه ويخبره فى الكتاب أنك تكاتب العرب وتنظر من يطيعك ومن يخالفك ولا تخل أحدا من قبائل العرب حتى تنفذ لهم الكتب قال الراوى فلما وصلت الرسالة إلى النعمان فرح وصار فى العز وعلو المقام

وترك ما كان به من الحزن والآلام وأنفذ الكتب إلى جميع العربان ومن جملتهم بنو عبس وعدنان فأجاب الملك زهير بالسمع والطاعة ورد الجواب بأحسن خطاب قال وأما الملك كسرى فإنه دعا بالوزير عمرو بن نفيلة العدوى وقال له سر أنت بنفسك إلى الملك النعمان ودبر قواعد مملكته فاجاب الوزير بالسمع والطاعة وسار إلى أن وصل إلى الحيرة فدخل على الملك النعمان فقام له ناهضا على الأقدام وجعله من أجل ندمائه وعظم قدره . قال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه بقى فى انتظار أخيه شيبوب مدة أربعين يوما فزاد به القلق واعتراه الأرق فاراد أن يركب ويسير فى طلبه فاذا به قد قدم عليه كأنه ذكر النعام وكان الليل قد أرخى ستور الظلام فلما رآه عنتر لم يكد يعرفه من شعث السفر فلما حقق فيه النظر قال ويلك يا أخى ياشيبوب قتلتنى بطول هذه الغيبة فعسى أن يكون معك من بنت عمى خبر فقال شيبوب ائتنى قبل كل شيء بما آكله من الطعام يا ابن الكرام فاتوا له بكثير من الطعام فاكل حتى اكتفى وشرب المدام حتى ارتوى فقال له عنتر اخبرنى عن عبلة فقال شيبوب يا ابن الأم بأن عمك الكذاب الخوان قد استجار ببنى شيبان وبالملك قيس بن مسعود وولده بسطام وقد استجار منك وحدثه بما جرى له والرجل قد أجاره وحلاه فى دياره وزوج عبله لولده الأمير بسطام (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قلق قلبه وهام ولم يترك شيبوبا يتم الكلام حتى حس أن روحه تنسل من بين العظام من شدة الوجد والغرام فقال عنتر ويلك فهل دخل بها ذلك الكلب الخوان قال لا يا ابن الكرام فقال شيبوب اسمع بقية الكلام اعلم أننى لما فارقتك سرت إلى ديار بنى قحطان ودرت من حلل كثيرة من حلل العربان حتى سمعت بأن عمك اللئيم القرنان نزل على بنى شيبان فرأيت من الصواب أنى أسير اليهم وآتيك بالخبر اليقين وقد أخفيت حالى عن المشاهدة بالعيان ثم إنى سرت إلى القوم وقد أخفيت حالى غيرت زيى وهندامى فرأيت الملك قيس بن مسعود قد ركب قاصد الصيد والقنص واغتنام الفرص وعمك أبو عبلة إلى جانبه وولده عمرو هم أقرب الناس إليه من أهله وأحبابه فقد خلع عليهم وأحسن اليهم فلما رأيت أنا ذلك حققت الخبر عند المشاهدة بالنظر وأخفيت روحى وسرت على مهل ورصدت مضرب عبلة حين تخلى من أمها وأبيها ومن عمرو أخيها فعند ذلك هجمت عليها فرأيتها تبكى من شدة الشوق إلى نحو الديار وقد تغير منها ذلك الحسن والجمال فلما نظرتنى ازداد بها البكاء والكدر وقالت ويلك ياشيبوب أين عنتر فقلت لها فى بنى عبس يقاسى الويل والسهر وقد جرى عليه من أجلك مالا يجرى على بشر

وأما أنا فقد سلكت البر الأقفر حتى أعود اليه منك بالخبر فقالت عبلة والله إنى كنت خائفة عليه من نوائب الدهر والعبر وما كان عندى من أرسله اليه حتى أعلمه بما فيه لأن أبى زوجنى ببسطام ابن الملك قيس وجعل عليه مهرى قتل ابن عمى عنتر والقوم قد أمرهم قيس وما بقى الا أن ينصبوا لأخيك عنتر اشراك الموت والضرر فارجع يا شيبوب أنت الساعة وأعلمه بالخبر وقل له أن يكون من أمره على حذر وعرفه عنى أنى إن رأيت رأسه أتى بها بسطام وأبى فى عرسى قتلت نفسى ثم أنها يا أخى ودعتنى وقد زاد بكاها وقالت لى يا شيبوب بحق من خلق النقطة وأنشأها واحتفظ منى هذه الأبيات ولا أنساها ثم أنها أشارت إلى تقول صلو على النبى الرسول :

أيا ابن العم قد زاد انتحاجى وذبت لفرط وجدى وانتزاحى
فلو أنى أطير لطرت شوقا إلى تلك الديار مع الرماح
ولكن حول أبياتى رجال تهز أكفها سمر الرماح
وزوجنى أبى ظلماً وغدرا يد الأيام قد قصت جناحى
لحاه الله كيف يبيع مثلى وموتى دون هتكى وافتضاحى
ويرغب فى غريب أجنبى رخيصاً للعدى بيع السماح
وحقك لانقضت العهد يوما ويزهد فيك ياليث البطاح
فدبر ما ترى فيه صلاحا ولو قطعت بالبيض الصفاح
وصل أرياح نجد عن سلامى إذا جاءت وهبت فى الصفاح

قال الراوى ثم أنه قال يا أخى وأنا ما أتيت فى مثل هذا الوقت حتى لا يدرى بى أحد وقد غاب رشده والله يا شيبوب أن كتمانه أصوب ومعافاته بروحى أوجب فوحق ذمة العرب وشهر رجب لأجعلن بسطاما وساير بنى شيبان أحدثوة للأنام واجازى عمى على تلك الفعال بما يستحقه من الأعمال لأنه قد بالغ فى غدراتى وطلب مهرا بنته اتلاف مهجتى ولكن يا شيبوب فى أى القوم نازلون قال له فى الدهنا وأرض العنيزتين وما هم إلا فى نفر قليل من الفرسان لأنهم متفرقون فى ساير الوديان على المروج والغدران ولكن هيبة الملك قيس بن مسعود وولده بسطام سيد بنى شيبان تحرسهم من طوارق الحدثان (قال الراوى) كان السبب فى مسير أبى عبلة إلى ذلك المكان وكيف استجار بالملك قيس بن مسعود هارب ورجع بطلب خدمة الملك زهير كما ذكرنا وخلى لأبى عبلة المكان من الرجال

والنسوان فقال مالك للربيع بن زياد ما أعظم سعاد. هذا العبد الأسود الذى طغى وتمرد وكلما رميناه فى بلاء يسلم وينجو ونحن نقع فى يد الأعداء ويحوجنا الدهر إليه ويكون خلاصنا على يديه إن القتل أهون علينا من هذه المصائب فيا ليتنى هلكت فى وسط المواكب ولا يكون خلاصى على يد هذا العبد الحقير وأنا أعلم أنه ما بقى لى خلاص ولا بد أن يأخذ إبنتى منى اقتناص فقال الربيع يا ابن العم لا تبلغه أنت المنى وتلبس العار ما دمت فى هذه الدنيا فقال له مالك أشر على وكيف ذلك دبرنى عسى أن تخلص إبنتى من يد هذا العبد الذى فتت مهجتى فقال الربيع أن القوم فى هذه الساعة فى الحرب والكفاح والناس مشغولين بضرب الصفاح وطعن الرماح فاركب أنت وعبلة وزوجتك ومن يتعلق بك من عشيرتك واركبوا من هذه النجب والمهار واقطعوا البر والقفار واطلبوا الأرض بنى شيبان فأنا أعلم أن الحرب لا ينفصل بين الطائفتين إلا وقد سرت أنت فى أبعد مكان وإذا نزلت على الملك قيس بن مسعود فاشك اليه حالك فهو الذى يبلغك آمالك لأنك سيد مطاع وله ولد يسمى بسطام تفرع منه الجن التى فى سائر الآكام فلما سمع مالك ذلك ركب هو وولده عمرو من تلك النجب التى أتى بها معد يكرب وأخذ زوجته وابنته ومن يتعلق به من قرابته وقد أخذ من الجواهر والحبوب شيئا كثيراً من ماله ومال غيره مما قدرت عليه عبيده ثم أنه أمر العبيد والرجال أن يسوقوا الخيل والجمال ثم أنهم ساروا من أول النهار وغاصوا فى البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى حلة بنى شيبان ودخل أبو عبلة على تلك الخيام فالتقتهم العبيد والخدم وسألوهم عن أحوالهم وما هم طالبون من أمورهم فعند ذلك أخبرهم مالك أنه طالب الملك قيس ابن مسعود الكريم الآباء والجدود فقالت له العبيد على الرحب والسعة والكرامة غير أن الملك فى الصيد والقنص وقد قرب وقت قدومه وهنا من يقوم مقامه انزل يا ابن الأجواد فقد حصلت فى ذمامه قال فنزل الأمير هو وولده وكل من معه من عبيده وجنده ثم أن العبيد أدخلوا عبلة وأمها عند حريم الملك وبناته وأجلسوا مالكا وولده وأخذوا خيولهم سيروها وعلى المداود ربطوها (قال الراوى) فما استقر بهم القرار حتى أقبل الملك قيس من البرارى والقفار ومن خلفه سائر الأمراء والشجعان وهم لابسون الأبراد اليمنية متقلدون بالسيوف الهندية ومن تحتهم الخيول العربية وهم فى حمية وأى حمية صلوا يا حاضرون على سيدنا محمد خير البرية قال ولما أقبل الملك على قومه تلقاه عبيده وأخذوا ما معه من الصيد الذى حصله وجلس الملك فى محله ودارت به فرسانه وأجناده فعندها قام الأمير مالك على حيله وولده عمرو وتبعه وتقدم وقبل من الملك يده وقد أذلته الغربة وبعده

عن الأحبة فعند ذلك ترحب به الملك قيس وأكرمه وبجله وعظمه وأخذ فى الحديث معه وجعل يسأله عن حالته وما السبب الذى أتى به إلى هذه الديار وأبعده عن حلته فعندها حكى له مالك بن قراد عن حكايته وعن عنتر بن أخيه وعبلة ابنته وكيف أن عنترا أراد أن يأخذها غصباً وفى آخر الكلام قال له يا ملك الزمان ولما أعيانى الأمر قصدت إلى جئنا بك مستجيراً من هذا اللئيم قال الراوى فعند ذلك تعجب الملك قيس وأخذه الطرب من قصة ذلك الرجل وقال له يا شيخ أما كان فى حلتك من يرجع هذا العبد عنك قال الراوى فقال مالك أنا أعلمك أن هذا العبد ولد حرام وقد تفرس ما بين الشجعان ولا يقدر أحد أن يرد عليه وكل من تحرش به أسكنه فى الأرض والكثبان وها أنا حكيت لك حكايتى قال الراوى فلما سمع قيس هذا الكلام علم أنه على فعله لا يلام فعند ذلك قال له مرحباً بك من قادم قدوم خير كفيت على الرحب والسعة والكرامه كل ضير وقد أجرتك من كل العربان ولو كان خصمك الملك النعمان أو كسرى أنوشروان فعند ذلك قبل مالك يديه وشكره وأثنى عليه قال الراوى فهناك على الحقيقة طابت لمالك أبى عبلة المعيشة وصار الملك قيس لا يفعل أمر إلا بحضوره ومشورته قال الراوى وكان بسطام بن الملك قيس قد انتشأ فى بنى شيبان وربى مع النسوان وصار يحب الجلوس معهن والحديث بينهن حتى كبر وصار فى عداد الرجال ولكنه ضعيف الحال فعايرت أباه جميع العربان وقالوا إن الملك قيس سيد بنى شيبان أتى له ولد ضنجير جبان فاغتاظ الملك قيس من سماع هذا الكلام وخاف من شماتة العربان فدخل على زوجته وجرد فى يده الحسام ودمدم دمدمة الأسد الضرغام فعندها خافت منه زوجته لما رأت أن هذه الحالة حالته فقالت له ما حالك يا ابن الكرام فقال لها لا بد لى من قتلك وأسيل فى هذه الساعة دمك أن تمكنينى من قتل ولدك من أجل هذا الكلام الذى سمعته من العربان حيث يقولون أن الملك قيس له ولد جبان ويحب الجلوس مع البنات والنسوان وأنا يا أختاه كلما أهم بقتله تمنعينى عنه وتقولين ولدى لا يهون على قتله ولا أرضى له بالإعدام وأنا قد أنفقت مرارتى من كثرة الكلام وقصدى أن تمكنينى من قتله حتى يطمأن قلبى من جهته فقالت له إن قتله على رؤس الأشهاد ما هو صواب وإن كان مرادك ذلك فأنا أغيبه عن عينيك وأرسله إلى أخواله السادات فهم يأخذوه عندهم ويغزوا معهم فى الغزوات إلى أن يتفرس ويصير من الفرسان أو أنه يموت ولا يعلم به إنسان ولا تفعل شيئاً يلومك عليه ملوك الزمان قال الراوى ولم تزل به زوجته حتى أنها عما يرى همته وطلع من

عندما كان الذى به من الغضب ما كان ثم أنها اهتمت فى ذلك الشأن وأرسلت ولده إلى أخوتها بنى تميم الشجعان فعند ذلك استقبلوه وفى أرضهم أنزلوه وأكرموه وبجلوه ثم أنهم صاروا يأخذونه معهم فى الغزوات ويقدمونه قدام السادات جملة أيام وليالى حتى انتقل من حال إلى حال وصار يهجم على السباع ويصطادها من كل البقاع ويهججها من الغابات فى الوديان حتى انتهت عزيمته وسموه باليقظان قال وفى بعض الأيام طلع الملك إلى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فعند ذلك إشتاقت زوجته إلى ولدها فارسلت إلى أخوتها أن يرسلوا لها ولدها فى غيبة بعلها فعند ذلك أرسلوه إليها فتلقته وقبلته بين عينيه وفى جبهته وقالت له ياولدى أما آن لك أن تخلع ثياب النسوان وتلبس لباس الشجعان وتعد من أصحاب الحرب والطعان فعند ذلك قال لها نعم ياأماه وقد سميت باليقظان وأنا أسأل الرب الكريم الحنان ان يطرق أرضكم عند الصباح فرسان تطلب الحرب والطعان لكى تنظرى مايقع منى معهم فى الميدان وأنا آليت على نفسى أنى ما أضاجع النسوان وما بقيت أجالس إلا الأبطال والفرسان فقالت له أمه ياولدى دعنا من هذا القيل والقال فإننا ما نريد حرباً ولا قتالاً ولا طعناً ولا نزالاً ثم أنها باتت تلك الليلة وهى فرحانة بولدها وقرت به عينها قال فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح طلعت عليهم نواصى الخيل وهى مثل قطعة من سيل يقدمها فارس فى الحديد غاطس كأنه قلة من القلال أو قطعة فصلت من الجبل أو قضاء الله إذا تحول ونزل وكان ذلك الفارس يسمى شهاب اليربوعى الحجر الجامد الذى ناره فى الحرب لاتخمد كما اشتهى الأمير بسطام وكان معه خمسمائة فارس فى الحديد غواطس أبطال قناعس فنهبوا الأموال وساقوا الخيل والجمال قال وكان الملك قيس بن مسعود عند مسيره إلى بنى تميم ترك فى الحى ابن عم يقال له الأمير غالب بن جهير وعنده سبعون فارساً من بنى شيبان قال فلما سمع غالب صياح الفرسان ركبت معه الأبطال الذى عندهم وصاروا يتبعون آثار النوق والجمال فعاد إليه شهاب اليربوعى ومن حوله من الفوارس واستقبل بنى شيبان وتلقوهم بضرب السنان والسيف اليمان والتقى بغالب بن جهير فأورثه البلاء والويل والذل والتصغير ثم أن شهاب اليربوعى قوم السنان وضايق غالباً ولاصقه وسد عليه طرائقه وطعنه فى صدره فأخرج السنان يلمع من ظهره وحمل على الخيل يربوع الشجعان فعند ذلك زعقت البنات والنسوان ووقع البكاء فى الصبيان وكان الأمير بسطام أراد أن يركب من حيث قبلت الأعداء فما مكنته أمه من ذلك وخافت عليه من شرب كاس المهالك وصارت متعلقة بأذياله والأمير بسطام مستحى من ذلك ومازال على ذلك الحال وهو كلما أراد أن يركب على القوم تمنعه أمه حتى رأى الخيل وهى بين أطناب النساء

قد زادبهم البكاء والانتحاب فزادبه الحرب وأخذته نخوة العرب ووثب على ظهر جواده وثبة الأسد ولم يلبس على جسده زرد لأن النخوة قد غيرت أوصافه والشجاعة لعبت بأعطافه فأخذ الرمح وحمل وطلب الأعداء بقلب أقوى من الجبل وانصب على أعدائه انصباب السيل وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

وما بى فى الملا بيت من الكرم إلا بطعن القنا والضرب فى القمم
خل ذكر سليمى والرباب إذا دارت رحا الحرب فى داج من الظلم
ولا ركبت جوادا يوم معركة ولا هزمت جيوش العرب والعجم
ولا بلغت المنى عن أؤمله ولا مشيت فى اللذات والنعم
ولا رجوت بباعى مقصدا أبدا وكان دمعى يرى فيضا بمزج دم

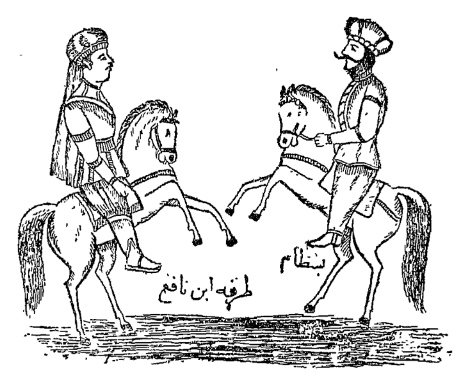
قال الراوى فلما فرغ الأمير بسطام من الشعر والنظام زعق على الخيل ونزل عليها نزول السيل وأبلاهم بالذل والويل ونثرهم بالرمح والحسام حتى أخرجهم من المضارب والخيام فعند ذلك عاشت أرواح بنى شيبان وصاحت البنات والصبيان وطلع الغبار إلى العنان ونظر شهاب اليربوعى فعال بسطام فزادت أهواله وعظم بلباله فانقض على بسطام وأراد طعنه فسبقه بسطام وطعنه فى جنبه فقلبه على وعن مركوبه كركبه فصار يخوض فى دمه ويضطرب فى عندمه وقد أشرف على الهلاك والعطب وأندق ضلعه وجلت به البوب وعاد إلى فرسانه عودة الأسد ففرقهم تفريق البهائم الرتع وشتت شملهم بعدما اجتمع فولوا هاربين وإلى النجاة طالبين ولم يزل بسطام تابعا الآثار حتى أبعدهم عن الديار بالقوة والإقتدار ثم أنه عاد إلى الأحياء هو ورجاله الأخيار قال الراوى أما بنو يربوع فإنهم رجعوا وأخذوا سيدهم شهاب لأنهم وجدوا فيه الروح فحملوه وقصدوا عرض البرارى والقفار والسهول والأوعار وأما بسطام فإنه رجع وهو مؤيد منصور وأمه لم تسعها الدنيا من شدة الفرح والسرور فانزلته عن جواده من بعد أن أبلغ من الأعداء غاية مراده وكان بسطام أخذ جواده شهاب وكان مجبور يقال له ذات السنور وبعد أيام وصل أبوه وهو فرحان بغنيمته من ديار بنى تميم فزادت أفراحه وزالت أتراحه فأحضر بسطاما وأحسن إليه وقربه منه وخلع عليه وقال الحمد لله رب العالمين الذى أخرج إلى ولدى من هذا المخرج ونقله مما كان فيه من ذلك المنهج ومن ذلك اليوم صار الأمير بسطام حامية بنى شيبان وخافت من شره جميع العربان واتفق أن الملك المنذر كما وصفنا مات وشرب كاس الحمام وتولى بعده ولده النعمان وأطاعه القبائل من سائر العربان فسمع النعمان بشجاعة بسطام وأنه قوى العزم عظيم الشأن فأنفذ

إليه الخلع وأمر أن يحضر إلى ميدانه لأن النعمان كان يحب الفرسان ويقرب الشجعان إلى ساحتها ويعطيهم الأنعام فلما أن وصلت رسالة الملك النعمان إلى عند الملك قيس الهمام جهزه ولده بسطام وسار إلى أن قدم على الملك النعمان فأكرمه غاية الإكرام وقد أحسن ضيافته ثلاثة أيام وبعد ذلك أراد أن يطلب بسطاما إلى الميدان فأحضروه في جملة الفرسان وأمره بالنزول إلى الأبطال والشجعان فجال بسطام مع الأقران وقد أظهر من فعاله ما ما حير به الفرسان ولم يبق بطل إلا وابطل عليه مجاله ولا فارس إلا وافترسه وقطع أوصاله فلما نظر الملك النعمان إلى فعاله غمره بجودة وأفضاله وتركه حاديا لبلاده وأوطانه إلى ما عاد إلى أبيه إلا وقد خلع النعمان عليه والنجائب تقاد بين يديه فخرج بنو شيبان مع ملكهم ولاقوا الأمير بسطام وقد فرح أبيه به وبرؤيته وكان مالك أبو عبلة قد أتى إلى ديارهم في غيبته فلما أن خرج قيس إلى لقاء ولده في ذلك اليوم كان مالك وولده عمرو في جملة الناس وهم إلى جانبه فلما أن سلم الملك قيس على بسطام تقدم مالك وولده إليه وسلموا بأفصح السلام عليه وتكلموا معه بأحسن كلام فتعجب بسطام من فصاحتهم وقد أنكر زيهم لقلة معرفته بهم فلما أن حصل وجلس فى مضارب أبيه واجتمع حوله سائر أهله وذريته وسألهم عن مالك وولده فقالوا له أيها الأمير أعلم أن هؤلاء القوم العبسيين وقد نزلوا على أبيك مستجيرين من عبد قد نشأ عندهم وقد قهرهم بشجاعته وإحتاج ملكهم إلى سيفه وجماعته من الملاحة والكمال (قال الراوى) فلما سمع بسطام منهم هذا الكلام هام بها على الصفة واشتغل خاطره به من غير نظر ولا معرفة فلما كان عند المساء خلا بأمه وقال لها أماه هل رأيت هذه الجارية العبسية فقالت له أمه وحق خالق البرية هي والله أحسن من الشمس والقمر ولا يوجد عندها خدم قال الراوى فلما سمع بسطام من أمه ذلك الكلام قلق بحبها وازداد به الهيام وقد أشتد الوجد والغرام فقال لها يا أماه وحق الكعبة الحرام ما كان فى نيتى أن أضاجع امرأة مدى الزمان والأمان قد وقع فى قلبى هذه الجارية نيران وقد اشتد على لهيبها واشتهيت أن أنظرها من قبل أن أخطبها ولكن يا أماه فى غداة غد ويركب أبوها للسلام على أبى فادعى أمها إلى عندك وأكرمى مثواها ثم استوحشى لها وأكثرى معها الحديث وطاوليها فى شيبان ودارعه بهم الشجعان والفرسان فعندها تخلف بسطام عن الركوب وقد ظهر لأبيه

وقومه أنه متعوب فتركوه فى الأبيات وساروا قال فلما أن خلت المضارب من الرجال نفذت بسطام خلف أم عبلة فأتت إليها فنهضت إليها قائمة وسلمت عليها وقد أجلستها بين يديها وطاولتها فى الحديث والكلام فهناك خلع بسطام ما كان عليه من ثياب الملك والاحتشام وقد تزيا بزى امرأة فقيرة الحال وقد التف فى عباءة وسار يطلب أبيات مالك وقد زين له الهوى ذلك المحال وتلك الأعمال وقد كانت عبلة لما خلا لها المكان تذكرت المنازل والأوطان وقعدت وخلعت البرقع عن وجهها وجعلت تبحث فى الأرض بيديها وتشغل نفسها بكلام يجلب لها البكاء كما جرت بذلك عادة النساء فبينما هى كذلك وإذا ببسطام قد أتى ووقف على باب الخبا ونادى بعبلة يا حرة العرب وأفخرهم فى الحسب والنسب بحق رب يبلغك أملك ومرادك ويشفى قلبك ويغسل عنك همك ويزيل غمك ويدفع قربك روى لوعتى وردى جوعتى وهدى سرى بشىء أمسك به رمق الفؤاد لأنى امرأة ضعيفة الحال قليلة الرجال قال الراوى فلما سمعت عبلة منه ذلك المقال وثبت فى عاجل الحال وهى تسحب أذيال الجمال أتت ومعها قطعة طرموس وشىء من التمر وقالت لها خذى يا خالة واعذرينا فى هذا الديار والأوطان هذا وبسطام أن رآها وسمع منها ذلك المقال غاب عن الدنيا من لذة كلامها وظرفها وتلاطم أمواج أردافها وجمال وجهها ثم أنه أخذ منها الزاد وعاد بلا قلب ولا فؤاد ولما وصل إلى أبياتها يعنى أبيات أمه عن أكتافه عباءته فقالت له امه يا ولدى ماذا رأيت فقال لها يا أماه لا تسألى عن حالى ولا على ما جرى واعلمى أنى ما عدت إليك ولا أنا ما أملك شيئاً من عقلى ولا بقى لى سمع ولا ناظر ولا أقول أنى عندى حاضر لما قد رأيت من صنعة رب السماء التى قد صورها من ماء والآن ما بقى لى نجاة من أشراك الغرام وقد زادت بى الغصص وبقيت مثل الطير فى القفص وإن لم تساعدينى على ما نزل بى من البلاء وإلا هجت على وجهى فى الفلا قال الراوى فلما سمعت منه أمه هذا المقال ورأت ما حل به من تلك الأحوال قالت له يا بنى طب نفسا وقر عينا واعلم أنك اليوم ملك شيبان وفارس الغصر والأوان وأنا الذى أخاطب أباك فى هذا المعنى وأبلغك كل ما تشتهى وتتمنى ثم أنها صبرت إلى أن عاد أبوه من الركوب وأكل الطعام مع الفرسان ودخل إلى الأبيات فقال لها والله يا ابنة العم أنها لا تصلح إلا له ويقارب جمالها جماله وسوف أدعو أباها فيجىء عندى وأتحدث معه فإن هو بها أنعم حكمته جميع ما أملكه من النعم قال الراوى ثم أن الملك قيس بن مسعود أرسل خلف أبى عبلة مالك ووالده عمرو فلما وصلا أقبلا

ودخلا عليه قام الملك قيس اليهما وقد رحب بهما غاية الترحيب ثم أنهما أجلسهما بين يديه وقال المالك ياوجه العرب ويا صاحب الحسب والنسب أعلم أنه مسيرك من عندى قد بدا إلى أمر وأنا أقول أن لك فيه الأفراح إذ وافقتني على هذا الإصلاح فقال مالك لما سمع ذلك الكلام وما هو يأيها الملك الهمام والليث الضرغام فقال له الملك قيس أعلم أنى أريد منك أن تتزوج ابنتك لولدى بسطام الذى سيد بنى شيبان وحامى بلاد الملك النعمان وفارس العصر والزمان واطلب من المهر ما تشاء من المال والنوق والجمال حتى أنى أسوق كل ما تطلبه اليك وتكون بعد ذلك منتك علينا ولا منة لنا عليك قال الراوى فلما سمع مالك أبو عبلة من الملك قيس بن مسعود ذلك الخطاب فرح واستبشر وأجاب وقال له والله يامولاى ما أنت إلا غاية فى الشرف والخبر المذكور وأكون أنا المسعود من دون جميع الجنود ولكن ياسيد العرب أنت تعلم ما تم لى من السبب وأنى ما أتيت إليك إلا وأنا مستجير من ذلك العبد الحقير لأنه يامولاى قد شيب مفرقى وكدر عيشتى وأكثر قلقى . قال فلما سمع بسطام من مالك ذلك الكلام انفرجت كربته وزالت شدته فعند ذلك انبسط من مالك فى هذا الكلام وقال له أنا أبلغك المرام وأضمن لك هذا المقدار وأطفىء ما بقلبك من لهيب النار وأعطيك بعد ذلك أموالا تسد الفضا وتملأ المستوى فعند ذلك زوجه مالك إبنته عبلة وأعطاه يده على ذلك وانفرجت عن قلبه تلك الدبلة ثم أن مالكا أقسم قدام بنى شيبان أن رأى رأس عنتر وصورته سلم اليه ابنته ثم انفصل الحال وتمت الأمور والأشغال (قال الراوى) فلما خلا الملك قيس بولده بسطام قال ياولده العربان أن بنى شيبان ما قضت حاجتها إلا بكثرة الفرسان فقال بسطام وحق من أرسى الجبال وقدر الأرزاق والآجال ولا أسير إلى عنتر إلا وأنا وحيد فريد ولأفعلن فعلا تعجز عنه الصناديد لأن زوجتى عبلة فى قلبها من هذا العبد دبله هى وأخوها وأمها وأبوها وفى قلوبهم أمر عظيم من هذا العبد الزنيم وإذا علموا أنى سرت إلى بنى عبس وحدى وقررتهم بساعدى وزندى وعدت ورأس عنتر معى ارتفع عندهم قدرى وأريد منك أن تكتم عنى هذه القضية ولا يطلع عليها أحد من البرية وإن سألك عنى إنسان فقل أنه مضى يتشرف عن بلاد الملك النعمان ثم أن بسطاما بعد ذلك الأمر والشأن ركب فوق جواده وتقلد بعدة جلاده وصار يقطع الربا والآكام وما زال سائرا بالجد والاهتمام وهو ما بين يديه فرأى قائد الهوى قد أعدمه التوفيق وسار به العشق على غير طريق

الاستواء لأنه أراد أن يطلب وادى ديقار فسار إلى أرض الدمايت وقد أصبح فى أرض واسعة الجنبات دراسة الطرقات فوقف عند ذلك بسطام وقد نظر يمينا وشمالا وتأمل إلى تلك الراوبى والتلال فبينما هو على ذلك الحال وإذا بغبار وقد ثار وارتفع قدر ساعة من النهار وانكشف عن سبعين فارسا صناديد مسربلين بالحديد والزرد النضيد وقدامهم فارس مثل البرج المشيد فلما نظر بسطام إلى ذلك حرك الجواد وأعتد للحرب والجلاد فعند ذلك تقدم الفارس المقدم ذكره وقال له يافتى من تكون من العربان فقال له بسطام ياغلام ياويلك أنا بسطام بن الملك قيس بن مسعود سيد بنى شيبان وحامى فى بلاد الملك النعمان فأنت من تكون من العربان ومن يقال لك من الفرسان تأخر وتكلم بما عندك من الكلام



(قال الراوى) فلما سمع الغلام من بسطام ذلك الكلام ضحك ضحك العجب وقد هز الرمح فى يده وفرح وطرب وقال أن هذا الإتفاق يجب عليه شكر الملك الخلاق فقال له بسطام وكيف ذلك ياغلام هل لك عندى دين تستوفيه أو دين تقتضيه فقال له الفارس لا والله ياأبا اليقظان مالى عندك دم ولا دين ولكن بعد ما رأيتك ما بقيت أقدر أن أعود إلا برأسك لاننى أنا يقال لى طرفة بن نافع وقد خطبت سعدى ابنة شهاب اليربوعى الذى قتلته أنت لما غار عليكم وقد قالت لى أمها ما أزوجها إلا لمن يأخذ بثارها ويأتينى برأس بسطام قاتل أبيها وبعد ذلك يأخذها بلا مهر معدود ولا صداق محدود فخذ الآن حذرك ودبر أمرك للحرب والقتال والدهن والنزال (قال) فلما سمع بسطام

ذلك الكلام قال له والله يا طارقة لقد ساقك الطمع إلى سوء المصرع واليوم ترى فعالى وسوء المصنع وتنظر أسدا ليس لك منه خلاص إلا أن تذل وتخضع وما أريد منك إلا الانصاف وإن أبيت ذلك ولا تعمل بالانصاف فاحمل أنت وقومك أجمع لأنكم عندى مثل الغنم إذا وقع بها الأسد الأدرع فقال له طارقة وهل لك أن تتكلم بهذا الكلام فى مثل هذا المقام لكن قل لى ما الذى تريد من الانصاف يا بسطام فقال له تمهل على حتى انزل من على ظهر جوادى وأريحه قليلا وأعود على ظهره وبعد ذلك دونك والقتال فقال له طارقة افعل ما بدا لك * هذا وقد نزل بسطام عن جواده وحل عنه الحزام وأراحه من اللجام وحط عنه سرجه وسيره حتى راث وبال وأخذ الراحة للمجال لأنه قد سار من أول الليل إلى ذلك الوقت ولما أخذ الراحة أسرجه وألجمه وعاد بسطام على ظهره وجعل ينشد هذه الأبيات:

أنصف الدهر وبالحق حكم ... ولعمرى يا لقومى ما ظلم
سرت أبغى دم من لاضامنى ... فأتانى من تفاضانى بدم
قصتى تعجب من يسمعها ... ثم تبقى مثلا بين الأمم
يا بنى شيبان قلبى ضائع ... فأنشدوه بين أطناب الخيم
أسرته ظبيـة فى طرفها ... صائد يصطاد آساد الأجم
شبه شمس طلعت وقت الضحى ... أو هلال بان فى جنح الظلم

(قال الراوى) ثم إن بسطاما بعدما فرغ من شعره انقض على الخيل وقد نزل عليهم نزول السيل فى ظلام الليل ثم أنه عاد إلى طارقة خصمه وتلقاه بروحه وقد صاح به وخبله وطعنه بالرمح فى خاصرته فقتله ثم أنه عاد إلى باقى الخيل وكان القوم من بنى مضر فلما أبصروا من بسطام ذلك الأمر المنكر هجوا على وجوههم فى البر الأقفر وما زال بسطام ورائهم حتى أهلك جماعة من رفقائهم ثم أنه عاد عنهم بعد القتال وهو يهمهم مثل الأسد الرئبال وبعد ذلك سار وجعل يجد فى قطع واسع القفار حتى أنه بقى فى ديار بنى صعصعة ومن هناك استقام على الطريق ولم يزل يجد المسير ويقطع الصحراء حتى أشرف على ديار بنى مرة فبينما بسطام سائر إذ تلقاه فارس أسود على حصان أجرد وبين يديه رجل يسعى وكان ذلك الفارس عنتر بن شداد الأسد الغضنفر والثانى شيبوب الهمام القسور (قال الراوى) وكان السبب ذلك هو أن شيبوب لما وصل إلى عنتر وأعلمه أن عمه زوج عبلة لبسطام طلب فى مهرها رأسه فاشتكى من الغيبة أضراسه وقد صعب ذلك عليه وأحمرت من الغيظ أماقى عينيه وأخفى عن أهل الحى ولم يطلع عليه أحـد لا أبيض ولا اسود وأوصى أمه

زبيبة بكتمان سره وقال لها إذا أتى أحد من أولاد الملك زهير يطلبنى أو يسأل عنى فقولى له أنه قد مضى يكشف أخبار أخيه شيبوب لأنه قد طالت غيبته ثم أنه خرج من الأحياء بعد ما نامت جميع أهل الحلة وسار يقطع القفار وقال لأخيه أقصد بنا ديار بنى شيبان حتى أنى أريك ما أفعل بعمى من الهوان ولم يزل يجد السير فى جنح الظلام حتى أنه إلتقى ببسطام وقد عرف كل منهما صاحبه بالصفة والحلية قال وكان بسطام أخذ صفات عنتر من عمه مالك وعنتر أخذ صفات بسطام والله ياابن شداد أنا سائر إلى حضرتك أقطع رأسك وأخمد أنفاسك وأعود أتزوج بعبلة زوجتك فقال له عنتر وقد زادقلقه والله من بعد هذا اليوم ما عدت ترى خيامها ولا بد أن تندب عليك أمك وتموت بحسرتها وغرامها فخذ حذرك وتأهب للموت فإنه قد حضر لك فى هذه الساعة ثم أن عنتر التفت إلى أخيه شيبوب وأوصاه أن لا يعينه عليه وتأهب له بسطام وهو يقول له والله يا عبد السوء ما قتلك إلا غاية العار ثم أنه جال وصال وحملة الهوى على الأخطار وأنشد وقال :

حادث الدهر تأتى بالبدع ترفع العبد وللحر تضع
خل عنك الحرب يالون الدجا واتبع الحق وزل عنك للطمع
ماركوب الخيل نوقا فى الفلا كنت ترعاها إذا الصبح طلع
لاتقول أنك تحظى بالمنا والعبيد السود مثلك لى تبع
فاسل عنها قد حواها فارس سيفه لوضرب الصخر قطع
يلتقى الأبطال فى يوم الوغا بجنان لايخالطه جزع
يا بنى شيبان قد نلت المنا وأنجلى هم فؤادى واندفع
وغدا أخبركم عن عنتر أنه يشرب للموت جرع

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من بسطام ذلك الشعر والنظام علم أنه معجب بنفسه وعاشق وقد زين له الشيطان طريق المحال فأجابه على عروض شعره وقال :

ياأبا القيطان كم صيد نجا سوف تلقى أسداً لاينذفع
رمتنى تطلب منى غفلة مثل ذئب جائم يخشى الفزع
يا أبا القيطان كم صيد نجا خالى البال وصياد وقع
إن تكن تشكو تباريح الهوى فانا أشفيك من هذا الوجع
بحسام جردته كلما سجد الموت له ثم ركع

وأنا الأسود والعبد الذى ... يصدم الخيل إذا النقع إرتفع
نسبتى سيفى ورمحى وهما ... يؤنسانى كلما اشتد الفزع
وجميع الخلق شخص واحد ... وإله الخلق يرفع ويضع
يابنى شيبان عمى ظالم ... وعليكم ظلمة اليوم وقع
ساق بسطام إلى قتلته ... عاثقا منه بأذيال الطمع
ها أنا أقتله فى أرضكم ... وأجازيه على ماقد صنع

(قال الراوى) ثم أنهما بعد ذلك الشعر والنظام حمل كل منهما على صاحبه وجعل يطاعنه ويضاربه وقصدا بالأسنة مقاتلة الأشباح وأوسعا فى البر والبطاح ودام بينهما الأمر حتى سكرا بغير راح ولا خمر وذاقوا حرارة الجر وامسا عليهم المساوهم فى لعل وعسى إلا وأن بسطاما قد كل ومل وضعف رسم قواه وأضمحل وندم غاية الندم على ما كان عليه قد عزم وعلم أن الفرسان تتفاضل وأن عنتر الايقابل وعلم أنه ما بقى له خلاص من ضيق الأنفاس فطلب منه الإقالة إلى الصباح ويرجعون للحرب والكفاح فأجابه على ذلك الإيضاح وقد علم أنه ماله من يده براح وقال له أنزل حيث شئت من البطاح فقد أطلقت لك السراح من هذا الوقت حتى يطلع قال الراوى فعندها طاب بسطام أعلى الراوى ونزل عن الجواد وهو لا يصدق أنه يشم الهوى من كرب الجلاد وقد سلا عيلة بذلك الحال وبان له الصدق من المحال ونزل أيضا عنتر عن جواده الأبجر وهو تعبان مكروب وقعد مع أخيه شيبوب وأتى له بشىء من المأكول والمشروب فقال شيبوب لأخيه ولكن خفت من مخالفتك وأنا لا يهون على تعبك فقال له عنتر دعه ياشيبوب فى هذا الليل يموت بحسرته ويعض على أنامله وعند الصباح آخذه عند حملته لأنه فى قبضتى وهذه الفعلة ما كانت فى إرادتى ولو أردت قتله كنت قتلته من أول النهار ولا أمسى عليه المساء إلا هو ممدود فى الصحراء وأنا أريد أن أجله معى إلى بنى شيبان وأذيق كل من فيها الذل والهوان ولا أبقى منهم إنسان لأنه وحق ذمة العرب فارس لا يشبه الفرسان وقد قربت من قتاله وأنا تعبان ثم أنه أمر أخاه شيبوبا أن يتولى أمره إلى الصباح فقال شيبوب على الرأس والعين يا ابن الأم ثم أنه صبر فى هجمة الظلماء حتى عرف أن بسطاما أراد أن ينام فسار شيبوب إلى عنده قبل أن يغرق فى نومه وجاء من ناحية رجليه ورقد رحبا على بطنه ورمى بالأرض حتى صار لا يفرق منها فظن بسطام أن الذى حصل له منام فرجع برأسه إلى الأرض

(تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع)

